﴿ الجزء الاول من ﴾

كتاب

غالية المواعظ

ومصباح المتعظ وقبس الواعظ

للعالم العلامة الحبر البحر الفهامة خاتمة المحققين والمدققين السيد الشيخ خير الدين أبي البركات نعمان افندي آلوسي زاده ابن السيد الشيخ محمود افندي المفتي ببغداد الشهير بآلوسي زاده نفعنا الله به والمسلمين أجمعين آمين

﴿ الطبعة الأولى ﴾

سنة ١٣٢٩ هـ — ١٩١١ م

(طبع على نفقة الشيخ مصطفى تاج وولده ابراهيم تاج الكتبي بطنطا)

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أحيا قلوب المؤمنين بتبصرته وزجر الغافلين عن تذكرته بزواجر موعظته والصلاة والسلام على البشير النذير والنبى الساطع هداه كالصبح المستنير والرسول الذى غدت مواعظه كيمياء السعاده وامتثال أوامره والاجتناب عن مناهيه موصلين الى الحسنى والزياده وعلى آله الحائزين من العلم والعمل أوفر نصيب وأصحابه الفائزين بنعمتى الترغيب والترهيب وعلى من اقتفى أثرهم من علماء الأئمة الذين كشفوا بمحسن توجهاتهم وبديع تقريراتهم عن قلوب المستمعين كل غمة ﴿ أما بعد ﴾ فيقول أسير ذنوبه الغافل عن عيوبه المهمل لنفسه الذاهل عن مضى أمسه نعمان ابن المرحوم السيد محمود افندى مفتى الحنفية ببغداد الشهير بآلوسى زاده غفر ذنوبهما وستر عيوبهما المعيد المبدى انى لما بليت بالوعظ للأنام فى مدينة السلام وتذكير الخواص وتعليم العوام وأردت كتابا أقروه مفيدا فى هذا الزمن للعموم وسفرا تنقشع به عن قلوب الجاهلين واللاهين الغموم فلم أجد مؤلفا حاويا للمسائل الفقهية الدينية والأحاديث النبوية والقصص الصحيحة المرضية والترقيقات الجوزية اللازم بيان جميعه فى هذا الزمن والواجب على العلماء قراءته لمن فطن إذ كل من المؤلفات فى هذا الباب لم يجمع هذه الصفات بأسرها فيما رأينا من كتاب فأحببت أن أجمع كتابا متصفا بهذه الصفات فحررت هذه المجالس المهذبات فجاءت كتابا يحتوى ان شاء الله تعالى على ذلك وينير للمستفيدين الليل الحالك ويسهل لهم فى معرفة ضروريات دينهم المسالك متتبعا لصحيح الروايات متجنبا عن موضوع الحكايات مثبتا لبعض أقوال المذاهب الأربعة ليدل (١) على ماينبغى طالبه وسامعه متوجا كل درس منه بديباجة من تبصرة العلامة التى بدت لكل واعظ امامه وموشحا بسجع منها ختامه لئلا تخلو هذه الرياض عن تغريد حمامه والله تعالى أسأل أن يعلمنى مالم أعلم وينفعنى بما أتعلم ويجعلنى ممن يتعظ أولا (٢) بمواعظها ويعمل بفوائدها وينزجر عن منهياتها ويمتثل

(١) قوله ليدل فى نسخة ليوقف (٢) وقوله بمواعظها فى نسخة بمواعظه وكذا بقية الضمائر اجعلها مذكرة ان شئت اه مؤلفه

لمروياتها وينال أجر رواتها وثواب تعليمها وخير جمعها وتفهيمها وأن لا يجعلنى ممن أمر الناس بالبر ونسى نفسه (١) وأضاء القبور بمصباحه (٢) وأظلم رمسه وأبتهل اليه سبحانه أن ينفع بها السامعين ويكتب لى مثل أجرهم يوم الدين ويختم أجلى بصالح الأعمال ويحفظنى من كيد الحساد والجهال ويتوفانى على الايمان الكامل ويحشرنى ووالدى مع الأبرار ويرزقنى كل خير متواصل فى هذه الدار وفى تلك الدار آمين ورتبته على أحد وخمسين مجلسا ليطيب الطالب بعبقها نفسا (وسميته) غالية المواعظ ومصباح المتعظ وقبس الواعظ هذا وانى أحمد الله الوهاب على أن وفقنى لجمع هذا الكتاب فى أيام خلافة ظل الله تعالى على الأنام وحامى سور الاسلام عن الانثلام سلطان سلاطين العالم وصاحب الرأفة والرحمة على كافة بنى آدم من حمدت أيامه المسلمون ونشر اللطف على كافة رعيته الذين هم فى ظله الظليل قائلون والخاقان الذى دل النص الجلى على خلافته بالمنطوق والمفهوم وخصه الله تعالى بالشرف المحكم من بين هذا العموم الخليفة الذى من يفارق حماه فهو مارق ومن يلزم اطاعته فهو فى دينه صادق المؤيد بتأييد الله المجيد ومن أوجب الله تعالى طاعته على كافة العبيد حضرة مولانا أمير المؤمنين السلطان الغازى عبد الحميد خان ابن المبرور المرحوم السلطان الغازى عبد المجيد خان لازالت أعلام دولته محفوفة بالنصر مدى الزمان ودولته العلية محاطة بالتأييد مادام الدوران ولا برحت أقطار الأرض مشرقة بأنوار معدلته وأغصان الأمن مورقة بسحائب رأفته ولازالت أعتابه السنية ملجأ طوائف الأنام وحصنا حصينا للخاص والعام آمين آمين

من قال آمين أبقى الله مهجته * فان هذا دعاء يشمل البشرا

ولذا أسرع قلمى بهذه الأبيات المخبرة عن بعض كريم الصفات والمفصحة بلازم الدعوات وهى

بمولانا أمير المؤمنينا * لقد سرت قلوب العالمينا
وفى ظل الاله هم أقاموا * (٣) وظل الله يؤوى القائلينا
أنام الكل فى ظل ظليل * (٤) فكان لجمعهم كهفا أمينا
وأصناف الرعية قد تراءت * بأنواع المعارف عارفينا
مليك ليس يشبهه مليك * فلا تطلب له ملكا قرينا
ملاذ الخلق فى الدنيا جميعا * وسيدنا امام المسلمينا
عياذ الناس سلطان البرايا * وخاقان الخلائق أجمعينا
خليفة ربنا قد صار حقا * فكان لتخته السامى مزينا
وقد أحيا مآثر لن تضاهى * ومهد ملكه للساكنينا
وقد عمت أياديه البرايا * وأدب فى الفلاة المارقينا
أدام الله دولته علينا * وأيدنا به دنيا ودينا
وأبقى ذاته العلياء فينا * وأعطانا به فتحا مبينا
وملكه أقاصى الأرض طرا * شمائلها البعيدة واليمينا
وأبقى عبده المولى حميدا * حميد العيش دهر الداهرينا
وأيد جنده البارى بنصر * وفتح كائن حينا فحينا

وقد آن الشروع فى المقصود فأقول مستمدا من فيض الله تعالى الكريم وطالبا للفوز بجنات النعيم

(١) قوله وأضاء فى نسخة وأنار (٢) وقوله وأظلم رمسه فى نسخة وأخلى منه رمسه (٣) وقوله وظل الله فى نسخة كذلك الظل (٤) وقوله فكان لجمعهم فى نسخة فكان لشملهم

﴿ المجلس الاول ﴾

﴿ فى شهر رمضان المبارك وفرضية صومه وليقرأ فى آخر شعبان ﴾

(١) ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله خالق الخلق كلهم من تراب وفارق ما بينهم فى المعانى والآداب رفع عن أبصار بصائر الأولياء الحجاب وأشهدهم ما خفى عن غيرهم وغاب فهم على باب الدلالة للخلق على الباب أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب وشغل الجهال الطغام بالطعام والشراب فهم فى جمع الحطام بين المجىء والذهاب يعمرون بالهوى أجسامهم والقلوب فى خراب وما ابيض لهم عرض حتى اسودّ الكتاب فاذا عاينوا تفريطهم عند الموت بان المرتاب ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب أحمده على كل ما عرض وناب وأقرّ بوحدانيته من غير شك ولا ارتياب وأصلى وأسلم على رسوله محمد الذى عرج به فكان قاب وعلى أبى بكر السابق الى الفضائل ولا سبق العراب وعلى العادل عمر بن الخطاب وعلى عثمان منفق الأموال على الاسلام من غير حساب وعلى ابن عمه علىّ المعدّ لكشف الكربات الصعاب وعلى بقية الصحابة والقرابة والتابعين الى يوم الحشر والحساب ﴿ أما بعد ﴾ فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه العزيز وكلامه البليغ الوجيز يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوّع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون صدق الله العظيم ﴿ فنقول ﴾ وبالله تعالى التوفيق ومنه الهداية الى أقوم طريق قال العلماء رحمهم الله الصوم فى اللغة مطلق الامساك ومنه قوله تعالى حكاية عن مريم انى نذرت للرحمن صوما (٢) أى صمتا وسكوتا عن الكلام ويقال صامت الريح أى أمسكت عن الهبوب وصامت الفرس أى أمسكت عن العدو والركض * قال النابغة

خيل صيام وخيل (٣) غير صائمة * تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

وقيل صياما الا أنهم كانوا لا يتكلمون فى صيامهم وقد نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صوم الصمت

---

(١) بهامش الأصل للمؤلف خطبة أخرى بدل الخطبة المتقدمة وهى قوله ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ الحمد لله الأول بلا ابتداء الآخر بلا انتهاء الظاهر بلا اختفاء الباطن بلا اخفاء الأحد بلا احتواء الصمد بلا ازدواء الفرد بلا انثناء الأبدى بلا افناء الوفىّ بلا التواء العلى بلا اعتداء البرى من الشركاء الخلى عن القرناء السميع بلا اصغاء البصير بلا اسوداء المتكلم بلا اهجاء الحاكم بلا أهواء القابض بغير أعضاء الباسط بغير احتناء الذى رفع السماء بغير بناء ومهد البطحاء على تيار الماء استوى على العرش فلا كيف للاستواء ونظم متفرّق العلوم فى طىّ سجل علمه فلا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء أحمده على السرّاء والضرّاء والجهر والخفاء وأصلى وأسلم على سيدنا محمد المصطفى ونبيه المجتبى وصفيه المقتفى خاتم الأنبياء المخصوص بليلة الاسراء وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأولاده وذرّياته السادة النجباء لاسيما أبو بكر الصاحب فى الشدة والرخاء وعمر سيد الوزراء وعثمان الصابر على مر البلاء وأمير المؤمنين علىّ أبو الأمناء وزوج بضعته الزهراء الى آخره اه (٢) قوله صوما قرأ أنس بن مالك رضى الله عنه صمتا وكذلك فى مصحف عبد الله (٣) وقوله وخيل غير صائمة فى نسخة وأخرى الخ اه منه

لانه نسخ فى أمته وانما أمرها الله تعالى أن تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها فى كلام لمعنيين * أحدهما أن عيسى عليه السلام يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها من قوله قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا الخ * والثانى كراهة مجادلة السفهاء وفيه اشارة الى أن السكوت عن السفيه واجب * ولقد أحسن من قال

اذا فاه السفيه بسب عرضى * كرهت بان أكون له مجيبا

يزيد سفاهة وأزيد حلما * كعود زاده الاحراق طيبا

فتبين أن الصوم لغة الامساك وفى الشرع امساك (١) مخصوص من شخص مخصوص بشرطه (٢) فى زمن مخصوص بعينه وهو اليوم وفى هذه الآية دلالة ظاهرة قطعية على وجوب صوم رمضان وهو من الامور المعلومة من الدين بالضرورة ولذلك يكفر جاحده بل قد ذكر فى البزازية أن من أكل شهر رمضان عيانا متعمدا يؤمر بقتله لان صنيعه الفاحش دليل الاستحلال ۞ وههنا مسائل وفوائد نفيسة ﴿ أولاها ﴾ فرض الصوم فى السنة الثانية من الهجرة بالمدينة وفى الخطاب بيا أيها الذين آمنوا اشارة الى أنه فرض فيها لا بمكة لأن الخطاب بها على ما قيل كان بيا أيها الناس ﴿ الفائدة الثانية ﴾ اختلف العلماء فى أفضل العبادات البدنية فقيل الصوم أفضل أعمال القرب وقيل الحج وقيل الطواف وبه قال جمع (٣) واستدلوا بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ينزل الله على هذا البيت فى كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة فستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين قال الماوردى فجعل للطائف أكثر من المصلى فدل على أن الطواف أفضل وقيل الجهاد أفضل وقيل الصلاة بمكة أفضل (٤) والصوم بالمدينة أفضل نظرا الى محل فرضيتهما وقيل الدعاء أفضل وبه صرح الغزالى فى أوّل كتابه وسائل الحاجات والصحيح كما قال السغيرى الذى قاله جمهور العلماء أن الصلاة أفضل عبادات البدن بدلائل * منها أن الله تعالى سماها ايمانا فى قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم أى صلاتكم لبيت المقدس * ومنها ما ورد فى الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال سألت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أى الاعمال أحبّ الى الله تعالى وفى رواية أفضل قال الصلاة لوقتها * ومنها ما رواه عبد الله بن عمر أن رجلا أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسأله عن أفضل الاعمال فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الصلاة (٥) قال ثم مه قال ثم الصلاة قال ثم مه قال ثم الجهاد فى سبيل الله * ومنها ما رواه عبد الله ابن قرط رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فان صلحت صلح سائر عمله وان فسدت فسد سائر عمله وأيضا انما فضلت الصلاة لانها تجمع من القرب ما تفرق فى غيرها من ذكر الله تعالى وذكر رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والقراآت (٦) والتسبيح والاستقبال والطهارة والستارة وترك الاكل والشرب والكلام فما حوته من مقاصد التكاليف لا يجتمع فى عبادة غيرها فان باطنها الحضور بين يدى الله تعالى وذلك مقصود التكاليف وظاهرها شغل جميع الجوارح بالطاعات ومنعها من المعصيات ولهذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم حبب الىّ من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة وليعلم أنه ليس المراد كما قال الامام النووى من قولهم الصلاة أفضل ان صلاة ركعتين أفضل من صيام يوم أو يومين فان صوم يوم أفضل من ركعتين وانما معناه أن من أمكنه الاستكثار من الصوم والصلاة فأراد أن يستكثر من أحدهما ويقتصر عن الآخر فليستكثر من الصلاة فهذا محل الخلاف

---

(١) أى حقيقة أو حكما كمن أكل ناسيا (٢) وقوله بشرطه وهو كونه مسلما طاهرا عن حيض ونفاس مع النية (٣) وقوله واستدلوا الخ لكن قال الشيخ عز الدين هذا الحديث ضعيف فلا حجة فيه

(٤) قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره (٥) ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر (٦) فى نسخة والقراءة

واعلم أنه انما قلنا سابقا ان الصلاة أفضل عبادات البدن لاخراج عبادات القلب كالايمان والمعرفة والتوكل ونحوها فانها أفضل من العبادات البدنية وأفضلها الايمان ولاخراج العبادات المالية كالزكاة وشبهها فانها أفضل من العبادات البدنية أيضا لتعدى النفع بها على ماقاله أبو على ونازعه الشيخ عز الدين بما قاله الشافعى رضى الله تعالى عنه ان الصلاة أعظم من الزكاة والحاصل أن أفضل العبادات البدنية الصلاة ثم الصوم وأفضل الصوم صوم رمضان وكم وكم له من فضائل جليلة ومناقب جسيمة فقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه رواه أبو هريرة وفى البخارى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله أوشاتمه فليقل انى صائم مرتين والذى نفسى بيده لخلوف (١) فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى الصيام لى وأنا أجزى به والحسنة بعشر أمثالها وعنه عن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله ليس بتارك أحدا من المسلمين صبيحة أول يوم رمضان الا غفر له وعن ابن مسعود قال من صام يوما من شهر رمضان خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فاذا انسلخ عنه الشهر وهو حى لم يكتب عليه خطيئة الى الحول رواه فى الدرر واللآلى وفى الصحيحين اذا دخل رمضان فتحت أبواب الرحمة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين وفى فضل الصيام مطلقا أحاديث كثيرة نذكر بعضها ان شاء الله تعالى فى محلها ﴿ الفائدة الثالثة ﴾ يستحب لمن رأى هلال رمضان أو غيره أن يكبر وأن يقول اللهم أهله علينا باليمن والايمان والسلامة والاسلام ربى و ربك الله فقد روى الترمذى عن طلحة بن عبيد الله رضى الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه كان اذا رأى الهلال يقول اللهم أهله علينا باليمن والايمان والسلامة والاسلام ربى و ربك الله ونقل السفيرى عن نزهة المجالس أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال اذا رأيت الهلال أو الشهر فقل الله أكبر ثلاثا الحمد لله الذى خلقنى وخلقك وقدر لك منازل وجعلك آية للعالمين يباهى الله بك الملائكة و يقول يا ملائكتى اشهدوا أنى قد أعتقت هذا العبد من النار و روينا فى مسند أحمد أنه كان يقول الله أكبر الحمد لله لاحول ولا قوة الا بالله اللهم انى أسألك خير هذا الشهر وأعوذ بك من شر القدر ومن شر المحشر قال السبكى و يستحب أن يقرأ سورة تبارك لأمر ورد فى ذلك ولأنها المنجية قال والحكمة فى قراءتها انها ثلاثون آية بعدد أيام الشهر أى فلعله ينجى الله العبد بقراءتها عند رؤية الهلال و يحفظه جميع أيام الشهر ببركة كل آية منها بل قال العلماء يستحب قراءتها كل ليلة لأنها تنجى من عذاب القبر كما ورد فى ذلك أخبار وآثار منها ما أخرجه عبد الرحمن فى مسنده عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال لرجل ألا أتحفك بحديث تفرح به قال بلى قال اقرأ تبارك الذى بيده الملك وعلمها أهلك و جميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له أن ينجيه من عذاب النار وأخرج خلف بن هشام فى فضائل القرآن عن ابن مسعود قال سورة الملك هى المانعة تمنع من عذاب القبر يؤتى صاحبها فى قبره من قبل رأسه فيقول رأسه لاسبيل لك على انه وعى بى سورة الملك ثم يؤتى من قبل رجليه فتقول رجلاه ليس لك على سبيل انه كان يقوم على فى سورة الملك وهى احدى الاشياء التى تنجى من عذاب القبر فقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالى أشياء تنجى من عذاب القبر * منها الموت يوم الجمعة أو ليلتها أخرج أبو يعلى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من مات يوم الجمعة وقى عذاب القبر ومعنى وقى عذاب القبر أى المترتب على السؤال وأما السؤال فلا بد منه لكل أحد ماعدا الانبياء على الصحيح لانه قيل ان الانبياء أيضا يسئلون وكذا الصبيان لا يسئلون على الصحيح بدليل أنهم قالوا الصبى لا يسن تلقينه ولو مميزا * ومنها الموت فى رمضان وكذا لو

---

(١) تغير ريح الفم

مات فى غير رمضان فانه يرفع عنه العذاب لشرف رمضان بل عمم النسفى فى بحر الكلام فقال ان الكافر يرفع عنه العذاب يوم الجمعة وليلتها وجميع شهر رمضان كما يرفع عن المسلم العاصى وسنذكر ان شاء الله تعالى بقية من ينجو من عذاب القبر فى محله ﴿ الفائدة الرابعة ﴾ قال الشيخ شمس الدين محمد السفيرى لما كان شهر رمضان شهرا مباركا جليلا شرعت التهنئة فيه فيهنئ الانسان بقدومه اخوانه المسلمين بان يقول لمن رآه منهم جعل الله تعالى هذا الشهر مباركا علينا وعليكم أو أبشر بشهر مبارك علينا وعليكم فقد أفاد ابن رجب وغيره أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يبشر أصحابه بقدوم شهر رمضان وقد صنف العلامة السيوطى كتابا ذكر فيه أنه يهنأ الانسان بالفضائل العلية (١) و يهنأ بالعافية من مرض و يهنأ بتمام الحج و يهنأ بقدومه من الحج و يهنأ بعقد النكاح و يهنأ بمولود ولده و يهنأ بشهر رمضان وغير ذلك والتهنئة فى كل واحد من هؤلاء بما يليق له * ولله در القائل

قد جاء شهر الصوم فيه الامان * والعتق والفوز بسكنى الجنان
شهر شريف فيه نيل المنى * وهو طراز فوق كم الزمان
طوبى لمن قد صامه واتقى * مولاه فى الفعل ونطق اللسان
وياهنا من قام فى ليله * ودمعه فى الخد يحكى الجمان
ذاك الذى قد خصه ربه * بجنة الخلد وحور حسان
هناكم الله بشهر أتى * فى مدحه القران نص عيان

وعن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال مامن يوم الا وملك يهتف فى المقابر فينادى يا أهل القبور من تحسدون اليوم فيجيبونه نحسد أهل المساجد فى مساجدهم يصلون ولا نقدر أن نصلى و يصومون ولا نقدر أن نصوم و يتصدقون ولا نقدر أن نتصدق و يذكرون ولا نقدر أن نذكر فيندمون على مامضى من زمانهم حيث لا ينفع الندم ﴿ الفائدة الخامسة ﴾ لرمضان أسماء كثيرة تزيد على الستين ذكرها أبو الخير الطالقانى منها شهر الله وشهر الامة وشهر القرآن وشهر القيام وشهر النجاة وغير ذلك واختلفوا فى سبب تسميته رمضان فقيل انه مأخوذ من الرمض وهو شدة الحر لان العرب لما أرادت أن تضع أسماء الشهور وافق أن الشهر المذكور فى شدة الحر كما سمى الربيعان لموافقتهما زمن الربيع وقيل سمى بذلك لانه يرمض الذنوب أى يحرقها ﴿ الفائدة السادسة ﴾ قال الوالد عليه الرحمة منع بعضهم أن يقال رمضان بدون شهر لما أخرجه ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن أبى هريرة مرفوعا لا تقولوا رمضان فان رمضان اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان والى ذلك ذهب مجاهد والصحيح الجواز فقد روى ذلك فى الصحيح (٢) والاحتياط لا يخفى اه كلامه وقال بعضهم فى ذلك

ولا تضف شهر اللفظ شهر * الا الذى أوله الرا فادر
واستثن من ذا رجبا فيمتنع * لأنه فيما رووه ماسمع

﴿ الفائدة السابعة ﴾ يجب صوم شهر رمضان بأحد أمرين اما باكمال شعبان ثلاثين يوما واما برؤية الهلال ليلة الثلاثين من شعبان لما ورد فى صحيح البخارى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين ومعنى غم استتر عليكم بان حال بينكم و بينه غيم وفى بعض كتب أئمتنا الحنفية أنه لا بأس بالاعتماد على قول المنجمين وعن محمد بن مقاتل أنه كان يسألهم و يعتمد على قولهم

---

(١) لكن ذكروا أنه لا تجوز التهنئة بالمناصب المحرمة فلا تغفل

(٢) كقوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه

بعدأن يتفق على ذلك جماعة منهم ورده الامام السرخسى رحمه الله تعالى بقوله عليه الصلاة والسلام من صدق كاهنا أومنجما فقد كفر بما أنزل على محمد وصوم يوم الشك لايحرم عند الحنفية والمالكية خلافا للشافعية وأما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم كما رواه أصحاب السنن فهو حديث موقوف وسيأتى تفصيل هذه المسئلة ان شاء الله تعالى فى المجلس المشتمل على فضائل شعبان وليلة البراءة فراجعه فانه مفيد قيل والسبب فى الكراهية أن فيه تشبها باهل الكتاب لانهم زادوا فى مدة الصوم وليتقوى على العبادة بفطر يوم أو يومين قبل رمضان وفى الحديث الطاعم الشاكر كالصائم الصابر وقد وردت أخبار كثيرة وأحاديث وفيرة نذكر بعضها ان شاء الله تعالى فى عقاب من أفطر شهر رمضان مقرا به وأما اذا أنكره فهو كافر بالاجماع منها ماروى فى نزهة الأبصار عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال سمعت جبريل يقول يؤتى بشاب يوم القيامة باكيا حزينا والملائكة تسوقه بمقامع من حديد من نار وهو يقول الأمان الأمان ألف سنة ولا أمان له ثم يساق فيوقف بين يدى الله تعالى فيأمر الله تعالى ملائكة العذاب تسحبه على وجهه الى النار قلت ياجبريل من هو قال شاب من أمتك قلت وماذنبه قال أدرك رمضان فعصى الله تعالى فيه ولم يتب ولم يستغفر الله تعالى كى يغفر له فأخذه الله عز وجل بغتة * فعليكم عباد الله تعالى باخلاص الصيام والصلاة والناس نيام فأين من كان معنا فى رمضان الماضى أما أتته آفات المنون القواضى واسمعوا ماقاله سبحانه فى آياته العالية كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية اخوانى توبوا من المعاصى واستعدوا ليوم يؤخذ بالنواصى واقتدوا بالسلف لما تامحوا الطباع الى الدنيا صابيه رفضوها عن عزيمة آبيه وثنوا قلوبهم الى الدار الثانيه ورأوها بعين اليقين دانيه فآثروها على الحقيرة الفانيه يطلبون العيشة الهانيه هممهم ليست متوانيه تنهض نهوض السباع الضاريه سارية عن عاداتها منتصبة فى عباداتها كالساريه كانوا يقومون والليالى داجيه قيام نفس خائفة راجيه يسهرون طول الليالى الشاتيه يستعدون للصيحة الآتيه عيونهم من البكاء عاشيه والقلوب منزعجة خاشيه وأسرار القوم بالدمع واشيه فلهذا غدوا فى الحاشيه يصبحون والنفوس عطشى صاريه (١) يرضون بالخلقان والأجسام باديه أسماع لما ينفعها واعيه قلوب لما يصلحها راعيه أقدام الى أرباحها ساعيه ألسنة طول الزمان داعيه بطون من الطعام خاويه غصون من الأعدام ذاويه أبدان من الجوع ضاويه تبيت الليالى لفقرها طاويه اقتنعوا من الدنيا بزاويه وتركوا الهوى خوف الهوى فهم فى عافيه صاروا بالمجاعة كالشنان الباليه آه لهممهم انها عاليه آه لطلابهم انها غالية وآه لطيبهم زاد على الغاليه فلو سمعت منادى الجزاء فى الدار الباقيه كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية وفقنا الله تعالى واياكم لمراضيه وجعل مستقبل حالنا وحالكم خيرا من ماضيه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

﴿ المجلس الثانى ﴾

﴿ فيما يتعلق بالصيام أيضا ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله خالق الدجى والصباح ومسبب الهدى والصلاح ومقدر الغموم والأفراح الجائد بالفضل الزائد والسماح مالك الملك والمنجى من الهلك ومسير الفلك والفلك مسير النجاح عز فارتفع وفرق وجمع ووصل وقطع وحرم وأباح ملك وقدر وطوى ونشر وخلق البشر وفطر الأشباح رفع السماء وأنزل

(١) قول الشيخ صاريه بالصاد والراء أى فى شدة من المجاعة والعطش اهـ

الماء وعلم آدم الاسماء وذرأ الرياح أعطى ومنح وأنعم ومدح وداوى الجراح علم ما كان وما يكون وخلق الحركة والسكون واليه الرجوع والركون فى الغدو والرواح يتصرف فى الطول والعرض وينصب ميزان العدل يوم العرض الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح وأصلى وأسلم على سيدنا محمد رسوله المكرم وحبيبه المعظم تفديه الأرواح وعلى رفيقه أبى بكر فى الغار وعلى عمر مبيد الكفار وعلى عثمان شهيد الدار وعلى على الذى يفتك رعبه قبل السلاح وعلى بقية القرابة والتابعين أهل الصلاح ﴿أما بعد﴾ فقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز وكلامه البليغ الوجيز ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام الآيات المتقدمة فى الدرس الماضى ﴿فنقول﴾ وبالله تعالى التوفيق وبيده أزمة التحقيق قد تقدم بعض الكلام فى الدرس الماضى على هذه الآية الكريمة ولنكمل ان شاء الله تعالى الكلام اللازم بيانه على هذه الآيات مختصرا من تفاسير الأجلة الأعلام ثم نرجع بحوله سبحانه الى ذكر مايتعلق بها من الابحاث المناسبة للمقام فاعلموا أنه قال عز وجل (ياأيها الذين آمنوا كتب) أى فرض (عليكم الصيام) وهو عدم الأكل والشرب والجماع من خروج الفجر الصادق الى غروب الشمس مع النية فاذا أفسد الصائم صومه بشئ من ذلك وجبت عليه الكفارة وسيأتى بيانها ان شاء الله تعالى (كما كتب على الذين من قبلكم) من الانبياء عليهم السلام والامم من لدن آدم عليه السلام الى عهدكم * واختلف المفسرون فى وجه التشبيه ماهو فقيل قدر الصوم ووقته فان الله تعالى كتب على اليهود والنصارى صوم شهر رمضان فغيروا وقيل وجوب مطلق الصوم (لعلكم تتقون) أى تحافظون على ذلك وقيل تتقون المعاصى بسبب هذه العبادة لأنها تكسر الشهوة وتضعف دواعى المعاصى كما ورد فى الحديث أنه جنة (١) وانه وجاء فى قوله عليه الصلاة والسلام يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء (٢) (أياما معدودات) أى معينات بعدد معلوم وأتى بجمع القلة اشارة الى تقليل الايام وقيل ان الصوم كان فى ابتداء الاسلام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم عاشوراء ثم نسخ ذلك بفرضية شهر رمضان وأخرج البخارى فى تاريخه والطبرانى عن دغفل بن حنظلة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال كان على النصارى صوم شهر رمضان فمرض ملكهم فقالوا لئن شفاه الله تعالى لنزيدن عشرا ثم كان آخر فأكل لحما فأوجع فوه فقال لان شفاه الله تعالى لنزيدن سبعة ثم كان عليهم ملك آخر فقال ماندع من هذه الثلاثة الأيام شيأ نتمها ونجعل صومنا فى الربيع ففعل فصارت خمسين يوما (فمن كان منكم مريضا) وسنبين ان شاء الله تعالى حد المرض وان المرضع أيضا يباح لها الافطار فى الدروس الآتية (أو على سفر فعدة من أيام أخر) واختلفوا فى السفر المبيح للافطار فالذى عليه الجمهور أنه مسيرة ثلاثة أيام للابل وقال غير الجمهور أقل من ذلك وهو ماصدق عليه اسم السفر واختلفوا فى سفر المعصية هل يجوز فيه الافطار أم لا فعند امامنا الأعظم يجوز وعند الشافعى وأحمد لايجوز الافطار الا فى سفر طاعة (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) قد اختلف العلماء فى هذه الآية هل هى محكمة أم منسوخة فالذى عليه الجمهور أنها منسوخة وانما كانت رخصة عند ابتداء فرض الصيام وكان من أطعم من الشيوخ والعجائز كل يوم مسكينا ترك الصوم وهو يطيقه ثم نسخ ذلك وقال بعض العلماء انها رخصة للشيوخ والعجائز خاصة اذا كانوا لايطيقون الصوم الا بمشقة فعلى هذا ان لفظة لا مقدرة أى وعلى الذين لايطيقونه فدية فتكون الآية غير منسوخة واختلفوا فى الفدية أيضا فقال الامام الأعظم كل يوم صاع من غير البر ونصف صاع منه وقيل مد وقال ابن عباس يعطى كل مسكين عشاءه وسحوره وروى عنه أن المرضع تفطر وتطعم ولا تقضى وهذا

(١) أى كالترس (٢) الوجاء الخصاء يقال وجىء اذا دق عروق خصيتيه بين حجرين ولم يخرجهما كما فى القاموس

أيضا مروى عن جماعة من التابعين لكن لا يفتى به ولا يعمل بمقتضاه (فمن تطوع خيرا فهو خير له) أى من أراد الاطعام مع الصوم أو زاد على اطعام المسكين (وأن تصوموا خير لكم) أى صيامكم أيها المطيقون خير لكم من الافطار مع الفدية وهذا قبل النسخ أو معناها وأن تصوموا فى السفر والمرض غير الشاق خير لكم من الافطار وفى هذا دليل على خلاف ما قالته الامامية ان افطار المسافر واجب والبحث فى ذلك طويل (ان كنتم تعلمون) أن الصوم خير لكم واعلموا أنه لا رخصة لاحد من المكلفين فى افطار شهر رمضان بغير عذر والاعذار المبيحة للفطر ثلاثة * أحدها السفر والمرض والحيض والنفاس فاذا أفطر هؤلاء فعليهم القضاء دون الكفارة * والثانى الحامل والمرضع اذا خافتا على ولدهما أفطرتا وعليهما القضاء فقط عند الحنفية وعند الامام الشافعى عليهما الكفارة أيضا * والثالث الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة والمريض الذى لا يرجى برؤه فعليهم الكفارة دون القضاء والكفارة قد تقدم ذكرها بخلاف المجامع فى رمضان فعليه كفارة الظهار وسيأتى ذكرها ان شاء الله تعالى (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن) أى ذلكم شهر الخ أو كتب عليكم الصيام صيام شهر وقرئ بالنصب أى صوموا شهر رمضان واسمه فى الجاهلية ناتق لانه كان ينتقم لشدته عليهم والمراد من انزال القرآن العظيم فيه انزاله فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ثم كان ينزل به جبريل عليه السلام منجما أى مفرقا الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل معنى الآية أنزل فى شأن رمضان القرآن أو فى فرض صيامه وروى البيهقى وغيره أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أنزلت صحف ابراهيم فى أول ليلة من رمضان وأنزل الزبور لثمانى عشرة ليلة خلت من رمضان وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان وفى رواية زيادة وأنزلت التوراة لست خلون من رمضان وأنزل الانجيل لثمان عشرة خلت من رمضان والقرآن هو كلام الله تعالى غير مخلوق وسيأتى تفصيل هذا البحث فى حديث جبريل ان شاء الله تعالى (هدى للناس) أى هاديا لهم من الضلالة وقوله تعالى (وبينات من الهدى) من عطف الخاص على العام إظهار الشرف المعطوف بافراده بالذكر وقيل الهدى الاول فى الاحكام الاعتقادية والهدى الثانى فى الفرعية (والفرقان) أى الفاصل بين الحق والباطل (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) أى من حضر ولم يكن فى سفر فليصم فيه واذا سافر يباح له الافطار وقال جماعة من العلماء ان من أدركه شهر رمضان مقيما لزمه اكمال صيامه ولو سافر بعد ذلك واستدلوا بهذه الآية وخالفهم الجمهور بدليل أحاديث كثيرة ان النبى سافر فأفطر فى رمضان وقيل من شهد أى رأى الهلال ولذلك قال عليه الصلاة والسلام صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته الحديث فاذا رآه أحد الناس فى بلدة أو نحوها يلزم الجميع أن يصوموا ونصاب الشهادة عند عدم العلة فى السماء جماعة وعند العلة واحد وتفصيل المسئلة فى الكتب الفقهية (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) انما كرره سبحانه لانه ذكر فى الآية الاولى تخيير المريض والمسافر والمقيم الصحيح ثم نسخه سبحانه وتعالى بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فلو اقتصر على هذا لاحتمل أن يشمل النسخ الجميع فأعاد بعد ذكر الناسخ الرخصة للمريض والمسافر ليعلم أن الحكم باق على ما كان عليه (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) فلذلك أباح الفطر للمسافر والمريض ومثله قوله سبحانه وما جعل عليكم فى الدين من حرج وقد ثبت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله) أى تقولوا الله أكبر ليلة الفطر وقد وقع الخلاف بين العلماء فى وقته وسنبين ذلك ان شاء الله تعالى فى الدروس الآتية فى آخر الشهر بحوله تعالى (على ما هداكم) أى على هدايته لكم وارشادكم الى طاعته (لعلكم تشكرون) الله عز وجل على نعمه التى لا تعد ولا تحصى * ولنرجع الى الابحاث المتعلقة بالصيام فنقول قد تقدم أن المراد بكتابة الصيام على الأمم السالفة على بعض الأقوال ثلاثة أيام من كل شهر وقد ورد فى الترغيب على ذلك ولا سيما الأيام البيض وكذا عاشوراء

وغيرها أحاديث كثيرة * منها عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه قال أوصانى حبيبى بثلاث لن أدعهن ما عشت بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وصلاة الضحى وبأن لا أنام حتى أوتر رواه الامام مسلم وعن أبى قتادة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث من كل شهر ورمضان الى رمضان فهذا صيام الدهر كله رواه مسلم وعن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صام من كل شهر ثلاثة أيام فذلك صيام الدهر فأنزل الله تعالى تصديق ذلك فى كتابه من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها رواه الامام أحمد وعن عبد الله ابن عمرو بن العاص أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال له بلغنى أنك تصوم النهار وتقوم الليل فلا تفعل فان لجسدك عليك حظا ولعينك عليك حظا وان لزوجك عليك حظا صم وأفطر صم من كل شهر ثلاثة أيام فذلك صوم الدهر قلت يا رسول الله ان لى قوة قال فصم صوم داود عليه السلام صم يوما وأفطر يوما أقول ولذا ورد كراهية صيام الدهر وأما ما ورد فى صوم عاشوراء فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صام يوم عرفة غفر له سنة أمامه وسنة خلفه ومن صام عاشوراء غفر له سنة وكذلك ورد فى صوم الاثنين والخميس عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس وأحب أن يعرض عملى وأنا صائم رواه الترمذى وروى مسلم قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تعرض الأعمال فى كل اثنين وخميس فيغفر الله عز وجل فى ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيأ الا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول اتركوا هذين حتى يصطلحا وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صام الأربعاء والخميس كتبت له براءة من النار وروى عنه أيضا قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صام الأربعاء والخميس والجمعة بنى الله تعالى له بيتا فى الجنة يرى ظاهره من باطنه وباطنه من ظاهره * وليعلم أن المرأة لا تصوم تطوعا وزوجها حاضر الا أن تستأذنه فقد روى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال أيما امرأة صامت بغير اذن زوجها فأرادها على شئ فامتنعت عليه كتب الله تعالى عليها ثلاثا من الكبائر وفى رواية فان فعلت جاعت وعطشت ولا يقبله الله تعالى منها وفى مختصر الترغيب عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد الا باذنه ولا تأذن فى بيته الا باذنه رواه البخارى ومسلم وزاد الامام أحمد الا رمضان * واعلم أن الصوم له درجات كما قال حجة الاسلام الغزالى عليه الرحمة فى كتاب الاحياء * الفصل الثانى فى أسرار الصوم اعلم أن الصوم ثلاث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص * أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة وأما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله تعالى بالكلية ويحصل الفطر فى هذا الصوم بالفكر فى سوى الله عز وجل واليوم الآخر وبالفكر فى الدنيا الا دنيا تراد للدين فان ذلك من زاد الآخرة حتى قال أرباب القلوب من تحركت همته بالتصرف فى نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت له خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله عز وجل وقلة اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الأنبياء والصديقين والمقربين وأما صوم خصوص الخصوص فهو صوم الصالحين وهو كف الجوارح عن الآثام وتمامه بستة أمور * الأول غض البصر وكفه عن الاتساع فى النظر الى كل ما يذم ويكره والى كل ما يشغل القلب ويلهى عن ذكر الله عز وجل قال صلى الله تعالى عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس لعنه الله فمن تركها خوفا من الله تعالى آتاه الله عز وجل ايمانا يجد حلاوته فى قلبه وروى عن جابر قال صلى الله تعالى عليه وسلم خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين

الكاذبة والنظر بشهوة * الثانى حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء والزامه السكوت وشغله بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان وقد قال سفيان الغيبة تفسد الصوم وقال صلى الله تعالى عليه وسلم إنما الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ شاتمه أو قاتله فليقل إنى صائم إنى صائم قال الغزالى وجاء فى الخبر أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا فبعثتا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تستأذناه فى الافطار فأرسل اليهما قدحا وقال قل لهما قيئا فيه ما أكلتما فقاءت إحداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا (١) وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هاتان صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما قعدت احداهما الى الأخرى فجعلتا يغتابان الناس فهذا ما أكلتا من لحومهم * الثالث كف السمع عن الاصغاء الى كل مكروه فلذلك حرم الله تعالى سماع الغيبة فقال سماعون للكذب أكالون للسحت وقال عز وجل لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت وقال عليه السلام المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم * الرابع كف بقية الجوارح عن الآثام من اليد والرجل والبطن عن الشبهات وقت الافطار فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام فمثال هذا الصائم كمن يبنى قصرا ويهدم مصرا * الخامس أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الافطار بحيث يمتلىء فما من وعاء أبغض إلى الله عز وجل من بطن ملىء من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة اذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه فى ألوان الطعام حتى استمرت العادة بأن يدخر جميع الاطعمة لشهر رمضان مع أن المقصود من الصوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى الى أن قال * السادس أن يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء إذ ليس يدرى أيقبل صومه فهو من المقربين أو يرد عليه فهو من الممقوتين وليكن ذلك فى آخر كل عبادة يفرغ منها اهـ * واعلموا أن لشهر رمضان فضائل لا تحصى وكرامات لا تستقصى ويكفى فيه شرفا وفضلا ما رواه البيهقى من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أعطيت أمتى فى شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبى قبلى أما الأولى فانه اذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله تعالى اليهم ومن نظر اليه لم يعذبه أبدا وأما الثانية فان خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله تعالى من ريح المسك وأما الثالثة فان الملائكة تستغفر لهم فى كل يوم وليلة وأما الرابعة فان الله عز وجل يأمر جنته فيقول لها استعدى وتزينى لعبادى أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى دارى وكرامتى وأما الخامسة فانه اذا كان آخر ليلة غفر لهم جميعا قال رجل من القوم أهى ليلة القدر فقال لا ألم تر إلى العمال يعملون فاذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم ومن الفضل الذى يساوى فيه الناقص الكامل تفتيح أبواب الجنة وغلق أبواب النار وعن سلمان رضى الله تعالى عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى آخر يوم من شعبان فقال يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك شهر فيه ليلة القدر خير من ألف شهر جعل الله تعالى صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة وشهر يزاد رزق المؤمن فيه من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شىء قالوا يا رسول الله أليس كلنا لا يجد ما يفطر الصائم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعطى الله عز وجل هذا الثواب من فطر صائما على تمرة أو شربة ماء أو مذقة لبن وهذا شهر أوله رحمة وأوسطه

(١) قوله غريضا الغريض الطرى أو المهزول اهـ منه

مغفرة وآخره عتق من النار فمن خفف عن مملوكه فيه غفر الله تعالى له وأعتقه من النار استكثروا فيه من أربع خصال خصلتين ترضون بهما ربكم عز وجل وخصلتين لا غنى لكم عنهما أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم عز وجل فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفروه وأما الخصلتان اللتان لا غنى لكم عنهما فتسألون الله تعالى الجنة وتعوذون به من النار ومن سقى صائما سقاه الله تعالى من حوضى شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة رواه ابن خزيمة والبيهقى وأبو الشيخ وابن حبان * واعلموا أيضا أن للصيام آدابا كثيرة ولوازم غزيرة لا يحصل الأجر التام إلا بها * منها الاخلاص لله سبحانه وتعالى فى العمل لقوله تعالى مخلصين له الدين وقوله عز وجل ولا يشرك بعبادة ربه أحدا * ومنها أكل الحلال والافطار على الحلال * ومنها كف الأذى عن الناس * ومنها عدم سماع اللهو والغناء المحرم وعدم سماع القصص المحرمة فى الأماكن المذمومة وترك الكذب والغيبة والنميمة وغض النظر عن المحرمات * ولله در الشاعر جابر حيث يقول

إذا لم يكن فى السمع منى تصاون * وفى بصرى غض وفى منطقى صمت
فحظى إذا من صومى الجوع والظما * وان قلت إنى صمت يوما فما صمت

بل قد نهى عليه الصلاة والسلام عن فضول كلام غير الصائم أيضا بقوله من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وقال عليه الصلاة والسلام طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله (أقول) وقد عكس الناس الأمر فى هذا الزمان فامسكوا المال وأطلقوا اللسان ومن أعظم الفضول تكلم الانسان بكلمة ليضحك بها أصحابه حتى عد ذلك من الكبائر وقد يستشهد له بالخبر المرفوع وهو قوله عليه الصلاة والسلام ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يريد بها إلا أن يضحك القوم يهوى بها أبعد ما بين السماء والأرض وقال عليه الصلاة والسلام ان العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقى لها بالا يرفعه الله تعالى بها درجات وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالا يهوى بها فى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب قال العلماء رحمهم الله تعالى ومن ذلك التكلم فى موافقة من أراد أن يسن سنة سيئة فانه يعذب بتلك الكلمة ما دام أحد يعمل بتلك السنة السيئة ومنه أيضا اعانة الظالم على المظلوم فى أخذ السحت والزقوم قالوا ومن الفضول أيضا أن يحدث الانسان بكل شىء من الاخبار من غير أن يتحقق صدقها فقد قال عليه الصلاة والسلام كفى بالمرء اثما أن يحدث بكل ما سمع وقد قيل إياك والفضول فان حسابه يطول فيا من طول سنته قد نام انتبه لهذه الايام واحذر غفلة الطغام وخذ قدر البلغة من الطعام واسمع قول الملك العلام يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام يا مريضا لا يقبل من طبيبه هذا شهر الحمية قد جاء لتهذيبه صن لسانك عن اللغو ولا تهذ به فالصوم لى وأنا أجزى به ولكن أين الصيام هذا شهر عمارة المحراب هذا زمان حضور الالباب هذا وقت تلاوة الكتاب للمتقين فيه على الباب كل وقت زحام يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام شهر فيه تكف النفوس كأنها فى حبوس وتظمأ عن الكؤوس وتطرق من الخشية الرؤس عن النظر الحرام يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام شهر فيه تملأ المساجد ويخشع فيه الراكع والساجد وينهض الى الخير كل قاعد ويصير الراغب كالزاهد من قلة الطعام كتب عليكم الصيام شهر التعبد والتراويح شهر السهر والمصابيح شهر المتجر الربيح شهر يترك فيه القبيح وتهجر الآثام كتب عليكم الصيام فيه تصح الامور فيه تراق الخمور فيه يتعطل الزور فيه تنحنى الظهور من القيام كتب عليكم الصيام فيه ترق القلوب فيه تغفر الذنوب وتتجافى المضاجع والجنوب فتجفو لذيذ المنام كتب عليكم الصيام أيقظوا فيه الاسماع والابصار واحبسوا عن الفضول اللسان المهذار وانهضوا للاستغفار وقت الاسحار واعجبا لمن ينام كتب عليكم الصيام اعزموا على ترك القبائح فى السنة

واعملوا مايصلح للضرائح فالى متى أنتم فى السنة هذا مايقول لكم الناصح والسلام

﴿ المجلس الثالث ﴾

(فيمايتعلق بالصوم أيضا)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله اللطيف الرؤف العظيم المنان الغنى العلى القوى السلطان الحليم الكريم الرحيم الرحمن الكبير القدير القديم الديان الأول فلاسبق لسبقه المنعم فاقام مخلوق بحقه المولى بفضله على جميع خلقه بشرائف المنائح على توالى الزمان جل عن شريك وولد وعز عن الاحتياج الى أحد وتقدس عن نظير وانفرد وعلم مايكون وأوجد ما كان أنشأ المخلوقات بحكمته وصنعها وفرق الأشياء بقدرته وجمعها ودحا الأرض على الماء وأوسعها والسماء رفعها ووضع الميزان يعز ويذل ويفقر ويغنى ويسعد ويشقى ويبقى ويفنى ويشين ويزين وينقض ويبنى كل يوم هو فى شان مدّ الأرض فأوسعها بقدرته وأجرى فيها أنهارها بصنعته وصبغ ألوان نباتها بحكمته فمن يقدر على صبغ تلك الألوان ثبت بالجبال الراسيات نواحيها وأرسل السحاب بمياه تحييها وقضى ربك بالفناء على جميع ساكنيها كل من عليها فان أنعم على هذه الأمة بتمام احسانه وعاد عليها بفضله وامتنانه وجعل شهرها مخصوصا بعميم غفرانه شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن أحمده على ماخصنا به من الصيام والقيام وأشكره على بلوغ الآمال وسبوغ الانعام وأشهد أن لا إله إلا الله الذى لاتحيط به العقول والأذهان وأن محمدا أفضل خلقه وبريته المقدم على الأنبياء ببقاء معجزته الذى انشق ليلة ولادته الايوان صلى الله تعالى عليه وعلى أبى بكر رفيقه فى الغار وعلى عمر فتاح الأمصار وعلى عثمان شهيد الدار وعلى على راسخ الايمان وعلى سائر الآل والأصحاب على توالى الزمان ﴿ أما بعد ﴾ فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه العزيز وكلامه البليغ الوجيز يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام الآيات المتقدم ذكرها فى الدرس الماضى ﴿ فنقول ﴾ وبالله تعالى التوفيق وبيده أزمة التحقيق قد أسلفنا لكم فى الدرسين الماضيين جملة من الابحاث المتعلقة بالصوم وبقيت أبحاث أخر نذكرها ان شاء الله تعالى لكم فى هذا اليوم فمنها مافى الميزان للعلامة الشيخ عبد الوهاب الشعرانى وملخصه أن المذاهب رحمهم الله تعالى اختلفوا فى باب الصوم فى مسائل * منها أن الحامل والمرضع اذا أفطرتا خوفا على الولد لزمهما القضاء والكفارة عن كل يوم مد على أرجح قولى الشافعى وأحمد مع قول أبى حنيفة انه لا كفارة عليهما ومع قول ابن عمر وابن عباس انه تجب الكفارة دون القضاء * ومنها قول أبى حنيفة وأحمد ان المسافر اذا قدم مفطرا أو برئ المريض أو بلغ الصبى أو أسلم الكافر أو طهرت الحائض فى أثناء النهار لزمهم امساك بقية النهار مع قول مالك والشافعى فى الأصح انه يستحب * ومنها قول الأئمة الثلاثة ان المرتد اذا أسلم وجب عليه قضاء مافاته من الصوم حال ردته مع قول أبى حنيفة انه لا يجب * ومنها قول الأئمة الثلاثة انه يصح صوم الصبى مع قول أبى حنيفة انه لا يصح (أقول) سيأتى ان شاء الله تعالى بحث صوم الصبى مفصلا فلا تغفل وراجع * ومنها قول أبى حنيفة والشافعى ان المجنون اذا أفاق لا يجب عليه قضاء مافاته مع قول مالك انه يجب وهو إحدى الروايتين عن أحمد ابن حنبل * ومنها قول أبى حنيفة وهو الأصح من مذهب الشافعى أن المريض الذى لا يرجى برؤه والشيخ الكبير لا صوم عليهما وانما تجب عليهما الفدية فقط مع قول مالك انه لا صوم عليهما ولا فدية وهو قول للشافعى وهى عند أبى حنيفة وأحمد نصف صاع من بر عن كل يوم وعند الشافعى مد * ومنها قول الأئمة الثلاثة انه لا بد من التعيين فى النية مع قول أبى حنيفة انه لا يشترط التعيين بل ان نوى صوما مطلقا أو نفلا جاز * ومنها قول الأئمة

الثلاثة ان وقت النية فى صوم رمضان مابين غروب الشمس الى طلوع الفجر الثانى مع قول أبى حنيفة انه لا يجب التعيين أى التبييت بل تجوز النية من الليل فان لم ينو ليلا أجزأته النية الى الزوال وكذلك قولهم فى النذر المعين * ومنها قول الأئمة الثلاثة أن صوم رمضان يفتقر كل ليلة الى نية مجردة مع قول مالك انه يكفيه فيه واحدة من أول ليلة من الشهر أنه يصوم جميعه * ومنها قول الأئمة الثلاثة ان صوم النفل يصح بنية قبل الزوال مع قول مالك انه لا يصح بنية من النهار كالواجب واختاره المزنى * ومنها قول الأئمة الأربعة ان صوم الجنب صحيح مع قول أبى هريرة وسالم بن عبد الله انه يبطل صومه كما مر أول الباب وانه يمسك ويقضى ومع قول عروة والحسن انه ان أخر الغسل بغير عذر بطل صومه ومع قول النخعى ان كان فى الفرض يقضى * ومنها قول الأوزاعى بابطال الصوم بالغيبة والكذب مع قول الأئمة بصحة الصوم مع النقص * ومنها قول أبى حنيفة وأكثر المالكية والشافعية ان الصوم لا يبطل بنية الخروج منه مع قول أحمد ببطلانه * ومنها قول الامام مالك والشافعى انه يفطر بالقىء عامدا مع قول الامام أبى حنيفة انه لا يفطر بالقىء الا اذا كان ملء فيه أى اذا استقاء تعمدا ومع قول أحمد فى أشهر رواياته انه لا يفطر الا بالقىء الفاحش ومع قول الحسن انه يفطر اذا ذرعه القىء * ومنها قول الأئمة الثلاثة انه لو بقى بين أسنانه طعام فجرى به ريقه لم يفطر ان عجز عن تمييزه ومجه وانه ان ابتلعه بطل صومه مع قول أبى حنيفة انه لا يبطل صومه وقدره بعضهم بالحمصة وبعضهم بالسمسمة الكاملة * ومنها قول الأئمة الثلاثة ان الحقنة تفطر الا فى رواية عن مالك وكذلك التقطير فى باطن الأذن والاحليل والاسعاط مفطر عند الشافعى ولم أجد لغيره فى ذلك كلاما * ومنها قول الأئمة الثلاثة ان الحجامة لا تفطر مع قول أحمد انها تفطر الحاجم والمحجوم * ومنها اتفاق الأئمة على أنه لو أكل شاكا فى طلوع الفجر ثم بان أنه طلع بطل صومه مع قول عطاء وداود واسحق انه لا قضاء عليه وحكى عن مالك انه يقضى فى الفرض (أقول) وقد ذهب الى عدم الافطار فى الفرض وغيره من الحنابلة الشيخ أبو العباس تقى الدين عليه الرحمة * ومنها قول أبى حنيفة والشافعى انه لا يكره الكحل للصائم مع قول مالك وأحمد بكراهته بل لو وجد طعم الكحل فى الحلق أفطر عندهما وقال ابن أبى ليلى وابن سيرين يفطر بالكحل * ومنها قول الأئمة الثلاثة ان العتق والاطعام والصوم فى كفارة الجماع فى نهار رمضان عامدا على الترتيب مع قول مالك ان الاطعام أولى وانها على التخيير * ومنها قول الشافعى وأحمد ان الكفارة على الزوج مع قول أبى حنيفة ومالك ان على كل منهما كفارة فان وطئ فى يومين من رمضان لزمه كفارتان عند مالك والشافعى وقال أبو حنيفة اذا لم يكفر عن الأول لزمه كفارة واحدة وان وطئ فى اليوم الواحد مرتين لم يجب بالوطء الثانى كفارة وقال أحمد يلزمه كفارة ثانية وان كفر عن الأول * ومنها اتفاق الأئمة الأربعة على ان الكفارة لا تجب الا فى أداء رمضان مع قول عطاء وقتادة انها تجب فى قضائه * ومنها قول الأئمة الثلاثة انه لو طلع الفجر وهو يجامع ونزع فى الحال لم يبطل صومه مع قول مالك انه يبطل * ومنها قول أبى حنيفة والشافعى وأحمد فى إحدى روايتيه ان القبلة لا تحرم على الصائم إلا ان حركت شهوته مع قول مالك انها تحرم عليه بكل حال * ومنها قول الأئمة الثلاثة انه لو قبل فأمذى لم يفطر مع قول أحمد انه يفطر وكذلك لو نظر بشهوة فأنزل لم يفطر عند الثلاثة وقال مالك يفطر * ومنها قول الأئمة الثلاثة ان للمسافر الفطر بالأكل والشرب والجماع مع قول أحمد انه لا يجوز له الفطر بالجماع ومتى ما جامع المسافر عنده فعليه الكفارة * ومنها قول أبى حنيفة ومالك ان من أفطر فى نهار رمضان وهو صحيح مقيم تلزمه الكفارة مع القضاء مع قول الشافعى فى أرجح قوليه وأحمد انه لا كفارة عليه * ومنها قول الأئمة الأربعة ان من أفسد صوم يوم من رمضان بالأكل أو الشرب عامدا ليس عليه إلا قضاء يوم مكانه مع قول ربيعة لا يحصل إلا بصوم اثنى عشر يوما ومع قول ابن المسيب انه يصوم عن كل يوم شهرا ومع قول النخعى انه لا يحصل إلا بصوم ألف يوم ومع قول على وابن

مسعود انه لا يقضيه صوم الدهر * ومنها قول أبى حنيفة والشافعى ان من أكل أوشرب أو جامع ناسيا لم يبطل صومه مع قول مالك انه يبطل ومع قول أحمد انه يبطل بالجماع دون الأكل والشرب وتجب به الكفارة ودليل أبى حنيفة قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من أكل أوشرب ناسيا وهو صائم فانما أطعمه الله تعالى وسقاه *ومنها قول أبى حنيفة ومالك انه لو سبق ماء المضمضة أو الاستنشاق الى جوف الصائم من غير مبالغة بطل صومه مع قول الشافعى فى أرجح قوليه وهو قول أحمد انه لا يبطل *ومنها قول مالك والشافعى وأحمد ان من أخر قضاء رمضان مع امكان القضاء حتى يدخل رمضان آخر لزمه مع القضاء لكل يوم مدّ مع قول أبى حنيفة انه يجوز له التأخير ولا كفارة عليه واختاره المزنى وقال الأئمة الثلاثة انه لا يجوز تأخير القضاء *ومنها قول الأئمة الثلاثة باستحباب صيام ستة أيام من شوال مع قول مالك انه لا يستحب صيامها وقال فى الموطأ لم أر أحدا من أشياخى يصومها وأخاف أن يظن انها فرض اهـ (قلت) ومانقله المناوى فى شرحه الكبير للجامع الصغير وصاحب الدرر واللآلئ ان الامام الاعظم قال بكراهية صومها فهو قول غير مصحح عنه ولا مروى بطريق سالم منه فلا تغفل (أقول) واتفقوا على أن الصائم اذا انغمس جميع بدنه ورأسه فى الماء لا يفطر خلافا للشيعة فان ذلك عندهم مفطر واتفق العلماء المتأخرون على ان شرب الدخان والنتن وجعله فى الأنف والاستعاط به ان ذلك مفطر لدخوله الى الجوف والباطن فلا تغفل وفى حاشية الحضرمية للجد العلامة الشيخ حسين أفندى عليه الرحمة لو خرجت مقعدة مبسور (١) لم يفطر وكذا ان أعادها ولا يجب غسل ما عليها من القذر ولا يضر عوده معها للباطن لأنه لم يفارق معدنه سواء ضره الغسل أم لا اهـ (قلت) وذكر أئمتنا الحنفية أن الصائم لا يبالغ فى الاستنجاء خوفا من أن يدخل فى باطنه الماء فليحفظ * واعلموا أنه يسن تعجيل الفطر اذا تيقن الغروب وتقديمه على الصلاة للخبر الصحيح لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وفى خبر أحب عبادى الىّ أعجلهم فطرا على تمر وأفضل منه رطب وجد لما صح كان صلى الله تعالى عليه وسلم يفطر قبل أن يصلى على رطبات فان لم يكن فعلى تمرات فان لم يكن حسا حسوات من ماء للخبر الصحيح اذا كان أحدكم صائما فليفطر على التمر فانه بركة فان لم يجد فعلى ماء فانه طهور وأخذ منه ابن المنذر وغيره وجوب الفطر على التمر وقال المحب الطبرى يسن له على ماء زمزم ولو جمع فحسن وفيها مخالفة لرواية التمر فلا تغفل وقيل الاولى فى هذا الزمن أن يفطر على ماء النهر ويأخذه بيده لعدم وجود الحلال الصرف وان قيل ان ماء الانهر الكبار كدجلة لا يخلو عن شبهة لأنه كما قال ابن حجر أن كثيرا من البلاد التى على حافتها يحفرون حفرا لصيد السمك فيمتلئ ماء ثم يسدون عليه فاذا أخذوا السمك منه فتحوا السد فيختلط ماؤهم المملوك بغيره وهذه شبهة قوية اهـ وحكمة الافطار على التمر كما قال ابن حجر أنه لم تمسه نار مع ازالته لضعف البصر الحاصل من الصوم لاخراجه فضلات المعدة ان كانت والاغتذية للاعضاء الرئيسة وقول الأطباء انه يضعفه أى عند المداومة عليه والشئ قد ينفع قليله ويضر كثيره قيل والزبيب أخو التمر ان لم يوجداه قال بعض الأفاضل ومن القبيح إفطار كثير من الناس على الدخان والنتن مع أن العلماء اختلفوا فيه كما قال العلامة ابن عابدين فمنهم من قال بحرمته ومنهم من قال بكراهته ومنهم من قال باباحته كالثوم والبصل وقد ورد فيهما من أكل هاتين الشجرتين فلا يقرب مسجدنا يؤذنا وستأتى تتمة البحث ان شاء الله تعالى ويسن أن يقول عقب فطره اللهم لك صمت أى لا لغرض ولا لأحد غيرك وعلى رزقك أفطرت وروى ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر ان شاء الله تعالى وفى رواية يا واسع الفضل اغفر لى * واعلموا أن من السنن فى الصيام السحور وتأخيره لما فى صحيح البخارى عن زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه قال تسحرنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

(١) قوله مبسور أى من فيه باسور اهـ منه

الى الصلاة (قلت) كم بين الاذان والسحور قال قدر خمسين آية وفى الصحيحين عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تسحروا فان السحور بركة والبركة التى فيه القوة على الصيام لخفة المشقة على المتسحر وقيل لأنه يتضمن الاستيقاظ والذكر والدعاء فى وقت نزول الرحمة وقال صلى الله تعالى عليه وسلم فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور رواه مسلم ومعناه أنه الفارق بين الصيامين فانهم لا يتسحرون وقال عليه الصلاة والسلام إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين * واعلموا رحمكم الله تعالى وايانا أن من أعظم القرب فى شهر رمضان صلاة التراويح ففى شرح السفيرى باب فضل من قام رمضان حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنى الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال حدثنى أبو سلمة أن أبا هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لرمضان من قامه ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومعنى قوله عليه السلام ايمانا أى مصدقا بما وعد الله تعالى من الثواب عليه ومعتقدا الفضله وقوله احتسابا أى يريد به وجه الله تعالى والدار الآخرة من غير رياء ولا سمعة وقوله غفر له ما تقدم من ذنبه قيل الصغائر والكبائر ما عدا حقوق العباد وقيل الصغائر فقط قال العلماء والمراد بقيامه أن يصلى صلاة التراويح فى لياليه وهى سنة باتفاق العلماء وانما سميت بالتراويح لأنهم كانوا يستريحون بعد كل تسليمتين ويسمى كل أربع منها ترويحة فهى خمس ترويحات وأهل المدينة كانوا يصلونها ستا وثلاثين ركعة قال الامام الشافعى رحمه الله تعالى رأيت أهل المدينة يصلون تسعة وثلاثين ركعة منها ثلاث الوتر وروى الامام البخارى فى صحيحه عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها أخبرته أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خرج ليلة من جوف الليل فصلى فى المسجد وصلى رجال بصلاته فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة فخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فصلى فصلوا بصلاته فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال أما بعد فانه لم يخف علىّ مكانكم ولكنى خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها فتوفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والامر على ذلك قال بعض العلماء يحتمل عدم خروجه صلى الله تعالى عليه وسلم وجوها *الاول أن يكون أوحى الله تعالى اليه ان صلى هذه الصلاة معهم فرضت عليهم *الثانى أن يكون ظن عليه الصلاة والسلام انها ستفرض عليهم * الثالث أن يكون خاف صلى الله تعالى عليه وسلم أن يظن أحد من أمته بعده اذا داوم عليها أنها واجبة أى يتوهموا فرضيتها فيعجزوا عنها والله تعالى يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وهذا من شفقته عليه الصلاة والسلام فانه كان بالمؤمنين رحيما قال العلماء وصلاها باقى الشهر فى بيته واستمر ترك صلاة التراويح مع الجماعة الى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه حتى جمع الناس عليها جميع شهر رمضان قال ابن الملقن ذكر أن عليا كرم الله تعالى وجهه مر ليلة ببعض مساجد الكوفة فى رمضان وهم يقومون فقال نوّر علينا عمر مساجدنا نوّر الله تعالى عليه قبره * فان قيل قد ثبت فى صحيح البخارى عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال فى التراويح نعمت البدعة هذه فسماها بدعة مع أن البدعة هى الفعل الذى لم يعهد فى عصره صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه قد عهد فعلها فى الجملة فقد أجاب الكرمانى بأجوبة * منها انه لم يثبت فعلها كل ليلة مع الجماعة *ومنها أنه لم يثبت فعلها بهذه الصفة أى بهذا العدد المعين فلهذا قيل أربعون وقيل ست وثلاثون ما عدا الوتر وقيل عشرون وهو المشهور * ومنها أنه لم يثبت فعلها أول الليل فلهذا قال الحليمى فى منهاجه ينبغى أن يكون الشروع فيها بعد مضى ربع الليل أو قريبا منه * فان قيل البدعة على ما قال غير واحد تنقسم الى خمسة أقسام واجبة ومندوبة ومحرمة ومكروهة ومباحة فمن أى قسم صلاة التراويح * فالجواب أنها من قسم المندوبة وقد صرح بذلك العز بن عبد السلام فى قواعده فمثل للبدعة الواجبة بتعلم النحو لاجل القرآن والحديث

والمحرمة بمذهب القدرية والمجسمة ونحوهما وقال ان الرد عليهم من البدع الواجبة وللمندوبة بصلاة التراويح وبناء المدارس ونحوها وللمكروهة بزخرفة المساجد وتزويق المصاحف وللمباحة بالمصافحة بعد صلاة العصر بل قيل سنة وأصل المصافحة سنة فقد ورد اذا التقى المسلمان وتكاشرا وتصافحا تحاتت عنهما ذنوبهما وأما تقبيل يد العالم والسلطان فقيل لا بأس به وأما تقبيل الأرض والعتبات كما يفعله الجهلة فهو حرام * والحاصل أن التراويح مندوبة ومسنونة بفعل عمر رضى الله تعالى عنه لقوله عليه الصلاة والسلام اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر لاسيما وقد اتفقت معه الصحابة فقد زال اسم البدعة عنها لكن لا تفعل بكثرة التطويل الممل ولا بالاستعجال المخل من غير خشوع ولا تكميل أركان كما يفعلها كثير من أئمة الزمان وكذا صلاتها فى البيت باستئجار الامام كما يفعله كثير من الانام فذلك مكروه أشد الكراهة كما نص على ذلك فى الفتاوى الهندية فلا تغفل * عباد الله قد مضى عنكم شهر رجب وشعبان ولعل أكثر أيامهما ذهبت فى العصيان وها أنتم اليوم فى شهر رمضان وهو شهر الاعتاق من النيران لمن ترك الذنوب واستحى من رقيبه الصوم لى وأنا أجزى به شهر أقبل على المقبولين بتكثير الاجور وعلى الصادقين بتوفير النور وعلى المتقين بالفرح والسرور وعلى التائبين بتقويم الامور وعلى العامل بتكميل نصيبه الصوم لى وأنا أجزى به شهر يتم به الاسعاد والتكريم ويتفضل بجزيل الانعام الملك الكريم ويصفد فيه كل شيطان رجيم ويعافى فيه مريض الخطايا السقيم اذا امتثل أمر طبيبه الصوم لى وأنا أجزى به شهر تتوفر فيه العطايا والمنح ويحصل فيه كل مأمول مقترح ويتم للعابد بالثواب الفرح ويغفر للعاصى كل ما اجترح ويعاد على من أصلح وصلح بادنائه وتقريبه الصوم لى وأنا أجزى به فيه الاحباب بالدعاء يعجون وبالتضرع فى جميع أوقاته يضجون وفى نهاره من الغفلات يتحرجون وفى دياجيه للمولى الكريم يناجون وبآمالهم لسيدهم يلتجؤن اذا سكن كل حبيب الى حبيبه الصوم لى وأنا أجزى به شهر يعفو فيه عن عباده الرؤف الرحيم فاحفظوه لعله يحصل لكم جنات النعيم ويقيكم فى القيامة هول الجحيم اذا انزعجت القلوب لهيبة لهيبه الصوم لى وأنا أجزى به لقد سعد من اتقى فيه ونجا ولقد نال مأمول الغفران فيه من رجا ولقد تم حال من أفطر فيه على السؤال والنجا وتسحر فى جوف الليل وظلمة الدجا ببكائه ونحيبه الصوم لى وأنا أجزى به فصححوا رحمكم الله الفروض والنوافل واحترسوا من سهوات الغفلات القواتل وتيقظوا قبل لحاق الأواخر بالأوائل تنجوا من عقاب الله وتعذيبه الصوم لى وأنا أجزى به واحذروا غيبة الناس فانها تحبط الأجر وجانبوا أكل الحرام فانه سبب الطرد والهجر وعظموا شهركم فانه عظيم الأمر وانتظروا فيه بحسن اليقظة ليلة القدر فانها غريبة غريبه وعجيبة عجيبه الصوم لى وأنا أجزى به واياكم فيه وفضول النظر والكلام واجتهدوا فيه فى الصلاة والصيام فاذا سلم رمضان سلم جميع العام عساه يقيكم شر الوقوف على الأقدام يوم يفر المرء من أخيه والنسيب من نسيبه الصوم لى وأنا أجزى به وحققوا فى صيامكم التقوى والورع ولازموا الحذر قبل يوم الفزع وراقبوا مولاكم لعله اذا اطلع منكم أفضل المنح ووهب أحسن الخلع فى دار جزائه وثوابه اذا تبرأ الحبيب من حبيبه الصوم لى وأنا أجزى به اللهم أيقظنا من رقدات الغفلة ووفقنا للتزود قبل العله وألهمنا اغتنام الزمان ووقت المهله اللهم انا نستغفرك ونتوب اليك ونعتمد عليك ونسألك بنور وجهك الكريم وسلطانك العظيم توبة صادقة وأوبة خالصة وانابة كاملة ومحبة غالبة وشوقا اليك ورغبة فيما لديك وفرجا عاجلا ورزقا حلالا واسعا اللهم انا نسألك لسانا رطبا بذكرك وقلبا منعما بشكرك وبدنا هينا لينا بطاعتك وأعطنا مع ذلك مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اللهم الطف بنا فى قضائك وعافنا من بلائك وهب لنا ما وهبته لأوليائك واجعل خير أيامنا وأسعدها يوم لقائك

وتوفنا وأنت راض عنا وقد قبلت اليسير منا واجعلنا يا مولانا من عبادك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اللهم اعصمنا من شر الفتن وعافنا من جميع المحن وأصلح منا ما ظهر وما بطن ونق قلوبنا من الحقد والحسد ولا تجعل علينا تباعة لأحد اللهم انا نعوذ بك من الفقر الا اليك ومن الذل الا لك ومن الخوف الا منك ونعوذ بك أن نقول زورا وأن نغشى فجورا ونعوذ بك من شماتة الأعداء وعضال الداء وخيبة الرجاء وزوال النعمة وفجأة النقمة اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين واغفر لنا ولوالدينا وللجماعة الحاضرين ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين

﴿ المجلس الرابع ﴾

﴿ فى صوم الصبى وما يتعلق به كالعقيقة ونحوها ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى يسبح له البحار الطوافح والسحب السوافح والأبصار الطوامح والأفكار والقرائح العزيز فى سلطانه الكريم فى امتنانه ساتر المذنب فى عصيانه ورازق الصالح والطالح تقدس عن مثل وشبيه وتنزه عن نقص يعتريه يعلم خافية الصدر وما فيه من سر أضمرته الجوانح لا يشغله شاغل ولا يبرمه سائل ولا ينقصه نائل تعالى عن الند المماثل والضد المكادح يسمع تغريد الورقاء على الغصن وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ويتكلم وكلامه مكتوب فى اللوح مسموع بالأذن بغير آلات ولا أدوات ولا جوانح موصوف بالسمع والبصر مرئى فى الجنة كما يرى القمر من شبهه أو كيفه فقد كفر هذا مذهب أهل السنة والأثر ودليلهم جلى واضح ينجى من يشاء كما يشاء ويهلك فهو المسلم والمسلم والمهلك لم ينتفع كنعان بالنسب يوم الغرق لانه مشرك قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح أحمده على تسهيل المصالح وأشكره على ستر القبائح وأصلى على رسوله محمد أفضل غاد ورائح صلى الله عليه وعلى صاحبه أبى بكر ذى الفضل الراجح وعلى عمر العادل فلم يراقب ولم يسامح وعلى عثمان الذى بايع عنه الرسول فيا لها صفقة رابح وعلى على البحر الخضم الطافح وعلى جميع آله وأصحابه ذى الرأى السديد والعمل الصالح ﴿ أما بعد ﴾ فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه العزيز وكلامه البليغ الوجيز وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى (فنقول) قال المفسرون (وأمر أهلك) المراد بهم أهل بيته وقيل جميع أمته ولم يذكر ههنا الأمر من الله تعالى له (بالصلاة) بل قصر الامر على أهله إما لكون اقامته لها أمرا معلوما أو لكون أمره بها قد تقدم فى قوله وسبح بحمد ربك الخ أو لكون أمره بالامر لاهله أمر اله ولهذا قال (واصطبر عليها) أى اصبر على محافظة الصلاة فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر ولا تشتغل عنها بشئ من أمور الدنيا وقيل اصبر عليها فعلا فان الوعظ بلسان الفعل أبلغ منه بلسان القول أخرج البخارى وابن عساكر وابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى قال لما نزلت هذه الآية كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يجىء الى باب على صلاة الغداة ثمانية أشهر يقول الصلاة رحمكم الله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وأخرج أحمد والبيهقى وغيرهما عن ثابت قال كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا أصابت أهله خصاصة نادى أهله يا أهلاه صلوا صلوا قال ثابت وكانت الانبياء اذا نزل بهم أمر فزعوا الى الصلاة وعن عبد الله بن سلام قال السيوطى بسند صحيح قال كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا نزلت بأهله شدة أو ضيق أمرهم بالصلاة وقرأ وأمر أهلك بالصلاة الآية وكان عروة بن الزبير اذا رأى ما عند السلاطين قرأ هذه الآية ثم ينادى الصلاة الصلاة وكان بكر بن عبد الله المزنى اذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمر الله ورسوله وعن مالك بن دينار مثله (لا نسألك رزقا) أى لا نكلفك أن

ترزق نفسك ولا أهلك وتشتغل بذلك عن الصلاة (نحن نرزقك) ونرزقهم (والعاقبة) المحمودة وهى الجنة (للتقوى) أى لأهل التقوى على حذف المضاف كما قال الأخفش وفيه دليل على أن التقوى هى ملاك الامر وعليها تدور دوائر الخير قال السفيرى عليه الرحمة ويجب على ولى الصغير أن يأمره بالصلاة اذا بلغ الصغير سبع سنين واذا بلغ عشر سنين أن يضربه وكذا الامر بالصوم ان أطاقه والمراد بالولى الأب والجد والوصى والقيم فان ترك الولى الامر أو الضرب أثم وكما يجب عليه ذلك يجب عليه تعليمه الطهارة وما يلزم من العلم ونهيه عن فعل المحرمات وأمره بقضاء ما فاته من الصلاة وضربه عليها وليعلم أن الائمة اختلفوا فى رجوع ثواب الصبى من صلاة وحج وقراءة ونحو ذلك فالذى ذكره الامام النووى الشافعى فى فتاويه ان ثواب ذلك للصبى لا لوالديه بل يثاب وليه على أمره له بذلك وهذا مذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه واختلف الحنفية ففى فتاوى قاضيخان اذا فعل الصغير من الحسنات قال أبو بكر الاسكافى تكون حسناته له دون أبويه لقوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى وانما يكون لوالده من ذلك أجر التعليم كما قالت الشافعية وقال بعضهم حسناته تكون لابويه لما روى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه قال من جملة ما ينتفع به المرء بعد موته أن يترك ولدا علمه القرآن والعلم فيكون لوالديه أجر ذلك من غير أن ينقص من أجر الولد شئ وهذا يرجع الى قول الشافعى أيضا وأما المرأة فكما ذكرنا أنها من الاهل فيلزم أمرها بذلك لكن المرأة اذا أرادت أن تصوم نفلا فلا تصوم الا برضا زوجها فان الصيام بلا اذنه على ما قال ابن حجر فى الزواجر من الكبائر كما تقدم وكذا يجب على السيد أن يأمر رقيقه ورقيقته بالصلاة والصوم وغير ذلك كالولد والاقارب وأولى الارحام وليعلم أن للوالد على الولد حقوقا وللولد على والديه حقوقا والحقوق قسمان واجبة ومندوبة فمن الحقوق الواجبة عليه النفقة والكسوة فقد روى كفى بالمرء اثما أن يضيع من يعول ومنها أمره بالصلاة كما تقدم وأما حقوقه المستحبة فكثيرة * منها أن يؤذن فى أذنه اليمنى ويقيم فى اليسرى * ولله در من قال

أذان المرء حين الطفل يأتى * وتأخير الصلاة الى الممات
دليل ان محياه قليل * كما بين الأذان الى الصلاة

﴿ ولله در من قال أيضا ﴾

ولدتك أمك يا ابن آدم باكيا * والناس حولك يضحكون سرورا
فاجهد لنفسك أن تكون اذا بكوا * فى يوم موتك ضاحكا مسرورا

ثم ليعلم ان غير الأب يقوم مقامه فى الأذان روى الترمذى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أذن فى أذن الحسين رضى الله تعالى عنه حين ولدته فاطمة وروى ابن السنى عن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ولد له مولود فاذن فى أذنه اليمنى وأقام فى أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان وأم الصبيان التابعة من الجن والحكمة أيضا فى الاذان والاقامة أن يكون أول ما يدخل سمعه عند قدومه الى الدنيا توحيد ربه عز وجل كما يلقن التوحيد عند خروجه منها ويستحب أيضا قراءة سورة الاخلاص فى أذنه اليمنى فقد ورد أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قرأها فى أذن مولود * وللاخلاص فضائل عظيمة * منها ما رواه أبو هريرة رضى الله تعالى عنه قال أقبلت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد السورة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجبت فسألته ماذا يا رسول الله فقال الجنة وعن أبى أيوب رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أيعجز أحدكم أن يقرأ فى ليلة ثلث القرآن من قرأ قل هو الله أحد فقد قرأ ثلث القرآن وروى الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه عن معاذ بن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ قل هو الله أحد يختمها عشر مرات بنى الله

عز وجل له قصرا فى الجنة فقال عمر رضى الله تعالى عنه اذن نستكثر يا رسول الله فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الله أكثر وأطيب وهذا كما لكثير من الآيات والسور خواص وثواب عظيم * من ذلك ما ورد عنه عليه الصلاة والسلام فى آية الكرسى عن أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه ان أباه أخبره انه كان لهم جرين فيه تمر وكان مما يتعاهده فيجده ينقص فحرسه ذات ليلة فاذا هو بدابة كهيئة الغلام المحتلم قال فسلم فرد السلام فقلت من أنت جن أم انس قال جن فقلت ناولنى يدك فاذا يد كلب وشعر كلب فقلت هذا خلق الجن فقال لقد علمت الجن ان ما فيهم من هو أشد منى فقلت ما يحملك على ما صنعت فقال بلغنى انك تحب الصدقة فأحببت أن أصيب من طعامك فقلت ما الذى يحرزنا منكم قال هذه الآية آية الكرسى قال فتركته وغدا أبى الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره فقال صدق الخبيث رواه ابن حبان بنقل الترغيب وروى الحاكم سورة البقرة فيها آية سيدة آى القرآن لا تقرأ فى بيت وفيه شيطان الا خرج منه آية الكرسى وكذا ورد فى المعوذتين قال عقبة بن عامر بينما أسير مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين الجحفة والابواء اذ غشيتنا ريح وظلمة شديدة فجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتعوذ بأعوذ برب الفلق وأعوذ برب الناس ويقول يا عقبة تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما قال وسمعته يؤمنا بهما فى الصلاة وفى سورة يس قوله عليه الصلاة والسلام قلب القرآن يس لا يقرأها رجل يريد الله والدار الآخرة الا غفر له اقرؤها على موتاكم رواه الامام أحمد * ولنرجع الى ما نحن بصدده من القراءة فى أذن المولود قال العلماء فكما يسن قراءة الاخلاص فى أذنه يسن قراءة انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم قال بعض الحنفية ويلف المولود اذا ولد فى خرقة بيضاء نقية ولا يلف فى خرقة صفراء ويستحب أن يحنك الولد عند ولادته بتمر بأن يمضغ التمر ويدلك به حنكه ويفتح فه حتى يدخل الى جوفه منه شئ فان لم يوجد تمر فبحلو كعسل وينبغى أن يكون المحنك له من أهل الخير فان لم يكن رجل فامرأة صالحة فانه كان يؤتى بالصبيان الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيدعو لهم ويحنكهم قال الامام الغزالى ويستحب أن يلقن الصبى أول انطلاق لسانه لا إله إلا الله ليكون ذلك أول حديثه ومن حقوق الولد على وليه أن يحسن اسمه قال صلى الله تعالى عليه وسلم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فاحسنوا أسماءكم وأفضل الاسماء عبد الله وعبد الرحمن ويستحب أن تكون التسمية يوم السابع من ولادته ويستحب تسمية السقط لخبر ورد فيه فان تركه طالبه بذلك يوم القيامة حكى الغزالى ان السقط يوم القيامة يسعى الى أبيه فيقول أنت ضيعتنى وأنت تركتنى ولا اسم لى فان لم يعلم هل السقط ذكر أم أنثى سمى باسم يصلح لهما كحمزة وطلحة وعمارة ونحو ذلك وقال الامام مالك لا يسمى سالم يستهل صارخا ويستحب تغيير الاسم القبيح فقد ورد أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم غير اسم عاصية الى جميلة وفى الصحيحين ان زينب كان اسمها برة فقيل تزكى نفسها فسماها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زينب وفى الصحيح ان شخصا جاء الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ما اسمك قال حزن قال أنت سهل قال لا أغير اسما سمانيه أبى فما زالت الحزونة فيه وفى أولاده والحزونة غلظ الوجه وشئ من القساوة وبهذا يعرف خطأ من يسمى ولده بعبد فلان وعبد فلان ويشمئز عن التسمية بعبد القادر وعبد الملك وعبد الرحمن فهلا علم سر قوله تعالى حتى اذا آتاهما صالحا جعلا له شركاء على بعض التفاسير فتذكر ولا تغفل * ومنها الختان قال ابن حجر فى كتابه الزواجر الكبيرة التاسعة والثمانون بعد الثلثمائة ترك ختان الرجل والمرأة بعد البلوغ كذا ذكره بعضهم وله نوع وجه فى ترك ختان الرجل لما يترتب على ذلك من المفاسد التى من جملتها عدم صحة الصلاة غالبا لأن غير المختون لا يصح استنجاؤه حتى يغسل الحشفة التى داخل قلفته لانها لما كانت مستحقة الازالة كان ما تحتها فى حكم الظاهر فوجب غسله والغالب من أحوال غير المختونين التساهل فى ذلك وعدم الاعتناء به فلا تصح

صلاتهم فكأن هذا هو ملحظ من قال بأن ذلك كبيرة وأما كون تركه فى حق الانثى كبيرة فلا وجه له قال فى شرح المنهاج انا ان أوجبنا الختان فتركه بلا عذر فسق انتهى أى فى حق الذكر فسق دون الانثى فانه فى حقها ليس بكبيرة ولما كان لايتم تطهير الحشفة على أتم وجه كان عدم الختان من الكبائر عند بعض العلماء لما أن التحفظ والاستبراء التام والتنزه من البول أمر لازم فعن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تنزهوا من البول فان عامة عذاب القبر من البول وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال كنا نمشى مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فمررنا على قبرين فقام فقمنا معه فجعل لونه يتغير حتى رعد كم قميصه فقلنا مالك يارسول الله فقال ألا تسمعون ما أسمع فقلنا وماذاك يانبى الله قال هذان رجلان يعذبان فى قبورهما عذابا شديدا فى ذنب هين قلنا فيم ذاك قال كان أحدهما لا يستنزه من البول وكان الآخر يؤذى الناس بلسانه ويمشى بينهم بالنميمة فدعا بجريدتين من جرائد النخل فجعل فى كل قبر واحدة قلنا وهل ينفعهم ذلك قال نعم يخفف عنهما مادامتا رطبتين وقوله فى ذنب هين يعنى هين عندهما وفى ظنهما أو هين عليهما اجتنابه لأن النميمة محرمة اتفاقا فقد روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال من مشى بالنميمة بين اثنين سلط الله تعالى عليه نارا فى قبره تحرقه الى يوم القيامة وعن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لايدخل الجنة قتات وفى رواية نمام وسيأتى ان شاء الله تعالى فى الدروس الآتية تفصيل الغيبة والنميمة وكونهما من الكبائر المحرمة ولنرجع الى تتمة بحث الختان * فنقول ان الامام الأعظم قد توقف فى زمنه كما توقف من شدة ورعه رضى الله تعالى عنه فى خمسة عشر مسئلة أو أكثر والذى يقتضيه كلام العلماء أن وقته عند السبع لانه وقت الامر بالصلاة واعلم أنهم اختلفوا فى أن النبى عليه الصلاة والسلام هل ولد مختونا أم لا فقيل نعم لما رواه فى الجامع الصغير عن أنس من كرامتى على ربى أنى ولدت مختونا ولم ير أحد سوأتى وقيل هذا ضعيف وقد ولد اثنا عشر نبيا مختونين والختان كما قيل من الكلمات التى ابتلى ابراهيم عليه السلام بهن فأتمهن كما قال تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لاينال عهدى الظالمين وقيل هى شرائع الاسلام وقيل ذبح ولده وقيل أداء الرسالة وقيل خصال الفطرة وهى الختان ونتف العانة وتقليم الاظفار ونحوها ولنرجع الى حقوق الولد على والده * فنقول قال العلماء * منها أن يعلمه القرآن ويزوجه اذا بلغ فقد ذكر أبو الليث السمرقندى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال حق الولد على الوالد ثلاثة أشياء أن يحسن اسمه اذا ولده ويعلمه الكتاب اذا عقل ويزوجه اذا أدرك وقال صلى الله تعالى عليه وسلم الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى فاذا بلغ ست سنين أدب فاذا بلغ تسع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلاث عشرة سنة يضرب على الصلاة فاذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبوه ثم أخذ بيده وقال قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك أعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى الآخرة قال فى شرعة الاسلام لبعض العلماء الحنفية فان لم يزوجه وأحدث حدثا فالاثم بينهما قال والولد أمانة الله عند والده أودعه اياه طاهرا على فطرة الاسلام فينبغى أن يؤديه الى الله تعالى طاهرا مطهرا ويبذل الجهد فى تربيته وصيانة عرضه قال أبو الليث وجاء رجل بابنه الى عمر رضى الله تعالى عنه فقال ابنى هذا يعقنى فقال عمر للابن أما تخاف من عقوق والدك فان من حق الوالد كذا وكذا فقال الابن يا أمير المؤمنين أما للابن على والده حق قال نعم عليه أن ينتخب أمه ويحسن اسمه ويعلمه الكتاب قال فوالله ما انتخب أمى ماهى الا سندية اشتراها بأربعمائة درهم ولا حسن اسمى سمانى جعلا ولا علمنى من كتاب الله شيأ فالتفت عمر الى أبيه وقال تقول ابنى يعقنى وقد عققته قبل أن يعقك قم عنى ومن حقوق الولد على والده أن يسوى بينه وبين بقية أولاده فى العطية ذكورهم واناثهم سواء فان لم يسو كره له إلا اذا علم ورع أحد أولاده فلا بأس * ومنها معاشرته باللطف فقد كان رسول

الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدلع لسانه للحسين رضى الله تعالى عنه فاذا راه حركه له * ومنها أن يعلمه حرفة صالحة فان الحرفة أمان من الفقر فقد كانت الأنبياء والاولياء أصحاب حرف يأكلون منها * ومنها أن يدعو له بالخير ففى الحديث دعاء الوالد لولده كدعاء النبى لأمته ولايدعو عليه بالشر * ومنها أن يطرفه بشئ من فواكه السوق فقد ورد فى الحديث من اشترى لعياله شيأ ثم حمله بيده اليهم حط عنه ذنب سبعين سنة وليبدأ بالاناث فى الاعطاء لأنهن أضعف قلوبا وجاء فى الحديث من فرح أنثى فكأنما بكى من خشية الله ومن بكى من خشية الله حرم الله بدنه على النار * ومنها العقيقة * قال الشعرانى فى الميزان العقيقة عند مالك والشافعى مستحبة وعند أبى حنيفة مباحة وعند أحمد فى أشهر روايتيه سنة والثانية أنها واجبة واختارها بعض أصحابه وهو مذهب الحسن البصرى وداود الظاهرى وان السنة فى العقيقة عند الائمة الثلاثة عن الغلام شاتان وعن الجارية واحدة وقال مالك عن الغلام شاة واحدة كما فى الجارية * وذهب الشافعى وأحمد الى استحباب عدم كسر عظام العقيقة وذهب غيرهما الى استحباب كسرها تفاؤلا بالذبول وكثرة التواضع وخمود نار البشرية اه وقال السفيرى قال العلماء يستحب للوالد أن يعق عن ولده وكل من تلزمه النفقة فى معنى الوالد والسنة أن يعق عن الولد الذكر بشاتين وعن الانثى بشاة وفضل الذكر على الانثى فى العقيقة لان السرور بالغلام أكثر فان ذبح عن الغلام شاة حصل أصل السنة ولو ولد له ولدان فذبح عنهما شاة واحدة لم تحصل سنة العقيقة ويشترط أن ينوى عند ذبحها انها عقيقة كما فى الاضحية ويستحب أن يقول عند ذبحها بعد التسمية اللهم لك واليك عقيقة فلان ويستحب أن يفصل أعضاءها ولا يكسر شيأ من عظامها تفاؤلا بسلامة أعضاء المولود ثم يجوز كسرها بلا كراهة ويستحب أن لا يتصدق بلحمها نيأ بل يطبخه بشئ حلو ويتصدق به على الفقراء ويستحب أن يأكل منها ويتصدق ويهدى والسنة أن يكون ذبحها فى اليوم السابع ولا تفوت بتأخيرها عن السبعة لكن يستحب أن لا يؤخرها عن البلوغ فان بلغ سقط حكمها عن الوالد والولد مخير إن شاء عق عن نفسه ولو مات بعد اليوم السابع وبعد التمكن من الذبح يستحب أن يعق عنه ويستحب أن تذبح أول النهار وأن يدفع للقابلة رجل العقيقة ويكره أن يلطخ رأس المولود بدمها كما كان فى الجاهلية فانهم كانوا يضعون قطنة فى دم العقيقة ويجعلونها على رأس المولود فأمرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يجعلوا مكان الدم خلوقا فالسنة أن يلطخ رأسه بخلوق أو زعفران ويستحب أن يحلق رأسه يوم السابع أيضا وأن يتصدق بوزن شعره ذهبا أو فضة سواء فيه الذكر والأنثى فان فاطمة بنت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وزنت شعر حسن وحسين وزينب وأم كلثوم فتصدقت بزنة ذلك فضة ويستحب أن يكون الحلق بعد الذبح وفعل العقيقة أفضل من التصدق بثمنها عندنا (١) وسن الشاة التى تذبح كالاضحية جذعة (٢) ضأن أو ثنية (٣) معز وذهب الامام أحمد بن حنبل فى احدى روايتيه الى أنها واجبة وذهب الامام الاعظم أبو حنيفة أنها ليست بواجبة ولا سنة بل هى بدعة واستدل الشافعى على استحبابها بما رواه الترمذى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال الغلام مرتهن بعقيقته تذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه ويسمى فاختلف العلماء رحمهم الله تعالى فى معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم مرتهن بعقيقته فقيل معناه لا ينمو نمو مثله حتى يعق عنه وأجود ما قيل فى معناه أنه اذا لم يعق عنه لم يشفع فى والديه يوم القيامة فان الولد اذا مات دون البلوغ يشفع فى والديه الا اذا لم يعق عنه هذا ما اختاره الامام أحمد رحمه الله تعالى قال صلى الله تعالى عليه وسلم درارى المسلمين يوم القيامة تحت العرش شافعين مشفعين هذا ومن جملة حقوقه تربيته وتأديبه روى جابر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع * وأما حقوق الوالدين

---

(١) أى الشافعية اه منه (٢) ما تمت له سنة أو أقل اه منه (٣) هى ما دخل فى الثانية أو الثالثة اه منه

فكثيرة وعقوقهما من أكبر الكبائر وقد ورد فى ذلك آيات عديدة وأحاديث سديدة * منها قوله تعالى ولا تقل لهما أوف وقوله سبحانه أن اشكر لى ولوالديك وغير ذلك * ومنها ما رواه طلحة قال أتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت يارسول الله إنى أريد الجهاد فى سبيل الله تعالى قال أمك حية قلت نعم قال الزم رجلها فثم الجنة وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم ومن أتاه أخوه مستنصلا فليقبل ذلك محقا كان أو مبطلا فان لم يفعل لم يرد على الحوض وفى حديث آخر كل الذنوب يؤخر منها ما شاء إلى يوم القيامة الا العقوق فانه يعجله لصاحبه وفى حديث آخر لا ينظر الله تعالى الى العاق ومدمن الخمر والمنان عطاءه وفى حديث آخر ثلاثة لا يدخلون الجنة العاق والديوث والرجلة أى المرأة المتشبهة بالرجال ومن جملة عقوقه انتسابه الى غيره قال عليه الصلاة والسلام من ادعى الى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام وروى أمير المؤمنين على كرم الله تعالى وجهه من ادعى الى غير أبيه أو انتمى الى غير مواليه فعليه لعنة الله تعالى والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله تعالى منه صرفا ولا عدلا رواه البخارى وغيره وروى عن جابر رضى الله تعالى عنه قال رقى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم المنبر فلما رقى الدرجة الأولى قال آمين ثم رقى الثانية فقال آمين ثم رقى الثالثة فقال آمين فقالوا يارسول الله سمعناك تقول آمين ثلاث مرات قال لما رقيت الدرجة الأولى جاءنى جبريل فقال شقى عبد أدرك رمضان فانسلخ منه ولم يغفر له فقلت آمين ثم قال شقى عبد أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة فقلت آمين ثم قال شقى عبد ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت آمين فعليكم عباد الله بحسن تربية أولادكم وبر آبائكم وخدمة أمهاتكم والتزود لمعادكم فكأنى بك يا غافل وعمرك قد انقرض وهجم عليك المرض وغاب كل مراد وغرض واذا بالتلف قد عرض أخاذا لقد كنت فى غفلة من هذا شخص البصر وسكن الصوت ولم يمكن التدارك للفوت ونزل بك ملك الموت وحاذا لقد كنت فى غفلة من هذا عالجت أشد الشدائد فيا عجبا لما تكابد كأنك سقيت سم الأساود فقطع أفلاذا لقد كنت فى غفلة من هذا بلغت الروح التراقى ولم تعرف الراقى من الساقى وما تدرى عند الرحيل ما تلاقى عياذا بالله عياذا لقد كنت فى غفلة من هذا ثم أدرجوك فى الكفن وحملوك إلى بيت العفن على العيب والقبيح والافن واذا الحبيب من التراب قد حفن وصرت فى القبر جذاذا لقد كنت فى غفلة من هذا وتسربت عنك الاقارب تسرى فى مالك وتغرى وغاية أمرهم أن تجرى دموعهم رذاذا لقد كنت فى غفلة من هذا اقفلوا الاقفال وبضعوا البضاعة ونسوا ذكرك يا حبيبهم بعد ساعة وبقيت هنالك الى يوم الساعة لا تجد زادا ولا معاذا لقد كنت فى غفلة من هذا ثم قمت من قبرك فقيرا لا تملك من المال نقيرا وأصبحت بالذنوب عقيرا فلو قدمت من الخير حقيرا صار ملجأ وملاذا لقد كنت فى غفلة من هذا ونصب الصراط والميزان وتغيرت الوجوه والالوان ونودى شقى فلان بن فلان وما ترى للعذر نفاذا لقد كنت فى غفلة من هذا كم بالغ عذولك فى الملام وكم قعد فى زجرك وقام فاذا رأى قلبك ما استقام قطع الكلام على ذا لقد كنت فى غفلة من هذا اللهم يا مصلح الصالحين أصلح فساد قلوبنا واستر فى الدنيا والآخرة عيوبنا واغفر بعفوك ورحمتك ذنوبنا وامح عنا زللا وآثاما واجعلنا بآبائنا وأمهاتنا بارين واجعلنا من عبادك المقربين وهب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين

﴿ المجلس الخامس ﴾

(فى مبدإ الكلام على حديث جبريل عليه السلام)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى لا شأن يشغله ولا نسيان يذهله ولا قاطع لمن يصله ولا نافع لمن يخذله جل عن ضد يماثله أو ند يشاكله أو نظير يقابله أو مناظر يقابله يثيب على العمل القليل ويقبله ويحلم على العاصى فلا يعاجله ويدعى الكافر له شريكا ويمهله ثم اذا بطش هلك كسرى وصواهله وذهب قيصر ومعاقله استوى على العرش وما العرش يحمله وينزل لا كالمنتقل تخلو منازله هذا جملة اعتقادنا وهذا حاصله من ادعى علينا التشبيه فالله يقاتله مذهبنا مذهب أحمد ومن كان يطاوله وطريقنا طريق الشافعى وقد علمت فضائله ونرفض قول جهم فقد عرف باطله ونؤمل رؤية الحق ومتى خاب آمله لقد حنت حنة الى ولد فسألت من لا يرد سائله فانكسرت بوضع أنثى فجبر المكسور قابله فكفلها زكريا فاذا وكيل الغيب يواصله فيا لها من مكفول ما تعنى كافله فلما بلغت حملت بمن شرف حامله فعجبت من ولد لاعن والد يشاكله فقيل هزى فهزت جذعا يابسا تزاوله فأخرج فى الحال رطبا يلتذ آكله فاستدلت على تكوين ولد تحمد شمائله فالنصارى غلت واليهود عتت فأتت به قومها تحمله أحمده حمدا أديمه وأواصله وأصلى على رسوله محمد الذى ارتجت ليلة ولادته أعالى الايوان وأسافله صلى الله تعالى عليه وعلى صاحبه أبى بكر ثانى اثنين واعرف وامن قائله وعلى عمر الذى انتشر عدله فى الاقطار واشتهرت فضائله وعلى عثمان الذى زارته الشهادة وما تعبت رواحله وعلى على بحر العلم المديد فما يدرك ساحله وعلى سائر آله وأصحابه الذين صفا الاسلام بجدهم وعذبت مناهله ﴿ أما بعد ﴾ فاروى بسندى الى الامام الشهير والمحدث النحرير أبى الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى نسبا والنيسابورى وطنا المتوفى سنة احدى وستين ومائتين نفعنا الله تعالى بعلومه اللدنيه وجعلنا من العاملين واياكم بما روى من الاحاديث النبويه فانه قد قال فى كتابه الصحيح قال عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما حدثنى أبى عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرنى عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاسلام أن تشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلا قال صدقت قال فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فأخبرنى عن الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت قال فأخبرنى عن الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال فأخبرنى عن الساعة قال ما المسؤل عنها بأعلم من السائل قال فاخبرنى عن أماراتها قال أن تلد الأمة ربها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان قال ثم انطلق فلبث مليا ثم قال لى يا عمر أتدرى من السائل قلت الله ورسوله أعلم قال فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم * فنقول وبالله تعالى التوفيق ومنه الهداية الى أقوم طريق قال القاضى عياض عليه الرحمة كما نقله النووى هذا الحديث أى المشهور بحديث جبريل عليه السلام قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الايمان وأعمال الجوارح واخلاص السرائر والتحفظ من آفات الاعمال حتى أن علوم الشريعة كلها راجعة اليه ومتشعبة منه قال وعلى هذا الحديث وأقسامه الثلاثة ألفنا كتابنا الذى سميناه بالمقاصد الحسان فيما يلزم الانسان اذ لا يشذ شئ من

الواجبات والسنن والرغائب والمحظورات والمكروهات عن أقسامه الثلاثة اهـ (قلت) ولنذكر ان شاء الله تعالى فى درسنا هذا والدروس الآتية بعض ما يتعلق بهذه الكلمات الوافية الشافية اذ ما لا يدرك كله لا يترك كله مكررين له فى مبادىء الدروس فلعله يرسخ فى بعض الأذهان ويسهل حفظه على الاخوان لانه العمدة فى باب الايمان وقد قيل لا عطر بعد عروس وقد ورد هذا الحديث الجليل بروايات عديدة فى الكتب الصحاح وبهذه الرواية رواه أبو داود فى باب القدر ورواه الامام مسلم أيضا كالامام البخارى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بارزا يوما للناس فأتاه رجل وفى رواية أنه عليه الصلاة والسلام قال سلونى فهابوه أن يسألوه فجاء رجل فجلس عند ركبتيه فقال ما الايمان قال الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه وكتبه ورسله وتؤمن بالبعث قال ما الاسلام قال الاسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال ما الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال متى الساعة قال ما المسؤل عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها اذا ولدت الأمة ربها واذا تطاول رعاة الابل البهم فى البنيان فى خمس لا يعلمهن الا الله ثم تلا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة الآية ثم أدبر الرجل فقال ردوه فلم يروا شيأ فقال هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم وفى رواية أراد أن تعلموا اذ لم تسألوا وفى حديث أبى عامر والذى نفس محمد بيده ما جاءنى قط الا وأنا أعرفه الا أن تكون هذه المرة وفى رواية ما عرفته حتى ولى وفى جامع الأصول لابن الأثير عليه الرحمة قال فما الاسلام قال إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم شهر رمضان والاغتسال من الجنابة وفى رواية أخرى فلبثت ثلاثا وفى أخرى قال عمر فلقينى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ثلاث فقال يا عمر هل تدرى من السائل الحديث وفى رواية فى الاحسان أن تخشى الله كأنك تراه وفى رواية اذا ولدت الأمة بعلها وفى رواية قال له فى آخر كل سؤال منها صدقت وفى رواية واذا رأيت أو واذا كانت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض فذلك من أشراطها وفى آخرها هذا جبريل أراد أن تعلموا اهـ قال العلماء رحمهم الله تعالى يستفاد من هذا الحديث أن التجمل باللباس الحسن والأبيض لا سيما لطلاب العلم أمر مشروع وفى المساجد مأمور به لقوله تعالى يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وقد فصل الفقهاء أمر اللبس على وجوه فمنها فرض ومنها سنة ومنها مباح ومنها حرام * ولنذكر أولا صفة لباسه عليه الصلاة والسلام ليقتدى به المهتدى من كاملى الاسلام قال الامام الغزالى فى احيائه كان يلبس من الثياب ما وجد وكان يعجبه الثياب الخضر وأكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم وكان له قباء سندس فتحسن خضرته على بياض لونه وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الازار فوق ذلك الى نصف الساق وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول انما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد وكان له ثوبان لجمعته خاصة وكان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلمة بأبى أنت وأمى ما فعل ذلك الكساء الاسود فقال كسوته فقالت ما رأيت قط كان أحسن من بياضك على سواده وكان يتختم وربما خرج وفى خاتمه الخيط المربوط يتذكر به الشئ وكان يختم به على الكتب ويقول الخاتم على الكتاب خير من التهمة وكان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة وكانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من على فربما طلع على فيها فيقول صلى الله تعالى عليه وسلم أتاكم على فى السحاب وكان اذا لبس ثوبا لبسه من قبل ميامنه ويقول الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى الناس واذا نزع ثوبه أخرجه من مياسره وكان اذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه الا لله الا كان فى ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حيا وميتا وكان له فراش من أدم حشوه ليف طوله ذراعان أو نحوه وعرضه ذراع وشبر أو نحوه وكانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل تثنى طاقتين تحته وكان ينام

على الحصير ليس تحته غيره وكان يلبس المنطقة من الادم فيها ثلاث حلق من فضة وكان له مطهرة من فخار يتوضأ فيها ويشرب منها فيرسل الناس أولادهم الصغار الذين عقلوا فيدخلون على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يدفعون عنه فاذا وجدوا فيها ماء شربوا ومسحوا أجسادهم ووجوههم يبتغون البركة اهـ وقال فى الدر المختار وحاشيته رد المحتار ما ملخصهما مع زيادة من غيرهما اعلم أن الكسوة منها فرض وهو ما يستر العورة ويدفع الحر والبرد والاولى كونه من القطن أو الكتان أو الصوف على وفاق السنة بأن يكون ذيله للرجال الى نصف الساق لما روى أبو هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ما أسفل الكعبين من الازار ففى النار وقال عليه الصلاة والسلام أزرة المؤمن الى نصف الساق ولا حرج فيما بينه وبين الكعبين ما كان أسفل من ذلك فهو فى النار ومن جر إزاره بطرا لم ينظر الله تعالى اليه يوم القيامة وعلى ذلك قوله تعالى وثيابك فطهر أى فقصر على بعض التفاسير وأن يكون كمه الى رؤس أصابعه وفمه قدر شبر بين النفيس والخسيس اذ خير الأمور أوساطها وللنهى عن الشهرتين وهو ما كان فى غاية النفاسة أو الخساسة ومستحب وهو الزائد لأخذ الزينة واظهار نعمة الله تعالى قال عليه الصلاة والسلام ان الله يحب أن يرى آثار نعمته على عبده وأما النساء فتطويل الثياب لهن مشروع فقد أخرج أبو داود فى سننه عن صفية بنت أبى عبيد أن أم سلمة زوج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قالت لرسول الله عليه الصلاة والسلام حين ذكر الازار فالمرأة يارسول الله قال ترخى شبرا قالت أم سلمة اذا ينكشف عنها قال عليه الصلاة والسلام فذراعا لا تزيد عليه ومباح وهو الثوب الجميل للتزين فى الأعياد والجمع ومجامع الناس لا فى جميع الأوقات لانه صلف وخيلاء وربما يغيظ المحتاجين فالتحرز عنه أولى قال بعض الأفاضل ويستحب التجمل لطلب العلم والقدوم على الغير ومن أعظمه القدوم الى المساجد والصلوات قال تعالى يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد قال العلامة ابن عبد السلام لا بأس بلباس شعار العلماء ليعرفوا بذلك فيسألوا فانى كنت محرما فأنكرت على جماعة محرمين لا يعرفوننى ما أخلوا به من آداب الطواف فلم يقبلوا فلما لبست ثياب الفقهاء وأنكرت عليهم ذلك سمعوا وأطاعوا فاذا لبسها لمثل ذلك كان فيه أجر (وأما المكروه) وهو اللبس للتكبر لما قال عليه الصلاة والسلام يامعشر المسلمين اتقوا الله وصلوا أرحامكم وإياكم والبغى وعقوق الوالدين فان ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام والله لا يجده عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار إزاره خيلاء انما الكبرياء لله رب العالمين وعن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال من لبس ثوب شهرة ألبسه الله تعالى اياه يوم القيامة ثم ألهب فيه النار ومن تشبه بقوم فهو منهم قالوا ومثله من يلبس الثياب الخشنة لغير غرض شرعى فقد روى أن الحسن رضى الله تعالى عنه جذب فرقدا فأخذ بكساه وقال له يافرقد يافر يقد إن البر ليس فى لبس هذا الكساء انما البر ما وقر فى الصدر وصدقه العمل اهـ ويستحب الابيض لقوله عليه الصلاة والسلام البسوا من ثيابكم البياض فانها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم وكذا الاسود لانه عليه الصلاة والسلام دخل مكة وعلى رأسه عمامة سوداء ولبس الاخضر سنة كما فى الشرعة وقد جعل علامة للشرفاء العلويين الفاطميين فى حدود سنة ستمائة وعلى ذلك قول الشاعر

جعلوا لأبناء الرسول علامة * ان العلامة شأن من لم يشهر

نور النبوة فى جباه وجوههم * يغنى الشريف عن الطراز الاخضر

ومن المحرم لبس الحرير والذهب والفضة للرجال الا ما استثنى فعن عبد الله بن عمر وأبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تلبسوا الحرير فانه من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة ومن شرب الخمر فى الدنيا لم يشرب به فى الآخرة ومن شرب فى آنية الذهب والفضة لم يشرب بهما فى الآخرة ثم قال لباس أهل الجنة وشراب أهل الجنة وآنية أهل الجنة (قلت) ويحرم استعمالهما بغير شرب وأكل كما اذا جعلهما علبة للتتن أو ساعة

أونحو ذلك مما نصوا على حرمته وكذا يكره عند الحنفية على الرجل لبس الثوب المنسوج بذهب أو فضة الا اذا كان قدر أربع أصابع أى عرض ذلك وان زاد طوله على ماقيل ومثله الحرير لخبر مسلم نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن لبس الحرير الا موضع أصبع أو أصبعين أو ثلاث أو أربع والحاصل أن استعمال أوانى الذهب والفضة للرجال والنساء مكروه كراهية التحريم الا السلاح ولبسهما على الرجال حرام وللنساء مباح للتزين وكذا لبس الحرير على الرجال مكروه وللنساء حلال وفى الهداية ويكره أن يلبس الذكور من الصبيان الذهب والحرير (قلت) ومنها الجلاجل ونحوها والناس عنه غافلون ولا بأس بكلة الديباج وتكره التكة منه والكيس الذى يعلق معه بخلاف كيس الدراهم الذى يوضع فى الجيب وفى الدر المنتقى ولا تكره الصلاة على سجادة من الابريسم لان الحرام هو اللبس أمّا الانتفاع بسائر الوجوه فليس بحرام وفى القنية لا بأس بشد خمار أسود على عينيه من إبريسم لعذر ومنه الرمد ويحل توسده وافتراشه والنوم عليه على رواية عن أبى حنيفة خلافا لأبى يوسف ومحمد ومالك والشافعى اهـ وعن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه قال رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جبة مجيبة بحرير فقال طوق من نار يوم القيامة قال العلماء وأما جعله دثارا فحرام عند الجميع ويحل لبس ما سداه ابريسم ولحمته غيره لأن الثوب انما يصير ثوبا بالنسج والنسج باللحمة فكانت هى المعتبرة دون السدى وكره لبس المعصفر والمزعفر الأحمر والاصفر للرجال فقط ولا بأس بسائر الالوان وبقى فى هذه الأبحاث تفصيلات وتعريفات واختلافات لا يسعها المجلس العام لضيق الوقت على الدوام فلنفرقها فى الدروس استطرادا بتوفيق الملك العلام ومن المحرم على النساء اظهار الزينة للاجانب والتمايل ولبس الثوب الرقيق حتى عد ذلك بعض العلماء من الكبائر ففى كتاب الزواجر لابن حجر رحمه الله تعالى أخرج الامام مسلم وغيره صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كاسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا وقوله كاسيات أى من نعم الله تعالى وعاريات أى من شكرها أو المراد كاسيات صورة عاريات معنى بأن يلبسن ثوبا رقيقا يصف لون أبدانهن ومائلات أى عن طاعة الله وما يلزمهن فعله وحفظه ومميلات أى لغيرهن أى يعلمن غيرهن أو متبخترات وروى ابن حبان يكون فى آخر أمتى رجال يركبون على سروج كأشباه الرحال ينزلون على أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهم كأسنمة البخت العجاف ألعنوهن فانهن ملعونات لو كان وراءكم أمة من الأمم خدمتهن نساؤكم كما خدمتكم نساء الأمم قبلكم وروى أبو داود عن عائشة أن أختها أسماء رضى الله تعالى عنها دخلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال يا أسماء ان المرأة اذا بلغت زمان المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا أشار الى وجهها وكفيها قال الذهبى ومن الأفعال التى تلعن المرأة عليها اظهار زينتها كذهب أو لؤلؤ من تحت نقابها أو تطيبها بطيب كمسك اذا خرجت وكذا لبسها عند خروجها كل ما يؤدى الى التبرج كمصبوغ براق وازار حرير وتوسعة كم وتطويله ولهذه القبائح قال عنهن عليه الصلاة والسلام اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء وكذلك من الكبائر تشبه النساء بالرجال وتشبه الرجال بالنساء أخرج البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال لعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال وروى الطبرانى أن امرأة مرت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متقلدة قوسا فقال لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء وروى أحمد لعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مخنثى الرجال الذين يتشبهون بالنساء والمترجلات من النساء المتشبهات بالرجال وراكب الفلاة وحده وروى الطبرانى أربعة

لعنوا فى الدنيا والآخرة وأمنت الملائكة رجل جعله الله تعالى ذكرا فأنث نفسه وتشبه بالنساء وامرأة جعلها الله أنثى فتذكرت وتشبهت بالرجال والذى يضل الاعمى ورجل حصور ولم يجعل الله حصورا الا يحيى بن زكريا والحصور الذى لا يأتى النساء إما من العنة واما من العفة أو الاجتهاد فى ازالة الشهوة وينبغى للرجل أن يمنع زوجته مما تقع فيه من التشبه بالرجال فى لبس أو غيره أو خروج خوفا من اللعنة عليه وعليها لقوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا قال ابن حجر فى الزواجر أى بتعليمهم وتأديبهم وأمرهم بطاعة ربهم ونهيهم عن معصيته ولقول نبيه عليه الصلاة والسلام كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته الرجل فى أهله راع وهو مسؤل عنهم يوم القيامة وفى حديث أن هلاك الرجال طاعتهم لنسائهم ومن ثم قال الحسن والله ما أصبح اليوم رجل يطيع امرأته فيما تهوى الا أكبه الله فى النار ولنرجع الى الحديث قوله شديد سواد الشعر لعله يستدل بهذا وما قبله أن جبريل عليه السلام لما أتى يعلم الصحابة دينهم كما فى آخر الحديث برز لهم فى هذه الهيئة معلما لهم بفعله أيضا التزيى بالزى الحسن وشعر هذا بان جبريل عليه السلام كان قد أرخى شعره وهو المسنون عن سيد العالمين عليه أفضل صلاة المصلين فقد أخرج أبو داود عن البراء قال ما رأيت من ذى لمة أحسن فى حلة حمراء من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زاد محمد بن سليمان له شعر يضرب منكبيه وفى رواية أخرى له شعر يبلغ شحمة أذنيه وعن أنس قال كان شعر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى أنصاف أذنيه وعن ابن عمر قال نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن القزع والقزع أن يحلق رأس الصبى فيترك بعض شعره وفى رواية قال إحلقوه كله أو اتركوه كله وكذلك سن عليه الصلاة والسلام الأخذ من الشوارب فقال خمس من الفطرة أى فطرة الاسلام الختان والاستحداد ونتف الابط وتقليم الأظفار وقص الشارب وفى رواية عن أنس وقت لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حلق العانة وتقليم الاظفار وقص الشارب ونتف الابط أربعين يوما مرة وكذلك نهى عن نتف الشيب وقال عليه الصلاة والسلام لا تنتفوا الشيب ما من مسلم يشيب شيبة فى الاسلام الا كانت له نورا يوم القيامة وكذلك نهى عن الخضاب بالسواد وأمر به فى غير السواد ونهى الرجال عن خضاب الايدى وأمر النساء به حتى أن المرأة اذا تركته وتركت الزينة لزوجها له أن يأمرها ثم يؤدبها على ذلك وكذلك وصل شعر المرأة بشعر أخرى حرام فقد لعن عليه الصلاة والسلام الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والمتنمصة والمتفلجة للحسن المغيرة خلق الله تعالى فعليكم عباد الله بامتثال أوامره والاجتناب عن نواهيه وزواجره فان من خالف شرعه القويم له العذاب الأليم فوا أسفا لأهل النار قد هلكوا وشقوا لا يقدر الواصف أن يصف ما قد لقوا كلما عطشوا جيء بالحميم فسقوا هذا جزاؤهم إذ خرجوا من الطاعة وفسقوا فقطعوا والله بالعذاب ومزقوا فلو رأيتهم قد كبلوا بالسلاسل وأوثقوا واشتد زفيرهم وتضرع أسيرهم وقلقوا وتمنوا ان لم يكونوا وتأسفوا كيف خلقوا وندموا إذ عرضوا عن النصح وقد صدقوا فلا اعتذارهم يسمع ولا بكاؤهم ينفع ولا أعتقوا يا من بين يديه يوم لا شك فيه ولا مرا يقع فيه الفراق وتنفصم فيه العرا تدبر أمرك قبل أن تحضر وترى وانظر لنفسك نظر من فهم ودرى قبل أن يغضب الحاكم رب الورى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا يوم تشيب فيه الأطفال يوم تسير فيه الجبال يوم يظهر فيه الوبال يوم تنطق فيه الأعضاء بالخصال يوم لا تقال فيه العثار وكم أعذار تقال فترى من قد افترى يقدم قدما وأخرى الى ورا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ينصب الصراط فناج وواقع ويوضع الميزان فتكثر فيه الوضائع وتنشر الكتب وتسيل المدامع وتظهر القبائح بين تلك المجامع ويؤلم العتاب ويملأ المسامع ويخسر العاصى ويربح الطائع فكم غنى قد عاد من الخير مقترا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك اللهم

حفظنا بالاسلام قاعدين واحفظنا بالاسلام راقدين ولا تشمت بنا الأعداء ولا الحاسدين اللهم طهر قلوبنا من النفاق وأعمالنا من الرياء وألسنتنا من الكذب وأعيننا من الخيانة فانك تعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما

﴿ المجلس السادس ﴾

﴿ فى حديث جبريل عليه السلام أيضا والكلام على الايمان ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله ومن يحمد سوى الله ولا إله إلا الله وما من إله إلا الله وسبحان الله ولا ينبغى التسبيح إلا لله والله أكبر ولا كبير أكبر من الله وأستغفر الله ومن يغفر الذنوب إلا الله ذلكم الله ربكم الذى قامت الدلالة على ربوبيته فى سجل شهد الله واحد بدليل لو كان فيهما آلهة إلا الله فرد بدليل لا تتخذوا إلهين اثنين إنما إلهكم الله عليم بدليل قل ان تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله سميع بدليل قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله بصير بدليل وقل اعملوا فسيرى الله خبير بدليل وما يخفى على الله من شئ فى الأرض ولا فى السماء الحمد لله قدير بدليل ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله مريد بدليل ألا له الخلق والأمر تبارك الله متكلم بدليل وكلم الله لا شريك له بدليل فادعوا من استطعتم من دون الله لا ولد له بدليل ما اتخذ ردا لليهود والنصارى حيث قالوا نحن أبناء الله أحمده على نعماه وأصلى على محمد الذى اختاره واجتباه وأحبه وارتضاه وعظمه وكرمه ورفعه على من سواه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه لاسيما أبا بكر الذى نزل فيه آية إلا تنصروه فقد نصره الله وعمر الذى وافق حكمه حكم لولا كتاب سبق من الله وعثمان الذى شملته آية إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله وعلى الذى نزل فيه آية إنما نطعمكم لوجه الله صلاة وسلاما دائمين ما أضاء النهار بضياه واحلولك الليل بظلماه ﴿ أما بعد ﴾ فانى أروى بسندى الى الامام الشهير والمحدث النحرير أبى الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى نسبا والنيسابورى وطنا لا زال نائلا فى ضريحه مننا فانه قد قال فى كتابه الصحيح ومسنده الحرى بالترجيح عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال حدثنى أبى عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرنى عن الاسلام الحديث الذى تقدم فى الدرس الماضى فنقول وبالله تعالى التوفيق ومنه الهداية الى أقوم طريق قوله حتى جلس الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أى دنا حتى جلس قريبا منه واعلموا أن الصحابة رضى الله تعالى عنهم كانوا يجلسون بحضور النبى عليه أفضل الصلاة والسلام لكن بزيادة السكينة والوقار حتى كأنهم على رؤسهم الطير وما كانوا يقفون بين يديه ولا يقوم بعضهم لبعض لان القيام للقادم عادة الأعاجم قال أبو أمامة خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتوكأ على عصا فقمنا اليه فقال لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا وقام رجل مرة لمعاوية فأمره بالجلوس وقال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من أحب أن يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار وقيل المراد أن يقفوا وهو جالس وكذلك الانصات من الجالسين واستماع كلام بعضهم لبعض من السنن فقد روى عنه عليه الصلاة والسلام ما تجالس قوم مجالسا فلم ينصت بعضهم لبعض إلا نزع الله من ذلك المجلس البركة ومن استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب فى أذنه الآنك يوم القيامة وكذلك نهى عن الجلوس فى مواضع التهم والمجالس التى يغتاب الناس فيها ومجالس اللهو وما يقرأ فيها القصاصون وبين عليه

الصلاة والسلام ان أشرف الأماكن المساجد وشرها الأسواق ونهى عن الجلوس فى الطرق وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول إياكم والجلوس فى الطرقات فقالوا يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها فقال ان أبيتم إلا الجلوس فأعطوا الطريق حقه قالوا وما حقه قال غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإرشاد الضالة عن الطريق وإغاثة الملهوف وحسن الكلام وستأتى تفصيلات هذه الابحاث قوله الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقل بين يديه قيل لان حاله تدل على انه لم يجئ متعلما وانما جاء معلما قوله فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه قال الامام النووى عليه الرحمة على فخذى نفسه وجلس على هيئة المتعلم وقال بعض الأفاضل ظاهره أنه جلس بين يديه وهو كذلك إذ لو جلس الى جانبه لما أمكنه إلا اسناد ركبة واحدة وهو غير جلوس المتعلم بين يدى شيخه للتعلم وانما فعل ذلك للتنبيه على ما ينبغى للسائل من قوة النفس وعدم الاستحياء عند السؤال وان كان المسؤل ممن يحترمه ويهابه وعلى ما ينبغى للمسؤل من التواضع والصفح عن السائل وان تعدى ما ينبغى من الاحترام للمسؤل والأدب معه لان شرف المعلم وكذا شرف المتعلم عظيم فقد روى أبو أمامة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال من غدا الى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرا أو يعلمه كان له كأجر حاج تاما حجته رواه الطبرانى وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من غدا يريد العلم يتعلمه لله تعالى فتح الله له بابا الى الجنة وفرشت له الملائكة أكنافها وصلت عليه ملائكة السموات وحيتان البحر وللعالم من الفضل على العابد كالقمر ليلة البدر على أصغر كوكب فى السماء والعلماء ورثة الأنبياء ان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ولكنهم أورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظه وموت العالم مصيبة لا تجبر وثلمة لا تسد وهو نجم طمس موت قبيلة أيسر من موت عالم رواه أبو داود وغيره وسيأتى ان شاء الله تعالى فى الدروس الآتية تفصيل هذه المطالب العالية وقيل فى قوله ووضع كفيه على فخذيه أى فخذى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفعل ذلك للاستئناس باعتبار ما بينهما من الانس فى الأصل حين يأتيه بالوحى قال يا محمد أخبرنى عن الاسلام انما ناداه باسمه كما تناديه الاعراب مع أنه حرام لما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون الآيات قال المفسرون قال ابن عباس لا تقدموا بين يدى الله ورسوله هو أن يتكلموا بين يدى كلامه بل عليهم أن يصغوا ولا يتكلموا وقيل معناه لا تخالفوا كتاب الله وسنة رسوله وقوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم قال بعض أجلة المفسرين يحتمل أن المراد حقيقة رفع الصوت لان ذلك يدل على ترك الاحترام لان خفض الصوت من لوازم التعظيم ويحتمل أن يكون المراد المنع من كثرة الكلام ومزيد اللغط والمعنى لا ترفعوا أصواتكم الى حد يكون فوق ما يبلغه صوت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال المفسرون والمراد من الآية تعظيمه عليه الصلاة والسلام وأن لا ينادوه كما ينادى بعضهم بعضا حتى أن أبا بكر الصديق قال لا أكلمك يا رسول الله إلا كأخى السرار حتى ألقى الله تعالى وقوله تعالى ولا تجهروا أى لا ينادى وقت الخطاب باسمه أو كنيته كنداء بعضهم لبعض فلا يقال يا محمد يا أحمد ولكن يا نبى الله يا رسول الله أن تحبط أعمالكم أى كراهة حبوط أعمالكم وذلك أن الرفع والجهر اذا كان عن استخفاف واهانة فهو كفر محبط للاعمال وقوله تعالى امتحن الله أى أخلص الله قلوبهم للتقوى كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج جيده من رديئه وقيل طهرها من كل قبيح وقيل وسعها وشرحها وقوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات جمع حجرة وهم جفاة بنى تميم على قول وقيل جاء رجل

فقال يامحمدان حمدى زين وان ذمى شين فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذاك الله وعن زيد بن أرقم قال اجتمع ناس من العرب فقالوا انطلقوا الى هذا الرجل فان يك نبيا فنحن أسعد الناس به وان يك ملكا نعش بجناحه فأتيت النبي فأخبرته بما قالوا فجاؤا الى حجرته فجعلوا ينادونه يامحمد يامحمد فأنزل الله تعالى هذه الآية فأخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باذنى وجعل يقول لقد صدق الله قولك يازيد (أقول) ويستفاد من ذلك أن من زار النبي المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم ينبغى له أن يمتثل هذه الآية الكريمة ولا يفعل ولا يقول مالا يرضى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حياته لانه عليه أفضل الصلاة والسلام حى فى قبره الشريف ويسمع سلام المسلم عليه فى مقامه العالى المنيف كما صرحت بذلك علماء المذاهب الأربعة فاسمع قول البارى سبحانه وكن متبعه (١) امالانه معلم لامتعلم أو قبل التحريم وبما تقرر علم أن نداء غيره عليه الصلاة والسلام ممن يستحق التوقير باسمه غير حرام وانما هو خلاف الاولى الاأن يتأذى به فينبغى تحريمه حتى قيل من العقوق نداء الولد والده باسمه واعلموا أن فى مسئلة الاسلام والايمان مسائل كثيرة يلزم التنبيه على بعضها فى هذا المجلس * منها أن الايمان والاسلام هل هما بمعنى واحد أو مختلفان فذهب البخارى وجماعة الى أن معناهما واحد ويؤيده قوله تعالى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وذهبت طائفة من المعتزلة والحشوية الى أن الاسلام غير الايمان واحتجوا بقوله تعالى قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا قال الخطابى والصحيح فى هذا أن تقيد الكلام وذلك أن المسلم قد يكون مؤمنا فى بعض الأحوال ولا يكون فى بعضها والمؤمن مسلم فى جميع الأحوال وكل مؤمن مسلم ولا عكس وقيل الخلاف لفظى فقد قال الوالد نور الله تعالى ضريحه فى بعض تعليقاته على شرح البخارى للسفيرى مانصه جمع السعد بين القول بالترادف والقول بعدمه بأنهما خلاف فى حال فان مفهوم الاسلام ان فسر بالانقياد الظاهرى بمعنى امتثال الأوامر والنواهى والعمل بمقتضى تلك الأحكام من غير ملاحظة الاذعان والتسليم القلبى كان مخالفا لمفهوم الايمان وان فسر بالاسلام والانقياد الباطنى بمعنى قبول تلك الأحكام والاذعان لها وترك الأباء والاستكبار عنها كان متحدا فيه فعلى هذا يصير الخلاف لفظيا ولصيرورته كذلك وجها آخر أيضا فتدبر اه ومنها أن الايمان هل يزيد وينقص أم لا اختلف العلماء رحمهم الله تعالى فى ذلك فذهب امامنا الاعظم أبو حنيفة عليه الرحمة وأصحابه وامام الحرمين وجمع كثير من الاشاعرة الى أنه لا يزيد ولا ينقص وقالوا متى قبل الزيادة كان شكا وكفرا وذهب الامام الشافعى والامام أحمد بن حنبل والامام مالك بن أنس وسفيان الثورى وجماعة كثيرة من الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار وأكثر الاشاعرة رحمهم الله تعالى أجمعين الى أنه يزيد بزيادة الطاعات وينقص بنقصانها للقطع بان ايمان آحاد الأمة ليس كايمان أبى بكر الصديق ونحوه من الصحابة الكرام فضلا عن ايمان الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام وأدلتهم من الكتاب والسنة مثل قوله تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقوله تعالى أيكم زادته هذه ايمانا وقوله تعالى ومازادهم إلا إيمانا وتسليما وما رواه ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قلنا يارسول الله إن الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وقال سفيان بن عيينة الايمان قول وفعل ويزيد وينقص فقال أخوه ابراهيم لاتقل ينقص فغضب وقال اسكت ياصبى بل ينقص حتى لايبقى منه شئ اه قالوا والدليل على نقصانه أن كل ماقبل الزيادة لابد وأن يكون قابلا للنقصان ضرورة قال فى الشيبانية

وايماننا قول وفعل ونية * ويزداد بالتقوى وينقص بالردى

وقال الخطابى الايمان قول وهو لايزيد ولا ينقص وعمل وهو يزيد وينقص واعتقاد وهو يزيد ولا ينقص فان

(١) قوله امالانه معلم الخ هو مرتبط بقوله سابقا انما ناداه باسمه اه

نقص ذهب قال بعض الأفاضل ومن قال ان الخلاف لفظى فهو خطأ وأجابت الحنفية ومن وافقهم ان المراد بالزيادة الزيادة بحسب الدوام والثبات وكثرة الزمان والساعات أو المراد الزيادة بحسب زيادة مايؤمن به أو أن المراد زيادة ثمرته واشراق نوره فى القلب الى غير ذلك * ومنها كما قال السفيرى عليه الرحمة اختلف العلماء فى ايمان المقلد والمقلد هو ان يسمع انسان الناس يقولون ان للخلق ربا خلقهم وخلق كل شئ ويستحق العبادة عليهم وحده لاشريك له فيجزم بما سمعه منهم والمختار الذى عليه الفقهاء وكثير من العلماء صحته من غير نظر واستدلال لحصول الجزم بالايمان الذى يحصله الاستدلال ولان الصحابة رضى الله تعالى عنهم كانوا يقبلون ايمان عوام الأمصار التى فتحوها من العجم حال كون ايمانهم صادرا تحت السيف ولا استدلال ومنع كثير من المعتزلة صحته ورد عليهم بانه يلزم من قولهم تكفير العوام وهم غالب المؤمنين * ومنها مااختلفوا فيه أيضا أنه هل يجوز للانسان أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله تعالى أم لا فذهب إمامنا الأعظم وأصحابه وكثير من العلماء الى أنه ليس له أن يقول ذلك وانما يقول أنا مؤمن حقا والذى ذهب اليه الامام الشافعى وأصحابه والامام مالك وأصحابه والامام أحمد وأصحابه وأكثر السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم جواز قول الانسان أنا مؤمن ان شاء الله وبه قالت الأشعرية هذا اذا كان جازما بالايمان حال التكلم أما اذا شك فى إيمانه حال التكلم وقال ان شاء الله للشك فى إيمانه فان إيمانه يكون منفيا لان الشك فى ثبوته فى الحال كفر وليس محل قول إن شاء الله تعالى بالاتفاق بل محل النزاع بين الفريقين إنما هو إيمان الموافاة وهو الذى يموت العبد عليه ويأتى متصفا به آخر حياته وأول منازل آخرته وهو المعتبر فى النجاة فى الدار الآخرة وهو الملحوظ عند المتكلم بالمشيئة فاذا جزم الانسان بالايمان فى الحال ولكن لايعلم هل يبقى هذا الايمان الى الوفاة أم لا فله عند الفريق الثانى أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله أى أنا أموت على الايمان إن شاء الله تعالى وهو أمر مستقبل فالقائل أنا مؤمن إن شاء الله تعالى مقتد بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعامل بقوله تعالى ولا تقولن لشئ إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله وأيضا يقول إن شاء الله تعالى للتبرك بالمشيئة خوفا من سوء الخاتمة مع جزمه بالايمان فى الحال فكأن القائل أنا مؤمن إن شاء الله تعالى يقول أطلب حسن الخاتمة فكم من إنسان سلب الايمان عند موته ولذلك قال بعض العلماء ان الخلاف فى هذه المسئلة بين الأئمة الحنفية والأئمة الشافعية لفظى فنسأل الله العظيم أن يختم لنا وللمسلمين بخير فى عافية بلا محنة وحكى الامام الغزالى حجة الاسلام قدس الله تعالى روحه فى منهاج العابدين إن تلميذ الفضيل ابن عياض حضرته الوفاة فدخل عليه الفضيل وجلس عند رأسه وقرأ سورة يس فقال يا أستاذ لاتقرأ هذه فسكت ثم لقنه وقال له قل لا اله الا الله قال لا أقولها إنى منها برىء ومات على ذلك فدخل الفضيل منزله وجعل يبكى أربعين يوما ولم يخرج من البيت ثم رآه فى النوم وهو يسحب الى جهنم أجارنا الله تعالى منها بمنه فقال بأى شئ نزع الله تعالى المعرفة عنك وكنت أعلم تلامذتى فقال بثلاثة أشياء أولها النميمة فانى قلت لأصحابى بخلاف ماقلت لك والثانى الحسد حسدت أصحابى والثالث كان بى علة فجئت الى طبيب وسألته عنها فقال تشرب فى كل سنة قدحا من خمر فان لم تفعل تبق فى تلك العلة فكنت أشرب به نعوذ بالله تعالى من سخطه الذى لا طاقة لنا به قال بعض العلماء إن سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى أكثر ماتكون أسبابه من حب الدنيا والاعتقادات الفاسدة وكثرة المعاصى ومن أعظمها ظلم العباد وسئل بعض العارفين عن سبب ذلك فقال ترك الشكر على الاسلام وترك الخوف على ذهابه والظلم للعباد وقال بعض الواصلين سببها ترك الصلاة وأكل الربا والعداوة لأولياء الله تعالى وقد قال تعالى فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا إلا من تاب وآمن الآية وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر وقال سبحانه فى حق أكلة الربا فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وقال فى الحديث القدسى فى حق المعادين لأوليائه عز وجل من عادى

لى وليا فقد آذنته بالحرب قالوا الان الله تعالى لايحارب الا الكافرين فينبغى للمسلم أن لايعادى العباد الصالحين والمتقين المؤمنين وأن يخاف من سلب إيمانه عند الموت والعياذ بالله تعالى وقد ورد فى الحديث ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايبقى بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار وأن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى مايبقى بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة ولذا ورد إنما الأعمال بالخواتيم فنسأله عز شأنه أن يثبتنا وإياكم على القول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة إنه أرحم الراحمين وقال فى الروض الفائق يروى أن أخوين كان أحدهما عابدا والآخر مسرفا على نفسه وكان العابد يتمنى أن يرى إبليس فى محرابه فتمثل له فقال له وا أسفا عليك ضيعت عمرك أربعين سنة فى حصر نفسك واتعاب بدنك وقد بقى من عمرك مثل مامضى فاطلق نفسك فى شهواتها وتلذذ ثم تب بعد ذلك وعد إلى العبادة فان الله غفور رحيم فقال العابد لعلى أنزل الى أخى فى أسفل الدار وأوافقه على اللهو واللذات عشرين سنة ثم أتوب وأعبد الله فى العشرين التى تبقى من عمرى فنزل وقال أخوه المسرف على نفسه قد أفنيت عمرى فى المعاصى وأخى العابد يدخل الجنة وأنا أدخل النار والله لأتوبن وأصعد إلى أخى العابد وأوافقه فى العبادة مابقى من عمرى فلعل الله أن يغفر لى فطلع على نية التوبة ونزل أخوه على نية المعصية فزلت رجله فوقع على أخيه فماتا جميعا فى السلم فحشر العابد على نية المعصية وحشر المسرف المسلم على نية التوبة فرغوا قلوبكم للاعتبار فيما يجرى فى الليل والنهار كم من بعيد قرب وكم من قريب أبعد وجفاه الأهل والجيران وكان حظ الأول الجنة وحظ الثانى النار فاعتبروا ياأولى الأبصار ندب العابد على تغيير نيته بلاشك ولاخفا وبكى على تفريطه بعد عبادته إذ زل وهفا يود لو أن صافى وده يرد ويرجع إلى الوفا وسيعلم إنه كان يبنى على شفا جرف هار فاعتبروا ياأولى الأبصار إسمعوا أيها القاعدون إفهموا أيها الراضون بالدون لما جد فى الجد المتقون مدحهم من يقول للشئ كن فيكون والسابقون السابقون كانوا إذا جن الليل يسهرون وتجرى من العيون عيون فاذا جاءت الهواجر فللطعام يهجرون وما زالوا فى الخدمة كالخدم ينتصبون إن أقبل البلاء فهم صابرون وإن وردت النعماء فهم شاكرون وإن تزخرفت الدنيا فهم عنها معرضون وكذا من أراد الأخرى يكون أذكارهم فى الحياة وهم ميتون فاذا إنجاب التراب عن الانجاب فعلى النجائب يحملون وتبشرهم الاملاك هذا يومكم الذى كنتم توعدون لايقفون إلى الحساب بل إلى الجنة يحملون يعجب أهل الموقف منهم ثم يسألون من هؤلاء الذين إلى النعيم يحضرون فاذا الجواب إنى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون فلو قيل ماصفاتهم قيل التائبون العابدون وأحسن مابه القوم يمدحون والسابقون السابقون اللهم انظمنا فى سلك السابقين الأخيار وألحقنا بعبادك الصالحين الابرار وآتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين

﴿ المجلس السابع ﴾

﴿ فى حديث جبريل عليه السلام أيضا وفيه مايتعلق ببعض مايجب الكفر ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله عالم الأسرار المكنونة ومخرج البذور المدفونة أمر بالجد وضمن المؤنة ونبه على عيب الدنيا فافتضحت الخؤنة كلماته مسموعة فى الصحف مصونة إحذر طريق البدع فانها مسبعة غير مأمونة هذه أمانة أديتها كانت عندى مخزونة وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه

فسبحان من أنشأ الانسان وخلقه وأنعم عليه ورزقه وألهمه الهدى ووفقه وأخرجه بالتقى من أسر الهوى وأعتقه علم مافى كل شجرة من ورقة وسمع تطريب الحمامة المطوقة وقوم أعضاء الآدمى فتناسبت متسقة واختط الانف ونور الحدقة أحمده وتوفيقه على صدقه وأقر بوحدانيته إقرار من صدقه وأصلى على رسوله محمد ذى الرأفة والشفقه صلى الله تعالى عليه وعلى أبى بكر الذى صاحبه فى الغار ورافقه وعلى عمر الذى كسر كسرى وخنقه وعلى عثمان الذى أخرج المال وأنفقه وعلى على الذى بحار علومه مفدقة وعلى سائر آله وأصحابه ماانهلت المتدفقة وسلم تسليما ﴿ أما بعد ﴾ فنروى بسندنا إلى الامام مسلم بن الحجاج النيسابورى عليه الرحمة والرضوان فانه قد قال فى كتابه الصحيح وجامعه الحرى بالترجيح عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال حدثنى أبى عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لايرى عليه أثر السفر ولايعرفه منا أحد حتى جلس الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يامحمد أخبرنى عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله الى آخر الحديث الذى ذكرناه مرارا (فنقول) وبالله التوفيق ونسأله الوصول بأحسن طريق قد تقدم الكلام على بعض المسائل المتعلقة بالاسلام والايمان ولنذكر فى هذا الدرس ان شاء الله تعالى تتمة لذلك لتستضيئوا بانوارها فى الليل الحالك فاعلموا أن معنى الشهادتين أماتنا الله تعالى واياكم عليهما أشهد أى أذعن وأقر وأصدق أن لا إله إلا الله أى لامعبود بحق فى الوجود إلا الله وأشهد أى أقر وأصدق أن محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم وإسمه عمرو بن عبد مناف بن قصى وينتهى الى ابراهيم خليل الرحمن هو رسول الله وعبده وصفيه وحبيبه أرسله رحمة للعالمين ونبيا الانس والجن أجمعين (١) فمن قال هاتين الكلمتين الطيبتين خالصا مخلصا فهو من أهل الايمان وأصحاب الجنان وقد ورد فى فضلهما أحاديث كثيرة * منها مارواه الامام المنذرى فى كتابه الترغيب والترهيب عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قلت يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال صلى الله تعالى عليه وسلم لقد ظننت ياأباهريرة أن لايسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه رواه البخارى وروى أيضا عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من شهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من عمل زاد جنادة من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء وفى رواية لمسلم من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار قال العلماء أى اذا أتى بلوازمها من أداء الفرائض واجتناب الكبائر والدليل على ذلك مارواه الطبرانى قوله عليه الصلاة والسلام من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما إخلاصها قال أن يحجزه عن محارم الله وعن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال قال موسى عليه السلام يارب علمنى شيأ أذكرك به وأدعوك به قال قل لا إله إلا الله قال يارب كل عبادك يقول هذا قال قل لا إله إلا الله قال انما أريد شيأ تخصنى به قال ياموسى لو أن السموات السبع والأرضين السبع فى كفة ولا إله الا الله فى كفة مالت بهم لا اله الا الله ومثله حديث البطاقة وهو ماروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ان الله يستخلص رجلا من أمتى على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيأ أظلمك كتبتى الحافظون فيقول لايارب فيقول أفلك عذر فيقول لايارب فيقول الله تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه

(١) وأما ارساله عليه الصلاة والسلام الى الملائكة الكرام فمختلف فيه بين العلماء الأعلام اهـ منه

لاظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات قال فانك لاتظلم فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلايثقل مع اسم الله تعالى شئ فلذا قال عليه الصلاة والسلام فيما رويه الحاكم عن عمر رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول إنى لأعلم كلمة لايقولها عبد حقا من قلبه فيموت على ذلك إلا حرمه الله على النار لا إله إلا الله وقال أكثروا من شهادة أن لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها وقال مامن عبد قال لااله الا الله فى ساعة من ليل أونهار الا طمست مافى الصحف من السيآت حتى تسكن الى مثلها من الحسنات واعلموا إنما ورد فى بعض هذه الأحاديث ذكر لااله الا الله من دون محمد رسول الله لأن ذلك مرادو معلوم لان من قال لااله الا الله ولم يقل محمد رسول الله ولم يشهد بهما معافهو ليس بمسلم فالشهادتان بمنزلة شهادة واحدة وكلمتان بمنزلة كلمة واحدة لقوله تعالى يأأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله الآية جعلهما الله تعالى آخر كلامى وكلامكم وحشرنى واياكم عليهما وجعلهما ولوازمهما فى موازين أعمالنا آمين ثم اعلموا أن هاتين الشهادتين والكلمتين الطيبتين لهما شروط ولوازم ينبغى تنبيهكم عليها وتعليمكم إياها وهى أن لايعتقد الانسان ماينافيهما وأن لايترك مايلزمهما وأن يموت عليهما فاذا أتى بالمنافى لهما قولا وفعلا كما سنبينه ان شاء الله تعالى فهو والعياذ بالله تعالى كافر أومنافق والكفر على أقسام والنفاق على قسمين والشرك على قسمين شرك أصغر وهو الرياء ونحوه فى العمل وهو الذى يغفر وشرك أكبر وهو الذى لايغفر ولايستر نعوذ بالله تعالى منه وهو على ماقال فى كتاب تبيين المحارم من أكبر الكبائر على الاطلاق وهو الستر وجحود الحق قال تعالى ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وانما كان كذلك لانه يعدم المقصود الأصلى من خلق العالم والمقصود من خلقه معرفة ذات الله تعالى وصفاته وأسمائه وأفعاله وأحكامه وكتبه ورسله والوسيلة المقربة اليه والكفر حجاب بين العبد وبين هذه المعارف بخلاف سائر المعاصى والعبد بقدر جهله يبعد عن ربه وأعظم الجهل الكفر بالله تعالى ومن كفر بعد من الله تعالى بعدا أبديا ويتلو الكفر من المعاصى قتل النفس بغير حق فهو أكبر الكبائر بعد الكفر ويتلو القتل الزنا واللواطة وعقوق الوالدين وسيأتى الكلام عليها فى محالها ان شاء الله تعالى وانما كان القتل دون الكفر لان الكفر يعدم عين المقصود كما ذكرناه وهذا يعدم وسيلة المقصود وهى الحياة الدنيا التى لاتراد إلا للآخرة والتوصل اليها بمعرفة الله تعالى ويتلو القتل الزنا واللواطة لان الزنا وان كان لايعدم عين المقصود ولا الوسيلة ولكن يشوش الأنساب ويبطل التوارث والتناصر ويبطل جملة من الأمور التى لاينتظم العيش إلا بها وان كان الزنا يفوت تميز الأنساب ويحرك من الأسباب فما كاد يفضى الى التقاتل قرب فى الرتبة الى القتل وكذا مرتبة اللواطة لانه لو اجتمع الناس على الاكتفاء بالذكور فى قضاء الشهوات انقطع النسل ودفع الوجود قريب من قطع الوجود وكذلك عقوق الوالدين مضاره ومخاطراته لاتخفى على ذى عينين (واعلموا) أن مايلزم به الكفر على أنواع نوع يتعلق بالله تعالى ونوع يتعلق بالقرآن العظيم وسائر الكتب المنزلة ونوع يتعلق بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الأنبياء والملائكة والعلماء ونوع يتعلق بالأحكام (وليعلم) أنه اذا كان فى المسئلة وجوه توجب الكفر ووجه واحد يمنعه فللعالم أن يميل الى هذا الوجه لان الأليق للمؤمن أن يريد هذا الوجه إلا اذا صرح القائل بأن مراده الوجه الذى يوجب الكفر فحينئذ لاينفعه التأويل فيكفر وروى الطحاوى عن أبى حنيفة رحمه الله تعالى وكذا روى عن أصحابه أنه لايخرج المؤمن من الايمان إلا بجحود ماأدخله فيه وهو الاقرار والتصديق فلايحكم بكفر المؤمن إلا بالانكار وقال بعض العلماء الخطأ فى ترك الحق على كافر أهون من الخطأ فى سفك محجمة من دم مسلم فينبغى أن لايعجل المسلم فى تكفير مسلم حتى يحيط خبرا بالمسئلة

والراجح فيها ولكنا نذكر ان شاء الله تعالى ماذكره الأئمة الحنفية من بعض الألفاظ حتى يتجنبها المسلم ولايقع فى مكفر ولو على بعض الأقوال لان الكفر اذا لم يلزمه فالحرمة أو الحظر فيها موجود أومظنون وكما ورد من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ودع مايريبك الى مالايريبك (وليعلم) أيضا أن المسلم اذا صدر منه والعياذ بالله تعالى مايوجب الكفر يخرج من دين الاسلام وتبين زوجته فيستتاب ويحبس ثلاثة أيام فان تاب فبها ونعمت والا قتل وتركته لبيت المال والمسلمة اذا كفرت والعياذ بالله تعالى تبين من زوجها وتستتاب ولاتقتل وكثير مما عمله المرتد والمرتدة يحبط لقوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك حتى أن بعض الفقهاء من الحنفية استحسن أن يجدد الرجل نكاح زوجته فى كل شهر لمايظهر من طائفة النساء من المكفرات بلاعلم منهن فلاتغفل (فأما مايتعلق بالله تعالى) اذا وصف الله تعالى بمالايليق به بأن شبه الله تعالى بشئ من المخلوقات أونعمته بجارحة أونفى صفات كمال أوقال بالحلول والاتحاد أوقال انه مستقر فى مكان أوفى زمان أومعه قديم آخر أومعه مدبر مستقل غيره أواعتقد أن الله سبحانه وتعالى جسم أومحدث أوغير حى أواعتقد أنه لايعلم الجزئيات أوسخر باسم من أسمائه أوأمر من أوامره أووعده أووعيده أوأنكرها أوسجد لغير الله أوسب الله تعالى أوادعى أنه له ولد أوصاحبة أو أنه متولد من شئ أوكائن عنه أوأشرك بعبادته شيأ من خلقه أوافترى على الله الكذب بادعاء الالهية والرسالة أو نفى أن لايكون خلقه ربه وقال ليس لى رب أوقال لذرة من الذرات هذه خلقت عبثا أوسهوا وما أشبه ذلك مما لايليق به سبحانه وتعالى عمايقولون علوا كبيرا يكفر فى هذه الوجوه كلها بالاجماع سواء فعل عمدا أوهزلا يقتل ان أصر على ذلك أوأحد من المذكورات وان تاب تاب الله تعالى عليه وسلم من القتل ومن قال ان الله تعالى فى السماء ان أراد به المكان وأنه مستقر كاستقرارنا يكفر وان أراد به الحكاية والنقل عما جاء فى ظاهر الأخبار لايكفر وان لم يكن له نية يكفر عند أكثرهم ومذهب السلف فى ذلك أسلم وأحكم والله تعالى أعلم وتفصيل هذا فى الفتاوى والكتب الكلامية وأما مايتعلق بالقرآن فقد قالوا ان من استخف بالقرآن أوحرف من حروفه أو استخف بالمصحف أوسبه أوألقى المصحف الى القاذورات أوجحد حرفا منه أوآية أوكذب به أوشئ منه أوكذب بشئ مما صرح به فيه من حكم أوخبر أوأثبت مانفاه أونفى ماأثبته على علم منه بذلك أوشك فى شئ من ذلك أونقص حرفا منه قصدا أوبدله بحرف آخر مكانه عمدا أوزاد فيه حرفا عالما بمايشتمل عليه المصحف الذى وقع الاجماع عليه أوقال القرآن جسم اذا كتب وعرض اذا قرئ أوقرأ القرآن على وجه الهزل أوالدف والقصب أو قال شبعت أوقرأ القرآن فى بدلة كلامه كما لوقال فى موضع الأمر بالشئ أوقال فى موضع الاجازة لمن يقول له آخذ أوأدخل أوأقوم أوأصعد أوأتقدم أوأسير وقال المستشار بسم الله كما هو عادة بعض أهل الحجاز من مكة والمدينة وماحواليهما والأعجام يعنى به أذنت لك فيما استأذنت أوحضر الطعام وقال واحد بسم الله مكان كلوا يكفر كذا فى تتمة الفتاوى إلا اذا كان مراده من قوله بسم الله التبرك أوأفعل مستعينا باسم الله تعالى أوكل مبتدئا باسم الله وفى هذا الوجه لايكفر لانه لم يستعمل القرآن فى بدلة كلامه من الاعلام والجواب بل أراد به التبرك والاستعانة باسم الله تعالى والاحتياط لايخفى عليك وكذا يكفر من قال القرآن مخلوق أوأعجمى أوقال خذ أجرة القرآن أوأجرة المصحف أوعاب شيأ من القرآن أوخطأ أوأنكر المعوذتين أن يكونا من القرآن أو سمع قراءة فقال استهزاء صوت طرفه أوقال عند ازدحام الناس فجمعناهم جمعا أوملأ قدحا وقال كأسا دهاقا أوقال عند الكيل والوزن واذا كالوهم أووزنوهم أوقال والنازعات نزعا أونزع أراد به الاستهزاء أوالمزاح أوقال للقراء هؤلاء أكلة الأرز استخفافا بهم وأمثال هذه لايمكن عده يكفر فى هذه الوجوه كلها يقتل ان أصر على ذلك وان تاب تقبل توبته ومن أنكر التوراة والانجيل والزبور أولعنها أوسبها فقد كفر ومن قرأ أوأقرأ بشواذ من الحروف مماليس فى المصحف قالوا يجب عليه التوبة منه والرجوع عنه (وأما مايتعلق بنبينا) عليه

الصلاة والسلام من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو غيره من الأنبياء والعياذ بالله تعالى أو عابه أو شبهه بشئ
على طريق السب له أو الازدراء عليه أو التصغير لشأنه أو لعنه أو دعا عليه أو تمنى مضرة له أو نسب اليه ما لا يليق
بمنصبه العالى أو لشعره شعير أو قال جن النبي عليه الصلاة والسلام أو عيره بشئ مما جرى عليه من البلاء والمحن
أو نسب اليه المداهنة فى تبليغ الرسالة أو قال انه شاعر أو كاهن أو ساحر أو ألحق نقصا أو دنيئة عابه بها أو خصلة
من خصاله أو عرض به أو قال ان رداء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو إزاره وسخ وأراد به عيبه أو عيره
برعاية الغنم أو السهو أو النسيان أو نسب اليه المداهنة فى حكم بين الناس أو نسب اليه سفه القول أو قال هزم
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على وجه الاستخفاف أو قال مراء فى زهده وفقره أو نفى نبوته أو رسالته أو ختمه
للأنبياء أو قال انه رسول ولكن رسول الى العرب فقط أو قال انه ليس من العرب فقد كفر من هذه الوجوه
كلها بالاجماع يقتل ان أصر على ذلك لا خلاف فى وجوب قتله وأما ان تاب هل تقبل توبته أم لا فعندنا
وعند مالك لا تقبل توبته فقبل التوبة يقتل كفرا وبعد التوبة حدا عندنا وعند مالك يقتل بعد التوبة
كفرا فى رواية وحدا فى رواية ولا تعمل توبته فى إسقاط قتله عندنا وعند مالك نقل هذا عن أبى بكر
الصديق رضى الله تعالى عنه ولا فرق بين أن يجئ تائبا من نفسه أو شهد الشهود عليه بذلك بخلاف الغير
من الكفر فان الانكار فيه توبة فلا تعمل الشهادة معه حتى قالوا من سبه صلى الله تعالى عليه وسلم سكرانا
يقتل ولا يعفى عنه قاله ابن الهمام فى شرح الهداية ولا بد من تقييده بما اذا كان سكره بسبب محظور باشره بلا
إكراه وإلا فهو كالمجنون وأما قتله فى حقه تعالى فيعمل بتوبته فى إسقاط قتله نقل هذا عن على كرم الله
تعالى وجهه وقال القاضى عياض واختلف فيه عن أبى حنيفة رحمه الله تعالى ثم قال والفرق بينه وبين من
سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته أنه صلى الله تعالى عليه وسلم بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة إلا
من أكرمه الله تعالى بنبوته والبارى تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا وليس من جنس من تلحقه المعرة
وليس سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كالارتداد المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق
فيه لغيره من الآدميين فقبلت توبته ومن سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تعلق فيه حق الآدمى فكان كالمرتد
يقتل حين ارتداده فيه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد التوبة لكفره لكن لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته وزوال
المعرة وذلك لا يسقط بالتوبة اهـ كلام القاضى هذا حكم المسلم وأما الذمى اذا سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
أو استخف به أو وصفه بما لا يليق بمنصبه العالى يؤدب عندنا ويعزر وعند مالك يقتل إن لم يسلم فان أسلم ففى ذلك
روايتان فى اسقاط قتله قال ابن الهمام والذى عندى إن سب الذمى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو نسب ما لا
ينبغى الى الله تعالى ان كان مما يعتقدونه كنسبة الولد اليه سبحانه وتعالى وتقدس عن ذلك اذا أظهره يقتل به
وينقض عهده وان لم يظهره ولكن تستر عليه وهو يكتمه فلا يقتل اهـ ومن سب سائر الأنبياء أو الملائكة
عليهم السلام أو استخف بهم أو كذبهم بما أتوا به أو أنكر واحدا منهم ممن تعين أنه نبى أو جحد حكم نبى منهم أو قال
إن جبريل أخطأ بالوحى انما كان النبي على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أو سب سائر الملائكة فعليه القتل
ثم حكمه حكم المرتد عندنا وعند مالك لم يستتب ومن سب أبا بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما أو أنكر خلافتهما
يكفر كذا قيل والذى صححه غير واحد من الفقهاء أنه لا يكفر بسب الشيخين رضى الله تعالى عنهما ومن قذف
عائشة رضى الله تعالى عنها بالزنا فهو كافر بالاجماع يقتل ان لم يتب عنه وأما سب آل بيته وسائر أزواجه المطهرات
وسائر الصحابة رضى الله تعالى عنهم فهو حرام ملعون فاعله وينكل النكال الشديد ومن أبغض عالما من غير
سبب ظاهر قال فى الخلاصة خيف عليه الكفر ومن قال لعالم عويلم أو لعلوى عليوى قاصدا به الاستخفاف
قال فى المحيط كفر وقد أمر الامام الفضيلى بقتل من قال لمن ترك كتابه عنده تركت المنشار ههنا وذهبت

واستخفاف العلماء انما يكون كفرا اذا كان عاملا بعلمه لان من لا يعمل بعلمه لا يستحق التعظيم ومن قال لفقيه
أخذ شاربه ما أعجب قبحها أو أشد قبحا قص الشارب أو لف العمامة تحت الذقن قال فى الظهيرية يكفر لانه
استخفاف بالعلماء ومن قال قصصت شاربك وألقيت العمامة على العاتق استخفافا كفر كذا فى الخلاصة
للحميدى والتشبه بالمعلم على وجه السخرية بأخذ الخشبة وضرب الصبيان كفر لانه استخف بالعلم والعالم ومن
قال لرجل صالح لقاؤك عندى كلقاء الخنزير قال فى الذخيرة يخاف عليه الكفر ومن قال من يقدر على الاتيان
بما قاله العلماء كفر قال فى الخلاصة رجل يجلس فى مكان مرتفع ويسألون منه مسائل بطريق الاستهزاء ثم
يضربونه بالوسائد وهم يضحكون كفروا جميعا وكذا لو لم يجلس على مكان مرتفع (قلت) وكذلك اذا تشبه
المضحك المذكور بقاض أو مفت أو خطيب أو نحوهم وأتى بحركات مضحكة أو تكلم بكلمات كفر به ليضحك
السامعين كفروا جميعهم وهذا الفعل شائع فى زماننا هذا ويسمون المضحك المذكور بالاخبارى مع أن
المطابق للحال تسميته بالاكفارى فانا لله ولا حول ولا قوة الا بالله ونسأله وهو ذو النعم الفاخرة أن يثبتنا
وايا كم على القول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ومما يتعلق بالأحكام مسائل متفرقة الألفاظ كثيرة أيضا
نذكر بعضها إن شاء الله تعالى ليتوقاها الانسان الكامل الايمان فمن ذلك إذا أنكر حكما شرعيا ثابتا من
الدين بالضرورة كانكار الصلاة أو تركها عند الامام أحمد بن حنبل وكثير من العلماء وكانكار الحج والزكاة
والصيام والغسل من الجنابة والحيض ونحو ذلك ومنه اذا اعتقد الحلال حراما والحرام حلالا ومنه استحلال
المعاصى والاستهانة بها لان ذلك من أمارات التكذيب ولو لم يتكلم بكلمة الكفر واذا تكلم بكلمة الكفر من
غير قصد أو من غير علم قيل لا يكفر وقال أكثرهم يكفر ومنه العزم على الكفر بعد حين ورضاه بكفر الغير
كفر وقيل لا ومنه ما لو أنكر وجود الجن أو الملائكة ومنه ما لو صدق أن الكاهن يعلم الغيب أو المنجم قال
عليه الصلاة والسلام من أتى كاهنا فصدقه كفر بالله ومن ذلك ما لو قال قصد قصعة ثريد خير من العلم ومنه ما لو
قال العزة للدرهم لا للعلم لانه عارض قوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ومنه ما لو قال لو كان فلان قبلة
ما توجهت اليه ومنه ما لو قال الصلاة وتركها واحد ومنه ما اذا تمنى أن يكون نصرانيا أو يهوديا فيسلم ليعطى
ومنه ما لو قال لمن أسلم ما ضرك دينك حتى أسلمت ومنه (١) ما لو قال له كافر أريد أن أسلم فقال له اصبر الآن
ومنه ما اذا قال إن أمرنى فلان بالكفر كفرت ومنه ما لو قال الحلال ما حل فى الكف أو قال الحرام أحب
الى من الحلال ومنه إذا قال حين ما يعطى عالم فقيرا درهما تضرب الملائكة الطبل فى السموات ومنه ما لو قال
يعلم الله كذا وهو كاذب ومنه ما لو قال له خصمه نذهب الى شرع الله فقال لا أعرف شرع الله ومنه ما لو صاح
الطير فقال يدل على كذا يكفر عند بعضهم ومنه على ما فى البزازية من قال أرواح مشايخنا حاضرة تعلم ومنه اذا
قال أنا أعلم المسروقات أو ان الجن تخبر بالمغيبات كفر لانه تكذيب لقوله تعالى لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا
فى العذاب المهين الآية ومنه ما لو قال له المظلوم سوف آخذ دراهمى منك يوم لا درهم فقال زدنى وخذها هناك
ومنه ما لو وضع قلنسوة المجوسى على رأسه أو شد الزنار ودخل دار الحرب أو دعاه المجوسى فى أعياده وأجابه
كفر قال الامام أبو حفص لو أن رجلا عبد ربه خمسين سنة ثم جاء يوم النيروز فأهدى الى بعض المشركين
هدية يريد تعظيم ذلك اليوم فقد كفر ومنه التصفيق على الذكر قال فى الوهبانية

بدرويش درويشان كفر بعضهم ❊ وصحح أن لا كفر وهو المحرر
كذا قول شئ لله قيل بكفره ❊ ويا حاضر يا ناظرا ليس يكفر
ومن يستحل الرقص قالوا بكفره ❊ ولا سيما بالدف يلهو ويزمر

---

(١) ينبغى هذا التكفير على قول من قال به اذا لم تخش فتنة عظيمة ولم تكن معاهدة فليراجع اهـ منه

ومن لولىّ قال طىّ مسافة * يجوز جهول ثم بعض يكفر
وإثباتها فى كل ما كان خارقا * عن النسفى النجم يروى وينصر

قال العلماء واذا قال هو يهودى أو نصرانى أو برىء من الاسلام أو ما أشبه ذلك إن فعل كذا على أمر مستقبل فهو يمين عندنا والمسئلة معروفة فان أتى بالشرط وعنده أنه يكفر كفر وان كان عنده أنه لا يكفر متى أتى بالشرط فعليه كفارة اليمين لا غير ويكون قصده بذلك الكلام هو المبالغة عن امتناعه وتقبيحه لذلك المرام وأن حلف بهذه الألفاظ على أمر فى الماضى وعنده أنه لا يكفر كاذبا لا كفارة عليه لانه غموس لكونه كبيرة فلا يكفر به على ما ذكرنا أى كما قررنا وفى الماضى (١) والمستقبل ان عنده أنه يكفر كفر لانه رضا منه بالكفر ولو قال بالله و بروحك أو برأسك قال بعض المشايخ يكفر ولو قال بالله و بتراب قدمك كفر عند الكل ومنه ما لو قال لغيره رؤيتك كرؤية ملك الموت قيل يكفر لان بغض الملائكة وسبهم كفر ومنه ما لو قال قتل فلان واجب أو مستحق القتل ولم يكن عليه فى الشرع ما يلزمه القتل يكفر القائل لانه استحل ما حرم الله تعالى وهذا كثير الوقوع والناس عنه غافلون ومنه ما لو قال للظالم حين ضرب زيدا مثلا ظلما أحسنت يكفر ومنه ما لو قال لمن لبس الحرير أو استعمل المحرم مبارك قيل يكفر ومنه ما لو تصدق من الحرام رجاء الثواب كفر (٢) قال فى تبيين المحارم والأمن من مكر الله واليأس من رحمته كفر عندنا وعند غيرنا من الكبائر وظاهر الآية معنى قال تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقال تعالى فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون وينبغى للانسان أن يتعوذ بهذا الدعاء المأثور صباحا ومساء فانه سبب الحفظ عما يوقع فى المكفرات وهو اللهم إنى أعوذ بك من أن أشرك بك شيأ وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم إنك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب وأما النفاق فسيأتى بحثه إن شاء الله تعالى فسبحان من خلق سعيدا وشقيا وعاصيا وتقيا وأحضر جهنم متهما وبريا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا جمع عدوا ووليا وفرق على الفريقين زيا فترى وجه التقى نقيا وبصر الشقى عميا فسلم طائعا وأهلك عصيا ونذر الظالمين فيها جثيا نشر على الفريقين كتابا مطويا وعرض أعمالهم وما كان ربك نسيا فآتاهم عيشا مريا وعيشا هنيا وكأنك بهذا قد كان وكان وعده مأتيا حضر واليوم الحساب فأغنى جميع الخلائق كلهم بريا وبحريا فخ الميزان من كان سعيدا أو شقيا فانجا الامن كان مخلصا نقيا ونذر الظالمين فيها جثيا خرست ألسنتهم خوفا لا عجزا وعيا و برداعتذارهم وماذاك بنا كس رأسه خجلا من لم يكن حييا وسكت عن الكلام من لم يزل جريا وانعجم اللسان وان كان عربيا يستغيث أهل النار بكرة وعشيا يعطشون ولا يجدون ريا لو رأيتهم يضجون شجا وصبيا يستغيثون الى أن يرجع الصوت خفيا ويلهم من يرحمهم وقد غضب من لم يزل حفيا ما نفع فقرهم ان كان فى الدنيا غنيا ولا ضعيفهم ان كان قويا ولا شجاعهم وكم قد حمل خطيا ولا ذليلهم وقد كان عليا ونذر الظالمين فيها جثيا عموا عن الرشاد فأصبح كل غبيا كم سلكوا سبيلا خالفوا فيها دليلا جليا كم آذوا صالحا وكم ظلموا وليا كم حبس الحقوق منهم من كان مليا دخلوا سجنا وجدوه بالبلاء مبنيا قد أفردوا فى العذاب لا يجدون نجيا يعذبون عذابا دائما سرمديا يأكلون لحم أيديهم فينبت طريا غرسوا شجر الندامة فتناولوا الأسف جنيا انتبه بهذه الموعظة ولا تنى قبل أن تقول (ياليتنى كنت نسيا منسيا)

---

(١) ومنه على ما فى الفتاوى لو قال بعد القرون الثلاثة للملك يجور عادل لانه قد سمى الظلم والجور عدلا الا اذا أول كلامه أى بالنسبة الى غيره فانه لا يكفر اه منه (٢) فى هامش الأصل وفى الحاضر بدل الماضى

﴿ المجلس الثامن ﴾

(فى حديث جبريل عليه السلام أيضا فى الصلاة و بعض لوازمها)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله المطلع على ظاهر الأمر ومكنونه * العالم بسر العبد وجهره وظنونه المتفرد بابداع العالم وانشاء فنونه ويقول للشئ كن فيكون بين كافه ونونه فطر الخلائق على ارادته ودبر الكل بمقتضى حكمته وأجراهم فى التصريف على مشيئته وقدر حال كل منهم فى حركته وسكونه أحسن انشاء ما خلق وفتق الاسماع وشق الحدق وأحصى عدد ما فى الشجر من الورق فى أعواده وغصونه مد الارض ووضعها وأوسع السماء ورفعها وسير النجوم وأطلعها فى حندس الظلام ودجونه أنزل القطر وبلا ورذاذا فأنقذ به البذر من اليبس انقاذا هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه أحمده على جوده واحسانه وأقر أنه لا شريك له فى سلطانه وأن محمدا عبده ورسوله المبعوث ببرهانه الى جاحد الحق وخؤنه صلى الله تعالى عليه وعلى أبى بكر صاحبه فى جميع شانه وعلى عمر مقلق كسرى فى سلطانه وعلى عثمان ساهر ليله بقرآنه وعلى علىّ قالع باب خيبر ومزلزل حصونه وعلى سائر آله وأصحابه الذين اجتهد كل منهم فى الطاعة فى حركاته وسكونه ﴿ أما بعد ﴾ فنروى بسندنا الى الامام مسلم بن الحجاج النيسابورى عليه الرحمة فانه قد قال فى جامعه الصحيح وكتابه الحرى بالترجيح عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال حدثنى أبى عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرنى عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة الحديث (فنقول) وبالله تعالى التوفيق ونسأله الهداية الى أقوم طريق قد تقدم الكلام على بعض المسائل المتعلقة بالاسلام ولنذكر لكم ان شاء الله تعالى ما يتعلق بأمر الصلاة التى هى عماد الدين والفرق بين المسلمين والكافرين واقامتها كفارة لذنوب المذنبين ونور على الصراط ووسيلة للنجاة من العذاب الأليم والدخول فى دار النعيم فقد روى عمرو بن مرة الجهنى رضى الله تعالى عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت ان شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وصليت الصلوات الخمس وأديت الزكاة وصمت رمضان وقمته فمن أنا قال من الصديقين والشهداء وعن أبى مسلم قال دخلت على أبى أمامة وهو فى المسجد فقلت يا أبا أمامة أن رجلا حدثنى عنك أنك سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من توضأ فأسبغ الوضوء غسل يديه ووجهه ومسح على رأسه وأذنيه وغسل رجليه ثم قام الى صلاة مفروضة غفر الله تعالى له فى ذلك اليوم ما مشت اليه رجلاه وقبضت عليه يداه وسمعت اليه أذناه ونظرت اليه عيناه وحدث به نفسه من سوء فقال والله لقد سمعته من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مرارا وعن أبى ذر رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خرج فى الشتاء والورق يتهافت فأخذ بغصن من شجرة قال فجعل ذلك الورق يتهافت فقال يا أبا ذر قلت لبيك يا رسول الله قال ان العبد المسلم ليصلى الصلاة يريد بها وجه الله فتهافت عنه ذنوبه كما يتهافت هذا الورق عن هذه الشجرة وروى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة وعن الامام أحمد عن أميمة مولاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالت كنت أصب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وضوءه فدخل رجل فقال أوصنى قال لا تشرك بالله شيأ وان قطعت وأحرقت بالنار ولا

تعص والديك وان أمراك أن تخلى من أهلك ودنياك فتخله ولاتشر بن خمرا فأنها مفتاح كل شر ولا تتركن صلاة متعمدا فمن فعل ذلك فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله وعن على رضى الله تعالى عنه من لم يصل فهو كافر ولأجل ذلك ذهب الامام أحمد رضى الله تعالى عنه وبعض أصحاب الشافعى رضى الله تعالى عنه وجماعات من الصحابة الى أن الانسان المكلف اذا ترك الصلاة عمدا من غير حجة يكفر ويخرج من الملة المحمدية وتجرى عليه أحكام المرتدين فلا يورث ولا يغسل ولا يصلى عليه وتبين منه امرأته واستدل بحديث مسلم بين الرجل والكفر أو الشرك ترك الصلاة وقال أبو هريرة كان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرون شيأ من الأعمال تركه كفر الا الصلاة لكن جمهور العلماء كالامام الاعظم والشافعى رضى الله تعالى عنهما قالوا لا يكفر الا الجاحد لوجوبها وأجابوا عن الاحاديث بانها محمولة على مقاربة الكفر أو على كفران النعمة كقوله عليه السلام سباب المسلم فسق وقتاله كفر أو على أن معناها أنه يستحق بتركها عقوبة الكافر وهى القتل وانما حملوه على ذلك لقوله عليه الصلاة والسلام ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء أدخله الجنة وفى الميزان للشعرانى قال الامام مالك والشافعى رحمهما الله تعالى ان من ترك الصلاة كسلا لا جحدا قتل ثم تجرى عليه أحكام المسلمين والصحيح من مذهب الشافعى قتله بصلاة فقط بشرط اخراجها عن وقت الضرورة ويستتاب فان تاب والا قتل وقال أبو حنيفة انه يحبس أبدا حتى يصلى وقال الامام أحمد بن حنبل يقتل بترك صلاة واحدة وتجرى عليه أحكام المرتدين فلا يصلى عليه ولا يورث ويكون ماله فيئا انتهى من الميزان ملخصا وقال السفيرى قيل تقول الملائكة لتارك الفجر يا فاجر ولتارك الظهر يا خاسر ولتارك العصر يا عاصى ولتارك المغرب يا كافر ولتارك العشاء يا مضيع ضيعك الله تعالى وجاء فى الخبر من نام عن صلاة العتمة نادته الملائكة لا نامت عيناك ولا قرتا حبسك الله تعالى بين الجنة والنار كما حبستنا (وليعلم) أن للصلاة فرائض وسننا ومستحبات أما فرائض الصلاة فأجمعوا على أنها سبعة وهى النية للصلاة وتكبيرة الاحرام والقيام مع الاستطاعة والقراءة فى الركعتين للامام والمنفرد والركوع والسجود والجلوس فى آخر الصلاة بمقدار ايقاع السلام فهذه هى الشرائط والاركان المجمع عليها فى المذاهب الاربع وأما ما عدا هذه فمختلف فيه فيما بينهم وللصلاة شرائط وهى كما فى الدر المختار ستة طهارة بدنه من حدث وخبث وثوبه وكذا ما يتحرك بحركته كمنديل طرفه على عنقه وفى الآخر نجاسة مانعة ان تحرك موضع النجاسة بحركات الصلاة منع والا لا بخلاف ما لم يتصل كبساط طرفه نجس وموضع الوقوف والجبهة طاهر فلا يمنع وكذا تشترط طهارة مكانه أى موضع قدميه لقوله تعالى وثيابك فطهر فبدنه ومكانه أولى لانهما ألزم * والرابع ستر عورته ووجوبه عام ولو فى الخلوة وهى للرجل ما تحت سرته الى ما تحت ركبته وشرط الامام أحمد ستر أحد منكبيه أيضا وعند الامام مالك هى القبل والدبر فقط (١) وما هو عورة من الرجل عورة من الامة مع ظهرها وبطنها وجنبها تبع لهما وللحرة جميع بدنها حتى شعرها النازل فى الاصح خلا الوجه والكفين فظهر الكف عورة وتمنع الشابة من كشف الوجه بين رجال لخوف الفتنة ولا يجوز النظر اليه بشهوة كوجه أمرد فانه يحرم النظر الى وجهها ووجه الامرد اذا شك فى الشهوة والخامس النية وهى ارادته والمعتبر فيها عمل القلب وهو أن يعلم بداهة أى صلاة يصلى والتلفظ بها مستحب وعند الحنفية أن مصلى الجنازة ينوى الصلاة لله تعالى والدعاء للميت والسادس استقبال القبلة حقيقة أو حكما كعاجز وهو شرط زائد أى ليس مقصودا لان المسجود له هو الله تعالى حتى لو سجد للكعبة نفسها كفر وشرطه تعالى للابتلاء أى للاختبار كما ابتلى الملائكة بالسجود لآدم وصفة الصلاة التحريمة وهى شرط والقيام فى فرض للقادر عليه والقراءة وهى

---

(١) أى فى الصلاة وأما غيرهما فحرام رؤيته عنده أيضا كذا نقله عنه بعض العلماء اه منه

ركن زائد لسقوطه بالاقتداء لقادر وهى قراءة آية (١) من القرآن والركوع والسجود والقعود الأخير وهو شرط أو ركن زائد قدر التشهد الى عبده ورسوله والخروج بصنعه والصحيح انه ليس بفرض اه واعلموا ان أوقات الصلاة اختلفت فى بعضها المذاهب أما وقت الصبح فهو من طلوع الفجر الصادق ونهايته الى طلوع الشمس اتفاقا وأما أول وقت الظهر فهو من زوال الشمس عن وسط السماء وفى آخره خلاف وأما أول وقت العصر عند الشافعى اذا صار ظل كل شئ مثله ما عدا فىء الزوال وعند أئمتنا الحنفية أول وقت العصر اذا صار ظل كل شئ مثليه ما عدا فىء الزوال وآخر وقتها غروب الشمس فيكون آخر الظهر على هذا الخلاف وأما المغرب فقال مالك والشافعى فى الجديد أن وقت المغرب بعد غروب الشمس لا يؤخر عنه فى الاختيار عند مالك وفى الجواز عند الشافعى وقال أبو حنيفة وأحمد ان لها وقتين أحدهما كقول مالك والشافعى فى الجديد والثانى ان وقتها الى أن يغيب الشفق وهو القول القديم للشافعى والشفق هو الحمرة التى تكون بعد الغروب اه قاله فى الميزان وفى الدر المختار وقت المغرب من غروب الشمس الى غروب الشفق وهو الحمرة عند أبى يوسف ومحمد وبه قالت الائمة الثلاثة واليه رجع الامام أبو حنيفة فكان هو المذهب وفى كتاب الاختيار الشفق البياض وهو مذهب الصديق ومعاذ بن جبل وعائشة رضى الله تعالى عنهم اه فالشفق شفقان أحمر وأبيض والخلاف جار فيه فلا تغفل والبحث مستوفى فى الكتب الفقهية وأما أول وقت العشاء فانه يدخل اذا غاب الشفق الأحمر عند مالك والشافعى وأحمد خلافا لأبى حنيفة على ما تقدم ويبقى الى الفجر اتفاقا عند الأربعة وفى قول بعض الأئمة من التابعين ان العشاء لا تؤخر عن ثلث الليل وفى قول آخر انها لا تؤخر عن نصفه وأما وقت الوتر الواجب عند أبى حنيفة فهو بعد صلاة العشاء الى الفجر واعلم ان هذه الأوقات انما هى للمقيم وأما المسافر سفر طاعة فيباح له القصر والجمع جمع تقديم وتأخير عند الأئمة الثلاثة خلافا لأبى حنيفة وكذلك اختلفوا فى جواز الجمع تقديما وتأخيرا للمقيم عند المطر وتفصيل البحث فى الكتب الفقهية فارجع اليها ان أردتها وليعلم ان الطهارة كما سبق شرط فى الصلاة على القادر عليها وهى عبارة عن الاغتسال من الجنابة والحيض والنفاس والوضوء أو بدل ذلك وهو التيمم أما الاغتسال ففرضه المضمضة والاستنشاق وغسل جميع البدن عند الامام الأعظم والامام أحمد وعند الشافعى المضمضة ليست بفرض (٢) وعند الامام مالك الدلك أيضا واجب ونقض ضفائر الرجل لا المرأة ويقتضى أن يتعهد ما تحت الأظافر والأنف وأما الوضوء ففرائضه عند الحنفية أربعة غسل الوجه وغسل اليدين ومسح ربع الرأس وغسل الرجلين أو مسح الخفين أو الجوربين بشرطه وقد أجمعوا على اشتراط النية ما عدا الامام الأعظم وكذا فى الغسل لقوله عليه الصلاة والسلام إنما الأعمال بالنيات وأبو حنيفة يقول ان الوضوء ليس مقصودا لذاته بل لغيره وهى الصلاة فالنية فيها فرض والبسملة فى ابتدائه غير واجبة خلافا لأحمد فى أحد روايتيه واتفق الأربعة على أن الترتيب والموالاة فى الطهارة مشروعان ثم اختلفوا فى وجوبهما فقال أبو حنيفة لا يجبان وقال الامام مالك الموالاة واجبة دون الترتيب وقال الشافعى الترتيب واجب قولا واحدا وعنه فى الموالاة قولان وقال الامام أحمد فى المشهور عنه أنهما واجبان وعنه رواية أخرى فى الموالاة انها لا تجب واختلفوا فى مسح الرأس فعند أبى حنيفة الربع أو قدر أربع أصابع وعند مالك وأحمد فى أظهر الروايات عنه يجب استيعابه والأذن منه عند أحمد فى رواية فيمسحهما وقال الشافعى يجزئ أن يمسح منه أقل ما يقع عليه إسم المسح والمرفقان والكعبان يغسلان خلافا لمالك والمضمضة والاستنشاق سنة وأوجبهما أحمد فى الوضوء والغسل والامام الأعظم فى الغسل فقط ويستحب أن يتوضأ مستقبل القبلة وأن لا يتكلم بلا

---

(١) وهذا عند الامام الأعظم وأما عند الشافعية والحنبلية فلا بد من قراءته الفاتحة لقوله عليه الصلاة والسلام لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب ودليل الحنفية مبسوط فى محله اه منه (٢) أى فى الغسل اه منه

حاجة لما ورد أن فيه تنزل عليه الرحمة اذا توضأ فاذا تكلم ارتفعت وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من توضأ فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قبل أن يتكلم غفر الله تعالى له ما بين الوضوأين وأن يقرأ بعده قل هو الله أحد لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمر علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه بها وقال ينادي مناد يا مادح الرحمن قم فادخل الجنة وأن يقرأ أيضا إنا أنزلناه لما ورد في الحديث من قرأ إنا أنزلناه عقب وضوئه غفر له ذنوب أربعين سنة والوضوء على الوضوء نور على نور فقد قال عليه الصلاة والسلام ما من مسلم يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقوم في صلاته فيعلم ما يقول إلا اخرج كيوم ولدته أمه رواه الحاكم وأما التيمم فهو عبارة عن ضرب اليدين على الصعيد وهو التراب ومسح الوجه واليدين وقد اختلفوا فيه أيضا في بعض المسائل واتفقوا في بعضها أما ما اتفقوا عليه فهو ان التيمم بالصعيد الطيب عند عدم الماء أو الخوف من استعماله جائز وأجمعوا على وجوب التيمم للجنب كالمحدث وعلى ان المسافر اذا كان معه ماء وخشي العطش فله أن يحبسه ليشربه ويتيمم وعلى أن المحدث اذا تيمم ثم وجد الماء قبل الدخول في الصلاة بطل تيممه ولزمه استعمال الماء وأما ما اختلفوا فيه فمن ذلك قول أبي حنيفة والشافعي التيمم ضربتان مع قول مالك وأحمد واحدة بان يكون ببطون الأصابع للوجه وببطون الراحتين لمسح الكف ومن ذلك قول الشافعي وأحمد الصعيد التراب أو الرمل فيه الغبار وقال أبو حنيفة ومالك يجوز بجميع أجزاء الأرض ولو بحجر لا تراب عليه وزاد مالك ما اتصل بالأرض كالنبات ومن ذلك قول أبي حنيفة والشافعي في الجديد ان مسح اليدين الى المرافق كالغسل في الوضوء مع قول مالك وأحمد الى المرافق مستحب والى الكوعين جائز وقول الزهري الى الآباط ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة لا يجوز الجمع بين فرضين بتيمم واحد وقال أبو حنيفة التيمم كالوضوء ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة لا يجوز التيمم لصلاة العيدين والجنازة في الحضر وان خيف فواتهما مع قول أبي حنيفة بجواز ذلك ومن ذلك قول الشافعي ان من تعذر عليه الماء في الحضر وخاف فوات الوقت فان كان الماء بعيدا عنه أو في بئر ولو استسقى منه خرج الوقت انه يتيمم ويصلي ثم اذا وجد الماء أعاد مع قول مالك انه يصلي بالتيمم ولا يعيد ومع قول أبي حنيفة انه يصبر الى أن يقدر على الماء ومن ذلك قول الشافعي وأحمد في رواية عنه انه اذا وجد ماء لا يكفي جميع الاعضاء يغسل البعض ويتيمم وعند بقية الائمة يتيمم فقط ومن ذلك قول الشافعي من كان بعضوه جرحة وخاف من نزع الجبيرة يمسح على الجبيرة ويتيمم ومع قول أبي حنيفة ومالك ان كان بعض جسده صحيحا وبعضه جريحا ولكن الاكثر هو الصحيح غسله وسقط حكم الجريح ويستحب مسحه بالماء وان كان الصحيح هو الاقل يتيمم وسقط غسل العضو الصحيح وقال أحمد يغسل الصحيح ويتيمم عن الجريح من غير مسح للجبيرة ومن ذلك قول أبي حنيفة ان فاقد الطهورين لا يصلي مع قول الشافعي أنه يصلي ويعيد اذا وجد أحدهما وهو رواية عن مالك وعن أحمد يصلي ولا يعيد اهـ من الميزان ملخصا وأما نواقض الوضوء فقد اتفقوا على أن الخارج من السبيلين ناقض كالبول والغائط والمذي واختلفوا في بعض النواقض قال في الميزان فمن ذلك قول الائمة الثلاثة أنه لا ينقض الخارج النادر كالدود والحصاة والريح من القبل مع قول أبي حنيفة ينقض الريح الخارج من القبل وهو الراجح من مذهب الشافعي فانه قال بالنقض في الثلاثة اهـ (قلت) لكن المصرح به في كتب الحنفية خلافه فقد قال في التنوير والدر لا ينقضه خروج ريح من قبل وذكر لانه اختلاج حتى لو خرج ريح من الدبر وهو يعلم أنه لم يكن من الأعلى فهو اختلاج فلا ينقض وانما قيدنا بالريح لان خروج الدودة والحصاة منهما ناقض إجماعا اهـ قال في الميزان ومن ذلك قول الامام أبي حنيفة لا ينقض الوضوء مس الفرج مطلقا على أي وجه كان مع قول الشافعي والقول الارجح من مذهب أحمد بانتقاضه ببطن الكف وزاد أحمد نقض الطهارة بامس الذكر بظهر الكف أيضا ومع قول مالك ان مسه بشهوة انتقض والافلا ومن ذلك قول

الشافعي وأحمد بنقض طهارة من مس فرج غيره صغيرا كان الممسوس أو كبيرا حيا كان أو ميتا مع قول مالك أنه لا ينقض مس فرج الصغير ومع قول أبي حنيفة انه لا ينقض مطلقا ومن ذلك قول الائمة الثلاثة بعدم نقض الطهارة بامس الأمرد الجميل مع قول الامام مالك بايجاب الوضوء بامسه وحكى ذلك أيضا عن الامام أحمد وغيره ومن ذلك قول الشافعي ان لمس المرأة ينقض إلا ان كانت محرما مع قول مالك وأحمد ان كان ذلك بشهوة نقض والافلا ومع قول أبي حنيفة لا ينقض إلا بالمباشرة الفاحشة وهي الانتشار (١) وأما الملموس فمذهب مالك والراجح من قولي الشافعي واحدى الروايتين عن أحمد أنه كاللامس في النقض انتهى وفي غيره من كتب اختلاف المذاهب أنهم أجمعوا على أنه لا وضوء على من مس أنثييه وقالت الثلاثة إن أكل لحم الجزور وغسل الميت غير ناقض خلافا لاحمد وقالت الثلاثة القهقهة لا تنقض الوضوء بل تبطل الصلاة خلافا لابي حنيفة فانها تنقض عنده بشروطها (٢) المفصلة وينقضه الاغماء والجنون والسكر ولو بأكل حشيشة عند أبي حنيفة واختلفوا في خروج النجاسات من غير السبيلين كالقيء والحجامة وخروج الدم قال أبو حنيفة القيء ملء الفم والدم السائل ناقض وقال مالك والشافعي لا ينقض وقال أحمد اذا كان كثيرا فاحشا ينقض وان كان يسيرا ففيه روايتان ونوم غير المتمكن ناقض اهـ ملخصا واعلموا أن الصلاة لها درجات يزداد الآجر فيها وينقص ومن أعظم ما يزداد الأجر فيها صلاة الجماعة وقد أجمع العلماء على أنها مشروعة وانه يجب اظهارها في الناس فان امتنعوا منها قوتلوا واختلف الأئمة فيها فقال أبو حنيفة والشافعي هي فرض كفاية في غير الجمعة وفي قول عند الحنفية واجبة فقد قال في شرح المنية والاحكام تدل على الوجوب من أن تاركها بلا عذر يعزر وترد شهادته ويأثم الجيران بالسكوت عنه وفي تنوير الابصار والجماعة سنة مؤكدة للرجال وأقلها اثنان واحد مع الامام وقيل واجبة وعليه عامة المشايخ اهـ وقال الامام أحمد فرض عين وقال مالك سنة واختلفوا في إمامة الفاسق فقال أبو حنيفة والشافعي وأحمد في احدى روايتيه بصحة إمامته لكن مع الكراهة وقال الامام مالك وأحمد في أشهر روايتيه أنها لا تصح ان كان فسقه بلا تأويل قال القطب الرباني الشيخ عبد القادر الكيلاني في كتابه الغنية فصل في الخروج الى المسجد والخشوع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما بين صلاة الجماعة والفذ سبع وعشرون درجة وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا توضأ العبد ثم خرج الى المسجد كتب الله عز وجل له بكل خطوة حسنة ومحا عنه سيئة ورفع له درجة ويستبشر الله تعالى كما يستبشر بالغائب الطويل غيبة اذا قدم على أهله وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال بشر المشائين في ظلم الليل الى المساجد بالنور التام يوم القيامة قال الشيخ ويستحب للرجل اذا أقبل للمسجد أن يقبل بخوف ووجل وخشوع وخضوع وأن تكون عليه السكينه والوقار من غير عجب ولا تكبر ولا رياء وافتخار بل بذل وانكسار وينوي بذلك التوجه الى الله عز وجل لانه روي أنه تبارك وتعالى لا يتقبل من المتكبرين عملا حتى يتوبوا وفي الحديث أن الله عز وجل أوحى الى عيسى عليه السلام اذا قمت بين يدي فقم مقام الخائف الذليل الذام لنفسه فانها أولى بالذم واذا دعوتني فادعني وأعضاؤك تنتفض وأبصر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في صلاته فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه اهـ قلت ويكفي في ذلك قوله تعالى الذين هم في صلاتهم خاشعون وقوله عليه الصلاة والسلام الاحسان أن تعبد الله تعالى كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ولذا كان العبث

---

(١) أي وملاقاة الفرجين اهـ (٢) قوله بشروطها وهي أن تكون قهقهة بالغ في صلاة ذات ركوع وسجود اهـ

فى الصلاة مكروها والحركات الثلاث المتواليات مبطلة أوعمل اليدين مبطل أواذا رآه الرائى يظنه ليس فى الصلاة على أقوال مبسوطة فى كتب الفقهاء ثم اعلموا أن العلامة ابن حجر الهيتمى قدعد ترك الجماعة فى كتابه الزواجر من الكبائر قال أخرج الشيخان عنه عليه الصلاة والسلام لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أنطلق برجال معهم حزم من حطب الى قوم لايشهدون الجماعة فأحرق عليهم بيوتهم وروى أحمد والطبرانى بحسب المؤمن من الشقاء والخيبة أن يسمع المؤذن يثوب بالصلاة فلا يجيبه والتثويب هنا اسم لاقامة الصلاة وقال كعب الاحبار فى قوله تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون والله مانزلت الافى المتخلفين عن الجماعات وسئل ابن عباس عمن يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلى فى الجماعة ولا يجمع يوم الجمعة فقال ان مات هذا فهو فى النار واعلم أنه قد ذهب بعض العلماء الى تفضيل الصلاة فى الفلاة على الجماعة لما روى أبو داود عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصلاة فى الجماعة تعدل خمسا وعشرين صلاة فاذا صلاها فى فلاة فأتم ركوعها وسجودها بلغت خمسين صلاة فياهذا اذا صليت والقلب غائب كان وجود الصلاة كالعدم

هو بالروم مقيم * وله بالشام قلب

ياذا هل القلب فى الصلاة حاضر الذهن فى الهوى جسده فى المحراب وقلبه فى بلاد الغفلة يدور كل باب يامن شاب وماتاب اكتسب باقى الرمق كان الشباب غصنا غضا انخلاع عن ورق وأنت فى الشيب كالشباب تجرى على نسق ياغريقا فى الهوى صح من قبل الغرق ليأتينك من الموت مالا يقبل رشوة ولامالا يامختالا اجهلا وضلالا لقد حملت أزرك أوزارا ثقالا ايالك والمنى فكم وعد المنى محالا كم سقى الموت من الحسرات كؤسا كم فرغ ربعا عامرا مأنوسا كم طمس بدورا وشموسا وأغمض عيونا ونكس رؤسا وأبدل التراب عن الثياب ملبوسا ياهذا احذر الأمل وبادر العمل فكانك بالأجل على عجل أنت كل يوم تتقرب وسترحل الى البلاد وتغرب وسيأ كل المحب بعدك ويشرب وكأنك به اذا ذكرته يطرب فخذ العدة واسمع نصحى فنصحى مجرب اللهم إنا الى رحمتك محتاجون وبكرمك واثقون وعلى بابك عاكفون ولنعمائك شاكرون ولآلائك ذاكرون والى طاعتك داعون ولمخالفتك كارهون ومن نورك مقتبسون فاحفظنا فى أحوالنا ووفقنا فى أقوالنا وأفعالنا واجعل علينا رقيبا منا حتى لانعتمد الاعلى رضاك ولا نقصد من الدارين الا اياك اللهم حسن إيماننا بالتوفيق وزين سرائرنا بالتحقيق وعلمنا مالم نعلم وانفعنا بما تعلمنا وتجاوز عن أبائنا وأمهاتنا وجميع أموات المسلمين اللهم انا نسألك من الخير أوله وآخره والدرجات العلى من الجنة آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

﴿ المجلس التاسع ﴾

(فيما يتعلق بالصلاة أيضا)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الواحد القديم الجبار القادر العظيم القهار المتعالى عن درك الخواطر والافكار المنفرد بالعز والقهر والاقتدار الذى وسم كل مخلوق بسمة الافتقار وأظهر آثار قدرته بتصريف الليل والنهار سميع بصير يسمع لا كالاسماع ويبصر لا كالابصار قادر مدبر حكيم عليم بالاسرار يبصر دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الغار ويسمع أنين المدنف يشكو مابه من اضرار كلم موسى كفاحا لماقضى الاجل وسار

ورآه نبينا كمادل على ذلك القرآن والاخبار ويراه المؤمنون اذا نزلوا دار القرار صفاته كذاته والمشبهة كفار نفر ونمر وأرباب البحث فى خسار أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار أحمده فى الاعلان والاسرار وأشهد بوحدانيته بأصح اقرار وأصلى على رسوله محمد سيد الانبياء الاطهار صلى الله تعالى عليه وعلى أبى بكر رفيقه فى الغار وعلى عمر قامع الكفار وعلى عثمان شهيد الدار وعلى على القائم بالاسحار وعلى سائر آله وأصحابه خصوصا المهاجرين والانصار ﴿أما بعد﴾ فنروى بسندنا الى الامام مسلم بن الحجاج النيسابورى عليه الرحمة فانه قد قال فى جامعه الصحيح وكتابه الحرى بالترجيح عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال حدثنى أبى عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لايرى عليه أثر السفر ولايعرفه منا أحد حتى جلس الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يامحمد أخبرنى عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاسلام أن تشهد أن لااله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة الحديث (فنقول) وبالله تعالى التوفيق قد تقدم الكلام فى الدرس الماضى على بعض المسائل المتعلقة بالصلاة وبقى عليها كلام كثير نذكر بعضه ان شاء الله تعالى فى هذا الدرس فنه الاذان والاقامة قال الامام أبو حنيفة ومالك والشافعى ان الاذان والاقامة سنتان للصلوات الخمس والجمعة وقال الامام أحمد انهما فرض كفاية على أهل الامصار وقال داود انهما واجبان لكن تصح الصلاة بتركهما وقال الاوزاعى ان نسى الاذان وصلى أعاد فى الوقت وقال عطاء ان من نسى الاقامة أعاد الصلاة وقال الأئمة الثلاثة لاتسن للنساء الاقامة وقال الشافعى انها تسن فى حقهن وفى كتاب كشف الغمة للشعرانى عليه الرحمة كان عبد الله بن زيد رضى الله تعالى عنه يقول سبب الاذان يعنى على هذه الهيئة المشروعة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما أجمع أن يضرب بالناقوس وهو كاره له لموافقته النصارى طاف بى طائف من الليل وأنا نائم رجل عليه ثوبان أخضران وفى يده ناقوس يحمله قال فقلت له ياعبد الله أتبيع الناقوس قال وماتصنع به قال قلت ندعو به الى الصلاة قال أفلا أدلك على خير من ذلك فقلت بلى قال تقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله حى على الصلاة حى على الصلاة حى على الفلاح حى على الفلاح الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله قال ثم استأخر غير بعيد قال ثم تقول إذا قمت للصلاة الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله حى على الصلاة حى على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله قال عبد الله بن زيد فلما أصبحت أتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبرته بمارأيت فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إن هذه رؤيا حق إن شاء الله تعالى فقم مع بلال فألق عليه مارأيت فانه أندى صوتا منك قال فقمت مع بلال فجعلت ألقيه عليه ويؤذن به فسمع بذلك عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهو فى بيته فخرج يجر رداءه يقول والذى بعثك بالحق نبيا لقد رأيت مثل الذى أرى فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلله الحمد فكان بلال يؤذن بذلك ويدعو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الصلاة فجاءه يوما فدعاه ذات غداة الى الفجر فقيل له ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نائم فصرخ بلال بأعلا صوته الصلاة خير من النوم فأدخلت هذه الكلمة فى التأذين فى صلاة الفجر دون غيرها وفى رواية فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ماأحسن هذا يابلال اجعله فى آذانك وفى رواية أن بلالا كان ينادى بالصبح حى على خير العمل فأمره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يقول مكانها الصلاة خير من النوم وترك حى على خير العمل وقد جاء فى فضل الأذان أحاديث كثيرة فمنها قوله عليه الصلاة والسلام من أذن سنة محتسبا قيل له يوم

القيامة اشفع لمن شئت وقال صلى الله تعالى عليه وسلم إن خيار عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والنجوم لذكر الله عز وجل وسيأتى على الناس زمان يكون سفلتهم مؤذنوهم وكان مجاهد يقول المؤذنون احتسابا لله تعالى لا يدودون فى قبورهم وقال صلى الله تعالى عليه وسلم إذا أذن فى قرية آمنها الله من عذابه ذلك اليوم وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لو يعلم الناس ما فى التأذين لتضاربوا عليه بالسيوف وروى أيضا عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال المؤذن يغفر له مدى صوته ويصدقه كل رطب ويابس وزاد النسائى وله مثل أجر من صلى معه وروى الطبرانى عن أنس رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لو أقسمت لبررت إن أحب عباد الله إليه لرعاة الشمس والقمر يعنى المؤذنين وأنهم ليعرفون يوم القيامة بطول أعناقهم وروى البخارى فى تاريخه عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما قال جاء رجل الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال كن مؤذنا قال لا أستطيع قال كن إماما قال لا أستطيع قال قم بازاء الامام وروى أبو داود والنسائى عن عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يعجب ربك عز وجل من راعى غنم فى رأس شظية للجبل يؤذن بالصلاة ويصلى فيقول الله عز وجل انظروا الى عبدى هذا يؤذن ويقيم الصلاة يخاف منى قد غفرت لعبدى وأدخلته الجنة قال فى كشف الغمة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يجهر باجابة المؤذن حتى يسمع من حوله وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول عليكم بالدعاء بين الأذان والاقامة فان الدعاء بينهما لا يرد وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لعن الله من سمع حى على الفلاح ثم لم يجب وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا كنتم فى المسجد فنودى بالصلاة فلا يخرج أحدكم حتى يصلى ※ خاتمة ※ قال شيخنا رضى الله تعالى عنه لم يكن التسليم الذى يفعله المؤذنون فى أيام حياته صلى الله تعالى عليه وسلم ولا الخلفاء الراشدين قال كان فى أيام الروافض بمصر شرعوا التسليم على الخليفة ووزرائه بعد الأذان الى أن توفى الحاكم بأمر الله وولوا أخته فسلموا عليها وعلى وزرائها من النساء فلما تولى الملك العادل صلاح الدين بن أيوب أبطل هذه البدعة وأمر المؤذنين بالصلاة والتسليم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بدل تلك البدعة وأمر بها أهل الأمصار والقرى فجزاه الله تعالى خيرا اه ومنه الصلاة فى المقبرة قال فى الميزان قال أبو حنيفة والشافعى تصح الصلاة فى المواضع المنهى عنها مع الكراهة وبه قال مالك الا فى المقبرة المنبوشة فان كانت غير منبوشة كرهت وأجزأت وقال الامام أحمد انها تبطل على الاطلاق اه وقال فى الدر المختار يكره الصلاة فى أماكن كفوق الكعبة لما فيه من ترك التعظيم وفى الطريق والمزبلة والمجزرة والمقبرة لان أصل عباد الأصنام اتخاذ قبور الصالحين مساجد وقيل لانه تشبه باليهود وقيل لان فيها صديد الموتى وكذا تكره فى المغتسل والحمام ومعابد الكفار وبطن واد فان الغالب احتواؤه على نجاسة يحملها اليه السيل أو تلقى فيه وكذا فى معاطن إبل وغنم وبقر ومرابط دواب وطاحون ولعله لشغل البال بصوتها وكنيف وسطوحها وأرض مغصوبة (قلت) وألحق فى الأرض المغصوبة بعض الفقهاء ما يفعله بعض الناس من إرسال السجادات قبلهم الى المساجد وكذا الأرض المزروعة أو المكروبة وصحراء بلا سترة لمار وقد نظم ذلك بعضهم فقال

نهى الرسول أحمد خير البشر ※ عن الصلاة فى بقاع تعتبر
معاطن الجمال ثم مقبره ※ مزبلة طريق ثم مجزره
وفوق بيت الله والحمام ※ والحمد لله على التمام

اه مزادا من الحاشية وغيرها وقال العلامة ابن حجر فى الزواجر ومن الكبائر اتخاذ القبور مساجد وايقاد السرج عليها واتخاذها أوثانا والطواف بها واستلامها والصلاة اليها أخرج الطبرانى لا تصلوا الى قبر ولا تصلوا على قبر وروى أحمد رحمه الله تعالى عن ابن عباس قال لعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج وروى الحاكم الأرض كلها مسجد الا المقبرة والحمام وروى أبو هريرة لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وروى الشيخان ان أولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصورة أولئك شرار الخلق عند الله تعالى يوم القيامة اه (قلت) ويستفاد من ذلك حرمة ما يفعله كثير من جهلة العوام من نذر ايقاد الشموع والسرج عند مقابر الصالحين وهو باطل وحرام ومثله وضع الحناء على مقابرهم وجعل الراية البيضاء المتداولة عند جهلة الناس لهم لانهم ظنوا أن الميت يتصرف بالأمور دون الله تعالى واعتقاد ذلك كفر الا إن نذر لله تعالى الايقاد فى المساجد فهو جائز وقد فصل هذا البحث بأتم مما ذكرنا العلامة ابن عابدين الحنفى فى حاشيته على الدر المختار وغيره من علماء الأمصار ولعل لنا عودة الى هذا المبحث إن شاء الله تعالى ولنرجع الى المسائل المتعلقة بالصلاة فاعلموا ان أهل الصلاة هو الطاهر فلا تصح من غير طاهر كما لا تصح من جنب حتى يغتسل أو يتيمم لفقد الماء ولا من نفساء وحائض حتى تطهرا وتغتسلا أو تتيمما لفقد الماء ولنبين بحوله تعالى مدة الحيض والنفاس على المذاهب الأربعة فان ذلك من ضروريات الدين قال الله تعالى واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وروى ما أخذ الله على الجهال أن يتعلموا الا أخذ على العلماء أن يعلموا وقال ابن حجر فى شرح الحضرمية يجب على النساء أن يتعلمن ما يحتجن اليه من هذا الباب كغيره فان كان زوجها عالما لزمه تعليمها والا فلها الخروج لتعلم ما لزمها تعلمه عينا بل يجب ويحرم منعها الا أن يسأل ويخبرها وليس لها خروج لتعلم غير واجب الا برضاه اه فنقول قال الشيخ عبد الوهاب الشعرانى أجمع الأمة على أن فرض الصلاة ساقط عن الحائض مدة حيضها وعلى أنه لا يجب عليها قضاؤها وعلى أنه يحرم عليها (١) الطواف بالبيت واللبث بالمسجد وعلى أنه يحرم وطؤها حتى ينقطع حيضها وعلى أنه يحرم بالنفاس ما يحرم بالحيض هذا ما أجمعوا عليه واختلفوا فى أقل الحيض وأكثره فقال أبو حنيفة أقله ثلاثة وأكثره عشرة أيام والزائد استحاضة تصوم وتصلى فيها وقال الشافعى أقله يوم وليلة وأكثره خمسة عشر يوما وقال مالك أقله ليس له حد وأكثره خمسة عشر وأقل طهر بين حيضتين خمسة عشر يوما عند أبى حنيفة والشافعى وقال أحمد ثلاثة عشر يوما ومن ذلك قول أكثر العلماء أنه يحرم وطء من انقطع دمها حتى تغتسل وقال أبو حنيفة ان انقطع لأكثر الحيض جاز وطؤها قبل الغسل وان لدون حتى تغتسل أو يمضى عليها وقت صلاة ومن ذلك اتفقوا على أن الحائض كالجنب فى الصلاة وأما فى القراءة فقال أبو حنيفة والشافعى وأحمد انها لا تقرأ القرآن وقال مالك وداود تقرأ القرآن وفى أخرى عنه تقرأ اليسير فقط ومن ذلك قول أبى حنيفة وأحمد ان الحامل لا تحيض مع قول مالك والشافعى انها تحيض فعلى الأول تصلى اذا رأت الدم وعلى الثانى لا تصلى لانه حيض ومن ذلك قول أبى حنيفة وأحمد عليهما الرحمة أكثر النفاس أربعون يوما وقال مالك والشافعى ستون يوما وأقله لحظة عندنا والشافعى إلا عند نصب العادة فى الحيض والنفاس اه (قلت) واتفقوا على أن الحائض لا تطوف بالكعبة المشرفة إلا فى رواية عن إمامنا الأعظم أنها تطوف وتفدى بدنة وقد وافقه فى جواز الطواف المذكور من الحنابلة شيخ الاسلام تقى الدين الحرانى كما بيناه فى كتابنا الجلاء فليحفظ وليعلم أن العلامة ابن حجر قد عد جملة من المسائل المتعلقة بالصلاة من الكبائر فمنها إمامة الانسان لقوم وهم له كارهون فقد أخرج الحاكم ثلاثة لعنهم الله من تقدم قوما وهم له كارهون وامرأة

(١) أقول هذا الاجماع منظور فيه قد جوز بعض الأئمة الطواف للحائض وان تهدى بدنة فلا تغفل اه منه

باتت و زوجها عليها ساخط و رجل يسمع حي على الصلاة حي على الفلاح فلم يجب و روى الترمذي ثلاثة لاتجاوز صلاتهم آذانهم العبد الآبق حتى يرجع وامرأة باتت و زوجها عليها ساخط وامام قوم وهم له كارهون، في رواية و رجل اعتبد حرا أي جعله عبدا أو أخوان متصارمان وكذلك قالوا لا يؤم الرجل جماعة وفيهم من هو أعلم وأتقى منه فقد روى اذا أم القوم رجل وخلفه من هو أفضل منه لم يزالوا في سفال وادبار ومنها مسابقة الامام أخرج الشيخان أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أما يخشى أحدكم اذا رفع رأسه من ركوع أو سجود قبل الامام أن يجعل الله رأسه رأس حمار أو يجعل الله صورته صورة حمار وفي رواية الذي يخفض و يرفع قبل الامام انما ناصيته بيد شيطان ومنها قطع الصف وعدم تسويته أخرج جماعة وصححه الحاكم من وصل صفا وصله الله ومن قطع صفا قطعه الله وصح أيضا ان الله وملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف وصح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسويهم في صفوفهم بيده الشريفة و يقول لا تختلفوا فتختلف قلوبكم ومنها تخطي الرقاب لاسيما يوم الجمعة أخرج الترمذي وابن ماجه من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا الى جهنم و روى أنه عليه الصلاة والسلام قال لرجل قد رأيتك تتخطى رقاب الناس وتؤذيهم من آذى مسلما فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله عز وجل اه (قلت) و يلتحق بذلك سؤال المساجد الذين يدورون بين الصفوف فلذا منع الفقهاء اعطاءهم و يلتحق بذلك من يرسل سجادته قبله ثم يخترق الصفوف اليها ومما يلحق بذلك أكلة الثوم والبصل ونحوهما وشربة التتن وذوو الرائحة الكريهة بالقياس على ذلك لقوله عليه الصلاة والسلام من أكل من هاتين الشجرتين يعني الثوم والبصل فلا يقرب مسجدنا يؤذينا ومنها المرور بين يدي المصلي إلا بسترة بشرطها أخرج الشيخان وأصحاب السنن لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه لكان يقف أربعين خريفا وفي رواية مائة عام خير له من أن يمر بين يديه وصح أيضا فلا يدع أحدا يمر بين يديه وان أبى فليقاتله فانه معه القرين أي الشيطان وقد أطاعه (قلت) ونحو ذلك استقبال أحد المصلي بوجهه بخلاف صلاته الى ظهره فقد روى في الأثر ما أفلح وجه صلي اليه لانه يشبه العبادة ولذا كرهت الصلاة الى النار التي هي جمر بخلاف السراج (واعلم) انهم اختلفوا في المرور الذي هو بين يدي المصلي فبعضهم قال هو ما بين المصلي وموضع سجوده و بعضهم قال مطلقا إلا اذا كانت سترة أو بعدت المسافة كما فصل في الكتب الفقهية وقالت الأئمة لا تبطل الصلاة بمرور حيوان بين يدي المصلي ولو كان حائضا أو حمارا أو كلبا أسود وقال الامام أحمد الكلب الأسود يقطع الصلاة وفي قلبي من الحمار والمرأة شئ (١) فرحم الله عبدا أحسن صلاته التي هي عماد الاسلام وسهر ليله والناس نيام فيا مضيع الزمان فيما ينقص الايمان يا معرضا عن الأرباح متعرضا للخسران متى تنتبه من رقادك أيها الوسنان متى تفيق لنفسك أما حق أما آن الى م ترفض قول الناصح وقد أتاك بأمر واضح أترضى بالشين والقبائح كأني بك قد نقلت الى بطون الصفائح و بقيت محبوسا الى الحشر تحت الضرائح وختم الكتاب على آفات وقبائح من رأيت من آفات الدنيا سلم ومن شاهدت صحيحا وما سقم أي حياة بالموت لم تختم وأي عمر بالساعات لم ينصرم ان الدنيا الغرور حائل وسرور الى الشرور آيل تردي مستزيدها وتؤذي مستفيدها بينا طالبها يضحك أبكته و يفرح بسلامته أهلكته فندم على زلله إذ قدم على عمله و بقي رهين خوفه ووجله وود أن لو زيد ساعة في أجله فما هو إلا الأسير في حفرته وحسير في سفرته

ياواقفا يسأل القبور أفق * فأهلها اليوم عنك قد شغلوا

---

(١) أقول ومما يجب التنبيه عليه أيضا في هذا المقام الكلام عندما يخطب الامام فانه على ما صرحوا به حرام كما سنفصله ان شاء الله تعالى في محله اه منه

قد هالهم منكر وصاحبه * وخوف ما قدموا وما عملوا
رهائن للثرى على مدر * تسمع للدود بينهم زجل
سرى البلى في جسومهم فجرت * دما وقيحا وسالت المقل
ينتظرون النشور إذ يقف الأ * ملاك والأنبياء والرسل
يوما ترى الصحف فيه طائرة * وكل قلب له من هوله وجل
قد دنت الشمس من رؤسهم * والنار قد أبرزت لها شعل
وأزلفت جنة النعيم فيا * طوبى لقوم بربعها نزلوا
أكوابهم عسجد يطاف بها * والخمر والسلسبيل والعسل

﴿ المجلس العاشر ﴾

﴿ من حديث جبريل عليه الصلاة والسلام أيضا في الزكاة و بعض واجباتها ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي أعان بفضله الأقدام السالكه وأنقذ برحمته النفوس الهالكه ذم الدنيا وأعلم أن سيوف غدرها باتكه وأعرض عن أهلها الا العصبة الناسكه وكيف يسكن اليها ونوق الرحيل باركه وسيقرع محبها سنه ندما اذا أصبحت سن الزاهد ضاحكه كم بينك و بينهم يا من نفسه عليها متهالكه فالعمل على تقوى رابعة لا على انبساط بوران وعاتكه سعد من رأى الدنيا فتصبر ورضي بوصف أشعث أغبر وأقبلت عليه بزخرفها فأدبر لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكه أحمده على الأمور اللذيذة والشائكه وأقر بوحدانيته إقرار عبد يعرف مالكه وأصلي وأسلم على رسوله محمد صلوات متداركه وعلى صاحبه أبي بكر الذي تحرض عليه الفرقة الآفكه وعلى عمر الذي كانت نفسه لنفسه مالكه وعلى عثمان منفق الأموال المتداركه وعلى علي مجلي الكرب المظلمة الهالكه وعلى بقية الصحابة الذين هم أناروا الظلم الحالكه ﴿ أما بعد ﴾ فنروى بسندنا الى الامام مسلم بن الحجاج النيسابوري فانه قال في جامعه الصحيح الحري بالترجيح عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال حدثني أبي عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأسند ركبتيه الى ركبتيه و وضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة الحديث (فنقول) و بالله تعالى التوفيق و بيده أزمة التحقيق قد تقدم الكلام على أول الحديث في الدروس السالفة و بقي الكلام على قوله صلى الله تعالى عليه وسلم وتؤتي الزكاة فالزكاة هي من أركان الاسلام وقد وردت فيها آيات عظيمة وأحاديث كريمة وقد قرنت بالصلاة في اثنين وثلاثين موضعا في التنزيل وهذا دليل على كمال الاتصال بينهما ولذا قدمت على الصوم ولفرضها قبله قيل ولا تجب على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إجماعا لان الزكاة طهرة لمن عساه أن يتدنس والأنبياء مبرؤن منه وليس يبقى لهم مال وأما قوله تعالى حكاية عن عيسى وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا فالمراد بها زكاة النفس من الرذائل التي لا تليق بمقامات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو أوصاني بتبليغ الزكاة والزكاة لغة الطهارة والنماء وشرعا تمليك جزء مال خرج الاباحة فلو أطعم يتيما ناويا الزكاة لا يجزئه إلا اذا دفع اليه المطعوم كما لو كساه فانه يجزئه وقوله جزء مال خرج المنفعة فلو سكن فقيرا داره سنة ناويا لا يجزئه عينه الشارع وهو ربع عشر نصاب

حولى خرج النافلة والفطرة من مسلم فقير غير هاشمى قيل ولا لتارك الصلاة ولا مولاه أى معتق الهاشمى وهم
آل عباس وعلى وجعفر وعقيل وولد الحرث بن عبد المطلب مع قطع المنفعة عن المملك فلا يدفع لأصله وفرعه
ويكون النصاب فارغا عن دين له مطالب من جهة العباد وهذا اذا كان الدين فى ذمته قبل وجوب الزكاة فلو
لحقه بعده لم تسقط لانها ثبتت فى ذمته فلا يسقطها ما لحق من الدين بعد ثبوتها ويشترط أيضا أن يكون النصاب
فارغا عن حاجته الأصلية لان المشغول بها كالمعدوم وفسره ابن ملك بما يدفع عنه الهلاك تحقيقا كثيابه
ونفقته ودور سكناه وآلات الحرب أو تقديرا كالدين فان المديون محتاج الى قضائه بما فى يده من النصاب دفعا
للحبس وكآلات الحرفة وأثاث المنزل ودواب الركوب وكتب العلم لاهلها ولغير أهلها غير أن الاهل له أخذ الزكاة
من الغير والمديون يزكى الفاضل عن دينه وافتراضها عمرى أى على التراخى وقيل فورى وعليه الفتوى
فيأثم بتأخيرها بلا عذر وترد شهادته ولا زكاة فى اللآلئ والجواهر الا أن تكون للتجارة ولا زكاة فى السائمة
المعلوفة فى أكثر الحول الا أن تكون للتجارة فتجب فيها زكاة التجارة وزكاة الابل نصابها خمس فيؤخذ من
كل خمس منها الى خمس وعشرين شاة وفى خمس وعشرين بنت مخاض وهى التى طعنت فى الثانية وفى ست
وثلاثين بنت لبون وهى التى طعنت فى الثالثة وفى ست وأربعين حقه وهى التى طعنت فى الرابعة وفى
احدى وستين جذعة وهى التى طعنت فى الخامسة وفى ست وسبعين بنتا لبون وفى احدى وتسعين حقتان
الى مائة وعشرين هكذا كتب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه ثم تستأنف الفريضة
عندنا وقال الشافعى وأحمد اذا زادت على مائة وعشرين واحدة ففيها ثلاث بنات لبون الى مائة وثلاثين ففيها
حقة وبنتا لبون وعن مالك قولان أحدهما كمذهب الامام أبى حنيفة والآخر كالشافعى ونصاب البقر
والجاموس ثلاثون سائمة وفيها تبيع وهو ذو سنة وفى أربعين مسن ذو سنتين وفيما زاد بحسابه لا يكون عفوا الى
ستين ففيها ضعف ما فى ثلاثين ونصاب الغنم ضأن ومعز أربعون وفيها شاة وفى مائة واحدى وعشرين شاتان
وفى مائتين وواحدة ثلاث شياه وفى أربعمائة أربع شياه وما بينهما عفو ثم فى كل مائة شاة ولو أخذ البغاة
والسلاطين الجائرة زكاة السوائم والعشر والخراج لا اعادة على أربابها إن صرف فى محله الشرعى والا فعليهم
فيما بينهم وبين الله تعالى ونصاب الذهب عشرون مثقالا والفضة مائتا درهم وفى عرض تجارة قيمته نصاب
ربع عشر وفى كل خمس بحسابه ففى كل أربعين درهما درهم وفى كل أربعة مثاقيل قيراطان وما بين الخمس
الى الخمس عفو وقالا ما زاد بحسابه واليه ذهب أحمد ومالك والشافعى وشرط حولان الحول وكمال النصاب فى
طرفى الحول فلا يضر نقصانه بينهما ويضم عند الثلاثة الذهب الى الفضة وعكسه قيمة خلافا للشافعى وتجب عند
الحنفية وان كان حليا وقال مالك وأحمد لا تجب وعن الشافعى قولان واتفق الأئمة على وجوب الزكاة فى الأوانى
ذهبا وفضة وان كانت محرمة وعصى الله تعالى باستعمالها وأما الأحاديث الواردة فى فضل الزكاة فمنها ما روى عن
أبى هريرة وأبى سعيد رضى الله تعالى عنهما قال خطبنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال والذى نفسى
بيده ثلاث مرات ثم أكب فأكب كل رجل منا يبكى لا يدرى على ماذا حلف ثم رفع رأسه وفى وجهه البشرى
فكانت أحب الينا من حمر النعم قال ما من عبد يصلى الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويخرج الزكاة ويجتنب
الكبائر السبع الا فتحت له أبواب الجنة وقيل له ادخل بسلام وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال
أتى رجل من بنى تميم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يارسول الله إنى ذو مال كثير وذو أهل وحاضرة
فأخبرنى كيف أصنع وكيف أنفق فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تخرج الزكاة من مالك فانها طهرة
تطهرك وتصل أقرباءك وتعرف حق المسكين والجار والسائل وعن عبيد بن عمير عن أبيه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فى حجة الوداع ان أولياء الله المصلون ومن يقيم الصلوات الخمس التى كتبهن الله تعالى

عليه ويصوم رمضان ويحتسب صومه ويؤتى الزكاة محتسبا طيبة بها نفسه ويجتنب الكبائر التى نهى الله
تعالى عنها الا رافق محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فى بحبوحة جنته أبوابها مصارع الذهب فقال رجل من أصحابه
يارسول الله وكم الكبائر قال تسع أعظمهن الاشراك بالله وقتل المؤمن بغير حق والفرار من الزحف وقذف
المحصنة والسحر وأكل مال اليتيم وأكل الربا وعقوق الوالدين المسلمين واستحلال البيت العتيق الحرام
قبلتكم أحياء وأمواتا وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما من
صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها الا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فاحمى عليها فى نار
جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى
بين العباد فيرى سبيله إما الى الجنة وإما الى النار قيل يارسول الله فالابل قال ولا صاحب إبل لا يؤدى منها
حقها ومن حقها حلبها يوم وردها الا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر (١) أوفر ما كانت لا يفقد منها
فصيلا واحدا تطؤه باخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين
ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما الى الجنة وإما الى النار قيل يارسول الله فالبقر والغنم قال ولا
صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى منها حقها الا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها
شيأ ليس منها عقصاء (٢) ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما مر عليه أولاها رد عليه
أخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما الى الجنة وإما الى النار قيل
يارسول الله فالخيل قال الخيل ثلاثة هى لرجل وزر وهى لرجل ستر وهى لرجل أجر فاما التى هى له وزر فرجل
ربطها رياء وفخرا ونواء لاهل الاسلام فهى له وزر وأما التى هى له ستر فرجل ربطها فى سبيل الله ثم لم ينس حق
الله فى ظهورها ولا رقابها فهى له ستر وأما التى هى له أجر فرجل ربطها فى سبيل الله لاهل الاسلام فى مرج أو
روضة فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من شئ إلا كتب له عدد ما أكلت حسنات وكتب له عدد أرواثها
وأبوالها حسنات ولا تقطع طولها فاستنت شرفا أو شرفين الا كتب له عدد آثارها وأرواثها حسنات ولا مر
بها صاحبها على نهر فشربت منه ولا يريد أن يسقيها الا كتب الله تعالى له عدد ما شربت حسنات قيل يارسول
الله فالحمر قال ما أنزل على فى الحمر الا هذه الآية الفاذة الجامعة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره رواه البخارى ومسلم وفى رواية للنسائى قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما من رجل
لا يؤدى زكاة ماله الا جاء يوم القيامة شجاعا من نار فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره فى يوم كان مقداره خمسين
ألف سنة حتى يقضى بين الناس وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما تلف مال فى بر ولا بحر الا بحبس
الزكاة وروى ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا معشر المهاجرين خصال خمس
إن ابتليتم بهن ونزلن بكم أعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم
الأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان
ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا المطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط
عليهم عدو من غيرهم فيأخذ بعض ما فى أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم وقال سبحانه
وتعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم
القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير قال ابن عمر قال عليه الصلاة والسلام ان الذى

---

(١) القرقر الأرض المطمئنة اللينة اهـ منه (٢) قال فى القاموس الاعقص من التيوس ما التوى قرناه على أذنيه من خلفه و بقر جلح كسكر بلا قرون والعضباء الشاة المكسورة القرن الداخل اهـ منه

لا يؤدّي زكاة ماله يخيل اليه ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان (١) فيلزمه أن يطوّقه يقول أنا كنزك
ولله ميراث السموات والأرض فمالهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله وحكى في نزهة المجالس أنه
كان في زمن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما رجل كثير المال فلما مات حفروا قبره فوجدوا فيه ثعبانا عظيما
فاخبروا ابن عباس بذلك فقال احفروا غيره فحفروا فوجدوا الثعبان فيه حتى حفروا سبع قبور فسأل ابن
عباس من أهله عن حاله فقالوا إنه كان يمنع الزكاة فأمرهم بدفنه معه وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويل
للاغنياء من الفقراء يقولون ربنا ظلمونا حقوقنا التي فرضت لنا فيقول وعزتي وجلالي لأدنينكم
ولأبعدنهم ﴿ فائدة ﴾ اختلف العلماء هل الفقير الصابر أفضل أم الغني الشاكر فقيل الغني الشاكر
وقال جمع الفقير الصابر لما روى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء
واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء وفي رواية فرأيت أكثر أهلها الاغنياء وقال صلى الله تعالى
عليه وسلم التقى مؤمنان على باب الجنة مؤمن غنيّ ومؤمن فقير كانا في الدنيا فأدخل الفقير الجنة وحبس
الغنيّ ما شاء الله تعالى أن يحبس ثم أدخل الجنة فلقيه فقال يا أخي ماذا حبسك والله لقد خشيت حتى خفت
عليك فقال يا أخي إني حبست بعدك حبسا فظيعا كريها ما وصلت اليك حتى سال مني العرق ما لو ورد ألف
بعير لصدرت عنه ولما قال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة
المساكين يوم القيامة قالت عائشة ولم يا رسول الله قال لانهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا يا عائشة
لا تردي مسكينا ولو بشق تمرة يا عائشة أحبي المساكين وقربيهم فان الله يقربك يوم القيامة رواه الترمذي
واعلموا أن الصدقة ما عدا الزكاة من أفضل الاعمال وجنة في الدنيا والآخرة للخلاص من الشدائد
والاهوال ولا سيما صدقة السر فانها تطفئ غضب الرب وقد روى الترمذي وغيره أن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم قال سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل الا ظله الامام العادل وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ورجل
قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال
فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله تعالى خاليا
ففاضت عيناه روى الطبراني ما نقصت صدقة من مال وما مد عبد يده بصدقة الا ألقيت في يد الله قبل أن تقع في
يد السائل وما فتح عبد باب مسئلة له عنها غنى الا فتح الله له باب فقر يقول العبد مالي مالي وانما له من ماله ثلاث
ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فاقتنى وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس وقال عليه الصلاة والسلام ما
منكم من أحد الا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى الا ما قدم فينظر أشمل منه فلا يرى الا
ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ
الماء النار وفي حديث كعب بن عجرة يا كعب انه لا يدخل الجنة لحم ودم نبتا على سحت النار أولى به يا كعب
الصلاة قربان والصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة وتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء وفي رواية ان الله
ليدرأ بالصدقة سبعين بابا من ميتة السوء كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس وفي رواية الصدقة
تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر وكل معروف صدقة وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في
الآخرة وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة وأول من يدخل الجنة أهل المعروف وروى من كسا
مسلما ثوبا لم يزل في ستر الله عز وجل ما دام عليه منه خيط أو سلك وروى أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عرى كساه
الله تعالى من خضر الجنة وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله تعالى من ثمار الجنة وأيما مسلم سقى مسلما
على ظمأ سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة رحم

(٣) الزبيب سم الحية والزبيبتان اسم ريق الحية اهـ منه

وكل قرض صدقة وفي رواية رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوبا الحسنة بعشر أمثالها والقرض بثمانية
عشر ما من مسلم يقرض مسلما قرضا مرة الا كان كتصدقه مرتين من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا
والآخرة وروى أيّ الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف وروى من
أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه باعده الله تعالى من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين
خمسمائة عام وروى أن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف أعودك
وأنت رب العالمين قال أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده انك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم
استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين قال أما علمت انه استطعمك عبدي فلان
فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يا رب كيف أسقيك
وأنت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما انك لو سقيته وجدت ذلك عندي وروى في الماء
قوله يا رسول الله ان أمي توفيت ولم توص فينفعها أن أتصدق عنها قال نعم وعليك بالماء وروى يا رسول الله
أي الصدقة أفضل قال سقي الماء وفي حديث سبع تجري للعبد بعد موته وهو في قبره من علم علما أو كرى نهرا
أو حفر بئرا أو غرس نخلا أو بنى مسجدا أو ورث مصحفا أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته وفي رواية أو غرس
نخلا أو بنى بيتا لابن السبيل واعلموا أن من الكبائر سؤال الغني وكسب الصدقة طمعا وتكثرا أخرج
الطبراني من سأل من غير فقر فكأنما يأكل الجمر وروى الامام أحمد من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة
ومسئلته في وجهه خموش وخدوش وروى من فتح على نفسه باب مسئلة من غير فاقة نزلت به أو عيال لا يطيقهم
فتح الله عليه باب فاقة من حيث لا يحتسب ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن الكبائر
الالحاح في السؤال المؤذي للمسؤل أخرج البزار لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت ان الله تبارك وتعالى يحب
الغني الحليم المتعفف ويبغض البذي الفاجر السائل الملح وروى ان أحدكم ليخرج من عندي لحاجته
متأبطها أي جاعلها تحت ابطه وما هي الا النار فقيل يا رسول الله لم تعطيهم قال يأبون الا أن يسألوني ويأبى الله
عز وجل لي البخل وأما ما كان من غير مسئلة فانما ذلك رزق يرزقكه الله تعالى وروى من أتاه الله شيأ من
هذا المال من غير أن يسأله فليقبله فانما هو رزق ساقه الله عز وجل اليه لكن صرح الفقهاء بأن من أعطى
شيأ على ظن علمه أو صلاحه مثلا وهو ليس كذلك يحرم عليه أخذه ومن الكبائر التطفل وهو الدخول على
طعام الغير ليأكل منه من غير اذنه ولا رضاه حتى قال ابن حجر في الزواجر انه لا تقبل شهادة الطفيلي وبه قال
الشافعي رحمه الله تعالى لما روى مرفوعا من أتى طعاما لم يدع إليه دخل سارقا وخرج مغيرا ولانه يأكل حراما
ويفعل ما فيه دناءة وهذا اذا تكرر منه والا فتقبل قال ولذا ورد ان شر الطعام طعام الوليمة فقد روى
الشيخان عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه موقوفا عليه شر الطعام طعام الوليمة تدعى اليه الاغنياء وتترك
المساكين ومن لم يأت الدعوة فقد عصى الله ورسوله وفي رواية لمسلم إذا دعا أحدكم أخاه فليجب عرسا كان
أو نحوه قال والحاصل عندنا أن الاجابة لوليمة العرس واجبة بشروطها المقررة في محلها ولسائر الولائم وغيرها
مستحبة اهـ ومن الكبائر أيضا منع الانسان لقريبه أو مولاه مما سأله فيه لاضطراره اليه مع قدرة المانع عليه
وعدم عذر له في المنع فقد أخرج الطبراني عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما من ذي رحم يأتي ذا رحمه اليه فيسأله
فضلا أعطاه الله اياه فيبخل عليه الا أخرج الله عز وجل من جهنم حية يقال لها شجاع يتلمظ فتطوق به وروى
من أراد أن يمد في عمره ويبسط في رزقه فليصل رحمه وقال صلى الله تعالى عليه وسلم الله الله فيما ملكت أيمانكم
ولا تعذبوا خلق الله ان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم وستأتي تتمة لهذه الابحاث في الدروس الآتية إن

شاء الله تعالى ومن الكبائر أن يسأل السائل غير الجنة وأن يمنع المسئول سائله بوجه الله عز وجل قال عليه الصلاة والسلام ملعون من سأل بوجه الله وملعون من سئل بوجه الله تعالى ثم منع سائله مالم يسأل هجرا أى قبيحا وروى الترمذى الا أخبركم بشر الناس رجل يسئل بالله ولا يعطى والنسائى وغيره من استعاذ بالله فأعيذوه ومن سأل بوجه الله فأعطوه ومن دعاكم فأجيبوه ومن صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ماتكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافئتموه وفيه رواية زيادة قصة الخضر وهى ألا أحدثكم عن الخضر قالوا بلى يارسول الله قال بيناهو يمشى ذات يوم فى سوق بنى اسرائيل أبصره رجل مكاتب فقال تصدق على بارك الله تعالى فيك فقال الخضر آمنت بالله ماشاء الله من أمر يكون ماعندى شئ أعطيكه فقال المسكين أسألك بوجه الله لما تصدقت على فانى نظرت السماحة فى وجهك ورجوت البركة عندك فقال الخضر آمنت بالله ماعندى شئ أعطيكه الا أن تأخذنى فتبيعنى فقال المسكين وهل يستقيم هذا قال نعم أقول لقد سألتنى بأمر عظيم أما انى لا أجيبك بوجه ربى بعنى قال فقدمه الى السوق فباعه بأربعمائة درهم فمكث عند المشترى زمانا لا يستعمله فى شئ فقال انما اشتريتنى التماس خير عندى فأوصنى بعمل قال أكره أن أشق عليك انك شيخ كبير ضعيف قال ليس يشق على قال قم فانقل هذه الحجارة وكان لا ينقلها دون ست نفر فى يوم فخرج الرجل لبعض حاجته ثم انصرف وقد نقل الحجارة فى ساعة قال أحسنت وأجملت وأطقت مالم أرك تطيقه ثم عرض للرجل سفر فقال انى أحسبك أمينا فاخلفنى فى أهلى خلافة حسنة قال أوصنى بعمل قال انى أكره أن أشق عليك قال ليس يشق على قال فاضرب من اللبن لبيتى حتى أقدم عليك فمضى الرجل لسفره قال فرجع الرجل وقد شيد بناءه قال أسألك بوجه الله تعالى ماسببك وما أمرك قال سألتنى بوجه الله ووجه الله أوقعنى فى هذه العبودية فقال الخضر سأحدثك من أنا أنا الخضر الذى سمعت به سألنى مسكين صدقة فلم يكن عندى شئ أعطيه فسألنى بوجه الله عز وجل فأمكنته من رقبتى فباعنى وأخبرك أنه من سئل بوجه الله تعالى فرد سائله وهو يقدر وقف يوم القيامة جلده لا لحم له يتقعقع فقال الرجل آمنت بالله شققت عليك يانبى الله لم أعلم قال لا بأس أحسنت وأنفقت فقال الرجل بأبى أنت وأمى احكم فى مالى وأهلى ماشئت أو اختر فاخلى سبيلك قال أحب أن تخلى سبيلى فأعبد ربى فخلى سبيله فقال الحمد لله الذى أوقعنى فى العبودية ثم نجانى منها اه فعليكم عباد الله بالتجنب عن الشبهات والحرام وأكل الحلال والتصدق به على الاهل والعيال ولاسيما الاقارب والارامل وأبناء السبيل والايتام فقد قال عز من قائل يا أيها الرسل كلوا من الطيبات فيا عباد الله اطلبوا الحلال واحذروا من الشبهات واقنعوا باليسير فما يحتمل الصافى الشهوات وليس الطيب ماطاب طعمه بل ماصفا من الآفات وبذلك أمر الانبياء لا اتباع اللذات يا أيها الرسل كلوا من الطيبات الدنيا دار تكليف لا منزل راحات اغتنموا زمانكم وجزؤا الاوقات واحذروا الذ مطاعمها فعموما مهاسمومات يا أيها الرسل كلوا من الطيبات كانوا يقنعون من الدنيا بلقيمات ويتناولون بين الليل والنهار ثمرات غرسوا أشجار الصبر يرجون الثمرات فما مضت أيام الا وسنبل النبات يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ماضرهم مامضى من الملمات لقد عاشوا بالذكر بعد الممات ووصلوا بعد الرحيل الى الجنات فتلقتهم براحات الراحات حور مقصورات يا أيها الرسل كلوا من الطيبات كان أويس يتلقط من المزابل خريقات وربما أعد لافطاره حشفات فيأكلهم ثم يرد الفرات ما أطيبها اذ سلمت من الزلات يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ويحك أن اللذات سبب هلاك الذات كم تعزم على فعل الطاعات ثم تتغير فى ساعة لا فى ساعات يا أيها الرسل كلوا من الطيبات أين المجتهد فى كسبه أين الخائف من ربه ان آكل الربا قد آذن بحرب به ألا انه من أدخل الحرام على قلبه مات يا أيها الرسل كلوا من الطيبات تأتى بقلب قد أظلم فتحدث بالنصح ولا تفهم وتقول دلونى على طريق ابن أدهم ألا إن العمى مانع والظلم

ظلمات وفقنا الله تعالى وإياكم لمراضيه وجعل مستقبل حالنا خيرا من ماضيه اللهم إقسم لنا من خشيتك ماتحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ماتبلغنا به جنتك ومن اليقين ماتهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثارنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا واغفر لنا ولكافة المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين

﴿ المجلس الحادى عشر ﴾

(فى الحج من حديث جبريل عليه السلام أيضا)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله المالك العظيم الجليل المنزه عن النظير والعديل المنعم بقبول القليل المكرم باعطاء الجزيل تقدس عما يقول أهل التعطيل وتنزه عما يعتقد أهل التمثيل نصب للعقل على وجوده أعظم دليل وهدى الى جوده أبين سبيل وجعل للحسن حظا إلى ميله يميل فأمر ببناء بيت وجل عن السكنى الجليل وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ثم حمى حماه لما قصده أصحاب الفيل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل أحمده كلما نطق بحمده وقيل وأصلى وأسلم على رسوله محمد النبى النبيل الجليل وعلى أبى بكر الذى لا يبغضه الا ثقيل وعلى عمر وفضله طويل وعلى عثمان وكم له من فعل جميل وعلى على من كسر الأصنام وقمع الأباطيل وعلى بقية الآل والصحابة الوارثين التنزيل ﴿أما بعد﴾ فنروى بسندنا الى الامام مسلم بن الحجاج فانه قال فى جامعه الصحيح عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال حدثنى أبى عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه الى فخذيه وقال يا محمد أخبرنى عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلا قال صدقت الحديث (فنقول) قد تقدم الكلام على الاسلام والشهادتين والصلاة والزكاة والصوم فى الدروس السالفة ولنذكر الآن إن شاء الله تعالى مايتعلق بالحج ومابعده إعلم أن الحج لغة هو القصد وشرعا هو قصد الكعبة المكرمة لأجل النسك والطواف بها والسعى بين الصفا والمروة مع الوقوف بعرفة فى زمن مخصوص وهو من أعظم أركان الاسلام وكفارة للآثام فقد روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وعن عمرو بن عنبسة رضى الله تعالى عنه قال قال رجل يارسول الله ما الاسلام قال أن يسلم قلبك لله وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك قال فأى الاسلام أفضل قال الايمان قال وما الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت قال فأى الأعمال أفضل قال الهجرة قال وما الهجرة قال أن تهجر السوء قال فأى الهجرة أفضل قال الجهاد قال وما الجهاد قال أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم قال فأى الجهاد أفضل قال من عقر جواده وأهريق دمه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم عملان هما أفضل الأعمال إلا من عمل بمثلهما حجة مبرورة أو عمرة مبرورة رواه الامام أحمد والطبرانى والبيهقى وغيرهم والحج المبرور قيل هو الذى لا يقع فيه معصية وقيل هو المقبول ومن علامات قبوله أنه اذا رجع الى وطنه الحاج يكون حاله خيرا من الاول وقيل هو الذى لا رياء فيه وقيل هو الذى لا تعقبه معصية وقيل

هو الذى لا ترتكب فيه المعاصى ولا يكون فيه فلس من حرام وما أحسن قول القائل

ومن كان بالمال الحرام حجيجه * فعن حجه والله ما كان أغناه

اذا هو لبى الله كان جوابه * من الله لا لبيك حج رددناه

(قلت) ولعل من علامات الحج الغير مبرور أن يحج قاصدا أن يدعى بحاج فلان حتى إنه اذا نودى باسمه فقط يغضب ويضجر ويقطب وجهه ويتكدر ففعله هذا يدلك على عدم إخلاصه فى الحج وعلى ريائه والعياذ بالله تعالى فى العج والثج وقد جاء من حديث جابر مرفوعا إن بر الحج إطعام الطعام وطيب الكلام وعند بعضهم وافشاء السلام وقال صلى الله تعالى عليه وسلم العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة رواه البخارى وعن أبى موسى رضى الله تعالى عنه رفعه إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال الحاج يشفع فى أربعمائة من أهل بيته ويخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وعن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ما ترفع ابل الحاج رجلا ولا تضع يدا الا كتب الله له بها حسنة أو محا عنه سيئة أو رفعه بها درجة وفى رواية حتى اذا انتهى الى البيت فطاف وطاف بين الصفا والمروة ثم حلق أو قصر الا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . وقد مرض ابن عباس رضى الله تعالى عنه فدعا ولده فجمعهم فقال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من حج من مكة ماشيا حتى يرجع إلى مكة كتب الله تعالى له بكل خطوة سبعمائة حسنة كل حسنة مثل حسنات الحرم قيل له وما حسنات الحرم قال بكل حسنة مائة ألف حسنة وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج وعنه من خرج حاجا فمات كتب له أجر الحاج الى يوم القيامة ومن خرج معتمرا فمات كتب له أجر المعتمر الى يوم القيامة ومن خرج غازيا فمات كتب له أجر الغازى الى يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة وروى عن على كرم الله تعالى وجهه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا وذلك لان الله تعالى يقول ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وفيه ضعف نعم صح عن عمر رضى الله تعالى عنه لقد هممت أن أبعث رجالا الى هذه الأمصار فينظروا كل من له نفقة ولم يحج فليضرب عليهم الجزية ماهم بمسلمين وقال عليه الصلاة والسلام تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة جزاء إلا الجنة وورد فى بعض الروايات ان الصلاة الواحدة فى مسجد مكة بثلثمائة ألف ألف ألف صلاة فى غيرها وأخرج الطبرانى ان الله عز وجل ينزل على هذا المسجد فى كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة ستين للطائفين وأربعين للمصلين وعشرين للناظرين وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال النفقة فى الحج كالنفقة فى سبيل الله بسبعمائة ضعف وقالت عائشة يارسول الله هل على النساء من جهاد قال نعم عليهن جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة وليعلم أن المرأة لا يجب عليها الحج إلا اذا ملكت الزاد والراحلة ووجدت معها محرما أو زوجا لانه لا يباح لها السفر مسيرة ثلاثة أيام بلا ذلك وعبدها ليس بمحرم لان تحريم نكاحها عليه ليس على التأبيد فاذا وجدت الشروط لها أن تحج بلا إذن الزوج فليحفظ ولنذكر بعض المسائل التى اتفق العلماء عليها فى بحث الحج وبعضا من المسائل التى اختلف فيها على وجه الاقتصار قال فى الميزان أجمع العلماء على أن الحج أحد أركان الاسلام وأنه فرض واجب على كل مسلم حر بالغ عاقل مستطيع فى العمر مرة واحدة وأجمعوا على أنه لا يجب على الصبى حج وأن حجه قبل البلوغ لا يسقط عنه فريضة الحج واتفقوا على استحباب الحج لمن لم يجد زادا ولا راحلة ولكنه يقدر على المشى وعلى صنعة يكتسب بها ما يكفيه للنفقة وعلى أنه لا يلزم بيع المسكن للحج وعلى جواز النيابة فى حج الفرض

عن الميت واختلفوا فى العمرة فقال أبو حنيفة ومالك ان العمرة سنة لا فريضة وقال أحمد والشافعى فى أرجح قوليه انها فريضة كالحج وقال الأئمة الثلاثة ماعدا مالكا انه يجوز فعل العمرة فى كل وقت مطلقا من غير حصر يعنى فى العدد بلا كراهة وقال الامام مالك يكره أن يعتمر فى السنة مرتين والعمرة هى احرام وطواف وسعى بين الصفا والمروة وحلق ثم يتحلل وليس فيه وقوف فى عرفات بخلاف الحج فان فيه الوقوف اليوم التاسع من ذى الحجة لان الحج عرفات واختلفوا فيمن مات بعد التمكن من الحج فقال الشافعى وأحمد لا يسقط عنه الحج بل يجب الحج عنه من رأس ماله سواء أوصى به أم لم يوص به كالدين وقال أبو حنيفة ومالك يسقط عنه الحج بالموت ولا يلزم ورثته أن يحجوا عنه إلا أن يوصى فيحجوا عنه من ثلثه واختلفوا فى موضع الحج عنه فقال أبو حنيفة وأحمد يحج عن الميت من دويرة أهله وقال مالك من حيث أوصى به والراجح من مذهب الشافعى أنه من الميقات واختلفوا فى صحة حج الصبى فقال الأئمة الثلاثة بصحة حج الصبى باذن وليه اذا كان يعقل ويميز ومن لم يميز يحرم عنه وليه وقال الامام أبو حنيفة لا يصح احرام الصبى بالحج واختلفوا فى حج من يحتاج الى مسئلة الناس فقال الأئمة الثلاثة بكراهته وقال مالك انه ان كان له عادة بالسؤال وجب عليه الحج واختلفوا فى حج من استؤجر للخدمة فى الطريق فقال الأئمة الثلاثة انه يصح حجه وقال الامام أحمد لا يصح حجه واختلفوا فيما لو غصب دابة فحج عليها أو مالا فحج به فقال الأئمة الثلاثة يصح حجه وان كان عاصيا بذلك وقال أحمد لا يصح حجه ولا يجزئه واختلفوا فى وجوب الحج على من وجبت عليه (١) خفارة فى الطريق فقال الأئمة الثلاثة لا يجب الحج على من وجبت عليه أجرة خفارة وقال مالك يجب عليه الحج ان كانت يسيرة وأمن العدو واختلفوا فى العاجز فقال الأئمة الثلاثة ان العاجز عن الحج بنفسه لمرض أو زمانة لا يرجى برؤه منها أو لهرم ووجد أجرة من يحج عنه لزمه الحج فان لم يفعل استقر الفرض فى ذمته وقال أحمد لا يجب عليه الحج وانما يجب الحج على من كان مستطيعا بنفسه خاصة واختلفوا فى الاعمى فقالت الأئمة الثلاثة ان الاعمى اذا وجد من يقوده لزمه الحج بنفسه ولا يجوز له الاستنابة وقال أبو حنيفة يلزمه الحج فى ماله فيستنيب من يحج عنه واختلفوا فيمن قصد دخول مكة زادها الله تعالى شرفا فقال الشافعى ان من قصد دخول مكة لا لنسك يستحب له أن يحرم بحج أو عمرة وقال أبو حنيفة لا يجوز لمن هو وراء الميقات أن يجاوزه إلا محرما وأما من هو دونه فيجوز له دخوله بغير احرام وقال ابن عباس لا يدخل أحد الحرم إلا محرما وقال مالك والشافعى فى القديم لا تجوز مجاوزة الميقات بغير احرام ولا دخول مكة بغير احرام إلا أن يتكرر دخوله كحطاب وصياد واختلفوا فى المرأة اذا حاضت قبل طواف الافاضة لم تنفر حتى تطهر وتطوف ولا يلزم الجمال حبس الجمل لها بل ينفر مع الناس وتركب غيرها وقال مالك يلزمه حبس الجمل أكثر من مدة الحيض وزيادة ثلاثة أيام وقال أبو حنيفة ان الطواف لا يشترط فيه طهارة فتطوف وتدخل مع الحاج وقد أفتى البارزى النساء اللاتى حضن فى الحج بذلك ونقله عن جماعة من أئمة الشافعية اه (قلت) وقد سبق ذكر هذا القول عن أبى حنيفة رحمه الله تعالى وأنها تفدى ببدنة والى هذا القول ذهب من الحنابلة شيخ الاسلام تقى الدين بن تيمية عليه الرحمة وبقيت من مسائل الحج خلافيات كثيرة من أرادها فليرجع الى الكتب الفقهية (فوائد جليلة) الأولى مواقيت الحج زمانية ومكانية فالزمانية هى التى يحرم فيها وهى شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة والمواقيت المكانية لأهل المدينة المنورة ذو الحليفة ولأهل الشام الجحفة ولأهل نجد قرن المنازل ولأهل اليمن يلملم ولأهل العراق ذات عرق وكذلك هى لمن أتى عليها من غير أهلها والاحرام عبارة عن عدم لبس المخيط وترك الجماع والصيد وغير ذلك مما هو مفصل فى كتب المناسك وموقت العمرة جميع السنة كما تقدم وكان عليه

---

(١) التى تسمى الآن خاوة اه منه

الصلاة والسلام يقول عمرة فى رمضان تعدل حجة معى ﴿الفائدة الثانية﴾ ورد فى ماء زمزم أحاديث شريفة منها قوله عليه الصلاة والسلام ماء زمزم لما شرب له ان شربته تستشفى به شفاك الله عز وجل وان شربته ليشبعك أشبعك الله وان شربته لقطع ظمئك قطعه الله تعالى ومنها آية ما بيننا و بين المنافقين أنهم لا يتضلعون من ماء زمزم وكان ابن عباس يقول اذا شرب به اللهم إنى أسألك علما نافعا و رزقا واسعا وشفاء من كل داء وكان ابن المبارك يقول اللهم ان نبيك صلى الله تعالى عليه وسلم قال ماء زمزم لما شرب له وها أنا قد شربته لعطش يوم القيامة ثم يشرب وروى أن بين الركن والمقام ملتزم ما يدعو به صاحب عاهة إلا برىء وأن جبريل لما وكز زمزم بعقبه جعلت أم اسمعيل تجمع البطحاء رحم الله هاجر لو تركتها لكانت عينا معينا وأن ماءها لما شرب له من أمور الدنيا والآخرة وجاء فى حديث صحيح ان الحجر الأسود من الجنة وأنه يرفع بينما هم يطوفون به إذ أصبحوا وقد فقدوه وانه يبعث يوم القيامة وله عينان ولسان يشهد على من استلمه وفى رواية وقبله من أهل الدنيا وانه شافع مشفع وانه كان أشد بياضا من الثلج حتى سودته خطايا أهل الشرك ولولا ذلك ما مسه ذو عاهة إلا شفى وانه يمين الله فى الأرض يصافح بها عباده أى يمنه و بركته ينزلها عليهم اذا استلموه وأنه والركن اليمانى يحطان الخطايا والذنوب ﴿الفائدة الثالثة﴾ كره الامام الأعظم المجاورة بمكة زادها الله تعالى شرفا لتضاعف السيئات فيها كالحسنات إذ لا يقدر المجاور على حفظ نفسه خلافا للصاحبين و بالاستحباب قالت الأئمة الثلاثة قال حجة الاسلام الغزالى و بقوله قال الخائفون المحتاطون ولا يظن أن كراهة القيام تنافى فضل البقعة لان هذه الكراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع المكرم ﴿خاتمة﴾ رزقنا الله و إياكم حسنها صرح علماء المذاهب كافة أن الانسان اذا قضى حجه ينبغى له أن يزور النبى المصطفى والحبيب المجتبى صلى الله تعالى عليه وسلم و يصلى فى مسجده الشريف لانهم قالوا بسنية شد الرحال الى المساجد الثلاثة وهى المسجد الحرام والمسجد الأقصى وهو البيت المقدس ومسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وثبت أن الصلاة تتضاعف فى ذلك كما سيأتى وصرحوا بأن من أتى المسجد النبوى على ساكنه أفضل الصلاة والسلام سنت له زيارة المصطفى أرواحنا له الفداء حتى قال بعضهم بوجوبها و يأتى الزائر بعد صلاة الركعتين الى روضته المطهرة مقابلا لوجهه الشريف خاضعا متذللا متأدبا متشوقا كما يأتى اليه فى حياته و يصلى و يسلم عليه وعلى صاحبيه وضجيعيه المحترمين و يدعو بالأدعية المشروعة من غير تقبيل للجدار المكرم كما نص عليه النووى فى مناسكه لانه عليه الصلاة والسلام حى فى قبره بل ذهب كثير من العلماء الى سنية جواز شد الرحل الى الزيارة بخصوصها رزقنا الله تعالى العود اليها لقوله عليه الصلاة والسلام من جاءنى زائرا لا يعمله حاجة إلا زيارتى كان حقا على أن أكون له شفيعا يوم القيامة وقوله من حج ولم يزرنى فقد جفانى وقوله ما من أحد يسلم على إلا سلمت عليه ولا يصلى على أحد إلا صلى الله تعالى وملائكته عليه وقد صرحت بسنية زيارته عليه الصلاة والسلام علماء الحنابلة قاطبة ومنهم شيخ الاسلام وتلميذه ابن القيم الهمام وغيرهما من الأعلام إلا أن الزائر عندهم ينوى المسجد النبوى ثم يقصد الزيارة المسنونة المشروعة بأدعيتها المأثورة وهى لديهم من أعظم السنن المرغوبة والطاعات المطلوبة وقد استوفينا الكلام على هذا البحث فى كتابنا جلاء العينين فارجع اليه لينقشع الغين من البين (١) واعلم أنه قد ورد فى المدينة المنورة أحاديث كثيرة فمنها ما رواه بلال بن

(١) وفى شرح القسطلانى لصحيح البخارى عند قوله عليه الصلاة والسلام لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدى أى لا تشد الرحال الى مسجد للصلاة فيه ثم قال فى آخر باب فضل ما بين القبر والمنبر ما نصه واختلف فى شد الرحال الى غيرها كالذهاب الى زيارة الصالحين أحياء وأمواتا والى المواضع الفاضلة للصلاة فيها والتبرك بها فقال أبو محمد الجوينى يحرم عملا بظاهر الحديث واختاره

الحرث رمضان بالمدينة خير من ألف رمضان فيما سواها من البلدان وجمعة بالمدينة خير من ألف جمعة فيما سواها من البلدان وفى الجامع الصغير عن أبى الدرداء أنه عليه أفضل الصلاة والسلام قال الصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة والصلاة فى مسجدى بألف صلاة والصلاة فى بيت المقدس بخمسمائة صلاة وفى رواية أخرى والصلاة بمسجدى عشرة آلاف صلاة والصلاة فى مسجد الرباطات وهى ثغور العدو ألف صلاة ومنها ما أخرجه الشيخان عن سعد رضى الله تعالى عنه قال سمعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لا يكيد أهل المدينة أحد الا انماع كما ينماع الملح فى الماء زاد مسلم ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء الا أذابه الله تعالى فى النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح فى الماء وروى الامام أحمد وغيره من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبى ومنها ما رواه الطبرانى اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل أى فرض ونافلة قال ابن حجر صرح ابن القيم بأن استحلال حرمة المدينة كبيرة وهى كمكة لخبر مسلم أن أنسا قيل له أحرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة فقال بلى حرام لا يختلى أى لا يقطع خلاها أى كلؤها الرطب من فعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وهذه مسئلة خلافية بين المذاهب ومنها لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتى الا كنت له شفيعا يوم القيامة لا يدعها أحد رغبة الا أبدل الله فيها من هو خير منه ومنها ليأتين على أهل المدينة زمان ينطلق الناس منها الى الارياف يلتمسون الرخاء فيجدون الرخاء ثم يأتون فيحتملون أهلهم إلى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ومنها من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت فمن مات بالمدينة كنت له شفيعا وشهيدا الوباء والدجال لا يدخلانها ومنها اللهم بارك لنا فى صاعنا وفى مدنا و بارك لنا فى شامنا و يمننا قيل وعراقنا قال ان بها قرن الشيطان قال فى الزواجر أى أتباعه أو قوة ملكه وتصريفه وتهييج الفتن وفى صحيح البخارى فى باب الزلازل عن ابن عمر أنه قال اللهم بارك لنا فى شامنا وفى يمننا قال قالوا وفى نجدنا قال اللهم بارك لنا فى شامنا وفى يمننا قال قالوا وفى نجدنا قال قال هناك الزلازل والفتن و بها يطلع قرن الشيطان قال القسطلانى والمراد بشامنا و يمننا الاقليمان المعروفان أو البلاد التى عن يميننا وشمالنا أعم منهما وانما ترك الدعاء لأهل المشرق لانه علم العاقبة وان القدر سبق بوقوع الفتن فيها وفى المشارق عن مسلم غلظ القلوب فى أهل المشرق والايمان فى أهل الحجاز (قلت) ولان من أرض العراق أرض بابل وهى كما قال على كرم الله تعالى وجهه نهانى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن أصلى بأرض بابل فانها ملعونة كيف لا وقد وقعت فيها الوقائع التى أبكت المسلمين وقلت أعمدة الدين وخرج كثير من المبتدعة منها ورووا أحاديث الفتن عنها وهذا لا ينافى بروز العلماء الاجلة أيضا فيها فكم وكم بزغ من برجها امام كامل ومجتهد فاضل وورع زاهد وولى مجاهد ومجدد واصل وقطب كامل وعالم تشد اليه من الاقطار الرواحل ومحدث ومفسر وفقيه وعلامة مدقق نبيه وطالما انتشرت منها العلوم الاسلامية وانتثرت من سما كتبها الاحكام السنية ونسأله تعالى أن يدفع عنهم كل ضير و يجزيهم عنا وعن المسلمين بكل خير آمين فعليكم عباد الله بالحج المبرور وزيارة النبى الشافع المشفع يوم النشور

فيا أيها الناسى ليوم رحيله * أراك عن الموت المفرق لاهيا
ألا تعتبر بالظاعنين الى البلى * وتركهم الدنيا جميعا كما هيا
ولم يخرجوا الا بقطن وخرقة * وما عمروا من منزل ظل خاليا
وأنت غدا أو بعده فى جوارهم * وحيدا فريدا فى المقابر ثاويا

و يا من عليه منازل الموت تدور وهو مستأنس بالمنازل والدور لابد أن تخرج من القصور على التوانى

القاضى حسين وقال به القاضى عياض وطائفة والصحيح عند جمع من الشافعية الجواز اه باقتصار اه منه

والقصور لابد من الرحيل الى بلاد القبور وعلى الغفلات وعلى الفتور يا مظلم القلب وما للقلب نور الباطل خراب والظاهر معمور ستحاسب على الايام والشهور وترى ما فعلته من فجور فى النهار والديجور وستحزن بعد السرور على تلك الشرور اذا وفيت الأجور ونجا المخلصون دون أهل الزور تصلى ولكن بلا حضور وتصوم والصوم بالغيبة مغمور لو أردت الولدان والحور لسألتهم وقت السحور فكم بارزت بالقبيح والكريم الغفور يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور اللهم يا كريم يا غفور آنسنا برحمتك فى ظلمة القبور واجعلنا يوم القيامة ممن يسعى بين أيديهم وبأيمانهم النور وأسكنا بفضلك واحسانك الغرف والقصور فى جوار هذا الشفيع المشفع يوم العرض والنشور

﴿ المجلس الثانى عشر ﴾

(فى الايمان بالملائكة من حديث جبريل عليه السلام أيضا)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله مستحق الحمد وأهله وخالق الفرع وأصله منشئ الكائنات بفعله ومبين الهدى بايضاح سبله فضل نبينا بالقرآن فزاد على الرسل من قبله وتحدى به المكذبين فخرس كل ذى جهل عن جهله وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله أحمده على صعب القدر وسهله وأشكره على قليل عطائه وجزله وأقر بوحدانيته متفيئا فى حمى الصدق وظله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى ختم به الانبياء فبت كل حبل غير حبله صلى الله تعالى عليه وعلى صاحبه أبى بكر الصديق مزعج المرتدين بسيف عزمه قبل سله وعلى عمر الذى كان الشيطان يفرق من صوت نعله وعلى عثمان الصابر على جراحه وقتله وعلى علىّ المجاهد فى سبيل الله ومن أجله وعلى سائر آله وأصحابه الذين جعل كل منهم طاعة الله أعظم شغله ﴿ أما بعد ﴾ فنروى بسندنا إلى الامام مسلم ابن الحجاج عليه الرحمة فانه قال فى جامعه الصحيح عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال حدثنى أبى عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفه على فخذيه وقال يا محمد أخبرنى عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت فأخبرنى عن الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره قال صدقت الحديث (فنقول) وبالله التوفيق وبيده أزمة التحقيق قوله عليه الصلاة والسلام أن تؤمن بالله أى تصدق قلبا ولسانا بوجوده سبحانه وتعالى وأنه قديم أزلى أبدى سميع بصير متكلم لا شبه له ولا نظير ولا يحتاج الى أحد من خلقه وهو اللطيف الخبير وأن تؤمن بجميع صفاته وانها لا تشبه الصفات كما أن ذاته العلية لا تشبه الذوات فكل ما تصورته فى ذهنك أو توهمته فى وهمك فالله تعالى بخلافه لانك مخلوق وكل ما تصورته أو توهمته فهو مثلك مخلوق وقوله عليه الصلاة والسلام وملائكته أى تصدق بوجود ملائكته وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم أجساد نورانية مبرأة عن الكدورات الجسمانية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة لا يحتاجون الى طعام ولا شراب وهم عباد الله المكرمون وفيهم سفراؤه عز وجل بينه وبين خلقه صادقون فيما يخبرون به عنه ومنهم الكرام الكاتبون والمأمورون فى الأرض والسماء وهم بالغون من الكثرة ما لا يعلم عامها الا هو قال الوالد عليه الرحمة فى تفسيره اختلف الناس فى حقيقة الملائكة بعد اتفاقهم على أنها موجودة فذهب أكثر

المسلمين الى أنها أجسام نورانية وقيل هوائية قادرة على التشكل والظهور بأشكال مختلفة باذن الله تعالى وقالت النصارى انها الأنفس الناطقة المفارقة لأبدانها الصافية الخيرة والخبيثة عندهم شياطين وقالت عبدة الأوثان انها هذه الكواكب السعد منها ملائكة الرحمة والنحس ملائكة العذاب وهى عندنا منقسمة الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق فى معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره يسبحون ولا يفترون وهم العلويون والمقربون وقسم يدبر الأمر من السماء الى الأرض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم لا يعصون الله ما أمرهم وهم المدبرات أمرا فنهم سماوية ومنهم أرضية ولا يعلم عددهم الا الله وفى الخبر أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد أو راكع وهم مختلفون فى الهيآت متفاوتون فى العظم لا يراهم على ما هم عليه إلا أرباب النفوس القدسية وقد يظهرون بأبدان يشترك فى رؤيتها الخاص والعام وهم على ما هم عليه حتى قيل إن جبريل عليه السلام فى وقت ظهوره فى صورة دحية الكلبى بين يدى المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفارق سدرة المنتهى ومثله يقع للكمل من الأولياء وهذا ما وراء طور العقل وأنا به من المؤمنين اه وقد تبين من هذا الحديث ونحوه من الآيات وجوب الايمان بهم وان منكرهم كافر وقال عز وجل آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الآية وقال تعالى ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا نقل الجلال السيوطى عليه الرحمة فى كتابه الحبائك عن شعب الايمان للبيهقى أن الايمان بالملائكة ينتظم فى معان * أحدها التصديق بوجودهم * والثانى انزالهم منازلهم وإثبات أنهم عباد الله وخلقه كالانس والجن مأمورون مكلفون لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله تعالى عليه والموت عليهم جائز ولكن الله تعالى جعل لهم أمدا بعيدا فلا يتوفاهم حتى يبلغوه ولا يوصفون بشئ يؤدى وصفهم به الى اشراكهم بالله تعالى ولا يدعون آلهة كما دعتهم الأوائل * والثالث الاعتراف بأن منهم رسلا يرسلهم الى من يشاء من البشر وقد يجوز أن يرسل بعضهم الى بعض ويتبع ذلك الاعتراف بان منهم حملة العرش ومنهم الصافون ومنهم خزنة الجنة ومنهم خزنة النار ومنهم كتبة الأعمال ومنهم الذين يسوقون السحاب فقد ورد القرآن بذلك كله أو بأكثره وروينا عن ابن عمر عن عمر رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين سئل عن الايمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله اه وقد نظم بعض ما يتعلق بهم الامام أبو الحسن علىّ بن أبى بكر الهروى فى ارجوزته المسماة بالجواهر المضيئة فقال

القول بالملائك الكرام * فريضة لصحة الاسلام
وهم عباد الخالق القهار * قد خلقوا من خالص الأنوار
حياتهم بالذكر والتسبيح * وما لهم فى الذكر من تبريح
قاموا صفوفا للعزيز الماجد * يدعونه على مقام واحد
قد طهروا عن شهوة العصيان * ومن شرور النفس والشيطان
وما لهم نسل ولا ولادة * ولا لهم شغل سوى العبادة
فنهم كتاب أعمال الورى * ومنهم حفاظ سكان الثرى
ومنهم موكل بالرزق * يوصل أو يزوى بأمر الحق
فوصف حال القوم بالتفصيل * فى صحف الآثار والتنزيل
ونفيهم بالجحد والانكار * كفر صريح موجب للنار
ومن جرى لسانه بالطعن * والنقص فيهم فهو أهل اللعن

﴿ ثم قال ﴾

كذا لجنس الانس فضل بادى * بالعلم والتكليف والجهاد
على كرام الملا العباد * من ساكنى السبع العلا الشداد
فالرسل الكرام من نسل البشر * أفضل من رسل أولئك النفر
اذ موعد اللقاء والنعيم * للانس دون الملك الكريم

اه وفى شرح النسفية رسل البشر أفضل من رسل الملائكة ورسل الملائكة أفضل من عامة البشر أما تفضيل رسل الملائكة على عامة البشر فبالاجماع بل بالضرورة وأما تفضيل رسل البشر على رسل الملائكة وعامة البشر على عامة الملائكة فلوجوه منها مسئلة السجود لآدم ومنها قوله تعالى إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين والملائكة من جملة العالم وذهبت المعتزلة والفلاسفة وبعض الأشاعرة الى تفضيل الملائكة وتمسكوا بوجوه منها أن الأنبياء يتعلمون منهم بدليل قوله تعالى علمه شديد القوى والمعلم أفضل من المتعلم ومنها تقديمهم فى الذكر كما فى هذا الحديث وقوله تعالى كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ومفصل أجوبة الطرفين فى الكتب الكلامية ولما كان الايمان بهم واجبا فلنذكر لكم بعض الأحاديث الواردة وبيان بعض فرقهم وما يتعلق بالايمان بهم لتزدادوا معرفة وإيمانا مستمدا من الكتاب المذكور ضوعفت لمؤلفه الأجور فقد أخرج مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خلقت الملائكة من نور وخلقت الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم وأخرج أبو الشيخ عن يزيد بن رومان أنه بلغه أن الملائكة خلقت من روح الله وأخرج البزار وأبو الشيخ وابن منده فى كتاب الرد على الجهمية عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال خلق الله تعالى الملائكة من نور وينفخ فى ذلك ثم يقول ليكن منكم ألف ألفان فان من الملائكة خلقا أصغر من الذباب وليس شئ أكثر من الملائكة وروى أحمد عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أطت السماء وحق لها أن تئط ما منها موضع أربع أصابع إلا وعليها ملك واضع جبهته وفى رواية أو قائم ثم قرأ وانا لنحن الصافون وأخرج الدينورى عن عبد الرحمن بن زيد قال ليس من خلق الله شئ أكثر من الملائكة ليس من بنى آدم إلا ومعه ملكان سائق يسوقه وشاهد يشهد عليه فهذا ضعف بنى آدم ثم بعد ذلك السموات مكبوسات ومن فوق السموات بعد الذين حول العرش وأخرج أبو الشيخ إن فى الجنة لنهرا من دخله (١) فيخرج فينتفض إلا خلق الله من كل قطرة تقطر منه ملكا وأخرج أبو الشيخ عن الأوزاعى رضى الله تعالى عنه قال موسى عليه السلام يارب من معك فى السماء قال ملائكتى قال وكم هم يارب قال اثنا عشر سبطا قال وكم عدد كل سبط قال عدد التراب وأخرج أيضا لجبريل فى كل يوم اغتماسة فى الكوثر ثم ينتفض فكل قطرة يخلق منها ملك وأخرج ابن أبى حاتم عن كعب رضى الله تعالى عنه قال ما من موضع ابرة من الارض الا وملك موكل بها يرفع علم ذلك الى الله تعالى وان ملائكة السماء أكثر من عدد التراب وان حملة الفرش ما بين كعب أحدهم الى خده مسيرة مائة عام وعن عبد الله ابن عمر الملائكة عشرة أجزاء تسعة أجزاء الكروبيون وهم الذين يحملون العرش وجزء وكلوا بخزانة كل شئ وان البيت المعمور بحيال الكعبة لو سقط لسقط عليها يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك ثم ليعودن اليه وفى الملائكة رؤساء أربعة فعن ابن سابط قال يدبر أمر الدنيا أربعة جبريل وميكائيل وملك الموت واسرافيل فأما جبريل فموكل بالرياح والجنود وأما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات وأما ملك الموت فموكل بقبض الأرواح وأما اسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم وأخرج البيهقى عن المطلب أن رسول الله صلى الله

(١) ما من أحد يدخله فليخرج فليراجع اه منه

تعالى عليه وسلم قال قلت لجبريل مالى لا أرى اسرافيل يضحك ولم يأتنى أحد من الملائكة إلا رأيته يضحك قال جبريل ما رأينا ذلك الملك ضاحكا منذ خلقت النار وفى رواية اذا سبح اسرافيل قطع على كل ملك فى السماء صلاته استماعا له وليس أحد من خلق الله أحسن صوتا منه وهو صاحب الصور وعن ابن عباس قال لما اتخذ الله ابراهيم خليلا سأل ملك الموت ربه أن يأذن له فيبشره بذلك فأذن له فجاء ابراهيم فبشره فقال الحمد لله ثم قال يا ملك الموت أرنى كيف تقبض أنفاس الكفار قال يا ابراهيم لا تطيق ذلك قال بلى قال فأعرض ثم نظر واذا برجل أسود ينال رأسه السماء يخرج من فيه لهب النار ليس من شعرة فى جسده الا فى صورة رجل يخرج من فيه ومسامعه لهب النار فغشى على ابراهيم ثم أفاق وقد تحول ملك الموت الى الصورة الأولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الكافر من البلاء والحزن إلا صورتك لكفاه فأرنى كيف تقبض أنفاس المؤمنين قال أعرض فأعرض ثم التفت فاذا برجل شاب أحسن الناس وجها وأطيب ريحا فى ثياب بيض فقال يا ملك الموت لو لم ير المؤمن عند موته من قرة العين والكرامة إلا صورتك لكان يكفيه وأخرج ابن أبى الدنيا قال سأل ابراهيم عزرائيل عليهما السلام اذا كانت نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بأرض والتقى الزمان كيف تصنع قال أدعو الارواح باذن الله تعالى فتكون بين أصبعى هاتين قال ودحيت له الأرض فتركت مثل الطشت يتناول منها حيث شاء وفى رواية وجعل له أعوان يتوفون الأنفس ثم يقبضها منهم وفى رواية أخرى وكل خطوة منه من المشرق الى المغرب وأخرج أبو الشيخ إن لله ملكا فى السماء يقال له الديك فاذا سبح فى السماء سبحت الديوك فى الارض يقول سبحان السبوح القدوس الرحمن الملك الديان الذى لا إله إلا هو فما قالها مكروب أو مريض عند ذلك إلا كشف الله همه وفى رواية فيرون أن الديكة إنما تضرب بأجنحتها وتصرخ إذا سمعت ذلك وأخرج الترمذى والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير فيقولان ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين ثم ينور له فيه فيقال له نم فيقول أرجع إلى أهلى فأخبرهم فيقولون نم كنومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهله حتى يبعثه الله عز وجل من مضجعه فان كان منافقا قال سمعت الناس يقولون فقلت مثلهم لا أدرى فيقولون قد علمنا أنك تقول ذلك فيقال للارض التئمى عليه فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وأخرج ابن أبى الدنيا عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول إن ابن آدم لفى غفلة عما خلق له إن الله عز وجل إذا أراد خلقه قال للملك اكتب رزقه اكتب أجله اكتب شقيا أم سعيدا ثم يرتفع ذلك الملك ثم يوكل الله تعالى به ملكين يكتبان حسناته وسيئاته فاذا حضره الموت ارتفع ذانك الملكان وجاءه ملك الموت ليقبض روحه فاذا أدخل قبره ورد الروح فى جسده وفى رواية إنه يسمع قرع نعالكم أتاه منكر ونكير أعينهما مثل قدور النحاس وأنيابهما مثل صياصى (١) البقر وأصواتهما مثل الرعد فامتحناه أى سألاه عما كان يعبد ومن كان نبيه ثم يرتفعان فاذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فانتشطا كتابا معقودا فى عنقه ثم حضرا معه واحد سائق وآخر شهيد ثم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان قدامكم لأمرا عظيما ما تقدرونه فاستعينوا بالله العظيم وأخرج ابن أبى الدنيا عن ابن عباس قال كاتب الحسنات عن يمينه يكتب حسناته وكاتب السيئات عن يساره فاذا عمل حسنة كتب صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين

(١) الصياصى على ما فى القاموس جمع صيصة شوكة الديك وقرن البقر والظباء والحصن وكل ما امتنع به اه منه

لصاحب الشمال دعه حتى يسبح أو يستغفر وفى رواية فيمسك ست ساعات فاذا كان يوم الخميس كتب مايجرى به الخير والشر ويلقى ماسوى ذلك أى لانه كان يكتب كل مايتكلم به حتى انه يكتب أكلت وشربت ونحوه ثم يلقى ماليس فيه خير ولا شر ويثبت ما كان منه شرا أو خيرا وعلى ذلك قوله تعالى مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد وقوله سبحانه إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد وأخرج الدينورى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله تعالى للملائكة اذا هم عبدى بحسنة فاكتبوها واحدة فان عملها فاكتبوها عشرا واذا هم بسيئة فلا تكتبوها فان عملها فاكتبوها واحدة فقال رجل يا أبا محمد الملكان يعلمان الغيب قال لا يعلمان الغيب ولكن اذا هم العبد بحسنة فاح منه رائحة المسك فيعلمان أنه قد هم بالحسنة واذا هم بالسيئة فاح منه رائحة النتن فيعلمان أنه قد هم بالسيئة وأخرج أيضا عن ابن المبارك قال بلغنى أن مامن أحد من بنى آدم الا ومعه خمسة من الملائكة واحد عن يمينه وواحد عن شماله وواحد خلفه وواحد أمامه وواحد فوقه يدفع عنه ماينزل من فوق أو من الهواء وأخرج عبد الرزاق عن ابن عباس فى قوله تعالى له معقبات قال ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فاذا جاء قدره خلوا عنه وأخرج ابن جرير عن ابراهيم يحفظونه من أمر الله قال من الجن وفى رواية عن السدى يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ولا يصيبه شئ لم يكتب عليه اذا غشى من ذلك شيأ دفعاه عنه ألم تره يمر بالحائط فاذا جاز سقط فاذا جاء الكتاب خلوا بينه وبين ما كتب له وهم من أمر الله أمرهم أن يحفظوه وروى البيهقى أن لله عز وجل ملائكة فى الارض سوى الحفظة يكتبون مايسقط من ورق الاشجار فاذا أصاب أحدكم شئ بان أفلتت دابته أو احتاج الى عون فليقل ياعباد الله أعينونا رحمكم الله تعالى فانه يعان ان شاء الله تعالى وروى عبد الله ابن الامام أحمد بن حنبل قال سمعت أبى يقول حججت خمس حجج منها اثنتان راكبا وثلاث ماشيا فضللت الطريق وكنت ماشيا فجعلت أقول ياعباد الله دلونى على الطريق فلم أزل أقول ذلك حتى وقعت على الطريق وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن محمد بن كعب القرظى قال قرأت فى التوراة أو قال فى صحف ابراهيم عليه السلام فوجدت فيها يقول الله عز وجل يا ابن آدم ما أنصفتنى خلقتك ولم تك شيأ وجعلتك بشرا سويا خلقتك من سلالة من طين وجعلتك نطفة فى قرار مكين ثم خلقت النطفة علقة فخلقت العلقة مضغة فخلقت المضغة عظاما فكسوت العظام لحما ثم أنشأتك خلقا آخر يا ابن آدم فهل يقدر على ذلك غيرى ثم خففت ثقلك عن أمك لئلا تتأذى بك ثم أوحيت الى الامعاء أن اتسعى والى الجوارح أن تفرقى فاتسعت الامعاء من بعد ضيقها وتفرقت الجوارح من بعد تشبيكها ثم أوحيت الى الملك الموكل بالارحام أن يخرجك من بطن أمك فاستخلصت على ريشة من جناحه فأطلعت عليها فاذا أنت خلق ضعيف ليس لك سن يقطع ولا ضرس يطحن فاستخلصت لك فى صدر أمك عرقا يدر لبنا باردا فى الصيف حارا فى الشتاء واستخلصته لك من بين جلد ودم وعروق ثم قذفت لك فى قلب والدتك الرحمة وفى قلب أبيك التحنن فهما يكدان ويجهدان ويربيانك ويغذيانك ولا ينامان حتى ينومانك يا ابن آدم لم فعلت بك ذلك الشئ استأهلت به منى أو لحاجة استعنت بك على قضائها يا ابن آدم فلما قطع سنك وطحن ضرسك أطعمتك فاكهة الصيف فى أوانها وفاكهة الشتاء فى أوانها فلما أن عرفت أنى ربك عصيتنى فالآن إذ عصيتنى فادعنى فانى قريب مجيب فادعنى فانى غفور رحيم وأخرج أبو الشيخ بسند جيد عن ابن عباس قال وكل بالجنين ملك اذا نامت الام واضطجعت رفع رأسه لولا ذلك لغرق فى الدم (قلت) إذا علمت ذلك وأردت السلوك باحسن المسالك علمت أن ماتقوله النساء عند وضع الجنين مخالف لما شرع فى الكتاب المبين وورد فى أدعية سيد المرسلين عليه أفضل صلاة المصلين فينبغى أن لا ينادين ياعلى ياعباس أو غيرهما من صلحاء الناس ولا يطلبوا تيسر المخاض والطلق إلا من فالق الصباح والفلق فانه الخالق للجنين ومخرجه

من الرحم المكين ولا ينبغى لصادق الايمان أن يلتجئ فى تلك الحالة إلى أحد من الانس والجان بل ينقطع فى تنفيس كربته الى خالق مضغته ومبدئ نشأته والقادر بعد الفناء على إعادته ثم ذكر الفقهاء لأجل تسهيل(١) الولادة كتابة بعض الآيات فمنها بسم الله الرحمن الرحيم وألقت مافيها وتخلت وأذنت لربها وحقت أهيا شراهيا اه ورأيت فى بعض الكتب أن معناهما ياحى ياقيوم قالوا وتكتب هذه على ورقة قرطاس وتشد بفخذ المرأة اليسرى فيعجل الوضع باذنه تعالى وترى بعد العسر يسرا هذا ولنرجع الى مانحن بصدده من بيان وظائف بعض الملائكة وأصنافهم فقد أخرج الأوزاعى فى تاريخ مكة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه سئل هذه الجمار ترمى فى الجاهلية والاسلام كيف لا تكون هضابا تسد الطريق فقال إن الله عز وجل وكل بها ملكا فما تقبل منه رفع ومالم يتقبل منه ترك وأخرج الحاكم فى تاريخه والشيرازى فى الألقاب عن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ملك موكل بالقرآن فمن قرأه من أعجمى أو عربى فلم يقومه قومه الملك ثم رفعه قواما وأخرج الخطيب عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى على عند قبرى سمعته ومن صلى على نائيا وكل الله بها ملكا يبلغنى وأخرج الطبرانى والبغوى عن أبى طلحة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أتانى جبريل ببشارة من ربى قال إن الله بعثنى اليك أبشرك أنه ليس أحد من أمتك يصلى عليك صلاة الا صلى الله وملائكته عليه بها عشرا وأخرج ابن عساكر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لله ملائكة وهم الكروبيون من شحمة أذن أحدهم الى ترقوته(٢) مسيرة سبعمائة عام للطائر السريع الانحطاط وأخرج البيهقى فى شعب الايمان عن على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه قال ان فى السماء الرابعة حظيرة يقال لها حظيرة القدس فيها ملائكة يقال لهم الروحانيون فاذا كان ليلة القدر استأذنوا ربهم فى النزول الى الدنيا فيأذن لهم فلا يمرون على مسجد يصلى فيه ولا يستقبلون أحدا فى طريق إلا دعوا له فأصابه منهم بركة وأخرج أحمد والبخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله فانها رأت ملكا واذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فانها رأت شيطانا وليعلم أن طوائف المكلفين أربعة الملائكة وهم أكثر جميع المخلوقات عددا والانس والجن والشياطين والاختلاف بين الجن والشياطين قيل بالذاتيات كما بين الانسان والفرس وقيل بالعوارض فالجن خيارهم والشياطين شرارهم وبعض الفرق أنكرتهم وانكارهم كفر قال تعالى يامعشر الجن والانس وقال عليه السلام الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم مامنكم أحد إلا وله شيطان قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا إلا أن الله تعالى أعاننى عليه فأسلم ويروى أن عيسى عليه السلام دعا ربه أن يريه موضع الشيطان من بنى آدم وكيفية وسوسته فأراه ذلك فاذا رأسه مثل رأس الحية واضع رأسه على قلبه فاذا ذكر الله تعالى خنس وأيس واذا لم يذكره ولم يستعذ وضع رأسه على حبة قلبه وقال الوالد عليه الرحمة فى روح المعانى عند تفسير قوله تعالى قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن ماملخصه الجن واحده جنى كروم ورومى وهم أجسام عاقلة تغلب عليها النارية كما يشهد له قوله تعالى وخلق الجان من مارج من نار وقيل الهوائية قابلة جميعها أو صنف منها للتشكل بالأشكال المختلفة من شأنها الخفاء وقد ترى بصور غير صورها الاصلية بل وبصورها الاصلية التى خلقت عليها كالملائكة عليهم السلام وهذا للانبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم ومن شاء الله تعالى من خواص عباده عز وجل ولها قوة على الاعمال الشاقة وأكثر الفلاسفة على إنكار الجن وهو الذى يلوح من

(١) وفى المجلس السابع والعشرين رقيات أخر لتسهيل الولادة فراجعها ولا تغفل اه منه (٢) الترقوة ولا تضم تاؤه العظم بين ثغرة النحر والعاتق وجمعه التراقى والترائق اه منه

كلام ابن سيناء وذلك كفر صريح واعترف جمع عظيم من قدماء الفلاسفة وأصحاب الروحانيات بوجودهم ويسمونهم بالارواح السفلية والآية ظاهرة فى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم علم استماعهم له بالوحى لا بالمشاهدة وقد وقع فى الاحاديث أنه عليه الصلاة والسلام رآهم وجميع ذلك بتعدد القصة لان ابن عباس يقول ما رآهم وقد روى أبو داود عن علقمة عن ابن مسعود عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال أتانى داعى الجن فذهبت معه وقرأت عليهم القرآن قال وانطلق بنا وأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وفى رواية أخرى عن ابن مسعود أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صلى العشاء فأخذ بيدى حتى أتينا مكان كذا فأجلسنى وخط علىّ خطا ثم قال لا تبرحن خطك فبينما أنا جالس إذ أتانى رجال منهم كأنهم (١) الزط فذكر حديثا طويلا وأنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما جاء الى السحر قال وجعلت أسمع الأصوات ثم جاء عليه الصلاة والسلام فقلت أين كنت يا رسول الله فقال أرسلت الى الجن فقلت ما هذه الأصوات التى سمعت قال هى أصواتهم حين ودعونى وسلموا علىّ واختلف العلماء فيما استمعوه فقال عكرمة اقرأ باسم ربك وقيل سورة الرحمن وتمام الكلام فى بحث الجان يطلب من كتاب آكام المرجان فيا من بين يديه الموت والحساب والتوبيخ الشديد والعتاب وعليه بأقواله وأفعاله من الملائكة كتاب وقد أذنب كثيرا غير أنه ما تاب وكلما عوتب خرج من باب الى باب ألست الذى دمت على الخطا وعصيت وبارزت بالقبيح وما استحييت وعلمت تحريم الذنب ثم أتيت وعرفت عظيم الجزاء وتناسيت ستكف الخمس بعد الحركة واللمس وسيذهب اليوم كما ذهب أمس وسيبدل النطق بالسكوت والهمس وستعدم نور القمر وضوء الشمس وسيقلع البستان وييبس الغرس وقد قرب وقت الغمس فى بحر الرمس وسينسى ذو العلم الدرس بالدرس

نشيد قصورا للخلود سفاهة * ونبصر ما شئنا قبورا دوارسا
لقد صرمت كسرى الملوك وتبعا * وقيصر آمالا فلم تر قابسا
وقد نصح الدنيا لنا الموت واعظا * وهيهات ما نزداد إلا تقاعسا

فيا نائما الى كم ذا الهجوع الى متى بالهوى هذا الولوع أتنفعك وقت الموت الدموع تقول فرقوا المال فالعجب بجود الممنوع هذا وملك الموت يسلها من بين الضلوع وخلت منك المساكن وفرغت الربوع وتمنيت أن لو زدت من سجود وركوع فيا إخوتى الدنيا فى ادبار وأهلها منها فى استكثار فهذا حادى الممات قد أسرع هذه قصور الاخوان بلقع ما لصاحب المال اذا المال يوزع ما نفعه حرصه فسلب ما جمع أجمع أين كسرى أين قيصر أين تبع أين حاتم الجود أين من كان يمنع أين قس وسحبان أين ابن المقفع (٢) انها لتمحو العين ثم للأثر تقلع فعليكم عباد الله بالتقوى فهذه أوقات معظمة وساعات مكرمة وقد صيرتم صحافها بالذنوب معتمة فبيضوا بالتوبة صحفكم المظلمة فالملك يكتب خطاياكم ونفسكم فلا تظلموا فيهن أنفسكم قد ضيعتم معظم السنة فدعوا من الآن هذه السنة واسمعوا المواعظ فقد نطقت بألسنة ودعوا الخطأ فيكفى ما قد ركبتم فلا تظلموا فيهن أنفسكم اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار اللهم لا تدع لنا ذنبا إلا غفرته ولا ميتا إلا رحمته ولا مريضا إلا شفيته ولا فاسقا إلا أصلحته ولا صالحا إلا قبلته ولا غائبا إلا بالخير رددته ولا محتاجا إلا من الحلال رزقته ولا كربا إلا فرجته ولا عسرا إلا يسرته ولا حاسدا إلا خيبته ولا عدوا إلا خذلته وبعدته ولا حقا إلا استخلصته ولا عملا إلا تقبلته ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضا ولنا فيها صلاح إلا يسرتها برحمتك يا أرحم الراحمين

---

(١) قال الفيروزابادى عليه الرحمة الزط بالضم جيل من الهند معرب جت بالفتح اهـ منه

(٢) مروان بن المقفع تابعى وأبو محمد عبد الله بن المقفع فصيح بليغ كما فى القاموس اهـ منه

﴿ المجلس الثالث عشر ﴾

﴿ فى الايمان بالكتب المنزلة من حديث جبريل عليه السلام أيضا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الداعى الى بابه الهادى لأحبابه المنعم بانزال كتابه يشتمل على محكم ومتشابه وليس للمتكلم به مشابه شغل به محبه عن مزماره وربابه فكلما تلاه زاد الحب وربابه وكساء العرفان أثواب ثوابه فألهاه عن الكون لذة شرابه وسرى به عن سرابه فهو دون الناس أولى به أحمده على الهدى وتسهيل أسبابه وأقر بوحدانيته إقرار مؤمن يأمن من عقابه وأن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى قدمه على أضرابه ورآه عيانا ليلة أسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى صاحبه أبى بكر الصديق المقدم على أصحابه وعلى عمر الذى عز به الدين واستقامت الدنيا به وعلى عثمان شهيد داره وقتيل محرابه وعلى ابن عمه علىّ حلال كل مشكل وكاشف نقابه وعلى آله وجميع أصحابه ومن هو أولى به ﴿ أما بعد ﴾ فنروى بسندنا الى الامام مسلم بن الحجاج عليه الرحمة فانه قال فى جامع الصحيح الحرى بالترجيح عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال حدثنى أبى عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرنى عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت فأخبرنى عن الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره قال صدقت الخ (فنقول) وبالله التوفيق ومنه الهداية الى أقوم طريق قد تقدم الكلام فى الدروس الماضية على مبدإ هذا الحديث وبقى الكلام على قوله عليه الصلاة والسلام وكتبه الخ قال العلماء رحمهم الله تعالى أى تصدق بانها كلام الله تعالى المنزل على أنبيائه وكل ما تضمنته حق وهى مائة كتاب وأربعة كتب أنزل منها على شيث خمسين وعلى ادريس ثلاثين وعلى آدم عشرة وعلى ابراهيم عشرة وعلى داود الزبور وعلى موسى التوراة وعلى عيسى الانجيل وعلى نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن العظيم قال العلماء ان الله تعالى أنزل القرآن فى رمضان وأنزلت صحف ابراهيم أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لأربع وعشرين ثم أنه لا شك أن القرآن قد نزل منجما مفرقا على حسب الوقائع والمصالح وقوله تعالى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن أى أنزل أوله وذلك ليلة القدر أو أنه أنزل جملة الى السماء الدنيا فى ليلة القدر ثم نزل الى الأرض نجوما (١) فى ثلاث وعشرين سنة وهو أفضل جميع الكتب ولنذكر مسائل منثورة من كتب العلماء ولا سيما الاتقان فيما يتعلق بالقرآن فقد قالوا يستحب الاكثار من تلاوته قال تعالى يتلون آيات الله آناء الليل وفى الصحيحين لا حسد الا فى اثنين رجل آتاه الله تعالى القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار وروى الترمذى من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها وروى ابن مسعود يقول الرب سبحانه وتعالى من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وفضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه وروى أبو أمامة اقرؤا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شفيعا لصاحبه وأخرج البيهقى عن عائشة البيت الذى يقرأ فيه القرآن يتراأى لاهل السماء كما تتراأى النجوم لاهل الارض وروى النعمان بن بشير أفضل

---

(١) أى مفرقا اهـ منه

عبادة أمتي قراءة القرآن ويكره تأخير ختمه بلا عذر أكثر من أربعين يوما على ماقال غير واحد نص عليه أحمد وروى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة أنه قال من قرأ القرآن في كل سنة مرتين فقد أدى حقه لان النبي صلى الله عليه وسلم عرض على جبريل في السنة التي قبض فيها مرتين وللسلف عادات فأكثر ما ورد من كان يختم في اليوم والليلة ثمان ختمات أربعا في الليل وأربعا في النهار وقد ذمت عائشة رضي الله تعالى عنها من يختم فيهما ختمة قال مخراق قلت لعائشة إن رجالا يقرأ أحدهم القرآن في ليلة مرتين أو ثلاثا فقالت قرؤا ولم يقرؤا كنت أقوم مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة التمام فيقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء فلا يمر بآية فيها استبشار الا دعا ورغب ولا بآية فيها تخويف الا دعا واستعاذ وكره جماعات الختم في أقل من ثلاثة أيام وروى ابن عمر اقرأ القرآن في شهر ونسيانه من الكبائر فقد روى أبو داود عرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها ويستحب الوضوء لقراءته وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم يكره أن يذكر الله إلا على طهر ولا يكن فمه نجسا واذا عرضت له ريح يمسك عن القراءة حتى تستتم وتسن القراءة في مكان نظيف وأفضله المسجد وكره قوم في الحمام والطريق ويستحب أن يجلس مستقبلا للقبلة متخشعا بسكينة ووقار مطرقا رأسه ويستاك ويسن التعوذ قبلها وذهب قوم بعدها وذهب قوم الى وجوبها ولو مر على قوم فسلم وعاد الى القراءة عاد الى التعوذ قيل يجهر وقيل يسر به وليحافظ على البسملة ولا تحتاج الى النية ويسن الترتيل قال تعالى ورتل القرآن ترتيلا قالوا قراءة جزء بترتيل أفضل من قراءة جزءين بقدر ذلك الزمان بلا ترتيل روى ابن عمر مرفوعا يقال لصاحب القرآن يوم القيامة اقرأ وارق في الدرجات ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند آخر آية كنت تقرؤها ويسن تحسين الصوت بالقراءة وترتيبها الحديث ابن حبان وغيره زينوا القرآن بأصواتكم وفي آخر حسن الصوت زينة القرآن لكن لايخرج الى حد التمطيط وأما القراءة بالألحان فنص الشافعي أنه لا بأس بها والقراءة في المصحف أفضل من الحفظ لان النظر فيه عبادة مطلوبة روى أويس موقوفا قراءة الرجل في غير المصحف ألف درجة وقراءة في المصحف تضاعف ألفي درجة وقيل من الحفظ أفضل ويكره قطع القراءة لمكالمة أحد والضحك والعبث والنظر الى مايلهي وقراءة السورة منكوسة أي من آخرها الى أولها ممنوع فعن ابن مسعود أنه سئل عن رجل يقرأ القرآن منكوسا قال ذلك منكوس القلب ويسن الاستماع لقوله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له الى آخره ويسن صوم يوم الختم وأن يحضره أهله وأصدقاؤه والرحمة تنزل عند ختمه والدعاء مستجاب روى من ختم القرآن فله دعوة مستجابة ويستحب التكبير من الضحى الى آخر القرآن عن البزي أن الأصل في ذلك انقطع الوحي عنه عليه الصلاة والسلام لكلب كان تحت السرير فقال المشركون قلى محمدا ربه فنزلت سورة الضحى فكبر وقيل التشبه للقرآن بصوم رمضان اذا كمل عدته يكبر وقيل لا يكبر خوفا من مظنة الزيادة وعند السخاوي وأبي شامة سواء في التكبير الصلاة وخارجها ويسن اذا فرغ أن يشرع في غيرها الى أولئك هم المفلحون ويكره اتخاذ القرآن معيشة يكتسب بها ومن قرأ القرآن عند ظالم ليرفع به لعن بكل حرف عشر لعنات روى القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه واتفق أكثر الأئمة على وصول ثواب القراءة للميت ومذهب المعتزلة خلافه لقوله تعالى وأن ليس للانسان إلا ماسعى وفي الدر المختار وحاشيته لابن عابدين عليه الرحمة ان من دخل الى المقبرة يقرأ يس فقد ورد من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات وفي حديث من قرأ الاخلاص أحد عشر مرة ثم وهب أجرها للأموات أعطى من الأجر بعدد الأموات وفي شرح اللباب ويقرأ من القرآن ماتيسر له من الفاتحة وأول البقرة الى المفلحون وآية الكرسي وآمن الرسول وسورة يس وتبارك الملك وسورة التكاثر

والاخلاص اثنى عشر مرة أو احدى عشرة أو سبعا أو ثلاثا ثم يقول اللهم أوصل ثواب ماقرأناه الى فلان أو اليهم اه فقد صرح علماؤنا في باب الحج عن الغير بان للانسان أن يجعل ثواب عمله لغيره صلاة أو صوما أو صدقة أو غيرها بل قيل الافضل لمن يتصدق نفلا أن ينوي لجميع المؤمنين والمؤمنات لانها تصل اليهم ولا ينقص من أجره شيء وهو مذهب أهل السنة لكن استثنى مالك والشافعي العبادات البدنية المحضة كالصلاة والتلاوة فلا يصل ثوابها الى الميت عندهما بخلاف غيرها كالصدقة والحج وخالف المعتزلة في الكل (أقول) مامر عن الشافعي هو المشهور عنه والذي حرره المتأخرون من الشافعية وصول القراءة للميت اذا كانت بحضرته أو دعا له عقبها ولو غائبا لان محل القراءة تنزل الرحمة والبركة والدعاء عقبها أرجى للقبول ومقتضاه أن المراد انتفاع الميت بالقراءة لا حصول ثوابها له ولهذا اختاروا في الدعاء اللهم أوصل مثل ثواب ماقرأته الى فلان وأما عندنا فالواصل اليه نفس الثواب وفي كتاب الروح للحافظ ابن القيم أنه اختلف في اهداء الثواب الى الحي فقيل يصح لاطلاق قول أحمد يفعل الخير ويجعل نصفه لأبيه وأمه وقد نقل عن جماعة أنهم جعلوا ثواب أعمالهم للمسلمين وقالوا نلقى الله تعالى بالفقر والافلاس والشريعة لاتمنع من ذلك اه باقتصار واختصار ويستحب البكاء عند قراءة القرآن والتباكي لمن لايقدر والحزن والخشوع قال عليه الصلاة والسلام اني قارئ عليكم سورة فمن بكى فله الجنة فان لم تبكوا فتباكوا وطريق البكاء أن يتأمل في الوعد والوعيد وفي تقصيره ويكره الجماع بحضوره ومد الرجل له ولا يقرؤه الجنب ولا يتوسده وعن ابن عباس أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى اليه وعنه عليه الصلاة والسلام ان البيت الذي يقرأ فيه القرآن كثير خيره والذي لا يقرأ فيه يقل خيره وعنه القرآن أحب الى الله من السموات والارض ومافيهن روى أحمد مامن مسلم يأخذ مضجعه فيقرأ سورة من كتاب الله تعالى إلا وكل الله به ملكا فلا يقربه شيء يؤذيه حتى يهب متى هب أخرج أحمد لو كان القرآن من إهاب ما أكلته النار أي قلب المؤمن عن أنس مرفوعا القرآن شافع مشفع وماحل (١) مصدق من جعله أمامه قاده الى الجنة ومن جعله خلفه قاده الى النار وعن أبي هريرة مامن رجل يعلم ولده القرآن الا توج يوم القيامة بتاج من الجنة ثم اعلم أن العلماء اختلفوا في جواز الاستئجار على تعليم القرآن فحرمه جماعة لرواية البيهقي من قرأ القرآن يتأكل به الناس جاء يوم القيامة ووجهه عظم ليس عليه لحم وعن أبي ابن كعب قال علمت رجلا القرآن فاهدى لي قوسا فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان أخذتها أخذت قوسا من نار ومن جوز استدل بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله هذا في التعليم وأما في القراءة للميت بالاستئجار فلا يصح على القول الأصح قال شيخ مشايخنا العلامة ابن عابدين في حاشيته من جملة كلام طويل قال تاج الشريعة في شرح الهداية ان القرآن بالاجرة لا يستحق الثواب لا للميت ولا للقارئ وقال العيني ويمنع القارئ للدنيا والآخذ والمعطي آثمان وقال الشيخ خير الدين الرملي المفتي به جواز الأخذ استحسانا على تعليم القرآن لا على القراءة المجردة والاجارة في ذلك باطلة وهي بدعة لم يفعلها أحد من الخلفاء وقال في الولوالجية ولو زار قبر صديق أو قريب له وقرأ عنده شيأ من القرآن فهو حسن أما الوصية بذلك فلا معنى لها ونقل الخلوتي في حاشية المنتهى الحنبلي عن شيخ الاسلام تقي الدين مانصه ولا يصح الاستئجار على القراءة واهدائها الى الميت لانه لم ينقل عن أحد من الأئمة الاذن في ذلك وقد قال العلماء أن القارئ اذا قرأ لأجل المال فلا ثواب له فأي شيء يهديه الى الميت وانما يصل الى الميت العمل الصالح والاستئجار على مجرد التلاوة لم يقل به أحد من الأئمة وانما تنازعوا على التعليم اه بحروفه وممن صرح بذلك أيضا الامام البركوي قدس

(١) لعل الماحل بمعنى المجادل أو من المماحلة وهي القوة والشدة كما في القاموس فليراجع اه منه

سره فى آخر الطريقة المحمدية فقال الفصل الثالث فى أمور مبتدعة باطلة أكب الناس عليها على ظن أنها قرب مقصودة الى أن قال ومنها الوصية من الميت باتخاذ الطعام والضيافة يوم موته أو بعده وباعطاء دراهم لمن يتلو القرآن لروحه أو يسبح أو يهلل له وكلها بدع منكرات باطلة والمأخوذ منها حرام للآخذ وهو عاص بالتلاوة والذكر لأجل الدنيا اه ملخصا وليعلم أن العلماء اختلفوا فى أخوف آية من القرآن فقيل قوله تعالى ويحذركم الله نفسه وقيل سنفرغ لكم أيها الثقلان وقيل فأين تذهبون وقيل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وكذا فى أرجى آية فقيل قوله تعالى وهل يجازى إلا الكفور وقيل إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى وقيل وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وقيل قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا وروى عن على كرم الله تعالى وجهه انها ولسوف يعطيك ربك فترضى وما أحسن ماقيل

أترضى حبيبى أن تكون منعما * ونحن على جمر اللظى نتقلب

ألم يرضك الرحمن فى سورة الضحى * وحاشاك أن ترضى وفينا معذب

واعلم أن القرآن كلام الله تعالى وهو مقروء بألسنتنا محفوظ فى صدورنا مكتوب فى مصاحفنا قديم غير محدث لاخالق ولامخلوق ومن قال (١) انه مخلوق فقد كفر وأما صوت القارىء فهو حادث وأنه فيه المحكم والمتشابه فأما المحكم فهو الذى يعرف معناه والمقصود منه كآية الصوم والصلاة والحج والزكاة ونحوها والمتشابه ينقسم الى قسمين الأول الذى لايعلم معناه والمراد به الا الله تعالى كحم عسق والم وكهيعص ونحوها من

---

(١) ولنذكر ان شاء الله تعالى فى هذا المقام مسئلة يكثر السؤال عنها وتحجم أغلب الاذهان عنها وهى أن الحنابلة صرحوا بأن كلام البارى سبحانه بحروف وصوت ونسب هذا أيضا الى بقية المذاهب الأربعة وصرح سيدى الشيخ عبد القادر الكيلانى قدس سره فى الغنية بذلك وغيره من الحنابلة أيضا ورووا عن الامام أحمد أنه قال من قال لفظى بالقرآن مخلوق فهو جهمى وأن الحروف قديمة لان كلامه سبحانه قديم وهو مركب من الحروف واعترض بعض العلماء عليهم بأنه يلزم أن يكون كلام المخلوقين أيضا قديما لوجود هذه الحروف فيه فأجاب الشيخ أحمد بن عبد الحليم الحرانى الدمشقى فى بعض تصنيفاته بأن الامام أحمد قال من قال لفظى بالقرآن مخلوق فهو جهمى ولم يقل من قال صوتى بالقرآن لان الصوت غير اللفظ فالصوت مخلوق وهو صوت القارىء واللفظ كلام البارى سبحانه فلا يكون مخلوقا وأما قدم الحروف فانه لايلزم اذا كانت الحروف فى القرآن وكلام الله عز وجل قديمة أن تكون فى كلامنا أيضا قديمة كما إذا قلنا أن البارى سبحانه له علم وقدرة ونحن لنا علم وقدرة مثلا فلا يلزم أن يكون علمنا كعلمه وقدرتنا كقدرته لان علمنا وقدرتنا مخلوقان حادثان وعلمه سبحانه قديم غير مخلوق وكذا قدرته فلذلك أن هذه الحروف الهجائية ان وجدت فى كلامنا فهى من كلامنا وكلامنا مخلوق وان وجدت فى كلام البارى سبحانه فهى غير مخلوقة لان كلامه غير مخلوق لان مثل هذه الأمور اذا أخذت مجردة مطلقة لم يكن لها حقيقة فى الخارج واذا أخذت مشخصة فحينئذ يكون لها حقيقة فتختلف بذلك الاعتبار كالوجود المطلق فانه لاحقيقة له فى الخارج فاذا قلت وجود الله تعالى فيكون قديما وان قلت وجود العبد فيكون حادثا مخلوقا فاذا قلنا يايحيى خذ الكتاب خطابا للرجل فهذا حادث مخلوق واذا قرأنا ذلك من القرآن فهو كلام الله غير مخلوق ولاخالق لان كلام البارى سبحانه ليس ككلامنا كما أن سمعه ليس كسمعنا والمقصود أن الحنابلة صرحوا بأن صوت القارىء مخلوق وان المداد مخلوق وصرحوا بأن الحروف التى فى كلامنا مخلوقة ولايلزم أنها اذا كانت فى كلامه سبحانه قديمة أن تكون فى كلامنا قديمة اذ فرق بين التراب ورب الارباب فليحفظ

أوائل السور والثانى كآية الاستواء والوجه واليد فى قوله تعالى استوى على العرش وقوله تعالى ويبقى وجه ربك وقوله تعالى لما خلقت بيدى ونحو ذلك من الأحاديث كحديث ينزل ربنا الى السماء الدنيا فالخلف على تأويل جميع ذلك كتأويل الاستواء بالاستيلاء والسلف على الايمان بذلك وعدم تكييفه إذ سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وهذا مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم وهو أسلم وأعلم وأحكم ومن أراد زيادة الاطلاع على مفصل هذه الأبحاث فعليه بكتابنا جلاء العينين والله تعالى أعلم بالصواب ولنرجع الى الكلام على بقية الحديث فنقول قوله عليه الصلاة والسلام (ورسله) أى وان تؤمن برسله أى تصدق بما جاؤا به عن الله تعالى قال عز وجل ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين الآية وقدم ذكر الملائكة للترتيب الوجودى لانهم خلقوا قبل الأنبياء أو لانهم واسطة بين الله وبين أنبيائه والأنبياء عددهم مائة ألف نبى وأربعة وعشرون ألف نبى أولهم آدم عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ومنهم المرسلون ثلثمائة وثلاثة عشر وقيل وأربعة عشر وأولوا العزم منهم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام والأنبياء عليهم السلام معصومون من الكبائر والصغائر وأما ماوقع من بعضهم فهو محمول على ترك الأفضل والعمل بالفاضل أو من باب حسنات الابرار سيئات المقربين ولولا خوف الاطالة لذكرنا مفصل ذلك ونبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أفضلهم وأمته أفضل الأمم واختلفت المعتزلة مع أهل السنة فى تفضيل بعض الأنبياء على بعض فقال أهل السنة بالتفضيل والمعتزلة بالمنع قال فى المواهب اللدنية قد بين قوله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض أن مراتب الرسل والأنبياء متفاوتة خلافا للمعتزلة القائلين بأنه لا فضل لبعضهم على بعض وفى هذه الآية رد عليهم وقال قوم آدم أفضل الخلق لأبوته وتوقف بعضهم فقال السكوت أفضل والجمهور على أن الرسل أفضل من الأنبياء والرسل بعضهم أفضل من بعض ونبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل الجميع روى الترمذى أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولافخر ومامن نبى آدم فمن سواه الا تحت لوائى وفى حديث أبى هريرة أنا سيد الناس يوم القيامة وعن ابن عباس أنا سيد ولد آدم وعلى سيد العرب وأما قوله عليه السلام ماتقدم فليس عجبا وافتخارا على من دونه حاشاه من ذلك بل لاظهار نعمة الله تعالى وتعليما للامة بقدر متبوعهم وقوله عليه الصلاة والسلام ماينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى وقوله لاتفضلونى على الأنبياء كان قبل ان يعلم أنه سيد الانبياء أوله أجوبة أخر ليس هذا محلها وأعظم دليل على أفضليته حديث الشفاعة وأخذ الميثاق على الانبياء فقد قال على كرم الله تعالى وجهه مابعث الله تعالى نبيا الا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه قال تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الى آخر الآية الكريمة وقوله عليه الصلاة والسلام (واليوم الآخر) أى أن تؤمن وتصدق بان الله سبحانه وتعالى يعيد الخلق بعد موتهم قال ابن القيم فى كتابه الروح ان منكر المعاد الجسمانى كافر وقد اتفق عليه المسلمون واليهود والنصارى وقال الجلال الدوانى هو باجماع أهل الملل وبشهادة نصوص القرآن بحيث لايقبل التأويل كقوله تعالى أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو حاتم والاسماعيلى فى معجمه والحافظ وابن مردويه والبيهقى فى البعث عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال جاء العاص بن وائل الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعظم بال ففتته بيده فقال يامحمد يحيي الله هذا بعد مارم قال نعم يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم فنزلت الآيات مع آخر سورة يس أولم ير الانسان الى آخر السورة وهذا نص صريح فى الحشر الجسمانى يقلع عرق التأويل بالكلية ولهذا قال الامام الرازى الانصاف أنه لايمكن الجمع بين الايمان بما جاء به النبى

صلى الله تعالى عليه وسلم وبين نفى الحشر الجسمانى فانه قد ورد فى عدة مواضع من القرآن المجيد التصريح به بحيث لا يقبل التأويل أصلا اه وقد سأل ابراهيم عليه السلام من البارى عز وجل أن يريه كيف يحيي الموتى فحكى ذلك عنه فى كتابه العزيز قال تعالى واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم قال المفسرون سبب السؤال منازعة النمرود إياه فى الاحياء وتوعده بالقتل ان لم يحى الله تعالى الميت بحيث يشاهده فدعا فقال الرب جل جلاله خذ أربعة من الطير وهى الغرنوق والطاوس والديك والحمامة كما روى عن ابن عباس فصرهن اليك أى فقطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ وهى أربعة جبال أو سبعة أو عشرة جعل عليها أجزاء الطيور المذكورة بعد أن خلطها وأبقى الرؤس بيده ثم نادى أيتها العظام المتمزقة واللحوم المتفرقة والعروق المتقطعة اجتمعى ليرد الله فيكن أرواحكن فوثب العظم الى العظم وطارت الريشة الى الريشة وجرى الدم الى الدم حتى رجع الى كل طائر دمه ولحمه وريشه حتى صارت جثثا ثم أقبلن الى رؤسهن فانضمت كل جثة الى رأسها فعادت كل واحدة منهن الى ما كانت عليه من الهيئة الأولى وأخرج الطبرانى بسند حسن عن المقدام بن معديكرب قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يحشر ما بين السقط الى الشيخ الفانى يوم القيامة قال القرطبى هذا فى السقط الذى تم خلقه ونفخ فيه الروح بخلاف ما لم ينفخ فيه وأخرج الحاكم عن ابن عمر قال اذا كان يوم القيامة مدت الارض مد الأديم وحشر الله الخلائق الانس والجن والدواب والوحوش فاذا كان ذلك اليوم جعل الله تعالى القصاص بين الدواب حتى يقضى للشاة الجماء من القرناء بنطحتها فاذا فرغ الله من القصاص بين الدواب قال لها كونى ترابا فيراها الكافر فيقول ياليتنى كنت ترابا وأخرج النسائى عن شريك بن سويد قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من قتل عصفورا عبثا عج الى الله يوم القيامة يقول يارب ان فلانا قتلنى عبثا ولم يقتلنى لمنفعة وأخرج ابن حبان وغيره أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش (١) الارض فهى اذا أقبلت تنهشها واذا أدبرت تنهشها وأخرج الطبرانى عن جنادة قال أتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بابل قد وسمتها فى أنفها فقال ماوجدت عضوا تسمه إلا فى الوجه أما إن أمامك القصاص وسنذكر ان شاء الله تعالى تتمة هذا البحث فى الدرس الثامن عشر فعليكم عباد الله بالاستعداد ليوم المحشر قبل أن تفقدوا اللسان والسمع والبصر فاذا أعيدت الاجسام البالية وجمعت الأوصال الفانية وسيقت النفوس العاتية وزفرت الحطيم الصالية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية عجبا أيها المنغمسون فى الذنوب والمرتدون فى أسمال المخازى والعيوب تستخفون عن الناس والله علام الغيوب فهل كذبتم أن يعيدكم كما بدأكم ثانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية فياليت شعرى من للزانى إذا افتضح واشتهر أمره بين الخلائق واتضح ووزن عمل آكل الربا والمطفف فما رجح وقال الكافر ياليتنى لم أدر ما حسابيه يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية أيها اللاهون عن البعث الراضون بالدون عن ذلك البحث لقد وعظنا فأفاد الوعظ والحث فاستمعوا قول الله بأذن واعية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية يجزى الناس بفعلهم يوم القيامة ويرى كل عامل عمله أمامه فيستبشر الصالح ولا تنفع الطالح الندامة ويؤمر بالمتقين الى دار لا تسمع فيها لاغية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية تبا لمن كفر وعصى رسوله وأنكر عرضه على الديان ووصوله ولما رأى نشره وحسابه وكبوله ومثوله نادى ولم ينفعه إذ ذاك هلك عنى سلطانيه يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ويحصى ما تصاغر من الذنوب

(١) الخشاش مثلثة الخاء حشرات الارض والعصافير ونحوها اه منه

ولو ذر ويجزى العبد بعمله إن خيرا فخير وان شرا فشر ولا ينجو إلا من آمن وتواصى بالصبر أو أسلف من صوم فى أيام خالية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية وعليكم عباد الله بالتمسك بالكلام القديم والقرآن الذى هو الصراط المستقيم والاستعداد ليوم القيامة لتفوزوا بالنعيم وتخلصوا من الندامة والعذاب الأليم هذا هو الكتاب القديم هذا كلام السميع العليم هذا الذى منه ألم تكلم به فى الأزل وبالحق أنزلناه وبالحق نزل هذا كلام الرحمن هذا المسموع بالآذان هذا الدليل والبرهان هذا الذى اذا سمعه الشيطان ولى واعتزل وبالحق أنزلناه وبالحق نزل هذا كلام ذى العزة والعلا هذا الذى أعجز جميع الفصحا هذا الذى تكلم به فى الأزل وبالحق أنزلناه وبالحق نزل هذا الذى حير الالباب فلما قصد مسيلمة الكذاب معارضته ومناقضته خاب أتراه لعب أو هزل وبالحق أنزلناه وبالحق نزل يدفع غواة الناس والجنة ويصل بتاليه الى الجنة ولقد والى أهل السنة وأهل البدعة عزل وبالحق أنزلناه وبالحق نزل اللهم انا عبادك وأبناء عبادك وأبناء امائك نواصينا بيدك اللهم انا نسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أو علمته أحدا من خلقك أن تجعل القرآن ربيع قلوبنا وجلاء همومنا وذهاب أحزاننا ونور أبصارنا ونورا يوم القيامة بين أيدينا وعلمنا ما فيه واجعلنا من المؤمنين الممتثلين لظاهره وخافيه واجعله حجة لنا ولا تجعله حجة علينا اللهم إنا قد أمسينا لا نملك لانفسنا دفعا ولا رفعا ولا ضرا ولا نفعا فاعطنا من الخير فوق ما نرجو واصرف عنا من السوء فوق ما نحذر فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب وصلى الله على سيدنا محمد والآل والاصحاب

﴿ المجلس الرابع عشر ﴾

(فى الايمان بالقدر وفى الاحسان من حديث جبريل عليه السلام)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله العظيم فى قدره العزيز فى قهره العليم بحال العبد فى سره وجهره وما يجرى عليه فى دهره الجائد على المجاهد بنصره المنعم على العاصى بستره الحليم عن آمن مكره فهو يرزق الكافر على كفره يسمع صريف القلم عند خط سطره ونعيق الضفضع فى حافة بحره وأنين المدنف عند ضعف صبره ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره أحمده على القدر خيره وشره وأشكره على القضاء حلوه ومره وأشهد بوحدانيته شهادة من لا يجول التشبيه فى فكره وأن محمدا عبده ورسوله أرسله داعيا الى البر أهل بحره وبره صلى الله تعالى عليه وعلى صاحبه أبى بكر سابق الكل بشئ وقر فى صدره وعلى عمر معز الاسلام بغضاضته وقهره وعلى عثمان ذى النورين الصابر من أمره على مره وعلى على أخيه وابن عمه وصهره وعلى سائر آله وأصحابه ما جاد السحاب بقطره ﴿أما بعد﴾ فنروى بسندنا الى الامام مسلم بن الحجاج النيسابورى فانه قال فى جامعه الصحيح عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال حدثنى أبى عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرنى عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاسلام أن تشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت فأخبرنى عن الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره قال صدقت قال فعجبنا منه يسأله ويصدقه قال فأخبرنى عن الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم

تكن تراه فانه يراك الى آخره (فنقول) و بالله التوفيق ولطفه عز شأنه أقوى رفيق قد تقدم الكلام على مبدإ هذا الحديث فى الدروس الماضية وبقى الكلام على قوله عليه الصلاة والسلام و بالقدر أى و بان تؤمن وتصدق بان فعل العبد بقضائه تعالى وقدره ماشاء الله كان ولم يشأ لم يكن قال تعالى وماتشاؤن إلا أن يشاء الله وقال تعالى قل كل من عند الله وأخرج البزار والطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الاسماء والصفات عن ابن عمر قال جاء فئام (١) من الناس إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا يارسول الله زعم أبو بكر أن الحسنات من الله والسيئات من العباد وقال عمر الحسنات والسيئات من الله فتابع هذا قوم وهذا قوم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاقضين بينكما بقضاء إسرافيل بين جبريل وميكائيل فانهما اختلفا كما تختلف أهل الارض فتحا كما الى اسرافيل فقضى بينهما بحقيقة القدر خيره وشره وحلوه ومره كله من الله ثم قال يا أبا بكر إن الله لو أراد أن لايعصى لم يخلق إبليس فقال أبو بكر صدق الله و رسوله نقله فى الحبائك وقال ابن حجر فى كتابه الزواجر أن قوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر أكثر المفسرون أنها نزلت فى القدرية و يؤيده ماأخرجه مسلم أن سبب نزولها أن كفار مكة أتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخاصمون فى القدر فنزل إن المجرمين فى ضلال وسعر يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر إنا كل شئ خلقناه بقدر وصح كتب الله تعالى مقادير الخلائق كلها من قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعن على كرم الله تعالى وجهه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لايؤمن عبد بالله حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله بعثنى بالحق و يؤمن بالبعث بعد الموت و يؤمن بالقدر وفى رواية خيره وشره ومذهب أهل السنة أن الافعال بخلق الله تعالى وكسب من العبد قال الأمالى فى منظومته

مريد الخير والشر القبيح * ولكن ليس يرضى بالمحال

قال بعض الشارحين اعلم أن تقدير الخير والشر من الله تعالى وهو خالق الخير والشر ومريدهما وفعل الخير والشر من العبد والعبد مختار فى فعله اختيار تميز وتحصيل لا إختيار مشيئة وقدرة وهذا مذهب أهل السنة والجماعة وقوله ولكن ليس يرضى بالمحال يعنى بالكفر والقبائح والمعاصى مريدا لها ولا يكون الشئ بغير قضاء وما أحسن ماروواه الكورانى عن الامام الشافعى حيث يقول

ما شئت كان وان لم أشأ * وماشئت ان لم تشأ لم يكن

خلقت العباد على ماعلمت * ففى العلم يجرى الفتى والمسن

على ذا مننت وذا خذلت * وهذا أعنت وذا لم تعن

فمنهم شقى ومنهم سعيد * ومنهم قبيح ومنهم حسن

وذهبت القدرية وهم المعتزلة ومن وافقهم من الامامية الى أن الانسان خالق لأفعاله من خير وشر قادر على الفعل والترك متمكن منهما ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل ولذلك سموا قدرية لانهم ينفون القدر و يثبتون القدرة وذهبت الجبرية الى أن الانسان مجبور على الفعل مطلقا كالسعفة فى الهواء وهذا مذهب باطل أيضا وأنشدوا له

ألقاه فى اليم مكتوفا وقال له * إياك إياك أن تبتل بالماء

ومذهب أهل السنة والجماعة ولله تعالى الحمد مذهب وسط لاجبر ولاتفويض كهذه الأمة المحمدية القائل فى وصفهم سبحانه وتعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا وما أحسن ماقيل

تنكب عن طريق الجبر واحذر * وقوعك فى مهاوى الاعتزال

وخذ وسطا طريقا مستقيما * كما سار الامام أبو المعالى

(١) الفئام بالفاء المكسورة ككتاب الجماعة من الناس لاواحد له من لفظه اهـ منه

وهذا البحث طويل الأذيال ومعترك الفحول من الرجال فاقنع الآن بماذكرناه واعتصم بالملك المتعال ولنرجع الى الحديث قوله فعجبنا له يسأله و يصدقه قال الامام النووى عليه الرحمة سبب تعجبهم أن هذا خلاف عادة السائل الجاهل انما هذا كلام خبير بالمسؤل عنه ولم يكن فى ذلك الوقت من يعلم هذا غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك هذا من جوامع الكلم التى أوتيها صلى الله تعالى عليه وسلم لانا لو قدرنا أن أحدنا قام فى عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى لم يترك شيأ مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت واجتماعه بظاهره و باطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها إلا أتى به فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اعبد الله فى جميع أحوالك كعبادتك فى حال العيان فان التتميم المذكور فى حال العيان انما كان لعلم العبد باطلاع الله سبحانه وتعالى عليه فلا يقدر العبد على تقصير فى هذا الحال للاطلاع عليه وهذا المعنى موجود مع عدم رؤية العبد فينبغى أن يعمل بمقتضاه فمقصود الكلام الحث على الاخلاص فى العبادة ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى فى اتمام الخشوع والخضوع وغير ذلك وقد ندب أهل الحقائق الى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعا من تلبسه بشئ من النقائص احتراما لهم واستحياء منهم فكيف بمن لايزال الله تعالى مطلعا عليه فى سره وعلانيته اهـ قال القسطلانى فى باب الخشوع فى الصلاة الصلاة صلة العبد بربه فمن تحقق بالصلة فى الصلاة لمعت له طوالع التجلى فيخشع وقد شهد القرآن بفلاح مصل خاشع قال الله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون أى خائفون من الله متذللون له يلزمون أبصارهم مساجدهم وعلامة ذلك أن لايلتفت المصلى يمينا ولاشمالا ولايجاوز بصره موضع سجوده صلى بعضهم فى جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس عليها ولم يشعر هو بها والفلاح أجمع إسم لسعادة الآخرة وفقد الخشوع ينفيه وقد قال تعالى وأقم الصلاة لذكرى وظاهر الأمر الوجوب فالغفلة ضده فمن غفل فى جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلاة لذكره تعالى فافهم واعمل فليقبل العبد على ربه و يستحضر بين يدى من هو واقف كان مكتوبا فى محراب داود عليه السلام أيها المصلى من أنت ولمن أنت و بين يدى من أنت ومن تناجى ومن يسمع كلامك ومن ينظر اليك وقال الخراز ليكن إقبالك على الصلاة كاقبالك على الله يوم القيامة و وقوفك بين يديه وهو مقبل عليك وأنت تناجيه اهـ وقيل يجوز أن يكون الاحسان بمعنى إجادة العمل من أحسن فى كذا والمشهور فى الاحسان الاخلاص كما قال تعالى مخلصين له الدين وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه أحدا وروى أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده لاشريك له واقام الصلاة و إيتاء الزكاة فارقها والله عنه راض وروى البيهقى عن الضحاك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول أنا خير شريك فمن أشرك معى شريكا فهو لشريكى يا أيها الناس أخلصوا أعمالكم فان الله تعالى لايقبل من الأعمال إلا ماخلص له ولاتقولوا هذا لله وللرحم وليس لله تعالى فيها شئ وروى الامام أحمد عن أبى كبشة الأنمارى رضى الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه مانقص مال عبد من صدقة ولاظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله تعالى عزا ولافتح عبد باب مسئلة إلا فتح الله تعالى عليه باب فقر أو كلمة نحوها وأحدثكم حديثا فاحفظوه قال انما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله تعالى مالا وعلما فهو يتقى فيه ربه عز وجل و يصل فيه رحمه و يعلم لله فيه حقا فهذا بأفضل المنازل وعبد رزقه الله تعالى علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول لو أن لى مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء وعبد رزقه الله عز وجل مالا ولم يرزقه علما يخبط فى ماله بغير علم ولايتقى فيه ربه عز وجل ولايصل فيه رحمه ولايعلم لله تعالى فيه حقا فهذا بأخبث المنازل وعبد لم يرزقه

الله تعالى مالا ولا علما فهو يقول لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء رواه أحمد والترمذى وصححه ولأجل ذلك كان الرياء فى الأعمال من الكبائر وعمل صاحبه مردودا عليه فقد روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر الرياء يقول الله يوم القيامة اذا جزى الناس بأعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فى الدنيا انظروا هل تجدون عندهم جزاء وروى الطبرانى أن أدنى الرياء شرك وأحب العبيد الى الله الأتقياء الأسخياء الأخفياء أى المبالغين فى ستر عباداتهم وتنزيهها عن شائبة الاغراض الفانية وروى الترمذى والحاكم ان الله اذا كان يوم القيامة ينزل الى العباد أى يتجلى لهم تجليا منزها عن الحركة والانتقال وسائر لوازم الجهات والاجسام أو نزولا لائقا بذاته جل وعز ليقضى بينهم وكل أمة جاثية وأول من يدعو به رجل جمع القرآن ورجل قتل فى سبيل الله ورجل كثير المال فيقول للقارىء ألم أعلمك ما أنزلت على رسولى قال بلى يارب قال فماذا عملت فيما علمت قال كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله تعالى بل أردت أن يقال فلان قارىء فقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله تعالى ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج الى أحد قال بلى يارب قال فماذا عملت فيما آتيتك قال كنت أصل الرحم وأتصدق فيقول الله تعالى له كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله عز وجل له بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذلك ويؤتى بالذى قتل فى سبيل الله فيقول الله تعالى له فيماذا قتلت فيقول أمرت بالجهاد فى سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة له كذبت ويقول الله تعالى له بل أردت أن يقال فلان جرىء شجاع فقد قيل ذلك يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق تسعر بهم النار يوم القيامة وفى رواية أخرى ورجل تعلم العلم وعلمه فأتى به فعرفه نعمته فعرفها فقال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته قال كذبت ولكنك تعلمته ليقال عالم فقد قيل ذلك ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار وروى أنه اذا كان يوم القيامة يجاء بالاعمال فى صحف مختمة فيقول الله عز وجل اقبلوا هذا وردوا هذا فتقول الملائكة وعزتك ما كتبنا إلا ما عمل فيقول ان عمله كان لغير وجهى وإنى لا أقبل اليوم إلا ما كان لوجهى وروى الديلمى أن الارض لتعج الى الله من الذين يلبسون الصوف رياء وابن ماجه رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش ورب قائم ليس له من قيامه الا السهر والديلمى ريح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجدها من طلب الدنيا بعمل الآخرة والبيهقى من أحسن الصلاة حيث يراه الناس ثم أساءها حيث يخلو فتلك استهانة أهان بها ربه قال الفضيل ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك والذى يذهب الرياء ونحوه قولك كل يوم ثلاث مرات اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك شيأ وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم ذكر حجة الاسلام الغزالى فى الأحياء أن رجلا عابدا بلغه أن قوما يعبدون شجرة فخرج لقطعها فقال له ابليس لعنه الله تعالى ان قطعتها عبدوا غيرها فارجع الى عبادتك فقال لابد من قطعها فقاتله فصرعه العابد فقال أنت رجل فقير فارجع الى عبادتك وأجعل لك دينارين تحت رأسك كل ليلة ولو شاء الله تعالى لأرسل رسولا يقطعها وما عليك اذا لم تعبدها أنت قال نعم فلما أصبح وجد دينارين وفى ثانى يوم لم يجد فخرج لقطعها فصرعه ابليس فقال له العابد كيف غلبتك أولا ثم غلبتنى ثانيا فقال لان غضبك كان أولا لله وثانيا للدينارين فصرعتك وغلبتك * ثم اعلم أن الاحسان بالمعنى الذى ذكرناه وتكلمنا عليه هو المراد من الحديث الشريف وقد يأتى الاحسان بمعنى عام شامل لاحسان الانسان على نفسه وشامل للاحسان على غيره فلذلك يشمل الاحسان وجوها عديدة فلنذكر بعضها تكميلا لفائدة المقام إذ الاحسان كما قيل بالتمام فمنها الاحسان لليتيم قال تعالى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر قال صلى الله تعالى عليه وسلم والذى بعثنى بالحق نبيا لا يعذب الله تعالى يوم القيامة

من رحم اليتيم وألان له الكلام ورحم له يتمه وضعفه وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من عال ثلاثة من الأيتام كان كمن قام ليله وصام نهاره وغدا وراح شاهرا سيفه فى سبيل الله وكنت أنا وهو فى الجنة أخوين كما أن هاتين أختان وألصق أصبعيه السبابة والوسطى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إن أحب البيوت الى الله تعالى بيت فيه يتيم مكرم وفى رواية وشر بيت من بيوت المسلمين فيه يتيم يساء اليه وعن أبى هريرة قال صلى الله تعالى عليه وسلم أنا أول من يفتح باب الجنة إلا أنى أرى إمرأة تبادرنى فأقول لها مالك ومن أنت فتقول أنا إمرأة قعدت على أيتام لى وعن أبى أمامة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من مسح على رأس يتيم لم يمسحه إلا لله كان له فى كل شعرة مرت عليها يده حسنة وعن أم سلمة رضى الله تعالى عنها قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من أنفق على ابنتين أو أختين أو ذواتى قرابة يحتسب النفقة عليهما حتى يغنيهما من فضل الله أو يكفيهما كانتا له سترا من النار ومنها ستر المسلم أخاه قال صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرى مؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه إلا أدخله الله تعالى بها الجنة ومن ستر مسلما ستره الله تعالى فى الدنيا والآخرة وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفتضح بها فى بيته ومنها إكرام الجار وتحمل أذيته عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره أو لأخيه ما يحب لنفسه وقال صلى الله تعالى عليه وسلم أتدرون ما حق الجوار ان استعان بك أعنه وان استقرضك أقرضه وان افتقر جدعليه وان مرض عده وان مات اتبع جنازته وان أصابه خير هنه وان أصابته مصيبة عزه ولا تستطل عليه البناء فتحجز عنه الريح إلا باذنه ولا تؤذه بقتار ريح قدرك الا أن تغرف له منها وان اشتريت فاكهة فاهد له منها فان لم تفعل فادخلها سرا ولا تخرج بها أولادك فيغيظوا بها ولده قال الحسن البصرى ليس حسن الجوار كف الأذى عن الجار بل حسن الجوار الصبر على أذى الجار وكان للحسن بن على رضى الله تعالى عنهما جار يهودى قد انخرق جداره وصارت القاذورات فى دار الحسن واليهودى لم يعلم فدخلت زوجة اليهودى يوما فرأت ذلك فأخبرت زوجها فجاء معتذرا فقال الحسن أمرنى جدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باكرام الجار فعند ذلك قال أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله فحسن اسلامه وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من يأخذ عنى هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن فقلت أنا يارسول الله فأخذ بيدى فعد خمسا قال اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم لك تكن أغنى الناس وأحسن الى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب رواه الترمذى وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله عز وجل ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض رواه فى الترهيب والترغيب ومنها طلاقة الوجه وطيب الكلام روى مسلم عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تحقرن من المعروف شيأ ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق وعن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تبسمك فى وجه أخيك لك صدقة واماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة وافراغك من دلوك فى دلو أخيك صدقة وعن أبى جرى الهجيمى رضى الله تعالى عنه قال أتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت يارسول الله إنا قوم من أهل البادية فعلمنا شيأ ينفعنا الله تعالى به قال لا تحقرن من المعروف شيأ ولو أن تفرغ من دلوك فى إناء

المستسق ولو أن تكلم أخاك ووجهك اليه منبسط واياك واسبال الازار فانه من المخيلة ولا يحبها الله تعالى وان امرؤ شتمك بما يعلم فيك فلا تشتمه بما تعلم فيه فان أجره لك و باله على من قاله ومنها أن لا يستمع الى كلام غيره ففى الحديث من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل ومن استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب فى أذنه الآنك (١) يوم القيامة ومن صور صورة عذب وكلف أن ينفخ فيه الروح وليس بنافخ ومنها عدم التهاجر عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث وروى كعب عنه صلى الله تعالى عليه وسلم الله الله فيما ملكت أيمانكم ألبسوا ظهورهم وأشبعوا بطونهم وألينوا لهم القول وعن أبى أمامة عنه عليه الصلاة والسلام أربعة يوفون أجورهم مرتين أزواج النبى ومن أسلم من أهل الكتاب ورجل كانت عنده أمة فأعجبته فأعتقها ثم تزوجها وعبد مملوك أدى حق الله تعالى وحق ساداته وعن ابن عباس ألا أنبئكم بشراركم قالوا بلى ان شئت يارسول الله قال ان شراركم الذى ينزل وحده ويجلد عبده ويمنع رفده أفلا أنبئكم بشر من ذلك قالوا بلى ان شئت يارسول الله قال من يبغض الناس ويبغضونه قال أفلا أنبئكم بشر من ذلك قالوا بلى ان شئت يارسول الله قال الذين لا يقيلون عثرة ولا يقبلون معذرة ولا يغفرون ذنبا قال أفلا أنبئكم بشر من ذلك قالوا بلى ان شئت يارسول الله قال من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره ومنها شكر الاحسان فلذا كان كفر الاحسان من الكبائر قال فى الزواجر ومنها كفران نعمة المحسن قال عليه الصلاة والسلام لا ينظر الله الى امرأة لا تشكر زوجها وهى لا تستغنى عنه ولذلك سماهن كافرات وقال عليه الصلاة والسلام لا يشكر الله من لا يشكر الناس روى عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من استعاذ بالله فأعيذوه ومن سألكم بالله فاعطوه ومن استجار بالله فاجيروه ومن أتى إليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا ان قد كافأتموه وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من صنع اليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد أبلغ فى الثناء ومنها عدم احتقار المسلم وأنه لا فضل لأحد على أحد الا بالتقوى روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا التقوى ههنا التقوى ههنا وأشار الى صدره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله ومنها أن لا يكون ذا السانين ولا وجهين عن أنس أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من كان ذا السانين جعل الله تعالى له يوم القيامة لسانين من نار وعن سعد بن أبى وقاص قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ذو الوجهين فى الدنيا يأتى يوم القيامة وله وجهان من نار رواه الطبرانى ومنها الاصلاح بين الناس وقبول إعتذار من اعتذر محقا كان أو باطلا روى أبو هريرة أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يارسول الله قال إصلاح ذات البين فان فساد ذات البين هى الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من أتاه أخوه متنصلا (٢) من ذنب فليقبل محقا ذاك أو مبطلا فان لم يفعل لم يرد على الحوض ومنها زيارة الاخوان والصالحين وإكرام الزائر روى فى كشف الغمة قال قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول زار رجل أخاله فى قرية فارسل الله تعالى على مدرجته ملكا فلما أتى عليه قال أين تريد قال أريد أخالى فى هذه القرية قال هل لك عليه من نعمة تربها قال لا غير أنى أحببته فى الله عز وجل قال فانى رسول الله اليك بان الله

(١) قوله الآنك بالمد وضم النون الرصاص ونحوه اه منه (٢) يقال تنصل اليه من الجناية أى خرج وتبرأ اه منه

قد أحبك كما أحببته فيه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من عاد مريضا أو زار أخاله فى قرية ناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك وطابت لك الجنة وقال الله فى ملكوت عرشه عبدى زار فى وعلى قراه فلم يرض له بثواب دون الجنة وفى رواية قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ألا أخبركم برجالكم فى الجنة قلنا بلى يارسول الله قال النبى فى الجنة والصديق فى الجنة والرجل يزور أخاه فى ناحية المصر لا يزوره إلا لله فى الجنة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى وجبت محبتى للمتحابين فى والمتجالسين فى والمتزاورين والمتباذلين فى وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول إن فى الجنة غرفا يرى ظواهرها من بواطنها وبواطنها من ظواهرها أعدها الله للمتحابين فيه والمتزاورين فيه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا ما يزور رجلا مكفوف البصر بالمدينة ويجلس عنده وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول زر غبا تزدد حبا فيا أيها المرائى كيف رضيت بفساد أمرك حتى ضيعت أيام عمرك ويا أيها الظالم كيف ركبت الضلال بعد علمك وخبرك فلم تعمل صالحا لقبرك وكيف آمنت بمعادك وحشرك ثم وافقت فى ترك العمل له المشرك ويحك إجتهد فى أيام بذرك وانتبه لاقامة عذرك واحذر أن ينادى عليك بغدرك فاندم على ما مضى واستدرك أين علامة الايمان يامن يدعيه أين تأثير الوعظ يامن يسمعه ويعيه أين إعتبارك بمن حوى الدنيا فاصبح اللحد يحويه يامسؤلا عما يسره ويبديه من نفسه فى الحقيقة من أكبر أعاديه يامن أصمه الهوى ومنادى الهدى يناديه يامن لا يفيق حتى يحل الموت بناديه نبه هذه النفس النائمة أعلمها ماهى عليه قادمة قل لها إلى متى ياظالمة الى م هذه الآمال والناس كلهم على ارتحال أترضى بهذا الحال ولم تراقب الرحيم المتعال فيا كثير السيئات وغزير الرياء فى الصلوات ومن لم يخلص الاعمال فى النيات غدا والله ترى عملك وياهاتك الحرمات إلى متى تديم رياءك وزللك أما تعلم أن الله مطلع على قلبك أما تعلم أن الموت يسعى فى تبديد شملك أما تخاف أن تؤخذ على قبيح فعلك واعجبا لك من راحل تركت الزاد فى غير رحلك أين فطنتك ويقظتك وتدبير عقلك أما بارزت بالقبيح فأين التوبة والحزن أما دريت أن الحق سبحانه يعلم السر والعلن فحقيق أيها الاخوان لمن علم ما بين يديه وتيقن أن العمل يكتبه الملكان عليه وأنه لا بد من الرحيل عما لديه إلى موقف صعب يساق إليه أن يتجافى من مضجع البطالة بجنبيه وأن يتذكر يوما يقع فيه الفراق وتنفصم فيه العرى فتدبر أمرك أيها المرائى قبل أن تحضر وترى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا يوما تشيب فيه الأطفال يوم تسير فيه الجبال يوم يظهر فيه الوبال يوم تنطق فيه الأعضاء بما جرى من خيانة فى الأفعال والأقوال يوم لا تقال فيه العثار وكم أعذار تقال فترى من قدافترى يقدم قدما ويؤخر أخرى الى ورا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ينصب الصراط فناج وواقع ويوضع الميزان فتكثر فيه الوضائع وتنشر الكتب وتسيل المدامع وتظهر القبائح بين تلك المجامع ويؤلم العتاب ويملأ المسامع ويخسر المرائى والعاصى ويربح المخلص والطائع وكم غنى قد عاد من الخير مقترا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا اللهم اغفر لنا ذنوبنا وطهر قلوبنا من النفاق وأعمالنا من الرياء قبل أن تشهد علينا الجوارح ولا تكلنا الى أنفسنا طرفة عين وأصلح لنا شأننا كله ونبهنا من رقدات الغفلات وسامحنا فأنت الحليم المسامح اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبنا ورحمتك أرجى عندنا من أعمالنا يامن أظهر الجميل وستر على القبائح اغفر لنا ولوالدينا وللجماعة الحاضرين وجميع المسلمين وانفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا فمنك الفضل والمنائح وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

﴿ المجلس الخامس عشر ﴾

(فى أمارات الساعة من حديث جبريل عليه السلام أيضا)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله ذى النعم الظاهرة والحكم الباهرة والدلالات الظاهرة والعقوبات القاهرة خلق الخلائق من أصول متنافرة وعم خلقه بالايادى المتكاثرة ثم عاد بالفناء على المستحكات الناضرة فاذا هى بالبلى متناثرة ثم يجمعهم بنفخة الصور الى الدار الآخرة فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة أحمده على النعم الغامرة حمدا يعيد قفار القلوب عامرة وأقر له بالتوحيد على عقيدة ظاهرة وأصلى وأسلم على رسوله محمد صلاة تجلب لنا صلاة الى صلاة الى عاشرة وعلى صاحبه أبى بكر الناهض يوم الردة نهضة ظافرة وعلى عمر الذى فلقل الأكاسرة وعلى عثمان ذى المقلة الساهرة وعلى على قامع النفوس الكافرة ﴿أما بعد﴾ فنروى بسندنا الى الامام مسلم بن الحجاج النيسابورى فانه قال فى جامعه الصحيح عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال حدثنى أبى عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه الى فخذيه وقال يا محمد أخبرنى عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلا قال صدقت قال فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فأخبرنى عن الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت قال فأخبرنى عن الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال فأخبرنى عن الساعة قال ما المسؤل عنها باعلم من السائل قال فأخبرنى عن أماراتها قال أن تلد الامة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان قال ثم انطلق فلبث مليا ثم قال لى يا عمر أتدرى من السائل قلت الله ورسوله أعلم قال فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم (فنقول) وبالله تعالى التوفيق قد تقدم الكلام فى الدروس الماضية على هذا الحديث واختلاف رواياته وبقى الكلام فى هذا الدرس على ما يتعلق بقوله عليه الصلاة والسلام فى الساعة ما المسؤل عنها باعلم من السائل والكلام على أماراتها فقد قال العلماء عليهم الرحمة قوله فأخبرنى عن الساعة أى وقت القيامة وسميت ساعة لسرعة قيامها ووقوعها بغتة أو لانها عند الله تعالى كساعة من الساعات عند الخلق قال بعض الفضلاء ليس السؤال عن وقت مجيئها ليعلمه الحاضرون بل لينزجروا عن السؤال عنها كما قال تعالى يسئلونك عن الساعة أيان مرساها الآية وقوله تعالى يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة يسئلونك كأنك حفى عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون والساعة صغرى وهى موت الشخص نفسه كما قيل من مات فقد قامت قيامته * ووسطى وهى موت أهل القرن كما ورد فى الجامع الصغير لا تأتى مائة سنة وعلى الارض نفس منفوسة وكبرى وهى المعنية فى هذا الحديث وانكارها كفر والعياذ بالله تعالى وبها وردت الآيات الكريمة والأحاديث العظيمة الآتى ذكرها ان شاء الله تعالى فى هذا الدرس ولها أمارات وعلامات متقدمة عليها فمنها بعثة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم الذى هو خاتم النبيين وعاقب المرسلين وقد ورد فى الاثر أنه عليه الصلاة والسلام

قال بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعيه الشريفتين ومنها وفاته عليه الصلاة والسلام ومنها فتح بيت المقدس ومنها قتل أمير المؤمنين عثمان ومنها وقعة الجمل ووقعة صفين فقد صح عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة ومنها وقعة النهروان ومنها وقعة كربلاء ووقعة الحرة وقتل ابن الزبير ورمى الكعبة بالمنجنيق وما جرى فى ذلك مما لا يحسن ولا يليق ومنها نار الحجاز التى أضاءت منها أعناق الابل ببصرى ومنها خروج المبتدعة والكذابين الدجالين ومنها زوال ملك العرب كما رواه الترمذى ومنها كثرة المال وكثرة الزلازل والمسخ وغير ذلك مما أخبر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه من أمارات الساعة فظهر ومضى ومن أماراتها ما ورد فى هذا الحديث الشريف من قوله فأخبرنى عن أماراتها وهى بفتح الهمزة وبالتاء وهى والأمار بحذف الهاء العلامة وقوله عليه الصلاة والسلام ما المسؤل عنها بأعلم من السائل فيه دلالة على أنه ينبغى للعالم والمفتى وغيرهما اذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم وأن ذلك لا ينقصه بل يستدل به على ورعه وتقواه ووفور علمه كما اتفق لامامنا الأعظم وغيره من الائمة الاعلام وقوله عليه الصلاة والسلام أن تلد الأمة ربتها وفى الرواية الاخرى ربها على التذكير وفى الاخرى بعلها يعنى السرارى ومعنى ذلك سيدها ومالكها وسيدتها ومالكتها قال النووى عليه الرحمة قال الاكثرون من العلماء هو إخبار عن كثرة السرارى وأولادهن فان ولدها من سيدها بمنزلة سيدها لان مال الانسان صائر الى ولده وقد يتصرف فيه فى الحال تصرف المالكين إما بتصريح أبيه له بالاذن وإما بما يعامه بقرينة الحال أو عرف الاستعمال وقيل معناه أن الاماء يلدن الملوك فتكون أمه من جملة رعيته وهو سيدها وسيد غيرها من رعيته وقيل معناه أنه تفسد أحوال الناس فيكثر بيع أمهات الاولاد فى آخر الزمان فيكثر ترددها فى أيدى المشترين حتى يشتريها ابنها ولا يدرى وأما رواية بعلها فالصحيح فى معناه أن البعل هو المالك أو السيد فيكون بمعنى ربها على ما ذكرناه قال أهل اللغة بعل الشئ ربه ومالكه وقيل المراد به الزوج ومعناه نحو ما تقدم أنه يكثر بيع السرارى أى المملوكات حتى يتزوج الانسان أمه وهو لا يدرى فذلك من أمارات الساعة ومنها أن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان والحفاة جمع حاف وهو من لا نعل فى رجله والعراة جمع عار وهو الذى لا شئ على جسده والعالة جمع عائل وهو الفقير والعيلة الفقر وعال الرجل يعيل عيلة أى افتقر والرعاء بكسر الراء وبالمد ويقال فيهم رعاة بضم الراء وزيادة الهاء بلا مد ومعناه كما قال النووى ان أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة تبسط لهم الدنيا وتكثر أموالهم ويستولون على أهل الحاضرة فيتباهون فى البنيان بتشييده وارتفاعه قال العلماء أن ارتفاع البنيان وتشييده من غير حاجة ضرورية مذموم كما قيل بيت العنكبوت كثير على من يموت وقد ورد فى الأثر عن سيد البشر صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال يؤجر ابن آدم فى نفقته كلها الا ما يضيعه فى هذا التراب حتى قال العلماء ان زخرفة المساجد مذمومة شرعا حتى ان ذلك من جملة أمارات الساعة أيضا قال بعض العارفين ويعلم من ذلك حكم تزيين القبور وتذهيبها وما يوضع عليها من القناديل والفضة والستور فان ذلك أيضا من العلامات ومحرم كما نص عليه فى المذاهب الاربعة العلماء الثقات فانا لله ولا حول ولا قوة الا بالله ومنها ما رواه أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اتخذ الفىء دولا والأمانة مغنما والزكاة مغرما وتعلم لغير دين وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الأصوات فى المساجد وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور وفى رواية ولبس الحرير ولعن آخر هذه الامة أولها فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء أو زلزلة أو خسفا ومسخا وقذفا وآيات تتتابع كنظام قطع سلكه فتتابع ومنها ما روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال اذا مشت أمتى المطيطاء أى التبختر

وخدمتهم أبناء الملوك أبناء فارس والروم سلط الله شرارهم على خيارهم وروى لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس لكع ابن لكع ومنها ما رواه البخارى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا قال العلماء ليس المراد برفع العلم محوه من صدور الحفاظ وقلوب العلماء فان الله سبحانه وتعالى لا يهب العلم لخلقه ثم ينتزعه منهم بعد أن تفضل عليهم به تعالى الله أن يسترجع ما وهب من علمه الذى يؤدى الى معرفته والايمان به وبرسله وانما يكون قبض العلم بموت العلماء وعدم المتعلمين فلا يوجد فيمن يبقى من يخلف من مضى قال عليه الصلاة والسلام ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بموت العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ثم موت العلماء نقص فى الدين كما قال عطاء وجماعة فى قوله تعالى أولم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها نقصانها موت العلماء وذهاب الفقهاء وقال ابن مسعود موت العالم ثلمة فى الاسلام لا يسدها شئ ما اختلف الليل والنهار وقال عمر رضى الله تعالى عنه موت ألف عابد صائم النهار قائم الليل أهون من موت عالم وقال سليمان لا يزال الناس بخير ما بقى الأول حتى يتعلم الآخر وفضائل العلم كثيرة لا يسع ذكرها هذا المجلس والمقصد الآن أن قلة العلم وفشو الجهل فى الأحكام الشرعية من أمارات الساعة كما فى زماننا هذا من ترك أكثر الناس تعلم أمور دينهم وحضورهم لسماع القصاصين فى الأماكن المذمومة وجلوسهم فى المحال الغير المشروعة وبذل دراهمهم للمحرمات الممنوعة وصرف نقد عمرهم فى الأحوال التى لا تفيد فى الحال والمآل ومنها شرب الخمور وكثرة المسكرات كما ورد فى بعض الأحاديث المتقدمة وهو من الكبائر روى أبو داود لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وفى رواية وآكل ثمنها وروى أيضا من باع الخمر فليشقص الخنزير أى لا فرق بينهما فى الحرمة وعنه عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر والنسائى كل مسكر حرام ومن يشرب الخمر فى الدنيا ولم يتب لم يشربها فى الآخرة وروى أن شراب شاربى الخمر فى جهنم من طينة الخبال وهى صديد أهل النار وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ان ملكا من ملوك بنى اسرائيل أخذ رجلا فخيره بين أن يشرب الخمر أو يقتل نفسا أو يزنى أو يأكل لحم خنزير أو يقتلوه فاختار الخمر وأنه لما شربها لم يمتنع من شئ أرادوه وفعل جميع ذلك ولله در ابن الوردى حيث يقول

واهجر الخمرة ان كنت فتى * كيف يسعى فى جنون من عقل

ومنها كما ورد فى الحديث قلة الرجال وكثرة النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد ومنها ما روى عن حذيفة الغفارى رضى الله تعالى عنه قال اطلع علينا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نتذاكر فقال ما تتذاكرون قلنا نذكر الساعة فقال عليه الصلاة والسلام انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر عليه الصلاة والسلام الدخان والدجال ودابة الأرض وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم اهـ قال العلامة السفارينى فى منظومته

وما أتى فى النص من أشراط * فكله حق بلا شطاط
منها الامام الخاتم الفصيح * محمد المهدى والمسيح
وأنه يقتل للدجال * بباب لد خل عن جدال
وأمر يأجوج ومأجوج أثبت * فانه حق كهدم الكعبة
ودابة وآية الدخان * وأنه يذهب بالقرآن

طلوع شمس الأفق من دبور * كذات أجياد على المشهور
فكلها صحت بها الأخبار * وسطرت آثارها الأخيار
وآخر الآيات حشر النار * كما أتى فى محكم الأخبار

اهـ ولنذكر مفصل ذلك فنقول ان هذه العلامات العشر هى الآيات الكبار القريبة لقيام الساعة فمنها خروج المهدى رضى الله تعالى عنه على القول الاصح عند أكثر العلماء ولا عبرة بمن أنكر مجيئه من الفضلاء وان استدل بما فى بعض الروايات الضعيفة لا مهدى الا عيسى حتى قال ابن حجر فى الصواعق ما نصه قوله تعالى وانه لعلم للساعة قال مقاتل بن سليمان ومن تبعه من المفسرين ان هذه الآية نزلت فى المهدى اهـ وأقول أول الآية يشعر بأنها فى حق عيسى عليه السلام واشارة الى نزوله وأنه من أشراط الساعة قال تعالى ان هو الا عبد أنعمنا عليه ثم قال سبحانه وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها وفى مجئ المهدى أحاديث عديدة فقد روى عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى وفى رواية أبى هريرة لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا منى أو من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما وفى رواية يملك سبع سنين وفى أخرى ثمان أو تسع سنين ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون مع عيسى عليه السلام ويدفن فى بيت المقدس وفى رواية يحكم أربعين سنة قال فى الاشاعة وهو الذى تقتضيه بشارة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به وأن الله تعالى يعوضهم عن الظلم عدلا واللائق بكرمه تعالى أن تكون المدة بقدر ما ينسون فيها الظلم السابق مع أنه فى مدته تفتح الدنيا كما فتحها ذو القرنين وسليمان عليه السلام وهذا يقتضى مدة طويلة مع ما ورد أن الأعمار تطول فى زمانه فطولها مستلزم لطول مدته والتسع ليست من الطول فى شئ اهـ واختلف فى نسبه فقيل من أولاد العباس بن عبد المطلب وقيل من أولاد الحسن والأصح أنه من أولاد الحسين قيل وأمه من أولاد العباس وفى شرح عقيدة السفارينى ما ملخصه ان المهدى هو خاتم الأئمة فلا إمام بعده واسمه محمد وفى بعض الاخبار أحمد واسم أبيه عبد الله واشتهر بالمهدى لانه يهدى الى أمر خفى ويستخرج التوراة والأنجيل من أرض يقال لها انطاكية أو من جبال الشام ويدعو اليها اليهود فيسلم على تلك جماعة كثيرة وحليته كما فى الأحاديث أنه رجل ربعة مشرب بحمرة ووجهه كالكوكب الدرى ولونه لون عربى وجسمه جسم اسرائيلى يرضى عن خلافته أهل الأرض وأهل السماء والطير فى الجو يملك عشرين سنة وروى ابن مسعود المهدى منى أجلى الجبهة أقنى الأنف وعن عبد الرحمن بن عوف عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ليبعثن الله فى عترتى رجلا فرق الثنايا أجلى الجبهة يملأ الأرض عدلا ويقبض المال قبضا وفى حديث آخر فى خده الأيمن خال أسود ابن أربعين سنة وفى آخر يستخرج الكنوز ويفتح مدائن الترك وعن أبى جعفر محمد الباقر قال سئل أمير المؤمنين على كرم الله تعالى وجهه عن صفته فقال هو شاب مربوع حسن الوجه يسيل شعره على منكبيه يعلو نور وجهه سواد شعره ولحيته ورأسه وفى أخرى عنه أنه كث اللحية أكحل العينين براق الثنايا فى وجهه خال أقنى فى كتفه علامة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى رواية لأبى نعيم بكفه اليمنى خال وفى رواية فى لسانه ثقل واذا أبطأ عليه الكلام ضرب فخذه الأيسر بيده اليمنى قال العلماء المهدى يقاتل على السنة لا يترك سنة الا أقامها ولا بدعة إلا رفعها يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويرد الى المسلمين ألفتهم ونعمتهم ولظهوره علامات جاءت بها الآثار فمنها كسوف الشمس والقمر ونجم الذنب والظلمة وسماع الصوت برمضان وتحارب القبائل بذى القعدة وظهور الخسف والفتن وأن معه قميص رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسيفه ورايته ويغرس قضيبا يابسا فى أرض يابسة فيخضر ويورق ويطلب منه آية فيومئ

الى طير فى الهواء بيده فيسقط على يده و ينادى منادمن السماء أيها الناس إن الله قطع عنكم الجبارين والمنافقين وأشياعهم وولاكم خيرأمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فالحقوه بمكة فانه المهدى و يخرج كنزالكعبة المدفون فيهافيقسمه فى سبيل الله تعالى وعن على كرم الله تعالى وجهه انه سيخرج تابوت السكينة من غارانطاكية أو من بحيرة طبرية فيوضع بين يديه ببيت المقدس فاذا نظراليه اليهود أسلموا الاقليلامنهم وتأتيه الرايات السود من خراسان فيرسلون اليه البيعة و ينشق الفرات فينحسر عن جبل من ذهب وذكروا أنه ينكسف القمر أول ليلة من رمضان والشمس ليلة النصف ولعل ذلك خرق العادة والافانكساف القمر ليلة الابدار والشمس أيام الاسرار وقال كعب الاحبار ينكسف ثلاث ليال متواليات وروى عنه أنه يطلع نجم بالمشرق وله ذنب يضىء كما يضىء القمر ينعطف حتى يلتقى طرفاه أو يكاد وفى الديلمى تكون هذه فى رمضان هائلة ومن علاماته خسف قرية ببلاد الشام يقال لها حرستا كما قاله فى كتاب الاشاعة وفيه أنه اذا انحسر الفرات عن جبل ذهب يقتتلون عليه وروى أنه عليه الصلاة والسلام قال من حضر فلا يأخذ منه شيأ وروى أنه قال ان بين يدى الساعة كذابين فاحذروهم وفى أخرى انهم دجالون كذابون قريبا من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وروى عن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه أنه لايظهر الاعلى خوف شديد من الناس وزلزال وفتنة و بلاء يصيب الناس والطاعون قبل ذلك وسيف قاطع بين العرب واختلاف شديد فى الناس وتشتت فى دينهم وتغيير فى حالهم حتى يتمنى الموت صباحا ومساء من عظيم مايرى من كلب الناس وأكل بعضهم بعضا فحينئذ يخرج فطوبى لمن أدركه وكان من أنصاره والويل لمن خالفه وقال محمد بن الصامت قلت للحسين بن على رضى الله تعالى عنهما أمامن علامة لظهور المهدى قال بلى هلاك بنى العباس وخروج السفيانى والخسف بالبيداء قال السفارينى ومن أقوى العلامات خروج السفيانى والأبقع والأصهب والأعرج والكندى أما السفيانى فاسمه عروة قيل وهو من ولد خالد بن يزيد بن أبى سفيان ملعون فى السماء والارض يخرج من ناحية دمشق وعامة أتباعه من كلب و يخسف بهم والأبقع يخرج من مصر أو من بلاد الجزيرة والجرهمى من الشام و يخرج القحطانى من بلاد اليمن و يتقاتلون فيقتلهم السفيانى ثم يقاتل الترك فيظهر عليهم ثم يفسد فى الارض و يدخل الزوراء و يقتل من أهلها ثم يخرج وراء النهر خارج يقال له الحرث واجب على كل مؤمن نصره و يثور أهل خراسان بعساكر السفيانى وتكون بينهم واقعات ثم إنه يقتل على يد المهدى وأما مولد المهدى و بيعته فقد أخرج نعيم بن حماد عن على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه قال مولده بالمدينة ومهاجره بيت المقدس وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه يخرج من قرية يقال لها كريمة وأما بيعته فيبايع بمكة المشرفة بين الركن والمقام ليلة عاشوراء واذاهاجر المهدى من المدينة الى بيت المقدس تخرب المدينة بعد هجرته وتصير مأوى للوحش وقدورد أن عمار بيت المقدس خراب يثرب وفى حديث قتادة يخرج المهدى من المدينة الى مكة وفى خبران السفيانى يبعث جيشا الى مكة فيأمر بقتل من كان فيها من بنى هاشم فيقتتلون و يهربون الى الجبال حتى يظهر المهدى فيطلبونه فيصيبونه بمكة فيقولون ألست فلانا فيقول بلى أنا رجل من الانصار ثم يلحق بالمدينة فيطلبونه فيرجع الى مكة وهكذا ثلاث مرات فيصيبونه بمكة فى الثالثة فيبايعونه بين الركن والمقام وقدأقبل عسكر السفيانى وأنصار المهدى من أهل الشام عدد أصحاب بدر ثم يتوجه الى المدينة ومعه المؤمنون ثم يسير الى جهة الكوفة ثم يعود منهزما من جيش السفيانى الى الشام فيخرج الله تعالى على السفيانى من أهل المشرق وزير المهدى فيهزم السفيانى الى الشام فيقصده المهدى فيذبحه عند عتبة بيت المقدس و يغنمه ومن معه من أخواله الذين هم جنده من بنى كلب غنيمة عظيمة وفى حديث آخر لاتحشر أمتى حتى يخرج المهدى يمده الله تعالى بثلاثة آلاف من الملائكة و يخرج اليه الابدال من الشام

والنجباء من مصر وعصائب أهل الشرق حتى يأتوا مكة فيبايع له بين الركن والمقام ثم يتوجه الى الشام وجبريل على مقدمته وميكال على يساره ومعه أهل الكهف أعوان له فيقدم الى الشام و يأخذ السفيانى فيذبحه تحت الشجرة التى أغصانها الى بحيرة طبرية ثم تمهد الارض له وتدخل فى طاعته ملوك الأرض كلهم وقد اختلف فى مدته فقيل خمسا أوسبعا أوثلاثين أوأربعين سنة و يفتح القسطنطينية ورومية المدائن وغيرهما ثم يستمر حتى يسلم الأمر لسيدنا عيسى عليه السلام و يصلى المهدى رضى الله تعالى عنه بعيسى عليه السلام صلاة واحدة وهى صلاة الفجر ثم يستمر المهدى على الصلاة خلف سيدنا عيسى عليه السلام بعد تسليمه الأمر اليه و يخرج مع عيسى عليه السلام فيساعده على قتل الدجال عليه اللعنة بباب لد بأرض فلسطين كما سنفصله إن شاء الله تعالى ثم يموت المهدى و يصلى عليه روح الله عيسى عليه السلام و يدفنه فى بيت المقدس اه وهذا الذى ذكرناه فى أمر المهدى هو الصحيح من أقوال أهل السنة والجماعة وأما عند الشيعة فقد اختلفوا فيه أيضا على أقوال شتى والمشهور من مذاهبهم مذهب الامامية الاثنى عشرية أن المهدى هو محمد بن الحسن العسكرى بن على الهادى بن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنهم و يعرف عندهم بالحجة والمنتظر والقائم وهو الذى غاب فى سرداب دار أبيه فى سامراء صغيرا وأمه تنظر اليه وذلك فى سنة خمس وستين ومائتين وهو حى الآن موجود فى الدنيا وهذا مع بعده فى العقل لايؤيده صحيح نقل ولقد أنشد بعض الشعراء مخاطبا لمن يعتقد هذه العقيدة الشنعاء

ما آن للسرداب أن يلد الذى * ولدتموه بزعمكم ما آنا
فعلى عقولكم العفاء لانكم * ثلثتم العنقاء والغيلانا

والكلام فى هذه المباحث طويل ومن أراد تفصيلها فعليه بالكتب الجامعة لمتفرق الاقاويل والله يقول الحق وهو يهدى السبيل فانتبهوا أيها النيام فقد بقيت لكم قليلات الايام وتوالت أمارات الساعة فاتخذوا لكم التقوى بضاعة

هى الدنيا فلا يغررك منها * زخارف تستفز ذوى العقول
أقل قليلها يكفيك منها * ولكن لست تقنع بالقليل

فياأيها الراحل ومالهر واحل متى تسمع قول العاذل هذا العدو ينصب الحبائل الى كم ترضى باسم الجاهل كم تعد بالتوبة وكم تماطل كم أسمعك الموت وعيدك فلم تنته حتى قطع وريدك ونقض منزلك وهدم مشيدك ومزق مالك وفرق عبيدك وأخلى دارك وملا بيدك أمارأيت قرينك أما أبصرك فقيدك بامينا عن قليل مهد تمهيدك لقد أمرضك الهوى وفى عزمه أن يزيدك أف لعيش آخره الندامة آه من سفر بدايته القيامة هذا نذير الموت قد غدا يقول لكم الرحيل غدا كيف بكم إذا صاح اسرافيل فى الصور بالصور فخرجت تسعى من تحت المدر وقد رجت الارض و بست الجبال وشخصت الأبصار لتلك الأهوال وطارت الصحائف وقلق الخائف وشاب الصغار وزفرت النار وأحاطت الاوزار ونصب الصراط وحضر الحساب وقرب العذاب وشهد الكتاب وقطعت الاسباب فكم من شيخ يقول واشيبتاه وكم من كهل ينادى واخيبتاه وكم من شاب يصيح واشباباه برزت النار فأحرقت وقطعت الأفئدة وتفرقت والأحداق قد سالت والاعناق قد مالت والمحن قد توالت أين عدتك لذلك الزمان أين تصحيح اليقين والايمان أترضى يومئذ بالخسران أما تعلم أنك كما تدين تدان يامن قد ملأ كتابه بالقبيح وهو عن قليل رهن الضريح كم فى كتابك من زلل كم فى عملك من خلل هذا وقد قرب الأجل كم ضيعت واجبا وفرضا ونقضت عهدا محكما نقضا وأتيت حراما صريحا محضا ياأجسادا صحاحا فيها القلوب مرضى

إنما الدنيا بلاء * ليس فى الدنيا ثبوت * انما الدنيا كبيت * نسجته العنكبوت
كل من فيها العمرى * عن قريب سيموت * انما يكفيك منها * أيها الراغب قوت

فنسأله تعالى أن يوفقنا واياكم لمراضيه ويجعل مستقبل حالنا وحالكم خيرا من ماضيه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

﴿ المجلس السادس عشر ﴾

(فى أمارات الساعة من حديث جبريل عليه السلام أيضا)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الواحد الماجد العظيم الدائم القائم القديم السميع البصير الحليم القوى العلى الغنى الحكيم قضى فاسقم الصحيح وعافى السقيم وقدر فأعان الضعيف وأوهى القويم وقسم عباده الى قسمين طائع وأثيم وجعل مآلهم الى دارين دار النعيم ودار الجحيم فنهم من عصمه عن الخطايا فكأنه فى حريم ومنهم من قضى له أن يبقى على الذنوب ويقيم ومنهم من تردد بين الامرين والعمل بالخواتيم خرج موسى راعيا فعاد وهو الكليم وذهب ذو النون مغاضبا فالتقمه الحوت وهو مليم وكان محمد يتيما فصار الكون لذلك اليتيم وعصى آدم وابليس فهذا مرحوم وهذا رجيم أنعم علينا بالفضل الوافر العميم وهدانا بمنه إلى الصراط القويم وحذرنا بلطفه من العذاب الأليم ومن علينا بالكتاب العزيز القديم فهو سبحانه مستوجب للتعظيم أحمده وكيف لا يحمد وأشهد أنه لم يلد ولم يولد وأن محمدا عبده الأمجد ورسوله الاوحد أخذ له الميثاق على أقرب الانبياء والابعد وأقام عيسى يقول ومبشرا برسول يأتى من بعدى إسمه أحمد وبه توسل آدم وقد أسجد له من أسجد من كل ملك كريم صلى الله عليه وعلى صاحبه أبى بكر الصديق الرفيق حين يسافر وحين يقيم وعلى عمر الفاروق الذى عمر من الدين ما غمر بأحسن تدبير وأكمل تقويم وعلى عثمان الشريف قدره الجليل صبره على ما أضيم وعلى على مقدم الشجعان فى حربهم والمؤمنون به من كربهم فى مقعد مقيم وعلى سائر آله وأصحابه ما سلك الطريق المستقيم ﴿أما بعد﴾ فقد قال عليه الصلاة والسلام فى أمارات الساعة أن تلد الامة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان الى آخر الحديث الذى قدمناه مرارا عديدة وقد تكلمنا عليه وذكرنا ما يتعلق به من بعض أمارات الساعة وعلاماتها وبقى علامات أخر نذكر تفصيلها فى هذا الدرس ان شاء الله تعالى ليعرفها المسلم اذ الايمان بها واجب فمن ذلك خروج الدجال عليه اللعنة والوبال (فنقول) هو منبع الكفر والضلال وينبوع الفتن والأوجال قد أنذرت به الانبياء قومها وحذرت منه أممها حتى كان النبي عليه الصلاة والسلام يدعو فى آخر صلاته بقوله اللهم انى أعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات ومن عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال فلذا ذهب بعض العلماء من الشافعية الى وجوب هذا الدعاء فى الصلاة وفى الحديث ما كانت ولا تكون فتنة حتى تقوم الساعة أعظم من فتنة الدجال وما من نبي الا وحذر قومه الدجال رواه الحاكم وقال ابن ماجه سمعت المشايخ يقولون ينبغى أن يعطى حديث الدجال للمؤدبين حتى يعلموه الصبيان فى الكتاب وقد ورد أن من علامات خروجه نسيان ذكره على المنابر فينبغى لكل عالم ولا سيما فى زماننا التذكير به والتحذير من فتنته وفتنة أمثاله المتلاعبين فى الدين أجارنا الله تعالى واياكم من فتنتهم أجمعين وقد اختلف العلماء فى نسبه فقيل إنه صاف بن صياد وأنه ولد بالمدينة وقيل هو شيطان موثق فى بعض الجزائر وأنه من أولاد شق الكاهن أو هو شق نفسه وأن أمه كانت جنية عشقت أباه فأولدها إياه وكانت الشياطين تعمل له العجائب فحبسه سليمان بن داود عليهما السلام وهذا قول مردود وقال كعب الأحبار

الدجال تلده أمه بقوص من أرض مصر وبين مولده وخروجه أربعون سنة وفى الترمذى يخرج من خراسان وفى صحيح مسلم عن أنس رضى الله تعالى عنه مرفوعا يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة وفى مستدرك الحاكم عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما يخرج الدجال من يهودية أصبهان لم يخلق له عين والاخرى كأنها كوكب يشوى فى الشمس سمكا ويتناول الطير من حوله وله ثلاث صيحات يسمعها أهل المشرق والمغرب ومن حليته أنه شاب وفى رواية شيخ جسيم أحمر وفى رواية أبيض أمهق وفى أخرى آدم أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية وفى رواية أخرى أعور العين اليسرى وفى رواية أنه أعور العين مطموسة ومن أوصافه أنه قصير أفحج أى متباعد ما بين الساقين عظيم اللحية والجبهة مكتوب بين عينيه ك ف ر حروفا مقطعة يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب ولا يقرؤها الكافر ولا يولد له ولا يدخل المدينة ولا مكة تتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة وسبعون ألفا من يهود أصبهان عليهم التيجان وكلهم ذو سيف محلى ومن صفاته أيضا أنه تنام عيناه ولا ينام قلبه وأبوه طوال ضرب اللحم كأن أنفه منقار وأمه كثيرة اللحم عظيمة الثديين طويلة الشفتين وللدجال حمار أهلب وهو المشعر ما بين أذنيه أربعون ذراعا يضع خطوته عند منتهى طرفه قيل وأول خروجه يدعى الايمان والصلاح حتى يقدم الكوفة فيظهر الدين ويتبع ثم يدعى الألهية فيقول أنا الله فتغشى عينه وتقطع أذناه ويكتب بين عينيه كافر فيفارقه المسلمون قال عليه الصلاة والسلام ان الدجال أعور والله عز وجل ليس بأعور قال العلماء ولذا سمى مسيحا لأن المسيح هو الممسوحة عينه وأما عيسى عليه السلام فسمى مسيحا لانه كان يمسح ذا العاهة فيبرأ وقال كعب الاحبار يتوجه فينزل عند باب دمشق الشرقى ابتداء قبل خروجه ثم لا يدرى أين توجه ثم يظهر فى المشرق فيعطى الخلافة ثم يظهر السحر ثم يدعى النبوة فينصرف عنه المسلمون فيأتى النهر فيأمره أن يسيل فيسيل ثم يأمره أن يرجع فيرجع ثم يأمره أن ييبس فييبس ويبعث الله تعالى له شياطين فيقولون له استعن بنا على ما تريد فيقول لهم نعم اذهبوا الى الناس فقولوا أنا ربهم فيبعثهم فى الآفاق ويدعى الألهية ويقتل النفوس ويحييهم وقيل يخرج من كوثى بالكوفة وأكثر من يتبعه اليهود والنساء والاعراب وفى الحديث ان السماء تمسك ما فيها ويهلك كل ذى ضرس وظلف سنة خروجه وهو يسير معه جبلان أحدهما فيه أشجار وأثمار وماء والآخر فيه دخان فيقول هذه الجنة وهذه النار وعن حذيفة أن معه رجالا يقتلهم ثم يحييهم وفى صحيح مسلم أن ناره جنة وجنته نار وفى حديث آخر فى صحيح مسلم أن الدجال معه نهران يجريان أحدهما رأى العين ماء أبيض والآخر رأى العين نار تأجج فاما ان أدرك ذلك أحدمنكم فليأت النهر الذى يراه نارا وليغمض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب فانه ماء بارد وفى الحديث أن من أدركه فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف وأن الصحابة قالوا يارسول الله فما لبثه فى الارض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يارسول الله فذلك اليوم الذى كسنة تكفينا فيه صلاة يوم قال لا أقدروا له قدره قلنا يارسول الله ما اسراعه فى الارض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت درا ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شئ من أموالهم ويمر بالخربة فيقول أخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلأ شابا فيضربه بالسيف فيقطعه ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله تعالى المسيح بن مريم عليه السلام فينزل من المنارة البيضاء شرقى دمشق ثم يقتل الدجال كما سنفصله ان شاء الله تعالى فى بحث عيسى عليه السلام ومنها العلامة الثالثة وهى نزول عيسى عليه السلام من السماء وذلك ثابت بالكتاب والسنة واجماع الأمة أما الكتاب فقوله تعالى وان من

أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته أي ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان حتى تكون الملة واحدة ملة ابراهيم حنيفا مسلما قال بعض المفسرين ان الضمير في قوله قبل موته راجع ليهود ويؤيده قراءة أبي رضي الله تعالى عنه قبل موتهم وأما السنة ففي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية الحديث وأخرج مسلم عن جابر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول ألا ان بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة وأما الاجماع فقد أجمعت الأمة على نزوله ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة وانما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة مما لا يعتد بخلافهم وقد انعقد اجماع الأمة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المطهرة المحمدية وليس ينزل بشريعة مستقلة وان كانت نبوته قائمة به وقول من زعم من العلماء أنه يرفع التكاليف مردود ويتسلم الأمر من المهدي ويكون المهدي من أصحابه وأتباعه حتى أصحاب الكهف الذين هم من أتباع المهدي ويسلم اليه تابوت بني اسرائيل وكل ما معه من آلات الأمر كما تقدم ولنذكر فوائد تتعلق بحليته وسيرته عليه السلام فعن البخاري من حديث عقيل بن خالد أنه أجر أجعد عريض الصدر وفي رواية له لمة أي بكسر اللام وتشديد الميم قد رجلها أي سرحها وفي رواية لمته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعا ورأيت عيسى بن مريم عليه السلام مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الرأس وفي حديث أبي هريرة كأنما خرج من ديماس يعني الحمام وأما سيرته فيكسر الصليب ويقتل الخنزير والقرد ويضع الجزية ولا يقبل إلا الاسلام ويتحد الدين فلا يعبد إلا الله ويترك الزكاة لعدم من يقبلها وتظهر الكنوز في زمنه ولا يرغب في اقتناء المال ويرفع الشحناء والتباغض وينزع الله سم كل ذي سم حتى تلعب الأولاد بالحيات والعقارب ويرعى الذئب مع الشاة وينعدم القتال وتنبت الأرض كعهد آدم عليه السلام حتى يجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم وترخص الخيل لعدم القتال ويغلو الثور لكثرة الحرث وأما نزوله من السماء وما يجري على يديه من الملاحم فقد ورد في الأحاديث الصحيحة ففي صحيح مسلم بينما الدجال كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين أو شقتين أو حلتين أو ثوبين صفراوين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفع رأسه تحدر منه جمان كاللؤلؤ اهـ ويكون نزوله لست ساعات مضت من النهار حتى يأتي مسجد دمشق ويقعد على المنبر فيدخل المسلمون المسجد وكذا النصارى واليهود كلهم يرجونه ويأتي مؤذن المسلمين وصاحب بوق اليهود وناقوس النصارى فيقترعون فلا يخرج إلا سهم المسلمين وحينئذ يؤذن مؤذنهم ويخرج اليهود والنصارى من المسجد ويصلي بالمسلمين صلاة العصر وفي رواية بينما امامهم أي المهدي قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم نبي الله عيسى بن مريم للصبح فيرجع المهدي قهقرى ليتقدم عيسى عليه السلام ويقال له يا روح الله تقدم أي يقول ذلك من لم يحرم بالصلاة اذن فيقول ليتقدم امامكم فيضع عيسى عليه السلام يده بين كتفي المهدي فيقول له تقدم فانها لك أقيمت فيصلي بهم امامهم فاذا انصرف قال عيسى افتح فيفتح وو راءه أي وراء الباب الدجال ومعه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى فاذا نظر اليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وانطلق هاربا فيدركه عند باب لد وهي بلدة مشهورة بينها وبين رملة فلسطين مقدار فرسخ فيقتله هنالك بحربته التي نزل بها من السماء وفي رواية يذبحه بالسكين فينهزم جنوده فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي إلا أنطق الله تعالى ذلك الشيء

من شجر وحجر ودابة إلا قال يا عبد الله هذا يهودي وفي لفظ دجالي فتعال اقتله إلا الغرقد (١) فانه من شجر اليهود ثم ان عيسى عليه السلام بعد قتل الدجال يذهب الى المدينة فيزور قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويحج ويتوفى بالمدينة فيدفن هنالك وفي الحديث وليأتين قبري حتى يسلم علي ولأردن عليه وأخرج البخاري في تاريخه يدفن ابن مريم مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصاحبيه رضي الله تعالى عنهما وفي المواهب بقي من البيت موضع قبر يدفن فيه عيسى بن مريم عليه السلام ويكون قبره الرابع وقد تقدم أن المهدي يتوفى قبله وروى أبو هريرة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ينزل عيسى بن مريم فيمكث في الناس أربعين سنة وعن الامام أحمد وأبي داود أنه يمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه عند نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ونقل السفاريني عن ابن الجوزي أنه روى في كتابه المنتظم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ينزل عيسى بن مريم فيتزوج ويولد له ذكر بعضهم ولدين أحدهما يسميه موسى والآخر محمدا وان أمهما من البزد قال ويمكث خمسا وأربعين سنة ثم يموت ويدفن معي في قبري فأقوم أنا وعيسى من قبر واحد بين أبي بكر وعمر جعلنا الله تعالى وإياكم من المؤمنين بهم المصدقين بمجيئهم والمحبين لهم والمحشورين معهم ووقانا وإياكم من الفتن والأهواء وتوفانا على شريعة سيد الانبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام ما مضت ساعة ومر يوم من الايام الى قيام الساعة وساعة القيام ومنها الامارة الرابعة وهي خروج يأجوج ومأجوج وهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام كما قال مقاتل وقال الضحاك هم من الترك (٢) وقال أهل التاريخ أولاد نوح عليه السلام ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب والعجم والروم وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة ويافث أبو الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج قال ابن عباس يأجوج ومأجوج عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء لانهم لا يموت أحدهم حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه يحملون السلاح فنهم من طوله مائة وعشرون ذراعا أو خمسون ومنهم من طوله وعرضه كذلك ومنهم من يلتحف باحدى أذنيه ويفترش الاخرى وقال علي رضي الله تعالى عنه منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول لهم مخالب في موضع الاظفار من أيدينا وأنياب وأضراس كأضراس السباع ولهم شعر في أجسادهم واعلم أن خروجهم ثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة قال الله تعالى حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون وروى مسلم من حديث النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى يوحي الى عيسى بن مريم عليه السلام بعد قتله الدجال اني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي الى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون الحديث وفي رواية لمسلم ثم يسيرون حتى ينتهوا الى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من في الارض هلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم الى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دما فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه الى الله تعالى فيرسل الله تعالى عليهم النغف بفتح النون والغين المعجمة قفاء وفي رواية دودا كالنغف في أعناقهم وهو دود يكون في أنوف الابل والغنم فيصبحون موتى كموت نفس واحدة أي قتلى ثم يبعث الله ريحا يمانية فتقذف جيفهم في البحر ولفظ صحيح مسلم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله تعالى طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة أي كالمرآة ثم يقال للارض إنبتي ثمرك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك الله تعالى في اللبن حتى أن اللقحة من الابل لتكفي الجماعة من الناس وروى مسلم فبيناهم يعني عيسى وأصحابه في ذلك العيش الرغد وقد هلك عدوهم إذ بعث الله

---

(١) العوسج اهـ منه (٢) أي الذين هم في بلاد العجم اهـ منه

تعالى ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة والله تعالى أعلم فيا من قد أخذ الموت منه ولدا وعرسا وغرس بعضه في القبور غرسا كم رأيت مصبحا في الدنيا ما أمسى كم عاينت بطاشا كف الموت منه خمسا كأنك باليقين قد جاء فرفع شكا ولبسا وكأنك بمركب العمر على اللحد قد أرسى وسكنت بعد القصور العالية حفيرة ورمسا أرأيت في الحبوس مثل القبر حبسا وعلمت أن جميع مالك لا يساوي فلسا وتخلع ثيابك فتكسى من التراب لبسا وينساك من كان خدينا ورفيقا وأنسا تركوا والله ذكرك فوقعت في المنسى ولو بكوا ما انتفعت ولو ندبتك الخنسا ودرسك البلى بكلكله درسا ويحك الى متى تؤثر بخسا ورجسا متى تحصل تطهيرا بالتوبة وقدسا أف لقلب ما أصلبه وما أقسى أتؤثر ما يفنى على ما يبقى تعسا لرأيك تعسا ويحك خلص نفسك فيا لها نفسا أما هذا بين يديك ما أكثر ما تنسى ثم تقوم من قبرك وقد سكتت الألسن هيبة حتى كأنها خرسا وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا يوم تنكدر النجوم وتنقلع الجبال من التخوم وتصعد القلوب الى الحلقوم وينشر الكتاب المطوى المختوم ويظهر من الهول ما لم يكن في الوهوم فتحير العقول وتذهل الفهوم ويعم الانزعاج الخصوص والعموم ويتمنى الموجود أنه معدوم هذا والنار حول العصاة تحوم فاذا أخذتهم لم يبق شحوم ولا لحوم والشراب الحميم والمأكول الزقوم يا بئس المشروب ويا بئس المطعوم لكل باب منهم جزء مقسوم تالله إن نسيان هذا جهل ولوم ألا ينتبه من رقدته هذا النوم جسده عندنا وقلبه في الروم متى ترى هذه الأهوال حين ينشق القبر وتقوم وعنت الوجوه للحي القيوم اللهم سلمنا من تلك الأهوال وآمنا من الفزع والزلزال وارزقنا الاستعداد لما وعدتنا وأدم لنا احسانك ومعروفك كما عودتنا وبارك لنا في كل ما أعطيتنا وأتم علينا نعمتك وفضلك ومنتك واجعل في قلوبنا نورا نهتدي به اليك ووفقنا للاعمال الصالحة المقربة لديك واجعلنا يا مولانا ممن توكل في جميع أموره عليك ولا تفضحنا يا سيدنا يوم العرض والوقوف بين يديك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين

﴿ المجلس السابع عشر ﴾

(في بقية أمارات الساعة)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الملك القديم الواحد العزيز العظيم الشاهد سامع ذكر الذاكر وحمد الحامد وعالم ضمير المريد ونية القاصد لعظمته خضع الراكع وذل الساجد وبهداه اهتدى الطالب وأدرك الواجد ورفع السماء فعلاها ولم يحتج الى مساعد وألقى في الأرض رواسي راسيات القواعد فتنزه عن شريك مشاقق أو ند معاند وعز عن ولد وجل عن والد وأحاط علما بالأسرار والعقائد وأبصر حتى دبيب النمل في الجلامد وسطا فسالت لهيبته صعاب الجوامد ويقول في الليل هل من سائل فانتبه يا راقد بنى بيتا أمر بقصده وتلقي الوافد وأقسم على وحدانيته وما ينكر الا معاند والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا إن إلهكم لواحد أحمده على الرخاء والشدائد وأقر بتوحيده إقرار عابد وأصلي على رسوله بيت القصائد صلى الله تعالى عليه وعلى صاحبه أبي بكر التقي النقي الزاهد وعلى عمر العادل فلا يراقب الولد ولا الوالد وعلى عثمان المقتول ظلما بكف الحاسد وعلى علي الحبر الخضم والبطل المجاهد وعلى سائر آله وأصحابه الأقارب منهم والأباعد ﴿أما بعد﴾ فقد ذكرنا في الدروس الماضية بعض أمارات الساعة المتعلقة بحديث جبريل عليه السلام وبقي منها

علامات نذكرها في هذا الدرس إن شاء الله تعالى (فنقول) منها العلامة الخامسة وهي هدم الكعبة المكرمة زادها الله تعالى شرفا واخراج كنزها فقد أخرج البخاري ومسلم والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة وأخرج الامام أحمد بن حنبل من حديث ابن عمر نحوه وزاد ويسلبها حليها ويجردها من كسوتها فلكأني أنظر اليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمسحاته أو معوله وفي رواية أخرى يحبس البحر عن فئة من السودان ثم يسيلون سيل النمل حتى ينتهوا الى الكعبة فيخربونها والذي نفسي بيده إني لكأني أنظر الى صفته في كتاب الله تعالى أفحج أصيلع أفيدع وفي رواية أسود وفي أخرى حبشي أحمر الساقين أزرق العينين أفطس الأنف كبير البطن قائما يهدمها هو وأصحابه ينقضونها حجرا حجرا ويتناولونها حتى يطرحونها في البحر وقوله عليه الصلاة والسلام أصيلع تصغير الاصلع وهو من ذهب شعر مقدم رأسه والافيدع من بيده اعوجاج من الرسغ حتى ينقلب الكف وكذلك الرجل أو هو المشي على ظهر القدم والافحج المتباعد الفخذين فان قلت قد تقدم أن المهدي هو الذي يخرج كنز الكعبة قلت قد أجاب العلامة السفاريني الحنبلي عليه الرحمة بأن المهدي لعله لما يستخرجه يجتمع فيه بعد ذلك المال الكثير في أيامه وأيام عيسى عليه السلام أو أن المهدي أخذ البعض وترك البعض ثم يستخرجه الحبشي واعلم ان العلماء اختلفوا هل هذا الهدم في أيام المسيح عيسى عليه السلام أو بعده عند قيام الساعة حيث لا يبقى في الأرض من يقول الله فمن كعب الأحبار أنه زمن عيسى وقيل بعد زمنه وبعد هلاك يأجوج ومأجوج وقيل بعد موت سيدنا عيسى عليه السلام وبعد هبوب الريح التي يموت بها من في قلبه ذرة من إيمان وقيل إن هدم الكعبة بعد خروج الدابة وقيل بعد الآيات كلها فعند ذلك يرتفع القرآن الكريم وقال الشيخ مرعي الحنبلي يمكث الناس ما شاء الله في الخصب والدعة بعد هلاك يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس وخروج الدابة ثم يخرج الحبشة فيخربون مكة ثم لا تعمر أبدا ثم يجتمع بقايا المسلمين فيقتلونهم ويسبونهم حتى يباع الحبشي بعباءة والله تعالى أعلم بالصواب ومنها العلامة السادسة وهي الدخان قال العلماء رحمهم الله تعالى آية الدخان ثابتة بالكتاب والسنة أما الكتاب فقوله تعالى فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين الآية قال ابن عباس وابن عمر والحسن وزيد بن علي رضي الله تعالى عنهم هو دخان قبل قيام الساعة يدخل في أسماع الكفار والمنافقين ويعتري المؤمن كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه وهذه العلامة لم تأت الى الآن وهي آتية وأما السنة فأخرج مسلم من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله تعالى عنه قال طلع علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نتذاكر فقال ما تتذاكرون قالوا الساعة يا رسول الله قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر منها الدخان وفي حديث حذيفة بن اليمان إن من أشراط الساعة دخانا يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما فالمؤمن يصيبه منه شبه الزكام وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج الدخان من فيه ومنخريه وعينيه وأذنيه ودبره وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه خمس قد مضين الدخان وهو القحط الذي صار في زمنه عليه الصلاة والسلام لانه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا عليهم بقوله اللهم سبع كسبع يوسف فأخذتهم سنة ممحلة حتى أكلوا الميتة من الجوع فيرى أحدهم حينما ينظر الى السماء هيئة الدخان من الجوع واللزام وهو يوم بدر وكذا البطشة يوم بدر قال تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون والقمر قال تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر والخامسة الروم قال العلامة الشيخ مرعي الحنبلي كلام ابن مسعود رضي الله تعالى عنه موافق لظاهر الآية والجمهور دليلهم السنة مع أنه ورد عن ابن مسعود أنهما دخانان مضى واحد والذي بقي لم يأت بعد والصحيح قول الجمهور وهو المروي عن باب مدينة العلم علي كرم الله تعالى وجهه والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب ومنها العلامة

السابعة من العشر العظمى ذهاب القرآن العظيم وكلامه المنزل على نبيه الكريم من المصاحف والصدور وهى من أشد معضلات الأمور أخرج الديلمى من حديث أبى هريرة وحذيفة رضى الله تعالى عنهما يسرى على كتاب الله تعالى ليلا فيصبح الناس وليس منه آية ولا حرف فى جوف الانسخت وفى الحديث أكثروا من الطواف بالبيت قبل أن يرفع وينسى الناس مكانه وأكثروا تلاوة القرآن من قبل أن يرفع وورد إنهم ينسون أيضا قول لا إله إلا الله وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما لاتقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث جاء له دوى حول العرش كدوى النحل فيقول الله عز وجل مالك فيقول منك خرجت واليك أعود أتلى فلا يعمل بى وحكى شيخ الاسلام ابن تيمية عليه الرحمة عن السلف من أن القرآن العظيم كلام الله منزل غير مخلوق منه بدا واليه يعود أى يسرى به حتى لا يبقى فى المصاحف منه حرف ولا فى القلوب منه آية ومنها العلامة الثامنة طلوع الشمس من مغربها وذلك ثابت بالكتاب والسنة الصحيحة أما الكتاب فقال تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا قال جمهور المفسرين انها طلوع الشمس من مغربها وأما السنة فقد أخرج الشيخان وغيرهما من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها الآية ونحوه عن ابن عباس وقال أيضا خلق الله تعالى بابا للتوبة فذلك الباب مفتوح منذ خلقه الله عز وجل الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغربهما الى أن قال فاذا غلق باب التوبة لم يقبل لعبد بعد ذلك توبة ولم تنفعه حسنة يعملها بعد ذلك وهذا الحديث وان كان فى سنده ضعف إلا أن له شواهد أخر وأخرج ابن مردويه عن حذيفة قال سألت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ما آية طلوع الشمس من مغربها قال تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين وفى رواية أو ثلاث فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون ثم يرقدون ثم يقومون والليل كأنه لم ينقص حتى يتطاول عليهم الليل فيفزع الناس الى المساجد خائفين فبيناهم ينظرون طلوع الشمس من المشرق إذ هى طالعة من المغرب فيضج الناس حتى اذا صارت فى وسط السماء رجعت وطلعت من مطلعها وفى رواية فعند ذلك يصير فى هذه الأمة قردة وخنازير وعن ابن عمر يمكث الناس بعد ذلك عشرين ومائة سنة لكنها تمر سريعا كمقدار مائة وعشرين شهرا وقيل أقل من ذلك والله تعالى أعلم بما هنالك ومنها العلامة التاسعة وهى خروج دابة الأرض وهى المسماة بذات أجياد أى صاحبة أجياد وهو اسم أرض مكة أو جبل بها ويقال لها جياد بلا همز وخروجها ثابت بالكتاب والسنة أما الكتاب فقوله تعالى واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون وأما السنة فالاحاديث كثيرة منها ما رواه أبو هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا تخرج دابة الارض من أجياد فيبلغ صدرها الركن اليمانى ولم يخرج ذنبها بعد وهى دابة ذات قوائم وفى رواية تصرخ ثلاث صرخات فيسمعها من فى الخافقين وقال السخاوى خروجها من مكة إما من صدع الصفا أو من المروة أو من شعب أجياد أو من بعض أودية تهامة أو من مدينة قوم لوط وقيل من أقصى اليمن وقيل ان لها ثلاث خرجات فى الدهر أول خرجة من أقصى اليمن ثم تمكث زمانا ثم تخرج أخرى ثم تخرج ثالثة وترى فى ناحية المسجد من الركن الاسود وباب بنى مخزوم وقيل تخرج من أرض الطائف ومعها عصى موسى وخاتم سليمان عليهما السلام لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب وروى أنها تخرج ليلة جمع والناس سائرون الى منى فيتصدع الصفا فتخرج منه وفى حديث حذيفة أول ما يبدو رأسها معلمة ذات وبر وريش وقال علىّ كرم الله تعالى وجهه تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج إلا ثلثها وروى فلا يخرج إلا رأسها فيبلغ عنان السماء وتبلغ السحاب وقال أبو هريرة فيها من كل لون وما

بين قرنيها فرسخ للراكب وقال وهب وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير وفى حديث آخر تجلو وجه المؤمن بالعصا وتحطم أنف الكافر بالخاتم حتى ان أهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر وقال ابن عباس ان لها عنقا مشرفا أى طويلا يراها من بالمشرق كما يراها من بالمغرب وأنها ذات زغب وريش فيها من ألوان الدواب كلها وفيها من كل أمة سمة وسيماها من هذه الامة أنها تكلم الناس بلسان عربى مبين وفى رواية أنها تنادى بأعلى صوتها ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون وتسم المؤمن فيرى وجهه كأنه كوكب درى ويكتب بين عينيه مؤمن وتسم الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداء ويكتب بين عينيه كافر ثم تنطلق ويشترك الناس فى الاموال ويصطحبون فى الامصار وروى ابن مسعود أن ابليس عليه اللعنة بعد يأجوج ومأجوج يخر ساجدا وينادى إلهى مرنى أسجد لمن شئت وتجتمع اليه الشياطين تقول ياسيدنا الى من تفزع فيقول انما سألت ربى أن ينظرنى الى يوم البعث فأنظرنى الى يوم الوقت المعلوم وقد طلعت الشمس من مغربها فهذا يوم الوقت المعلوم وتصير الشياطين ظاهرة فى الارض حتى يقول الرجل هذا قرينى الذى كان يغوينى فالحمد لله الذى أخزاه ولا يزال ابليس ساجدا باكيا حتى تخرج الدابة فتقتله وهو ساجد وهذا أصح من قول كعب أن ابليس انما يذوق الموت يوم الحشر وقيل ان دابة الأرض هى الجساسة التى حدث عنها تميم الدارى وقصتها طويلة مذكورة فى كتب الأحاديث وملخصها ان الجساسة هى دابة كثيرة الشعر فى إحدى جزائر بحر القلزم تجس الأخبار قريبة الى المحل الذى فيه الدجال وقد قيد بالحديد وعن ابن عباس هى الثعبان الذى كان فى بئر الكعبة فاختطفه العقاب حين أرادت قريش بناء البيت الحرام وألقاه بالحجون أو فى أجياد فالتقمته الأرض وهذه كلها أقوال ضعيفة والأول هو الصحيح والاغرب والاعجب من هذه الاقوال ما قاله جابر الجعفى الكوفى ان دابة الارض المذكورة فى القرآن هى علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه فقد قال الحافظ الذهبى أن جابرا شيعى يرى الرجعة أى يعتقد أن عليا يرجع الى الدنيا ويتخلف ويحكم وقال أبو حنيفة ما لقيت أحدا أكذب من جابر الجعفى وقال الشافعى أخبرنى سفيان بن عيينة قال كنا فى منزل جابر فتكلم بشئ فنزلنا خوفا أن يقع علينا السقف ومات سنة ثمان وعشرين ومائة (قلت) ولا يبعد ممن يعتقد الغيبة والرجعة بالوجه الذى يزعموه أن يجعل أمير المؤمنين ومولى الموحدين ويعسوب المسلمين الدابة الموعود بها فى الكتاب المبين فكم وكم لهم مثل هذا الهذيان والترهات التى لا يقام عليها ساطع برهان فنسأله تعالى أن يتوفنا على كامل الايمان ويحشرنا مع الهداة المهديين الى أعلى فراديس الجنان بشفاعة سيد ولد عدنان عليه وعلى آله الكرام أفضل الصلاة والسلام ومنها العلامة العاشرة وهى خروج النار من قعر عدن تحشر الناس الى محشرهم وقد ثبت ذلك فى الاحاديث العديدة الصحيحة كما تقدم ومنها ما أخرجه الامام أحمد فى مسنده والبخارى وغيرهما عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أول أشراط الساعة نار تخرج من المشرق فتحشر الناس الى المغرب ومنها ما رواه حذيفة ابن أسيد الغفارى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لن تقوم الساعة حتى ترى قبلها عشر آيات فذكر الدجال والدخان ويأجوج ومأجوج وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب قال وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم وفى رواية تنزل معهم اذا نزلوا وتقيل معهم حيث قالوا قال بعض العلماء وفى هذا إشكال لان فى الحديث الاول أن النار أول أشراط الساعة وفى الحديث الثانى أن النار آخر الامارات والجواب عنه أن النار ناران أحدهما تحشر الناس من المشرق الى المغرب والثانية تخرج من اليمن فتطرد الناس الى المحشر الذى هو أرض الشام فلعل إحدى النارين فى أول الآيات والاخرى فى آخرها وقال السخاوى المراد من كونها أول الآيات التى لا شئ بعدها من أمور الدنيا أصلا لان

بعدها النفخ فى الصور وهو جواب ضعيف وأخرج الامام أحمد والترمذى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما مرفوعا ستخرج نار من حضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس قالوا يارسول الله فما تأمرنا قال عليكم بالشام وأخرج الطبرانى وابن عساكر عن حذيفة بن اليمان مرفوعا لتقصدنكم نار هى اليوم خامدة فى واد يقال له برهوت يغشى الناس فيها عذاب أليم تأكل الانفس والاموال تدور الدنيا كلها فى ثمانية أيام تطير طير الريح والسحاب حرها بالليل أشد من حرها بالنهار ولها بين السماء والارض دوى كدوى الرعد القاصف هى من رؤس الخلائق أدنى من العرش قيل يارسول الله أسليمة يومئذ على المؤمنين والمؤمنات قال عليه الصلاة والسلام وأين المؤمنون والمؤمنات يومئذ هم شر من الحمر يتسافدون كما تتسافد البهائم وليس فيهم رجل يقول مه مه أى اتركوا وفى حديث أبى هريرة مرفوعا ان الله تعالى يبعث ريحا من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحدا فى قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته وفى رواية ان الريح تأتى من قبل الشام قال العلماء لا مضادة بين الحديثين لانهما ريحان شامية ويمانية واعلموا أن العلماء عليهم الرحمة اختلفوا فى حشر النار من المشرق الى المغرب هل هو يوم القيامة أو قبله فقال العلامة القرطبي المالكى والامام الخطابى وصوبه القاضى عياض ان هذا الحشر يكون قبل يوم القيامة وأما الحشر من القبور فهو على ما فى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مرفوعا كما فى الصحيحين انكم تحشرون حفاة عراة غرلا (١) وقال الحكيم الترمذى وأبو حامد الغزالى عليهما الرحمة هو يوم القيامة عندما يحشرون وينشرون من قبورهم الى الموقف للحساب والله تعالى أعلم بالصواب ثم انه بعد أن تمضى هذه الامارات المذكورة ينفخ اسرافيل فى الصور النفخة الاولى لان النفخ فى الصور ثلاث نفخات فالاولى نفخة الفزع وهى التى يتغير بها هذا العالم ويفسد نظامه وهى المشار اليها فى قوله تعالى وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق أى من رجوع ومرد وقوله تعالى ونفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض إلا من شاء الله قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت والنفخة الثانية نفخة الصعق وفيها هلاك كل شئ قال تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض إلا من شاء الله وفسر الصعق بالموت فتموت الخلائق ثم النفخة الثالثة وهى نفخة البعث والنشور قال تعالى ونفخ فى الصور فاذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون وقوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وقوله تعالى فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة والزجرة هى النفخ فى الصور والساهرة الارض وغير ذلك من الآيات والأحاديث القاطعة باعادة الاموات وسنفصل ان شاء الله تعالى كيفية الحشر ببعض الدروس الآتيات فاستعدوا رحمكم الله تعالى للمحشر والحساب وتوبوا قبل أن يطوى الكتاب واخشوا يوما تعرض فيه الخلائق على رب الارباب فما هذا السكون الى دار الدوائر وما هذا الانحراف الى حرف جرف هائر أما تلمحت أبصار البصائر ما اليه الامر صائر كم آثرتم الرذائل على المفاخر ان عين اللبيب ترى الآخر فيا أيها الغافل أما أنت عن قريب راحل وساكن بيتا أنت فيه غريب حائر ذاهل ويا أهل القصور العامرة عن قليل تعود غامرة يا معجبين بالنضارة الظاهرة عن قريب ترجع العظام ناخرة فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة أكل التراب تلك العظام وصيرها كالرفات والرمام فلما نفخ فى الصور يوم القيام نهضت الاقدم الى القيامة متباردة فاذا هم بالساهرة سالت فى القبور الحدق وجال البلى فيهم واحتدق فلما أمر بالاعادة من خلق عادت الابدان نافرة فاذا هم بالساهرة ضمت أجسادهم اللحود وخلا بهم الدود فخرق الجلود وتفرقوا كما تفرق الورود فاذا أراد اعادتهم المعبود صاح اسرافيل صيحة نافرة فاذا هم بالساهرة حفرت قبورهم لغيرهم مرات ونقل تراب أبدانهم

(١) أى غير مختونين اهـ منه

تارات فاذا جاء الفصل والميقات جمع المتفرق بعد الشتات المؤمنة والكافرة فاذا هم بالساهرة عظم عندهم القلق واشتد عليهم الخوف والفرق وسال منهم كالسيل العرق لقوة الهاجرة فاذا هم بالساهرة يذهبون ولا يدرون الى أين ويهربون وهيهات عليهم دين ولا ينجوا الاقائل الكلمتين ثم طوبى وطوبى للعين التى كانت ساهرة تبرز النار باللهيب والجمر فيبكى آكل الربا وشارب الخمر ويشتغل زيد بنفسه عن عمرو وقد عرفتك أول الامر وآخره فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة فنسألك اللهم أن تجيرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة وتلبسنا فى جنات النعيم حلل رحمتك الفاخرة وتوفقنا لصالح الاعمال وتنجينا من جميع الاهوال وتحشرنا وآباءنا مع الصحابة والعترة الطاهرة وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

﴿ المجلس الثامن عشر ﴾

(فى البعث بعد الموت)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله المنفرد بالقدرة العظيم فلا يقدر أحد قدره أنعم فكم أقال عثرة ووعظ فكم أسال عبرة خلق الآدمى وأحصى عمره وأراه قبل رحيله عن الدنيا قبره وأنه سيخلو فى بيداء قفرة ثم يخرجه فيحضره الحضرة ويسأله عن الكلمة والنظرة وأنذرهم يوم الحسرة أحمده حمدا دائما بلا فترة وأشكره على نعمه التى لا تحصى كثرة وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أدخرها نجاة من عذاب الحفرة وسلاحا من العدو فى العسرة واليسرة وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق وضمن له نصره صلى الله تعالى عليه وعلى صاحبه أبى بكر الصديق رفيقه فى الحفرة وعلى عمر بن الخطاب ثالثهما فى الحجرة وعلى عثمان مجهز جيش العسرة وعلى ابن عمه على بن أبى طالب الذى اشترى هل أتى بكسرة وعلى سائر آله وأصحابه ومن امتثل نهيه وأمره وسلم تسليما ﴿أما بعد﴾ فنروى بسندنا الى الامام الشهير أبى الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى عليه الرحمة والرضوان قال كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بارزا يوما للناس فجاء رجل فجلس عند ركبتيه فقال ما الايمان قال الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه وكتبه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر الحديث (فنقول) وبالله التوفيق قد تقدم الكلام فى مبدإ الدروس الماضية المتعلقة بهذا الحديث وتقدم ذكر الروايات المختلفة لهذا الحديث وأسلفنا الكلام على الايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله والاسلام والصلاة والزكاة والصوم والحج والاحسان وأمارات الساعة المتقدمة والمتأخرة وبقى الكلام الآن فيما يتعلق بلقاء الله تعالى والبعث بعد الموت والخمس التى لا يعلمهن إلا الله وبيان جبريل عليه السلام فلنذكر لكم ذلك ان شاء الله تعالى فى هذا الدرس خاتمين به حديث جبريل وهو سبحانه الموفق الهادى الى أقوم سبيل فاعلموا أن قوله عليه الصلاة والسلام أن تؤمن بالله وبلقائه وتؤمن بالبعث الآخر أى بكسر الخاء المعجمة اختلف العلماء فى المراد بالجمع بين الايمان بلقاء الله تعالى والبعث قال الامام النووى قيل اللقاء يحصل بالانتقال الى دار الجزاء والبعث بعده عند قيام الساعة وقيل اللقاء ما يكون بعد البعث عند الحساب ثم ليس المراد باللقاء رؤية الله تعالى فان أحدا لا يقطع لنفسه برؤية الله تعالى لان الرؤية مختصة بالمؤمنين ولا يدرى الانسان بماذا يختم له وأما وصف البعث بالآخر فقيل هو مبالغة فى البيان والايضاح وذلك لشدة الاهتمام به وقيل سببه أن خروج الانسان الى الدنيا بعث من الارحام وخروجه من القبر للحشر بعث من الارض فقيد البعث بالآخر ليتميز اهـ ثم اعلموا أن منكر البعث والحشر كافر مخلد للدلائل القطعية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية واجماع الأمم

الكتابية والاسلامية فقد وردت الكتب الألهية و بينت كافة الانبياء عليهم السلام لأممهم أن الله سبحانه وتعالى يميت المخلوقات كافة ثم يعيد المكلفين بعد موتهم عند قيام الساعة اعادة جسمانية و يحشرهم و يسألهم و يجازيهم و يدخل بعضهم النار و بعضهم الجنة دار القرار والعقل أيضا مطابق لذلك لان هذا العالم لابد له من صانع وأن صانعه لابد أن يكون واحدا وهو الله سبحانه فاذا سلمنا ذلك علمنا أن الله سبحانه أوجدنا من العدم ولم نك شيأ فالاعادة أهون من الايجاد وأن الله عز وجل حاكم عادل فلابد أن يجازى العباد الظالم بظلمه والمحسن على إحسانه و يجعل الدار الآخرة دار الجزاء والحساب و يعامل بعضا بعدله و بعضا بغفرانه وامتنانه ولنذكر ما ورد فى ذلك من الآيات والاخبار مبينين لما يتعلق بالبعث بأصح الآثار فقد ورد أن اسرافيل عليه السلام ينفخ فى الصور وهو قرن من نور يجعل فيه أرواح الخلائق النفخة الاولى وهى نفخة الفزع كما تقدمت الاشارة الى ذلك فى أحد الدروس الماضية فيختل نظام العالم و يفزع أهل السماء والارض إلا من شاء الله وهم الشهداء فيمدها و يطيلها وهى التى يقول الله تعالى فيها وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الله تعالى الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا وترتج الارض بأهلها رجا فتكون كالسفينة الموقرة فى البحر تضربها الامواج فتميل الارض بالناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتى الاقطار فتتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع و يولى الناس مدبرين ينادى بعضهم بعضا وهو الذى يقول الله تعالى فيه يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم وقال تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد وروى البغوى عن أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه قال ست أيام قبل يوم القيامة بينما الناس فى أسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت وفزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحش وماج بعضهم فى بعض فذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت اختلطت وإذا العشار عطلت أهملت وإذا البحار سجرت قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أوقدت فصارت نارا تضطرم قال أبى قالت الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحر فاذا هو نار تأجج فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة الى الأرض السابعة السفلى وانشقت السماء انشقاقة واحدة الى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم اهـ ثم ينفخ النفخة الثانية وهى نفخة الصعق أى الموت وفيها هلاك كل شئ إلا من لم يخلق للفناء فانه لم يفن كالجنة وما فيها من الحور والولدان وكذا النار وما فيها من الحيات والعقارب والخزان قال تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ثم يأمر الله اسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله فيقول ملك الموت قد مات أهل السموات والأرض إلا من شاء الله فيقول الله وهو أعلم فمن بقى فيقول أى رب بقيت أنت الحى القيوم و بقيت حملة العرش و بقى جبريل وميكائيل و بقيت أنا فيقول الله فليمت جبريل وميكائيل فيموتا ثم يأتى ملك الموت الى الجبار فيقول قد مات جبريل وميكائيل فيقول الله تعالى فليمت حملة العرش فيموتون و يأمر الله العرش أن يقبض الصور من اسرافيل ثم يقول ليمت اسرافيل فيموت ثم يأتى ملك الموت الى الجبار فيقول رب قد مات حملة العرش فيقول وهو أعلم فمن بقى فيقول بقيت أنت الحى القيوم الذى لا يموت و بقيت أنا فيقول أنت خلق من خلقى خلقتك لما رأيت فمت فيموت فاذا لم يبق إلا الله الواحد القهار طوى السماء والأرض كطى السجل للكتب وقال أنا الجبار لمن الملك اليوم ثلاث مرات فلم يجبه أحد ثم يقول لنفسه لله الواحد القهار وتبدل

الأرض غير الأرض والسموات فيبسطها و يسطحها و يمدها مد الأديم لا ترى فيها عوجا ولا أمتا الحديث وأخرج أبو الشيخ قال هؤلاء الأربعة أملاك جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت أول من خلقهم الله من الخلق وآخر من يميتهم وأول من يحييهم وهم المدبرات أمرا والمقسمات أمرا وأخرج الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا يقبض الله الارض يوم القيامة و يطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين الملوك وأخرج مسلم من حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى (١) ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوى الأرض بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم ينفخ اسرافيل النفخة الثالثة فى الصور وهى نفخة البعث والنشور و بين هاتين النفختين أربعون عاما على ما فى بعض الروايات وقد جاءت فى الكتاب العزيز آيات تدل عليها وأخبار تشير اليها كقوله تعالى ونفخ فى الصور فاذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون وقوله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير وقوله تعالى واستمع يوم يناد المنادى من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق الآية قال المفسرون المنادى هو اسرافيل عليه السلام ينفخ فى الصور و ينادى أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل ينفخ اسرافيل و ينادى جبريل وفى تفسير الثعلبى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه فى تفسير سورة الزمر مرفوعا إن الله يرسل مطرا على الأرض فينزل عليها أربعين يوما حتى يكون فوقهم اثنا عشر ذراعا فيأمر الله تعالى الأجساد أن تنبت كنبات البقل حتى إذا تكاملت أجسادهم كما كانت قال الله تعالى ليحى حملة العرش ليحى جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ثم يأمر الله اسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه ثم يدعو الأرواح فيأتى بها تتوهج أرواح المؤمنين نورا والأخرى ظلمة فيقبضها جميعا ثم يلقيها فى الصور ثم يأمره أن ينفخ نفخة البعث فتخرج الأرواح كلها كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والارض ثم يقول الله تعالى وعزتى وجلالى لترجعن كل روح الى جسدها فتدخل الأرواح من الخياشيم ثم تمشى مشى السم فى اللديغ ثم تنشق الارض عنهم سراعا فأنا أول من تنشق عنه الارض فتخرجون منها الى ربكم تنسلون وفى حديث آخر ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شئ إلا يبلى إلا عظم واحد وهو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة وفى رواية لمسلم إن فى الانسان عظما لا تأكله الارض أبدا فيه يركب الخلق يوم القيامة قالوا أى عظم هو يا رسول الله قال عجب الذنب وفى رواية منه خلق وفيه يركب وهو مثل حبة خردل وهو بفتح العين المهملة واسكان الجيم بعدها باء موحدة أو ميم وفى تفسير الثعلبى فى سورة الأعراف وتفسير ابن عطية عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اذا مات الناس كلهم أمطر عليهم أربعين عاما كمنى الرجال من ماء تحت العرش يدعى ماء الحياة فينبتون من قبورهم بذلك المطر كما ينبت الزرع من الماء حتى اذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقى عليهم نومة فينامون فى قبورهم فاذا نفخ فى الصور النفخة الثانية قاموا وهم يجدون طعم النوم فى أعينهم كما يجده النائم اذا استيقظ من نومه فعند ذلك يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وأخرج مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أنا سيد ولد آدم أول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع وفى صحيح البخارى أنا أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة فاذا بموسى عليه السلام متعلق بالعرش فلا أدرى أكذلك كان أم بعد النفخة وفى بعض ألفاظ البخارى فاذا أنا بموسى آخذ بقائمة

---

(١) قد قدمنا لك أن مثل هذه الأحاديث مؤولة عند الخلف كاليد بالقدرة وعند السلف بالايمان بها وجهل الكيفية لانه سبحانه ليس كمثله شئ فلا تغفل اهـ منه

من قوائم العرش فلا أدرى أفاق قبلى أم جوزى بصعقة الطور وأخرج الحكيم الترمذى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال خرج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويمينه الى أبى بكر وشماله على عمر فقال هكذا نبعث يوم القيامة وفى الصحيحين من حديث أنس رضى الله تعالى عنه أن رجلا قال يارسول الله قال الله تعالى الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أيحشر الكافر على وجهه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه قال قتادة حين بلغه بلى وعزة ربنا وروى النسائى والترمذى وحسنه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون الى سجن فى جهنم يقال له بولس (١) تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال وروى البزار من حديث جابر رضى الله تعالى عنه مرفوعا يبعث الله تعالى يوم القيامة ناسا فى صور الذر يطؤهم الناس بأقدامهم فيقال ماهؤلاء الذين فى صورة الذر فيقال هؤلاء المتكبرون فى الدنيا وروى الجلال السيوطى عليه الرحمة فى كتابه البدور السافرة عن ابن عباس فى قوله تعالى وإذا الوحوش حشرت قال يحشر كل شئ حتى ان الذباب ليحشر قال العلماء ثم ان الله تعالى يقول للوحوش كونوا ترابا فعند ذلك يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا قال وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن عكرمة قال ان الذين يغرقون فى البحر فتقسم لحومهم الحيتان فلا يبقى منهم شئ الا العظام تلوح فتلقيها الأمواج على البر فتمكث العظام حينا ثم تصير حائلا نخرة فتمر بها الابل فتأكلها ثم تسير الابل فتبعره ثم يجئ بعدهم قوم فينزلون منزلا فيأخذون ذلك البعر فيوقدونه ثم تخمد تلك النار فتجئ ريح فتلقى ذلك الرماد على الارض فاذا جاءت النفخة خرج أولئك وأهل القبور سواء وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة وفى رواية مشاة غرلا أى غير مختونين قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان فقلت يارسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض قال شغل الناس قلت ماشغلهم قال نشر الصحائف فيها مثاقيل الذر وفى رواية فقال لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وقال السيوطى عليه الرحمة فى البدور السافرة أخرج الخطيب يحشر عشرة أصناف من أمتى أشتاتا فمنهم على صورة القردة وهم النمامون وبعضهم على صورة الخنازير وهم أهل السحت والحرام والمكس وبعضهم منكسون أرجلهم أعلاهم ووجوههم يسحبون عليها وهم أكلة الربا وبعضهم عمى يترددون وهم من يجور فى الحكم وبعضهم صم بكم لا يعقلون وهم الذين يعجبون بأعمالهم وبعضهم يمضغون ألسنتهم مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يقذرهم أهل الجمع وهم العلماء والقصاص الذين يخالف قولهم فعلهم وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وهم الذين يؤذون الجيران وبعضهم مصلبين على جذوع من النار وهم السعاة بالناس الى السلطان وبعضهم أشد نتنا من الجيف وهم الذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق الله من أموالهم وبعضهم يلبسون جلابيب سابغة من القطران وهم أهل الكبر والفخر والخيلاء ولنرجع الى قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث جبريل المذكور آنفا فى خمس لا يعلمهن إلا الله تعالى ثم تلا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الارحام وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير قال والدنا عليه الرحمة فى تفسيره روح المعانى أخرج ابن المنذر عن عكرمة أن رجلا يقال له الوارث بن عمرو جاء الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يامحمد متى قيام الساعة وقد أجدبت بلادنا فتى تخصب وقد تركت امرأتى حبلى فمتى تلد وقد علمت

(١) بولس بضم الباء وفتح اللام سجن بجهنم منها قاله فى القاموس اه منه

ما كسبت اليوم فماذا أكسب غدا وقد علمت بأى أرض ولدت فبأى أرض أموت فنزلت هذه الآية (١) وقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة أى علم وقت القيامة مختص به عز وجل حتى روى الشعبى أن عيسى عليه السلام سأل جبريل عليه السلام عن الساعة فانتفض بأجنحته وقال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل والمراد التساوى فى العلم لان الله تعالى استأثر بعلمها على الوجه الأكمل قيل ويجوز أن يكون الله تعالى قد أطلع حبيبه المصطفى عليه الصلاة والسلام على وقت قيامها وأوجب عليه كتمه لحكمة ويكون ذلك من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله تعالى وينزل الغيث أى ويعلم هو لا غيره زمان نزوله من غير تقديم ولا تأخير ومكانه ومقداره ويعلم مافى الارحام أى أذكرا أم أنثى أتاما أم ناقصا وكذلك ماسوى ذلك من الاحوال وماتدرى نفس أى كل نفس برة كانت أو فاجرة ماذا تكسب غدا أى فى الزمان المستقبل من خير أو شر وماتدرى نفس بأى أرض تموت أى لا يدرى أحد أين مضجعه أفى بر أم فى بحر فى سهل أم فى جبل وهذا يستلزم أن لا يعلم الانسان وقت موته أيضا من باب أولى قال على كرم الله تعالى وجهه لم يعم على نبيكم إلا الخمس من سائر الغيب وقال ابن مسعود أوتى نبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم مفاتيح كل شئ غير الخمس وهى مافى هذه الآية والذى ينبغى أن يعلم أن كل غيب لا يعلمه إلا الله عز وجل وليس المغيبات محصورة بهذه الخمس وانما خصت بالذكر لوقوع السؤال عنها كما أشار اليه القسطلانى (قلت) ولذا قال الفقهاء ان من قال ان الجن يعلمون الغيب أو أن أرواح المشايخ حاضرة تعلم الغيب يكفر وان قول القائل مطرنا بنوء كذا أشرك ولذا قال عليه الصلاة والسلام من أتى كاهنا أو منجما فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد لكن قال المناوى فى شرحه الكبير فى الكلام على حديث خمس لا يعلمهن إلا الله أى على وجه الاحاطة والشمول كليا وجزئيا فلا ينافيه اطلاع الله تعالى بعض خواصه على بعض المغيبات حتى من هذه الخمس لانها جزئيات معدودة وانكار المعتزلة لذلك مكابرة اه مع زيادة وتلخيص ولنرجع الى قوله عليه الصلاة والسلام هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم فجبريل اسمه عبد الله كما روى عن على ابن الحسين رضى الله تعالى عنهما فقد أخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن على بن الحسين قال اسم جبريل عبد الله واسم ميكائيل عبيد الله واسرافيل عبد الرحمن وكل شئ رجع الى ايل فهو معبد لله عز وجل وقال عبد العزيز بن عمير اسم جبريل فى الملائكة خادم ربه عز وجل وقال موسى بن عائشة بلغنى أن جبريل إمام أهل السماء وقال ابن عباس قال صلى الله تعالى عليه وسلم ألا أخبركم بأفضل الملائكة جبريل وسئل وهب بن منبه عن خلق جبريل فذكر أن مابين منكبيه خفق الطير سبعمائة عام وقال ابن مسعود أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم ير جبريل فى صورته إلا مرتين أما الاولى فانه سأله أن يريه نفسه فسد الأفق وأما الاخرى فليلة الاسراء عند سدرة المنتهى وعن ابن عباس مرفوعا قال جبريل له ستمائة جناح من لؤلؤ قد نشرها مثل ريش الطواويس وعن قتادة وغيره لجبريل جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا أجلى الجبين ورأسه حبك مثل المرجان وهو كاللؤلؤ كأنه الثلج وقدماه الى الخضرة وأخرج أبو الشيخ عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لجبريل هل ترى ربك قال ان بينى وبينه لسبعين حجابا من نار أو نور لو دنوت من أدناها لاحترقت ذكر ذلك السيوطى كله فى كتابه الحبائك وقد وصفه سبحانه بالقوة فى قوله عز وجل علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى أى هو صاحب استحكام فى العقل أو ذو منظر حسن قال الوالد عليه الرحمة وناهيك دليلا على شدة قوته أنه قلع قرى قوم لوط من الماء الأسود الذى تحت الثرى وحملها

(١) أخرج ابن أبى شيبة فى المصنف أن ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدنى فمر الريح أن تحملنى وتلقينى بالهند أى حتى يخلص منه ففعل فقال الملك كان دوام نظرى اليه تعجبا منه إذ أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك اه منه

على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الأنبياء عليهم السلام وصعوده فى أسرع من رجعة الطرف اه هذا وقد تبين لكم من هذا الحديث أن الله سبحانه وتعالى يبعث من فى القبور ويجازى على العمل الصالح والفجور فاستعدوا رحمكم الله تعالى لصالح الأعمال لتكون ذخيرة لكم عند الزلزلة والأهوال فهى زلزلة توجل لها القلوب زلزلة تظهر عندها العيوب زلزلة تشتد فيها الكروب زلزلة فيها أفئدة العصاة تذوب فالعذاب شديد والعقاب أليم إن زلزلة الساعة شئ عظيم زلزلة يشيب فيها المولود زلزلة تشهد فيها الجلود زلزلة تخد فيها الدموع الخدود زلزلة يتمنى العدم عندها الموجود زلزلة يظهر عندها التقاطع والصدود ويفر الولد عن الوالد والحميم عن الحميم إن زلزلة الساعة شئ عظيم انظر لنفسك قبل أن لا يمكن النظر وتفكر فى أمرك قبل أن لا ينفع الفكر ومثل يوم الحشر اذا بدا الهول وظهر وتزود للرحيل وتأهب للسفر وخذ عدتك لنقلتك فلست بمقيم ان زلزلة الساعة شئ عظيم اللهم ياسامع الصوت ويا كاسى العظام لحما بعد الموت نسألك باسمك الأعظم وبأسمائك الحسنى ما نعلم منها وما لم نعلم وبحبك لنبيك الأكرم صلى الله تعالى عليه وسلم أن توفقنا لطاعتك وتجنبنا عن معصيتك وتعمنا فى الدنيا والآخرة برحمتك وتثبت قلوبنا على دينك وتحفظنا فى جميع أحوالنا وتوفقنا فى أقوالنا وأفعالنا وتغفر ما سلف من ذنوبنا وتستر ما بدا من عيوبنا واعصمنا فيما بقى من أعمارنا قبل أن يشتمل الهدم على البناء والكدر على الصفاء وينقطع من الحياة حبل الرجاء وتصير المنازل تحت أطباق الثرى وقبل أن يصير الصبح ليلا ويسحب الموت على أهل الارض والسماء ذيلا فيقول الشيخ الكبير واشيبتاه ويقول الكهل الخطير واخجلتاه ويقول المذنب المسىء ياخيبتاه ويقول الحدث الصغير واحسرتاه وخجلوا من عملهم وأشفقوا وعاينوا من الاهوال ماودوا معه انهم لم يخلقوا وارحم اللهم أهل القبور فانهم رهائن ذنوب لا يطلقون أسراء وحشة لا يفكون محت دارسات الثرى محاسن وجوههم وجاورتهم الهوام فى ملاحد قبورهم فهم خمود لا يتكلمون وسكان لحد الى الحشر لا يظعنون وفيهم محسنون ومسيئون ومقصرون ومجتهدون اللهم فمن كان منهم مسرورا فزده كرامة وحبورا ومن كان منهم ملهوفا فبدل حزنه فرحا وسرورا اللهم وتعطف على كافة أموات المسلمين وارحمهم وارحمنا اذا عدنا اليهم برحمتك الواسعة ياأرحم الراحمين لاسيما الآباء والامهات والاعمام والاخوة والاخوات وجميع الاقربين وأموات الجماعة الحاضرين ومشايخنا ومن له حق علينا من المسلمين اللهم اجعل قبورهم مفائض صلاتك ومقار هباتك وطرق احسانك ومجارى عفوك وغفرانك اللهم لا تدع لنا ذنبا إلا غفرته ولا هما إلا فرجته ولا كربا إلا كشفته ولا مبتلى إلا عافيته ولا غائبا إلا بالخير رددته ولا عاصيا إلا هديته ولا حقا إلا استخلصته ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضا ولنا فيها صلاح إلا يسرتها وقضيتها بمنك وانصر سلطاننا ومن نصر الدين واحفظ المجاهدين وعساكر الموحدين وصلى الله على محمد وآله أجمعين

﴿ المجلس التاسع عشر ﴾

(فى إطاعة السلطان والجهاد وما يتعلق بذلك)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله رب الارباب ومنزل الكتاب حفظ الارض بالجبال من الاضطراب وقهر الجبارين الصعاب وسمع خفى النطق ومهموس الخطاب وأبصر فلم يستر نظره حجاب أنزل القرآن يحث فيه على الجهاد واكتساب الثواب وزجر عن الفرار وأسباب العقاب كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب أحمده

على رفع الشك والارتياب وأشكره على ستر الخطايا والعاب وأقر له بالتوحيد إقرارا نافعا يوم الحساب وأصلى وأسلم على سيدنا محمد الذى رفع له الحجاب وعلى صاحبه أبى بكر خير الاصحاب وعلى عمر الذى اذا ذكر فى المجلس طاب وعلى عثمان جامع القرآن وشهيد المحراب وعلى على البدر يوم بدر والصدر يوم الاحزاب ﴿ أما بعد ﴾ فنروى بسندنا إلى الامام الهمام محيي الدين أبى زكريا يحيى النواوى عليه رحمة الملك العلام فانه روى فى كتابه الأربعين عن الترمذى عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه قال قلت يارسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار قال لقد سألت عن أمر عظيم وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله ولا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع (١) ثم قال ألا أخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يارسول الله قال رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يارسول الله فأخذ بلسانه وقال كف عليك هذا قلت يارسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم (فنقول) وبالله تعالى التوفيق هذا الحديث من أعظم الاحاديث النبوية المفصلة فيه الاحكام الدينية بل والدنيوية وقد تكلمنا فيما سبق من الدروس على عبادة الله تعالى وأنها اظهار العبودية له من تصديق به وعدم إشراك به عز وجل والايمان بما أنزل وذكرنا بحث الصوم والصلاة والحج والزكاة ولنذكر الآن إن شاء الله تعالى ما يتعلق بالجهاد واطاعة السلطان لانه له أقوى عماد ونورد الآيات الكريمة والاحاديث العظيمة المتعلقة بالجهاد واطاعة السلطان والرباط والانفاق فى سبيل الله تعالى من تجهيز الغزاة والهجرة من دار الكفار ونحو ذلك مما أتى فى صحيح الاخبار فاعلموا أن الله سبحانه وتعالى قال ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه أولو الامر هم الأمراء وفى لفظ هم أمراء السرايا وقال ابن عباس هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم وقال مالك والضحاك هم أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال العلماء والمراد من اطاعة الله تعالى اتباع كتابه ومن اطاعة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إتباع أوامره وسنته ومن إطاعة السلاطين والأئمة والقضاة والولاة إطاعتهم فيما يأمرون به وينهون عنه مالم تكن معصية فقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وقال شيخ الاسلام فى كتابه السياسة الشرعية مانصه ويجب أن يعرف ان ولاية أمور الناس من أعظم واجبات الدين بل لا يقام الدين ولا الدنيا إلا بها فان بنى آدم لا تتم مصلحتهم الا بالاجتماع لحاجة بعضهم الى بعض ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس حتى قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم رواه أبو داود من حديث أبى سعيد وأبى هريرة وروى الامام أحمد فى المسند عن عبد الله بن عمر أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الارض الا أمروا عليهم أحدهم فأوجب صلى الله تعالى عليه وسلم تأمير الواحد فى الجمع القليل العارض فى السفر تنبيها بذلك على سائر أنواع الاجتهاد ولان الله تعالى أوجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا يتم ذلك الا بقوة وامارة وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل واقامة الحج والجمع والاعياد ونصر المظلوم واقامة الحدود لا يتم الا بالقوة والامارة ولهذا روى أن السلطان ظل الله فى الارض ويقال ستون سنة من امام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان والتجربة تبين ذلك ولهذا كان السلف كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون لو كان لنا

---

(١) تمامها يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون حتى بلغ يعملون

دعوة مستجابة لدعونا بها السلطان وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يرضى لكم ثلاثا أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم رواه مسلم اه وروى العرباض بن سارية قال وعظنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون قلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فاوصنا قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وفي التبيان في إطاعة السلطان لوالدنا المبرور أخرج الحاكم في المستدرك عن عبادة بن الصامت أنه قال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إسمع وأطع خليفة زمانك في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك وان أكلوا مالك وضربوا ظهرك الا أن يكون معصية لله بواحا أي جهارا ظاهرا وأخرج الطبراني والبيهقي في شعب الايمان عن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم السلطان ظل الله في الارض فمن أكرمه أكرمه الله ومن أهانه أهانه الله وروى البخاري في تاريخه عن أبي ذر الغفاري قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سيكون بعدي سلطان فأعزوه فانه من أراد ذله ثغر ثغرة أي ثلمة في الاسلام وليست له توبة الا ان سدها وليس بسادها الى يوم القيامة وأخرج أبو داود في سننه عن عامر بن مسهر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تمسكوا بطاعة أئمتكم ولا تخالفوهم فان طاعتهم طاعة الله وان معصيتهم معصية الله وان الله تعالى انما بعثني أدعو الى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كما أخرجه الديلمي قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم السلطان ظل الله في الأرض يأوي اليه كل مظلوم من عباده فان عدل كان له الأجر وكان على الرعية الشكر وان جار أو ظلم أو خان كان عليه الوزر وكان على الرعية الصبر وفي هذا الحديث ضعف لكن له متابعات فقد روى البيهقي في شعب الايمان عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أيضا قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم السلطان ظل الله في الارض يأوي اليه كل مظلوم من عباده فان عدل كان له الاجر وعلى الرعية الشكر وان جار أو خاف أو ظلم كان عليه الوزر وكان على الرعية الصبر واذا جارت الولاة قحطت السماء وأخرج الديلمي قال قال صلى الله تعالى عليه وسلم الاسلام والسلطان أخوان لا يصلح واحد منهما الا بصاحبه فالاسلام أس أي أساس والسلطان حارس وما لا أس له يهدم وما لا حارس له ضائع وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الامام العادل المتواضع ظل الله ورمحه في الارض ويرفع للوالي العادل المتواضع في كل يوم وليلة عمل ستين وفي رواية سبعين صديقا كلهم عابد مجتهد وأخرج الغزالي في كتابه نصيحة الملوك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال والذي نفس محمد بيده انه يرفع للسلطان العادل الى السماء من العمل مثل عمل رعيته وكل صلاة يصليها تعدل سبعين ألف صلاة وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذا دخل أحدكم بلدا ليس فيه سلطان فلا يقيمن به أي لأنه لا يكاد يأمن على نفسه وماله ودينه إذ لا يحصل ذلك الا بالامان المنوط بوجود السلطان ولهذا صار اتخاذ الامام واجبا في كل زمان ونص بعضهم أن البلدة التي ليس فيها حجام أو طبيب مسلم مثلا لا يجوز السكنى فيها فاذا لم تجز الاقامة في بلدة خلت عن طبيب وحجام فكيف حال الاقامة في بلدة اذا خلت عن امام وعن ابن عمر من أكرم سلطان الله في الدنيا أكرمه الله تعالى يوم القيامة وعن أبي هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسبوا الأئمة وادعوا لهم بالصلاح فان صلاحهم لكم صلاح وفي بعض الكتب المنزلة أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيها بيدي فان العباد أطاعوني جعلتهم رحمة وان هم عصوني جعلتهم عليهم عقوبة

فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى أعطفهم عليكم وكان من دعاء نبينا المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه من خرج من الطاعة أي طاعة الامام وفارق الجماعة أي جماعة المسلمين فمات مات ميتة جاهلية أي على الضلالة وعن أبي هريرة واللفظ للبخاري أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله تعالى يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل ورجل بايع رجلا سلعة بعد العصر فحلف له لأخذها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك ورجل بايع اماما لا يبايعه الا للدنيا فان أعطاه منها وفى له وان لم يعطه لم يف له ولقد أحسن السلفي حيث يقول

عليك بطاعة الحكام سرا * وجهرا ما حييت مدى الزمان
ولا تعبأ بذي سفه وطيش * رقيع قد يمنيك الاماني
فطاعة من له أمر ونهي * أمان في أمان في أمان

والأحاديث في ذلك كثيرة مشحونة بها الكتب الحديثية وصادحة بمثل أحكامها القوانين الشرعية ونقل في البرهان أن الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر صرح ان السلطان ان كان صالحا فمن الأقطاب وان كان غير صالح فمن الابدال فنحمده تعالى على أن جعل سلطاننا الأعظم والخليفة على الخليقة في هذا العالم عبده الخاضع لسلطانه وأمير المؤمنين في زمانه حضرة مولانا السلطان الغازي عبد الحميد خان ابن الخاقان المرحوم عبد المجيد خان ابن المبرور الخاقان السلطان محمود خان شيد الله تعالى دولته بالشرع الأقوم ونصره على سائر الأمم ووفقه للخير الأتم وأذل له الطاغين الباغين وأعلا به كلمة الدين المبين وجعل في حوزة جميع الأقطار وسدد أركان دولته ما تعاقب الليل والنهار كيف لا وهو والحمد لله تعالى بدر سماء السلطنة العثمانية وشمس أوج سلطنتها السنية التي قال فيها الشيخ عبد الغني النابلسي عليه الرحمة انها المشار اليها في قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون ونقل أيضا صاحب كتاب البرهان عن بعض أهل العرفان أن الدولة العلية من بني عثمان تمتد الى آخر الزمان حتى يظهر المهدي من ذرية سيد ولد عدنان عليه الصلاة والسلام ما تعاقب الملوان وليعلم أنه كما يجب على الناس إطاعة السلطان يجب عليه العدل بين رعيته وتولية الأمور لأحسن من في دولته فقد ورد في الحديث الصحيح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته يوم القيامة حتى ان الرجل راع في أهل بيته وروى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ما من أمير ولا وال الا ويؤتى به يوم القيامة مغلولة يداه الى عنقه أطلقه عدله أو أوبقه جوره وعن علي كرم الله تعالى وجهه الايمان على أربعة دعائم الصبر واليقين والعدل والجهاد وفي كتاب هداية الولاة عن صعصعة بن صوحان قال خطبنا علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وعلى رأسه عمامة سوداء فقال أيها الناس إني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انه ليس من قاض ولا وال إلا يؤتى به يوم القيامة حتى يوقف بين يدي الله تعالى على الصراط ثم تنشر الملائكة سيرته أي صحيفته مع رعيته أعدل أم جار فيقرؤها على رأس الخلائق فان كان عدلا أنجاه الله بعدله وان كان غير عدل انتفض الصراط به انتفاضة وصار بين كل عضو من أعضائه مسيرة مائة سنة ثم ينخرق به الصراط فما يتلقى قعر جهنم الا بوجهه وحر جبينه وروى الحاكم في صحيحه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال من ولي من أمر المسلمين شيأ فولى رجلا وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله وخان المؤمنين وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه من ولي من أمر المسلمين شيأ فولى رجلا لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمؤمنين اه ولنشرع في سرد أحاديث وآيات تدل على فضل الرباط والجهاد وما يتعلق بذلك على وجه الاقتصار والاقتصاد فمنها قوله تعالى

الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم وقال تعالى هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ومنها ماروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أى العمل أفضل قال الايمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا قال الجهاد فى سبيل الله قيل ثم ماذا قال حج مبرور رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى ومنها عن أبى هريرة ورواه الترمذى أيضا قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة شهيد وعفيف متعفف وعبد أحسن عبادة الله ونصح لمواليه ومنها عن المقداد بن معديكرب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للشهيد عند الله ست خصال يغفر له فى أول دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الاكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا ومافيها ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع فى سبعين من أقربائه رواه الترمذى وابن ماجه ومنها عنه أيضا قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الشهيد لايجد ألم القتل الا كما يجد أحدكم ألم القرصة رواه الترمذى والنسائى والدارمى ومنها عن معاذ رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الغزو غزوان فاما من ابتغى وجه الله وأطاع الامام وأنفق الكريمة وأسر الشريك واجتنب الفساد فان نومه ونبهه أجر كله وأما من غزا فخرا ورياء وسمعة وعصى الامام وأفسد فى الارض فانه لم يرجع بالكفاف رواه مالك وأبو داود والنسائى ومنها عن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سرية فمر رجل بغار فيه شئ من ماء وبقل فحدثته نفسه بأن يقيم فيه ويتخلى من الدنيا فاستأذن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذلك فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انى لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكنى بعثت بالحنيفية السمحة والذى نفس محمد بيده لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا ومافيها ولمقام أحدكم فى الصف خير من صلاته ستين سنة رواه أحمد ومنها عن علىّ وأبى الدرداء وأبى هريرة وأبى أمامة وعبد الله بن عمرو وجابر بن عبد الله وعمران ابن حصين رضى الله تعالى عنهم كلهم يحدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من أنفق نفقة فى سبيل الله وأقام فى بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم ومن غزا بنفسه فى سبيل الله وأنفق فى وجهه ذلك فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم ثم تلا الآية والله يضاعف لمن يشاء رواه ابن ماجه ومنها عن أبى هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لايفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله متفق عليه ومنها عنه أيضا قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انتدب الله لمن خرج فى سبيله لايخرجه إلا إيمان بى وتصديق برسلى ان ارجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة متفق عليه ومنها عن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من لم يغز أو لم يجهز غازيا أو يخلف غازيا فى أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة رواه أبو داود والنسائى والدارمى وعن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا ومافيها متفق عليه وعن سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات أجرى عليه عمله الذى كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان رواه مسلم وقال عليه الصلاة والسلام من جهز غازيا كان له مثل أجره ومن جهز غازيا فقد غزا وروى ميمون بن مهران عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من حبس فرسا فى سبيل الله كتب له بكل شعرة حسنة وحط عنه سيئة ورفع له درجة وعن

عبد الله بن عمرو غزوة فى البحر خير من عشر غزوات فى البر ومن أجاز البحر فكأنما أجاز الأودية كلها والمائد فيه كالمتشحط فى دمه رواه الطبرانى ولذا كان الفرار يوم الزحف من الكبائر فقد روى الطبرانى عن ثوبان رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ثلاثة لاينفع معهن عمل الشرك بالله تعالى وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وكذا الغلول فى الجهاد من الكبائر وهو أخذ شئ من الغنيمة فقد روى ثوبان أيضا من جاء يوم القيامة بريئا من ثلاث دخل الجنة الكبر والغلول والدين وعن سمرة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول من يكتم غالا فانه مثله وليعلم أيضا أن الهجرة من بلاد الكفر الى ديار الاسلام وردت فيها أيضا آيات وأحاديث عظام فمنها قوله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ومنها مارواه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو إمرأة ينكحها فهجرته الى ماهاجر اليه فتبين من هذه الآيات والأحاديث أن اطاعة أولى الأمر والجهاد واجبان على كافة العباد ولنذكر بعض الحكايات الصحيحة لتكون فى ذلك عبرة لذوى العقول الرجيحة فمنها على مانقله الوالد عليه الرحمة فى كتابه التبيان عن معاذ النسفى قال كان شاب مراهق لايصلى الصلاة فلما مات حضر الناس جنازته ولم يحضر أبوه فعوتب بذلك فقال انه كان عاصيا لله ولرسوله فرآه فى منامه وهو يقول أبت ان لم تحضر جنازتى فقد حضر من هو خير منك أتانى جبريل عليه السلام مع سبعين ألف ملك فصلى علىّ وبشرنى من الله تعالى بالمغفرة فقال له أبوه يابنى من أين لك هذه الكرامة وقد كنت عاصيا لله ولرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ياأبت بلغنى أن المسلمين قد رجعوا من غزوتهم سالمين فكنت مسرورا بذلك فأكرمنى الله تعالى بهذه الكرامة فهذا حال من استبشر بسلامة الغزاة وليس معهم فكيف حال من هو من جلتهم وذكر الامام ناصر السنة ابن الجوزى فى عيون الحكايات بسنده عن أبى علىّ وهو أول من سكن طرسوس حتى بناها أبو سليم قال ان ثلاثة اخوة من الشام كانوا يغزون وكانوا فرسانا شجعانا فأسرهم الروم مرة فقال الملك انى أجعل فيكم الملك وأزوجكم بناتى وتدخلون فى النصرانية فأبوا وقالوا يامحمداه فأمر بثلاث قدور فصب فيها الزيت ثم أوقد تحتها ثلاثة أيام يعرضون فى كل يوم على تلك القدور ويدعون الى النصرانية فيأبون فألقى الأكبر فى القدر ثم الثانى ثم أدنى الاصغر فجعل يفتنه عن دينه بكل أمر فقام اليه علج فقال أيها الملك أنا أفتنه عن دينه قال بماذا قال لقد علمت أن العرب أسرع شئ الى النساء وليس فى الروم أجمل من بنتى فادفعه الىّ حتى أخليه معها فانها ستفتنه فضرب له أجلا أربعين يوما ودفعه اليه فجاء به فأدخله مع ابنته وأخبرها بالامر فقالت له دعه فقد كفيتك أمره فقام معها نهاره صائم وليله قائم حتى مضى أكثر الأجل فقال العلج لابنته ماصنعت قالت ماصنعت شيأ هذا الرجل فقد أخويه فى هذه البلدة فأخاف أن يكون امتناعه من أجلهما كلما رأى آثارهما ولكن استزد الملك فى الأجل وانقلنى أنا وإياه الى بلد آخر غير هذا فزاده أياما وأخرجهما الى بلد آخر فمكث على ذلك أياما صائم النهار قائم الليل حتى اذا بقى من الأجل أيام قالت له الجارية ليلة ياهذا إنى أراك تقدس ربا عظيما وإنى قد دخلت فى دينك وتركت دين آبائى قال لها كيف تكون الحيلة فى أمر الهرب قالت أنا أحتال لك فجاءته بدواب فركبا فكانا يسيران بالليل ويكمنان بالنهار فبينما هما يسيران ليلة إذ سمع وقع خيل فاذا هو بأخويه ومعهما ملائكة فسلم عليهما وسألهما عن حالهما فقالا ما كانت إلا الغطسة التى رأيت حتى خرجنا فى الفردوس وان الله أرسلنا اليك لنشهد تزويجك بهذه الفتاة فزوجاه إياها وخرج من بلاد الروم فأقام معها وكانوا مشهورين بذلك معروفين بالشام فى الزمن الأول وقال فيهما الشعراء أبياتا منها

سيعطى الصادقون بفضل صدق * نجاة فى الحياة وفى الممات

اهـ قلت بحسب الظاهر فى هذه الحكاية بعد غير أنه لا يبعد من كرم الله تعالى أن يرسل ملائكة على صورة أخويه المذكورين كما كان جبريل عليه السلام يتصور أحيانا بصورة دحية رضى الله تعالى عنه ومع هذا فعالم البرزخ ماوراء طور العقول وقد ثبتت حياة الشهداء حياة برزخية بأصح المنقول ويروى أن عبد الله بن المبارك كتب للفضيل بن عياض بمكة المكرمة يحثه على الجهاد وكان الفضيل قد اعتزل الناس ولازم العزلة والعبادة وترك الجهاد فقال

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا * لعلمت أنك فى العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه * فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله فى باطل * فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا * وهج السنابك(١) والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا * قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوى وغبار(٢) خيل الله فى * أنف امرئ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا * ليس الشهيد بميت لا يكذب

فلما قرأها الفضيل بكى وقال نصحنا جزاه الله تعالى خيرا فيا إخوانى أقبل المجاهدون ولازم المرابطون على خدمة الحق إقبال عالم وما سلكوا فقط إلا الطريق السالم بلغوا من الجهاد فوق ما يروم الرائم يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم تذكروا ذنوبهم العظائم وخافوا من أن تكون جرت منهم مظالم فحزنهم عليها دائم الحزين مطرق والخائف واجم يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم أرباب اجتهاد وجهاد وعزائم وأهل إقدام قد أمنوا الهزائم الشوق حاديهم والصدق خادم ولا يخافون لومة لائم يعدون التقصير من العظائم ولتأييد دينهم يبذلون المهج الكرائم فاذا جن الليل فساجد وقائم واذا حاربوا قمعوا كل كافر وظالم ولا يخافون لومة لائم أين أنت وهم ما ساهر كنائم كلا والله ولا مفطر كصائم أنت وقت الغنائم نائم وقلبك فى شهوات البهائم هائم

نهارك يا مغرور سهو وغفلة * وليلك نوم والردى لك لازم
يغرك ما يفنى وتشغل بالمنى * كما غر باللذات فى النوم حالم
وتشغل فيما سوف يكره غبه * كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

فنسألك اللهم أن تجعلنا من أوليائك المجاهدين وعبادك المطيعين ولأوامر أولى الأمر ممتثلين واحينا فى الدنيا مؤمنين وتوفنا مسلمين تائبين واجعلنا عند السؤال ثابتين واجعلنا ممن يأخذ الكتاب باليمين واجعلنا يوم الفزع الأكبر آمنين اللهم ثبت المسلمين أى ثبات وشتت الكافرين أى شتات وانصر اللهم سلطاننا أمير المؤمنين وأعل كلمته وشيد دولته وكثر فرقه وأيده بتأييدك وسدده بتسديدك واحفظ عساكره وكثر جنوده وأعطهم من الخير فوق ما يرجون واصرف عنهم من السوء فوق ما يحذرون فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب وارحم اللهم كافة المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) السنبك من السيف طرف حليته اهـ منه (٢) نسخه لا يجمعن غبار

﴿ المجلس العشرون ﴾

(فى التوبة النصوح)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى أوضح سبيل هدايته لأرباب ولايته وأبهج وحرك أهل عبادته الى التوبة النصوح وأزعج وأبدى بدائع قدرته فى محكم صنعته وأخرج وأوقد نيران محبته فى أفئدة أحبته وأجج من عرف لطفه ثنى عطفه اليه وأدلج ومن خاف عتبه ترك ذنبه وتحرج يحب الاخلاص فى الأعمال ولا يخفى عليه البهرج حليم فان غضب مكر بالعبد واستدرج لا تغتر بحلمه فكم عقاب فى الحلم أدرج لا يخفى عليه ضمير القلب فى سواد الليل ولا طرف أدعج يبصر جرى اللبن يسرى فى العروق نحو المخرج وينزل الى السماء فأين الذى بالمناجاة والاستغفار يلهج فيستعرض الحوائج الى أن يلوح الفجر ويتبلج وما انتقل ومن عقل رأى الحق أبلج هذا مذهب من القرآن القديم والنقل القويم مستخرج وهو المنهاج السليم فلا تعرج عن المنهج أحمده على ما أسر وما أزعج وأشهد بوحدانيته شهادة موقن ما تلجلج وأن محمدا عبده ورسوله الذى محاسن الشرائع فى شريعته تدرج صلى الله عليه وعلى صاحبه أبى بكر أول من أنفق ماله وأخرج وعلى عمر الذى اضطر كسرى الى الهرب وأحوج وعلى عثمان المظلوم وقد عدل وما عدل ولا عرج وعلى على مبيد الطغاة فلم يكن لهم منه مهرب ولا مخرج وعلى سائر آله وأصحابه الذين نصر الله بهم الدين وأبهج ﴿ أما بعد ﴾ فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه العزيز وكلامه البليغ الوجيز بعد أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شئ قدير (فنقول) وبالله تعالى التوفيق وبيده أزمة التحقيق لما كان البارى سبحانه وتعالى رؤفا بعباده لا سيما هذه الأمة التى هى من أهل وداده وأن نبيها حبيبه وصفيه بشرها سبحانه وتعالى على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام بهذه الآيات الكريمة ووعدهم بالعفو والمغفرة بعد التوبة والاستغفار من كل جريمة وقال عز من قائل وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وليعلم أنه قرأ الجمهور نصوحا بالفتح وقرأ الحسن وعاصم نصوحا بالضم وهو مصدر نصح فان النصح والنصوح كالشكر والشكور والكفر والكفور أى ذات نصح أو تنصح نصوحا أو توبوا لنصح أنفسكم على أنه مفعول له والتوبة لغة الرجوع وشرعا هى الرجوع عن المعاصى والتوبة النصوح أى مبالغة فى النصح فهو من أمثلة المبالغة كضروب ووصفت التوبة به على الاسناد المجازى وهو وصف التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم فيأتوا بها على طريقتها وقيل نصوح من نصاحة الثوب أى خياطته أى توبة ترفو خروقك فى دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع وجوز أن يراد توبة تنصح الناس أى تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها فى صاحبها وفى المراد بها فى الآية الكريمة أقوال كثيرة أوصلها بعضهم الى نيف وعشرين قولا ستسمع أكثرها ان شاء الله تعالى أخرج ابن مردويه عن ابن عباس أنه قال قال معاذ رضى الله تعالى عنه يا رسول الله ما التوبة النصوح قال أن يندم العبد على الذنب الذى أصابه فيعتذر الى الله تعالى ثم لا يعود اليه كما لا يعود اللبن الى الضرع قال العلماء الندم تحزن وتوجع على ان فعل وتمنى كونه لم يفعل ولذا قال عليه الصلاة والسلام توبة وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالى التوبة النصوح وهى الندم بالقلب والاستغفار باللسان والترك بالجوارح والاضمار أن لا يعود وقال غير واحد من العلماء

يشترط مع ذلك رد ظلامة آدمي ان تعلقت به فان ظلمه بأخذ ماله ومات وجب ردّه إلى وارثه لانه المطالب به في الآخرة فلو أعسر وانتظر الوارث يساره وتاب صحت توبته قال الماوردي فان مات معسرا أوفى الله تعالى عنه ويشترط لصحة التوبة أن يكون قادرا على المعصية فلو تاب عن الذنب مثلا لعجزه عنه بهرم أو غيره فلا ويشترط أن تكون التوبة لله تعالى فلو كان يعصي بماله فترك المعصية لبخله مثلا فلا تقبل توبته قاله الأسنوي ولا يشترط لصحة التوبة أن يفضح نفسه عند الحاكم بل عليه أن يستتر بستر الله تعالى ولا أن يقيم الحدّ على نفسه لان العفو في حقوق الله تعالى قريب من التائبين وأما مظالم العباد فيجب اظهارها والتمكن من استيفائها وأما غيرها من المعاصي كالنظر الى غير محرم وسماع الملاهي والقعود في المسجد مع الجنابة ومس المصحف بغير وضوء وشرب الخمر فيستحب عند التوبة أن يكفر كل معصية بحسنة من جنسها فيكفر سماع الملاهي مثلا بسماع القرآن وأذى المسلمين بالاحسان اليهم وكذا الباقي ولذا قال بعضهم التوبة النصوح لا تحصل إلا بثمانية أشياء وهي الندم على ماسلف من الذنب وقضاء الفرائض وردّ المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على أن لا تعود وأن تربي نفسك في طاعة الله تعالى كما ربيتها في المعصية وأن تذيقها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصي واصلاح المآكل والمشارب من الحلال وليعلم أن تأخير التوبة أو تركها عدّه بعضهم من الكبائر روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هلك المسوفون والمسوف من يقول سوف أتوب وهو هالك لانه بنى الامر على البقاء الذي ليس مفوضا اليه فلعله لا يبقى وان بقي فانه كما لا يقدر على ترك الذنب اليوم لا يقدر على تركه غدا لان عجزه عن الترك في الحال ليس الا لغلبة الشهوة عليه والشهوة لا تفارقه غدا بل تتضاعف وتتأكد بالاعتياد وروى ابن ماجه يا أيها الناس توبوا الى الله تعالى قبل أن تموتوا وبادروا بالأعمال قبل أن تشتغلوا وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة في السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا وروى الحاكم اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك أي فينبغي للانسان أن يتوب ويعمل الصالحات مادام صحيحا في قيد الحياة لانه يخاف أن يفجأه الموت قبل التوبة أو يتوب عند الغرغرة وقد قال تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما وقوله عز وجل انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب قال حجة الاسلام الغزالي عليه الرحمة الأجل القريب معناه أنه يقول العبد عند كشف الغطاء يا ملك الموت أخرني يوما أعتذر فيه الى ربي وأتوب وأتزود صالحا لنفسي فيقول فنيت الأيام فلا يوم فيقول فأخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة فيغلق عليه باب التوبة فيتغرغر بروحه وتتردّد أنفاسه في حلقومه وضلوعه ويتجرع غصة اليأس عن التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر فان خرجت روحه على التوحيد فذلك حسن الخاتمة وان سبق له القضاء بالشقاوة والعياذ بالله تعالى خرجت روحه على الشك وذلك سوء الخاتمة ولمثل هذا يقال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن اهـ هذا وحيث كانت التوبة أهم الاوامر الاسلامية وأول المقامات الايمانية ومبدأ طريق السالكين ومفتاح باب الواصلين فلنذكر أيضا ما يتعلق بها من الأحاديث التي فاقت روضا روى الامام مسلم عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه انه قال لو أخطأتم حتى تبلغ السماء ثم تبتم لتاب عليكم وعنه رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان عبدا أصاب ذنبا فقال يارب اني أذنبت ذنبا فاغفره لي فقال له ربه علم

عبدي أن له ربا يغفر الذنوب ويأخذ به فغفر له ثم مكث ماشاء الله تعالى ثم أصاب ذنبا آخر فقال يارب اني أذنبت ذنبا آخر فاغفره لي قال ربه علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم مكث ماشاء الله ثم أذنب ذنبا آخر فقال يارب اني أذنبت ذنبا فاغفره لي فقال ربه علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فقال ربه غفرت لعبدي فليعمل ماشاء رواه البخاري وقوله فليعمل ماشاء معناه والله تعالى أعلم على ماقال المنذري أنه مادام كلما أذنب ذنبا استغفر وتاب عنه ولم يعد اليه بدليل قوله ثم أصاب ذنبا آخر فليفعل اذا كان هذا دأبه ماشاء لانه كلما أذنب كانت توبته واستغفاره كفارة لذنبه فلا يضره لانه يذنب الذنب فيستغفر منه بلسانه من غير اقلاع ثم يعاوده فانها توبة الكذابين ولذا قالت رابعة العدوية رحمها الله تعالى ان استغفارنا يحتاج له استغفار وروى مسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله تعالى بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله عز وجل فيغفر لهم وروى ماعلم الله تعالى من عبد ندامة على ذنب الا غفر له قبل أن يستغفر منه وعن عبد الله ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر ومعنى يغرغر بغينين معجمتين أي مالم تبلغ روحه حلقومه وروى عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله حفظته ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الارض حتى يلقى الله تعالى يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم النادم ينتظر من الله الرحمة والمعجب ينتظر المقت واعلموا عباد الله أن كل عامل سيقدم على عمله ولا يخرج من الدنيا حتى يرى حسن عمله وانما الاعمال بخواتيمها والليل والنهار مطيتان فاحسنوا السير عليهما الى الآخرة واحذروا التسويف فان الموت يأتي بغتة ولا يغترن أحدكم بحلم الله عز وجل فان الجنة والنار أقرب الى أحدكم من شراك نعله ثم قرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وروى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول كان الكفل من بني اسرائيل لا يتورع من ذنب عمله فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارا على أن يطأها فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت فقال ما يبكيك أأكرهتك قالت لا ولكنه عمل ما عملته قط وما حملني عليه الا الحاجة فقال تفعلين أنت هذا وما فعلته قط اذهبي فهي لك وقال لا والله لا أعصي الله بعدها أبدا فمات من ليلته فأصبح مكتوب على بابه ان الله قد غفر للكفل قال وسمعته من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أكثر من عشرين مرة وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال كانت قريتان احداهما صالحة والاخرى ظالمة فخرج رجل من القرية الظالمة يريد القرية الصالحة فأتاه الموت حيث شاء الله واختصم فيه الملك والشيطان فقال الشيطان والله ماعصاني قط فقال الملك انه قد خرج يريد التوبة فقضى بينهما أن ينظر الى أيهما أقرب فوجدوه أقرب الى القرية الصالحة بشبر فغفر له قال معمر وسمعت من يقول قرب الله اليه القرية الصالحة رواه الطبراني وروى عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الارض فدل على راهب فأتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم من يحول بينه وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى اذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى

وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك فى صورة انسان فجعلوه بينهم فقال قيسوا مابين الارضين فالى أيهما كان أدنى فهوله فقاسوه فوجدوه أدنى الى الارض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة وفى رواية فأوحى الله تعالى الى هذه أن تباعدى والى هذه أن تقربى وقال قيسوا بينهما فوجدوه الى هذه أقرب بشبر فغفر له وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من تقرب الى الله شبرا تقرب اليه ذراعا ومن تقرب اليه ذراعا تقرب اليه باعا ومن أقبل الى الله عز وجل ماشيا أقبل اليه مهرولا والله أعلا وأجل والله أعلا وأجل والله أعلا وأجل رواه الامام أحمد وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله بأرض فلاة وفى رواية لمسلم لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك اذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح وروى عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه قال أخذ بيدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فمشى قليلا ثم قال يامعاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الامانة وترك الخيانة ورحم اليتيم وحفظ الجوار وكظم الغيظ ولين الكلام وبذل السلام ولزوم الامام والتفقه فى القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وقصر الامل وحسن العمل وأنهاك أن تشتم مسلما أوتصدق كاذبا أوتكذب صادقا أوتعصى اماما عادلا وأن تفسد فى الأرض واذا أسأت فاحسن يامعاذ اذكر الله عند كل شجر وحجر وأحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية واتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن رواه الترمذى وقال العلامة عبد الرحمن ابن الجوزى فى التبصرة واعلم أن التائب الصادق كلما اشتد ندمه زاد مقته لنفسه على قبح ذلته فنهم من قوى مقته لها ورأى تعريضها للقتل كما فعل ماعز والغامدية روى عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال كنت جالسا عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذ جاءه رجل يقال له ماعز بن مالك فقال يانبى الله إنى قد زنيت وأنا أريد أن تطهرنى فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم إرجع فلما كان من الغد أتاه أيضا فاعترف عنده بالزنا فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم إرجع ثم أرسل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى قومه فسألهم عنه فقال لهم ماتعلمون من ماعز بن مالك الأسلمى هل ترون به بأسا أوتنكرون من عقله شيأ فقالوا مانرى به بأسا ولا ننكر من عقله شيأ ثم عاد الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الثالثة فاعترف عنده بالزنا وقال يانبى الله طهرنى فأرسل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى قومه أيضا فسألهم عنه فقالوا كما قالوا فى المرة الأولى مانرى به بأسا وما ننكر من عقله شيأ ثم رجع الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاعترف عنده بالزنا فأمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فحفر له حفيرة فجعل فيها الى صدره ثم أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الناس أن يرجموه وقال بريدة وكنت جالسا عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فجاءته امرأة من غامد فقالت يانبى الله إنى قد زنيت وأنا أريد أن تطهرنى فقال لها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ارجعى فلما كان الغد أتته فاعترفت عنده بالزنا وقالت يانبى الله طهرنى فلعلك أن تردنى كما رددت ماعز بن مالك فوالله إنى لحبلى يانبى الله فقال لها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ارجعى حتى تلدين فلما ولدت جاءت بالصبى تحمله فقالت يانبى الله هذا ولدته قال اذهبى فأرضعيه حتى تفطميه فلما فطمته جاءت بالصبى فى يده كسرة خبز فقالت يانبى الله هذا قد فطمته فأمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالصبى فدفع الى رجل من المسلمين وأمر بها فحفر لها حفيرة فجعلت فيها الى صدرها ثم أمر الناس أن يرجموها فأقبل خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه بحجر فرمى رأسها فنضح الدم على وجنة خالد فسبها فسمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سبه اياها فقال مهلا ياخالد لاتسبها فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس

لغفر له فأمر بها فصلى عليها ودفنت فانظر الى مقت هؤلاء أنفسهم حتى أسلموها الى الهلاك غضبا عليها لما فعلت ومن الناس من لم يجز له التعرض لقتلها فكان ينغص عيشها قال بعض السلف رأيت ضيغما العابد قد أخذ كوزا من ماء بارد فصبه فى الحب وا كتاز غيره فقلت له فى ذلك فقال نظرت نظرة وأنا شاب فجعلت على نفسى أن لا أذيقها الماء البارد انغص عليها أيام الحياة لهج بعض العباد بالبكاء فعوتب على كثرته فقال شعرا

بكيت على الذنوب لعظم جرمى * وحق لكل من يعصى البكاء

فلو كان البكاء يردّ همى * لأسعدت الدموع معا دماء

فعليكم إخوانى بالتوبة والاستغفار فى آناء الليل والنهار فقد وردأيضا فيه أحاديث كثيرة وآيات غزيرة فلنذكر لكم بعضها لتشموا وردها فقد روى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن رب العزة جل جلاله انه قال يابنى آدم كلكم مذنب إلا من عافيته فاستغفرونى أغفر لكم ياابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ياابن آدم إنك لو أتيتنى بقراب الارض خطايا ثم لقيتنى لاتشرك بى شيأ لأتيتك بقرابها مغفرة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول قال ابليس وعزتك لا أبرح أغوى عبادك مادامت أرواحهم فى أجسادهم فقال الله تبارك وتعالى وعزتى وجلالى لا أزال أغفر لهم مااستغفرونى وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ألا أدلكم على دوائكم من الذنوب قالوا بلى يارسول الله قال دواؤكم الاستغفار وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لايحتسب وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول طوبى لمن وجد فى صحيفته استغفارا كثيرا فمن أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله تعالى له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة وفى رواية من استغفر للمؤمنين والمؤمنات فى كل يوم سبعا وعشرين مرة أوخمسا وعشرين مرة كان من الذين يستجاب لهم ويرزق به أهل الأرض ومن استغفر الله عند الغروب سبعين مرة كل يوم لم يكتب من الكاذبين ومن استغفر الله فى ليلة سبعين مرة لم يكتب من الغافلين وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول مامن مسلم يعمل ذنبا إلا وقف الملك ثلاث ساعات فان استغفر من ذنبه لم يوقفه عليه ولم يعذبه يوم القيامة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان العبد اذا أخطأ خطيئة نكتت فى قلبه نكتة سوداء فان هو نزع واستغفر صقلت فان عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه فذلك الران الذى ذكره الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من قال أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب اليه غفر له وان كان قد فر من الزحف ومن قالها فى دبر كل صلاة غفرت له ذنوبه كلها ومن استغفر الله تعالى سبعين مرة فى دبر كل صلاة غفر الله له ما اكتسب من الذنوب ولم يخرج من الدنيا حتى يرى أزواجه ومساكنه من الجنة وجاء رجل الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال واذنوباه فقال له عليه الصلاة والسلام قل اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبى ورحمتك أرجى عندى من عملى فقالها فقال له قم فقد غفر الله لك وأخرج البيهقى وغيره عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ينزل ربنا إلى السماء الدنيا فى ثلث الليل الآخر فيقول هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فأغفر له الحديث وقال ابن مسعود كان بنو اسرائيل اذا أذنبوا أصبح مكتوبا على باب أحدهم الذنب وكفارته فيفتضح فاعطينا خيرا من ذلك وهو الاستغفار وذكر الله عز وجل ويقرأ قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة أوظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون فعليكم اخوانى بالتوبة والاستغفار والابتهال الى ذى الجلال والافضال واغسلوا بالدمع درن الذنوب قبل أن تفتضحوا بالعيوب فياهذا ماء العين فى الارض حياة الزرع وماء العين فى الخد حياة

القلب ياطالب الجنة بذنب واحد أبوك أخرج منها أفتريد دخولها بذنوب ماتبت عنها وان امرؤ تنقضي بالجهل ساعاته وتذهب في المعاصي أوقاته لخليق أن يجري دما دموعه وحقيق أن يقل في الدجى هجوعه يامن ذهب عمره في الخلاف وصار قلبه في الخطايا في غلاف الى كم تعصي وتتمرد وأقبح من قبيحك انك تتعمد يارديء العزم ياسيء المقصد يانقي الثوب والقلب أسود ماهذا الأمل ولست بمخلد أما تخاف من أوعد وهدد يامسؤلا عن القبيح أتقر أم تجحد يامن شاب وماتاب هذا الدأب مذ أنت أمرد ميز مايبقى مما يفني ثم اطلب الأجود أسفا النفس لاتعقل أمرها مضت أيامها في الذنوب وجهلت قدرها ولم تزل في المعاصي تضيع عمرها يانادما على الذنوب أين أثر ندمك أين بكاؤك على زلة قدمك أين حذرك من أليم العقاب أين قلقك من خوف العتاب أتعتقد أن التوبة قول باللسان انما التوبة نار تحرق الجنان جرد الاقرار ثم ألبسه الاعتذار ثم حله بحلية الانكسار ثم أقمه على باب الدار أكتب قصة الرجوع بقلم النزوع بمداد الدموع واسع بها على قدم الخضوع الى باب الخشوع واتبعها بالعطش والجوع وسل رفعها فرب سؤال مسموع مناجاتك نجاتك وصلاتك صلاتك نادفي نادي الاسحار والناس نائمون ياأكرم من أمله الآملون ان طردتني فالى من أذهب وان أبعدتني فاليك أنسب علمت ذنبي وخلقتني ورأيت زللي ورزقتني

لئن جل ذنبي وارتكبت المآثما * وأصبحت في بحر الخطيئة عائما

فها أنا ذا يارب أقررت بالذي * جنيت على نفسي وأصبحت نادما

أجل ذنوبي عند عفوك سيدي * حقير وان كانت ذنوبي عظائما

لو رأيت التائب رأيت جفنا مقروحا تراه في الاسحار على باب الاعتذار مطروحا سمع قول الاله توبوا الى الله توبة نصوحا مطعمه يسير وحزنه كثير ومزعجه مثير كأنه أسير قد رمي مجروحا توبوا الى الله توبة نصوحا أنحل بدنه الصيام وأتعب قدمه القيام فبذل بدنا وروحا توبوا الى الله توبة نصوحا الذل قد علاه والحزن قد وهاه يذم نفسه على هواه وبهذا صار ممدوحا توبوا الى الله توبة نصوحا أين من يبكي جنايات الشباب التي بها قد اسود الكتاب أين من أتى الباب يجد الباب مفتوحا توبوا الى الله توبة نصوحا اللهم إنا نسألك التوبة ودوامها ونعوذ بك من المعصية وأسبابها وذكرنا بالخوف منك قبل هجوم خطراتها وأفض علينا من بحر كرمك وعفوك حتى نخرج من الدنيا على السلامة من وبالها وارأف بنا رأفة الحبيب بحبيبه عند الشدائد ونزولها وارحمنا بقبولك توبتنا وسترعيوبنا يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

﴿ المجلس الحادي والعشرون ﴾

(في ليلة القدر)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله عالم السر والجهر وقاصم الجبابرة بالعز والقهر محصي قطرات الماء وهو يجري في النهر موفر الثواب للأحباب ومكمل الأجر وباعث ظلام الليل ينسخه نور الفجر يعلم خائنة الأعين وخافية الصدر الموالي رزقه فلم ينس النمل في الرمل والفرخ في الوكر جل أن تناله أيدي الحوادث على مرور الدهر أحصى عدد الرمل في الفيافي والنمل في القفر أغنى وأفقر فبارادته وقوع الغنى والفقر وفضل بعض المخلوقات على بعض حتى أوقات الدهر ليلة القدر خير من ألف شهر أحمده حمدا لامنتهى لعدده وأشهد بتوحيده شهادة مخلص في معتقده وأن محمدا عبده ورسوله الذي نبع الماء من بين أصابع يده صلى الله عليه وعلى صاحبه أبي بكر رفيقه في شدائده وعلى عمر كهف الاسلام وعضده وعلى عثمان جامع القرآن في رقه

بعد تبدده وعلى علي كافي الحروب وشجعانها بمفرده وعلى سائر آله وأصحابه المحسن كل منهم في مقصده ﴿ أما بعد ﴾ فقد قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز وكلامه البليغ الوجيز بسم الله الرحمن الرحيم إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ماليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر (ونقول) وبالله تعالى التوفيق ومنه الهداية الى أقوم طريق ان البسملة المذكورة في أوائل السور من القرآن الكريم اختلف العلماء في كونها من السورة أم لا ومن القرآن أم لا على أقوال كثيرة ليس هذا موضع ذكرها لكنا نذكر المهم منها وهو أن البسملة هل هي آية من الفاتحة أم آية برأسها مستقلة ذكرت للفصل بين السور فالذي ذهبت اليه أئمتنا الحنفية أنها ليست من الفاتحة فلا يجب قراءتها معها فتصح الصلاة وان لم يقرأ البسملة أو الفاتحة لان الفرض قراءة بعض القرآن والذي ذهبت اليه ساداتنا الشافعية فرضية قراءة الفاتحة في الصلاة والبسملة آية منها ودليل كل واحد في موضعه ولنرجع الى قوله تعالى إنا أنزلناه في ليلة القدر فالهاء عائد الى القرآن كما قال جمهور المفسرين وهو وان لم يتقدم ذكره غير أنه في قوة المذكور لعلو شأنه فكأنه حاضر عند كل أحد والمراد بانزاله فيها إنزال كله جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا فقد صح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة الى السماء الدنيا وفي رواية ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة وفي رواية أخرى عنه أيضا أنزل جملة واحدة حتى وضع في بيت العزة في السماء الدنيا ونزل به جبريل عليه السلام على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم منجما بجواب كلام العباد وأعمالهم وفي أخرى أنه أنزل في رمضان ليلة القدر جملة واحدة ثم أنزل على مواقع النجوم رسلا في الشهور والأيام قال الوالد عليه الرحمة وقال بعضهم وهو الأشهر في ثلاث وعشرين وقال آخر في خمس وعشرين وهذا للخلاف في مدة إقامته صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة بعد البعث والمراد بالانزال إظهار القرآن من عالم الغيب الى عالم الشهادة أو اثباته لدى السفرة هناك أو نحو ذلك مما لايشكل نسبته الى القرآن واختلف العلماء في سبب نزول هذه السورة على أقوال فمنها ما أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه عن مجاهد أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك وتقاصرت اليهم أعمالهم فأنزل الله تعالى السورة وأخرج ابن أبي حاتم عن علي بن عروة قال ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوما أربعة من بني اسرائيل عبدوا الله تعالى ثمانين عاما لم يعصوه طرفة عين فذكر أيوب وزكريا وحزقيل ابن العجوز ويوشع ابن نون فعجب أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك فأتاه جبريل عليه السلام فقال يامحمد عجبت أمتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة فقد أنزل الله تعالى عليك خيرا من ذلك فقرأ عليه إنا أنزلناه ثم قال هذا أفضل ماعجبت أنت وأمتك منه فسر بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى ألف شهر فاعطوا ليلة ان أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد وقال أبو بكر الوراق كان ملك كل من سليمان وذي القرنين خمسمائة شهر فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة لمن أدركها خيرا من ملكهما وفي هذا نظر وقيل أري عليه الصلاة والسلام أعمار الأمم فاستقصر أعمار أمته فخاف عليه الصلاة والسلام أن لايبلغوا من العمل مثل مابلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله تعالى ليلة القدر وجعلها خيرا من ألف شهر لسائر الأمم وذكره الامام مالك في الموطأ وقيل ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأى بني أمية على منبره فساءه ذلك فنزلت سورة الكوثر وسورة القدر قال القاسم بن الفضل قد عددنا مدة ملكهم فاذا هي ألف شهر وروى هذا عن الحسن بن علي وابن عباس وسعيد بن المسيب قال المزي هو حديث منكر وبعض رواته مطعون فيهم ونقل السفيري عن ثعلب عن وهب بن منبه أن

نبيا من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يقال له سمنون كان يجاهد قومه فيقتل منهم ويأخذ من أموالهم وكان لا يوثقه الحديد فلما عجزوا عنه قالوا لز وجته ان أوثقتيه لنا أعطيناك مالا كثيرا فلما نام أوثقته بحبل فلما استيقظ وقع من يديه ورجليه فسألها عن ذلك فقالت لأرى قوتك ثم أوثقته بحديد فلما استيقظ سقط عنه الحديد فسألها عن ذلك فقالت لأرى قوتك فى الحديد أيضا ثم قالت له أما فى الدنيا شئ يوثقك قال شعرى فلما نام أوثقته بشعره وبعثت الى قومه فقطعوا أنفه وأذنيه وقلعوا عينيه نخسف الله تعالى بهم الارض وأرسل على المرأة صاعقة ورد الله تعالى ذلك النبى الى أحسن حال وكان قد جاهدهم ألف شهر فتعجب أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه السورة وقيل غير ذلك مما فيه ضعف أيضا قال الوالد عليه الرحمة وخيرتها من ألف شهر باعتبار العبادة عند الاكثرين على معنى ان العبادة فيها خير من العبادة فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ولا يعلم مقدار خيريتها إلا هو سبحانه وتعالى وهذا تفضل منه عز وجل واختلف فى أن تلك الليلة هل تستتبع يومها أم لا فقال الشعبى نعم يومها مثلها قال الزهرى وانما سميت ليلة القدر لعظمها وشرفها من قولهم رجل له قدر عند فلان أى منزلة وشرف أو سميت بذلك لان من أتى بفعل الطاعات فيها صار ذا قدر وشرف عند الله عز وجل أو لان للطاعات فيها قدرا عظيما وثوابا جزيلا وقيل لانه نزل فيها كتاب ذو قدر بواسطة ملك ذى قدر على رسول ذى قدر لأمة ذات قدر وقال الخليل بن أحمد سميت ليلة القدر لان الأرض تضيق فيها بالملائكة عليهم السلام كقوله ومن قدر عليه رزقه أى ضيقه وقال غير واحد من العلماء سميت ليلة القدر لان الله سبحانه يقدر فيها ما شاء من أمره الى السنة القابلة من أمر الموت والاجل وغير ذلك قلت وهو الراجح عندى بدليل قوله تعالى حم والكتاب المبين إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق أى يفصل كل أمر حكيم قال ابن الجوزى فى الليلة المباركة قولان أحدهما أنها ليلة القدر والثانى ليلة النصف من شعبان كما سنفصل ذلك فى محله إن شاء الله تعالى فقد روى أصحاب السنن عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كانت ليلة النصف من شعبان ليلتى فبات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عندى فلما كان فى جوف الليل فقدته فأخذنى عليه ما يأخذ النساء من الغيرة فتلفعت بمرطى أما والله ما كان مرطى خزا ولا قزا ولا حريرا ولا ديباجا ولا قطنا ولا كتانا قيل مم كان قالت سداه كان شعرا ولحمته أوبار لابل فطلبته فى حجر نسائه فلم أجده فانصرفت الى حجرتى فاذا به كالثوب الساقط على وجه الأرض ساجدا وهو يقول فى سجوده سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى هذه يدى وما جنيت بها على نفسى يا عظيما يرجى لكل عظيم إغفر الذنب العظيم أقول كما قال داود أعفر وجهى بالتراب لسيدى وحق له أن يسجد سجد وجهى للذى خلقه وشق سمعه وبصره ثم رفع رأسه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اللهم ارزقنى قلبا نقيا تقيا من الشرك بريا لا كافرا ولا شقيا ثم سجد وقال أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بعفوك من معاقبتك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك قالت ثم انصرف ودخل معى فى الخميلة ولى نفس عال وقال ما هذا النفس يا حميراء فأخبرته فطفق يمسح بيده على ركبتى ويقول ويس (١) هاتين الركبتين ماذا لقيتا فى هذه الليلة ليلة النصف من شعبان إن الله تعالى ينزل الى السماء الدنيا فيغفر لعباده إلا لمشرك أو مشاحن وفى رواية أخرى إن الله عز وجل فى هذه الليلة عتقاء من النار بعدد شعر غنم بنى كلب (٢) لا أقول فيهم ستة مدمن خمر ولا عاق والديه ولا مصر على ربا أو زنا ولا (٣) مصارم ولا مصور ولا قتات (٤) وعن على كرم

---

(١) قال فى القاموس وتس كلمة يستعمل فى موضع رأفة واستملاح للصبى اه منه

(٢) قوله لا أقول فيهم ستة الخ هكذا بالأصل الذى بأيدينا واحرر لفظ الحديث اه مصححه

(٣) المصارم المقاطع لأخيه المسلم اه منه (٤) القتات النمام اه منه

الله تعالى وجهه أنه قال اذا كان ليلة النصف من شعبان قال الله تعالى هل من سائل فاعطيه هل من مستغفر فأغفر له هل من مسترزق فأرزقه حتى ينفجر الفجر فأمرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقيام ليلها وصيام نهارها وعن عكرمة فى قوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم قال فى ليلة النصف من شعبان يدبر الله تعالى أمر السنة وينسخ الأحياء من الأموات ويكتب حاج بيت الله تعالى فلا يزيد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد اه وفى روح المعانى ومعنى ليلة القدر ليلة التقدير وسميت بذلك لما روى عن ابن عباس وغيره أنه يقدر فيها ويقضى ما يكون فى تلك السنة من مطر ورزق واحياء وإماتة الى السنة القابلة والمراد اظهار تقديره تعالى ذلك للملائكة عليهم السلام المأمورين بالحوادث الكونية والا فتقديره تعالى جميع الأشياء أزلى قبل خلق السموات والأرض لكن قال بعض الأجلة كون التقدير فى هذه الليلة يشكل عليه قول كثير انه ليلة النصف من شعبان وهى المراد بالليلة المباركة التى قال الله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وأجاب بأن ههنا ثلاثة أشياء الأول نفس تقدير الأمور أى تعيين مقاديرها وأوقاتها وذلك فى الأزل والثانى اظهار تلك المقادير للملائكة عليهم السلام بأن تكتب فى اللوح المحفوظ وذلك فى ليلة النصف من شعبان والثالث اثبات تلك المقادير فى نسخ وتسليمها الى أربابها من المدبرات فتدفع نسخة الأرزاق والنباتات والأمطار الى ميكائيل عليه السلام ونسخة الحروب والرياح والجنود والزلازل والصواعق والخسف الى جبريل عليه السلام ونسخة الأعمال الى اسرافيل عليه السلام ونسخة المصائب الى ملك الموت وذلك فى ليلة القدر وقيل يقدر فى ليلة النصف الآجال والأرزاق وفى ليلة القدر الأمور التى فيها الخير والبركة والسلامة وقيل يقدر فى هذه ما يتعلق به اعزاز الدين وما فيه النفع العظيم للمسلمين وفى ليلة النصف يكتب أسماء من يموت ويسلم الى ملك الموت والله تعالى أعلم بحقيقة الحال واعلم أن العلماء اختلفوا فى ليلة القدر فقيل رفعت وهو قول مردود وعن عكرمة أنها ليلة النصف من شعبان وهو قول شاذ لقوله تعالى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن وعن ابن مسعود أنها تنتقل فتكون فى كل سنة فى ليلة والأكثرون على أنها فى شهر رمضان فعن ابن رزين أنها الليلة الاولى منه وعن الحسن البصرى السابعة عشر لان وقعة بدر كانت فى صبيحتها وحكى عن زيد بن أرقم وعن أنس مرفوعا التاسعة عشر وحكى موقوفا على ابن مسعود أيضا وعن محمد بن اسحق الحادية والعشرون لما فى الصحيحين وغيرهما من حديث أبى سعيد الخدرى أنه عليه الصلاة والسلام قال قد رأيت هذه الليلة يعنى ليلة القدر ثم نسيتها وقد رأيتنى أسجد من صبيحتها فى ماء وطين قال أبو سعيد فمطرت السماء من تلك الليلة فوكف المسجد فأبصرت عيناى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى جبهته وأنفه أثر الماء والطين من صبيحة احدى وعشرين وفى مسلم من صبيحة ثلاث وعشرين ومنه مع ما قبله مال الشافعى عليه الرحمة الى أنها الليلة الحادية أو الثالثة والعشرون وأخرج أحمد ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن أنيس أنه سئل عن ليلة القدر فقال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول التمسوها الليلة وتلك الليلة ليلة ثلاث وعشرين وأخرج أحمد وأبو داود والترمذى وابن جرير وغيرهم عن بلال قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة القدر ليلة أربع وعشرين وفى الاتقان وغيره أنها الليلة التى أنزل فيها القرآن وأخرج ابن أبى شيبة عن أبى ذر أنه سئل عن ليلة القدر فقال كان عمر وحذيفة وناس من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يشكون أنها ليلة سبع وعشرين وأخرج ابن نصر وابن جرير فى تهذيبه عن معاوية قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التمسوا ليلة القدر فى آخر ليلة من رمضان وفى رواية أحمد عن أبى هريرة مرفوعا أنها آخر ليلة وقيل هى فى العشر الأوسط تنتقل فيه وقيل فى أوتاره وقيل فى أشفاعه وأخرج أحمد والبخارى ومسلم والترمذى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحروا ليلة القدر فى الوتر من

العشر الأواخر فى شهر رمضان وبالجملة الأقوال فيها مختلفة جدا الا ان الأكثرين على انها فى العشر الأواخر لكثرة الأحاديث الصحيحة فى ذلك وأكثرهم على أنها فى أوتارها الذلك أيضا وكثير منهم ذهب الى أنها ليلة السابعة من تلك الأوتار وصح من رواية الامام أحمد ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى وابن حبان وغيرهم أن رزين بن جيش سأل أبىّ بن كعب عنها فحلف لا يستثنى أنها ليلة سبع وعشرين فقال له بم تقول ذلك يا أبا المنذر فقال بالآية والعلامة التى قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انها تصبح من ذلك اليوم تطلع الشمس ليس لها شعاع وبعض الاخبار عن ابن عباس ظاهر فى ذلك وفى بعضها الاستئناس له بما يدل على جلالة شأن السبعة التى قالوا فيها انها عدد تام من كون السموات سبعا والارضين سبعا والأيام سبعا والجمار سبعا والطواف بالبيت سبعا والسجود على سبع الى غير ذلك مما ذكره لما علمت من الاخبار الصحيحة المتظافرة وهو زمان ضعف البدن وفيه يزيد أجر العمل ووقت قوة الاستعداد للتجليات لمزيد التصفية وأنها فى الأوتار أرجى للاحاديث أيضا مع ان الله تعالى وتر يحب الوتر وقال ابن حجر الهيتمى اختار جمع أنها لا تلزم ليلة بعينها من العشر الأواخر بل تنتقل فى لياليه فعاما أو أعواما تكون وترا احدى أو ثلاثا أو غيرهما وعاما أو أعواما تكون شفعا ثنتين أو أربعا أو غيرهما قالوا ولا تجتمع الأحاديث المتعارضة فيها الا بذلك وكلام الشافعى رضى الله تعالى عنه فى الجمع بين الأحاديث يقتضيه اه ولا يخفى أن الجمع بذلك بين الأحاديث المتعارضة فيها مطلقا مما لا يستتنى وانما يستتنى الجمع بذلك بين الأحاديث المتعارضة فيها بالنظر الى العشر وقيل فى الجمع مطلقا أنها تنتقل وما صح من التعيين فى الجملة أو على التحقيق محمول على ليلة قدر فى شهر رمضان مخصوص وعلم عليه الصلاة والسلام أنها فى شهر رمضان بعده ليلة كذا وفى هذا نظر وفى بعض الأخبار ذكر علامات لها ففى حديث الامام أحمد عن عبادة بن الصامت من أماراتها أنها ليلة بلجة صافية ساكنة لا حارة ولا باردة وكأن فيها قمرا ساطعا لا يرمى فيها بنجم حتى الصباح وقيل ان ماء البحر يعذب وقيل ان الشمس تكون صبيحتها غير مضيئة (١) جدا وقيل إن الأشجار كلها تخر ساجدة قال العلماء والحكمة فى إخفائها أن يجتهد من يطلبها فى العبادة فى غيرها ليصادفها كان يحيى ليالى شهر رمضان كلها كما كان دأب السلف قالوا ولذلك أيضا لم تعين ساعة الاجابة يوم الجمعة والله تعالى أعلم وليعلم أن ظاهر الآية دل على أن ليلة القدر أفضل من ليلة الجمعة والمسئلة خلافية وأكثر الأئمة على أنها أفضل منها للآية ولان الله تعالى أنزل فيها القرآن وهو هو ولم ينزله فى غيرها ولانه سبحانه أمر بطلبها فعن ابن عباس أنه قال فى قوله تعالى وابتغوا ما كتب الله لكم ليلة القدر ولانه عز وجل جعلها ليلة الفرق والحكم فقال جل شأنه فيها يفرق كل أمر حكيم وسماها جل وعلا ليلة القدر أى التقدير ولما روى عن كعب أنه قال إن الله تعالى إختار الساعات فاختار ساعات أوقات الصلاة واختار الأيام فاختار يوم الجمعة واختار الشهور فاختار رمضان واختار الليالى فاختار ليلة القدر فهى أفضل ليلة فى أفضل شهر ولأن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حث على العمل فيها فقد صح من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وفى رواية وما تأخر ونهى عليه الصلاة والسلام أن يخص ليلة الجمعة بقيام ويومها بصيام ولأنه سبحانه وتعالى أخفاها ولم يبينها كما أخفى سبحانه أعظم أسمائه عز وجل وكما أخفى جل شأنه أفضل الصلاة وهى الصلاة الوسطى إلى غير ذلك وذهب أكثر الحنابلة كأبى حسن الجرزى وعبد الله بن بطة وأبى حفص البرمكى وغيرهم إلى أن ليلة الجمعة أفضل لما أخرج مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يغفر الله تعالى ليلة الجمعة لاهل الاسلام أجمعين وهذه فضيلة لم تجىء لغيرها ونحوه ما روى عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما من ليلة جمعة إلا وينظر الله تعالى الى خلقه ثلاث

(١) أى لنزول الملائكة وصعودهم اه منه

مرات فيغفر لمن لم يشرك بالله تعالى شيأ ولانه روى ابن بشكوال فى كتابه الغربة إلى رب العالمين بسنده إلى عمر رضى الله تعالى عنه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أكثروا الصلاة علىّ فى الليلة الغراء واليوم الازهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة والغرة من الشئ خياره ولانه قد روى كثيرون منهم الامام أحمد أن يومها سيد الايام وأعظم عند الله تعالى من يوم الفطر ويوم الاضحى وصحح ابن حبان خبر لا تطلع الشمس ولا تغرب على يوم أفضل من يوم الجمعة فهى لذلك سيدة الليالى وأعظمها وأفضلها ولانها متعينة مشهودة يشهدها الخاص والعام من ذكر وأنثى وصغير وكبير وبصير وضرير وتصل بركتها إلى الاحياء والاموات وليلة القدر غير معينة فلا ينتفع بها إلا قليل إلى غير ذلك وأجوبة الطرفين فى روح المعانى قال الوالد عليه الرحمة وههنا قول متوسط بين القولين حكى القاضى أبو يعلى أن أبا الحسن التميمى من الحنابلة أيضا كان يقول ليلة القدر التى أنزل فيها القرآن أفضل من ليلة الجمعة لما حصل فيها من الخير الكثير الذى لم يحصل فى غيرها فأما أمثالها من ليالى القدر فليلة الجمعة أفضل منها وقيل نظيره فى ليلة المعراج مع ليلة الجمعة ونحوها ثم إن ظاهر كلام بعض الحنفية كصاحب الجوهرة أن ليلة النحر أفضل من ليلة القدر وسائر ليالى السنة ويرد عليه ظاهر الآية أيضا ونقل الطحطاوى عليه الرحمة فى حواشى الدر المختار عن بعض الشافعية أن أفضل الليالى ليلة مولده عليه الصلاة والسلام ولقد أحسن البوصيرى حيث قال

ليلة المولد الذى كان للديـ ـن سرور بيومه وازدهاء
وتداعى ايوان كسرى ولولا * آية منك ماتداعى البناء

ثم ليلة القدر ثم ليلة الاسراء والمعراج ثم ليلة عرفة ثم ليلة الجمعة ثم ليلة النصف من شعبان ثم ليلة العيد وليلة القدر عند السادة الصوفية قدست أسرارهم الزكية ليلة يختص فيها السالك بتجلى خاص يعرف به قدره ورتبته بالنسبة إلى محبوبه وهى وقت ابتداء وصول السالك إلى عين الجمع ومقام البالغين فى المعرفة وما ألطف قول الشيخ عمر بن الفارض قدس سره

وكل الليالى ليلة القدر إن دنت * كما كل أيام اللقا يوم جمعة

﴿فائدة﴾ فى ليلة القدر يلزم التنبيه عليها البعض العلماء الاعلام وان لم يلزم قراءتها للعوام فى المجلس العام وهى ملخص ما ذكره العلامة الوالد عليه الرحمة أنه على قول المعتبرين لاختلاف المطالع يلزم القول بتعدد ليلة القدر فى رمضان وكونها وترا من لياليه عند قوم شفعا عند آخرين فلا يصح القول بأحدهما بل لا يصح اطلاق القول بأن وقت التقدير وتنزل الملائكة ليل فالليلة عند قوم نهار فى الجهة المسامتة لاقدامهم وهى قد تكون مسكونة ولو بواسطة سفينة وربما يكون زمان الليل عند قوم بعضه ليلا وبعضه نهارا عند آخرين (١) وأجاب بعض بالتزام ان ما أطلق من القول فيها ليس على اطلاقه فيكون القول بوتريتها بالنسبة الى قوم وبشفعيتها بالنسبة الى آخرين وهكذا القول بأنها ليلة كذا من الشهر وأن التعبير بالليلة لرعاية مكان المنزل عليه القرآن عليه الصلاة والسلام وغالب المؤمنين به وفيه نظر وأجيب أيضا بأنه ربما يقال انها لكل قوم ليلتهم وان اختلفت دخولا وخروجا بالنسبة الى آفاقهم كسائر لياليهم فكأن الليلة راكب يسير الى جهة فيصل الى كل منزل فى وقت ويلتزم أن تنزل الملائكة حسب سيرها ولا يبعد أن يتنزل عند كل قوم ما شاء الله تعالى منهم عند أول دخولها عندهم ويعرجون عند مطلع فجرها عندهم أو يبقى التنزل منهم هناك الى أن تنقضى الليلة فى جميع المعمورة فيعرجون معا عند انقضائها او يلتزم القول بتعدد التقدير حسب السير أيضا ومثل ليلة القدر

(١) أقول وشبيه بهذه المسئلة من وجه مسئلة طلوع الفجر فى بلاد البرغال قبل غيبوبة الشفق ودخول وقت العشاء فوقته عند بعضهم يقدر لهم وعند بعضهم تسقط الصلاة والاول أصح كما نبه عليه الفقهاء اه منه

فيماذكروقت نزوله سبحانه وتعالى الى السماء الدنيا وساعة الاجابة وارتضاه الوالد والله سبحانه وتعالى أعلم
ولنرجع الى قوله تعالى تنزل الملائكة والروح فيها أى تهبط الملائكة من السموات الى الارض قرأ الجمهور
تنزل بفتح التاء وقرئ بضمها والروح عند الجمهور هو جبريل عليه السلام وخص بالذكر لزيادة شرفه مع
أنه النازل بالذكر وقيل حفظة عن الملائكة كالملائكة الحفظة علينا وقيل خلق من خلق الله يأكلون
ويلبسون ليسوا من الملائكة ولا من الانس وتحقيق مالاتعلمون ومايعلم جنود ربك إلا هو ولعلهم على ماقيل
خدم أهل الجنة وقيل هو عيسى عليه السلام ينزل لمطالعة هذه الأمة ولزور قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وقيل أرواح المؤمنين ينزلون لعيادة أهليهم وقيل الرحمة كما قرئ لاتيأسوا من روح الله بالضم قال الوالد
على الأول المعول والظاهر الذى تشهد له الأخبار أن التنزل الى الارض لأجل ماذكر الله تعالى من قوله من كل
أمر أى تتنزل من أجل الأمور التى قضى الله تعالى بها فى تلك السنة وقد تم الكلام عند قوله تعالى من كل أمر
ثم ابتدأ بغضا أيضا فقال سلام هى أى ماهى الا سلامة وخير كلها لاشر فيها ولا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها
سوأ وقيل ينزلون فيها للتسليم على المؤمنين وقيل لان الله تعالى جعل فضيلة هذه الليلة فى الاشتغال بطاعته
فى الارض فهم ينزلون اليها لتصير طاعاتهم أكثر ثوابا كما انا نروح الى مكة ليكثر ثوابنا وقيل غير ذلك وقال
القطب الربانى الشيخ عبد القادر الكيلانى قدس سره النورانى فى كتابه الغنية مانصه عن ابن عباس رضى
الله تعالى عنهما قال اذا كان ليلة القدر يأمر الله تعالى جبريل عليه السلام أن ينزل الى الأرض ومعه سكان
سدرة المنتهى سبعون ألف ملك ومعهم ألوية من نور فاذا هبطوا الى الارض ركز جبريل لواءه والملائكة
ألويتهم فى أربعة مواطن عند الكعبة وقبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومسجد بيت المقدس ومسجد طور
سيناء ثم يقول جبريل عليه السلام تفرقوا فيتفرقون فلاتبقى دار ولا حجرة ولا بيت ولا سفينة فيها مؤمن أو
مؤمنة الادخلت الملائكة فيها الا بيتا فيه كلب أو خنزير أو جنب من حرام أو صورة تماثيل فيسبحون
ويقدسون ويهللون ويستغفرون لامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اذا كان وقت الفجر صعدوا الى
السماء فيستقبلهم أهل سكان سماء الدنيا فيقولون لهم من أين أقبلتم فيقولون كنا فى الدنيا لان الليلة ليلة القدر
لامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيقول سكان سماء الدنيا مافعل الله بحوائج أمة محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم فيقول جبريل عليه السلام ان الله تعالى غفر لصالحيهم وشفعهم فى طالحيهم فترفع ملائكة سماء الدنيا
أصواتهم بالتسبيح والتقديس والثناء على رب العالمين شكرا لما أعطى الله عز وجل هذه الامة من المغفرة
والرضوان ثم تشيعهم ملائكة سماء الدنيا الى الثانية كذلك ثم كذلك الى سماء الى سماء الى السابعة ثم يقول
جبريل ياسكان السموات ارجعوا فيرجع ملائكة كل سماء الى مواضعهم فاذا وصلوا الى سدرة المنتهى
يقولون لهم أين كنتم فيجيبونهم مثل ماأجابوا أهل السموات فترجع سكان سدرة المنتهى أصواتهم بالتسبيح
والتهليل والثناء فتسمع جنة المأوى ثم جنة النعيم وجنة عدن والفردوس ويسمع عرش الرحمن فيرفع العرش
صوته بالتسبيح والتهليل والثناء على رب العالمين شكرا لما أعطى هذه الأمة فيقول إلهى بلغنى عنك إنك
غفرت البارحة لصالحى أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وشفعت صالحيها فى طالحيها فيقول الله عز وجل
صدقت ياعرشى ولأمة محمد عندى من الكرامة مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اه
وليعلم أن فى قيام ليلة القدر ثوابا عظيما وأجرا جزيلا لأحاديث كثيرة وردت فى ذلك كما تقدم بعضها من قوله
عليه الصلاة والسلام من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا أى مصدقا غير مراء فى عمله غفر له ماتقدم من ذنبه وفى
رواية وماتأخر ولذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يجتهد فى العشر الاواخر مالايجتهد فى غيرها فقد قالت
عائشة رضى الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخلط العشرين بصلاة ونوم فاذا كان

العشر شمر وشد المئزر أى اجتهد فى أنواع العبادات من صلاة وغيرها وكانت تقول له يارسول الله ان وافقت
ليلة القدر فما أقول قال قولى اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى وقال سفيان الثورى الدعاء فى تلك الليلة
أحب من الصلاة ثم أفاد انه اذا قرأ ودعا كان حسنا وذكر ابن رجب عليه الرحمة أن الاكمل الجمع بين الصلاة
والقراءة والدعاء والتفكر ويحصل قيامها على ماقال بعض العلماء بصلاة التراويح وأخرج البيهقى عن أنس
ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى المغرب والعشاء فى جماعة حتى ينقضى شهر رمضان
فقد أصاب من ليلة القدر بحظ وافر وأخرج البيهقى عن سعيد بن المسيب قال من شهد العشاء ليلة القدر فى
جماعة فقد أخذ بحظه منها ولذا قال الشافعى كما نقل عنه انه تحصل فضيلة الاحياء بساعة ولهذه الاحاديث
ونحوها تأكدت سنية الاعتكاف فى العشر الاواخر ولنذكر لكم ماورد فى الاعتكاف مطلقا ولاسيما فى
العشر ومايتعلق بالاعتكاف على مذاهب الائمة الاربعة الاشراف فأقول قال الله تعالى وعهدنا الى ابراهيم
واسمعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود وروى الشعرانى فى كشف الغمة عن الامام
أبى عبد الله الحسين بن على عن على بن أبى طالب عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من اعتكف
عشرا فى رمضان كان كحجتين وعمرتين وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من اعتكف مابين المغرب والعشاء فى
مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة وقرآن كان حقا على الله أن يبنى له قصرا فى الجنة اه وروى عنه عليه الصلاة
والسلام من اعتكف فواق ناقة فكأنما أعتق رقبة والفواق هو الزمان الذى بين الحلبتين وعن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من مشى فى حاجة أخيه وبلغ فيها كان له خيرا من
اعتكاف عشر سنين ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق
أبعدها مابين الخافقين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال فى
المعتكف هو يعتكف عن الذنوب ويجرى له من الحسنات كعامل الحسنات كلها واعلم ان الائمة اتفقوا
على أن الاعتكاف مشروع وانه قربة الى الله تعالى وانه مستحب كل وقت وفى العشر الاواخر من رمضان
أفضل لطالب ليلة القدر واتفقوا أنه لايصح اعتكاف إلا بالنية وأجمعوا على أن خروج المعتكف لما لابد
منه كقضاء الحاجة وغسل الجنابة جائز وعلى أنه اذا اعتكف بغير المسجد الجامع وحضرت الجمعة وجب عليه
الخروج لها وعلى أنه اذا باشر المعتكف فى الفرج عمدا بطل اعتكافه ولا كفارة عليه وقال الحسن
البصرى والزهرى (١) يلزمه كفارة يمين وكذلك أجمعوا على أن الصمت الى الليل مكروه قال الشافعى ولو
نذر الصمت فى اعتكافه تكلم ولا كفارة عليه وكذلك أجمعوا على استحباب الصلاة والقراءة والذكر
للمعتكف وأجمعوا على أنه ليس للمعتكف أن يتجر ولا يكتسب بالصنعة على الاطلاق قال فى كتاب اختلاف
المذاهب واختلفوا هل يصح الاعتكاف بغير صوم فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد فى إحدى روايتيه لايصح بغير
صوم وقال الشافعى وأحمد فى الرواية المشهورة يصح بغيره وأجمعوا على أنه يصح الاعتكاف فى كل مسجد
إلا أحمد فانه قال لايصح إلا فى مسجد تقام فيه الجماعة وأجمعوا على أنه لايصح اعتكاف المرأة فى بيتها إلا أبا
حنيفة فانه قال يجوز اعتكافها فى مسجد بيتها واتفقوا على أن لوطء عامدا يبطل الاعتكاف المنذور
والمسنون معا واختلفوا فى وجوب الكفارة فيه فقالوا لاتجب إلا أحمد فعنه روايتان أظهرهما وجوب
الكفارة وهى كفارة يمين واختلفوا فى القبلة واللمس بشهوة فقال أبو حنيفة وأحمد قد أساء لانه قد أتى
مايحرم عليه ولايفسد اعتكافه وقال المالكية يفسد اعتكافه وعن الشافعى قولان واتفقوا على أنه يجوز

---

(١) كفارة اليمين عتق رقبة وان شاء كسا عشرة مساكين كل واحد منهم ثوبا فازاد وأدناه مايجزى فيه
الصلاة وان شاء أطعم عشرة مساكين وان لم يقدر على أحد الثلاثة صام ثلاثة أيام متتابعات اه منه

للمعتكف الخروج الى مالا بدمنه كحاجة الانسان وغسل الجنابة وخوف الفتنة ولقضاء عدة المتوفى عنها زوجها والحيض والنفاس واتفقوا على أنه اذا نذر اعتكاف شهر ثم مات قبل انقضائه فانه لا يقضى عنه إلا أحمد فانه قال يجب أن يقضى ذلك عنه وليه واختلفوا فيمن أذن لزوجته فى الاعتكاف فدخلت فيه هل له منعها من إتمامه فقال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه والامام مالك ليس له منعها وقال الشافعى وأحمد له منعها وأجمعوا على أن العبد ليس له أن يعتكف إلا باذن مولاه واتفقوا على أنه يكره للمعتكف الصمت الى الليل إلا أنه لا يتكلم إلا بخير وأجمعوا على أنه يستحب للمعتكف ذكر الله تعالى والصلاة وقراءة القرآن ثم اختلفوا فى إقرائه القرآن أو الحديث أو الفقه فقال مالك وأحمد رحمهم الله تعالى لا يستحب له ذلك ولا ينبغى له إقراؤه غيره وعن مالك رواية أخرى أنه لا بأس أن يكتب ويقرئ غيره القرآن وقال أبو حنيفة والشافعى يستحب له ذلك وروى عن أحمد فى الرجل يقرىء فى المسجد ويريد أن يعتكف فقال يقرئ أحب الى واختلفوا فى جواز البيع فقال أبو حنيفة له أن يبيع ويبتاع وهو فى المسجد من غير أن يحضر السلع وقال الشافعى له أن يأمر بالأمر الخفيف فى ماله ويبيع ويشترى من غير إكثار وقال مالك له أن يفعل ذلك اذا كان الاعتكاف تطوعا وكان يسيرا وعنه رواية أخرى بالمنع من ذلك على الاطلاق وقال أحمد لا يجوز له البيع والشراء على الاطلاق ولا يجوز له فعل الخياطة فيه ولو كان محتاجا اه ولنختم البحث بعبارة ملخصة من كتب أئمتنا الحنفية رحمهم رب البرية فقد قال فى الدر المختار الاعتكاف لغة اللبث وشرعا لبث فى مسجد جماعة وأفضله ما كان فى المسجد الحرام ثم فى مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم ثم فى المسجد الأقصى ثم فى الجامع الأقصى ثم فى الجامع ويتعين بالشروع فيه فليس له أن ينتقل الى مسجد آخر من غير عذر وعند الصاحبين يصح فى كل مسجد والمرأة فى مسجد بيتها ويكره لها فى المسجد إلا أنه جائز وشرطه النية من مسلم عاقل طاهر وهو ثلاثة أقسام واجب بالنذر وسنة مؤكدة فى العشر وسنة فى غيرها وشرط للنذر الصوم وأقله نفلا ساعة من ليل أو نهار عند محمد وهو ظاهر الرواية عن الامام والساعة عند الفقهاء جزء من الزمان ونظم ذلك بعضهم فقال

ثم أقل الاعتكاف النفل * يوم لدى أستاذنا الأجل

وأكثر النهار عند الثانى * وساعة فى مذهب الشيبانى

وحرم عليه أى المعتكف واجبا الخروج إلا لحاجة الانسان طبيعية كانت كبول وغائط وغسل لو احتلم ولا يمكنه الاغتسال فى المسجد أو شرعية كعيد وأذان وجمعة وقت الزوال اه مزادا من الحاشية فعليكم عباد الله بالاعتكاف واحياء ليلة القدر فانه من أعظم موجبات القبول والأجر فان العمر يمضى كساعة من الدهر فيامن أمله الى أجله يقوده ما أنت على يقين من نيل ما تريده كم من غصن كسر عوده كم من ملك غاب تفرقت جنوده إخوانى تأملوا احق هذه الأيام مهما أمكنكم واشكروا للذى وهب لكم السلامة ومكنكم فكم من مؤمل لم يبلغ ما أمل وان شككت فتامح جيرانك وتأمل كم من أناس صلوا معكم فى أول الشهر التراويح وأوقدوا فى المساجد طلبا للأجر المصابيح اقتنصهم قبل تمامه الصائد فقهروا وأسرتهم المصائد فأسروا ولم ينفعهم المال والآمال لما قبروا أدارت عليهم المنون رحاها وأحلت وجوههم بالثرى فمحاها فأعدمتهم صوما وفطرا وزودتهم من الحنوط عطرا وهذا حالك يا من لا يعقل أمرا

وفى الشيب ما ينهى الحليم عن الصبا * اذا استوقدت نيرانه فى عذاره

وأى امرئ يرجو من العيش غبطة * اذا اصفر منه العود بعد اخضراره

ولله فى عرض السموات جنة * ولكنها محفوفة بالمكاره

اخوانى ليلة القدر ليلة يفتح فيها الباب ويقرب فيها الأحباب ويسمع الخطاب ويرد الجواب ويرجى

للعاملين عظيم الاجر سلام هى حتى مطلع الفجر ليلة تتلقى فيها الوفود ويحصل لهم المقصود أترى ما يؤملك أيها المطرود هذا الهجر سلام هى حتى مطلع الفجر أخلصوا وما أخلصت قصدك وبلغوا المراد وما بلغت رشدك أما يؤثر عندك تشريدك هذا الزجر سلام هى حتى مطلع الفجر أيقظ نفسك لما بين يديها وانتظر ما سيأتى عن قليل اليها وأسمعها المواعظ فقد حضرت لديها واقبل نصحى وخذ عليها ضرب الحجر سلام هى حتى مطلع الفجر هذه أوقات يربح فيها من فهم ودرى ويصل الى مراده كل من جد وسرى ويفك منه الجانى ويطلق منه الاسرا تقدم القوم وأنت راجع الى ورا أليس هذا كله قد جرى وكأنه لم يجر سلام هى حتى مطلع الفجر اللهم يا من خلق الانسان وبناه واللسان وأجراه يا من لا يخيب من دعاه هب لكل منا فى هذه الليلة ما رجاه وبلغه من خير الدارين مناه يا أكرم من كل كريم اللهم واذا طلعت فى ليلتنا هذه على خلقك فعد علينا بمنك وعتقك وقدر لنا من الحلال واسع رزقك واجعلنا ممن عرفك وقام بحقك وارحمنا برحمتك يا أرحم الرحمين اللهم من قضيت بوفاته فاقض مع ذلك رحمتك ومن قدرت طول حياته فاجعل فى ذلك نعمتك وأسبل على الجميع سترك ومغفرتك وعاملنا بعفوك يا حليم اللهم اشف فى هذه الليلة مرضانا وارحم بفضلك موتانا واستر علينا عيوبنا واغفر لنا ذنوبنا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وأزواجه أجمعين

﴿ المجلس الثانى والعشرون ﴾

﴿ فى صلاة الجمعة ومتعلقاتها ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى يغفر الزلل ويصفح ويعفو عن الخطل ويسمح كل من لاذ به أنجح وكل من عامله ربح تشبيهه قبيح وجحده أقبح ورفع السماء بغير عمد فتأمل وألمح وأنزل القطر فاذا الزرع فى الماء يسبح والمواشى بعد الجدوب الغواشى فى الخصب تسرح وأقام الورق على الورق تشكر وتمدح أغنى وأفقر والفقر فى الأغلب أصلح كم من غنى طرحه البطر والاشر أقبح مطرح هذا قارون ملك الكثير وبالقليل لم يسمح نبه فلم يزل نومه وليم فلم ينفع لومه اذ قال له قومه لا تفرح أحمده ما أمسى المساء وأصبح وأصلى على رسوله محمد الذى أنزل عليه ألم نشرح صلى الله تعالى عليه وعلى أبى بكر صاحبه فى الدار والغار لم يبرح وعلى عمر الذى لم يزل فى اعزاز الدين يكدح وعلى عثمان ولا أذكر ما جرى ولا أشرح وعلى على الذى كان يغسل قدمه فى الوضوء ولا يمسح وعلى جميع آله وأصحابه صلاة دائمة لا تبرح ﴿ أما بعد ﴾ فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه العزيز (يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون * وإذا رأوا

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الملك الحق المبين القدير القوى المتين الفاطر البارىء فتبارك الله أحسن الخالقين خلق آدم من سلالة من طين فكمل خلقه يوم الجمعة وجعله عيد المسلمين واصطفى من ذريته الأولياء والنبيين واختار من جميع الخلائق أجمعين محمدا سيد الأولين والآخرين ورفع أمته على سائر الآدميين وشرفهم بيوم الجمعة على العالمين وجعله بفضله ورحمته حج المساكين وصلى الله تعالى على ذلك النبى الأمين وعلى أصحابه الأكرمين خصوصا على أبى بكر الصديق أمير المؤمنين وعلى عمر بن الخطاب الذى تأيد به الاسلام والدين وعلى عثمان بن عفان المخصوص بشرف الابنتين من جميع المسلمين وعلى ابن عمه على قاتل الكفرة والمبتدعين وعلى بقية الصحابة والقرابة والتابعين أجمعين اه منه

تجارة أولهوا انفضوا اليها وتركوك قائما * قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة * والله خير الرازقين) فنقول) ومن الله تعالى التوفيق قال العلماء سبب نزول هذه الآية أنه كان بأهل المدينة فاقة وحاجة فأقبلت عير من الشام وضرب لقدومها الطبل والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فانفتل الناس اليها حتى لم يبق الا اثنا عشر رجلا وسبع نسوة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو خرج كلهم لاضطرم عليهم المسجد نارا قال قتادة بلغنا أنهم فعلوا ذلك ثلاث مرات كل مرة تقدم العير من الشام ويوافق قدومها يوم الجمعة وقت الخطبة قال العلامة في فتح البيان والذي سوغ لهم الخروج وترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخطب انهم ظنوا أن الخروج بعد تمام الصلاة جائز لانقضاء المقصود وهو الصلاة لانه كان صلى الله تعالى عليه وسلم أول الاسلام يصلي الجمعة قبل الخطبة كالعيدين فلما وقعت هذه الواقعة ونزلت الآية قدم الخطبة وأخر الصلاة اه باختصار ولنذكر ما يتعلق بتفسير هذه الآية على وجه الاجمال ثم ما يتعلق بالجمعة وما فيها على سنن الكمال فليعلم أن قوله تعالى يا أيها الذين الآية أي وقع النداء لها والمراد به الأذان الثاني وهو عند قعود الامام على المنبر للخطبة فعن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثاني عن الزوراء يعني على داره المسماة زوراء وجعل للجمعة مؤذنين وقوله تعالى من يوم الجمعة أي فيه كقوله تعالى أروني ماذا خلقوا من الأرض أي فيها والجمعة بضم الميم وبه قرأ الجمهور وقرأ ابن الزبير وزيد بن علي بسكونها وجاء فتحها ولم يقرأ به ونقل بعضهم الكسر أيضا قال أبو البقاء الجمعة بالضم مصدر بمعنى الاجتماع وكانت العرب تسمي يوم الجمعة عروبة وفي كتاب المعربات أن عروبة هو يوم الجمعة اسم سرياني قال السهيلي ومعنى العروبة الرحمة فيما بلغنا عن بعض أهل العلم اه وأول من سماه جمعة قيل كعب بن لؤي أخرج عبد الرزاق عن ابن سيرين قال جمع أهل المدينة قبل أن يقدم المدينة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقبل أن تنزل الجمعة فقالت الانصار لليهود يوم يجتمعون فيه بكل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلم فلنجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله تعالى ونشكره فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة وكانوا يسمون يوم الجمعة بذلك فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه الجمعة حين اجتمعوا اليه فذبح لهم شاة فتغدوا وتعشوا منها وذلك لعلتهم وأنزل الله تعالى في ذلك بعد يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة الآية وفي هذه المسئلة أقوال أخر مذكورة في روح المعاني وقال بعضهم انما سمي يوم الجمعة لان آدم عليه السلام اجتمع فيه مع حواء في الأرض وقيل لان خلق آدم عليه السلام جمع فيه ويسميه الملائكة يوم المزيد لان الله تعالى يتجلى فيه لأهل الجنة فيعطيهم ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر وفي حديث آخر يوم الجمعة سيد الأيام وأعظم عند الله تعالى من يوم الفطر والأضحى وفيه خلق آدم واهباطه الى الارض وموته وساعة الاجابة ما لم يكن سؤال حرام وقيام الساعة ولذلك قال كثير من الحنابلة بأفضليته على سائر الأيام كما تقدم في بحث ليلة القدر وقوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله أي امشوا اليه وليس المراد من السعي الاسراع وقد كان يقرأ بعض الصحابة فامضوا الى ذكر الله قال الحسن أما والله ما هو بالسعي على الاقدام والسرعة فيها وقد نهوا أن يأتوا الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن السعي بالنية والخشوع بالقلب واختلف في المراد بذكر الله فقيل الصلاة والخطبة وقيل موعظة القرآن وقال سعيد بن المسيب الخطبة وهو موعظة الامام وقوله تعالى وذروا البيع أي اتركوا المعاملة من بيع وشراء واجارة وغيرها وقد صرحوا بكراهة التحريم في ذلك بل بالحرمة أخرج عبد بن حميد عن عبد الرحمن بن القاسم أن القاسم دخل على أهله يوم الجمعة وعندهم عطار يبايعونه فاشتروا منه وخرج القاسم الى الجمعة فوجد الامام قد خرج فلما رجع أمرهم أن يناقضوا البيع وظاهره حرمة البيع اذا نودي للصلاة على غير من تجب

عليه أيضا والظاهر حرمة البيع والشراء حالة السعي وصرح في السراج الوهاج بعدمها اذا لم يشغله ذلك وقوله تعالى وابتغوا من فضل الله أي الربح على ما قيل وقال الحسن وابن المسيب المأمور بابتغائه هو العلم وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس أنه قال لم يأمر بشيء من طلب الدنيا انما هي عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله تعالى قال الوالد رحمه الله تعالى وغفر له والأمر للاباحة على الأصح فيباح بعد قضاء الصلاة الجلوس في المسجد وحكى الكرماني الاتفاق على ذلك وفيه نظر وقد حكى السرخسي القول بأنه للوجوب وقيل هو للندب وأخرج أبو عبيد عن عبد الله بن بسر الحراني قال رأيت عبد الله المازني صاحب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى الجمعة خرج فدار في السوق ساعة ثم رجع الى المسجد فصلى ما شاء الله تعالى أن يصلي فقيل له لأي شيء تصنع هذا قال اني رأيت سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم هكذا يصنع وتلى فاذا قضيت الصلاة الآية وأخرج ابن المنذر عن سعيد بن جبير قال اذا انصرفت يوم الجمعة فاخرج الى باب المسجد فساوم بالشيء وان لم تشتره ونقل عنه القول بالندبية وهو الأقرب اه ولنرجع الى بيان شروطها وأحكامها وفضائلها والوعيد على تركها وما يتعلق بها وفيها فمن ذلك الترغيب في قراءة سورة الكهف فيها قال المنذري في الترغيب والترهيب روى النسائي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين وفي رواية عن ابن عمر يسطع له نور من تحت قدميه الى عنان السماء يضيء له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين وكذلك ورد في سورة الدخان عن أبي هريرة من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة غفر له وفي رواية في ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله تعالى له بيتا في الجنة وروى الاصبهاني أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال من قرأ سورة يس في ليلة الجمعة غفر له وقد ورد في فضل يس أحاديث كثيرة منها ما رواه الامام أحمد عن معقل بن يسار أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال قلب القرآن يس لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة الا غفر له اقرؤها على موتاكم وفي رواية من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله تعالى غفر له اه وفي الجامع الصغير عن أنس عنه عليه الصلاة والسلام قال اغتسلوا يوم الجمعة ولو كأسا بدينار وعن أبي امامة اغتسلوا يوم الجمعة فانه من اغتسل يوم الجمعة أي ولو مع الجنابة فله كعادة ما بين الجمعة الى الجمعة وزيادة ثلاثة أيام وزاد مسلم ما لم تغش الكبائر وعنه أن الغسل يوم الجمعة ليسل الخطايا من أصول الشعر استلالا وفي حديث كان عليه الصلاة والسلام يغتسل يوم الجمعة ويوم الفطر ويوم النحر ويوم عرفة روى عمار ان من الفطرة المضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط والاستحداد بالحديد أي حلق العانة وغسل البراجم وهي العقد بظهر الاصابع والانتضاح بالماء أي الاستنجاء والاختتان وعن عائشة عنه عليه الصلاة والسلام الاسلام نظيف فتنظفوا فانه لا يدخل الجنة الا نظيف وللداروي في حديث آخر نظفوا أفنيتكم فان اليهود لا ينظفون أفنيتهم وقال الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره في كتابه الغنية عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من اغتسل في كل يوم جمعة أخرجه الله تعالى من ذنوبه ثم قيل له استأنف العمل وقال من غسل واغتسل وغدا وابتكر ودنا من الامام ولم يلغ كان له بكل خطوة صيام سنة وقيامها قال الشيخ وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من غسل بالتشديد أي غسل أهله كناية عن الجماع ولهذا يستحب عند أهل العلم اتيان الزوجة في يوم الجمعة ويفعلونه اتباعا لهذا الحديث ويشتغل فيه بالذكر والتسبيح واستماع العلم والدعاء ولا يستحب له حضور القاص لان القصص بدعة قال الشيخ وكان ابن عمر وغيره من الصحابة رضي الله تعالى عنهم يخرجون القصاص من الجامع اللهم الا أن يكون عالما بالله تعالى من أهل المعرفة واليقين فيكون حضور مجلسه أفضل من صلاة ألف ركعة واذا أتى الجامع لا يتخطى رقاب الناس الا أن يكون إماما أو مؤذنا لما روي عن

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال لرجل رآه يتخطى رقاب الناس يافلان مامنعك أن تصلى معنا الجمعة فقال أولم ترنى يارسول الله قال صلى الله تعالى عليه وسلم رأيتك تلبست وآذيت أى تأخرت من البكور وآذيت بالحضور وقد قيل ان من فعل ذلك جعل جسرا يوم القيامة على ظهر جهنم يتخطاه الناس قال الشيخ ولا يمرن بين يدى المصلى ففى خبر لأن يكون لرجل رمادا تذروه بالرياح خير له من أن يمر بين يدى المصلى ولا يقيمن أحدا من موضعه ويجلس مكانه لما روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقيمن أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه وكان ابن عمر اذا قام له الرجل من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود اليه وان رأى بين يديه فرجة فهل يجوز له أن يتخطى الرقاب فيجلس على روايتين عند امامنا أحمد وان بسط له شيأ فهل لغيره أن يرفعه ويجلس هناك على وجهين عند أصحابنا اه ومن ذلك الأحاديث الواردة فى فضلها ورد فى الصحاح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه اذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالاول ومثل المبكر كمثل الذى يهدى بدنة ثم كالذى يهدى بقرة ثم كبشا ثم دجاجة ثم بيضة فاذا خرج الامام طووا صحفهم ويستمعون الذكر وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام وذلك لان من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها (١) ومن مس الحصا فقد لغا وعنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات ما بينهن اذا اجتنب الكبائر وعن أبى سعيد أنه سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول خمس من عملهن فى يوم كتبه الله من أهل الجنة من عاد مريضا وشهد جنازة وصام يوما وراح الى الجمعة وأعتق رقبة وعن أبى أيوب الانصارى رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب ان كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتى المسجد فيركع ما بدا له ولم يؤذ أحدا ثم أنصت حتى يصلى كان كفارة لما بينه وبين الجمعة الاخرى وروى عن عتيق أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وغيره قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من اغتسل يوم الجمعة كفرت عنه ذنوبه وخطاياه فاذا أخذ فى المشى كتب له بكل خطوة عشرون حسنة فاذا انصرف من الصلاة أجيز بعمل مائتى سنة وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال عرضت الجمعة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاء جبريل عليه السلام فى كفه كالمرآة البيضاء فى وسطها كالنكتة السوداء فقال ما هذا يا جبريل قال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولقومك من بعدك ولكم فيها خير تكون أنت الاول وتكون اليهود والنصارى من بعدك وعن أنس رضى الله تعالى عنه ان الله تبارك وتعالى ليس بتارك أحدا من المسلمين يوم الجمعة الا غفر له وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحشر الأيام على هيآتها وتحشر الجمعة زهراء منيرة أهلها يحفون بها كالعروس تهدى الى خدرها تضىء لهم يمشون فى ضوئها ألوانهم كالثلج بياضا وريحهم كالمسك يخوضون فى جبال الكافور ينظر اليهم الثقلان لا يطرفون تعجبا (٢) حتى يدخلون الجنة لا يخالطهم أحد الا المؤذنون المحتسبون ومنها الترهيب على ترك الجمعة من غير عذر شرعى وان ذلك من الكبائر كما قال العلامة ابن حجر فى الزواجر فعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم رواه مسلم وعن أسامة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ترك ثلاث جمعات من غير عذر كتب من المنافقين وروى عن جابر رضى الله تعالى عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال

---

(١) أى لانهم كانوا يصلون على الارض والتراب والحصا الصغار اه منه (٢) من أطراف رأسه وتعجبا الظاهر أنه مفعول لاجله اه منه

يا أيها الناس توبوا الى الله قبل أن تموتوا وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشتغلوا وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة فى السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا واعلموا ان الله تعالى افترض عليكم الجمعة فى مقامى هذا فى يومى هذا فى شهرى هذا فى عامى هذا الى يوم القيامة فمن تركها فى حياتى أو بعدى وله امام عادل أو جائر استخفافا بها وجحودا بها فلا جمع الله له شمله ولا بارك له فى أمره ألا ولا صلاة له ألا ولا زكاة له ولا حج له ولا صوم له ولا بر له حتى يتوب فمن تاب تاب الله عليه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه من ترك الجمعة ثلاث جمع متواليات فقد نبذ الاسلام وراء ظهره أقول قد تبين للمنصف من هذه الآية الكريمة والأحاديث العظيمة خطأ الامامية التاركين لصلاة الجمعة فى الأمصار الاسلامية فليت شعرى كيف يكون جوابهم اذا سألهم عن تركها عالم الاسرار الخفية فان قالوا يا ربنا عندنا من شروطها حضور الامام وهو قد غاب فى السرداب منذ ألف عام فالظاهر أن يكون لهم الجواب ان وجوده ليس مشروطا فى آى الكتاب ومع ذا لم أخذتم أيها العلماء من الناس أموالا وأعطيتموهم بزعمكم انكم فى ذلك عن الامام وكلاء أمناء فالمقتضى انكم لما ادعيتم عنه الوكالة فاللازم أن تكون عامة فى أخذ الدراهم من حق الامام ورد المظالم وصلاة الجمعة التامة ومتى فرقتم بين الاثنتين فقد أرحتم أنفسكم من تعب الجمعة وقبضتم زيف الدرهم والعين ولعبتم بالمسئلة مرتين فنسأله تعالى أن يجعلنا وإياكم من خالصى أهل السنة والجمعة والجماعة ولا يجعلنا وإياكم ممن اتخذ الهوى بعد العلم بضاعة ومن ذلك الأحكام الفقهية المتعلقة بها نذكرها على اختلاف المذاهب سالكين الاختصار على كثير منها فقد قال فى الميزان اتفقوا على أن صلاة الجمعة فرض عين وغلطوا من قال هى فرض كفاية وعلى أنها تجب على المقيم دون المسافر إلا فى قول الزهرى والنخعى إذا سمع النداء واتفقوا على انهم إذا فاتتهم الجمعة صلوها ظهرا وأما ما اختلفوا فيه فمنه قول الأئمة الثلاثة ان الأعمى لا تجب عليه إلا إذا وجد قائدا خلافا لأبى حنيفة رحمه الله ومنه قول الأئمة ان الجمعة لا تجب على صبى ولا عبد ولا مسافر ولا امرأة الا فى رواية عن أحمد فى العبد خاصة وقال داود بن على الظاهرى تجب قلت واذا صلوها هؤلاء صحت ومنه قول الأئمة الثلاثة انها تجب على كل من سمع النداء وهو ساكن بموضع خارج عن المصر خلافا لابى حنيفة ومنه قول الائمة الثلاثة انه لا تكره الجماعة فى صلاة الظهر فى حق من لم يمكنه اتيان مكان الجمعة بل قال الشافعى باستحبابها مع قول أبى حنيفة بكراهة الجماعة فيها ومنه اذا وافق يوم عيد يوم الجمعة فلا تسقط الجمعة بصلاة العيد عن أهل البلد بخلاف أهل القرى اذا حضروا فانها تسقط عنهم ويجوز لهم ترك الجمعة والانصراف عند الشافعى مع قول أبى حنيفة بوجوب الجمعة على أهل البلد والقرى معا ومع قول أحمد يسقط عن الجميع فرض الجمعة بصلاة العيد ويصلون الظهر ومع قول عطاء تسقط الجمعة والظهر معا فى ذلك اليوم فلا صلاة بعد العيد الا العصر ومنه قول أبى حنيفة ومالك انه يجوز لمن لزمته الجمعة السفر قبل الزوال مع قول الشافعى وأحمد بعدم جواز ذلك الا أن يكون سفر جهاد ومنه قول أبى حنيفة والشافعى يحرم البيع بعد الاذان الثانى لكنه صحيح مع قول مالك وأحمد أنه لا يصح ومنه قول الشافعى وأحمد بجواز الكلام حال الخطبة لمن لا يسمعها ولكن يستحب الانصات مع قول أبى حنيفة بتحريم الكلام حال الخطبة على من سمع ومن لم يسمع ومع قول مالك الانصات واجب قرب أم بعد قلت والمشهور أن من قال صه فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له وبه يعلم خطأ كثير من الناس ومنه قول أبى حنيفة ومالك والشافعى فى القديم انه يحرم الكلام لمن يسمع الخطبة حتى الخطيب الا أن مالكا أجاز الكلام للخطيب خاصة بما فيه مصلحة للصلاة كنحو زجر الداخلين عن تخطى الرقاب وان خاطب انسانا بعينه جاز لذلك الانسان أن يجيبه وقال الشافعى فى الام لا يحرم عليهما بل يكره وعن أحمد نحوه والرواية المشهورة عن أحمد أنه يحرم على المستمع دون الخطيب ومنه قول الشافعى لا تصح الجمعة

الافى أبنية يستوطنها من تنعقد بهم الجمعة من بلدة أو قرية مع قول أبى حنيفة انها لاتصح الافى مصر جامع لهم سلطان ومنه قول الشافعى وأحمد ان الجمعة لاتنعقد الا بأربعين مع قول أبى حنيفة انها تنعقد بأربعة ومع قول مالك انها تصح بما دون الأربعين غير أنها لاتجب على الثلاثة والأربعة ومع قول الاوزاعى وأبى يوسف انها تنعقد بثلاثة ومع قول أبى ثور أنها كسائر الصلوات ومنه قول الأئمة الثلاثة انها لاتصح الافى وقت الظهر مع قول أحمد بصحة فعلها قبل الزوال ومنه اتفاق الأئمة الاربعة على أن الخطبتين قبل الصلاة شرط فى صحة انعقاد الجمعة مع قول الحسن البصرى بما سنة ومنه قول الشافعى ومالك فى أرجح روايتيه انه لابد من الاتيان فى خطبة الجمعة بحمدلة وتصلية ووصية بتقوى الله وقراءة آية مفهمة والدعاء للمؤمنين والمؤمنات مع قول أبى حنيفة ومالك فى احدى روايتيه انه لو سبح أو هلل أو قال الحمد لله ونزل كفاه خلافا لابى يوسف ومحمد فقالا لابد من كلام يسمى خطبة فى العادة ومنه قول مالك والشافعى بوجوب القيام على القادر فيهما مع قول أبى حنيفة وأحمد بعدم وجوبه ومنه قول الشافعى بوجوب الجلوس بين الخطبتين مع قول غيره بعدم الوجوب ومنه قول الشافعى وأحمد يستحب للخطيب اذا صعد المنبر أن يسلم على الحضرين مع قول أبى حنيفة ومالك ان ذلك مكروه ومنه قول أبى حنيفة ومالك فى أرجح روايتيه لايجوز أن يصلى بالناس فى الجمعة الا من خطب الا لعذر فيجوز مع قول مالك فى الرواية الأخرى أنه لايصلى الا من خطب ومع قول الشافعى فى أرجح قوليه بجواز ذلك وهو احدى الروايتين عن أحمد ومنه أن الجنب لو اغتسل بنية غسل الجنابة والجمعة معا أجزأه مع قول مالك انه لايجزئه عن واحد منهما ومنه قول الأئمة الاربعة انه لايجوز تعدد الجمعة فى بلد الا اذا كثروا وعسر اجتماعهم فى مكان واحد قال مالك واذا أقيمت فى جوامع فالقديم أولى وليس للامام أبى حنيفة فى المسئلة شئ ولكن قال أبو يوسف اذا كان للبلد جانبان جاز فيه اقامة جمعتين وان كان لها جانب واحد فلا تجوز وعبارة الامام أحمد واذا عظم البلد وكثر أهله كبغداد جاز فيه جمعتان وان لم يكن لهم حاجة إلى أكثر من جمعة لم يجز وقال الطحاوى يجوز تعدد الجمعة فى البلد الواحد بحسب الحاجة ولو أكثر من جمعتين وقال داود الجمعة كسائر الصلوات يجوز لأهل البلد أن يصلوها فى مساجدهم اه ﴿خاتمة﴾ قال الحصكفى فى الدر المختار وتؤدى فى مصر واحد بمواضع كثيرة مطلقا أى سواء كان المصر كبيرا أولا وسواء فصل بين جانبيه نهر كبير كبغداد أولا وسواء قطع الجسر أو بقى متصلا على المذهب وعليه الفتوى وعلى القول المرجوح من عدم الجواز فى أكثر من موضعين فالجمعة لمن سبق وتفسد بالمعية والاشتباه فيصلى بعدها آخر ظهر وكل ذلك خلاف المذهب قال فى البحر وقد أفتيت مرارا بعدم صلاة الاربع بعدها بنية آخر الظهر خوف اعتقاد عدم فرضية الجمعة وهو الاحتياط فى زماننا وأما من لايخاف عليه مفسدة منها فالاولى أن تكون فى بيته خفية وقال العلامة ابن عابدين نقل المقدسى عن المحيط كل موضع وقع الشك فى كونه مصرا ينبغى لهم أن يصلوا بعد الجمعة أربعا بنية الظهر احتياطا حتى انه لو لم تقع الجمعة موقعها يخرجون عن عهدة فرض الوقت بأداء الظهر ومثله فى الكافى اه باقتصار فاختر لنفسك من هذين القولين ما يحلو لديك وسلام الله علينا وعليك وليعلم أن من أعظم القرب يوم الجمعة التصلية والتسليم على نبينا وشفيعنا الذى هو بالمؤمنين رؤف رحيم قال كثير من العلماء إنها عليه فيه أفضل من قراءة القرآن العظيم والصلاة عليه واجبة لقوله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وروى ابن ماجه(١) وغيره عن أوس بن أوس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا علىّ من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة علىّ قالوا وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد

(١) ماجه بسكون الهاء فلا تغفل اه منه

أرمت أى بليت فقال ان الله تعالى حرم على الارض أن تأكل أجسامنا وعن الحسن بن علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال حيثما كنتم فصلوا علىّ فان صلاتكم تبلغنى وعن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله وكل بقبرى ملكا أعطاه أسماع الخلائق فلا يصلى علىّ أحد الى يوم القيامة الا أبلغنى باسمه واسم أبيه هذا فلان بن فلان قد صلى عليك وعن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أكثروا علىّ من الصلاة فى يوم الجمعة فان صلاة أمتى تعرض علىّ فى كل يوم جمعة فمن كان أكثرهم علىّ صلاة كان أقربهم منى منزلة وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من صلى على واحدة صلى الله عليه عشرا وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ان أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى على فى يوم ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة وعن الحسين بن علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ذكرت عنده فخطئ الصلاة على خطئ طريق الجنة وعن على كرم الله تعالى وجهه كل دعاء محجوب حتى يصلى على محمد وروى فى الحديث الصحيح أنه قيل له عليه الصلاة والسلام كيف نصلى عليك يارسول الله قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد فعليكم عباد الله باقامة الجمعة والصلاة والتسليم على رسول الله لتنالوا الأجر العظيم فما أشرف من أكرمه المولى الكريم وما أعلى من مدحه فى الكلام القديم وما أسعد من خصه بالتشريف والتكريم وما أقرب من أدله للفوز والتقديم وما أجل من أثنى عليه العزيز الرحيم إن الابرار لفى نعيم نعموا فى الدنيا بالاخلاص والطاعة وفازوا يوم القيامة بالربح فى البضاعة ولبسوا ثياب التقى وارتدوا بالقناعة وداوموا فى الدنيا على السهر والمجاعة فيا فخرهم اذا قامت الساعة وقد قربت لهم مطايا التكريم ان الأبرار لفى نعيم نعموا فى الدنيا بالوحدة والخلوة واعتذروا فى الاسحار من زلة وهفوة وحذروا من موجبات الابعاد والجفوة أولئك هم المختارون الصفوة الصدق قرينهم والصبر نديم ان الابرار لفى نعيم طالما تعبت أبدانهم بين الجوع والسهر وكفت جوارحهم عن اللهو والاشر وحبسوا أغراضهم عن الكلام والنظر وانتهوا عما نهاهم وامتثلوا ما أمر وتقبلوا مفروضاته بالسمع والبصر واستعدوا من الزاد ما يصلح للسفر فالخوف يقلقهم فيمنعهم قضاء الوطر والعبرة تجرى والقلب قد اعتبر فيا حسنهم فى جوف الليل وقت السحر السر صاف والحال مستقيم ان الابرار لفى نعيم جن الظلام فزمت مطاياهم وجاء السحر فتوفرت عطاياهم فسبحان من اختارهم من الكل واصطفاهم فليس المقصود بالمحبة من الخلق سواهم أزعجتهم عواصف المخافة فتداركهم من الرجاء نسيم ان الابرار لفى نعيم قصورهم فى الجنان عالية وعيشتهم فى القصور صافية وهم فى عفو ممزوج بعافية وقطوف الاشجار من القوم دانية وأقدامهم على أرض من المسك ساعية وأبدانهم من السندس والاستبرق كاسية والعيش لذيذ والملك عظيم ان الابرار لفى نعيم رضى عنهم جبارهم وأشرقت برضاه دارهم وارتفعت من كل أوجه أكدارهم ووردت فى الجنان أشجارهم واطردت تحت القصور أنهارهم فرنمت على الورق أطيارهم فالملائكة تخصهم بالتسليم والعيون تجرى من رحيق وتسنيم والملك قد وصفهم فى كلامه القديم ان الابرار لفى نعيم

﴿ المجلس الثالث والعشرون ﴾

(فى الصلاة على الميت ومايتعلق به)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الحى القيوم الباقى وغيره لايدوم رفع السماء مزينة بالنجوم وأمسك الارض بجبال فى التخوم بنى بحكمته هذه الجسوم ثم أماتها ومحا الرسوم ثم ينفخ فى الصور فاذا الهالك يقوم فالمؤمن الى جنة لذيذة المطعوم والمشموم والكافر الى نار يلقى منها عذاب السموم لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم أحمده حمدا يبلغ أقصى المروم وأقر بوحدانيته لا كاعتقاد المحروم وأصلى على رسوله محمد عدد قطرات الغيوم وعلى أبى بكر الذى ذكره للمبغض شجا فى الحلقوم وعلى عمر الذى عم بعدله الخصوص والعموم وعلى عثمان التقى الشهيد المظلوم وعلى أخيه وابن عمه علىّ باب مدينة العلوم وعلى بقية الصحابة الذين كل منهم مأموم ﴿ أما بعد ﴾ فنروى بسندنا الى الامام الهمام أبى عبد الله محمد بن اسمعيل بن بردزبه الجعفى البخارى فانه قال فى كتابه الصحيح الحرى بالترجيح باب اتباع الجنائز من الايمان حدثنا أحمد بن عبد الله المنجوفى قال حدثنا روح قال حدثنا عوف عن الحسن ومحمد عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من تبع جنازة مسلم إيمانا واحتسابا وكان معها حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنها فانه يرجع من الأجر بقيراطين كل قيراط مثل أحد ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فانه يرجع بقيراط (فنقول) وبالله تعالى التوفيق فى هذا الحديث فوائد ﴿ الاولى ﴾ الحث على الصلاة على الميت واتباع جنازته وحضور دفنه قال السفيرى حض الشارع على التواصل فى الحياة بقوله صل من قطعك وأعط من حرمك وحض على التواصل بعد الموت بالصلاة والتشييع الى القبر والدعاء له والتشييع الى القبر من حق المسلم على المسلم وقد وردت الاخبار ودلت الآثار على أن الله سبحانه وتعالى يغفر الذنوب والاوزار لمن تبع جنازة المؤمن الى قبره قال فى البرزخ أخرج ابن أبى الدنيا عن أبى عاصم حديثا مرفوعا ان أول مايتحف به المؤمن فى قبره أن يقال له أبشر فقد غفر لمن تبع جنازتك وأخرج عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان أول تحفة المؤمن أن يغفر لمن خرج فى جنازته وأخرج البزار وغيره عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان أول مايجازى به المؤمن بعد موته أن يغفر لجميع من تبعه وأما الاحاديث الواردة فى أن التشييع من حق المسلم على المسلم فكثيرة منها مافى كتاب الترغيب والترهيب للمنذرى قال روى الامام أحمد عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايخذله والذى نفسى بيده ماتوادّ إثنان فيفرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما وللمسلم على المسلم ست يشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض وينصحه اذا غاب أوشهد ويسلم عليه اذا لقيه ويجيبه اذا دعاه ويتبعه اذا مات وفى رواية ان هذه الست واجبة فمن ترك واحدة منها فقد ترك حقا واجبا وروى الامام أحمد عن أبى سعيد رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عودوا المرضى واتبعوا الجنائز تذكركم الآخرة ومما حض عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كثرة المصلين فقد روت عائشة رضى الله تعالى عنها عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال مامن ميت يصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه وفى رواية ابن عمر مامن رجل يصلى عليه مائة إلا غفر الله تعالى له وفى رواية أمة من الناس قال بعضهم هى أربعون وكذلك رغب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الثناء على الميت ان كان أهلا فقد روى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه قال كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا

فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال استغفروا لأخيكم واسألوا له بالتثبيت فانه الآن يسئل وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مامن مسلم يموت فيشهد له أربعة أهل أبيات من جيرانه الأدنين أنهم لايعلمون إلا خيرا إلا قال الله تعالى قد قبلت علمكم فيه وغفرت له مالا تعلمون وروى البزار عن عامر بن ربيعة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا مات العبد والله تعالى يعلم منه شرا ويقول الناس خيرا قال الله عز وجل للملائكة قد قبلت شهادة عبدى وغفرت له علمى فيه وروى أبو داود عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم ﴿ الفائدة الثانية ﴾ قال الشيخ شمس الدين محمد بن عمر السفيرى الحلبى فى شرحه لهذا الحديث ان القيراط الذى يحصل بالصلاة على الميت احتسابا لوجه الله وطلبا للثواب وبحضور دفنه اسم لقدر من الثواب يقع على القليل والكثير بين فى هذا الحديث أنه مثل أحد وفى رواية للحاكم القيراط أعظم من أحد وفى أخرى له فى الميزان أثقل من أحد والمقصود من قوله عليه الصلاة والسلام فانه يرجع من الأجر بقيراطين أنه يرجع بحصتين من جنس الأجر وأحد جبل بجنب المدينة على نحو ميلين منها وانما خصه بالذكر لانه أعظم جبالها وكان يحبه عليه الصلاة والسلام ويقول جبل أحد يحبنا ونحبه والذى يستفاد من الحديث أن من شهد جنازتين من مكانهما الى المصلى وصلى عليهما صلاة واحدة فان تعدد مكانهما حصل له بكل واحدة قيراط بلا شك وان اتحد مكانهما ومشى معهما حتى صلى عليهما صلاة واحدة فالظاهر أنه يحصل له قيراط بكل ميت نظرا الى التعدد وذهب بعض العلماء الى أنه قد يحصل للمشيع أربعة قراريط لحديث من أوذن أى أخبر بجنازة فأتى أهلها فعزاهم كتب الله تعالى له قيراطا فان شيعها كتب الله تعالى له قيراطين فان صلى عليها كتب الله له ثلاثة قراريط فان شهد دفنها كتب الله له أربعة قراريط القيراط مثل أحد والمعنى أن ذلك يكون فى ميزان عمله يوم القيامة واعلم أن ظاهر الحديث يدل على أن لمن حضر الدفن أن ينصرف بغير إذن أهل الميت وحكى عن مالك عدم الانصراف إلا بالاذن ﴿ الفائدة الثالثة ﴾ اختلفوا هل المشى خلف الجنازة أفضل أم أمامها فالامام الاعظم قال ان المشى خلفها أفضل لانها متبوعة ففى صحيح البخارى عن البراء بن عازب أمرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باتباع الجنازة وعن علىّ كرّم الله تعالى وجهه قدمها بين يديك واجعلها نصب عينيك فانما هى موعظة وتذكرة وعبرة إلا أن يكون خلفها نساء فالمشى أمامها أحسن ويكره خروجهن تحريما وقال الأئمة الثلاثة المشى قدامها أفضل لما روى أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والشيخين كانوا يمشون أمامها ولأنهم كالشافعين لها قال الحصكفى الحنفى فى الدر المختار واذا حمل الجنازة وضع ندبا مقدمها على يمينه عشر خطوات لحديث من حمل جنازة أربعين خطوة كفرت عنه أربعين كبيرة ثم وضع مؤخرها على يمينه كذلك ثم مقدمها على يساره ثم مؤخرها كذلك فيقع الفراغ خلف الجنازة فيمشى خلفها ﴿ مسائل منثورة ﴾ استفيد من الاحاديث المتقدمة فرضية الصلاة على الميت كفاية فيأثم أهل البلدة جميعهم بتركها ولذا قيل ان فرض الكفاية أفضل من فرض العين لان فى أداء فرض الكفاية يرتفع الاثم عن جميع الناس ومنها أن اللغط والكلام يكرهان خلف الجنازة ومنها أن الغاسل ومن حضر اذا رأوا ما يكره ذكره من حال الميت لم يجز أن يذكروه الا اذا كان صاحب بدعة لينزجر غيره ومنها الترغيب فى تغسيله وتكفينه وحفر قبره فقد روى الطبرانى وغيره عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال من حفر قبرا بنى الله له بيتا فى الجنة ومن كفن ميتا كساه الله تعالى من حلل الجنة حلتين لاتقوم لهما الدنيا ومن كفل يتيما أو أرملة أظله الله تعالى فى ظله وأدخله الجنة وعن أبى ذر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زر القبور تذكر بها الآخرة واغسل الموتى فان معالجة جسد خاو موعظة بليغة وصل على الجنائز

لعل ذلك أن يحزنك فان الحزين فى ظل الله تعالى يتعرض لكل خير ومنها أن من رأى جنازة فلا يقم فالقيام منسوخ وليقل مارواه الطبرانى عن ابن عمر هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله اللهم زدنا ايمانا وتسليما فاذا قال ذلك كتب له عشرون حسنة وفى رواية يقول سبحان الحى الذى لايموت ومنها كما نقله السفيرى أنه يكره أن تتبع الجنازة بنار فى مجمرة أوغيرها ونقل ابن المنذر وغيره الاجماع عليه وكذا يكره أن يكون عند القبر مجمرة ولذا قال ابن حجر ايقاد السرج والشموع فى المقابر حرام (١) بل عد ذلك بعضهم من الكبائر (قلت) ولعل لنا عودة الى هذا البحث فى الدروس الآتيه ان شاء الله تعالى ومنها أن تعزية أهل المصيبة أمر مسنون فقد روى ابن ماجه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال مامن مؤمن يعزى أخاه بمصيبته الا كساه الله تعالى من حلل الكرامة يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام من عزى مصابا فله مثل أجره والتعزية أن يقول أعظم الله أجرك وأحسن عزاك وغفر لميتك ولا بأس بل يستحب باتخاذ طعام لهم لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد جاءهم مايشغلهم لانه بر ومعروف وليلح على أهل المصيبة بالاكل لان الحزن يمنعهم ويكره اتخاذ الضيافة من الطعام من أهل الميت لانه شرع فى السرور وفى البزازية ويكره اتخاذ الطعام فى اليوم الأول والثالث وبعد الأسبوع ونقل الطعام الى القبر فى المواسم واتخاذ الدعوة لقراءة القرآن مكروه والحاصل أن اتخاذ الطعام عند قراءة القرآن لأجل الأكل مكروه وان اتخذ طعاما للفقراء كان حسنا قال فى المعراج وهذه الأفعال كلها للسمعة والرياء فيحترز عنها لانهم لايريدون بها وجه الله تعالى ولا بأس بالجلوس للتعزية للرجال لا للنساء قطعا وبزيارة القبور للرجال قيل وللنساء قال الخير الرملى ان كان لتجديد الحزن والبكاء فلا لحديث لعن الله زائرات القبور ومن علقن التمائم والخرز وان كان للاعتبار والترحم فلا بأس اذا كن عجائز قال فى الدر المختار ولا بأس بزيارة القبور ولو للنساء لحديث كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها ويقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين إنا إن شاء الله بكم لاحقون ويقرأ يس وفى الحديث من قرأ الاخلاص احدى عشرة مرة ثم وهب أجرها للاموات أعطى من الأجر بعدد الأموات اه قال العلامة شيخ مشايخنا السيد محمد أمين بن عابدين فى حاشيته تندب زيارة القبور وتزار فى كل أسبوع ونقل عن شرح لباب المناسك أن الافضل يوم الجمعة والسبت والاثنين والخميس فقد قال محمد بن واسع الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده فتحصل أن يوم الجمعة أفضل ثم هل تندب الرحلة للزيارة كما اعتيد من الرحلة الى زيارة خليل الرحمن وأهله وأولاده وزيارة السيد البدوى وغيره من الاكابر لم أر من صرح به من أئمتنا ومنع منه بعض أئمة الشافعية الا لزيارته صلى الله تعالى عليه وسلم قياسا على منع الرحلة لغير المساجد الثلاث يعنى الوارد فيها قوله عليه الصلاة والسلام لاتشد الرحال الا الى ثلاث المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدى هذا خلافا للغزالى اه والبحث فى هذه المسئلة طويل وقد حققناه فى كتابنا جلاء العينين بمايزيل الغين والرين ومنها أنه يجب على المسلم أن يعتقد سؤال القبر قال فى الامالية

وفى الاجداث عن توحيد ربى * سيبلى كل شخص بالسؤال

لحديث البخارى عن أنس مرفوعا قال العبد اذا وضع فى قبره وتولى وذهب أصحابه حتى انه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقول انظر الى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيراهما جميعا وأما الكافر أو المنافق فيقول لا أدرى كنت أقول مايقول الناس فيقال لادريت ولا تليت فيضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين قال الوالد عليه الرحمة وفيه مايدل على عمومه

(١) أى لان ذلك اسراف وتفاؤل بالنار اه منه

المؤمن والكافر وبه قال القرطبى وابن القيم وعبد الحق والجمهور وقالوا بدخول الجنى فى العموم وقال ابن عبد البر فى التمهيد أن الكافر لايسئل وانما يسئل المؤمن والمنافق قال الحافظ بن حجر الروايات مجتمعة معنى على ان كلا من الثلاثة يسئل وهل هو من خواص هذه الأمة أم لا قولان وجزم ابن عبد البر والترمذى فى النوادر بالاختصاص وقال ابن القيم كل نبى مع أمته كذلك وتوقف ابن الفاكهانى فى أهل الفترة والمجانين والبله قال الجلال ومقتضى كلام الروضة أنه لايسئل الا المكلفون أى من الانس والجن والا فالملك وان عد مكلفا لايسئل كما استظهره الحافظ بن حجر وفى دعوى الاختصاص بالمكلفين نظر فقد جزم القرطبى وجماعة بسؤال الاطفال وهو أحد قولى الحنابلة والحنفية والآخر أنهم لايسئلون واختاره الجلال تبعا للشيخه وقيده ابن حجر الطفل المختلف فيه بغير المميز وتوقف الامام أبو حنيفة فى سؤال الأطفال المشركين كدخولهم الجنة والحق أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لايسئلون بل لاينبغى أن يكونوا محل خلاف وكذا لايسئل المرابط والملازم قراءة تبارك كل ليلة والميت ليلة الجمعة أو يومها والميت بالطاعون والشهيد الى آخرين لأحاديث خصصت أحاديث العموم والسؤال عن العقائد فقط يقول الملك للميت من ربك ومادينك وما كنت تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم وفى رواية زيادة ومن أبوك وماقبلتك وفى أخرى الاقتصار على بعض المذكورات وجمع باختلاف أحوال المسؤلين وبان بعض الروايات اقتصر وبعضا أتم وهو للروح والبدن على الصحيح وفى حديث أسماء ان العبد يسئل ثلاثا وجزم الجلال فى رسالة مفردة فى المسئلة بان المؤمن يسئل سبعة أيام والكافر أربعين صباحا ووقت السؤال أول يوم بعد تمام الدفن فيمن يدفن وعند انصراف الناس ويتولى السؤال ملكان على المشهور وجزم الجلال بانهما يأتيان معا ولا يتولاه الا أحدهما وهما منكر ونكير للمؤمن الطائع وغيره على الصحيح وقيل للكافر والعاصى وللطائع مبشر وبشير ومعهما آخر يقال له ناكور قيل ويجىء قبلهما ملك يقال له رومان وحديثه قيل موضوع وقيل فيه لين ولم يثبت حضور النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند السؤال نعم ثبت حضور ابليس عليه اللعنة فى زاوية من القبر يشير الى نفسه عند قول الملك للميت من ربك والحكمة فى السؤال هتك ستر المنافق ونوع تعذيب للكافر وتذكرة للمؤمن المكلف ومباهاة بالطفل الى أمور يعلمها الله تعالى وبقيت أبحاث أخر طويناها على غرها واذا وقع البحث عنها نشرناها اه وذكر بعض العلماء أن الشهداء الذين لايسئلون كثيرون ومنهم المطعون بالرمح والمطعون والمبطون والنفساء والحرق والغرق وذات الجنب والسل والهدم وسادن بيت المقدس أى خادمه والقارىء فى مرض موته قل هو الله أحد اه ومنها التلقين قال فى الدر المختار ويلقن ندبا وقيل وجوبا لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لقنوا موتاكم لا إله الا الله فانه ليس مسلم يقولها عند الموت الا أنجته من النار بذكر الشهادتين عند المحتضر أى يجب على اخوانه وأصدقائه أن يلقنوه ذلك من غير أمر به لئلا يضجر أى ويردها والعياذ بالله تعالى ويندب قراءة يس والرعد ولا يلقن بعد تلجيده وان فعل لاينهى عنه وفى الجوهرة أنه مشروع عند أهل السنة وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام انه أمر بالتلقين بعد الدفن فيقول يافلان بن فلان إذكر دينك الذى كنت عليه من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن الجنة حق والنار حق وأن البعث حق وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور وأنك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم نبيا وبالقرآن إماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين إخوانا اه مزادا من الحاشية وليعلم أن العلامة ابن حجر قد عد جملة مما يتعلق بهذا البحث من الكبائر فمنها كسر عظم الميت والجلوس على قبره أخرج أبو داود عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال كسر عظم الميت ككسره حيا وروى الامام مسلم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لان يجلس أحدكم على جمرة فتخرق ثيابه فتخلص الى جلده

خيرله من أن يجلس على قبر وروى ابن ماجه لان أمشى على جمرة أوسيف أوأخصف نعلى برجلى أحب الى من أن أمشى على قبر ومنها النياحة وشق الجيوب ونحو ذلك فمن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الميت يعذب فى قبره بما نيح عليه قال بعض العلماء أى إذا أوصى بذلك يعذب وأخرج الشيخان ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية وفى رواية برىء من النائحة والحالقة لرأسها عند المصيبة روى ابن ماجه النائحة إذا ماتت ولم تتب قطع الله تعالى لها ثيابا من قطران ودرعا من لهب النار والطبرانى أن هذه النوائح يجعلن يوم القيامة صفين فى جهنم صف عن يمينهم وصف عن يسارهم فينبحن على أهل النار كما تنبح الكلاب وعن أبى سعيد الخدرى لعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم النائحة والمستمعة وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه سمع صوت بكاء رجل فدخل ومعه غيره فمال عليهم ضربا حتى بلغ إلى النائحة فضربها حتى سقط خمارها وقال اضرب فانها نائحة ولا حرمة لها انها لا تبكى بشجوكم انها تهريق دموعها على أخذ دراهمكم وانها تؤذى موتاكم فى قبورهم وأحياءكم فى دورهم لانها تنهى عن الصبر وقد أمر الله تعالى به وتأمر بالجزع وقد نهى الله تعالى عنه قال العلماء أما البكاء على الميت بلا رفع أصوات فليس فيه بأس فقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا و يرحم بهذا وأشار إلى لسانه صلى الله تعالى عليه وسلم وأخرج الشيخان أنه رفع اليه صلى الله تعالى عليه وسلم ابن لابنته وهو فى الموت ففاضت عيناه فقال سعد ماهذا يارسول الله قال هذه رحمة جعلها الله تعالى فى قلوب عباده وانما يرحم الله تعالى من عباده الرحماء وروى البخارى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم دخل على ابنه ابراهيم وهو يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف وأنت يارسول الله فقال يا ابن عوف إنها رحمة ثم أتبعها بأخرى فقال إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وانا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون وليعلم أنه يتأكد لمن ابتلى بمصيبة بميت أوغيره وان خفت أن يكثر من قوله إنا لله وإنا اليه راجعون اللهم اجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها الخبر مسلم ان من قال ذلك آجره الله وأخلف له خيرا منها ولانه تعالى وعد من قال ذلك بأن عليهم صلوات من ربهم ورحمة وانهم لمهتدون أى للترجيع أو الجنة أو الثواب وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال ان من حمد الله واسترجع عند موت ولده أمر الله تعالى ملائكته أن يبنوا له بيتا فى الجنة يسمونه بيت الحمد وفى حديث آخر ان الولد الصغير اذا مات كان حصنا لأبويه من النار وفى حديث آخر يفتح لهما باب الجنة اه فيا من يمن أنه بالمنى ظافر وقد علقت به من المنون أظافر يامن نقصه على الدوام وافر أين زادك قل لى يامسافر ويحك اذكر الغاسل ولا تنس الحافر واعجبا لك أمؤمن أنت أم كافر ياساكن الدنيا أتعمر منزلا لم يبق فيه مع المنية ساكن

الموت شئ أنت تعلم أنه * حق وأنت بذكره متهاون

ان المنية لا تؤامر من أتت * فى نفسه يوما ولا تستأذن

فانظروا اخوانى الى المقابر فاللبيب يرى الآخر فأى صحيح من الدنيا لم يمرض وأى بناء شيد فلم ينقض ياعجبا المصاب فيها بالملمات انزعج أما تعلم أن من دخل دار غيره خرج فتفكروا فى الراحلين واعتبروا بالسالفين وتأملوا بالبصائر حال الدفين وتأهبوا فأنتم والله فى أثر الماضين أين الاخلاء وأين الاخوان أين الرفقاء والأقرباء وأين الأقران رحلوا عنا الى أعجب الأوطان وبنوا فى القلوب بيوت الاحزان وقد مضت الاعمار فى الذنوب وامتلأت عيب القلوب بالعيوب وماراقبتم عالم الغيوب وأعظم المصائب فقد الطبيب وأعظم العظائم غفلة المطلوب فهل فيكم من يغسل درن ذنوبه بدمعه هل منكم معتذر من قبيح صنعه أين المذكر حلول الموت بربعه أين من يزرع فهذا أوان زرعه تالله لو حضرت القلوب لطابت غير

أنها غائبة ولو صدقت اليوم لقلبت لكنها كاذبة كيف بكم اذا فاز الابرار وخبتم وحضر المتقون وغبتم كم ضيعتم الأوقات النفيسة ولعبتم ولو سمعتم وصفكم من غيركم لعبتم أما الموت عن قليل يأتيكم أما اللحود بعد أيام مثاويكم أما يوم القيامة غدا يجمعكم كم بارزتم خالقكم بذنب وما استحييتم كم خوفتم من العذاب وما ارعويتم أنسيتم أن الله يعلم ما أخفيتم فاحذروا من الدنيا فان حسن الدنيا زور وانها التودع من أول ما تزور انما هى قنطرة للعبور وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور اللهم أيقظ قلوبنا من رقدات الآمال وذكرنا قرب الرحيل ودنو الآجال وصبرنا على أقوم الامور وأشرف الخصال وثبت قلوبنا على الايمان وتوفنا جميعا على الاسلام ووفقنا لصالح الاعمال ونجنا من جميع الاهوال وآمنا من الفزع الاكبر يوم الرجف والزلزال وبارك لنا فى الأعمار والأولاد والأموال ولا تقطع منا فى الحياة والممات صالح الاعمال واشف بلطفك مرضانا وارحم بفضلك موتانا واستر علينا عيوبنا واغفر لنا ذنوبنا وأصلح شأننا كله وارحم كافة المسلمين والمسلمات برحمتك ياأرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

﴿ المجلس الرابع والعشرون ﴾

(فى الاستعداد للموت ومايتعلق بذلك)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى جعل الدنيا معبرا اعتبار يفتقر ملاح سفينتها الى حذق واصطبار ولم يرضها لأوليائه فبنى لهم دارا غير هذه الدار وبالغ فى ذمها ويكفى ما فيها من الآثام والأكدار غير أنه زينها بالدول والأموال للملاك والنظار فبينا هى فى صعود الزيادة اذ صاحبها الى القبر فى انحدار وغربان البين قامت تندب الآثار ذلك متاع الحياة الدنيا وهل المتاع الاعارية تعار أما سمعتم عيوب العاجلة إذ بينما تجرى براكبها عثرت به أى عثار قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار أحمده حمد الرمل فى القفار وأقر بوحدانيته أصح إقرار وأصلى وأسلم على رسوله محمد الذى مذ أقبل وقع الكفر فى ادبار وعلى جليسه وأنيسه فى الدار والغار وعلى عمر الذى فتح بهيبته الاقطار وعلى عثمان قائم الليل والدموع غزار وعلى على معشوقنا وما على عاشق على من عار وعلى عمه العباس آخذ البيعة له على الانصار وعلى بقية الصحابة والتابعين الاخيار

﴿ أما بعد ﴾ فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه ومبين خطابه حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت الآية (فنقول) وبالله تعالى التوفيق هذا يقوله من يسأل الرجعة للملائكة الذين يقبضون الارواح والمعنى ارجعون الى الدنيا لعلى أعمل صالحا فيما تركت من العمل الذى مضى وقوله تعالى كلا أى لا يرجع الى الدنيا أنها يعنى مسئلة الرجعة كلمة هو قائلها أى هى كلام يقوله لا فائدة فيه ولا نفع وقوله تعالى ومن ورائهم أى أمامهم وبين أيديهم فالوراء بمعنى القدام برزخ الى يوم يبعثون قال الزجاج البرزخ فى اللغة الحاجز وهو ههنا ما بين موت الميت وبعثه واعلموا أنه جدير بمن بين يديه الموت أن يكثر ذكره كما قال عليه الصلاة والسلام أكثروا ذكر هاذم اللذات (١) وأن يعد نفسه من الموتى لان كل آت قريب قال العلامة ابن الجوزى فى التبصرة ثم ان الناس فى ذكر الموت على ضربين أحدهما أهل الغفلة فمنهم من لا يذكره فان عرض له ذكره صرف ذلك عن قلبه ومنهم من اذا عرض له ذكره حزن لفراق الدنيا ونقض البنية فهذان داخلان فى حزب الغافلين الجاهلين والثانى أهل اليقظة وهم منقسمون الى خائف منه إما

---

(١) بالذال المعجمة أى قاطع وآكل بسرعة اه منه

بالطبع و إمالانه لا يرضى عمله و إمالانه باب الجزاء على الاعمال فان آدم عليه السلام كره الموت والخليل عليه السلام كره الموت وموسى عليه السلام لطم عين ملك الموت لكراهية الموت وكان داود عليه السلام اذا ذكر الموت والقيامة بكى حتى تنخلع أوصاله فاذا ذكر الرحمة رجعت اليه نفسه وكان ابن سيرين اذا ذكر الموت مات كل عضو منه على حدته وكان عمر بن عبد العزيز اذا ذكر الموت اضطربت أوصاله وانتفض انتفاض الطير وقد كان فى الصالحين من يغلب شوقه الى ربه على خوفه من الموت فيؤثر الموت لانه موعد لقاء الحبيب قال حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم وفيهم من يكره الموت ليصحح العمل وفيهم من تخايل شدائد الموت فقوى حذره فالشدة الاولى تقوى فى حق الغافلين وهى مفارقة المال والولد وهى خفيفة عند المتيقظين لاشتغالهم بما هو أهم والشدة الثانية رؤية الأعمال قال أبو جعفر محمد بن على ليس من ميت الامثل له عند الموت أعماله الحسنة وأعماله السيئة فيشخص الى حسناته و يطرق عند سيآته وقال مجاهد ما من ميت الاعرض عليه جلساؤه ان كانوا أهل ذكر وان كانوا أهل لهو والشدة الثالثة حسرات الفوت حين لا يمكن الاستدراك وهذه أشد شدة على المتيقظين و يقال ان الميت يقول لملك الموت أخرنى يوما فيقول ذهبت الأيام فيقول أخرنى ساعة فيقول ذهبت الساعات قال قتادة والله ما يتمنى أن يرجع الى أهل ولا عشيرة ولكن يتمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله والشدة الرابعة معاينة ملك الموت وهى حالة عظيمة قال ابراهيم الخليل عليه السلام لملك الموت أرنى كيف تقبض أرواح الكفار قال لا تطيق قال بلى قال فاعرض فأعرض ثم نظر فاذا هو برجل أسود ينال رأسه السماء يخرج من فيه لهب النار ليس من شعرة فى جسده الا فى صورة رجل يخرج من فيه ومسامعه لهيب النار فغشى على ابراهيم فلما أفاق قال لو لم يلق الكافر من البلاء والحزن الاصورتك لا كتفى فأرنى كيف تقبض أرواح المؤمنين قال أعرض فأعرض ثم التفت فاذا برجل شاب أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا فى ثياب بيض كما قدمناهذا فى بعض الدروس والشدة الخامسة ألم الموت روى أن موسى عليه السلام لما توفى قيل له كيف وجدت طعم الموت قال كسفود (١) أدخل فى جزة صوف فانسلخ وفى صحيح البخارى من حديث عائشة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يدخل يديه فى الماء فيمسح بهما وجهه ويقول لا إله إلا الله إن للموت سكرات وعن أبى حسين البرجمى مرفوعا قال احضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا الله و بشروهم بالجنة فان الحكيم العليم من الرجال والنساء يتحير عند ذلك المصرع وان ابليس عدو الله أقرب ما يكون من العبد فى ذلك الموطن عند فراق الدنيا وترك الأحبة ولا تعظوهم فان الكرب شديد والأمر عظيم والذى نفس محمد بيده لمعالجة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف وما من ميت يموت الا وكل عرق منه يألم على حدته وقال على بن أبى طالب رضوان الله عليه والذى نفس ابن أبى طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش وقال شداد بن أوس لو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بألم الموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم وقال وهب لو أن ألم عرق من عروق الميت قسم على أهل الارض لاوسعهم ألما وسئل الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى ما بال الميت تنزع نفسه وهو ساكت وابن آدم يضطرب من القرصة فقال ان الملائكة توثقه والشدة السادسة رؤية المجرمين مواضعهم من النار وخوف هذا كان يقلق الصالحين عند النزع فينسون كل شدة فى جانبه قال على رضى الله تعالى عنه ما تخرج نفس ابن آدم حتى يعلم أن مصيره الى جنة أم الى نار وبكى ابراهيم النخعى عند الموت فقيل له ما يبكيك قال أنتظر رسل ربى اما الى الجنة واما الى النار والشدة السابعة أم الشدائد وهى سوء الخاتمة أعاذنا الله تعالى واياكم منها وأماتنا على الايمان الكامل بمنه وكرمه وقد فسروها بشيئين أحدهما أن يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور

(١) بالفاء والدال على وزن تنور وهو الحديد الذى يشوى به اللحم اهـ منه

أحواله اما الشك واما الجحود فتخرج الروح فى حالة غلبة تلك الآفة فيلقى الله تعالى فى حزب الكفار نعوذ بالله تعالى من ذلك والثانى أن يغلب على القلب حينئذ حب الدنيا وشهواتها فتخرج الروح فى حالة استغراق تلك الحالة فيعمى بذلك عن تدارك زلة أو تأهب للقاء الحق وذلك حجاب يوجب الطرد عن التقريب بعد الممات وفى الحشر لان كل ميت يحشر على ما مات عليه ولله تعالى در القائل

لا تأمن الموت فى طرف ولا نفس ✻ ولو تمنعت بالحجاب والحرس

واعلم بأن سهام الموت نافذة ✻ فى كل مدرع منا ومترس

مابال دينك ترضى أن تدنسه ✻ وثوب جسمك محفوظ من الدنس

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ✻ ان السفينة لا تجرى على اليبس

فاستعدوا اخوانى للممات قبل الفوات فقد روى أنس رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال اذا أراد الله بعبد خيرا استعمله قالوا وكيف يستعمله قال يوفقه لعمل صالح قبل موته وعن البراء ابن عازب رضى الله تعالى عنه قال خرجنا مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى جنازة رجل من الانصار فانتهينا الى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجلسنا حوله كأن على رؤسنا الطير وفى يده عود ينكت به الارض فرفع رأسه فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا ثم قال ان العبد المؤمن اذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة نزل اليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس المطمئنة اخرجى الى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من السقاء فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط و يخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض قال فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الطيبة فيقولون فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا حتى ينتهوا به الى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التى تليها حتى ينتهى الى السماء السابعة فيقول الله تبارك وتعالى اكتبوا كتاب عبدى فى عليين وأعيدوه الى الارض فانى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربى الله فيقولان له ما دينك فيقول دينى الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان له وما علمك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فافرشوه من الجنة والبسوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة قال فيأتيه من روحها وطيبها و يفسح له فى قبره مد بصره قال و يأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول له من أنت فوجهك الذى يجىء بالخير فيقول أنا عملك الصالح فيقول رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع الى أهلى ومالى قال وان العبد الكافر اذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل اليه من الملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجىء ملك الموت يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجى الى سخط من الله وغضب قال فتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح و يخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملا من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الخبيثة فيقولون فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا حتى ينتهى بها الى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى

الله تعالى عليه وسلم لاتفتح لهم أبواب السماء ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدى فى سجين فى الارض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرأ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لاأدرى فيقولون مادينك فيقول هاه هاه لاأدرى فيقولون له ماهذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هاه هاه لاأدرى فينادى مناد أن كذب عبدى فافرشوه من النار وافتحوا له بابا الى النار فيأتيه من ذكاء حرها وسمومها ويضيق قبره حتى تختلف أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذى يسوؤك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول من أنت فوجهك الذى يجىء بالشر فيقول أنا عملك الخبيث فيقول رب لاتقم الساعة وفى الصحيحين من حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة وقال كعب اذا وضع العبد الصالح فى قبره احتوشته أعماله الصالحة فتجىء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة ليكم عنه فلاسبيل لكم عليه فقد أطال القيام لله عز وجل فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام لاسبيل لكم عليه فقد أطال طمأه لله فى دار الدنيا فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله تعالى لاسبيل لكم عليه فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبى فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت فى يد الله عز وجل ابتغاء وجهه فلاسبيل لكم عليه فيقال له ثم هنيأ طبت حيا وميتا قال ويأتيه ملائكة الرحمة فيفرشونه فراشا من الجنة ودثارا من الجنة ويفسح له فى قبره مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضىء بنوره الى يوم يبعثه الله عز وجل من قبره اه باختصار ولنذكر من الكبائر التى ذكرت فى الزواجر والابحاث الفقهية المتعلقة بهذه الابحاث فمنها كراهة لقاء الله تعالى أخرج الشيخان عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقلت يانبى الله أما كراهة الموت فكلنا نكره الموت فقال ليس ذلك ولكن المؤمن اذا بشر برحمة الله تعالى ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه وأن الكافر اذا بشر بعذاب الله تعالى وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه وفى أخرى ليس ذاك كراهة ولكن المؤمن اذا حضر جاءه المبشر من الله فليس شئ أحب اليه من أن يكون قد لقى الله فأحب الله لقاءه وأن الكافر أو الفاجر اذا حضر جاءه ماهو صائر اليه من الشر فكره لقاء الله فكره الله تعالى لقاءه والطبرانى اللهم من آمن بك وشهد أنى رسولك فحبب اليه لقاءك وسهل عليه قضاءك واقلل له من الدنيا ومن لم يؤمن بك ولم يشهد أنى رسولك فلاتحبب اليه لقاءك ولاتسهل عليه قضاءك وكثر له الدنيا ومنها الفرار من الموت والطاعون فقد روى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال الفار من الطاعون كالفار من الزحف ومن صبر فيه كان له أجر شهيد وفى حديث آخر فناء أمتى بالطعن والطاعون وهو وخز أعدائكم من الجن وهو لكم شهادة وروى أنه لما خرج عمر رضى الله تعالى عنه الى الشام وبلغ سرغ (١) بلغه ان الوباء قد وقع بالشام فاستشار كبار الصحابة فلم يجدوا عند أحد منهم علما حتى جاء عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه فقال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا سمعتم به بأرض فلاتقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم فيها فلاتخرجوا فرارا منه فرجع عمر فقال له أبو عبيدة أفرارا من قدر الله فقال لو غيرك قالها ياأبا عبيدة نعم نفر من قدر الله الى قدر الله يعنى أمرنا الله تعالى بالتحرز من المهالك

(١) سرغ اسم موضع اه منه

واستفراغ الوسع فى التوقى من المكروهات وقال أكثر المفسرين فى قوله تعالى ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم هى قرية قرب واسط وقع بها الطاعون فخرج عامة أهلها وبقيت طائفة فلم يبق منهم إلا قليل مرضى فلما ارتفع الطاعون رجع الهاربون سالمين فقال المرضى هؤلاء أحزم منا نجوا لو صنعنا كما صنعوا نجونا ولئن وقع الطاعون ثانيا لنخرجن الى أرض لاوباء فيها فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها وهم بضع وثلاثون ألفا حتى نزلوا واديا فظنوا النجاة فناداهم ملك من أسفل الوادى وآخر من أعلاه أن موتوا فماتوا جميعا وبليت أجسامهم فمر بهم حزقيل وقع متفكرا متعجبا فأوحى الله تعالى اليه تريد أن أريك آية قال نعم فقيل له ناد أيتها العظام ان الله تعالى يأمرك أن تجتمعى فتطاير بعضها الى بعض حتى التأمت ثم أوحى الله تعالى اليه أن نادها أيتها العظام ان الله تعالى يأمرك أن تكتسى لحما ودما ثم نادان الله تعالى يأمرك أن تقومين فقاموا أحياء قائلين سبحانك ربنا وحدك لاإله إلا أنت ثم رجعوا الى قومهم وأمارات الموتى ظاهرة عليهم فى وجوههم وأبدانهم الى أن ماتوا بعد متفرقين بحسب آجالهم ومنها تبديل الوصية روى الشيخان من مات على وصية مات على سبيل وسنة ومات على تقى وشهادة ومات مغفورا له وقال عليه الصلاة والسلام ترك الوصية عار فى الدنيا وشنار فى الآخرة وروى ابن الجوزى فى التبصرة قال أبو بكر القرشى ان رجلا كان يحفر القبور بالبصرة قال حفرت قبرا ووضعت رأسى قريبا منه فأتتنى امرأتان فى منامى فقالت إحداهما أنشدتك الله الا صرفت عنا هذه المرأة ولم تجاورنا بها فاستيقظت فزعا فاذا جنازة امرأة قد جىء بها فصرفتهم الى غير ذلك القبر فلما كان الليل اذا أنا بالمرأتين فى منامى تقول لى إحداهما جزاك الله خيرا صرفت عنا شرا طويلا قلت مابال صاحبتك لاتكلمنى كما تكلمينى أنت قالت ان هذه ماتت عن غير وصية وحق لمن ماتت عن غير وصية أن لاتتكلم الى يوم القيامة اه قال العلماء والصدقة فى الحياة أفضل فقد روى لأن يتصدق المرء فى حياته وصحته بدرهم خير من أن يتصدق بمائة درهم عند موته ومنها الاضرار فى الوصية ويقع على وجوه منها أن يوصى بأكثر من الثلث أو يقر بكل ماله أو بعضه لأجنبى أو يقر على نفسه بدين لاحقيقة له أو يقبض دينا له على الغير ويبيع شيأ بأرخص أو يوصى بالثلث لالوجه الله تعالى بل للاضرار للورثة روى عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو أن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة فيعدل فى الوصية فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة وقال عليه السلام من قطع ميراثا فرضه الله تعالى قطع الله ميراثه فى الجنة ومن الاضرار أن يوصى على نحو أطفاله من يعلم من حاله أن يأكل مالهم أو يكون سببا لضياعه والأكبر من ذلك أن يجعل القاضى وصيا غير أهل لقوله عليه السلام من ولى رجلا وفى رعيته من هو خير منه فقد خان الله ورسوله وعامة المسلمين اه وأما المسائل الفقهية المتعلقة بالجنائز فنذكرها لكم على اختلاف المذاهب لتعرفوا الواجب والسنة والجائز قال الشعرانى فى الميزان أجمع العلماء على أن الوصية مستحبة حال الصحة لكل من له مال أو عنده لأحد مال وعلى تأكدها فى المرض وعلى انه اذا تيقن الموت وجه الميت للقبلة واتفقوا على أن غسل الميت فرض كفاية وعلى ان للزوجة أن تغسل زوجها وعلى أن السقط اذا لم يبلغ أربعة أشهر لايغسل ولايصلى عليه وعلى أنه اذا استهل وبكى يكون حكمه حكم الكبير وعن سعيد بن جبير أنه لايصلى على الصبى مالم يبلغ وأجمعوا على أنه اذا مات غير مختون لايختن وعلى أن الشهيد الذى مات فى قتال الكفار لايغسل وعلى أن النفساء تغسل ويصلى عليها واتفقوا على أن الواجب من الغسل ماتحصل به الطهارة وأن يكون الغسل وترا وأن يكون ندبا بسدر وفى الأخيرة كافور وعلى أن التكفين مقدم على الدين والورثة واتفقوا على أن المحرم لايطيب ولايلبس المخيط ولايخمر رأسه إلا فى رواية لأبى حنيفة أن إحرامه يبطل بموته فيفعل به مايفعل بجميع الموتى واتفقوا على أن تكبيرات الجنازة أربع

وعلى أن قاتل نفسه يصلى عليه وانما الخلاف فى صلاة الامام عليه يعنى الأعظم واتفقوا على أنه لا يجوز حفر قبر الميت ليدفن آخر إلا اذا مضى زمان يبلى فى مثله واتفقوا على أن الدفن فى التابوت لا يستحب وأجمعوا على استحباب اللبن والقصب فى القبر وعلى كراهة الآجر والخشب واتفقوا على أن السنة اللحد وأن الشق ليس بسنة واتفقوا على أن الاستغفار للميت والدعاء له والصدقة والعتق والحج عنه ينفعه واتفقوا على أن من دفن بغير صلاة عليه يصلى على قبره وعلى عدم كراهة الدفن ليلا مع قول الحسن البصرى بكراهته والله تعالى أعلم وأما ما اختلفوا فيه فمن ذلك ان الأولى عند الشافعى أن يكون غسل الميت تحت السماء وقيل الأولى أن يكون تحت سقف ومن ذلك قول الأئمة أن غسل الميت بالماء البارد أولى إلا لضرورة كبرد شديد ووسخ مع قول أبى حنيفة أن الماء المسخن أولى بكل حال ولعل وجه الأول التفاؤل بالنعيم بقرينة نهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن اتباع الجنازة بنار ومن ذلك قول الثلاثة للزوج أن يغسل زوجته خلافا لأبى حنيفة واذا ماتت امرأة لا زوج لها ولا غاسل يممت عند أبى حنيفة ومالك وعلى الراجح من مذهب الشافعى وأحمد والرواية الأخرى عنهما أن الغاسل يلف على يده خرقة ويغسلها قال الأوزاعى تدفن من غير غسل ولا تيمم ومن ذلك قول الثلاثة أنه يجوز للمسلم تغسيل قريبه الكافر خلافا لمالك ومن ذلك قول الثلاثة أنه يستحب للغاسل أن يوضئ الميت كالحى ويسوك أسنانه ويدخل أصبعيه فى منخريه ويغسلهما مع قول أبى حنيفة أن ذلك لا يستحب وكذلك قالوا باستحباب ضفر شعر المرأة ثلاث ضفائر ثم تلقى خلفها اذا غسلت مع قول أبى حنيفة أن الشعر يترك على حاله من غير ضفر ومن ذلك قول أبى حنيفة والشافعى أن الحامل اذا ماتت وفى بطنها جنين حى يشق بطنها مع قول مالك فى إحدى روايتيه وأحمد أنه لا يشق ومن ذلك قول أبى حنيفة وأحمد فى إحدى روايتيه أنه يصلى على الشهيد مع قول مالك والشافعى أنه لا يصلى عليه لاستغنائه عن شافع ومن ذلك قول الشافعى أن الصلاة لا تكره فى شئ من الأوقات المنهى عن الصلاة فيها مع قول أبى حنيفة وأحمد أنها تكره فيها ومع قول مالك أنها تكره عند طلوع الشمس وعند غروبها فقط ومن ذلك قول الشافعى وأحمد بعدم كراهة الصلاة على الميت فى المسجد مع قول أبى حنيفة ومالك بكراهة ذلك (١) ومن ذلك قول الأئمة الأربعة أن الطهارة شرط فى صحة الصلاة عليه مع قول الشعبى ومحمد بن جرير الطبرى أنها تجوز بغير طهارة أقول وعند الحنفية يجوز التيمم وان وجد الماء اذا لم ينتظر ومن ذلك قول أبى حنيفة ومالك أنه لا يرفع يديه فى التكبيرات الا فى الاولى مع قول الشافعى يرفع فى الجميع ومن ذلك قول الشافعى وأحمد أن قراءة الفاتحة بعد التكبيرة الاولى فرض مع قول أبى حنيفة ومالك أنه لا يقرأ فيها شيئ من القرآن (قلت) وعن بعض الحنفية أنه يقرؤها خروجا من الخلاف وكذا يقرؤها خلف الامام فى سائر الصلوات لكن ذلك خلاف المفتى به ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة أنه يسلم من صلاة الجنازة تسليمتين مع قول أحمد وهو المشهور عن مالك أنه يسلم واحدة عن يمينه ومن ذلك قول أحمد أن من فاتته الصلاة على الميت يصلى على قبره الى شهر وهو مذهب جماعة من الشافعية مع قول بعضهم أنه يصلى عليه ما لم يبل وقيل أبدا وشرط أبو حنيفة ومالك فى صحة الصلاة على القبر أن يكون قد دفن قبل أن يصلى عليه ومن ذلك قول الشافعى وأحمد بصحة الصلاة على الغائب مع قول أبى حنيفة ومالك بعدم صحتها ومن ذلك قول الشافعى وأحمد اذا وجد عضو ميت غسل وصلى عليه مع قول أبى حنيفة ومالك أنه لا يصلى الا ان وجد أكثر الميت ومن ذلك قول أبى حنيفة والشافعى ان الامام يصلى على قاتل نفسه مع قول مالك وأحمد من قتل نفسه أو قتل فى حد فان الامام لا يصلى عليه ومع قول أحمد لا يصلى الامام على (٢) الغال ولا على قاتل نفسه ومع قول الزهرى لا يصلى على من قتل فى رجم أو قصاص وكره عمر بن عبد العزيز الصلاة على من

(١) أى لخوف نزول شئ منه فى المسجد اه منه (٢) أى الآخذ السارق من الغنيمة اه منه

قتل نفسه وقال الأوزاعى لا يصلى عليه وعن قتادة أنه لا يصلى على ولد الزنا وعن الحسن أنه لا يصلى على النفساء ومن ذلك قول مالك والشافعى فى أرجح قوليه أن المقتول من أهل العدل فى قتال البغاة غير شهيد فيغسل ويصلى عليه مع قول أبى حنيفة أنه لا يغسل (١) ولا يصلى عليه وعن أحمد روايتان ومن ذلك قول الثلاثة ان من قتل ظلما فى غير حرب يغسل ويصلى عليه مع قول أبى حنيفة انه ان قتل بحديدة لم يغسل وان بمثقل غسل وصلى عليه ومن ذلك قول الثلاثة ان من مات بالبحر ولم يكن بقربه ساحل جعل بين لوحين وألقى فى البحر ان كان فى الساحل مسلمون وان كان فيه كفار ثقل وألقى فى البحر ليجعل بقراره مع قول أحمد أنه يثقل ويرمى فى البحر بكل حال اذا تعذر دفنه ومن ذلك قول الثلاثة أن التسنيم للقبر أولى لان التسطيح قد صار من شعار غير أهل السنة مع قول الشافعى فى أرجح القولين أن التسطيح أولى ومن ذلك قول الثلاثة بعدم كراهة المشى بالنعال بين القبور مع قول أحمد بكراهته ومن ذلك قول أبى حنيفة ان التعزية سنة قبل الدفن لا بعده وبه قال الثورى مع قول الشافعى وأحمد أنها تسن قبله وبعده الى ثلاثة أيام ومن ذلك قول الثلاثة بكراهة الجلوس للتعزية مع قول أبى حنيفة بعدم الكراهة ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة أن القبر لا يبنى ولا يجصص مع قول أبى حنيفة بجواز ذلك ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة باستحباب القراءة للقرآن عند القبر مع قول أبى حنيفة بكراهتها اه باختصار فيا أيها الاخوان تذكروا ما لا ينساكم وتفكروا فيما لا بد أن يلقاكم واعمروا القبور فانها مأواكم واحذروا الغرور فكم غرت دنياكم واعتبروا وافقدوا عظكم من سواكم بسواكم

شغلتنا الدنيا بهاك وهات * ونسينا مصارع الأموات

نحن موتى وانما بين من يمـ * ـضى ويبقى تفاوت الأوقات

اخوانى أكثر أهل القبور فى تجاراتهم قد خسروا فمروا على القبور واعتبروا وتفكروا فى أحوالهم وانتظروا يتمنون العود وهيهات ويسألون الرجوع وقد فات فيا مطلقا اذكر قيودهم ويا متحركا قد عرفت همودهم خلص نفسك من أسر الذنوب وتأهب فانك بالغيبة والنميمة مطلوب وتذكر بقلبك يوم تقلب القلوب قبل أن يمسك اللسان ويتحير الانسان ويزول العرفان وتنشر الأكفان وتزار الحفرة وتطول السفرة ويأتى منكر ونكير ويقوى الشهيق والزفير ويلحق المذنب سلفه وينسى من خلفه ويلقى هنالك أسيرا الى أن يقوم عريانا حسيرا فحينئذ تنتثر الكواكب وتنتشر المصائب وتنسد المذاهب وتتبين العجائب وتسود وجوه ويفوت العاصى ما يرجوه وتثقل على الظهور الأوزار ويؤخذ الكتاب باليمين أو باليسار وليس هنالك لاحد قرار الا الجنة أو النار فاعتبروا بالسابقين من الآباء والأمهات والأقربين وتفكروا فى الراحلين فلعل القلب القاسى يلين وابكوا على أنفسكم قبل الحلول فى رمسكم فواعجبا لمن رأى فعل الموت بصحبه وسكن الايمان فى قلبه كيف بات غافلا على جنبه وذاهلا عن عيبه وناسيا جزاءه على جرمه وذنبه ومعرضا عن ربه الى أربه وكأنى به قد سقى كأس حمام يضج من شربه وأفرده الموت عن أهله وسربه ونقله الى قبر بعيد عن خليله وصحبه فيا ذا اللب جز على قبره واتعظ به فيا أيها الناس لا دافع عنكم من الموت يقيكم وانه الذى فى هوة الهلاك يلقيكم وانما تندمون اذا غصت تراقيكم قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم يا لها من صرعة عجيبة ومصيبة فوق كل مصيبة مرت سهام الموت لكم مصيبة فهل يردها توقيكم قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم أقبل التلف وحد فردم باب السلامة وسد وجاوز الألم الحد وما رد راقيكم بلغ الروح التراقى وبادر بالجد الراقى ووقع اليأس من التلاقى فصير الساقى الذى يسقيكم سبحان من حكم وقضى بسكنى الثرى بعد الفضا ليس لنا الا الرضا كما

(١) فى نقله مخالفة بحسب الظاهر فليراجع اه منه

ذهب من مضى يذهب باقيكم قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم اللهم ياحى ياقيوم برحمتك نستغيث اللهم لاتكلنا الى أنفسنا طرفة عين وأصلح لنا شأننا كله اللهم إنا نسألك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة اللهم استرنا بسترك الجميل فى الدارين اللهم اجعل قبور آبائنا وأمهاتنا وأقاربنا من رياض جنتك ومحل مغفرتك وآتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وألحقنا بأوليائك الأخيار وأسكنا معهم بشفاعة نبيك الجنة دار القرار وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه السادة الابرار

﴿ المجلس الخامس والعشرون ﴾

(فى الظهار والايلاء والطلاق)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى لامانع لما وهب ولاواهب لما سلب طاعته أفضل مكتسب وتقواه للمتقى أعلا نسب والمعاصى من خوفه تجتنب والمصائب فى جنب أجره تحتسب والعطايا من فضله ترتقب وهو المرجو لكشف الكرب هيأ قلوب أحبائه للايمان وكتب فتقربوا اليه بالتقوى والورع والأدب وحلى لهم فى طاعته النصب ولم يجدوا لحبه من تعب وقاموا بأعباء التكاليف على أكمل الأدب وقدر الشقاء للاشقياء فغلب وأعرض عنهم فوقعوا فى العطب لايعرفون السبب فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب أحمده اذ وهب خيرا من الذهب وأشهد بوحدانيته شهادة تقضى ماوجب وأن محمدا عبده ورسوله الذى اختاره وانتخب صلى الله تعالى عليه وعلى صاحبه أبى بكر الصديق العالى على أعلا الرتب الذى كان ليلة الغار بين يديه خوف الرصد وخلفه خوف الطلب وعلى عمر الفاروق الذى لم يعلق الشيطان منه بسبب وكان يفرق من حسه فيطلب له طريقا للهرب وعلى عثمان ذى النورين الزكى العرض النقى الحسب وعلى على ابن أبى طالب الوافى وحده لجميع أبطال العرب الراغب فى الأخرى فماله فى الدنيا من أرب وعلى عمه العباس أقرب الخلق فى النسب ثم اكتسب بالدين شرفا فنعم المكتسب ﴿ أما بعد ﴾ فقد قال الله فى محكم كتابه العزيز وكلامه البليغ الوجيز بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير الذين يظاهرون منكم من نسائهم ماهن أمهاتهم ان أمهاتهم إلا اللائى ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله

---

(١) بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المتعالى عن الانداد المقدس عن الاضداد المنزه عن الصاحبة والاولاد خالق المائع والجماد ومبدع المطلوب والمراد المطلع على سر القلب وضمير الفؤاد مقدر ما كان ويكون من الضلال والرشاد والصلاح والفساد والوفاق والنفاق والبغض والوداد رأى حتى دبيب النمل الأسود فى السواد وسمع صوت المدنف الضعيف المجهود غاية الاجهاد وعلم مافى سويداء السر وباطن الاعتقاد وجاد على السائلين فزادهم من الزاد وألف الاجساد وليس يشبه الاجساد وخلق من كل شئ زوجين وتوحد بالانفراد أحمده حمدا يفوق الاعداد وأشهد أنه الواحد لا كالآحاد وأصلى على رسوله محمد المبعوث الى جميع العباد صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى صاحبه أبى بكر رأس العباد وعلى عمر الذى فتح أقصى البلاد وعلى عثمان هاجر الوساد وعلى ابن عمه على أول الاسلام والزهاد وعلى آله وصحبه صلاة دائمة مستمرة بلا انفاد وعلى من تبعهم باحسان الى يوم الدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين اه منه

ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم (فنقول) وبالله تعالى التوفيق قال العلماء رحمهم الله تعالى نزلت هذه الآيات الجليلة فى خولة بنت ثعلبة وكانت تحت أوس بن الصامت وكانت حسنة الجسم وكان به لمم فأرادها فأبت فقال لها أنت على كظهر أمى ثم ندم على ماقال وكان الظهار والايلاء من طلاق أهل الجاهلية فقال لها ماأظنك إلا قد حرمت على فقالت والله ماذاك طلاق وأتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعائشة رضى الله تعالى عنها تغسل شق رأسه فقالت يارسول الله ان زوجى أوس بن الصامت تزوجنى وأنا شابة غنية ذات مال وأهل حتى اذا أكل مالى وأفنى شبابى وتفرق أهلى وكبرت سنى ظاهر منى وقد ندم فهل من شئ يجمعنى وإياه تنعشنى به فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حرمت عليه فقالت يارسول الله والذى أنزل عليك الكتاب ماذكر طلاقا وانه أبو ولدى وأحب الناس الى فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حرمت عليه فقالت أشكو الى الله فاقتى ووحدتى قد طالت صحبتى ونفضت له بطنى فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ماأراك إلا وقد حرمت عليه ولم أومر فى شأنك بشئ فجعلت تراجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واذا قال لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت أشكو الى الله فاقتى وشدة حالى وان لى صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الى جاعوا وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم إنى أشكو اليك اللهم فأنزل على لسان نبيك وكان هذا أول ظهار فى الاسلام فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت انظر فى أمرى جعلنى الله فداك يارسول الله فقالت عائشة اقصرى حديثك ومجادلتك أما ترين وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى أخذه مثل السبات فلما قضى الوحى قال ادعى زوجك فتلا عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها الآيات قالت عائشة تبارك الذى وسع سمعه الاصوات كلها ان المرأة لتحاور رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا فى ناحية البيت أسمع بعض كلامها ويخفى على بعضه اذ أنزل الله قد سمع الله الآيات وأخرج البخارى فى تاريخه عن ثمامة قالت بينما عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يسير على حماره لقيته امرأة فقالت قف ياعمر فوقف فأغلظت له القول فقال رجل ياأمير المؤمنين مارأيت كاليوم فقال ومايمنعنى أن أستمع اليها وهى التى سمع الله لها أنزل فيها ما أنزل قد سمع الله قول التى تجادلك الآية وأخرج سعيد بن منصور لما نزل والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا فقال لامرأته مريه فليعتق فقالت يارسول الله والذى أعطاك ماأعطاك ماجئت إلا رحمة له ان له فى منافع والله ماعنده رقبة ولا يملكها قالت فنزل القرآن وهى عنده فى البيت فقال مريه فليصم شهرين متتابعين فقالت والذى أعطاك ماأعطاك مايقدر عليه قال مريه فليتصدق على ستين مسكينا فقالت يارسول الله ماعنده مايتصدق به فقال اذهبى الى فلان الانصارى فان عنده شطر وسق تمرا أخبرنى أنه يريد أن يتصدق به فليأخذه منه ثم ليصرف على ستين مسكينا ولنذكر ماذكره الفقهاء رحمهم الله تعالى من أحكام الظهار فانها كثيرة الوقوع والناس عنها غافلون كغفلتهم عن الايلاء وحرمة المصاهرة وسنذكرها مع مايتعلق ويقرب من هذه المباحث ان شاء الله تعالى أيضا (فنقول) قالت الأئمة الحنفية فى كتبهم الظهار تشبيه المسلم زوجته ولو صغيرة أو كتابية أو تشبيه مايعبر به عنها من أعضائها كالرأس والرقبة أو تشبيه جزء شائع منها كنصفك بمحرم عليه تأبيدا ولو قال أنت على كالدم والخمر والخنزير والغيبة والنميمة والزنا والربا والرشوة وقتل المسلم ان نوى طلاقا أو ظهارا يكون طلاقا ولا يكون ظهارا على مافى الخانية وقيل ان نوى الظهار يكون ظهارا كأنت على كأمى وظهار الزوجة منه لغو وقيل روى عن أبى يوسف عليها كفارة ظهار وقيل كفارة يمين والظهار كأنت على كظهر أمى أو أمك أو رأسك ونحوه أو نصفك كظهر أمى أو كبطنها أو أختى أو عمتى يصير به مظاهرا بلا نية لانه صريح ويحرم عليه وطؤها

ودواعيه من القبلة والمس بشهوة لقوله تعالى من قبل أن يتماسا حتى يكفر فان وطئ قبله تاب واستغفر وكفر للظهار فقط وقال سعيد بن جبير والزهرى كفارتين وقال الحسن البصرى ثلاث كفارات وللمرأة أن تطالبه بالوطء وان تمنعه منه حتى يكفر وعلى القاضى إلزامه بالتكفير ولو بحبس أو يطلق وان نوى بأنت كأمى برا أو ظهارا أو طلاقا صحت نيته والا ينوى شيأ لغا لانه كناية ولا ظهار من أمته ولو ظاهر من نسائه كفر لكل واحدة بخلاف لو آلى منهن وقال مالك وأحمد يكفيه واحدة أيضا ولو ظاهر من امرأته مرارا فعليه لكل ظهار كفارة واعلم أن الكفارة لغة من كفر الله عنه الذنب أى ستره وشرعا تحرير رقبة ولو كافرة قبل التماس أى قبل العزم على الوطء فان لم يجد صام شهرين متتابعين قبل المسيس ليس فيهما رمضان والأيام المنهية فان أفطر فيهما استأنف الصوم فان عجز المظاهر عن الصوم لمرض لا يرجى برؤه أو كبر أطعم أى ملك ستين مسكينا أو فقيرا ولا يجزىء غير المراهق كالفطرة قدرا وهى نصف صاع من بر أو صاع من شعير أو قيمة ذلك وان غداهم وعشاهم جاز كما لو أطعم واحدا ستين يوما فانه جائز هذا ملخص ما ذكره أئمتنا الحنفية وفى الميزان اتفق الأئمة على أن المسلم متى قال لزوجته أنت على كظهر أمى كان مظاهرا منها لا يحل له وطؤها حتى يقدم الكفارة وهى عتق رقبة ان وجدها فان لم يجدها فصيام شهرين متتابعين فان لم يستطع فاطعام ستين مسكينا مسلما وكذلك اتفقوا على أن المرأة اذا قالت لزوجها ذلك فلا كفارة عليها إلا فى رواية اختارها الخرقى وأما ما اختلفوا فيه فمن ذلك قول أبى حنيفة انه لو قال لزوجته حرة كانت أو أمة أنت على حرام فان نوى الطلاق بذلك كان طلاقا وان نوى الطلاق ثلاثا كان ثلاثا وان نوى ثنتين أو واحدة فواحدة فان نوى التحريم ولم ينو الطلاق ولم يكن له نية فهو يمين وهو مول ان تركها أربعة أشهر وقعت عليه طلقة بائنة وان نوى الظهار كان مظاهرا وان نوى اليمين كانت يمينا ويرجع الى نيته كم أراد بها واحدة أو أكثر سواء المدخول بها وغيرها مع قول مالك ان ذلك طلاق ثلاث ان كانت مدخولا بها وواحدة ان كانت غير مدخول بها ومع قول الشافعى ان نوى بذلك الطلاق أو الظهار كان ما نواه وان نوى اليمين لم يكن يمينا ولكن عليه كفارة يمين (١) وان لم ينو شيأ فالأرجح من قوليه أنه لا شئ عليه والثانى أن عليه كفارة يمين ومع قول أحمد فى أظهر روايتيه ان ذلك صريح فى الظهار نواه أو لم ينوه وفيه كفارة الظهار والثانى انه طلاق ومن ذلك قول أبى حنيفة وأحمد ان من حرم طعامه أو شرابه أو أمته كان حالفا وعليه كفارة يمين بالحنث من غير أن يحرم ذلك ويحصل الحنث عندهما بأكل جزء منه مع قول الشافعى ان من حرم طعامه أو شرابه أو لباسه فلا كفارة عليه وليس بشئ وان حرم أمته فالراجح أنها لا تحرم ولكن عليه كفارة يمين ومع قول مالك انه لا يحرم عليه شئ من ذلك على الاطلاق ولا كفارة عليه اهـ ما فى الميزان باقتصار ولنذكر لكم من أحكام الإيلاء شيأ لان الناس فى غفلة عنه أيضا (فنقول) قال الله تعالى للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم قال أئمتنا الحنفية رحمهم رب البرية الايلاء من آلى يولى إيلاء وجمعه ألايا وهو لغة اليمين وشرعا الحلف على ترك قربان زوجته ولو قبل الزواج أربعة أشهر أو أكثر للحرة وشهران للأمة أو أكثر وحكمه وقوع طلقة بائنة ان بر بيمينه ولزوم الكفارة أو الجزاء كالحج مثلا ان حنث بالقربان وأقل المدة للحرة أربعة كما ذكرنا فلو حلف على أقل فعليه الكفارة فقط ولا ايلاء ولو عجز عن وطئها لسفر أو مرض أو صغر أو لحبسه ففيؤه نحو قوله بلسانه فئت اليها أو راجعتك أو أبطلت الايلاء أو رجعت عما قلت فلا

(١) وقد ذكرنا لكم فى بعض الدروس أن كفارة اليمين عتق رقبة وان شاء كسا عشرة مساكين كل واحد منهم ثوبا فازادوأدناه ما تجزىء فيه الصلاة وان شاء أطعم عشرة مساكين وان لم يقدر على أحد الثلاثة صام ثلاثة أيام متتابعات اهـ منه

يقع الطلاق اذا امضت المدة غير أن اليمين باقية فلو وطأها بعد الفىء باللسان فى مدة الايلاء لزمه كفارة لتحقق الحنث اهـ وقال فى الميزان اتفقت الأئمة على انه اذا حلف بالله عز وجل على أن لا يجامع زوجته مدة تزيد على أربعة أشهر كان موليا وان حلف على أقل من ذلك لم يكن موليا وعلى أن المولى اذا فاء لزمته كفارة يمين بالله تعالى إلا فى قول قديم للشافعى وأما ما اختلفوا فيه فمن ذلك قول أبى حنيفة أن لا يطأ زوجته أربعة أشهر ايلاء ويروى مثل ذلك عن أحمد مع قول مالك والشافعى فى المشهور عنه انه ليس بايلاء ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة انه اذا امضت الأربعة أشهر لا يقع بمضيها طلاق بل يوقف الأمر ليفىء أو يطلق مع قول أبى حنيفة انه متى مضت المدة وقع الطلاق ومن ذلك قول مالك وأحمد ان المولى اذا امتنع من الطلاق على قول الوقف يطلق عليه الحاكم وهو الأظهر من قولى الشافعى مع قول أحمد فى الروايه الأخرى والشافعى فى القول الآخر عنه ان الحاكم يضيق عليه حتى يطلق ومن ذلك قول أبى حنيفة والشافعى فى أصح قوليه ان من آلى بغير اليمين بالله تعالى كالعتاق والحج يكون موليا سواء قصد الاضرار بها أو رفعه عنها كالمرضع والمريضة أو عن نفسه مع قول مالك انه لا يكون موليا الا أن يحلف حال الغضب أو يقصد الاضرار بها قيل قال الامام أحمد لا يكون موليا اذا قصد دفع الضرر عنها فان قصد الاضرار بها فانه يكون موليا ومن ذلك قول أبى حنيفة والشافعى انه لو ترك وطء زوجته للاضرار بها من غير يمين أكثر من أربعة أشهر لا يكون موليا مع قول مالك وأحمد فى إحدى روايتيه انه يكون موليا ومن ذلك قول مالك ان مدة ايلاء العبد شهران حرة كانت زوجته أو أمة مع قول الشافعى انها أربعة مطلقا ومع قول أبى حنيفة ان الاعتبار فى المدة بالنساء فمن كان تحته أمة فشهران حرا كان أو عبدا وعن أحمد روايتان كمذهب مالك وكمذهب الشافعى اهـ باقتصار وليعلم أيضا أن مسئلة حرمة المصاهرة على مذهب أئمتنا الحنفية من أعظم المسائل الدينية فيلزم التنبيه عليها بطريق الاجمال لان كثيرا من الناس عنها غافلون وفى ورطتها يقعون ولا يعلمون قال فى الدر المختار وأسباب التحريم أنواع قرابة أى كفروعه وأصوله ومصاهرة أى كفروع نسائه وأصولهن ورضاع فيحرم به ما يحرم من النسب الا ما استثنى وجمع أى بين المحارم كأختين ونحوهما أو بين الأجنبيات زيادة على الأربع وملك كنكاح السيدة مملوكها وشرك أى كالمجوسية والمرتدة وادخال أمة على حرة والتطليق ثلاثا وتعلق حق الغير اهـ قال محشيه العلامة ابن عابدين قوله مصاهرة كفروع نسائه المدخول بهن وان نزلن وأمهات الزوجات وجداتهن بعقد صحيح وان علون وان لم يدخل بالزوجات وتحرم موطوآت آبائه وأجداده وان علوا ولو بزنا والمعقودات لهم عليهن بعقد صحيح وموطوآت أبنائه وأبناء أولاده وان سفلوا ولو بزنا والمعقودات لهم عليهم بعقد صحيح فتح وكذا المقبلات أو الملموسات بشهوة لأصوله أو فروعه أو من قبل أو لمس أصولهن أو فروعهن اهـ ونقل فى الدر عن الكشاف أن اللمس ونحوه كالدخول عند أبى حنيفة وقال فى الفتح ولا فرق بين عمد ونسيان فلو أيقظ زوجته أو أيقظته هى لجماعها فمست يده بنتها المشتهاة أو يدها ابنه حرمت الأم أبدا اهـ وقال فى الميزان ان من جملة المحرمات أيضا نكاح الزانية قبل التوبة عند أحمد خلافا للثلاثة قال ومن المسائل المختلف فيها قول مالك والشافعى ان من زنا بامرأة لم يحرم عليه نكاحها ولا نكاح أمها وبنتها مع قول أبى حنيفة وأحمد يتعلق تحريم المصاهرة بالزنا وزاد عليه أحمد فقال اذا لاط بغلام حرمت عليه أمه وبنته اهـ وليعلم أن العلامة ابن حجر قد عد فى الزواجر أن من جملة الكبائر الظهار لقوله تعالى وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور وكذا الايلاء لان فيه مضارة للزوجة لان صبرها عن الرجل يفنى بعد الأربعة أشهر كما قالت حفصة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها لأبيها عمر رضى الله تعالى عنه لما سألها عن مقدار صبر المرأة عن زوجها حينما سمع امرأة من نساء المجاهدين الغائبين تقول

فوالله لولا الله تخشى عواقبه * لزحزح من هذا السرير جوانبه

فأمر عمر رضى الله تعالى عنه حينئذ أن لا يغيب أحد عن زوجته أكثر من ذلك وكذا أيضا أمرت الزوجة بعدم اضرار زوجها وعدم نشوزها وعدم سؤالها الطلاق وكان كل ذلك من الكبائر أيضا على ماقال فقد روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال أول ماتسئل المرأة يوم القيامة عن صلاتها وعن بعلها وقال عليه الصلاة والسلام اذا دعا الرجل زوجته لفراشه فامتنعت باتت تلعنها الملائكة حتى تصبح وقال عليه الصلاة والسلام اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وأطاعت بعلها فتدخل من أى أبواب الجنة شاءت وأخرج الترمذى عن ثوبان رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة وورد أبغض الحلال الى الله الطلاق ولذا قسمه أئمتنا الحنفية الى ثلاثة أقسام الأول حسن والثانى أحسن والثالث بدعى يأثم به فالأحسن أى بالنسبة الى غيره لانه فى نفسه حسن طلقة رجعية فقط فى طهر لاوطء فيه وتركها حتى تمضى عدتها والحسن هو أن يطلقها أى الموطوأة ثلاثا متفرقة فى ثلاثة اطهار لاوطء فيها والبدعى ثلاث متفرقة أو بكلمة واحدة أو ثنتان بمرة أو مرتين فى طهر واحد لارجعة فيه أو واحدة فى طهر وطئت فيه أو واحدة فى حيض مدخول بها وتجب رجعتها فى الحيض دفعا للمعصية فاذا طهرت طلقها ان شاء أو أمسكها والخلع فى الحيض والنفاس لا يكره اه وليعلم أنه مما ينبغى التنبيه عليه أيضا ان الطلاق الثلاث بلفظ واحد أى اذا قال زيد لزوجته المدخول بها أنت كذا ثلاثا يقع ثلاثا ولا تحل له حتى تنكح زوجا غيره كما هو مذهب الأئمة الأربعة ولا يشترط لوقوعه تكرير أنت طالق ثلاث مرات كما ذهب اليه بعض أجلة الحنابلة ونسبه أيضا لابن عباس وغيره وبعض الحنفية والشافعية لان ذلك خلاف قول جمهور الصحابة وخلاف ما عليه الأئمة الأربعة ولا يجوز لأحد العمل به فلا يعمل بهذا القول ولا أدين الله تعالى به ويد الله على الجماعة فاذا طلق الرجل ثلاثا ولو بلفظ واحد فلا يحل له الرجوع إلا بعد التحليل والله يقول الحق وهو يهدى السبيل وسنذكر تكملة أبحاث الزوج والزوجة والنساء فى بعض الدروس الآتية ان شاء الله تعالى فعليكم عباد الله بتحصيل ماينفعكم وتعلم ماينجيكم فى آخرتكم والتجنب عن المحرمات والتورع عن المكروهات فيا اخوانى الأيام سفن ومراحل وما يحس بسيرها الراحل حتى يبلغ البلد أو الساحل ما هذه الغفلة والفتور أما المآل الى اللحود والقبور أما علمتم منتهى السرور أما الأجداث المنازل الى النشور أيها الشاب ضيعت الشباب فى جهلك أيها الكهل ببعض فعلك تهلك أيها الشيخ آن الرحيل عن أهلك أيها الغافل أما تذكر من كان قبلك لقد نطقت العبر فأين سامعها واستنارت طريق الهدى فأين تابعها وتجلت الحقائق فأين مطالعها أما المنية قد دنت واقتربت فما بال النفوس قد غفلت ولعبت يامن اذا دعى لنفعه وتعليمه تولى وفر يامن على مايضره قد استمر يامن أعلن المعاصى وأسر أما تعتبر بمن رحل عن القرناء ومر أما تعلم أن من حالف الذنوب استضر أما الموت اذا أتى حمل وكر كأنى بك اذا برق البصر تطلب المفر الى متى تؤثر الفساد على السداد وتسرع فى جواد الهوى اسراع الجواد متى يتيقظ القلب ويصحو الفؤاد كيف بك اذا حشرت يوم المعاد

يسرك أن تكون رفيق قوم * لهم زاد وأنت بغير زاد

فيا أيها الضال عن طريق الهدى أما تسمع صوت الحادى قد حدا من لك اذا ظهر الجزاء وبدا وربما كان فيه أن تشقى أبدا أيحسب الانسان أن يترك سدى يامن تكتب لحظاته وتجمع لفظاته وتعلم عزماته وتحسب عليه حركاته ان راح أو غدا أيحسب الانسان أن يترك سدى ويحك الرقيب حاضر يرعى عليك اللسان والناظر وهو الى جميع أفعالك ناظر انما الدنيا مراحل الى المقابر وسينقضى هذا المدى أيحسب

الانسان أن يترك سدى مالى أراك فى الذنوب تعجل واذا زجرت عنها لاتقبل ويحك انتبه لقبح ماتفعل ان الأيام فى الآجل تعمل مثل عمل المدى أيحسب الانسان أن يترك سدى كأنك ببساط العمر قد انطوى وبعود الصحة بعد قد ذوى وبسلك الامهال قد قطع فهوى انتبه لنفسك فقد أشمت والله العدا أيحسب الانسان أن يترك سدى فبادر زمنك واحذر الفوت واصغ للزواجر فقد رفعت لك الصوت واتبع الشرع وتنبه فطال ماقد سهوت واعلم قطعا ويقينا أن الموت لايقبل الفدى أيحسب الانسان أن يترك سدى انهض الى التقى بقريحة وابك الذنوب بعين قريحة وازعج للتهجد فى الليل أعضاءك المستريحة تالله لئن لم تقبل منا هذه النصيحة لتندمن غدا أيحسب الانسان أن يترك سدى اللهم وفقنا لقول الحق واتباعه وخلصنا من وساوس قلبنا وابتداعه وكن لنا يا إلهى مؤيدا واجعل إيماننا محمديا ثابتا راسخا دائما قويا ولا تجعل لفاجر علينا يدا وارزقنا فى محبتك علما نافعا ورزقا حلالا واسعا ولا تشمت بنا عدوا ولا حاسدا وارزقنا ذرية علماء عاملين وألحقنا بأوليائك الصالحين واجعل عيشنا فى الدارين عيشا رغدا وارحمنا وجميع المؤمنين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين آمين

تم الجزء الأول من كتاب غالية المواعظ ويليه الجزء الثانى أوله المجلس السادس والعشرون فى الزنا واللواطة

﴿ فهرسة الجزء الأول من غالية المواعظ ﴾

صحيفه

﴿ تمت ﴾

﴿ الجزء الثانى من ﴾

كتاب

غالية المواعظ

ومصباح المتعظ وقبس الواعظ

للعالم العلامة الحبر البحر الفهامة خاتمة المحققين والمدققين السيد الشيخ خير الدين أبى البركات نعمان افندى آلوسى زاده ابن السيد الشيخ محمود افندى المفتى ببغداد الشهير بآلوسى زاده نفعنا الله به والمسلمين أجمعين آمين

﴿ الطبعة الأولى ﴾

سنة ١٣٢٩ هـ — ١٩١١ م

(طبع على نفقة الشيخ مصطفى تاج وولده ابراهيم تاج الكتبي بطنطا)

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ المجلس السادس والعشرون ﴾

(فى الزنا واللواطة)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى أحكم الأشياء كلها صنعا وتصرّف كما شاء إعطاء ومنعا أنشأ الآدمى من فطرة فاذا هو يسعى وخلق له عينين ليبصر المسعى ووالى لديه النعم وتراوشفعا وضم إليه زوجه تدبر أمر البيت وترعى وأباحه محل الزرع وقدفهم مقصود المرعى فتعدّى قوم إلى الفاحشة الشنعا وعدوا استاوسبعا فرجموا بالحجارة فلو رأيتهم صرعى (ولما جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا) أحمده ما أرسل سحابا وأنبت زرعا وأصلى وأسلم على رسوله محمد أفضل نبي علمه الله شرعا وعلى صاحبه أبى بكر الذى كانت نفقته للإسلام نفعا وعلى عمر ضيف الاسلام بدعوة الرسول المستدعى وعلى عثمان الذى ارتكب منه الفجار بدعا وعلى علىّ الذى يحبه أهل السنة طبعا وعلى بقية الصحابة والآل الذين قطع الله بهم الكفر قطعا وسلم تسليما ﴿ أما بعد ﴾ فقد قال الله تعالى فى القرآن العظيم والكتاب الكريم (ولاتقربوا الزنا إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) فنقول وبالله تعالى التوفيق قد تعددت الآيات الكريمة فى تحريم الزنا أعاذنا الله تعالى وإياكم منه ومن غيره من المعاصى بمنه وكرمه منها هذه الآية ومنها قوله تعالى (والذين لايدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرّم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب الآية) وغير ذلك وأما الأحاديث فى تحريمه وتقبيحه فكثيرة جدا وأما حكمه فى الدنيا فالرجم بالحجارة للمحصن وهو المتزوج حتى يموت وجلد مائة سوط لغير المتزوج ولابدّ لاجراء الحد الشرعى من شهادة أربعة شهود أو يقر الزانى فى أربعة مجالس عند أبى حنيفة وأحمد وعند الامام الشافعى باقراره مرة واحدة كما هو مفصل فى الكتب الفقهية ولنذكر بعض الأحاديث الواردة فيه فنها ما أخرجه الشيخان واحمد عن ابن

مسعود رضى الله تعالى عنهم قال سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أىّ الذنب أعظم عند الله قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ان ذلك لعظيم قلت ثم أى قال أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قلت ثم أى قال أن تزانى حليلة جارك وتلا هذه الآية (والذين لايدعون مع الله إلها آخر) الآية وورد أن فى الزبور مكتوبا أن الزناة يعلقون بفروجهم فى النار ويضربون عليها بسياط من حديد فاذا استغاث أحدهم من الضرب نادته الملائكة الزبانية أين كان هذا الصوت وأنت تضحك وتفرح وتمرح ولا تراقب الله تعالى ولا تستحى نقله فى الزواجر وقال عليه الصلاة والسلام يامعشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاثة فى الدنيا وثلاثة فى الآخرة أما التى فى الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر وأما التى فى الآخرة فسخط الله وسوء الحساب وعذاب النار وروى النسائى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر اليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل أى فقير مستكبر وفى حديث آخر هم الشيخ الزانى والفقير المختال والغنى الظلوم وروى أبو يعلى بسند حسن ما ظهر فى قوم الزنا والربا إلا أحلوا بأنفسهم عذاب الله وروى الامام أحمد لا تزال أمتى بخير متماسك أمرها مالم يظهر فيهم ولد الزنا وروى مسلم حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم ما من رجل من القاعدين يخلف رجلا من المجاهدين فى أهله فيخونه فيهم إلا وقف يوم القيامة فيأخذ من حسناته ما شاء حتى يرضى وفى رواية قيل له هذا خلفك فى أهلك فخذ من حسناته ما شئت أترون يدع له من حسناته شيأ وروى الامام أحمد لأن يزنى الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزنى بامرأة جاره وروى الطبرانى من قعد على فراش مغيبة أى التى غاب عنها زوجها قيض الله تعالى له ثعبانا يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام من زنى بامرأة مزوجة كان عليه وعليها فى القبر نصف عذاب هذه الأمة فاذا كان يوم القيامة يحكم الله زوجها فى حسناته هذا اذا كان بغير علمه فان علم وسكت حرم الله عليه الجنة لان الله كتب على بابها أنت حرام على الديوث وهو الذى يسكت ولا يغار وروى أنه من وقع على امرأة لاتحل له بشهوة جاء يوم القيامة مغلولة يداه الى عنقه فان كان قد قبلها قرضت شفتاه فى النار فان زنى بها قطعت فخذه وشهدت عليه وقالت أنا للحرام ركبت فينظر اليه بعين الغضب فيقع لحم وجهه فيكابر ويقول مافعلت فيشهد عليه لسانه ويقول أنا بما لايحل لى نطقت وتقول يداه أنا للحرام تناولت وتقول عينه أنا للحرام نظرت وتقول رجله أنا لما لايحل لى مشيت ويقول فرجه أنا فعلت ومصداق ذلك من القرآن قوله تعالى (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) قال المفسرون أى لفروجهم ويقول الحافظ من الملائكة وأنا سمعت ويقول الملك الآخر وأنا كتبت ويقول الله تعالى وأنا اطلعت وسترت ثم يقول الله عز وجل ياملائكتى خذوه ومن عذابى أذيقوه فقد اشتد غضبى على من قل حياؤه وتصديق ذلك من كتاب الله تعالى (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) وأعظم الزنا على الاطلاق الزنا بالمحارم فقد صحح الحاكم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من وقع على ذات محرم فاقتلوه وروى الطبرانى واللفظ له تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادى مناد هل من داع فيستجاب له هل من سائل فيعطى هل من مكروب فيفرج عنه فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلا استجاب الله عز وجل له إلا زانية تسعى بفرجها أو عشار (١) وروى الشيخان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن وروى الحاكم من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الايمان كما يخلع الانسان القميص من رأسه وفى رواية فاذا تاب ردّ عليه وعن أبى امامة من بعض حديثه الطويل قال

(١) قوله عشار هو قابض عشر الأموال وذلك هو المتعدى حق الشرع بأخذ زيادة وأما من يأخذ من الناس حق الامام على وجه الحق فلا يدخل فى هذا الوعيد اه منه

سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول بينا أنا نائم أتاني رجلان فأخذا بضبعي فأتيا بي جبلا فاذا أنا بأصوات شديدة فقلت ماهذه الأصوات فقالوا هذا عواء أهل النار فانطلقوا بي فاذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم تسيل دما قال قلت من هؤلاء قال الذين يفطرون قبل أن يحل فطرهم من صومهم ثم انطلقا بي فاذا أنا بقوم أشد شيء انتفاخا وأنتنه ريحا وأسوأه منظرا فقلت من هؤلاء قال قتلى الكفار ثم انطلقا بي فاذا أنا بقوم أشد شيء انتفاخا وأنتنه ريحا كأن ريحهم المراحيض قلت من هؤلاء قال هؤلاء الزانون والزواني ثم انطلقا بي فاذا أنا بنساء ينهشن ثديهن الحيات قلت ما بال هؤلاء قال يمنعن أولادهن ألبانهن ثم انطلقا بي واذا أنا بغلمان يلعبون بين نهرين قلت من هؤلاء قيل هؤلاء ذراري المؤمنين وعن عليّ كرّم الله تعالى وجهه أن الناس يرسل عليهم يوم القيامة ريح منتنة حتى يتأذى منها كل برّ وفاجر حتى اذا بلغت منهم كل مبلغ ناداهم مناد يسمعهم الصوت ويقول لهم هل تدرون هذه الريح التي آذتكم فيقولون لا ندري فيقال ألا انها ريح فروج الزناة الذين لقوا الله بزناهم ولم يتوبوا منه ثم ينصرف بهم واعلم أنه قد جاء في حفظ الفرج أحاديث عظيمة منها ما رواه البيهقي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال يا شباب قريش احفظوا فروجكم لا تزنوا ألا من حفظ فرجه فله الجنة وروى البخاري من يضمن لي ما بين لحييه أي لسانه وما بين رجليه أي فرجه ضمنت له الجنة وروى أحمد اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة أصدقوا اذا حدثتم وأوفوا اذا وعدتم وأدّوا اذا ائتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله تعالى ورجل معلق قلبه بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال اني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وقد تبين لكم ان الزنا من الكبائر وهو بعد الشرك بالله تعالى وقال كثير من العلماء ان الذي يلي الشرك هو القتل ثم الزنا واختلف العلماء في الزنا واللواطة أيهما أعظم فقال جمع ان اللواطة أعظم للتشديد الآتي ذكره وقال في الاحياء الزنا أكبر من اللواطة لان الشهوة داعية اليه من الجانبين فيكثر وقوعه ويعظم الضرر لكثرته أي ولانه يترتب عليه اختلاط الانساب قال ابن حجر في الزواجر اختلف أهل العلم في حد اللوطي فذهب قوم الى أن حدّ الفاعل حدّ الزنا إن كان محصنا يرجم وان لم يكن محصنا يجلد مائة وهو قول ابن المسيب وعطاء والحسن والنخعي وبه قال الثوري والاوزاعي وهو أظهر قولي الشافعي وحكى أيضا عن أبي يوسف ومحمد بن الحسن وعلى المفعول به عند الشافعي على هذا القول جلد مائة وتغريب عام رجلا كان أو امرأة محصنا أو غير محصن وذهب قوم الى أن اللوطيّ يرجم ولو غير محصن رواه سعيد بن جبير ومجاهد عن ابن عباس وبه قال الزهري والشعبي وهو قول مالك وأحمد واسحق وروى عن حماد بن ابراهيم والقول الآخر للشافعي انه يقتل الفاعل والمفعول به كما جاء في الحديث وقال الحافظ المنذري حرق اللوطية بالنار أربعة من الخلفاء أبو بكر وعليّ وعبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهم وهشام بن عبد الملك وروى ابن أبي الدنيا أن خالد بن الوليد كتب الى أبي بكر رضي الله تعالى عنه انه وجد رجلا في بعض ضواحي العرب ينكح كما تنكح المرأة فجمع لذلك أبو بكر رضي الله تعالى عنه أصحاب رسول الله وفيهم عليّ كرّم الله تعالى وجهه فقال ان هذا ذنب لم يعمل به الا أمة واحدة ففعل الله بهم ما قد علم ثم أرى أن تحرقوه بالنار فاجتمع رأي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يحرقوه بالنار فأمر به أبو بكر أن يحرق بالنار فأحرقه خالد اه وفي الميزان أن حد اللواط عند مالك والشافعي في أحد قوليه وأحمد في أظهر روايتيه الرجم بكل حال ثيبا كان أو بكرا وعن الشافعي في أرجح قوليه وأحمد في إحدى روايتيه ان

حده كحد الزنا وأما عند أبي حنيفة فانه يعزر في أول مرة فان تكرر منه قتل وجوز بعض الحنفية أن يعزر بالقائه من شاهق وان أدّى الى موته وليعلم ان مما اختلفوا في حده أيضا اتيان البهيمة قال أبو حنيفة ومالك والشافعي في الراجح من أقواله انه يعزر وهي الرواية التي اختارها الخرقي من أقوال أحمد وعن مالك في الرواية الاخرى عنه والشافعي في أحد أقواله انه يحد ويختلف بالبكارة والثيوبة والقول الثالث للشافعي انه يقتل بكرا كان أو ثيبا وأما البهيمة فقال أبو حنيفة (١) ان كانت مما تؤكل ذبحت والا فلا وهو الراجح عند أصحاب الشافعي من عدة أوجه مع قول مالك انها لا تذبح بحال ومع قول أحمد انها تذبح سواء كانت له أو لغيره وسواء كانت مما يؤكل لحمها أم لا يؤكل وعلى الواطئ قيمتها لصاحبها وأما الاستمناء بالكف فهو حرام وليس فيه حد وعن بعض العلماء أنه يباح اذا خيف الزنا وقد ذكر بعض الاطباء انه أيضا يورث الخوف في الانسان وأمراضا عظيمة في بدنه وأما المتعة فانها حرام لأنها منسوخة وليس على فاعلها حد شرعي لكن انها قريب من الزنا لقوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون وهذه ليست بزوجة ولا ملك يمين لانها لو كانت زوجة لورثت مع ان الامامية لا يقولون بور اثتها أيضا فهي حرام باجماع الأئمة الأربعة عليهم الرحمة والرضوان ولنذكر من الآيات والأحاديث المتعلقة باللواطة ونحوها مما تقدم ذكره وما يلتحق به إن شاء الله تعالى فنقول قال في الزواجر أخرج ابن ماجه والترمذي والحاكم وصححه عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط والحاكم ما نقض قوم العهد الا كان القتل بينهم ولا ظهرت الفاحشة في قوم إلا فشا فيهم الطاعون ولا منع قوم الزكاة إلا حبس عنهم القطر وروى الطبراني اذا ظلم أهل الذمة كانت الدولة دولة العدو واذا كثر الزنا كثر السبي واذا كثر اللواط رفع الله عز وجل يده عن الخلق فلا يبالي في أيّ واد هلكوا وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعن الله سبعة من خلقه من فوق سبع سموات ورد اللعنة على واحد منهم ثلاثا ولعن كل واحد منهم لعنة تكفيه قال ملعون من عمل عمل قوم لوط ملعون من عمل عمل قوم لوط ملعون من عمل عمل قوم لوط ملعون من ذبح لغير الله ملعون من أتى شيأ من البهائم ملعون من عق والديه ملعون من جمع بين امرأة وأختها ملعون من غير حدود الله ملعون من ادعى الى غير مواليه وروى ابن حبان في صحيحه والبيهقي لعن الله من غير تخوم الارض (٢) ولعن الله من كمه أعمى عن السبيل ولعن الله من سب والديه ولعن الله من تولى غير مواليه ولعن الله من عمل عمل قوم لوط قالها ثلاثا في من عمل عمل قوم لوط وروى الطبراني والبيهقي أربعة يصبحون في غضب الله تعالى ويمسون في سخط الله قلت من هم يا رسول الله قال المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال والذي يأتي البهيمة والذي يأتي الرجال وروى ابن ماجه من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وقال ابن عباس ان اللوطي اذا مات من غير توبة مسخ في قبره خنزيرا وفي رواية أنس أنه يحشر مع قوم لوط وروى الطبراني ثلاثة لا يقبل لهم شهادة أن لا إله إلا الله الراكب والمركوب والراكبة والمركوبة والامام الجائر وروى ابن ماجه من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وأما الآيات فمنها قوله تعالى في حق قوم لوط (أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون) وقوله تعالى (ونجيناه) أي لوطا (من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين) قال العلماء فأعظم خبائثهم إتيان الذكور بحضرة

---

(١) قوله فقال أبو حنيفة الخ والذي يخطر بالبال ان في كتب أئمتنا الحنفية أنه لو أتى بهيمة تذبح وتحرق حتى لا يبقى العار فليراجع اه منه (٢) قوله تخوم الارض هي الحدود التي بينك وبين جارك اه منه

بعضهم ومنها إنهم كانوا يتضارطون فى مجالسهم و يمشون و يجلسون كاشفى عوراتهم وكانوا يتحنون ويتزينون كالنساء وذكر عن ابن عباس من خبائثهم عشر تصفيف الشعر ورمى البندق والحذف بالحصا واللعب بالحمام الطيارة وقد ورد من لعب بالحمام لم يمت حتى يذوق ألم الفقر والصفير بالأصابع وفرقعة العلك و إسبال الازار و إدمان شرب الخمر و إتيان الذكور وستزيد عليها هذه الأمة مساحقة النساء وروى أيضا من أعمالهم اللعب بالنرد والمهارشة بين الكلاب والمناطحة بالكباش والمناقرة بالديوك ودخول الحمام بلا مئزر ونقص المكيال والميزان (ولنذكر لكم) قصة إهلاك قوم لوط عليه السلام لتزدادوا عبرة واتعاظا فنقول قال فى التبصرة قوله تعالى (ولما جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا) لوط عليه السلام ابن هاران بن تارخ فهو ابن أخى ابراهيم الخليل عليه السلام وكان قد آمن به وهاجر معه الى الشام بعد نجاته من النار فنزل ابراهيم فلسطين (١) ونزل لوط الاردن (٢) فأرسل الله تعالى لوطا الى أهل سدوم (٣) وكانوا مع كفرهم بالله عز وجل يرتكبون الفاحشة فدعاهم الى عبادة الله تعالى ونهاهم عن الفاحشة فلم يزدهم ذلك إلا عتوا فدعا الله تعالى أن ينصره عليهم فبعث تعالى جبريل وميكائيل واسرافيل فاقبلوا امشاة فى صورة رجال شبان فنزلوا على ابراهيم عليه السلام فقام يخدمهم وقدم اليهم الطعام فلم يأكلوا فقالوا الانأكل طعاما إلا بثمنه قال فان له ثمنا قالوا ماهو قال تذكرون اسم الله عز وجل على أوله وتحمدونه على آخره فنظر جبريل الى ميكائيل وقال حق لهذا أن يتخذه الله خليلا (فلما رأى أيديهم لاتصل إليه نكرهم) أى خاف أن يكونوا لصوصا فقالوا لاتخف (إنا أرسلنا إلى قوم لوط) فضحكت سارة تعجبا وقالت نخدمهم بأنفسنا ولا يأكلون طعامنا فقال جبريل أيتها الضاحكة أبشرى باسحق ومن وراء اسحق يعقوب وكانت بنت تسعين سنة وابراهيم ابن مائة وعشرين سنة فلما سكن روع ابراهيم وعلم أنهم ملائكة أخذ يناظرهم وقال أتهلكون قرية فيها أربعمائة مؤمن قالوا لا قال أربعون قالوا لا قال أربعة عشر قالوا لا وكان يعدهم أربعة عشر مع امرأة لوط (قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها) فسكن واطمأنت نفسه ثم خرجوا من عنده فجاؤا الى لوط وهو فى أرض له يعمل فيها فقالوا إنا متضيفوك الليلة فانطلق بهم والتفت اليهم فى بعض الطريق فقال أما تعلمون مايعمل أهل هذه القرية والله ماأعلم على ظهر الارض أخبث منهم فلما دخلوا منزله انطلقت امرأته فأخبرت بهم قومها قوله تعالى (سىء بهم) أى أساءه مجىء الرسل لانه لم يعرفهم نخاف عليهم من قومه (وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب) أى شديد (وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل) مجىء الأضياف (كانوا يعملون السيآت قال) لوط (ياقوم هؤلاء بناتى) يعنى النساء ولكونهن من أمته صار كالأب لهم (هن أطهر لكم) أى أحل (فاتقوا الله) أى احذروا عقوبته (ولاتخزون فى ضيفى) أى لاتفعلوا بهم فعلا يوجب حيائى (أليس منكم رجل رشيد) فيأمر بمعروف وينهى عن منكر (قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق) أى من حاجة (وإنك لتعلم مانريد) أى مانريد الا الرجال لا النساء (قال لو أن لى بكم قوة) أى جماعة أقوى بها عليكم (أو آوى إلى ركن شديد) أى الى عشيرة منيعة وانما قال هذا لانه كان أغلق بابه وهم يعالجون الباب و يرومون تسور الجدار فلما رأت الملائكة مايلقى من الكرب (قالوا يالوط إنا رسل ربك) فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا واستأذن جبريل ربه فى عقوبتهم فأذن له فضرب بجناحه وجوههم فأعماهم فانصرفوا يقولون النجاء النجاء فان فى بيت لوط أسحر قوم فى الارض وجعلوا يقولون كما أنت حتى تصبح يوعدونه فقال لهم لوط متى موعد هلاككم قالوا الصبح قال لو

---

(١) قوله فلسطين هى كورة بالشام و بلد بالعراق كما فى القاموس اه منه (٢) قوله الأردن هى كورة بالشام اه منه (٣) قوله سدوم فى القاموس سدوم اسم لقرية قوم لوط فاغلط فيه الجوهرى والصواب بالذال المعجمة سذوم اه منه

أهلكتموهم الآن فقالوا (أليس الصبح بقريب) ثم قالت الملائكة له (فاسر بأهلك) فخرج بامرأته وابنتيه وغنمه و بقره (بقطع من الليل) أى ببقية تبقى من آخره وأوحى الله عز وجل الى جبريل تول هلاكهم فلما طلع الصبح غدا عليهم جبريل واحتمل بلادهم على جناحه وكانت خمس قرى أعظمها سدوم فى كل قرية مائة ألف فلم ينكسر فى وقت رفعهم اناء ثم صعد بها حتى خرج الطير فى الهوى أين يذهب وسمعت الملائكة نباح كلابهم ثم كفأها عليهم وسمعوا وجبة شديدة فالتفتت امرأة لوط فرماها جبريل بحجر فقتلها ثم صعد حتى أشرف على الارض فجعل يتبع مسافرهم ورعاتهم ومن تحول عن القرية فرماهم بالحجارة حتى قتلهم وكانت الحجارة من سجيل * قال أبو عبيد هو الشديد الصلب من الحجارة (مسومة) أى معلمة قال ابن عباس كان الحجر أسود وفيه نقطة بيضاء وقال الربيع كان على كل حجر منها اسم صاحبه (وماهى من الظالمين ببعيد) تخويفا للمخالفين (خاتمة مهمة) قال فى الزواجر فى هذه الأمة قوم يقال لهم اللوطية وهم ثلاثة أصناف صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون ذلك العمل الخبيث ولذا قال بعضهم النظر الى المرأة والأمرد زنا لما صح عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال زنا العين النظر وزنا اللسان النطق وزنا اليد البطش أى اللمس وزنا الرجل الخطا والنفس تتمنى وتشتهى وروى ان وفد عبد القيس لما قدموا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان فيهم أمرد حسن فأجلسه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خلف ظهره وقال انما كانت فتنة داود عليه السلام من النظر وكان يقال النظر بريد الزنا وفى الحديث الذى رواه المنذرى يقول الرب جل جلاله النظرة سهم من سهام ابليس من تركها من مخافتى أبدلته إيمانا يجد حلاوته فى قلبه ولقد أحسن من قال

كل الحوادث مبدأها من النظر * ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء مادام ذا عين يقلبها * فى أعين العين موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت فى قلب صاحبها * فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر ناظره ماضر خاطره * لا مرحبا بسرور عاد بالضرر

ولأجل ذلك بالغ الصالحون فى الاعراض عن المرد والنظر اليهم ومجالستهم قال الحسن بن ذكوان لاتجالسوا أولاد الأغنياء فان لهم صورا كصور العذارى وهم أشد فتنة من النساء ولذا حرم كثير من العلماء الخلوة بالأمرد كالنساء بل الفتنة به أعظم لأنه يمكن فى حقه من الشر مالا يمكن فى حق النساء فهو بالتحريم أولى (أقول) ولذا روى عن الامام مالك وكذا الامام أحمد ان لمسه بشهوة ناقض كالمرأة وسواء فى كل ماذكر النظر من الصالح والطالح ومن خالف هذا فقد زين له الشيطان عمله قال ابن حجر دخل سفيان الثورى وناهيك به علما و زهدا الى الحمام فدخل عليه صبى حسن الوجه فقال أخرجوه عنى فانى أرى مع كل امرأة شيطانا ومع كل صبى بضعة عشر شيطانا وجاء رجل إلى الامام أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه ومعه صبى حسن الوجه فقال له الامام من هذا منك قال ابن أخى قال لاتجىء به الينا مرة أخرى ولا تمش معه فى الطريق لئلا يظن بك من لايعرفك ولا تعرفه سوأ وقد نبه القرآن العظيم على إن النظر سبب للفعل الوخيم المستوجب للعذاب الأليم فى قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم و يحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون) قال ناصر السنة ابن الجوزى فى تبصرته وقد كان بعض السلف رحمة الله عليهم يبالغون فى الاحتراز من النظر حذرا من فتنته وخوفا من عقوبته فأما فتنته فكم من عابد خرج من صومعته بعد تعبده بسبب نظره وأما عقوبته فقد روى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتشلشل دما فقال له مالك قال مرت بى امرأة فنظرت اليها فلم أزل أتبعها ببصرى فاستقبلنى جدار فقصر بنى فصنع بى ماترى فقال ان الله عز وجل اذا أراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبته فى الدنيا وعن أبى الأديان قال كنت مع أستاذى أبى بكر

الدقاق فرحدث فنظرت اليه فرآنى أستاذى وأنا أنظر اليه فقال يابنى لتجدن غبها ولو بعد حين فبقيت عشرين سنة وأنا أراعى ذلك الغب فنمت ليلة وأنا أتفكر فيه فاصبحت وقد نسيت القرآن كله وعن أبى عبد الله الزراد أنه رؤى فى المنام فقيل له مافعل الله بك قال غفر لى كل ذنب أقررت به إلا واحدا استحييت أن أقر به فواقفنى فى العرق حتى سقط لحم وجهى قيل ما الذنب قال نظرت الى شخص جميل وقد روى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال كل عين باكية يوم القيامة الا عين غضت عن محارم الله وعين سهرت فى سبيل الله وعين يخرج منها مثل الذباب يعنى الدموع من خشية الله (١) فيا اخوانى تذكروا مصير الصور وتفكروا فى نزول الحفر واعلموا أن المصير الى القبور وان الله سبحانه يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور إن الدنيا سموم قاتلة والنفوس عن مكايدها غافلة فكم نظرة تحلو فى العاجلة ومرارتها لا تطاق فى الآجلة فالى متى عينك مطلقة فى الحرام وقلبك لا يخشى الملك العلام فيا عجبا للمشغولين باوطارهم عن ذكر أخطارهم لو تفكروا فى حال صفائهم فى أكدارهم (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) الدنيا دار الآفات والمحن كم غرت غرا وما فطن أرته ظاهرها والظاهر حسن فلما فتح عين الفكر من رقاد الوسن قال رب ارجعون وان ويح المقتولين بسيف اغترارهم والشرع ينهاهم عن أوزارهم (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) أين أرباب الهوى والشهوات ذهبت والله اللذات دون التبعات وندموا اذ قدموا على مافات وتمنوا بعد يبس العود وهيهات فتامح فى الآثار سوأ اذكارهم (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) نازلهم الموت على الذنوب وأسروا فى قيود الجهل والعيوب فرحلت لذات خلت من الأفواه والقلوب وحزنوا على الفائت ولا حزن يعقوب حين أخرجوا من ديارهم فى تباب أدبارهم وعصا التوبيخ فى أدبارهم (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) اللهم وفقنا للهدى واعصمنا من أسباب الجهل والردى وسلمنا من آفات النفوس فانها شر العدا واجعلنا من المنتفعين بوعظ خيارهم (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) اللهم اجعل أبصارنا مصروفة الى طاعتك وجوارحنا مشغولة بعبادتك وأذهب ظلمة قلوبنا بنور مغفرتك اللهم انا ان عصيناك بجوارحنا فقلوبنا بتوحيدك طائعة وأفئدتنا عند الشدائد اليك راجعة فندعوك اللهم اضطرارا بذل العبودية ووثوقا بكرم الربوبية متبرئين من حولنا وقوتنا راجعين الى حولك وقوتك أن تغفر ذنوبنا وتحسن فى الدارين عواقبنا وترحمنا والدينا والمسلمين وتصلى وتسلم على محمد واخوانه النبيين والمرسلين وعبادك الصالحين وآله أجمعين

﴿ المجلس السابع والعشرون ﴾

(فى التزوج ومايتعلق باحكام النساء)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى لامثل له يوجد ولا اله سواه يعبد ولا كريم غيره يقصد قدرته تجمع ما انتشر وتبدد ومشيئته تظهر ما تكون وتجدد وارادته نافذة بمن ألحد ووحد وحلمه يسع من عتى وتمرد ولا يعزب عن سمعه صوت

---

(١) تنبيه فيه فائدتان يكثر وقوعهما والناس عنهما غافلون الاولى ان نظر الكافرات إلى عورات المسلمات حرام كالرجال عند إمامنا الاعظم وكذا رؤية النساء وتلذذهن برؤية الرجال الثانية قال أبو الوفاء بن عقيل الحنبلى يحرم خلوة النساء بالخصيان والمجبوبين اذ غاية ماتجد فيهم عدم العضو أو ضعفه ولا يمنع ذلك لامكان الاستمتاع بحسهم ولمسهم واعتناقهم والخصى يقرع قرع الفحل والمجبوب يساحق انتهى وسنذكر بعض هذا فى الدرس الآتى ان شاء الله تعالى فلا تغفل اهـ منه

الحمام اذا غرد ولا أنين المذنب اذا قام يتهجد ولا يغيب عن نظره سواد النمل فى الليل الأسود ذاب لهيبته الصخر والجلمد وأحاط علمه بمجال الفكر كلما جال وتردد وتنزه عن الشريك وتعالى عن المعين والصاحبة والولد (قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد) أحمده وهو أحق من يحمد وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة تقبل وتصعد وأشهد أن سيدنا وسندنا وذخرنا وملاذنا محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله المزمل المدثر الحامد الأحمد وأصلى وأسلم عليه وعلى آله وصحبه وجنده وحزبه لاسيما على أبى بكر الصديق أول من أنفق وأسعد وعلى عمر بن الخطاب المحدث (١) الموفق الأرشد وعلى عثمان بن عفان الكريم الأمجد وعلى على بن أبى طالب بحر العلم الزاخر الذى لا ينفد صلاة وسلاما دائمين باقيين ماغنى حمام على غصن وغرد ﴿ أما بعد ﴾ فقد روى الامام مسلم والامام البخارى عليهما رحمة الملك البارى عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه تعالى وسلم يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء (٢) (فنقول) وبالله تعالى التوفيق قد تقدم ان الزنا ودواعيه من الكبائر وان صاحبه ممقوت فى الدنيا وهالك فى اليوم الآخر ومن أعظم أسبابه الداعية لذلك من المرأة والرجل عدم الزواج اذ بالعزوبة يكون له زواج فلذلك ولأجل بقاء نوع بنى آدم الى ماشاء الله تعالى أمر الله تعالى فى كتابه الكريم بالنكاح وحض عليه رسوله الرؤف الرحيم وأباح لنا منه ماأباح فلنبين لكم فى هذا الدرس ان شاء الله تعالى مايتعلق بذلك لتسلكوا منه أحسن المسالك فاسمعوا وعوا واقبلوا مارونه العلماء واتبعوا قال الشعرانى فى الميزان أجمع الأمة على أن النكاح من العقود الشرعية المسنونة بأصل الشرع واتفق الأئمة على استحبابه لمن تاقت نفسه اليه وخاف الزنا ويكون فى حقه أفضل له من الحج والجهاد والصلاة والصوم التطوع واتفقوا على أنه اذا قصد نكاح امرأة سن له نظره الى وجهها وكفيها خلافا لداود فانه قال يجوز النظر الى سائر جسدها خلا السوأتين وأما ما اختلفوا فيه فمن ذلك قول مالك والشافعى ان النكاح مستحب لمحتاج اليه يجد أهبته مع قول أحمد انه متى تاقت نفسه اليه وخشى العنت وجب ومع قول أبى حنيفة انه يستحب مطلقا بكل حال ومع قول داود الظاهرى بوجوبه مطلقا على الرجل والمرأة لكن مرة فى العمر (قلت) لكن فى الدر المختار للحصكفى الحنفى والنكاح يكون واجبا عند التوقان فان تيقن الزنا إلا به فرض أو تسرى جارية وهذا ان ملك المهر والنفقة وسنة حال الاعتدال أى القدرة على وطئ ومهر ونفقة ومكروها لخوف الجور فان تيقنه حرم ذلك وينبغى النظر اليها قبله ومن ذلك قول الشافعى وأحمد انه لايصح العقد إلا بولى ذكر فان عقدت المرأة النكاح فهو باطل مع قول أبى حنيفة ان للمرأة أن تتزوج بنفسها وان توكل فى نكاحها اذا كانت من أهل التصرف فى مالها ولا اعتراض عليها الا أن تضع نفسها فى غير كفء فهنالك يعترض الولى عليها ومع قول مالك ان كانت ذا شرف ومال يرغب فى مثلها لم يصح نكاحها إلا بولى وان كانت بخلاف ذلك جاز أن يتولى نكاحها أجنبى برضاها ومع قول داود ان كانت بكرا لم يصح نكاحها بغير ولى وان كانت ثيبا صح ومن ذلك قول الشافعى ان للجد والأب تزويج البكر بغير رضاها صغيرة كانت أو كبيرة وبذلك قال مالك فى الجد وهو أشهر الروايتين عن أحمد فى الجد مع قول أبى حنيفة ان تزويج البكر البالغة العاقلة بغير رضاها لا يصح لأحد ومع قول مالك وأحمد فى احدى الروايتين انه لايثبت للجد ولاية الاجبار بخلاف الأب ومن ذلك قول الثلاثة أنه لا يجوز لغير الأب تزويج الصغيرة حتى تبلغ وتأذن مع قول أبى حنيفة ان ذلك يجوز لسائر العصبات غير أنها يثبت لها الخيار اذا بلغت

---

(١) قوله محدث كمحمد الصادق قاله فى القاموس اهـ منه (٢) قوله فى القاموس وجى ءدق عروق خصيبه بين حجرين ولم يخرجهما والمراد من الحديث ان الصوم بمنزلة الخصاء له اهـ منه

ومن ذلك قول الشافعى وأحمد أنه لا يثبت النكاح الا بشاهدين عدلين ذكرين مع قول أبى حنيفة انه ينعقد برجل وامرأتين وبشهادة فاسقين ومن ذلك قول الثلاثة انه يجوز للمسلم أن يتزوج كتابية من وليها الكتابى خلافا لأحمد ومن ذلك اذا تزوجها لأجل أن تحل للأول فعند أبى حنيفة النكاح صحيح وعن مالك وأحمد أنه لا يصح وعن الشافعى أنه مكروه والبحث فى ذلك طويل ومن ذلك قول أبى حنيفة انه لا يفسخ النكاح بشئ من العيوب وانما للمرأة الخيار فى الجب والعنة فقط مع قول مالك والشافعى انه يثبت فى ذلك كله الخيار الا فى الفتق ومع قول أحمد بثبوته فى الكل والعيوب تسعة وهى الجنون والجذام والبرص والجب والعنة والقرن وهو عظم فى الفرج والرتق وهو انسداده والفتق وهو انخراقه والعفل وهو لحم يكون فى الفرج ومن ذلك ان أقل الصداق عند أبى حنيفة ما تقطع به يد السارق وهو عشرة دراهم أو دينار وعند مالك ثلاثة دراهم وقال الشافعى وأحمد لا حد لأقله ومن ذلك قول الشافعى ان العزل (١) عن الحرة ولو بغير اذنها جائز مع الكراهة مع قول الثلاثة أنه لا يجوز الا باذنها انتهى باقتصار ولنذكر لكم الأحاديث والآثار قال فى كشف الغمة كان صلى الله عليه وسلم يقول اذا أفاد أحدكم امرأة أو خادما أو دابة فليأخذ بناصيتها وليقل اللهم انى أسألك من خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أراد أن يلقى الله عز وجل طاهرا مطهرا فليتزوج الحرائر رواه فى الترغيب وروى أيضا عن عبد الله بن عمرو بن العاص الدنيا متاع وخير متاعها امرأة تعين زوجها على الآخرة مسكين مسكين رجل لا امرأة له مسكينة مسكينة امرأة لا زوج لها وعن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أربع من أعطيهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وبدنا على البلاء صابرا وزوجة لا تبغيه حوبا (٢) فى نفسها وماله وعن محمد بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه رضى الله تعالى عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة من السعادة المرأة تراها تعجبك وتغيب تأمنها على نفسها ومالك والدابة تكون طيبة فتلحقك بأصحابك والدار تكون واسعة كثيرة المرافق وثلاثة من الشقاوة المرأة تراها تسوءك وتحمل لسانها عليك وان غبت لم تأمنها والدابة تكون قطوفا فان ضربتها أتعبتك وان تركتها لم تلحقك بأصحابك والدار تكون ضيقة قليلة المرافق رواه الحاكم وعن أنس رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله تعالى فى الشطر الآخر رواه الطبرانى وعن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله تعالى إلا ذلا ومن تزوجها لمالها لم يزده الله تعالى إلا فقرا ومن تزوجها لحسنها لم يزده الله تعالى إلا دناءة ومن تزوج امرأة لم يردها الا أن يغض بصره ويحصن فرجه ويصل رحمه بارك الله تعالى له فيها وبارك لها فيه وقال تزوجوا الولود فانى مكاثر بكم الأمم وقال ان من أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله وقال لا ينظر الله الى امرأة لا تشكر لزوجها وهى لا تستغنى عنه ولذلك ورد أيضا فى حديث آخر لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها وفى حديث آخر اذا دعى رجل امرأته الى فراشه فلم تأته فبات وهو عليها غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح وفى حديث آخر اذا خرجت من بيتها وزوجها كاره لعنها كل ملك فى السماء وكل ملك فى الأرض وقد أمر الرجال أيضا بالاحسان اليهن ومداراتهن فقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام انه قال كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت رواه أبو داود وروى الشيخان كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته فالامام راع ومسؤل عن رعيته والرجل راع فى أهله وهو مسؤل عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسؤلة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده وهو مسؤل عن رعيته

(١) قوله العزل هو أن يخرج ذكره عند ارادة الانزال اه منه (٢) الحوب الاثم وله معان أخر اه منه

والرجل راع فى مال أبيه وهو مسؤل عن رعيته فكلكم راع ومسؤل عن رعيته وروى مسلم والترمذى أفضل دينار أنفقه الرجل دينار على عياله ودينار ينفقه على دابته فى سبيل الله تعالى ودينار ينفقه على أصحابه فى سبيل الله وروى الطبرانى من أنفق على نفسه نفقة يستعف بها فهى صدقة ومن أنفق على امرأته وولده وأهل بيته فهى صدقة وروى أيضا أول ما يوضع فى ميزان العبد نفقته على أهله وفى حديث آخر ما من مسلم يكون له ثلاث بنات فينفق عليهن إلا كن له حجابا من النار وفى رواية فأدبهن وأحسن اليهن وزوجهن فله الجنة وأخرج الطبرانى ما من ذى محرم يأتى ذو رحمه اليه فيسأله فضلا أعطاه الله تعالى اياه فيبخل عليه الا أخرج الله تعالى من جهنم حية يقال لها شجاع تتلمظ فتطوق به وقال صلى الله تعالى عليه وسلم استوصوا بالنساء (١) فان المرأة خلقت من ضلع أى خلقت حواء من ضلع آدم اليسرى وان أعوج ما فى الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل أعوج وفى رواية فدارها تعش بها ولذلك أمر الرجال بالعدل بين النساء فقد روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال من كانت عنده امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط حتى عد ذلك ابن حجر من الكبائر وعد منها أيضا افشاء أحدهما سر صاحبه فقد أخرج مسلم وأبو داود عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى الى امرأته وتفضى اليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه وروى أبو داود ألا عسى أحدكم أن يخلو بأهله يغلق بابا ثم يرخى سترا ثم يقضى حاجته ثم اذا خرج حدث أصحابه بذلك ألا عسى احداكن أن تغلق بابها وترخى سترها فاذا قضت حاجتها حدثت صواحبها فقالت امرأة يا رسول الله انهن ليفعلن وانهم ليفعلون قال فلا يفعلوا فان ذلك مثل شيطان لقى شيطانة على قارعة الطريق فقضى حاجته ثم انصرف وتركها وكذلك من الكبائر أن يجامع الرجل حليلته بحضرة امرأة أجنبية أو رجل وكذا من الكبائر لبس المرأة ثوبا رقيقا يصف بشرتها وميلها واما لتها فقد أخرج مسلم وغيره عنه صلى الله تعالى عليه وسلم صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا والمراد كاسيات صورة عاريات معنى بان يلبسن ثوبا رقيقا روى ابن حبان يكون فى آخر أمتى رجال يركبون على سرج كأشباه الرحال ينزلون على أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات على رؤسهم كأسنمة البخت العجاف إلعنوهن فانهن ملعونات عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان أختها أسماء دخلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أسماء ان المرأة اذا بلغت زمن الحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا وأشار الى وجهها وكفيها * ومن الكبائر أيضا ما تستعمله النساء من الرقى (٢) وتعليق التمائم والخرز فقد روى عن عقبة قال سمعت

(١) وعلى ذلك قوله تعالى ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة اه منه

(٢) وليعلم ان الرقى بالآيات القرآنية والآيات الشرعية واردة فى الأحاديث النبوية ومنها على ما فى زاد المعاد ما هو لعسر الولادة قال عبد الله بن الامام أحمد رأيت أبى يكتب للمرأة اذا عسر عليها ولادتها فى جام أبيض أو شئ نظيف حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنه لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها ويروى انه كان يكتبه أيضا بزعفران وعن ابن عباس قال مر عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام على بقرة قد اعترض ولدها فى بطنها فقالت يا كلمة الله ادع الله أن يخلصنى الله مما أنا فيه فقال

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من علق تميمة فلا أتم الله له ومن علق ودعة ودع الله له وعن أبى مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان الرقى والتمائم والتولة شرك والتولة شئ تصنعه النساء يتحببن الى أزواجهن فاعتقاد ذلك حرام لانه من السحر ويعتقدون انها تجلب نفعا أو تدفع ضررا لكن تعليق الآيات القرآنية جائز وكذلك جعلها رقية لمريض أو لديغ لانها شفاء ورحمة بخلاف الألفاظ التى لا يعرف معناها من غير اللغات العربية فانه لا يجوز قراءته ولا التعوذ به كما هو مفصل فى الكتب الشرعية ومن الكبائر أيضا الوشم وايصال الشعر ونحو ذلك فقد روى عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما أنها قالت جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان لى ابنة عروسا وانه أصابها حصبا فتمزق شعرها وسقط أفأصله فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والواشرة والمستوشرة والمتفلجة للحسن المغيرة خلق الله قال العلماء والنامصة ناتفة الشعر من الوجه والواشرة التى تنشر الاسنان حتى تكون محدودة رقيقة تفعله المرأة الكبيرة تشبها بالحديثة السن والواشمة التى تغرز اليد أو نحوها بابرة ثم تحشى بالكحل أو بدخان الشحم حتى يخضر لكن لا بأس بالخضاب فقد كانت عائشة رضى الله تعالى عنها تقول للنساء ليس عليكن بأس فى الخضاب بالحناء بين كل حيضتين أو عند كل حيضة فان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يكره الرجلة من النساء ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة أظفارها بيض فأمرها أن تخضبهم بالحناء وقالت عائشة دخل علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعندنا امرأة فى خباء فأخرجت يدها من تحت الستارة تسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كأن كفها كف سبع لتخضب إحداكن يديها ولا تتشبه بالرجال وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يأمر أهل العروس باصلاح أمرها للدخول وأن يكثروا عليها من الطيب بعد غسل رأسها وبدنها وان يلبسوها الحلى وكذلك كان يأمر أهل الزوج لكن ينبغى للمرأة ان لا تظهر زينتها للاجانب فقد أخرج أبو داود عنه عليه الصلاة والسلام قال كل عين زانية والمرأة اذا استعطرت فمرت بالمجلس فهى زانية وروى ابن ماجه بينما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى المسجد دخلت امرأة من مزينة ترفل فى زينة لها فى المسجد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم يا أيها الناس انهوا نساءكم عن لبس الزينة والتبختر فى المسجد فان بنى اسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبختروا فى المساجد وكما يستحب تزين المرأة لزوجها يستحب له أيضا التزين لها فقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول إغسلوا ثيابكم وخذوا من شعوركم واستاكوا وتزينوا فان بنى اسرائيل لم يكونوا يفعلوا ذلك فزنت نساؤهم وكان عطاء رضى الله تعالى عنه يقول سمعت ابن عباس يقول انى أحب أن أتزين لزوجتى كما أحب أن تتزين لى واعلموا أن السيوطى قد روى فى كتابه الاجر الجزل فى الغزل عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور وقد ورد فى فضل الغزل أحاديث كثيرة منها عن عبد الله بن ربيع قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علموا أبناءكم السباحة والرماية ونعم لهو المؤمنة فى بيتها الغزل وعن ابن عباس مرفوعا لا تعلموا نساءكم الكتابة ولا تسكنوهن العالى وقال خير لهو المؤمن السباحة وخير لهو المرأة المغزل وعن سهل قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عمل الأبرار من الرجال الخياطة وعمل الأبرار من النساء الغزل وعن ابن عباس عنه صلى الله تعالى عليه وسلم زينوا مجالس نساءكم بالمغزل وقال زياد

يا خالق النفس من النفس ويا مخلص النفس من النفس ويا مخرج النفس من النفس خلصها قال فرمت بولدها فاذا هى قائمة تشمه قال فاذا عسر على المرأة ولدها فاكتبه لها اه وقد ذكرنا رواية أخرى فى هذا الكتاب فتذكر اه منه

دخلت على أم سلمة رضى الله عنها وبيدها مغزل لتغزل به فقلت كلما أتيتك وجدت فى يدك مغزلا فقالت انه يطرد الشيطان ويذهب حديث النفس واذ بلغنى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال إن أعظمكن أجرا أطولكن طاقة والأحاديث كثيرة ﴿تنبيه يلزم بيانه﴾ لما ذكرنا أن المرأة عورة ويقتضى أن لا تبدى زينتها للاجانب (فنقول) اختلفوا فى حدود العورة فى الصلاة للرجل فقال أبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد فى إحدى الروايتين عنه هى ما بين السرة والركبة وقال أحمد فى الأخرى وهى أيضا رواية عن مالك القبل والدبر فى الرجل (١) واختلفوا فى ركبته فقال أبو حنيفة وبعض أصحاب الشافعى عورة وأحمد ومالك ليست بعورة والسرة بالاجماع ليست بعورة واختلفوا فى عورة الحرة فقال أبو حنيفة كلها عورة الا الوجه والكفين والقدمين وقد روى عنه أن القدمين منها عورة ومالك والشافعى كلها عورة الا وجهها وكفيها وعن أحمد روايات منها أنها كلها عورة الا وجهها خاصة واختلفوا فى عورة الأمة فقال مالك والشافعى هى كعورة الرجل. وعن أبى هريرة كعورة الحرة وعن أحمد روايتان إحداهما ما بين السرة والركبة والأخرى القبل والدبر وقال أبو حنيفة عورة الأمة كعورة الرجل الا انه زاد فقال جميع بطنها وظهرها عورة وهذا بالنسبة الى الصلاة وأما بالنسبة الى الحرمة فمدارها الشهوة سواء كان ذكرا أم أنثى ويجوز النظر الى العورة لأمور منها لأجل تحمل الشهادة على الزنا لا للتلذذ وكذا نظر القابلة (٢) والخافضة والختان والطبيب والاحتقان والبكارة فى العنة والرد بالعيب وليعلم ان كشف العورة لغير ضرورة حرام بل عده كثير من العلماء من الكبائر للاحاديث الواردة بذلك روى البيهقى إحفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك قيل فاذا كان أحدنا خاليا قال الله أحق أن يستحى منه من الناس وروى الامام أحمد ان الله تعالى حيى ستير يحب الحياء والستر فاذا اغتسل أحدكم فليستتر وروى الديلمى لا تدخلوا الماء الا بمئزر فان للماء عينين وروى عبد الرزاق وابن جريج قال بلغنى أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خرج فاذا هو بأجير له يغتسل عاريا فقال لا أراك تستحيى من ربك خذ إجارتك لا حاجة لنا بك قال ابن حجر وأخرج النسائى والترمذى وصححه الحاكم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام وروى ابن ماجه وأبو داود ستفتح عليكم أرض العجم وستجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات فلا يدخلنها الرجال الا بالازر وامنعوها النساء إلا مريضة أو نفساء وفى رواية من دخله فليستتر وفى رواية لا تدخله وإن بازار ودرع وخمار وما من امرأة تنزع خمارها فى غير بيت زوجها إلا كشفت الستر فيما بينها وبين ربها وروى الشيرازى من دخل الحمام بغير مئزر لعنه الملكان وروى الطبرانى شر البيت الحمام تعلو فيه الأصوات وتكشف فيه العورات فمن دخله فلا يدخله إلا مستترا وروى ابن السنى وابن عساكر نعم البيت يدخله الرجل المسلم بيت الحمام وذلك انه اذا دخله سأل الله الجنة واستعاذ بالله من النار وبئس البيت يدخله الرجل المسلم بيت العروس وذلك انه يرغبه فى الدنيا وينسيه الآخرة وروى البيهقى أول من دخل الحمامات وصنعت له النورة سليمان بن داود فلما دخله قال أوه (٣) من عذاب الله قبل ان لا يكون أوه وروى ابن عساكر اذا كان آخر الزمان حرم دخول الحمام على ذكور أمتى بمآزرها قالوا لم ذاك يا رسول الله قال لانهم يدخلون على قوم عراة ألا وقد لعن الله الناظر والمنظور اليه وقال زكريا الساجى لا تجوز شهادة من دخل الحمام بغير مئزر أو وقع فى نهر بغير مئزر وفى كتاب نصاب الاحتساب للشيخ عمر الحنفى ان المرأة يجوز لها أن تنظر الى المرأة الا

---

(١) قوله قال بعضهم وهذا عند مالك فى الصلاة فقط وأما خارجها وبالنظر الى النظر فغير القبل والدبر من الفخذين ونحوهما أيضا عورة عنده ويحرم نظره فلا تغفل اه منه (٢) قوله والخافضة اى التى تختن المرأة اه منه (٣) قوله أوه فيها لغات كثيرة كلمة تقال عند الشكاية أو التوجع اه منه

مانحت السرة الى الركبة وانه لايحل لامرأة مسلمة إن تتجرد بين يدى امرأة مشركة الا أن تكون المشركة أمة لها اه وفى كتب الأئمة الحنفية رواية عن الامام الأعظم ان الكافرة بالنسبة الى النساء المسلمات كالرجل فلا يجوز أن يطلعها على مالا يحل للرجال رؤيته منهن وصرح بن عقيل الحنبلى والحنفية ان خلوة الخصى والمجبوب بالنساء حرام وكذا اخصائه والناس عن جميع هذه المسائل غافلون فانا لله وانا اليه راجعون (فعليكم عباد الله) بتحصين فروجكم وستر عوراتكم وغض أبصاركم واصلاح أنفسكم والعدل بين أزواجكم والتعليم لأولادكم والتزود لآخرتكم وتفكروا فى صحيفة قد اسودت وفى نفس كلما نصحت صدت وفى كف المنايا فقد امتدت وفى ذنوب ماتحصى لو عدت فيا ذاهبا فى شططه يا متعرضا بعقوبة الله وسخطه أما تعلم ان الزمان يهدم الاعمار ويكفى علمك بان الموت لايبقى أحدا فى هذه الدار فليتنبه الحى قبل أن يموت وليستدرك عمرا فى كل آن يفوت فأموالكم بعدكم مواريث وأنتم عن قليل أحاديث فيا هذا تعمر من الحرام قصرك والأيام تخرب عمرك فهلا عرفت أن عمرك فى مدة حياتك معدود وان جسمك بعد مماتك يأكله الدود فتهيأ للموت فكأن قد لاح وطلع ومن أحاطت به أشراك الهوى(١) لابدّ أن يقع فأين النفوس التى كانت فى طلب المعاصى هائمه أقعدتها محن البلايا بعد أن كانت قائمه أين عاد وثمود والامم المتقادمه بيناهم فى خطاياهم اذا بلاياهم قادمه هجموا على المخالفات فاذا الآفات هاجمه أخذوا على ذنوبهم وأسروا وبيعوا بهم المترا كمه ذهب الفرح وجاء الترح فاذا النفوس واجمه أصبحت دموعهم اذ تفرقت جموعهم على خدودهم ساجمه وأما الصالحون الذين هم لهواهم زاجرون فهم فى الجنان (على الأرائك ينظرون) اذ كانوا فى دياجى الليل يسهرون ويصومون وهم على الطعام يقدرون ويسارعون الى مايرضى مولاهم ويبادرون فقد أبدلهم بتعب تلك الطاعات لذة السكون (على الارائك ينظرون) يا حسنهم والولدان بهم يحفون والملائكة لهم يزفون والخدام بين أيديهم يقفون وقد أمنوا ما كانوا يخافون (على الارائك ينظرون) وبالحور الحسان هم وأزواجهم يخدمون وفى خيام اللؤلؤ يتنعمون وعلى أسرة الذهب والفضة يتزاورون وبالوجوه الناضرة يتقابلون (على الارائك ينظرون) فنسألك يا من يقول للشئ كن فيكون أن تهب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين وأن تجعلنا للمتقين اماما وممن الى الخيرات يسارعون وعلى الارائك ينظرون ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ولا تجعلنا من الذين لأوزارهم يحملون بل اجعلنا يا إلهنا من عبادك الذين يرثون الفردوس وهم فيها خالدون على الارائك ينظرون وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين

﴿ المجلس الثامن والعشرون ﴾

(فى التطفيف والربا والبيع والشراء)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله القديم ولا يقال متى كان العظيم فلا يحويه مكان أنشأ آدم وأخرج ذريته بنعمان(٢) ورفع ادريس الى أعالى الجنان ونجى نوحا وأهلك كنعان وسلم الخليل بلطفه يوم النيران ويوسف من الفاحشة حين البرهان وبعث شعيبا إلى مدين فنهى عن البخس والعدوان ويناديهم فى ناديهم ولكن صمت الأذان وقد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان أحمده حمدا يملأ الميزان وأصلى على رسوله محمد الذى فاق دينه الأديان وعلى صاحبه أبى بكر أول من جمع القرآن وعلى الفاروق الذى كان يفرق منه الشيطان وعلى زوج الاثنتين

(١) نسخة الهلاك اه منه (٢) قوله نعمان وادوراء عرفة وهو نعمان الاراك اه منه

عثمان وعلى على بحر العلوم ومبيد الشجعان وعلى بقية آله وأصحابه وذريته وأزواجه ماسمع صوت أذان ﴿أما بعد﴾ فقد قال تعالى فى كتابه الكريم (ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين) الآيات (فنقول) وبالله تعالى التوفيق اختلف العلماء فى هذه السورة فقيل مكية وقيل مدنية وقيل نزلت بين مكة والمدينة ليصلح الله تعالى أمر أهل المدينة قبل ورود رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخرج النسائى والبيهقى فى شعب الايمان أنه لما قدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله تعالى ويل للمطففين فأحسنوا الكيل بعد ذلك وقال السدى قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله تعالى هذه الآية وأما ويل فاختلف فيه العلماء فقيل الويل شدة الشر وقيل الحزن والهلاك وقيل العذاب الأليم وقيل جبل فى جهنم وذهب كثير الى أنه واد فى جهنم لان فيه أودية وجبالا ونحو ذلك من النار أعاذنا الله تعالى وايا كم منها فنها على مافى البحور الزاخرة ويل فقد أخرج الامام أحمد عن أبى سعيد عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ويل واد فى جهنم يهوى به الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره ومنها الغى فهو واد فى جهنم خبيث الطعم بعيد القعر يقذف به الذين يتبعون الشهوات ومنها آثام وهو واد فيه حيات وعقارب العقرب مثل البغل ومنها الفلق وان جهنم لتتأذى منه ومنها جب الحزن فقد روى أبو هريرة نعوذ بالله من جب الحزن قالوا وما جب الحزن قال واد فى جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم مائة مرة قيل يارسول الله من يدخله قال القراء المراؤن باعمالهم ومنها هبهب ففى الخبر عن أبى بردة عن أبيه مرفوعا ان فى جهنم واديا ولذلك الوادى بئر يقال له هبهب حقا على الله أن يسكنها كل جبار متكبر وأخرج الامام أحمد يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صور الناس يعلوهم كل شئ من الصغار حتى يدخلوا سجنا فى جهنم يقال له بولس (١) فتعلوهم نار الانيار يسقون من طينة الخبال عصارة أهل النار وأخرج ابن أبى الدنيا عن عمر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لايلى أحد من أمر الناس شيأ الا أوقفه الله تعالى على جسر جهنم فزلزل به الجسر زلزلة فناج أو غير ناج لايبقى منه عظم الا فارق صاحبه فان هو لم ينج ذهب به فى جب مظلم كالقصر فى جهنم لايبلغ قعره سبعين خريفا وأخرج أبو نعيم ان طارقا قال لسليمان بن عبد الملك يا أمير المؤمنين ان صخرة كانت على شفير جب فى جهنم هوت فيها سبعين خريفا حتى استقرت أتدرى لمن أعدها الله تعالى قال لا ويلك لمن أعدها الله تعالى قال لمن أشركه الله تعالى فى حكمه فجار قال فبكى لها ومن جبالها صعود قال تعالى (سأرهقه صعودا) قال ابن عباس هو جبل فى النار يزلق الكافر(٢) فيه كلما صعده وقال ابن السائب هو جبل من صخرة ملساء فى النار يكلف أن يصعدها حتى إذا بلغ أعلاها انحدر إلى أسفلها ثم يكلف أن يصعدها فذلك دأبه أبدا يجذب من أمامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع الحديد فيصعدها فى أربعين سنة ومنها العقبة كما قال تعالى (فلا اقتحم العقبة) هو جبل زلزال فى جهنم وأخرج البخارى فى تاريخه عن نفير بن مجيب قال ان فى جهنم سبعين ألف واد فى كل واد سبعون ألف شعب فى كل شعب سبعون ألف دار فى كل دار سبعون ألف بيت فى كل بيت سبعون ألف بئر فى كل بئر سبعون ألف ثعبان فى شدق كل ثعبان سبعون ألف عقرب لاينتهى الكافر أو المنافق حتى يواقع ذلك كله قال المنذرى فيه سعيد الحمصى ضعفه ابن معين وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء كالليل المظلم وقال الضحاك جهنم سوداء وماؤها أسود وشجرها

(١) قوله بولس بضم الباء الموحدة وفتح اللام اه منه (٢) فى نسخة الفاجر اه منه

أسود وأهلها سود وقد دل على سواد أهلها قوله تعالى كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون فنعوذ بالله تعالى من جميع ذلك ونسأله السلامة في الدنيا والآخرة من كافة المهالك فقد تبين ان ويل واد في جهنم وهو معدود للمطففين (والتطفيف) لغة التقليل فالمطفف هو المقلل حق صاحبه بنقصانه عن الحق في كيل أو وزن قال الزجاج انما قيل له مطفف لانه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان الا الشئ اليسير الطفيف وروى أن أهل المدينة كانوا تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس قيل يا رسول الله وما خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد الا سلط الله تعالى عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر ولولا البهائم لم يمطروا وأخرج سعيد بن منصور عن سلمان رضي الله تعالى عنه قال انما الصلاة والمكيال فمن أوفى وفي له ومن طفف فقد سمعتم ما قال الله تعالى في المطففين وعن أبي بن كعب لا تلتمسوا الحوائج ممن رزقه في رؤس المكاييل وألسن الموازين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها الا الأمانة قال يؤتى بالعبد يوم القيامة وان قتل في سبيل الله فيقال أد أمانتك فيقول أي رب كيف وقد ذهبت الدنيا قال فيقال انطلقوا به الى الهاوية فينطلق به الى الهاوية وتمثل له أمانته كهيئتها يوم دفعت اليه فيراها فيعرفها فيهوى في أثرها حتى يدركها فيحملها على منكبيه حتى اذا نظر ظن أنه خارج زلت عن منكبيه فهو يهوى في أثرها أبد الآبدين ثم قال الصلاة أمانة والوضوء أمانة والوزن أمانة والكيل أمانة وأشياء عددها وأشد ذلك الودائع قال ابن حجر رحمه الله تعالى قال مالك بن دينار رضي الله تعالى عنه دخلت على جار لي وقد نزل به الموت فجعل يقول جبلين من نار جبلين من نار قال فقلت ما تقول قال يا أبا يحيى كان لي مكيالان كنت أكيل بأحدهما وأكتال بالآخر قال يا مالك فمت فجعلت أضرب أحدهما بالآخر فكلما ضربت أحدهما بالآخر ازداد الأمر عظما وشدة فمات في مرضه قال وقال بعض السلف أشهد على كل كيال بالنار لانه لا يكاد يسلم إلا من عصمه الله تعالى وقال بعضهم دخلت على مريض قد نزل به الموت فجعلت ألقنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها فلما أفاق قلت له يا أخي مالي ألقنك الشهادة ولسانك لا ينطق بها قال يا أخي لسان الميزان على لساني يمنعني من النطق بها فقلت له بالله أكنت تزن ناقصا قال لا والله ولكني كنت أقف مدة لا أعتبر صفحة ميزاني فاذا كان هذا حال من لا يعتبر صفحة ميزانه فكيف حال من يزن ناقصا قال ابن حجر كالكيالين والوزانين التجار اذا شددوا أيديهم في الذرع وقت البيع وأرخوها وقت الشراء وهذا من تطفيف فسقة البزازين والتجار وان العرق يوم القيامة يلجمهم الى أنصاف آذانهم ثم بعد ذلك إما إلى الجنة وإما الى النار ونحو هذا بل أشد منه تغيير حدود الارض والسرقة من أرض جارك فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين وروى الامام أحمد أيما رجل ظلم شبرا كلفه الله تعالى أن يحفره حتى يبلغ سبع أرضين ثم يطوقه يوم القيامة حتى يقضى بين الناس وروى الطبراني من أخذ من طريق المسلمين شبرا جاء يوم القيامة يحمله من سبع أرضين نقله في الترغيب ويقرب من هذا اكراء شئ من الشوارع والطرق وأخذ أجرته وان كان حريم ملكه أو دكانه حتى عده بعضهم من الكبائر قال العلامة ابن حجر ومن ثم قال الأوزاعي فيما يفعله وكلاء بيت المال في الشوارع من نحو أخذ أجرة من الجالسين لا أدري بأي وجه يلقى الله عز وجل من يفعل ذلك ونحو ذلك بل أضر منه انفاق الفلوس الزيف وغير الخالصة وضربها يعني سكها واعطائها للناس ولو علم الآخذ ذلك حتى قال في كتاب نصاب الحسبة ناقلا عن العلماء ان انفاق درهم

مزيف أشد من سرقة مائة درهم جيادلان سرقتها معصية واحدة منقضية وأما انفاق الزيف وهي القلب سيئة يعمل بها ما بقي ذلك الدرهم يدور في أيدي الناس ويكون الاثم على فاعله ومعطيه الى آخر فنائه ومن ألقاه في البحر أو أذابه في النار فهو أفضل له من أن يتصدق بمثله وأفضل من كثرة الصلاة والصوم النافلتين انتهى ومثل ذلك في الاشتراك بالاثم من اشترى مالا مسروقا فقد روى أبو هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من اشترى سرقة وهو يعلم أنها سرقة لقد أشرك في عارها وإثمها رواه البيهقي وكما ان التطفيف حرام فكذا الغش في البيع حرام فقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال ما هذا يا صاحب الطعام قال أصابته السماء يا رسول الله قال أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا وروى الامام أحمد عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال مر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بطعام وقد حسنه صاحبه فأدخل يده فيه فاذا طعام ردئ فقال بع هذا على حدة وهذا على حدة فمن غشنا فليس منا وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم لا تشوبوا اللبن للبيع ألا وان رجلا ممن كان قبلكم جلب خمرا الى قرية فشابها بالماء فاضعف أضعافا فاشترى قردا فركب البحر حتى اذا لجج فيه ألهم الله تعالى القرد صرة الدنانير فأخذها فصعد الدقل ففتح الصرة وصاحبها ينظر اليه فأخذ دينارا فرمى به في البحر ودينارا في السفينة حتى قسمها نصفين رواه في الترغيب وغيره عن البيهقي وروى الامام أحمد المسلم أخو المسلم ولا يحل لمسلم اذا باع من أخيه بيعا فيه عيب أن لا يبينه وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم وكذا الاحتكار من الكبائر روى عبد الله بن فضلة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من احتكر طعاما فهو خاطئ وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من احتكر طعاما أربعين ليلة فقد برئ من الله وبرئ الله منه وأيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى رواه أحمد وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الجالب مرزوق والمحتكر ملعون من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والافلاس وعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول بئس العبد المحتكر ان أرخص الله الاسعار حزن وان أغلاها فرح وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من دخل في شئ من أسعار المسلمين يغلي عليهم كان حقا على الله أن يقذفه في النار رأسه أسفله رواه الحسن وكذا كره النجش وهو أن يزيد في ثمن السلعة وهو لا يريد شراءها أو يمدحها ليروجها والبيع على بيع الغير والشراء على شرائه وتلقي الجلب لشراء الطعام من خارج البلدة وبيع العبد المسلم للكافر وكذا المصحف وكتب العلم الشرعي له وعد بعضهم جميع ذلك من الكبائر (قلت) ويلحق به بيع الاسلحة والخيل للحربيين وعد منها بيع الأمة ووطؤها قبل استبرائها وكذلك عد منها أيضا منع ماء الفحل فقد روى البزار عن بريدة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين ومنع فضل الماء ومنع الفحل (١) وكذا كره التفرقة بين الوالدة وولدها بالبيع عن أبي أيوب رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة وروى أبو موسى لعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من فرق بين الوالدة وولدها وبين الأخ وأخيه وكذا يحرم مطل الغني عن علي كرم الله تعالى وجهه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لا يحب الله الغني الظلوم وهو الذي يمطل دائنه ولا الشيخ

(١) قوله منع الفحل بان يكون عنده مثلا فرس أو حمار فيأخذ لنزوانه للانثى دراهم والا منعه فذلك حرام اه منه

الجهول ولا الفقير المختال وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته رجل أعطى به (١) ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره رواه البخاري وكذا يحرم انفاق السلعة بالحلف الكاذب أخرج مسلم والأربعة عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ثلاثة لا ينظر الله اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ثلاث مرات قلت خابوا وخسروا من هم يا رسول الله قال المسبل إزاره والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب وفي رواية ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة أشيمط (٢) زان وعائل مستكبر ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري الا بيمينه ولا يبيع الا بيمينه وروى الشيخان ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم رجل على فضل ماء بفلاة يمنعه ابن السبيل ورجل بايع رجلا سلعة بعد العصر (٣) فحلف بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه وأخذها وهو على غير ذلك ورجل بايع إماما لا يبايعه الا للدنيا فان أعطاه منها ما يريد وفى له وان لم يعطه لم يوف له وفي رواية ورجل حلف على سلعة لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب فاليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع ويقال لها الغموس لانها تغمس صاحبها في النار عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين واليمين الغموس وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من اقتطع مال امرئ مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار قيل وان يسيرا قال وان سواكا وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من لقي الله لا يشرك به شيأ وأدى زكاة ماله طيبة بها نفسه محتسبا وسمع وأطاع فله الجنة وخمس ليس لهن كفارة الشرك بالله وقتل النفس بغير حق وبهت مؤمن والفرار من الزحف ويمين صابرة يقتطع بها مالا بغير حق رواه الامام أحمد * وليعلم أن كفارة اليمين اذا حنث الحالف اطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة بالاتفاق والحالف مخير في فعل أيها شاء فان لم يجد انتقل الى صيام ثلاثة أيام والرقبة شرطها أن تكون مؤمنة خلافا للامام أبي حنيفة * واعلم أن الأئمة اختلفوا في اليمين الغموس وهي الحلف بالله تعالى على أمر ماض متعمدا للكذب فيه فعند أبي حنيفة ومالك وأحمد في احدى روايتيه انها لا كفارة لها لأنها أعظم من أن تكفر لأنها تغمس صاحبها في النار وعند الشافعي وأحمد في الرواية الأخرى أنها تكفر أي يلزم فيها الكفارة المذكورة وأما اليمين اللغو فعند أبي حنيفة ومالك وأحمد في احدى روايتيه هو أن يحلف على أمر يظنه على ما حلف عليه ثم يتبين أنه بخلافه سواء قصده أم لم يقصده فسبق على لسانه سواء كان في الماضي أم في الحال وقال أحمد إنه في الماضي فقط وقال الشافعي لغو اليمين ما لم يعقده كقوله لا والله وبلى والله عند المحاورة والغضب واللجاج من غير قصد سواء كان على ماض أم مستقبل وهي رواية عن مالك وأحمد أيضا واختلفوا فيها فقالت الأئمة الثلاثة لا اثم في لغو اليمين ولا كفارة لقوله تعالى (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) وقال أحمد ان فيه الاثم ولذلك كان الامام الشافعي يقول ما حلفت بالله تعالى صادقا ولا كاذبا فتبين ان الايمان ثلاثة منعقدة وهي التي فيها الكفارة بالاتفاق وهي أن يحلف على شئ أن يفعله أو لا يفعله فيحنث فتلزمه الكفارة المذكورة وغموس ولغو قال العلماء واليمين التي تلزم فيها الكفارة هي ما كانت بالله تعالى أو بصفاته أو بالقرآن العظيم وعند الامام أحمد في رواية عنه لو حلف بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انعقد يمينه فان حنث لزمته الكفارة وأما ما عدا ذلك فلا يجوز به الحلف ولا تجب كفارة قال الأئمة وكما ان الحلف بالله تعالى كاذبا حرام كذلك الحلف بغير الله حرام سواء كان صادقا أم كاذبا فعن ابن عمر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى

(١) أي عاهد بالله عز وجل ثم غدر ونقض عهده اه منه (٢) قوله اشيمط مصغر أشمط والشمط محركة بياض شعر الرأس يخالط سواده اه منه (٣) لانه بعد العصر تختم صحيفة أعمال النهار اه منه

الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ومن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت وسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجلا يحلف بأبيه فقال لا تحلفوا بآبائكم من حلف بالله فليصدق ومن حلف له فليرض ومن لم يرض بالله فليس من الله وعن ابن عمر أنه سمع رجلا يقول لا والكعبة فقال ابن عمر لا تحلف بغير الله فاني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك وعن عبد الله ابن مسعود قال لأن أحلف بالله كاذبا أحب الي من أن أحلف بغيره وأنا صادق قال علي الرازي أخاف على من يقول بحياتي وحياتك الكفر * ولنرجع الى ما نحن بصدده من الكبائر العظيمة الربا في البيع والشراء وهو بضع وسبعون بابا وأدناها كمن يقع على أمه كما رواه البزار ولنذكر ما يتعلق ببعضه من الآيات والأحاديث والاحكام قال الله تعالى (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم) يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي أعدت للكافرين) فتأمل هذه الآيات التي اشتملت على عقوبة آكل الربا وينكشف ذلك للاحاديث الواردة أيضا فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الربا سبعون حوبا أيسرها أن ينكح الرجل أمه وقال عليه الصلاة والسلام اذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله تعالى وروى الامام أحمد ما من قوم يظهر فيهم الربا إلا أخذوا بالسنة (١) وما من قوم يظهر فيهم الرشا (٢) إلا أخذوا بالرعب (٣) وقال عليه الصلاة والسلام إن آكل الربا يعذب من حين يموت إلى يوم القيامة بالسباحة في نهر أحمر مثل الدم وانه يلقم الحجارة كلما ألقم حجرا اسبح به ثم عاد فاغرا فاه فيلقم حجرا آخر وهكذا إلى البعث وتلك الحجارة هي نظير المال الحرام الذي جمعه في الدنيا ولذلك قال سبحانه (يمحق الله الربا) أي يصير عاقبته إلى الفقر (ويربي الصدقات) أي يزيدها في الدنيا بسؤال الملك له أن يعطيه الله عز وجل خلفا كما جاء في الأحاديث إنه ما من يوم إلا وفيه ملك ينادي اللهم أعط منفقا خلفا وبأنه يزداد كل يوم جاهه وذكره الجميل وميل القلوب اليه والدعاء الخالص له من قلوب الفقراء وروى البيهقي خطبنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر أمر الربا وعظم شأنه وقال إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله تعالى من ستة وثلاثين زنية يزنيها الرجل وان أربا الربا عرض الرجل المسلم ومن نبت لحمه من سحت فالنار أولى به وروى أربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة مدمن خمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم والعاق لوالديه وروى البخاري لعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم آكل الربا وموكله والمصورين ونهى عن ثمن الكلب وكسب البغي وهي الفاجرة وروى ابن مسعود رضي الله تعالى عنه آكل الربا وموكله وشاهداه وكاتباه إذا علموا به والواشمة والمستوشمة للحسن (٤) ولاوي الصدقة والمرتد أعرابيا بعد الهجرة ملعونون على لسان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات أي المهلكات قالوا يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا

(١) قوله بالسنة أي بالقحط اه منه (٢) قوله الرشا جمع الرشوة اه منه (٣) قوله بالرعب أي بالخوف من الأعداء اه منه (٤) قوله ولاوي الصدقة أي المماطل فيها اه منه

وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وقال قتادة آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا قالوا والدليل على ذلك قوله تعالى فى أكلة الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس أى من أجل مسه له أو من جهة الجنون فانهم يوم القيامة كلما قاموا سقطوا على وجوههم وجنوبهم كالمصروعين وسر ذلك أن السحت ربا فى بطونهم حتى أثقلها وزاد عذابهم اهـ ومن جملة أبواب الربا ما اعتاده كثير من التجار والمتمولين والدائنين من الدراهم التى يأخذونها ويسمونها نزول الوعدة عن المديونين وكذا انتفاع المرتهن بنماء ملك الراهنين وكذا إعطاء دراهم وأخذ غيرها فى غير بلد لسلامة خطر الطريق وكذا إعطاء دراهم معروفة (١) عند أربابها لسلامة المال الموضوع فى السفن من غرق وحريق وكذا البيوع الفاسدة والعقود الكاسدة فانه يجب على العاقدين فسخها رعاية وامتثالا لشريعة سيد المرسلين عليه وعلى آله وأصحابه أفضل صلاة المصلين وأزكى سلام المسلمين ومن المحرمات أيضا على ما قال بعضهم الحيلة فى التخلص من الربا كما يفعله كثير من الربويين من بيع شئ بثمن وفير للمديونين فقد أباحه الامامان أبو حنيفة والشافعى وقال الامام مالك والامام أحمد بالتحريم ونقل ابن حجر فى الزواجر عن بعضهم أن آكله بالحيلة يحشر فى صورة الكلاب والخنزير من أجل تحيلهم على أكل الربا كما مسخ أصحاب السبت حين تحيلوا فى اصطياد الحيتان التى نهاهم الله تعالى عن اصطيادها يوم السبت بحفر الحياض لتقع فيها يوم السبت حتى يأخذوها يوم الأحد فلما فعلوا ذلك مسخوا قردة وخنازير نعوذ بالله تعالى من ذلك (٢) ﴿تنبيه﴾ أجمعوا على أن الاعيان المنصوص على تحريم الربا فيها ستة الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والزبيب والملح وأجمعوا على أنه لا يجوز بيع الذهب بالذهب منفردا والورق بالورق منفردا تبرها ومضروبها وحليها الا مثلا بمثل وزنا بوزن يدا بيد ويحرم نسيئة واتفقوا على أنه لا يجوز بيع الحنطة بالحنطة والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح اذا كان بعيار الامثلا بمثل ويدا بيد ويجوز بيع التمر بالملح والملح بالتمر متفاضلين يدا بيد قاله فى الميزان وفى كتب أئمتنا الحنفية الربا هو فضل مال خال عن عوض شرط لاحد العاقدين فى معاوضة مال بمال وعلته القدر والجنس والمراد من القدر الكيل فى المكيلات والوزن فى الموزونات فحرم بيع الكيلى أو الوزنى بجنسه متفاضلا أو نسيئة ولو غير مطعوم كالجص والحديد وحل متماثلا مع التقابض فان وجد الوصفان حرم الفضل والنساء وان عدما حلا وان وجد أحدهما فقط حل التفاضل لا النساء وتفصيل مسائله والاختلاف فى بعضها فى الكتب الفقهية من أرادها فليرجع اليها * ولنذكر لكم الترغيب فى حسن البيع والشراء وشبه ذلك مما يوجب الثواب فى دار الجزاء فمنه المسامحة فيهما روى البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رحم الله عبدا سمحا إذا باع سمحا إذا اشترى سمحا إذا اقتضى وعن عثمان رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أدخل الله عز وجل رجلا كان سهلا مشتريا وبائعا (٣) وقاضيا ومقتضيا وروى من كان هينا لينا قريبا حرمه الله على النار رواه مسلم ومنه انظار المعسر عن حذيفة رضى الله تعالى عنه عن

(١) وتسمى الآن سكوستر وهى لفظة أفرنجية اهـ منه (٢) ومن أخبث أنواع الربا ما يقامر عليه فى النرد ونحوه فقد روى أنه عليه الصلاة والسلام قال من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده فى دم خنزير ولحمه قال العلماء سر هذا التشبيه والله أعلم ان اللاعب لما كان مقصوده أكل المال بالباطل الذى هو حرام كحرمة لحم الخنزير وتوصل اليه بالقمار وظن انه يفيده حل المال كان كالمتوصل الى أكل لحم الخنزير بذكاته اهـ باختصار من كلامهم وسيأتى فى بعض الدروس اهـ منه (٣) قوله وقاضيا ومقتضيا أى اذا أعطى دينه واذا طلب من الناس اهـ منه

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال أتى الله بعبد من عباده آتاه الله مالا فقال له ماذا عملت فى الدنيا قال ولا يكتمون الله حديثا قال يارب آتيتنى مالا فكنت أبايع الناس وكان من خلقى الجواز فكنت أيسر على الموسر وأنظر المعسر فقال الله تعالى أنا أحق بذلك منك تجاوزوا عن عبدى ولذا كان فى بيع السلم الشرعى بركة فقد روى ابن عباس عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة فيهن البركة البيع الى أجل والمفاوضة وخلط البر بالشعير للأكل لا للبيع ومنه إقالة النادم وهى من خصال أهل الجنة فعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أقال مسلما بيعته أقاله الله تعالى عثرته يوم القيامة وفى رواية من أقال مسلما عثرته أقاله الله عثرته يوم القيامة وفى رواية من أقال أخاه بيعا أقال الله عثرته يوم القيامة ومنه صدق التجار موجب للنجاة من النار فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التاجر الصدوق تحت ظل العرش وروى عن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان التاجر اذا كان فيه أربع خصال طاب كسبه إذا اشترى لم يذم وإذا باع لم يمدح ولم يدلس فى البيع ولم يحلف فيما بين ذلك وعن معاذ قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إن أطيب الكسب كسب التجار الذين اذا حدثوا لم يكذبوا وإذا إئتمنوا لم يخونوا وإذا وعدوا لم يخلفوا وإذا اشتروا لم يذموا وإذا باعوا لم يمدحوا وان كان عليهم لم يمطلوا وإذا كان لهم لم يعسروا وقال ان التجار يبعثون يوم القيامة فجارا إلا من اتقى وبر وصدق رواه الترمذى لانهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون ومنه عدم خيانة الشريكين لانه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يقول الله أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه فاذا خانه خرجت من بينهما وفى رواية وجاء الشيطان فعليكم عباد الله بعدم تطفيف الموازين والتجنب عن الربا فانه منقصة للدين وذلة للقاسطين فالويل كل الويل لمن لم يسمع كلام رب العالمين (ويل للمطففين) فالأسف لمن باع دينه بحبة طعام وواها لمن طفف الكيل ولم يراقب الملك العلام واشترى النار بكسرة لما تحمل من الأوزار والآثام ألم يعلم أن الله لا يهدى كيد الخائنين (ويل للمطففين) ليت شعرى هلا اتعظ آكل الربا بأمثاله وتفكر بعاقبة أحواله وأبصر نمو الصدقة ومحق الربا لماله وينظر الى قول من كتب رزقه وهو جنين (ويل للمطففين) ان آكل الربا كمن جاء أمه كما أخبر الصادق نبى الأمه وان الكاذب فى بيعه يسقيه الشجاع الأقرع سمه ويحشر يوم القيامة مع المنافقين (ويل للمطففين) يقف لسان الميزان بلسانه عند الممات فيقول رب ارجعون وهيهات فلو كان يعلم هذا حال الحيات لما فات منه ما فات ولأعطى بدل الحبة حبات للمشترين (ويل للمطففين) (١) أيها الخائن تذكر يوم القيامة يوم لا تنفع الأموال والندامه واسلك الآن طريق السلامه قبل أن يؤخذ بالوتين (ويل للمطففين) ويل واد تستغيث منه النار ولا يقر للعاصين فيه القرار ولا يستطيعون الفرار من أبواب غلقت على المعذبين (ويل للمطففين) فتبا للمحتكرين والمقامرين وسحقا لمن يقوم فى المحشر كالمجانين وخسرانا لمن مسته الشياطين ولم يخف ديان يوم الدين يوم هم بارزون لرب العالمين وبعدا لمن تلقى الجلب ولم يتق النار التى أعدت للكافرين (ويل للمطففين) لقد جعلوا البيع مثل الربا ولم يتقوا بالصدقة لهبا وقد أورثهم عز المال ذلا ونصبا وقد خاطبهم فى كتابه المبين يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين (ويل للمطففين) أيها الناس لا تخسروا الميزان واشتروا الجنة بحبة من الديان ولا تجعلوا الله عرضة للايمان وسامحوا فى البيع والشراء فقد سمعتم ما قيل فى المسامحين إن الله يجزى المتصدقين (ويل للمطففين) وتجنبوا الغش والاحتكار فهما سبب الهلاك

(١) بهامش نسخة المؤلف خطبة أخرى

والبوار والافلاس والجذام فى هذه الدار ولهم فى العقبى خزى وعار ونار وقد رأيتم أموال غيركم كيف قسمت على الوارثين (ويل للمطففين) وانظروا الى ماجمعوا من حلال وحرام كيف تنعم بها غيرهم من الأنام وكتبت عليهم تبعاته والآثام و بقوا بذلك السحت للغرماء مطالبين (ويل للمطففين) أما يذكر العاصى ان مأواه اللحود وأن جسمه مأكلة للدود أما يرى المحتكر قبور الأحبة والآباء والجدود فهلا عدل فى الموازين (ويل للمطففين) فليندم آكل السحت على ما أسلف وليرجع المطفف الى المشترى ماطفف وليتب عما أجرم وأسرف قبل أن تؤخذ حسناته فتعطى للطالبين (ويل للمطففين) وفقنا الله تعالى وإياكم لمراضيه وجعل مستقبل حالنا خيرا من ماضيه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما

﴿ المجلس التاسع والعشرون ﴾

(فى الصيد والذبائح وما يناسب ذلك)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى خلق آدم ومامسه وقمر الكون وشمسه واليوم وأمسه عرفه الموحد فنزه قدسه وجهل المشبه فاستفتى حسه فقاس الخالق بالأشياء المحسه كم عثر مبتدع والسنة تصيح به تعسه وسيحضر يوم الحساب ويرى جزاء ماافترى (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه) أحمده حق حمده وأنى وليت وأقر بأنه يخرج الحى من الميت ويكثر لسانى الصلاة على نبيه وأنادى ماوفيت وعلى صاحبه أبى بكر المقدم وان أبيت وعلى عمر الذى كسر كسرى وقد رأيت وعلى عثمان ذى النورين وإن تعاميت وعلى علىّ الذى لايبغضه إلا منافق خرب البيت وعلى بقية الآل والصحابة وأهل البيت (أما بعد) فقد قال الله تعالى فى كتابه المبين (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وماذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا * فمن اضطرّ فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم * يسئلونك ماذا أحل لهم * قل أحلّ لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب * أليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهنّ أجورهنّ) الآية (ونقول) وبالله تعالى التوفيق وبيده أزمة التحقيق هذه الآيات الجليلة من سورة المائدة وهى مدنية بالاجماع على ماقاله القرطبى وعن محمد بن كعب أنها نزلت فى حجة الوداع فيما بين مكة والمدينة وأخرج أبو عبيد عن ضمرة بن حبيب قال قال رسول الله صلى الله

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى لم يزل عظيما عليا يخذل عدوا وينصر وليا أنشأ الآدمى خلقا سويا ثم قسمهم رشيدا وغويا رفع السماء سقفا مبنيا وسطح المهاد بساطا مدحيا ورزق الخلائق بريا وبحريا كم أجرى لعباده سريا أخرج منه لحما طريا كم أعطى ضعيفا مالم يعط قويا فبلغه على الضعف ضعف المراد ووهب له على الكبر الأولاد كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا أحمده إذ أفضل وأعطى شبعا وريا وأصلى على رسوله محمد أفضل من أمتطى سريا وعلى أبى بكر الذى أنفق وماقلل حتى تخلل ويكفى زيا وعلى عمر الذى كان مقدما فى الجد جريا وعلى عثمان الذى لم يزل عفيفا حييا وعلى علىّ أشجع من حمل خطيا ومن خص بالاخوة فهنيأ مريا اه منه

تعالى عليه وسلم المائدة من آخر القرآن تنزيلا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال ميسرة ان الله تعالى أنزل فى هذه السورة ثمانية عشر حكما لم ينزلها فى غيرها من سور القرآن ﴿قلت﴾ ولعلها لهذا افتتحت هذه السورة بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود والمراد بها على ماقال غير واحد ماعقده الله تعالى على عباده وألزمهم به من الاحكام ونحن ان شاء الله تعالى سنبين لكم فى هذا الدرس بعض تلك الأحكام لتعرفوا الحلال منها والحرام فنها حرمة أكل الميتة قال العلماء وانما حرمها الله تعالى الاحالة الاضطرار لان الدم جوهر لطيف فاذا مات الحيوان احتبس الدم وتعفن فيحصل منه مضارّ ويستثنى من ذلك السمك والجراد لقوله عليه الصلاة والسلام أحلت لكم ميتتان ودمان أما الميتتان فالسمك والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال وكذا يستثنى الجنين لان ذكاته ذكاة أمه عند الامام الشافعى ومنها الدم وسبب تحريمه نجاسته وكانوا يملؤن المعى منه ويشوونه ويطعمونه الضيف فحرم الله تعالى ذلك واتفق العلماء على تحريمه ونجاسته قال ابن حجر نعم يعفى عما يبقى فى العروق وعلى اللحم على انه خرج بالمسفوح فى الآية الاخرى كالكبد والطحال ومنها الخنزير وسبب تحريمه نجاسته أيضا قال العلماء ولأن غذاء الحيوان يصير جوهرا من بدنه ويورثه أخلاقا وصفات من جنس ما كان حاصلا فى الغذاء والخنزير مطبوع على أخلاق ذميمة جدّا منها الحرص الفاحش والرغبة الشديدة فى المنهيات وعدم الغيرة فحرم أكله على الانسان لئلا يتكيف بتلك الكيفيات ألا ترى من واظب على أكله كيف أورثه حرصا عظيما على المنهيات وعدم غيرة فانه يرى الذكر من جنسه ينزو على انثاه ولا يمنعه بخلاف الغنم وسائر الحيوانات قال ابن حجر وجملة الخنزير محرمة الاشعره فيجوز الخرز به وخنزير الماء مأكول عندنا انتهى ومنها ماأهلّ به لغير الله أى ذبح على اسم الصنم اذ الاهلال رفع الصوت ومنه فلان أهلّ بالحج اذا لبى وكانوا يقولون عند الذبح باسم اللات والعزى فحرم عليهم فمعنى وما أهل لغير الله به ماذبح للطواغيت والاصنام قاله جمع وقال آخرون يعنى ما ذكر عليه غير اسم الله ونقل ابن حجر فى الزواجر عن العلماء أنه لو ذبح مسلم ذبيحة للتقرب (١) بها الى غير الله عز وجل صار مرتدا وذبيحته ذبيحة مرتد لاتؤكل ونقل ابن عطية عن بعضهم انه استفتى عن امرأة مترفة نحرت جزور الكعبة فأفتى بأنه لايحل أكلها لانها ذبحت لصنم (قلت) ونحو ذلك مايفعله الآن كثير من الجاهلين عند قبور الأولياء المتقين من النذور وتعليق الرايات وشبه هذا من البدع السيآت التى هى للساعة من أعظم الامارات فانا لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ومنها المنخنقة وهى التى تموت خنقا بأن يحبس نفسها بفعل آدمى أو غيره الى أن تموت وكانت الجاهلية يخنقون الحيوان فاذا مات أكلوه ومنها الموقوذة وهى التى وقذت أى ضربت حتى استرخت وماتت ونحوها المقتولة بالبندق فهى فى معنى الميتة والمنخنقة لانها ماتت ولم يسل دمها ومنها المتردية وهى الساقطة من علو كجبل أو شجر أو فى بئر فهلكت وماتت ومنها النطيحة وهى التى نطحتها أخرى فهى أيضا ميتة لفقد سيلان الدم ومنها ما أكل السبع قال قتادة كان أهل الجاهلية اذا جرح السبع شيأ فقتله وأكل بعضه أكلوا مابقى ففى الآية حذف والتقدير وما أكل منه السبع وقوله تعالى (إلا ما ذكيتم) أى إلا ما وجدتم فيه الحياة من المنخنقة ومابعدها أو مما أكل السبع فقط فذكيتموه فهو حلال والا فلا وقيل انه استثناء منقطع من المحرمات المذكورة كأنه قيل لكن ما ذكيتم من غير هذا فحلال ومنها وهو عاشرها ماذبح على النصب أى تذبح للاصنام على اعتقاد تعظيمها أو على حجر منصوب حول الكعبة يذبحون عليها للاصنام ويلطخونها بدمها قال مجاهد وقتادة كان حول الكعبة ثلثمائة وستون حجرا منصوبة يعبدها أهل الجاهلية ويعظمونها ويذبحون لها وليست باصنام وانما الاصنام هى

---

(١) ومما يقرب من ذلك الذبح للقادم عند قدومه كما صرح به الفقهاء فينبغى التحرى عند الذبح وان ينوى أنه لله سبحانه وتعالى وصدقة للفقراء والناس عنه غافلون كما سيأتى تفصيله اه منه

المصورة المنقوشة وكانوا يلطخونها بتلك الأدمية و يضعون اللحم عليها فقال المسلمون يارسول الله كان أهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم فنحن أحق أن نعظمه فسكت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى نزل عليه قوله تعالى (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) ومعنى قوله تعالى وأن تستقسموا بالأزلام النهى عما كان يفعله الجاهلية من ان من أراد منهم سفرا أو حاجة أى حاجة كانت جاء الى سادن الكعبة وكان عنده سبعة قداح أى عيدان مسواة من شوحط وسميت بالأزلام لانها زلمت أى سويت وكان مكتوبا على واحد منها نعم وعلى الآخر لا وقيل مكتوب على بعضها أمرنى ربى وعلى بعضها نهانى ربى وتركوا بعضها غفلا أى خاليا فاذا أرادوا أمرا أو اختلفوا فى نسب جاؤا الى هبل وهو عظيم أصنامهم بدراهم وجزور أونحوه لصاحب القداح حتى يجليها لهم فمعنى الاستقسام طلب معرفة الخير والشر بواسطة القداح ووجه ذكرها مع هذه المطاعم أنها كانت ترفع عند البيت معها قال العلماء ونظير هذا الذى حرمه الله تعالى قول المنجم للمسافر لاتخرج من أجل اقتران نجم كذا بكذا مثلا ونحوه من أخباره بالمغيبات حتى ورد قوله عليه الصلاة والسلام من أتى كاهنا أومنجما وصدقه فقد كفر ونحو ذلك مايفعله كثير من الجهلة من الاستقسام بالصخر الصغار وحبات السبحة ونعيق الغراب أو أخذه عند طيرانه ميمنة أوميسرة ولذا ورد أنه عليه الصلاة والسلام كان يحب الفأل ويكره الطيرة ولقد أحسن من قال

لعمرك ماتدرى الطوارق بالحصى * ولا زاجرات الطير ماالله صانع

وقال جماعة من المفسرين المراد بالآية القمار وقال ابن جبير الازلام حصى كانوا يضربون بها وقال مجاهد هى كعاب فارس والروم التى يتقامرون بها وقال الشعبى الأزلام للعرب والكعاب للعجم * واعلموا أن القمار أيضا من جملة الكبائر قالوا والدليل على ذلك قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) وقوله تعالى (لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) وقوله عليه الصلاة والسلام ان رجالا يخوضون فى مال الله بغير حق فلهم النار وروى البخارى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال من قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق قال العلماء فما ظنك إذا باشر القمار الذى هو الميسر قال العلماء ولاقمار بالمسابقة بالخيل ونحوها كما قال فى المنهاج ويجوز شرط المال من غيرهما ويجوز شرطه من أحدهما فيقول ان سبقتنى فلك على كذا أوسبقتك فلاشئ لى عليك إذلاقمار فان شرط ان من سبق منهما فله على الآخر كذا لم يصح لتردد كل بين أن يغنم أو يغرم وهو القمار المحرم انتهى واعلم أن من جملة أنواع الميسر والقمار اللعب بالشطرنج والنرد حتى عدا من الكبائر أيضا فقد روى أبو موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله وروى مسلم من لعب بالنردشير فكأنما غمس يده فى لحم خنزير ودمه وروى الامام أحمد أنه عليه الصلاة والسلام قال مثل الذى يلعب بالنرد ثم يقوم يصلى مثل الذى يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم و يصلى أى فلاتقبل له صلاة وأخرج الديلمى اذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الأزلام والشطرنج والنرد وما كان من هذه أى وماشابه ذلك من لهو محرم فلاتسلموا عليهم وان سلموا عليكم فلاتردوا عليهم وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الأزلام النرد والشطرنج وما كان من اللهو فلاتسلموا عليهم وقال عليه الصلاة والسلام أشد الناس عذابا يوم القيامه صاحب الشاه يعنى صاحب الشطرنج ومر على كرم الله تعالى وجهه على قوم يلعبون الشطرنج فقال ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون لأن يمس أحدكم جمرا خير من أن يمسها ثم قال والله لغير هذا خلقتم وقال

أيضا رضى الله تعالى عنه صاحب الشطرنج أكثر الناس كذبا يقول قتلت وماقتل ومات ومامات وعن واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله عز وجل فى كل يوم ثلثمائة وستين نظرة الى خلقه ليس لصاحب الشاه فيها نصيب وقال سفيان فى قوله تعالى وأن تستقسموا بالأزلام هى الشطرنج وقال مجاهد رضى الله تعالى عنه مامن ميت يموت الامثل له جلساؤه الذين يجالسهم فاحتضر رجل ممن كان يلعب بالشطرنج فقيل له قل لااله الا الله فقال شاه ثم مات وهذا مصداق الحديث يموت كل انسان على ماعاش عليه و يبعث على مامات عليه ونقل ابن حجر عن فتاوى النووى الشطرنج حرام عند أكثر العلماء وكذا عندنا ان فوت به الصلاة عن وقتها أولعب به على عوض فان انتفى ذلك كره عند الشافعى وحرم عند غيره وقال أيضا فى الزواجر قال الشافعى رضى الله تعالى عنه وأكره اللعب بالحزة والقرق انتهى والحزة بحاء مهملة و زاى مشددة قطعة من خشب يحفر فيها حفر ثلاثة أسطر و يجعل فيها حصيات صغار يلعب بها قد تسمى الأربعة عشر وهى المسماة فى مصر بالمنقلة وفسرها سليم فى تقريبه بأنها خشبة يحفر فيها ثمانية وعشرون حفرة أربعة عشر من جانب وأربعة عشر من الجانب الآخر ويلعب بها فلعلها نوعان والقرق بكسر القاف وسكون الراء وحكى الرافعى عن خط القاضى الرويانى فتحها و يسمى شطرنج المغاربة بأن يخط على الارض خط مربع و يجعل فى وسطه خطان كالصليب و يجعل على رأس الخطوط حصى صغار يلعب بها قال الرافعى هو كالنرد وعن الشيخ أبى حامد أنه كالشطرنج وأما اللعب بالخاتم فكلام الرافعى يقتضى جوازه انتهى وفى نصاب الاحتساب قال عطاء رحمه الله الميسر كل قمار حتى لعب الصبيان بالكعاب قلت ومنه المقامرة بالبيض والجوز والبيع الذى يسمونه يانصيب وشبه ذلك فلاتغفل وبقى فى البحث تفصيلات واختلافات من أرادها فليرجع الى الكتب المفصلات ولنرجع الى مانحن بصدده من بيان أحكام الذبائح والأطعمة والصيد فليعلم أنه لايحل أكل شئ من الحيوانات التى تؤكل الابالذبح أو بجرح الكلب المعلم له كما سنفصله ان شاء الله تعالى فى كتاب الأطعمة والصيد والذبائح من الميزان ماملخصه أجمعوا على أن الذبائح المعتد بها ذبيحة المسلم العاقل الذى يتأتى منه الذبح سواء الذكر والأنثى وأجمعوا على تحريم ذبائح الكفار غير أهل الكتاب وعلى أن الذكاة تصح بكل ماأنهر الدم وحصل به قطع الحلقوم والمرىء من سكين وسيف و زجاج وحجر وقصب له حد يقطع كما يقطع السلاح المحدد واتفقوا على أنه لو أبان الرأس لم يحرم ذلك المذبوح خلافا لسعيد بن المسيب واتفقوا على أن السنة ان تنحر الابل قائمة معقولة وعلى أن تذبح البقر والغنم مضطجعة واتفقوا على جواز الاصطياد بالجوارح المعلمة كالكلب والفهد والصقر والشاهين والبازى الا الكلب الاسود عند الامام أحمد رضى الله تعالى عنه وعن ابن عمر ومجاهد انه لايجوز الا بالكلب فقط واتفق الأربعة انه لو رمى(١) طائرا فجرحه فسقط الى الارض فوجده ميتا حل وأما ما أجمعوا عليه فى الأطعمة فقد أجمعوا على أن لحوم النعم حلال واتفقوا على أن كل طير لامخلب له فهو حلال واتفقوا على أن الأرنب حلال وعلى أن الحلال من حيوان البحر هو السمك واتفقوا على أن الجلالة اذا حبست وعلفت طاهرا حتى زالت رائحة النجاسة حلت عند أحمد و زالت الكراهة عند من لايقول بتحريمها كالأئمة الثلاثة قالوا و يحبس البعير والبقرة أربعين يوما والشاة سبعة أيام والدجاجة ثلاثة أيام وأما ما اختلفوا فيه فمن ذلك قول الأئمة الثلاثة انه لايجوز الذكاة بالسن والظفر مع قول أبى حنيفة تصح اذا كانا منفصلين يعنى عن الذابح ومن ذلك قول مالك يجب قطع هذه الأربعة وهى الحلقوم وهو مجرى النفس والمرىء بالهمز كأمير وهو مجرى الطعام والشراب والودجان تثنية ودج بفتحتين عرقان عظيمان فى جانبى قدام العنق بينهما الحلقوم والمرىء مع قول الشافعى أنه يجب قطع الحلقوم والمرىء فقط ومع قول أبى حنيفة انه يجب قطع ثلاثة من

(١) قوله لو رمى أى بآلة جارحة اه منه

الحلقوم والمرىء والودجين ومن ذلك قول أبى حنيفة والشافعى أنه لو ذبح الحيوان من قفاه وبقى فيه حياة مستقرة عند قطع الحلقوم حل والا فلا وتعرف الحياة المستقرة بالحركة الشديدة مع خروج الدم وقال مالك وأحمد لا تحل بحال ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة انه لو نحر ما يذبح أو ذبح ما ينحر حل مع الكراهة مع قول مالك انه لو ذبح بعيرا أو نحر شاة من غير ضرورة لم يؤكل وحمله بعض أصحابه على الكراهة ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة انه لو ذبح حيوانا مأكولا فوجد فى جوفه جنينا ميتا حل أكله مع قول أبى حنيفة أنه لا يحل ومن ذلك قول الشافعى باستحباب التسمية عند إرسال الكلب المعلم أو نحوه على الصيد وانه لو تركها ولو عامدا لم يحرم مع قول أبى حنيفة انها شرط فى حال كونه ذاكرا فان تركها ناسيا حل أو عامدا فلا ومع قول مالك إنه ان تعمد تركها لم يحل وان نسى ففيه روايتان ومع قول أحمد فى أظهر رواياته انه ان تركها عند إرسال الكلب أو الرمى لم يحل الأكل من ذلك الصيد على الاطلاق عمدا كان الترك أو سهوا ومن ذلك قول أبى حنيفة والشافعى فى أرجح قوليه وأحمد أن الكلب المعلم لو أكل من الصيد حرم وكذا ما صاده قبل ذلك مما لم يأكل منه مع قول مالك والشافعى فى القول الآخر انه يحل ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة انه لو نصب أحبولة فوقع فيها صيد ومات لم يحل مع قول أبى حنيفة انه ان كان فيها سلاح فقتله بحده حل ومن ذلك قول الثلاثة انه لو توحش انسى فلم يقدر عليه فذكاته حيث قدر عليه كذكاة الوحشى مع قول مالك (١) ان ذكاته فى الحلق واللبة ومن ذلك قول الامام الشافعى وأحمد وأبى يوسف ومحمد يحل أكل لحم الخيل مع قول مالك بكراهته وقول أصحابه بحرمته وهو قول أبى حنيفة ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة بتحريم أكل لحم البغال والحمير الأهلية مع قول مالك بكراهته كراهة مطلقة وقال محققو أصحابه انه حرام ومع قول الحسن يحل أكل لحم البغال وقال ابن عباس يحل أكل لحوم الحمر الأهلية ومن ذلك اتفاق الائمة الثلاثة على تحريم كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير يعدو به على غيره كالعقاب والصقر والبازى والشاهين وكذا ما لا مخلب له اذا كان يأكل الجيف كالنسر والرخم والغراب الأبقع والاسود غير غراب الزرع مع قول مالك باباحة ذلك كله على الاطلاق فالاول مشدد وقول مالك فيه تخفيف فرجع الأمر الى مرتبتى الميزان ووجه الاول انه غير مستطاب لأهل الطباع السليمة ولأن فيه قسوة من حيث انه يقسر غيره ويقهره من غير رحمة بذلك الحيوان المقسور فيسرى نظير تلك القسوة فى قلب الآكل له واذا قسا قلب العبد صار لا يحن قلبه الى موعظة وصار كالحمار ومن هنا ورد النهى عن الجلوس على جلود النمار والسباع لأنه يورث القسوة فى القلب كما جرب ووجه تحريم ما يأكل الجيف أنه مستخبث ووجه قول مالك ان بعض الناس يستطيبه فيباح له أكله فان العلة فى تحريم غير المستطاب انما هى من جهة الطب وذلك لأن أكل كل ما لا تشتهيه النفس يكون بطىء الهضم فيورث الامراض عكس أكل

(١) وفى شرح الدردير على مختصر خليل المالكى ان المباح البحرى بأنواعه ولو آدميه وخنزيره وان ميتا وطير بجميع أنواعه ولو ذا مخلب وهو للطائر والسبع بمنزلة الظفر للانسان كالباز والعقاب والرخم الا الوطواط فيكره أكله على الراجح وكذا من المباح اليربوع والخلد وهو فأر أعمى لا يصل للنجاسة وكذا الفأر المعهود مباح حيث لا يصل للنجاسة وما يصل اليها كفأر البيوت يكره على المشهور وكذا من المباح الأرنب والقنفذ والحية ان ذكيت وأمن من سمها وكذا خشاش الارض وهو كعقرب وخنفساء وبنات وردان وجندب ونمل ودود وسوس الى أن قال والمكروه أكله سبع وضبع وثعلب وذئب وهر وان وحشيا وفيل وفهد ودب ونمر وكلب ماء وخنزيره والمعتمد انهما من المباح والمعتمد أيضا ان الكلب الانسى مكروه وقيل حرام ولم يرد قول باباحته وفى كره القرد قولان أرجحهما الكراهة وقيل بل مباح انتهى باختصار ويعرف منه ما فى الميزان فلا تغفل اه منه

الانسان ما تشتهيه نفسه فانه يكون سريع الهضم وكلما اشتدت الشهوة اليه كان أسرع فافهم ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة فى المشهور عنهم انه لا كراهة فيما نهى عن قتله كالخطاف والهدهد والخفاش والبوم والببغاء والطاوس مع قول الشافعى فى أرجح القولين إنه حرام ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة بتحريم أكل كل ذى ناب من السباع يعدو به على غيره كالأسد والنمر والذئب والفيل والدب والهرة الا مالكا فانه أباح أكل ذلك مع الكراهة ومن ذلك قول صاحب التعجيز بتحريم أكل الزرافة مع قول السبكى فى الفتاوى الحلبية إن المختار حل أكلها ومن ذلك قول الشافعى وأحمد بحل الثعلب والضبع مع قول مالك بكراهة أكل لحمهما ومع قول أبى حنيفة بتحريمهما ومن ذلك قول مالك والشافعى باباحة لحم الضب واليربوع مع قول أبى حنيفة بالكراهة ومع قول أحمد باباحة لحم الضب وفى اليربوع روايتان ومن ذلك قول الثلاثة بتحريم أكل جميع حشرات الأرض كالفأر والذباب والدود مع قول مالك بكراهته ومن ذلك قول الثلاثة ان الجراد يؤكل ميتا على كل حال مع قول مالك أنه لا يؤكل منه ما مات حتف أنفه من غير سبب يصنع به ومن ذلك قول مالك والشافعى بحل أكل القنفذ مع قول أبى حنيفة وأحمد بتحريمه ومع قول مالك لا بأس بأكل الخلد والحيات اذا ذكيت والخلد دابة عمياء تشبه الفأر ومن ذلك قول أبى حنيفة وأحمد والشافعى فى أصح قوليه أنه يحرم أكل ابن آوى مع قول مالك انه مكروه ومن ذلك قول أبى حنيفة والشافعى فى أصح قوليه إن الهرة الوحشية حرام مع قول مالك انها مكروهة فقط وعن أحمد روايتان الاباحة والحرمة ومن ذلك قول أبى حنيفة لا يؤكل من حيوان البحر الا السمك وما كان من جنسه خاصة مع قول مالك انه يجوز أكل غير السمك من السرطان وكلب الماء والضفدع وخنزيره لكن الخنزير مكروه عنده وروى انه توقف فيه ومع قول أحمد يؤكل جميع ما فى البحر الا التمساح والضفدع والكوسج ويفتقر غير السمك عنده الى الذكاة كخنزير البحر وكلبه وانسانه ومع قول بعض أصحاب الشافعى وهو الأصح عندهم انه يؤكل جميع ما فى البحر وقال بعضهم لا يؤكل الا السمك وقال بعضهم لا يؤكل كلب الماء ولا خنزيره ولا فأرته ولا عقربه ولا حيته وكل ماله شبه فى البر لا يؤكل ورجح بعض الشافعية ان كل ما فى البحر حلال الا التمساح والضفدع والحية والسرطان والسلحفاة ومن ذلك قول الثلاثة بكراهة أكل لحم الجلالة من بقر وشاة وغيرهما مع قول أحمد بتحريم أكل لحمها ولبنها وبيضها ومن ذلك اتفاق الأئمة الأربعة على تعذر تطهير الدهن المائع اذا تنجس وأن ثمنه حرام مع قول بعضهم ان الدهن يطهر بغسله قلت وقد صرح أئمتنا الحنفية بأنه يغلى مع الماء ثلاث مرات فيطهر وكذلك اتفقوا على جواز الاستصباح به مع قول الشافعى انه لا يجوز الاستصباح به قلت والذى يخطر ببالى انهم خصوه فى غير المسجد وأما فيه فلا يجوز ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة باستحباب ضيافة المسلم للمسلم اذا مر على قريته ولم تكن ذات سوق ولم يكن به ضرورة دون الوجوب مع قول أحمد بوجوب الضيافة المذكورة لكن الوجوب ليلة واحدة والثلاث مستحبة ومتى امتنع من الواجب صار عليه دينا ومن ذلك قول أبى حنيفة والشافعى فى أحد قوليه انه لا يجوز للمضطر الى أكل الميتة ونحوها الشبع وانما يأكل ما يسد الرمق مع قول مالك وأحمد فى احدى روايتيه أنه يشبع اه باختصار ولنذكر من كلام أئمتنا الحنفية فى بحث الذبائح تتميما للفائدة فأقول قال فى الدر وحاشيته حرم حيوان من شأنه الذبح ما لم يذك وذكاة الضرورة جرح لصيد غير مستأنس فى أى موضع وقع من البدن وذكاة الاختيار ذبح بين الحلق واللبة وعروقه الحلقوم وسطه أو أعلاه أو أسفله والمرىء والودجان وحل بقطع أى ثلاث منها وبكل ما أفرى الأوداج وأنهر الدم ولو بنار أو ليطة أو حجر كالسكين الا سنا وظفرا قائمين ولو كانا منزوعين حل مع الكراهة لما فيه من الضرر بالحيوان كذبحه بشفرة كليلة وندب احداد شفرته قبل الاضجاع وكره بعده كالجر برجلها الى المذبح لانها تعرف ما يراد بها كما جاء فى الخبر أبهمت

البهائم الاعن أربعة خالقها ورازقها وحتفها وسفادها وكره ذبحها من قفاها ان بقيت حية حتى تقطع العروق والالم تحل لموتها بلا ذكاة ويكره النخع وهو ابلاغ السكين النخاع وهو عرق أبيض فى جوف عظم الرقبة ويكره أن يمدّ رأسه حتى يظهر مذبحه وكره كسر عنقه قبل أن يسكن عن الاضطراب وكره أيضا كل تعذيب بلا فائدة مثل قطع الرأس والسلخ قبل أن تبرد وكره ترك التوجه الى القبلة لمخالفته السنة وشرط كون الذابح مسلما أو كتابيا ذميا أو حربيا الا اذا سمع منه عند الذبح ذكر المسيح وذبح الشاة يجوز من محرم وغيره ولو فى الحرم ولا تحل ذبيحة وثنى ومجوسى ومرتد قيل وجهمى ونحوه وهو قول ضعيف مردود ولا تحل ذبيحة من تعمد ترك التسمية (١) مسلما أو كتابيا لقوله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) خلافا للشافعى وهو خلاف الاجماع وأما ما استدل به من قوله عليه الصلاة والسلام المسلم يذبح على اسم الله سمى أو لم يسم فمحمول على حالة النسيان وتشترط التسمية من الذابح حال الذبح أو الرمى لصيد أو الارسال لكلب أو نحوه وكفى جرح بقر وغنم توحش فيجرح كصيد أو تعذر ذبحه كان تردّى فى بئر أو ندّ أى نفر أو صال حتى لو قتله المصول عليه مريدا ذكاته حل اذا كان سمى عند جرحه مريدا ذكاته والجنين لا بد من تذكيته ولو ذبح شاة مريضة فتحركت أو خرج الدم حلت والا لا ان لم تدر حياته عند الذبح وان علم حياته حلت مطلقا أى وان لم يتحرك ولم يخرج الدم ولو ذبح لقدوم الأمير ونحوه يحرم وان ذكر اسم الله تعالى عليها ولو ذبح للضيف لا يحرم وان قصد التعظيم لغير الله تعالى قيل يكفر والعضو المنفصل من الحى حكمه كميتته الا من مذبوح قبل موته فيحل أكله لو من الحيوان المأكول لكنه مكروه اه وفى كتاب الزواجر ان من جملة الكبائر المثلة بالحيوان بقطع شئ من نحو أنفه أو أذنه أو وسمه فى وجهه أو اتخاذه غرضا أو قتله لغير الأكل أو عدم احسان ذبحه فقد أخرج أحمد بن حنبل أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من مثل بذى روح ثم لم يتب مثل الله به يوم القيامة وأخرج مسلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم مر بحمار وقد أشعر فى وجهه فقال لعن الله الذى وسمه وصح نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن الضرب فى الوجه وعن الوسم فيه وروى ابن عمر لعن الله من اتخذ شيأ فيه الروح غرضا وهو بالغين المعجمة ما ينصبه الرماة يقصدون إصابته وأخرج النسائى وابن حبان من قتل عصفورا عبثا عج الى الله يوم القيامة يقول ان فلانا قتلنى عبثا ولم يقتلنى منفعة وروى الحاكم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم مر على رجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته وهى تلحظ اليه ببصرها قال أفلا قبل هذا تريد أن تميتها موتات هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها وفى الصحيحين ان امرأة دخلت النار بهرة حبستها وقال عليه الصلاة والسلام من لا يرحم الناس لا يرحمه الله لن تؤمنوا حتى تراحموا ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم ومن الكبائر أيضا الذبح لغير الله تعالى لا على وجه التعظيم والعبادة فان كانت على وجههما فذلك كفر قال ابن حجر وجعل أصحابنا مما يحرم الذبيحة أن يقول باسم الله واسم محمد أو ومحمد رسول الله أو أن يذبح كتابى لكنيسته أو للصليب أو لموسى أو لعيسى أو ذبح مسلم للكعبة أو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أو تقربا للسلطان أو غيره أو للجن فهذا كله ميتة بخلاف ما لو قصد الفرح بقدومه أو شكر الله تعالى عليه أو لله تعالى ليدفع عنه شر الجن ومن الكبائر أيضا تسييب السوائب كما قال تعالى (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) وذلك أن الجاهلية كانوا اذا ولدت الناقة عشرة أبطن شقوا أذنها فيسيبونها فلا تركب ولا يحمل عليها وهى البحيرة وأما

(١) وفى الميزان ان الذبيحة ان ترك التسمية عليها عمدا لم يجز أكلها عند الامام أحمد وان ناسيا ففيه روايتان وبذلك قال مالك وقال الشافعى بالجواز مطلقا والامام أبو حنيفة بالنسيان وتمام البحث فيه وأما الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند الذبح فقال الشافعى باستحبابها وأحمد بعدم مشروعيتها وأبو حنيفة ومالك رضى الله تعالى عنهما بكراهتها اذ ذاك فلا تغفل اه منه

السائبة فهى التى تركت حيث شاءت وقيل كان الرجل اذا مرض أو قدم من سفر سيب بعيره شكرا وقال ابن عباس هى التى تسيب للاصنام وأما الوصيلة فهى اذا ولدت الشاة أنثى فهى لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم فان ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم واما الحام فيقال حماه يحميه اذا حفظه قال السدى هو الفحل الذى يضرب فى الابل عشر سنين فيخلى وقيل ان الفحل اذا ركب ولد ولده قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى حتى يموت ثم قال وقال أصحابنا من ملك صيدا ثم سيبه أثم فيا إخوانى عليكم بأكل الطيبات والرحمة على كافة المخلوقات وامتثال ما أمر به سيد الرسل الكرام والاجتناب عما نهى من الآثام فقد اعذرت اليكم الأيام بمن سلبت من الأنام وأيقظت الخطوب من غفل ونام أما علمتم ان هذه الدنيا غداره أما برد لذاتها ينقلب حراره أما ربحها على التحقيق خساره أما ينقص الدين كلما ازدادت العماره رحل الاخوان ومروا على جدد هذه ديارهم سلوها ما بقى أحد مضت والله الخيل بفرسانها وتهدمت الحصون على سكانها فجز عليها واعتبر بشأنها فتنبه لنفسك أيها الظلوم وتيقظ من رقادك الى كم يا نؤوم وحصل شيأ ترضى به الخصوم فتلك هموم الدنيا وبئس الهموم أتلعب بالزنابير ولم تشرب درياق السموم قد بقى القليل فبادر تحصيل المروم وهذا هاجم الموت قد تهيأ للهجوم أين الذين كانوا فى اللذات يتقلبون ويتجبرون على الخلق ولا يغلبون مزجت لهم كؤس المنايا فباتوا يتجرعون (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) مدوا أيديهم الى الحرام وأكثروا من الزلل والآثام وكم وعظوا بمنثور ومنظوم من الكلام لو أنهم يسمعون (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) حمل كل منهم الى كفن الى بيت البلا والعفن وما صحبهم غيره من الوطن من كل ما كانوا يجمعون ضمهم والله التراب وسد عليهم فى ثراهم الباب وتقطعت بهم الأسباب والاحباب يرجعون (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) أين أموالهم والذخائر أين أصحابهم والعشائر دارت على القوم الدوائر ففيم أنتم تطمعون شغلوا عن الاهل والاولاد وافتقروا الى يسير من الزاد وباتوا من الندم على أخشن مهاد وانما هذا من حصار ما كانوا يزعمون أين الجنود والخدم أين الحرم والحرم أين النعم والنعم بعدما كانوا يرتعون فيما يرتعون (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) لو رأيتهم فى حلل من الندامة إذ برزوا يوم القيامة وعليهم للعقاب علامة يساقون الى الذل لا بالكرامة إلى النار فهم يوزعون (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) يا معشر العاصين قد بقى القليل والأيام تنادى دنا الرحيل وقد صاح بكم إلى الهدى الدليل ان كنتم تسمعون (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) اللهم يا من فاز بطاعته المفلحون ورجا مغفرته العاصون اجعلنا ممن بالمواعظ يتعظون وجد علينا يارب بأفضل ما سألك السائلون وكن لنا يارب فى الحركة والسكون وارحمنا اذا نزلت بنا المنون وأنلنا ما ناله عبادك الصالحون إنك على كل شئ قدير

﴿ المجلس الثلاثون ﴾

(فى زكاة الفطر وتفسير سورة الأعلى)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله المنزه عن الأشباه فى الأسماء والأوصاف المقدس عن الجوارح والآلات والأطراف خضعت لعزته الاكوان وأقرّت عن اعتراف وانقادت له القلوب وهى فى انقيادها تخاف أنزل القطر فمنه الدر تحويه الاصداف ومنه القوت البذر ويربى الضعاف كشف للمتقين اليقين فشهدوا وأقامهم فى الليل فسهروا فأراهم عيب الدنيا فرفضوا وزهدوا وقالوا نحن أضياف وقضى على المخالفين بالبعاد فأفاتهم التوفيق والاسعاد فكلهم هام فى الضلال وما عاد واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف أحمده على ستر الخطايا والاقتراف وأصلى

على رسوله محمد الذى أنزل عليه ق وعلى صاحبه أبى بكر مقدّم الاشراف وعلى عمر صاحب العدل والانصاف وعلى عثمان الصابر على الشهادة صبر النظاف وعلى على محبوب أهل السنة الظراف وعلى بقية آله وأصحابه وزوجاته المتصفين بالعفاف وسلم تسليما (أما بعد) فقد قال الله تبارك وتعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿ سبح اسم ربك الأعلى * الذى خلق فسوى * والذى قدر فهدى * والذى أخرج المرعى * فجعله غثاء أحوى * سنقرئك فلا تنسى * إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى * ونيسرك لليسرى * فذكر إن نفعت الذكرى * سيذكر من يخشى * ويتجنبها الأشقى * الذى يصلى النار الكبرى * ثم لا يموت فيها ولا يحيى * قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى * بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى * إن هذا لفى الصحف الاولى * صحف ابراهيم وموسى ﴾ ونقول وبالله تعالى التوفيق تسمى هذه السورة سورة الأعلى وسورة سبح والجمهور على انها مكية وقيل انها مدنية لذكر صلاة العيد وزكاة الفطر فيها وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحبها فقد أخرج الامام أحمد بن حنبل عن على كرم الله تعالى وجهه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحب هذه السورة سبح اسم ربك الأعلى وجاء فى حديث أخرجه أبو عبيدة أنه عليه الصلاة والسلام سماها أفضل المسبحات وأخرج أبو داود والترمذى والنسائى عن عائشة رضى الله تعالى عنها كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ فى الوتر فى الركعة الأولى سبح وفى الثانية قل يا أيها الكافرون وفى الثالثة قل هو أحد والمعوّذتين وأخرج الامام أحمد ومسلم وابن أبى شيبة عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقرأ فى العيدين ويوم الجمعة سبح اسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية وان وافق يوم جمعة قرأهما جميعا وأخرج الطبرانى عن عبد الله بن الحرث قال آخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المغرب فقرأ فى الركعة الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفى الثانية بقل يا أيها الكافرون وقوله سبحانه تعالى سبح اسم ربك الاعلى كما قال الوالد عليه الرحمة فى تفسيره روح المعانى أى نزه أسماءه تعالى عما لا يليق فلا تؤول مما ورد منها اسما من غير مقتض ولا تبقه على ظاهره اذا كان ما وضع له مما لا يصح له تعالى ولا تطلقه على غيره سبحانه أصلا اذا كان مختصا كالاسم الجليل أو على وجه يشعر بأنه تعالى والغير فيه سواء اذا لم يكن مختصا فلا تقل لمن أعطاك شيأ مثلا هذا رازقى على وجه يشعر بذلك وصنه عن الابتذال والتلفظ به فى محل لا يليق به كالخلاء وحالة التغوّط وذكره لا على وجه الخشوع والتعظيم وربما يعدّ مما لا يليق ذكره عند من يكره سماعه من غير ضرورة إليه وعن الامام مالك رضى الله تعالى عنه انه كان اذا لم يجد ما يعطى السائل يقول ما عندى ما أعطيك أو ائتنى فى وقت آخر أو نحو ذلك ولا يقول نحو ما يقول الناس يرزقك الله تعالى أو يبعث الله تعالى لك أو يعطيك الله تعالى أو نحوه فسئل عن ذلك فقال ان السائل أثقل شئ على سمعه وأبغضه اليه قول المسؤل له ما يفيده رده وحرمانه فأنا أجل اسم الله سبحانه وتعالى من أن أذكره لمن يكره سماعه ولو فى ضمن جملة وهذا منه رضى الله تعالى عنه غاية فى الورع وماذكر من التفسير مبنىّ على الظاهر من ان لفظ اسم غير مقحم وذهب كثير الى أنه مقحم أى زائد لضرب من التعظيم على سبيل الكناية ومنه قول لبيد * الى الحول ثم اسم السلام عليكما * فالمعنى نزه ربك عما لا يليق به من الاوصاف واستدل لهذا بما أخرجه الامام أحمد عن عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم ومن المعلوم أن المجعول فيهما سبحان ربى العظيم وسبحان ربى الأعلى وبما أخرج الامام أحمد عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا قرأ سبح اسم ربك الاعلى قال سبحان ربى الاعلى وروى عبد بن حميد وجماعة أن عليّا كرم الله تعالى وجهه قرأ ذلك فقال سبحان ربى الاعلى وهو فى الصلاة فقيل له أتزيد فى القرآن قال لا انما أمرنا بشئ فنفعله والاعلى صفة للرب وأريد بالعلوّ العلو

بالقهر والاقتدار لا بالمكان لاستحالته عليه سبحانه والسلف وان لم يؤوّلوه بذلك لكنهم أيضا يقولون باستحالة العلوّ المكانى عليه عز وجل وقوله تعالى الذى خلق فسوى أى خلق كل شئ فجعله متساويا أى كما تقتضيه حكمته سبحانه وقيل أى فجعل الاشياء سواء فى باب الاحكام والاتقان لانه سبحانه وتعالى أتقن بعضا دون بعض وقال الزجاج خلق الانسان متساويا ولم يجعله منكوسا كالبهائم وقال الكلبى خلق كل ذى روح فسوى بين يديه وعينيه ورجليه وقيل خلق الاجساد فسوى الافهام وقيل خلق الانسان وهيئه للتكليف والقيام بأداء العبادات وقيل خلق فى أصلاب الآباء وسوّى فى أرحام الامهات وقيل غير ذلك وقوله تعالى (والذى قدر فهدى) صفة أخرى للرب قرأ على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه والكسائى قدر بالتخفيف من القدرة أو التقدير وقرأ الباقون مشدّدا والمعنى قدّر أجناس الاشياء وأنواعها وصفاتها وأفعالها وأقوالها وآجالها فهدى كل واحد منها الى ما يصدر عنه وينبغى له ويسره لما خلق له وألهمه الى أمور دينه ودنياه وقال المفسرون قدّر خلق الذكر والانثى من الدواب فهدى الذكر للانثى كيف يأتيها وقال مجاهد هدى الانسان لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة وروى عنه أيضا أنه قال قدر السعادة والشقاوة وهدى للرشد والضلالة وهدى الانعام لمراعيها وقيل قدر أرزاقهم وأقواتهم وهداهم لمعايشهم ان كانوا انسا ولمراعيهم ان كانوا وحشا وقال عطاء جعل لكل دابة ما يصلحها وهداها له وقيل خلق المنافع فى الأشياء وهدى الانسان لوجه استخراجها منها وقال السدى قدر مدة الجنين فى الرحم تسعة أشهر وأقل وأكثر ثم هداه للخروج من الرحم قال الفراء أى قدر فهدى وأضل فاكتفى بأحدهما وقيل غير ذلك ولما ذكر سبحانه ما يختص بالناس أتبعه بما يختص بالحيوان فقال (والذى أخرج المرعى) أى أنبت سبحانه العشب وما ترعاه الدواب من النبات الغض الرطب الاخضر (فجعله غثاء أحوى) هو ما يقذف به السيل على جانب الوادى من الحشيش والنبات أى جعل النبات الاخضر يابسا (أحوى) أى أسود وفى الصحاح الحوّة السمرة فالمراد بأحوى أسود أو أسمر ولا تنافى بينهما وقوله (سنقرئك فلا تنسى) بيان لهدايته تعالى شأنه الخاصة برسوله صلى الله تعالى عليه وسلم إثر بيان هدايته عز وجل العامة لكافة مخلوقاته سبحانه وتعالى وهى هدايته عليه الصلاة والسلام لتلقى الوحى وحفظ القرآن الذى هو هدى للعالمين وتوفيقه صلى الله تعالى عليه وسلم لهداية الناس أجمعين وقوله تعالى فلا تنسى فيه أقوال فيل لا نافية وهو الظاهر وقيل لا ناهية والألف لمراعاة الفاصلة كما فى قوله تعالى فأضلونا السبيلا وإسناد الاقراء اليه تعالى مجازى أى سنقرؤك بالوحى اليك الآن وفيما بعد على لسان جبريل عليه السلام الواسطة فى ذلك قال مجاهد والكلبى كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا نزل عليه جبريل بالوحى لم يفرغ جبريل من آخر الآية حتى يتكلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بأوّلها مخافة أن ينساها فنزلت هذه الآية فلم ينس شيأ بعد ذلك وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يستذكر القرآن مخافة أن ينسى فقيل له قد كفيناك ذلك ونزلت هذه الآية وهذه الآية تدل على نبوته عليه الصلاة والسلام فانه كان أميا أى لا يقرأ ولا يكتب كما هو الصحيح فحفظه للقرآن العظيم من غير دراسة ولا تكرار من أعظم المعجزات الخارقة للعادات وقوله تعالى (إلا ما شاء الله) استثناء مفرغ من أعم المفاعيل أى لا تنسى مما تقرؤه شيأ من الاشياء إلا ما شاء الله أن تنساه قال الفراء وهو سبحانه لم يشأ أن ينسى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم شيأ وهذا كقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض إلا ما شاء الله وبقى فيها وجوه أخر لا يسع المقام ذكرها ومن أرادها فليرجع الى روح المعانى وقوله تعالى (إنه يعلم الجهر وما يخفى) تعليل لما قبله أى يعم ما ظهر وما بطن والاعلان والاسرار أى انه تعالى يعلم ما ظهر وما بطن من الأمور التى من جملتها حالك وحرصك على حفظ ما يوحى اليك بأسره فيقرئك ما يقرئك ويحفظك عن نسيان ما شاء منه

وينسيك ماشاء منه مراعاة لما نيط بكل من المصالح والحكم التشريعية وقيل توكيد لجميع ماتقدمه ومابعده وقوله تعالى (ونيسرك لليسرى) أى نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى فى كل باب من أبواب الدين علما وتعليما فيندرج فيه تيسير تلقى طريق الوحى والاحاطة بما فيه من الاحكام وقيل غير ذلك وقوله تعالى (فذكر ان نفعت الذكرى) أى عظ الناس يامحمد بما أوحينا اليك وأرشدهم الى سبل الخير واهدهم الى شرائع الدين وقال الفراء والنحاس الكلام على الاكتفاء والأصل فذكر إن نفعت الذكرى وان لم تنفع كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر أى والبرد قال الواحدى لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعث مبلغا فعليه التذكير فى كل حال وقيل غير ذلك ثم بين سبحانه الفرق بين من تنفعه الذكرى ومن لا تنفعه فقال سبحانه (سيذكر) أى سيتعظ بوعظك (من يخشى) الله فيزداد بالتذكير خشية وصلاحا (ويتجنبها) أى ويتجنب الذكرى ويبعد عنها فلا يقبلها (الأشقى) من الكفار لاصراره على الكفر وانهماكه فى المعاصى وقيل المراد به الكافر المتوغل فى عداوة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كالوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة وقد روى ان الآية نزلت فيهما ثم وصف سبحانه الاشقى فقال (الذى يصلى النار الكبرى) هى الطبقة السفلى من أطباق النار وقال الحسن الكبرى نار الآخرة والصغرى نار الدنيا وقد روى الامام أحمد مرفوعا ان هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم أجارنا الله تعالى واياكم منها (ثم لايموت فيها) ذلك الشقى فيستريح (ولايحيى حياة تنفعه) وقيل ان روح أحدهم تصير فى حلقه فلا تخرج فيموت ولا ترجع الى موضعها من الجسد فيحيا ومنه قول الشاعر

ألا ما النفس لا تموت فينقضى * عناها ولا تحيا حياة لها طعم

قال الوالد عليه الرحمة اعلم ان عدم الموت فى النار مخصوص بالكفرة وأما عصاة المؤمنين فيموتون فيها واستدل لذلك بما أخرجه مسلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أما أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم فأماتهم الله تعالى اماتة حتى اذا كانوا فحما أذن فى الشفاعة فجىء بهم ضبائر ضبائر (١) فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل ياأهل الجنة أفيضوا عليهم من الماء فينبتون نبات الحبة فى حميل السيل ولما ذكر سبحانه وعيد من أعرض عن النظر فى دلائل ألوهيته أتبعه بالوعد لمن آمن بربوبيته وصدق بنبيه وأتى بأحكام شريعته فقال (قد أفلح من تزكى) أى نال الفوز من تطهر من الشرك فآمن بالله ووحده وصدق رسوله فقد أخرج البزار وابن مردويه عن جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال فى ذلك من شهد أنه لا إله إلا الله وخلع الانداد وشهد أنى رسول الله واعتبر بعضهم أمرين فقال أى تطهر من الكفر والمعصية وقيل من تزكى أى تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو النمو ونحوه قوله تعالى حكاية عن عيسى وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا وقيل تطهر للصلاة وقيل أعطى الزكاة وعن على كرم الله تعالى وجهه تزكى أى تصدق صدقة الفطر (وذكر اسم ربه) كبر يوم العيد (فصلى) صلاة العيد وعن جماعة من السلف مايقتضى ظاهره ذلك فعن عطاء وقتادة وأبى العالية انها نزلت فى صدقة الفطر وعن عوف عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان يأمر بزكاة الفطر قبل أن يصلى صلاة العيد ويتلو هذه الآية أخرجه ستة من أصحاب السنن وأخرج ابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى ثم يقسم الفطرة قبل أن يغدو الى المصلى يوم الفطر * ولنذكر إن شاء الله تعالى فى هذا الدرس ماورد فى فضائل زكاة الفطر من الآثار وأحكامها الفقهية من كتب الأئمة الأخيار فأقول قال فى الدر المختار واجبات الاسلام سبعة الفطرة ونفقة ذى رحم ووتر وأضحية وعمرة وخدمة أبويه والمرأة لزوجها وروى ناصر السنة ابن الجوزى فى التبصرة عن جرير بن عبد الله رضى الله

(١) قوله ضبائر ضبائر أى جماعات جماعات اه منه

عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رمضان معلق بين السماء والارض لا يرفع الا بزكاة الفطر وروى أبو داود عن ابن عباس انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة فهى صدقة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات وفى الدر وحاشيته أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخطب قبل الفطر بيوم أو يومين فيقول أدوا صاعا من بر أو قمح بين اثنين أو صاعا من تمر أو شعير عن كل حر أو عبد صغير أو كبير قالوا وهو واجب على كل مسلم ولو صغيرا مجنونا ذى نصاب فاضل عن حاجته الأصلية وان لم ينم ذلك النصاب والصاع مايسع ألفا وأربعين درهما وهو أربعة أمداد والمد رطلان والرطل نصف من والمن بالدراهم مائتان وستون درهما وبالأستار أربعون والاستار بكسر الهمزة بالدراهم ستة ونصف وبالمثاقيل أربعة ونصف فالمد والمن سواء كل منهما ربع صاع رطلان بالعراقى والرطل مائة وثلاثون درهما وفى الزيلعى اختلف فى الصاع فقال الطرفان ثمانية أرطال بالعراقى وقال الثانى خمسة أرطال وثلث وقيل لا خلاف لان الثانى قدره برطل المدينة وعند الأئمة الثلاثة الصاع مايسع خمسة أرطال وثلث بالعراقى ثم اعلم ان الدرهم الشرعى أربعة عشر قيراطا والمتعارف الآن ستة عشر فاذا كان الصاع ألفا وأربعين درهما شرعيا يكون بالدرهم المتعارف ستمائة وعشرة وتجب زكاة الفطر موسعا فى العمر وقيل مضيقا فى يوم الفطر لقوله عليه الصلاة والسلام أغنوهم يعنى الفقراء عن المسئلة فى هذا اليوم وجاز دفع كل شخص فطرته الى مسكين أو مساكين كما جاز دفع صدقة جماعة الى مسكين واحد ويكره أن يدفعها الى ذمى وعند الشافعى واحدى الروايتين عن أبى يوسف أنه لا يجوز والفتوى على قوله انتهى وقال الشعرانى فى الميزان زكاة الفطر واجبة باتفاق الأئمة الأربعة وقال الأصم واسمعيل بن علية هى مستحبة واتفقوا ان كل من لزمته زكاة الفطر لزمته زكاة أولاده الصغار ومماليكه المسلمين كما اتفقوا على وجوبها على الصغير والكبير وعن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنها تجب على كل من أطاق الصلاة والصوم وعن سعيد بن المسيب أنها لا تجب الا على من صام وصلى واتفقوا على أنه يجوز تعجيل الفطرة قبل العيد بيومين واتفقوا على انها لا تسقط بالتأخير بعد الوجوب بل تصير دينا حتى تؤدى وأما ما اختلفوا فيه فمن ذلك قول مالك والشافعى والجمهور أن زكاة الفطر فرض واجب بناء على أن الفرض هو الواجب والواجب هو الفرض مع قول أبى حنيفة انها واجبة وليست بفرض لان الفرض عنده آكد من الواجب ومن ذلك قول الثلاثة أنها تجب على الشريكين فى العبد المشترك وفى رواية لاحمد أن كلا من الشريكين يؤدى عن حصته صاعا كاملا مع قول أبى حنيفة أنها لا تجب على الشريكين عنه ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة أنه يجب على الزوج فطرة زوجته كما يجب عليه نفقتها مع قول أبى حنيفة أنه لا يجب عليه فطرتها ومن ذلك قول مالك والشافعى وأحمد أنه لا يعتبر فى وجوب زكاة الفطر أن يكون المخرج يملك نصابا من الفضة وهو مائتا درهم بل قالوا ان كل من فضل عن قوته وقوت من تلزمه نفقته يوم العيد وليلته شىء قدر زكاة الفطر وجبت عليه مع قول أبى حنيفة أنها لا تجب الا على من ملك نصابا كاملا فاضلا عن مسكنه وعبده وفرسه وسلاحه ومن ذلك قول أبى حنيفة أنها تجب بطلوع فجر أول يوم من شوال مع قول أحمد أنها تجب بغروب الشمس ليلة العيد ومع قول مالك والشافعى أنها تجب بغروب شمس ليلة العيد على الراجح من قوليهما ومن ذلك اتفاقهم على انه لا يجوز تأخيرها عن يوم العيد وقال أحمد أرجو أن لا يكون به بأس ومن ذلك قول الثلاثة انه يجوز اخراجها من خمسة أصناف البر والشعير والتمر والزبيب والأقط وهو لبن يابس مجفف يطبخ به إذا كان قوتا مع قول أبى حنيفة إنها لا تجزىء فى الاقط بنفسه وتجزىء بقيمته وقال الشافعى كل ما يجب فيه العشر فهو صالح لاخراج زكاة الفطر منه كالارز والذرة والدخن ونحوه قلت ونقل فى الدرر واللآلى عن الشيخ ابن تيمية الحنبلى أنه يجزىء قوت بلده مثل الأرز وغيره واحتج

بقوله تعالى (من أوسط ماتطعمون أهليكم) ومن ذلك قولهم ان القيمة لاتجزىء مع قول أبى حنيفة انها تجزىء ومن ذلك قول مالك وأحمد إن اخراج التمر أفضل مع قول الشافعى إن البر أفضل ومع قول أبى حنيفه إن أفضل ذلك أكثره ثمنا ومن ذلك قول الثلاثة إن الواجب صاع بصاع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من كل جنس من الأجناس الخمسة السابقة مع قول أبى حنيفة إنه يجزىء من البر نصف صاع ومن ذلك قول الشافعى وجمهور أصحابه ان مصرف الفطرة يكون الى الأصناف الثمانية كما فى الزكاة وهم الفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب وهم المكاتبون والغارمون وهم المديونون وفى سبيل الله وهم الغزاة وابن السبيل وهو المسافر مع قول الاصطخرى منهم يجوز صرفها الى ثلاثة من الفقراء والمساكين ومع قول مالك وأبى حنيفة وأحمد بجواز صرفها الى فقير واحد فقط قالوا ويجوز صرف فطرة جماعة الى مسكين واحد واختاره ابن المنذر وأبو اسحق الشيرازى ومن ذلك قول أبى حنيفة انه يجوز تقديم زكاة الفطر على شهر رمضان مع قول الشافعى انه لايجوز تقديمها الا من أول شهر رمضان ومع قول مالك وأحمد انه لايجوز التقديم عن وقت الوجوب اه أقول وقول أبى حنيفة أوسع فى مسئلة دفع القيمة أودفعها الى فقير واحد فمن أراد تقليد الامام أبى حنيفة من أتباع سائر المذاهب فعليه بالتقليد فى هذه المسئلة فان تقليد المذهب المخالف جائز من غير تلفيق كما صرحت به أئمة المذاهب الأربعة فيا إخوانى إن شهر رمضان قد قرب رحيله وأزف تحويله وهو ذاهب عنكم بأفعالكم وشاهد عليكم غدا بأعمالكم فياليت شعرى ماذا قد أودعتموه وبأى الأعمال ودعتموه أتراه يرحل حامدا صنيعكم أوماذا تضيعكم ما كان أعظم ساعاته وما كان أحلى جميع طاعاته كانت لياليه عتقا ومباهاه وأسحاره أوقات خدمة ومناجاه ونهاره زمان قربة ومصافاه وساعاته أحيان اجتهاد ومعاناه فبادروا البقية بالتقية قبل فوات البر ونزول البلية أين المخلص المتعبد أين الراهب المتزهد أين المنقطع المتفرد أين العامل المجود هيهات بقى عبد الدنيا ومات السيد وهلك من خطاياه خطا وعاش المتعمد وصار مكان الخاشعين لكل منافق متمرد رحل عنك شهر الصيام وودعك زمان القيام وبح النصح وقد لام فاستدرك مابقى من الأيام أسفا لمن ضيع الأوقات وقد عرفها وسلك بنفسه طريق الهوى فأهلكها أنس بالدنيا كأنه خلق فيها لها وأمله لاينتهى وأجله قد انتهى عجبا لعين أمست بالليل هاجعة ونسيت أهوال يوم الواقعة كم يوم غابت شمسه وقلبك غائب وكم ظلام أسبل ستره وأنت فى عصيان وعجائب وكم صحيفة ملأها بالذنوب عليك الكاتب وكم ينذرك فراق رفيقك وأنت لاعب يامن يأمل الاقامة وقد زمت الركائب أفق من سكرتك قبل حسرتك على المعائب وتذكر نزول حفرتك وهجران الأقارب

تبكى وتندب آثار الذين مضوا * وسوف تلحق آثار بآثار
طالت عمارتنا الدنيا على غرر * ونحن نعلم انا غير عمار
اترك مفاخر فى الدنيا وزينتها * يوم القيامة يوم الفخر والعار

لقد أبانت الدنيا للناظر عيوبها وكشفت للبصائر غيوبها وعددت على المسامع ذنوبها ومامرت حتى أمرت مشروبها فلذتها مثل لمعان برق ومصائبها واسعة الخرق ساوت عواقبها بين سلطان الغرب والشرق وبين عبد حقير ولافرق فما نجا منها ذومال وعدد ولاسلم فيها صاحب عدد وولد فرقت والله الكل بكف البدد ثم ولت ولا ألوت على أحد وفقنا الله تعالى وإياكم لمراضيه وجعل مستقبل حالنا وحالكم خيرا من ماضيه وختم لنا بصالح الأعمال وأعادنا وإياكم على هذا الشهر فى أحسن حال ورحمنا وكافة المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

﴿ المجلس الحادى والثلاثون ﴾

(فى صلاة عيد الفطر وشوّال)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله موفر الثواب للاحباب ومكمل الأجر وباعث ظلام الليل ينسخه نور الفجر المحيط علما بخائنة الأعين وخافية الصدر ويعلم الانسان مالم يعلم ولم يدر المتعالى عن إدراك خواطر النفس وهواجس الفكر الموالى برزقه فلم ينس النمل فى الرمل والفرخ فى الوكر جل أن تناله يد الحوادث على مرور الدهر أغنى وأفقر وأجاع وأشبع وأصم وأسمع فبارادته وقوع الغنا والفقر وبمشيئته إدراك السمع ومنع الوقر أبصر فلم يخف عليه دبيب الذر فى البر وسمع فلم يعزب عن سمعه دعاء المضطر وقدر فلم يحتج الى معين يمده للاعانة والنصر وخصنا من بين سائر الأمم بشهر الصيام والصبر وغسل به ذنوب الصائمين كغسل الثوب بماء القطر فله الحمد إذ رزقنا إتمامه ومن علينا بعيد الفطر أحمده حمد الامنتهى لعدده وأشكره شكر الايحصى موصول مدده وأتوكل عليه توكل عبد على سيده وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة مخلص فى معتقده وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى نبع الماء من أصابع يده صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأزواجه وتابعى مقصده لاسيما على أبى بكر الصديق التارك لحبه طيب وطنه وعزيز ولده وعلى عمر بن الخطاب ناصر الاسلام ومقوم أوده وعلى عثمان بن عفان الصابر من مر البلاء على أشده وعلى ابن عمه علىّ بن أبى طالب الفائق على الأصحاب بشجاعته وعلمه ورشده وعلى بقية الصحابة والقرابة والتابعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين (أما بعد) فقد قال الله تعالى فى كلامه جل وعلا قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى الآيات (ونقول) وبالله تعالى الاستعانة ومنه عز شأنه الاعانة قد تقدم الكلام فى الدرس الماضى على هذه السورة الى قوله تعالى (من تزكى) * ولنذكر فى هذا الدرس إن شاء الله تعالى مايتعلق بذكر اسم الرب جل جلاله صلاة العيد وما يلتحق بذلك سالكين إن شاء الله تعالى أوضح المسالك فليعلم أن فى هذه الآية أقوالا فقيل المعنى ذكر اسم ربه بالخوف وعبده وصلى له وقيل ذكر اسم ربه بلسانه وكبر للافتتاح فصلى أى فأقام الصلوات الخمس وقيل ذكر موقفه ومعاده فعبده وقيل ذكر اسم ربه بالتكبير أى قال الله أكبر فى أول الصلاة وعن علىّ كرم الله تعالى وجهه تزكى أى تصدق صدقة الفطر وذكر اسم ربه كبر يوم العيد فصلى صلاة العيد وعلى ذلك جماعة من السلف كما قدمناه لك وفى كتاب الميزان للشعرانى أن الأئمة اختلفوا فى باب صلاة العيدين فى مسائل فمنها قول أبى حنيفة فى إحدى روايتيه إن صلاة العيد واجبة على الأعيان كالجمعة مع قول مالك والشافعى انها سنة ومع قول أحمد انها فرض على الكفاية وقد قال كثير من العلماء انه أفضل من فرض العين لكونه أسقط الحرج عن صاحبه وعن غيره ومن ذلك قول أبى حنيفة وأحمد ان من شرائط صلاة العيدين العدد والاستيطان واذن الامام فى إحدى الروايتين عن أحمد كما فى الجمعة وزاد أبو حنيفة وأن تقام فى مصر أو فنائه مع قول مالك والشافعى ان ذلك كله ليس بشرط وأجازا صلاتهما فرادى لمن شاء من الرجال والنساء ومن ذلك قول أبى حنيفة انه يستحب أن يكبر بعد تكبيرة الاحرام ثلاث تكبيرات فى الركعة الاولى وثلاثا فى الثانية مع قول مالك وأحمد انه يكبر ستا فى الأولى وخمسا فى الثانية ومع قول الشافعى يكبر سبعا فى الاولى وخمسا فى الثانية ثم قال الشافعى وأحمد انه يستحب الذكر بين كل تكبيرتين خلافا لابى حنيفة ومالك ومن ذلك قول مالك والشافعى انه يقدم التكبير على القراءة فى الركعتين وهو إحدى الروايتين عن أحمد مع قول أبى حنيفة وأحمد فى الرواية

الاخرى انه يغاير بين القراءتين فيكبر فى الاولى قبل القراءة وفى الثانية بعد القراءة ومن ذلك قول أبى حنيفة ومالك إن من فاتته صلاة العيد مع الامام لا يقضيها مع قول أحمد والشافعى فى أحد قوليه انها تقضى فرادى وعن أحمد ثنتين أو أربعا ومن ذلك قول الائمة إن فعلها بالصحراء بظاهر البلد أفضل من فعلها فى المسجد مع قول الشافعية بأن فعلها فى المسجد أفضل اذا كان واسعا ومن ذلك قول أبى حنيفة انه لا يجوز التنفل قبلها وأما بعدها فيجوز ومع قول الشافعى بأنه يتنفل قبلها وبعدها فى المسجد وغيره إلا الامام ومع قول أحمد لا يتنفل قبلها ولا بعدها مطلقا ومن ذلك قول الشافعى فى أرجح القولين انهم لو شهدوا يوم الثلاثين من رمضان بعد الزوال برؤية الهلال قضيت موسعا مع قول مالك انها لا تقضى وهو مذهب أحمد فان لم يمكن جمع الناس فى ذلك اليوم صليت من الغد عند الشافعى ومن قال بقوله وقال أبو حنيفة صلاة عيد الفطر تقضى اليوم الثانى والثالث ومن ذلك اتفاقهم على أن التكبير فى عيد النحر مسنون وكذلك فى عيد الفطر إلا عند أبى حنيفة مع قول داود بوجوبه قال ابن هبيرة والصحيح ان تكبير الفطر آكد من يوم النحر لقوله تعالى (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) ومن ذلك قول مالك انه يكبر يوم عيد الفطر دون ليلته وانتهاؤه عنده الى أن يخرج الامام الى المصلى وفى قول له الى أن يحرم الامام بصلاة العيد وهو الراجح من قولى الشافعى والثالث الى أن يخرج منها وأما ابتداؤه فمن حين يرى الهلال وهو إحدى الروايتين عن أحمد وأما انتهاؤه ففيه روايتان له إحداهما اذا خرج الامام والثانية اذا فرغ من الخطبتين ومن ذلك قول أبى حنيفة وأحمد انه يشفع التكبير فى أوله وآخره فيقول الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد مع قول مالك فى رواية له ان شاء كبر ثلاثا وان شاء مرتين ومع قول الشافعى انه يكبر ثلاثا نسقا فى أوله وثلاثا فى آخره واختار أصحابه أنه يكبر ثلاثا فى أوله ويكبر ثنتين فى آخره ومن ذلك قول أبى حنيفة وأحمد ان ابتداء التكبير فى عيد يوم النحر من صلاة الفجر يوم عرفة الى أن يكبر لصلاة العيد من يوم النحر وقال مالك والشافعى فى أظهر القولين انه يكبر من ظهر النحر الى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق وهو رابع يوم النحر سواء كان محلا أو محرما عندهما والعمل عند أصحاب الشافعى على أن ابتداء التكبير فى غير الحاج من صبح يوم عرفة الى أن يصلى عصر آخر أيام التشريق ومن ذلك قول أبى حنيفة وأحمد فى إحدى روايتيه ان من صلى منفردا فى هذه الأوقات من محل ومحرم لا يكبر مع قول مالك والشافعى وأحمد فى روايته الأخرى انه يكبر وأما خلف النوافل فاتفقوا على أنه لا يكبر عقبها إلا فى القول الراجح للشافعى انتهى باختصار وليعلم انه روى الترمذى أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان هذا يوم جعله الله عيدا للمسلمين فاغتسلوا ومن كان عنده طيب فلا يضره أن يمس منه وعليكم بالسواك وقال فى كشف الغمة أيضا كانت الصحابة رضى الله تعالى عنهم يحثون على غسل العيدين وكانوا يغتسلون قبل أن يذهبوا الى المصلى وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحث على التجمل بالثياب الحسنة فى العيد ويكره لبس السلاح فى يومه إلا لخوف من عدو وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم بردة حبرة يلبسها فى كل عيد وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يخرج الى الصحراء يوم العيد ماشيا وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يخرج فى عيد الفطر حتى يأكل شيأ من تمر ونحوه فكان يأكل ثلاث تمرات ولا يأكل فى عيد الأضحى حتى يرجع وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يأمر باخراج العواتق والحيض وذوات الخدور حتى لا يدع صلى الله تعالى عليه وسلم أحدا من أهل بيته إلا أخرجه وكان الحيض يعتزلن الصلاة والمصلى فيكبرن خلف الناس ويشهدن الخير ودعوة المسلمين ولما أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم النساء بالخروج قالت امرأة يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب فقال لتلبسها أختها من جلبابها (قلت) وهذا بخلاف نساء زماننا فانهن يخرجن لغير الصلاة والدعاء فلا تغفل وكان ابن عمر

رضى الله تعالى عنهما اذا طلعت الشمس غدا الى المصلى وكان يكبر ويرفع صوته بالتكبير حتى يأتى المصلى ثم يكبر بالمصلى حتى اذا جلس الامام ترك التكبير وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يرجع من مصلى العيد فى غير الطريق الذى خرج منه وفى بعض الأوقات كان يرجع فيما جاء منه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يعجل صلاة الأضحى واعتباره من ارتفاع الشمس قدر رمح ويؤخر صلاة الفطر الى قريب من وقت الضحى قال أنس رضى الله تعالى عنه كانت الصحابة رضى الله تعالى عنهم يقولون لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا انصرفوا من صلاة العيد تقبل الله منا ومنك يا رسول الله فيقول نعم تقبل الله منا ومنكم وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحث على الذكر والطاعة فى ليلتى العيدين وعلى التكبير ليلة الفطر ويقول من أحيا ليلتى العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب وكان ربما يضرب له بالدف يوم الفطر ولا ينهى انتهى وليعلم انه انما سمى العيد عيدا قيل لعوده فى السنين وقال شهاب الدين أحمد فى كتابه عقد الدرر واللآلى لان الله تعالى يعيد الى عباده الفرح والسرور فى يوم عيدهم وقيل انما سمى عيدا لان فيه عوائد الاحسان من الله عز وجل وفوائد الامتنان وروى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال اذا كان يوم الفطر وخرج الناس الى الجبانة اطلع الله تعالى عليهم فيقول عبادى لى صمتم ولى صليتم انصرفوا مغفورا لكم وفى رواية أنس ارجعوا مغفورا لكم وقيل انما سمى عيدا لانه يعود العبد فيه الى التضرع والبكاء ويعيد الرب فيه الهبة والعطاء وفى حديث ابن عباس المرفوع اذا كان يوم الفطر هبطت الملائكة فيقومون على أفواه السكك ينادون بصوت يسمعه جميع من خلقه الله عز وجل إلا الجن والانس يقولون يا أمة محمد أخرجوا الى رب كريم يعطى الجزيل ويغفر الذنب العظيم فاذا برزوا الى مصلاهم يقول الله عز وجل للملائكة يا ملائكتى ما جزاء الأجير اذا عمل عمله فيقولون إلهنا وسيدنا جزاؤه أن يوفى أجره فيقول أشهدكم أنى قد غفرت لهم فمن وفى ما عليه من العمل كاملا وفى له الأجر كاملا ومن نقص من العمل الذى عليه نقص من الأجر بحسب نقصه فلم يلم إلا نفسه وقيل معناه العود من طاعة الله تعالى الى طاعة الرسول ومن الفريضة الى السنة ومن صوم رمضان الى صوم ستة أيام من شوال وقد ثبت فى صحيح مسلم رحمه الله قال حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجر عن اسمعيل بن جعفر أخبرنى سعد بن قيس عن عمر بن ثابت بن الحرث الخزرجى عن أبى أيوب الانصارى أنه حدثه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من صام رمضان وأتبعه بست من شوال كان كصيام الدهر قال الشيخ محيى الدين النووى فى شرح مسلم فى هذا الحديث دلالة ظاهرة لمذهب الشافعى وأحمد وداود وموافقيهم فى استحباب صوم الستة وقال مالك وأبو حنيفة يكره ذلك قال مالك فى الموطأ ما رأيت أحدا من أهل العلم يصومها قال فيكره لئلا يظن وجوبها انتهى وقال المناوى وفيه ندب صوم الستة المذكورة وهو مذهب الشافعى قال الزاهدى وصومها متتابعا أو متفرقا يكره عند أبى حنيفة وعن أبى يوسف يكره متتابعا لا متفرقا وعن مالك يكره مطلقا انتهى (قلت) وهذا العزو الى إمامنا الأعظم لم يصححه شيخ مشايخنا العلامة ابن عابدين وصحح ان الامام الاعظم أيضا قائل بسنية ستة شوال ورد قول من روى عنه خلاف ذلك وقد تبين ان من نقل عنه الكراهية فهو غير مطلع على مذهبه فليحفظ وقال فى عقد الدرر الذين استحبوا صيام ستة من شوال على ثلاثة أقوال أحدها أنه يستحب صيامها من أول الشهر متتابعة وهو قول الشافعى وابن المبارك والثانى انه لا فرق بين أن يتابعها أو يفرقها من الشهر كله وهما سواء وهو قول وكيع وأحمد والثالث انه لا تصام عقب يوم الفطر فانها أيام أكل وشرب ولكن تصام ثلاثة أيام قبل أيام البيض وبعدها وهذا قول معمر والزهرى وعبد الرزاق وأكثر العلماء انه لا يكره ثانى الفطر قال العلماء وانما كان صيام رمضان واتباعه ستا من شوال يعدل صيام الدهر لان الحسنة بعشر أمثالها وقد جاء ذلك مفسرا من حديث ثوبان عن النبى صلى الله تعالى

عليه وسلم قال صيام رمضان بعشرة أشهر وصيام ستة أيام بشهرين فذلك صيام سنة يعنى رمضان وستة أيام بعده أخرجه الامام أحمد ومنها أن صيام شوال وشعبان كصلاة السنن الرواتب قبل الصلاة المفروضة وبعدها فيكمل بذلك ماحصل فى الفروض من زال ونقص انتهى فينبغى للعبد أن يجد فى العمل الصالح فيما بعد رمضان كما كان يعمل فيه فان الله تعالى اذا تقبل عمل عبد وفقه لعمل صالح بعده كما قالوا ثواب الحسنة الحسنة بعدها وان من عمل حسنة ثم أتبعها بسيئة كان ذلك علامة عدم قبولها وقيل لبشر الحافى ان قوما يتعبدون فى رمضان دون غيره فقال هم بئس القوم لا يعرفون لله عز وجل حقا إلا فى شهر رمضان وقالوا ينبغى للانسان أن يكون ممتثلا لقوله تعالى مخاطبا نبيه عليه الصلاة والسلام (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير) وهذه هى الآية التى شيبت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقد قال ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم آية فى القرآن أشد ولا أشق من هذه حتى قال أصحابه له لقد أسرع فيك الشيب فقال عليه الصلاة والسلام شيبتنى هود يعنى هذه الآية وورد فى الحديث الصحيح ان أحب الاعمال الى الله تعالى أدومها وان قل وفى عقد الدرر روى عن كعب الاحبار أنه قال من صام رمضان وهو يحدث نفسه انه اذا أفطر عصى ربه فصومه عليه مردود ويكون مثال من عمل صالحا فى شهر رمضان وعاد بعده الى الفسوق والعصيان كما قال تعالى ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا أى من بعد إبرامه وإحكامه قال الكلبى ومقاتل فى امرأة خرقاء حمقاء من قريش يقال لها ريطة بنت عمرو وتلقب بجعواء وكانت بها وسوسة كانت قد اتخذت مغزلا قدر ذراع وكانت تغزل الغزل من الصوف والشعر والوبر وتأمر جواريها بذلك فكن يغزلن من الغداة الى نصف النهار فاذا انتصف النهار أمرتهن أن ينقضن ما غزلن كان ذلك دأبها وضرب الله سبحانه ذلك مثلا لنقض العهد كذلك يخشى على من كان فى رمضان متشبها بالصالحين بعمله ثم يعود بعده الى أقبح المعصية بجهله وأشد الظلمة ما يتقدمها نور وقال ابن عباس فى قوله تعالى (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) مثل لعمل رجل يعمل بطاعة الله تعالى ثم يوسوس له الشيطان فيعمل بالمعاصى حتى تحترق أعماله الصالحة فكذلك يخاف على المتشبه بالصالحين فى رمضان اذا ترك الطاعات وعاد بعده الى العصيان كما أخرج ابن أبى الدنيا أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لرجل انك تبنى وتهدم يعنى تعمل الحسنات ثم السيآت فقال يا رسول الله سوف أبنى ولا أهدم فينبغى للعاقل أن يتبع الحسنة بحسنات ويمتثل قوله تعالى (وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيآت) واعلموا أن الأعياد للمؤمنين خمسة كما قال بعض العارفين الأول اليوم الذى يمر على المؤمن ولا يعمل فيه معصية فيكتب عليه ذنب والثانى يوم خروجه من الدنيا مع الايمان بالله ورسوله وبجميع ما جاء عنهما والثالث وقت مجاوزته الصراط وسلامته من النيران والرابع وقت دخوله الجنان والخامس اليوم الذى ينظر فيه الى الرحمن فهو العيد الأكبر كما قال تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) وقال بعض العارفين ان من جملة حكم عيد الدنيا تذكيره لعيد الآخرة فاذا رأى الناس بين ماش وراكب ولابس وعريان واختلاف ملابسهم وحشمهم وأتباعهم تذكر العاقل تفاوت الناس يوم القيامة وما ذلك إلا بصالح الاعمال والصدقات من المال والحلال أنالنا الله تعالى وإياكم الخير والعافية فى البدء والمآل ولنرجع الى تفسير بقية السورة الكريمة فنقول قال الله عز وجل (بل تؤثرون الحياة الدنيا) هذا اضراب عن كلام مقدر يدل عليه السياق وينساق اليه الكلام أى أنتم لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات الفانية العاجلة الكائنة فى الدنيا على الدار الآخرة الآجلة الباقية فلا تفعلون ما به تفلحون قرأ الجمهور

بالفوقية على الخطاب للكفار أو لمطلق الناس ويؤيدها قراءة أبى بل أنتم تؤثرون وقرئ بالتحتية على الغيبة والضمير راجع للأشقى قيل المراد بالآية الكفرة وبالايثار للحياة الدنيا هو الرضا بها والاعراض عن الآخرة بالكلية وقيل المراد بها المؤمن والكافر والمراد بايثارها ما هو أعم من ذلك مما لا يخلو عنه غالب الناس من الاهتمام بها اهتماما زائدا على اهتمامه بالطاعات ويؤيده أن ابن مسعود قرأها مرة فأقبل على أصحابه فقال آثرنا الدنيا على الآخرة لانا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها وزويت عنا الآخرة فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل (والآخرة خير وأبقى) أى والحال أن الدار الآخرة التى هى الجنة أفضل وأدوم من الدنيا لانها تشتمل على السعادة الأبدية الجسمانية والروحانية الخالية عن كافة الآلام والدنيا لذاتها كأضغاث أحلام وهى مقرونة بالانصرام والآلام قال مالك بن دينار لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان الواجب أن يؤثر خزف يبقى على ذهب يفنى فكيف والآخرة من ذهب يبقى والدنيا من خزف يفنى

جبلت على كدر وأنت تريدها ＊ صفوا من الاقذاء والأكدار

وقوله تعالى (إن هذا لفى الصحف الاولى) أى جميع ما فى هذه السورة ثابت فى صحف ابراهيم وموسى قال الوالد عليه الرحمة وكانت صحف ابراهيم عشرة وصحف موسى عليه السلام عشرة والمراد بها ما عدا التوراة أخرج عبد بن حميد عن أبى ذر قال قلت يا رسول الله كم أنزل الله تعالى من كتاب قال مائة كتاب وأربعة كتب أنزل على شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان قلت يا رسول الله فما كانت صحف ابراهيم قال أمثال كلها أيها الملك المتسلط على المبتلى المغرور لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم فانى لا أردها ولو كانت من كافر وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه ويتذكر فيما صنع وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال فان فى هذه الساعة عونا لتلك الساعات واستجماعا للقلوب وتفريقا لها وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه فان من حسب كلامه من عمله أقل الكلام الا فيما يعنيه وعلى العاقل أن يكون طالبا لثلاث حرفة لمعاش وتزود لمعاد وتلذذ فى غير محرم قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا عجبت لمن أيقن بالموت ثم يفرح ولمن أيقن بالنار ثم يضحك ولمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم يطمئن اليها ولمن أيقن بالقدر ثم يغضب ومن أيقن بالحساب ثم لا يعمل قلت يا رسول الله هل أنزل عليك شئ مما كان فى صحف ابراهيم وموسى قال يا أبا ذر نعم قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى والله تعالى أعلم بصحة الحديث فعليكم إخوانى بالتوبة النصوح ومداومة العمل الراجح غير المرجوح وتوالى الحسنات والتجنب عن مثوى السيآت فكم من الناس السالفين صلوا فى هذا الشهر صلاة التراويح وأوقدوا للاجر المصابيح وملؤا بالعبادة المكان الفسيح اقتنصتهم فى آخره المصائد وأمرتهم الحصائد دارت عليهم المنون رحاها وحلت وجوههم فى الثرى فمحاها أعدمتهم صوما وفطرا وأصبح كل منهم فى اللحد شطرا وهذا حالك عن قريب فتيقظ ومآلك بعد قليل مثل ما لهم فاجتهد وتحفظ فيا مشغولا بلهوك أأعددت عدة حازم لقبرك أحصلت عملا ينجيك فى حشرك أحفظت حدود صومك فى شهرك كم صوم بالغيبة فسد وكم من عمل بالرياء تعطل فكسد فياليت شعرى من المقبول منا والمردود أما سمعتم ما قاله سيد البشر رب صائم ما حظه من صيامه إلا الجوع والعطش ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر فبادروا رحمكم الله تعالى ساعات أعماركم الباقية فانها مغتنم واستدركوا ما مضى بالاستغفار والندم فليس العيد لمن لبس الجديد بل العيد لمن حسناته تزيد وعمل للقاء يوم الوعيد فيا معرضا عن الهدى

لايسعى فى طلبه يامشغولا بلهوه مفتونا بلعبه يامن قدصاح به الموت عند أخذ صاحبه من يعمل سوأ يجز به جزعلى قبر الصديق وتلمح آثار الرفيق تخبرك عن حسنه الأنيق انه استلب بكف التمزيق هذا الخده وغدا أنت به من يعمل سوأ يجز به كم نهى عن خطا فا انتهى وكم زجرته الدنيا ثم سعى لها هذا ركنه القويم قدوهى وها أنت فى سلبه من يعمل سوأ يجز به أين من عتا وظلم ولقى الناس منه الألم اقتطعه الردى اقتطاع (١) الجلم فانفعه ماجمع لاوالله ولالم ولم يدفع عزمنصبه من يعمل سوأ يجز به بات فى لحده أسيرا ولايملك من الدنيا نقيرا بل عاد بوزر ذنبه عقيرا أصبح من ملكه فقيرا على عز نسبه وكثرة نشبه من يعمل سوأ يجز به اللذات عن قليل تفنى وتمر وآخر الهوى الحلو مر وليس فى الدنيا شئ يسر إلا ويغر ويضر ثم يخلو الزانى وشارب الخمر وآكل الحرام بمكتسبه من يعمل سوأ يجز به الكتاب يحوى حتى النظرة والحساب يأتى على الذرة وخاتمة كأس اللذات مرة والأمر جلى للفهوم مايشتبه من يعمل سوأ يجز به تقوم أيها المغتاب فى حشرك ذليلا وتبكى أيها الظالم للعباد على الذنوب طويلا وتحمل أيها النمام والعاق على أزرك وزرا ثقيلا فويل لتارك الصوم والصلاة والحج والزكاة وقبح منقلبه من يعمل سوأ يجز به يجمع الخلائق كلهم فى صعيد وينقسمون الى شقى وسعيد فقوم قدحل بهم الوعيد وقوم قيامتهم نزهة وعيد وكل عامل يغرف من مشربه من يعمل سوأ يجز به انما يقع الجزاء على أعمالك وانما تلقى فى غد غب أفعالك قدنصحناك نقصد اصلاح حالك فان كنت متيقظا فاعمل بذلك وان كنت نائما فانتبه من يعمل سوأ يجز به نسألك اللهم باسمك الأعظم وأسمائك الحسنى مانعلم منها ومالم نعلم وبحبك لنبيك الأكرم وجاهه الملتزم أن تختم لنا هذا الشهر بغفرانك وتعمنا وكافة الموحدين بألطافك وإحسانك وتجعلنا ممن قبلت صيامه وصلاته وصدقاته وبدلت سيآته بحسناته وأن تحسن عاقبتنا فى الأمور كلها وتجيرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة وأن تتغمدنا والجماعة الحاضرين وآبائنا وأمهاتنا وأقاربنا برحمتك الباطنة والظاهرة وأن تجعل شهرنا هذا شاهدا لنا باداء فرضك ولاتخزنا بقبائح أعمالنا يوم عرضك ولاتجعلنا ممن تعب واجتهد فلم يرضك اللهم ألهمنا الشكر على صيام الأيام الماضية وأعد شهر رمضان علينا بالخير أعواما متوالية اللهم لاتدع لنا ذنبا إلا غفرته ولاهما إلا فرجته ولاعاصيا إلا هديته ولاصالحا إلا تقبلته اللهم أصلح أمراءنا وولى أمورنا أخيارنا واحفظ أولادنا ووفقهم لما فيه رضاك وانصر سلطاننا وعساكره على من عاداك وارفع منازلنا ومنازل آبائنا وأمهاتنا وأعمامنا واخواننا وأقاربنا ومشايخنا فى جنة عالية قطوفها دانية واجعلنا ممن ينادى غدا فى الدار الباقية كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

﴿خاتمة﴾ مقتصرة من الغنية يقرأها من أرادها فى آخر رمضان المبارك وهى إعلموا رحمكم الله تعالى إن ليلتكم هذه ليلة الوداع لشهركم الذى شرفه الله وعظمه ورفع قدره وكرمه بالصيام والقيام وتلاوة القرآن ونزول الرحمة فيه عليكم من الله تعالى والرضوان جعله الله مصباح العام وواسطة النظام وشرف قواعد الاسلام المشرقة بأنوار الصيام والقيام أنزل الله تعالى فيه كتابه وفتح فيه للتائبين أبوابه فلادعاء فيه إلا مسموع ولاخير إلا مجموع ولا ضر إلا مدفوع ولاعمل إلا مرفوع الظافر الميمون من اغتنم أوقاته والخاسر المغبون من أهمله ففاته شهر جعله الله لذنوبكم تطهيرا ولسيآتكم تكفيرا ولمن أحسن منكم صحبته ذخيرة ونورا ولمن وفى بشرطه وقام بحقه فرحا وسرورا فرحم الله إمرأ مهد فيه لنفسه قبل حلول رمسه واشتغل بيومه عن غده وأمسه وتزود من بقية زاده فى نفاده نفاد عمره وأظهر لفراقه جزعه وسلم على شهره وودعه وقال السلام عليك

(١) قوله الجلم المقص اه منه

ياشهر رمضان السلام عليك ياشهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن السلام عليك ياشهر التجاوز والغفران السلام عليك ياشهر البركة والاحسان السلام عليك ياشهر التحف والرضوان السلام عليك ياشهر النسك والتعبد السلام عليك ياشهر الصيام والتهجد السلام عليك ياشهر التراويح السلام عليك ياشهر الأنوار والمصابيح السلام عليك ياأنس العارفين السلام عليك ياروضة العابدين فياشهرنا غير مودع ودعناك وغير مقلى فارقناك كان نهارك صدقة وصياما وليلك قراءة وقياما فعليك منا تحية وسلاما أتراك تعود بعدها علينا أو يدركنا المنون فلاتؤول الينا مصابيحنا فيك مشهورة ومساجدنا فيك معمورة فالآن تنطفئ المصابيح وتنقطع التراويح ونرجع إلى العادة ونفارق شهر العبادة فياليت شعرى من المقبول منا فنهنيه ومن المطرود بسوء عمله فنعزيه فيأيها المقبول هنيئا لك بثواب الله عز وجل وغفرانه وتعسا لك يامطرود باصرارك على عصيانه لقد عظمت مصيبتك فأين دمعتك وتوبتك فلأى يوم أخرت توبتك ولأى عام ادخرت عدتك ألى عام قابل وحول حائل كلا فما اليك مدة الأعمار ولامعرفة المقدار فكم من مؤمل أمل بلوغه فلم يبلغه وكم من مدرك له ولم يختمه وكم من أعد طيبا لعيده جعل فى تلحيده وثيابا التزينه صارت لتكفينه ومتأهب لفطره صار متهنا فى قبره وكم من لايصوم بعده سواه وهو يطمع فى غيره أن يراه فاحمدوا الله على بلوغ اختتامه وسلوه قبول صيامه وقيامه وراقبوه بأداء حقوقه واعتصموا بحبل الله وتوفيقه وياعباد الله من كان منع نفسه من الحرام فى شهر رمضان فليمنعها فيما بعده من الشهور والأعوام فان إله الشهرين واحد وهو على الزمانين مطلع شاهد جزانا الله تعالى واياكم على فراق شهر البركة وأجزل أقسامنا وأقسامكم من رحمته المشتركة وبارك لنا ولكم فى بقيته وسلك بنا وبكم طريق هدايته برحمته وفضله ومنته اللهم وماقسمت فى هذه الليلة من عتق وغفران ورحمة ورضوان وعفو وامتنان وكرم واحسان ونجاة من النيران وخلود فى نعيم الجنان فاجعل لنا منه وافر الحظ وأجزل الأقسام برحمتك ياأرحم الراحمين اللهم فكما بلغتنا شهر الصيام فاجعل عامه علينا من أبرك الأعوام وأيامه من أسعد الأيام وتقبل منا ماقدمناه فيه من الصيام والقيام واغفر لنا مااقترفنا فيه من الآثام وخلصنا من مظالم الأيام يوم لايرجى فيه سواك ياأرحم الراحمين اللهم انا قدتولينا صيام شهرنا وقيامه على تقصير وأدينا فيه من حقك قليلا من كثير وقد أنخنا ببابك سائلين ولمعروفك طالبين فلاتردنا خائبين ولامن رحمتك آيسين فنحن الفقراء اليك الاسراء بين يديك اليك توجهنا ولمعروفك تعرضنا ولبابك قرعنا ومن رحمتك سألنا فارحم خضوعنا واجبر قلوبنا واستر عيوبنا واغفر ذنوبنا وأقر فى القيامة عيوننا ولاتصرف وجهك الكريم عنا واجعل عملنا مقبولا وسعينا مشكورا وحظنا فى هذه الليلة موفورا اللهم ان كان فى سابق علمك أن تجمعنا فى مثله فبارك لنا فيه وان قضيت بقطع آجالنا ومايحول بيننا وبينه فاحسن الخلافة على باقينا وأوسع الرحمة على ماضينا وعمنا جميعا برحمتك وغفرانك واجعل الموعد بحبوح جنتك ورضوانك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا برحمتك ياأرحم الراحمين اللهم ياعالم الخفيات ويادافع البليات ويامجيب الدعوات وياكاشف الكربات صلى على سيدنا محمد وآله أفضل الصلوات واغفر لنا ذنوبنا ولآبائنا وأمهاتنا وقراباتنا وأصدقائنا ومشايخنا ومعلمينا ومن تعلم منا ومن أحبنا فيك وأحببناه ولاتدع لنا فى هذه الليلة الشريفة ذنبا إلا غفرته ولاهما إلا فرجته ولا كربا إلا كشفته ولامبتلى إلا عافيته ولاحقا إلا استخلصته ولاغائبا إلا بالخير رددته ولاعاصيا إلا هديته ولاحاسدا إلا خيبته ولاعدوا الا صرفته ولاسعرا الا أرخصته ولاخوفا الا أزلته وأحينا اللهم على حب الآل والصحابة الأخيار واجمع بيننا وبينهم فى دار القرار واجعلنا واياهم فى شفاعة نبيك المختار وبارك لنا فى

كل ما أعطيتنا ولا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وارحمنا وكافة الأمة المحمدية واجعلنا واياهم فى عيشة مرضية وصل على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليما وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

﴿ المجلس الثانى والثلاثون ﴾

(فى الأئمة الأربعة المجتهدين رضوان الله تعالى عليهم)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى اذا لطف أعان واذا عطف صان أكرم من شاء كما شاء وأهان أخرج الخليل من آزر ومن نوح كنعان يميت ويحيي ويفنى ويبقى كل يوم هو فى شان يزين بموهبة العلم فاذا لم يعمل به شان خلع خلعة العلم على بلعام فلم يصنها ومال بهواه الى ما عنه ينهى *واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان* أحمده فى السر والاعلان وأصلى على محمد الذى انشق ليلة ولادته الايوان صلى الله تعالى عليه وعلى صاحبه أبى بكر أول من جمع القرآن وعلى الفاروق الموصوف بالعدل وكذلك كان وعلى عثمان التقى الحيي الذى تستحيي منه ملائكة الرحمن وعلى علىّ سيد العلماء والشجعان وعلى سائر آله وأصحابه صلاة تامة على ممر الزمان وسلم تسليما ﴿ أما بعد ﴾ فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه العزيز (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) فنقول وبالله تعالى التوفيق اختلف المفسرون فى معنى هذه الآية فذهب جماعة الى أنه من بقية أحكام الجهاد فى الآيات المتقدمة وكان المسلمون اذا بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سرية الى الكفار ينفرون جميعا ويتركون المدينة خالية فأخبرهم سبحانه بان ليس لهم ذلك وقال تعالى فلولا أى فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة أى جماعة ويبقى ما عدا هذه الطائفة النافرة ليتفقهوا فى الدين أى الفرقة الباقية لأجل طلب العلم ولينذروا قومهم أى يعلموهم ففيه اشارة الى أنه ينبغى للمتعلم العمل وتبليغ الشريعة وذهب آخرون الى أن هذه الآية حكم مستقل بنفسه فى مشروعية الخروج لطلب العلم اذا لم يجد من يعلمه فى بلدته والفقه هو العلم بالأحكام الشرعية فيجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم العلم ويجب على العلماء التعليم كما قدمنا بعض ما يتعلق بذلك فى الدروس الماضية وتعلم العلم وتعليمه من أفضل العبادات وأجل الطاعات قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير قال ابن عباس درجات العلماء فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة عام ولو لم يكن من فضيلة العلم الا آية (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم) فبدأ الله تعالى بنفسه وثنى بملائكته وثلث بأهل العلم وناهيك بهذا شرفا والعلماء ورثة الأنبياء كما ثبت بالحديث واذا كان لا رتبة فوق النبوة فلا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وغاية العلم العمل لأنه ثمرته وفائدة العمر وزاد الآخرة فمن ظفر به سعد ومن فاته خسر وقد نال هذه الرتبة العالية والحسنة الباقية أكثر علماء المسلمين والفقهاء والمحدثين ولا سيما الأئمة الأربعة المجتهدين فقد أحكموا الأحكام الشرعية وبينوا المسائل الخفية وأسسوا الأصول والمبانى ونقحوا الفروع والمعانى فلنعطر مجلسنا هذا بطيب ذكرهم ولنسمعكم بعضا من جليل قدرهم فأولهم الامام الصفى أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى عليه الرحمة والرضوان هو النعمان بن ثابت بن النعمان ابن المرزبان من أبناء فارس قال حفيده اسمعيل بن حماد ولد جدّى أبو حنيفة سنة ثمانين وذهب ثابت الى علىّ ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفى ذريته ونحن نرجو أن يكون الله تعالى قد استجاب لعلىّ فينا وقد توفى سنة مائة وخمسين وعمره سبعون سنة وقبره فى بغداد مشهور وقد وردت أحاديث

صحيحة تشير الى فضل إمامنا الأعظم منها قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه والطبرانى عن ابن مسعود أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لو كان الايمان عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس ورواه أبو نعيم عن قيس بن سعد بن عبادة بلفظ ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لو كان العلم معلقا عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس وفى رواية مسلم لو كان الايمان عند الثريا لذهب به رجل من أبناء فارس حتى يتناوله وفى رواية للشيخين والذى نفسى بيده لو كان الدين معلقا بالثريا لتناوله رجل من فارس وليس المراد بفارس البلاد المعروفة بل جنس من العجم وهم الفرس لخبر الديلمى خير العجم فارس وقد كان جد أبى حنيفة من فارس على ما عليه الأكثرون قال الحافظ السيوطى هذا الحديث الذى رواه الشيخان أصل صحيح يعتمد عليه فى الاشارة لأبى حنيفة وهو متفق على صحته ومناقب الامام أبى حنيفة أكثر من أن تحصى وأشهر من أن تذكر وقد صنف العلماء فيها كتبا كثيرة ورسائل وفيرة وقد كان فى فقهه وزهده وورعه وعبادته وعلمه وفهمه غير مشارك ولذا قال فيه عبد الله بن المبارك رضى الله عنه

لقد زان البلاد ومن عليها * إمام المسلمين أبو حنيفه
بأحكام وآثار وفقه * كآيات الزبور على صحيفه
فما فى المشرقين له نظير * ولا فى المغربين ولا بكوفه
يبيت مشمرا سهر الليالى * وصام نهاره لله خيفه
فمن كأبى حنيفة فى علاه * امام للخليقة والخليفه
وقد قال ابن ادريس مقالا * صحيح النقل فى حكم لطيفه
بأن الناس فى فقه عيال * على فقه الامام أبى حنيفه
وصان لسانه عن كل افك * ومازالت جوارحه عفيفه
يعف عن المحارم والملاهى * ومرضاة الاله له وظيفه

قال الحافظ الذهبى قد تواتر قيامه بالليل وتهجده وتعبده ومن ثم كان يسمى الوتد لكثرة قيامه بالليل بل احياؤه بقراءة القرآن فى ركعة ثلاثين سنة وكان يسمع بكاؤه بالليل حتى يرحمه جيرانه وقال ابن المبارك صلى خمسا وأربعين سنة الخمس صلوات بوضوء واحد وكان يجمع القرآن فى ركعة ولما غسله الحسن بن عمارة قال رحمك الله وغفر لك لم تفطر منذ ثلاثين سنة وأتعبت من بعدك وفضحت القراء وكان هيوبا لا يتكلم الا جوابا ولا يخوض فيما لا يعنيه ولا يستمع اليه وقال الحسن بن صالح كان شديد الورع هائبا للحرام تاركا لكثير من الحلال مخافة الشبهة ما رأيت فقيها أشد منه صيانة لنفسه قالوا ولذا امتنع عن القضاء وقد ضرب وحبس لذلك فى أيام المنصور وغيره وقد كان فى علم الحديث على جانب عظيم وكان اماما فيه فانه أخذ الحديث عن أربعة آلاف شيخ من أئمة التابعين وغيرهم ومن ثم ذكره الذهبى وغيره فى طبقات الحفاظ من المحدثين وروى الخطيب عن اسرائيل بن يونس انه كان يحفظ كل حديث فيه فقه وأشد فحصه عنه وروى عن الامام الشافعى أنه قال من أراد أن يتبحر بالفقه فهو عيال على أبى حنيفة انه ممن وفق له الفقه وروى الربيع عنه الناس عيال فى الفقه على أبى حنيفة ما رأيت أى ما علمت أحدا أفقه منه وجاء عنه أيضا من لم ينظر فى كتبه لم يتبحر فى العلم ولم يتفقه ونقل عن الشافعى أنه صلى الصبح عند قبره فلم يقنت فقيل له لم قال تأدبا مع صاحب هذا القبر وزاد بعضهم انه لم يجهر بالبسملة نقله فى رد المحتار وقال سفيان الثورى أبو حنيفة أفقه أهل الأرض ومن مناقبه أن امرأة جاءته وهو فى الدرس فألقت اليه تفاحة نصفها أحمر ونصفها أصفر فأخذها وكسرها وأعادها اليها ففهمت المرأة الجواب فسئل عن ذلك فقال قالت انها ترى الحمرة والصفرة فمتى أغتسل فقلت لها حتى ترين

الطهر الأبيض كبياض التفاحة ومما أنشدنيه الفاروقى عليه الرحمة لنفسه قوله فى الامام الأعظم من قصيدة

يامن علا فى الاجتهاد مناره * وبدر مذهبه غلا مقداره
لله درك من امام أعظم * يعزى الى كسرى الملوك نجاره
أنت الامام المهتدى والمقتدى * والمجتبى والمرتضى أطواره
صلى فريضة صبحه بوضوئه * وقت العشا حينا وذاك شعاره
قد كلفوه للقضا فأبى ولم * يرضى وطال بسجنه استقراره
فقضى شهيدا لاعليه ولا له * من أمرهم شئ يدنس عاره
لازال نوء اللطف من بركاته * يروى ضريحك بالرضا مدراره

وثانيهم السالك أحسن المسالك امام دار الهجرة مالك بن أنس بن عامر التيمى وكنيته أبو عبد الله الأصبحى أحد الأعلام الذين شيدوا الاسلام قال السفيرى ولد فى خلافة الوليد عبد الملك سنة أربع وقيل سنة ثلاث وتسعين ومناقبه جمة أفردت بالتأليف وثناء الناس عليه مشهور معروف أخذ الرواية من تسعمائة شيخ منهم ثلثمائة من التابعين وستمائة ممن تابعهم ممن اختاره وارتضى دينه وفقهه وقيامه بحق شروطها وسكنت النفس اليه ومن أجل مناقبه انه العالم الذى بشر به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله ينقطع العلم فلا يبقى عالم أعلم من عالم المدينة رواه الترمذى وغيره وفى حديث آخر ليس على ظهر الدنيا أعلم منه فتضرب الناس اليه أكباد الابل وفى لفظ آخر يوشك أن يضرب الناس آباط الابل فى طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة فالمراد بعالم المدينة فى الأحاديث المذكورة هو الامام مالك كما قاله التابعون وتابعوهم ولم يعرف ان أحدا ضربت اليه أكباد الابل مثل ماضربت اليه قال أبو مصعب كان الناس يزدحمون على باب مالك ويقتتلون عليه من الزحام لطلب العلم وقال يحيي بن شعبة دخلت المدينة سنة أربع وأربعين ومائة ومالك أسود الرأس واللحية والناس حوله سكوت لايتكلم أحد منهم له ولا يفتى أحد فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غيره فجلست بين يديه فسألته فحدثنى فاستزدته فزادنى ثم غمزنى أصحابه فسكت ومن مناقبه أن امرأة غسلت امرأة بالمدينة فى زمنه رضى الله تعالى عنه فوضعت الغاسلة يدها على فرجها أى فرج الميتة وقالت طالما عصى هذا الفرج ربه فالتصقت يد الغاسلة فى فرجها فسئلوا علماء المدينة عن أمرها فبعضهم قال تقطع يد الغاسلة وبعض آخر قال يشق فرج الميتة وبعض آخر تحير فى أمرها فاستفتى الامام مالك فقال اسئلوا الغاسلة ماقالت فى حق الميتة لما وضعت يدها على فرجها فسألوها فقالت قلت طالما عصى هذا الفرج ربه فقال مالك هذا قذف اجلدوها ثمانين جلدة تخلص يدها فجلدوها ذلك فتخلصت يدها فمن ثم قيل لايفتى ومالك فى المدينة ومنها ماقاله عبد الله بن المبارك قال كنت عند مالك وهو يحدثنا حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلدغته عقرب ستة عشر مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما تفرق الناس عنه قلت يا أبا عبد الله لقد رأيت اليوم منك عجيبا قال نعم صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا روى أنه كان اذا أراد أن يحدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اغتسل وتبخر وتطيب فاذا رفع أحد صوته قال اخفض صوتك فان الله تعالى يقول ولا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى فمن رفع صوته عند حديثه فكأنما رفعه عند صوته ووجه هرون الرشيد اليه ليحدثه فقال مالك ان العلم يؤتى فصار الرشيد الى منزله واستند الى الجدار فقال مالك يا أمير المؤمنين من إجلال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إجلال العلم فقام وجلس بين يديه فحدثه وبعث الرشيد الى سفيان بن عيينة فأتاه سفيان فقعد بين يديه فحدثه وبحث فكان الرشيد يقول يا مالك تواضعنا لعلمك فانتفعنا به وتواضع لنا علم سفيان فلم ننتفع به

وكان لايركب دابة فى المدينة ويقول أنا أستحى من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحافر دابتى وقد سعى به الحساد عند بنى العباس لقوله بعدم طلاق المكره فدعاه جعفر بن سليمان وقد غضب عليه ثم جرده وضربه ولما حضرته الوفاة تشهد ثم قال لله الأمر من قبل ومن بعد فتوفى رضى الله تعالى عنه سنة تسع وسبعين ومائة بالمدينة الشريفة وعمره خمس وثمانون سنة ودفن ببقيع الغرقد (١) نفعنا الله تعالى وإياكم بعلومه آمين وثالث الأئمة محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف الشافعى القرشى ولد بمدينة غزة وقيل بعسقلان وقيل باليمن سنة خمسين ومائة وحمل الى مكة وهو ابن سنتين وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وأذن له الامام مالك بن أنس بالفتوى وهو ابن خمس عشرة سنة وكان كثير المناقب جم المفاخر منقطع القرين اجتمعت فيه من العلوم بالكتاب والسنة وكلام الصحابة واختلاف أقاويل العلماء ومعرفة اللغة والعربية مالم يجتمع فى غيره قال بعض العلماء وقد أخبر به النبى عليه الصلاة والسلام حيث قال لاتسبوا قريشا فان عالمها يملأ الارض علما وقد حمله كثير منهم على الامام الشافعى وحمله بعضهم على ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال السفيرى والشافعى مجدد رأس المائة الثانية المشار اليه فى حديث أبى داود يبعث الله على كل رأس مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها فانه مات سنة أربع ومائتين وكان رضى الله تعالى عنه يختم القرآن فى كل يوم مرة وكان يختمه فى رمضان ستين مرة كل ذلك فى الصلاة وقال عبد الله بن الامام أحمد بن حنبل لأبيه يوما يا أبت أراك تكثر الثناء والمدح للامام الشافعى وتكثر الدعاء له أى رجل كان الشافعى قال له يابنى كان الشافعى كالشمس للنهار وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف أو عنهما عوض وكانت للامام أحمد ابنة صالحة تقوم الليل وتصوم النهار وتحب أخبار الصالحين ومناقب الأولياء الورعين وتود أن ترى الشافعى فاتفق ان مبيت الشافعى عند أبيها فى بغداد ففرحت البنت بذلك طمعا أن ترى أفعاله وتسمع مقاله فلما كان الليل قام أبوها الامام أحمد الى وظيفته من صلاة وتهجد وذكر والامام الشافعى مستلق على ظهره والبنت ترقبه الى الفجر فقالت لأبيها يا أبت أنت تعظم الشافعى ومارأيت له فى هذه الليلة لاصلاة ولاذكرا ولاوردا فبينما هما فى الحديث اذ قام الامام الشافعى فقال له الامام أحمد كيف كانت ليلتك فقال مابت ليلة أطيب ولا أبرك ولا أربح منها فقال كيف ذلك قال لأنى رتبت فى هذه الليلة مائة مسئلة وأنا مستلق على ظهرى والكل فيما ينفع المسلمين ثم ودعه ومضى فقال الامام أحمد لابنته هذا عمله الليلة وهو نائم أفضل من الذى عملته وأنا قائم وقدم بغداد سنة خمس وتسعين ومائة فأقام بها سنتين ثم خرج الى مكة ثم عاد الى بغداد سنة ثمان وتسعين ومائة فأقام بها شهرا ثم خرج الى مصر ولم يزل بها الى أن توفى يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين ودفن بالقرافة الصغرى بمصر المحروسة وقبره مشهور وعلى قبره قبة وعلى القبة هيئة سفينة من نحاس وقد قال فيها بعض الأفاضل

أتيت لقبر الشافعى أزوره * فعارضنى فلك وماعنده بحر
فقلت تعالى الله تلك إشارة * الى أن هذا البحر قد طمه القبر

ولقد أحسن ابن دريد فى مرثيته حيث يقول

ألم تر آثار ابن ادريس بعده * دلائلها فى المشكلات لوامع
معالم يفنى الدهر وهى خوالد * وتنخفض الأعلام وهى روافع
لرأى ابن ادريس ابن عم محمد * ضياء اذا ما أظلم الخطب ساطع
أبى الله الا رفعه وعلوه * وليس لما يعليه ذو العرش واضع

(١) الغرقد بالغين المعجمة العوسج اه منه

سلام على قبر تضمن جسمه * وجادت عليه المدجنات الهوامع
لئن فجعتنا الحادثات بشخصه * لهن لما حكمن فيه فواجع
فأحكامه فينا بدور زواهر * وآثاره فينا نجوم طوالع

ورابع الأئمة المجتهدين الامام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل المتصل نسبه بعدنان الشيباني المروزي الاصل خرجت أمه من مرو وهي حامل به فولدته في بغداد في شهر ربيع الاول سنة أربع وستين ومائة وقيل انه ولد بمرو وحمل الى بغداد وهو رضيع وتوفي أبوه وهو طفل ونشأ ببغداد وطلب بها العلم والحديث من شيوخها ثم رحل بعد ذلك في طلب العلم للبلاد كالكوفة والبصرة والمدينة والشام واليمن والجزيرة وكتب عن علماء كل بلد وقال أول من كتبت عنه الحديث أبو يوسف ومشايخه كثيرون ومن أجلهم الامام الشافعي ومما ينسب له فيه

قالوا يزورك أحمد وتزوره * قلت الفضائل ماتعدت منزله
ان زارني فبفضله أوزرته * فلفضله فالفضل في الحالين له

قال الدميري وحكى ان الشافعي رحمه الله تعالى لما حضر في مصر رأى في المنام سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يقول له بشر أحمد بن حنبل بالجنة على بلوى تصيبه فانه يدعى الى القول بخلق القرآن فلا يجيب الى ذلك بل يقول هو منزل غير مخلوق فلما أصبح الشافعي رضي الله تعالى عنه كتب صورة مارأى في منامه وأرسله مع الربيع الى بغداد الى الامام أحمد رحمه الله تعالى فلما وصل بغداد قصد منزل أحمد واستأذن عليه فأذن له فلما دخل عليه قال له هذا كتاب أخيك الشافعي فقال له هل تعلم مافيه قال لا ففتحه وقرأه وبكى وقال ماشاء الله لاقوة الا بالله ثم أخبره بما فيه فقال الجائزة وكان عليه قميصان أحدهما على جسده والآخر فوقه فنزع الذي على جسده ودفعه اليه فأخذه ورجع الى الشافعي فقال له الشافعي ما أجازك قال أعطاني القميص الذي على جسده فقال له أما أنا فلا أفجعك فيه ولكن اغسله وائتني بمائه فغسله وأتاه بالماء فأفاضه على سائر جسده اه وقال حرملة بن يحيي سمعت الشافعي يقول خرجت من بغداد وما خلفت فيها أحدا أورع ولا أتقى ولا أفقه وأظنه قال ولا أعلم من أحمد بن حنبل وقال علي بن المديني ان الله عز وجل أعز هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث أبو بكر الصديق يوم الردة وأحمد بن حنبل يوم المحنة قال أبو زرعة كان أحمد يحفظ ألف ألف حديث وقال الامام أحمد ما كتبت حديثا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا وقد عملت به وقد دعى الى القول بخلق القرآن فلم يجب وضرب وحبس وهو مصر على الامتناع وقد أخذ عنه جماعة من الاماثل والمحدثين الافاضل منهم محمد ابن اسمعيل البخاري ومسلم بن الحجاج النيسابوري وقال غير واحد من العلماء اذا رأيت الرجل يحب أحمد ابن حنبل فاعلم انه صاحب سنة ومن ذكره بسوء فهو صاحب بدعة وسوء عقيدة وفي ذلك قال مزاحم

لقد صار في الآفاق أحمد محنة * وأمر الورى فيها فليس بمشكل
ترى ذا الهوى جهلا لاحمد مبغضا * وتعرف ذا التقوى بحب ابن حنبل

وقال ابن أعين

أضحى ابن حنبل محنة مأمونة * وبحب أحمد يعرف المتنسك
واذا رأيت لاحمد متنقصا * فاعلم بأن ستوره ستهتك

وقد توفي ضحوة نهار الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة إحدى وأربعين ومائتين ببغداد ودفن بمقبرة دار حرب وقد استولت دجلة على جميع هذه المقبرة بحيث لم يبق لها أثر الآن وقد حضر جنازته من الرجال ألوف كثيرة وكذلك من النساء وأسلم يوم موته عدد كثير من النصارى واليهود والمجوس ورؤى بعد موته برؤيات عديدة تدل على حالة حميدة نفعنا الله تعالى وإياكم بعلومه الشريفة وجعلنا من المتبعين لأقوال

الأئمة ولاسيما أقوال أبي حنيفة فان هؤلاء المجتهدين هم الذين أوصلوا الينا أقوال سيد المرسلين عليه أفضل صلاة المصلين فليس لاحد الآن غنى عن اتباع أقوالهم والتمسك بأسبابهم والتقليد لما نقحوه والاتباع لما رجحوه فجزاهم الله تعالى عن الاسلام وأهله خير الجزاء وحشرنا واياهم تحت لواء خاتم الأنبياء وعليكم اخواني بالحذر من الزلل والاحتقار للعمل فلو رأيتم أرباب القلوب والأسرار وقد أخذوا أهبة التعبد في الأسحار وقاموا في مقام الخوف على قدم الانكسار (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار) عقدوا عزم الصيام وماجاء النهار وسجنوا الألسنة فليس فيهم مهذار وغضوا أبصارهم ولازموا غض الأبصار فانظر مدحهم الى أين انتهى وصار (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار) أحزانهم أحزان ثكلى مالها اصطبار ودموعهم لولا التحري لقلت كالأنهار ووجوههم من الخوف قد علاها الصفار والقلق قد أحاط بالقوم ودار (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار) وجدوا في انطلاقهم الى خلاقهم وراضوا أنفسهم بتحسين أخلاقهم فاذا بهم قد أذابهم كرب اشتياقهم أتدري ما الذي حبسك عن لحاقهم حب الدرهم والدينار ياغافلا طول دهره عن مر يومه وشهره ياموعظا في سره وجهره بجاف النبات وزهره ياعصفور الابد من ذبحه وتخريب وكره ثم لايجول ذلك على فكره متى يفيق سكران الهوى من سكره فلو تفكر حق التفكر في نشره لم يبع ثوبا ولم يشره مضى الزمان في مد اللهو وضرره وماحظي المقصر المفرط بغير وزره

حياة وموت وانتظار قيامه * ثلاث أفادتنا ألوف معان

اخواني أيامكم قلائل وأهواؤكم قواتل فليعتبر الأواخر بالاوائل أين من يوقن أنه لاشك راحل وماله زاد ولا رواحل هلا تنبهت من رقاد شامل وحضرت المواعظ بقلب قابل وقمت في الدجى قيام عاقل وكتبت بالدموع سطور الرسائل وبعثتها في سفينة سائل لعلها ترسي بساحل هل من سائل فأفق من سكرتك قبل حسرتك وتذكر نزول حفرتك وهجران قرابتك ورفقتك فبادر الى تحصيل العفو قبل فوت المطالب وانهض عن بساط الونى وقل الهي أنا تائب

الى الله تب قبل انقضاء زمن العمر * أخي ولا تأمن مسارة الدهر
لقد حدثتك الحادثات نزولها * ونادتك الان سمعك ذو وقر
تنوح وتبكي للأحبة اذ مضوا * ونفسك لاتبكي وأنت على الأثر

فيا حاملا من الذنوب أثقالا يامرسلا عنان لهوه في ميدان زهوه ارسالا قف وقوف المنكسرين وتبتل واستشعر الخضوع واستجلب الدموع واحتل واغسل بمياه الحسرات أنجاس الخطيات واعتذر الى مولاك وتب من خطاياك واحذر سهم الغضب أن يصيب المقتل والجأ الى مولاك في خلاصك واسأل

أياسيدي ماهفوتي بغريبة * اليك ولا غفرانها بطريف
فان تقبل العبد الضعيف تطولا * فان رجائي فيك غير ضعيف

اللهم وفقنا للتوبة والانابة وافتح لأدعيتنا أبواب الاجابة يامن اذا سأله المضطر أجابه اللهم أنت المدعو بكل لسان والمقصود في كل آن أنت قلت ادعوني أستجب لكم فها نحن متوجهون اليك فلا تردنا واستجب لنا كما وعدتنا اللهم أذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك ونزه قلوبنا عن التعلق بمن دونك واجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك وأعطنا مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اللهم اعصمنا من شر الفتن وعافنا في الدارين من جميع المحن وأصلح منا ماظهر ومابطن وألحقنا بالصالحين وارحم كافة المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين

﴿ المجلس الثالث والثلاثون ﴾

(فى التقوى والمودة بين المسلمين)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله خالق الجامد والحساس ومبدع الأنواع والاجناس القوى فى سلطانه الشديد الباس المنزه عن السنة والنعاس المخرج رطب الثمار من يابس الاغراس نفذ قضاؤه فلم يمنع باحتراس لا يعزب عن سمعه ما تجترحه الحواس ولا دبيب ذر بالليل فى مطاوى قرطاس نفذت مشيئته فكم مجتهد عاد باليأس يفعل ما يريد لا بمقتضى تدبير الخلق والقياس قدم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على كل نبي دبر وساس فسبحان من أجزل له العطاء وجعله خير نبى حارب وسطا وقال لأمته وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس أحمده حمدا يدوم بدوام اللحظات والانفاس وأصلى على رسوله محمد الذى شرعه مستقر ثابت الأساس وعلى صاحبه أبى بكر الثابت العزم وقدارتد الناس وعلى عمر قاهر الجبابرة الأشراس (١) وعلى عثمان الصابر يوم الشهادة على مر برالكاس وعلى على أهدى الجماعة الى نص أو قياس الواجبة طاعته على العين والراس ﴿ أما بعد ﴾ فقد قال الله فى كتابه الكريم (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف الله بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما فى السموات وما فى الأرض والى الله ترجع الأمور كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون لن يضروكم الا أذى وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون (ونقول) و بالله تعالى التوفيق الكلام على هذه الآيات الكريمات يشتمل عن فصول ﴿ الفصل الأول ﴾ قوله تعالى حق تقاته من باب اضافة الصفة الى موصوفها اذ الاصل اتقوا الله التقاة الحق أى الثابتة وتقاة مصدر والتقاة الحق التقوى التى تحق له تعالى وهى أن لا يترك العبد شيأ مما يلزمه فعله ولا يفعل شيأ مما يلزمه تركه و يبذل فى ذلك جهده ومستطاعه وفى روح المعانى روى غير واحد عن ابن مسعود موقوفا ومرفوعا هو أن يطاع فلا يعصى و يذكر فلا ينسى و يشكر فلا يكفر وادعى كثير نسخ هذه الآية فعن سعيد بن جبير قال لما نزلت اشتد على القوم العمل قاموا حتى ورمت عراقيبهم (٢) وتقرحت جباههم فأنزل الله تعالى تخفيفا على المسلمين فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت الأولى وفى احدى الروايتين عن ابن عباس أنه قال لم تنسخ ولكن حق تقاته أن يجاهدوا فى الله حق جهاده ولا تأخذهم فى الله لومة لائم و يقوموا لله سبحانه بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأمهاتهم وفى تحفة الاخوان التقوى امتثال الأوامر واجتناب المناهى ولها ثلاث مراتب الأولى التوقى من العذاب المخلد بالتبرى من الشرك وعليه قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر

(١) الاشرس الجرىء فى القتال والاسد كالشريس قاله فى القاموس اه منه (٢) العرقوب بالضم عصب غليظ فوق عقب الانسان وجمعه عراقيب اه منه

عند قوم وهذا التجنب هو المتعارف بالتقوى فى الشرع وهو المعنى بقوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا وعلى هذا قول عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله فما رزق الله بعد ذلك فهو خير الى خير الثالثة أن يتنزه عما يشغل سره عن الله تعالى وهذه هى التقوى الحقيقية المطلوبة بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وقال ابن عمر التقوى أن لا ترى نفسك خيرا من أحد وقد بين الله تعالى ان التقوى خير لباس فقال تعالى ولباس التقوى ذلك خير وقال الشاعر

اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى ✲ تقلب عريانا ولو كان كاسيا

فخير خصال العبد طاعة ربه ✲ ولا خير فيمن كان لله عاصيا

وقال تعالى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله قال بعض المفسرين الذرية الضعاف هن البنات فتقوى الأصول تنفع الفروع كما قال تعالى وكان أبوهما صالحا قيل كان عاشر جد لهما انتهى وقوله تعالى ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون أى مخلصون نفوسكم لله عز وجل لا تجعلون فيها شركة لسواه أصلا وقرأ أبو عبد الله مسلمون بالتشديد ومعناه مستسلمون لما أتى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم منقادون له وقوله تعالى واعتصموا بحبل الله الخ قال الوالد عليه الرحمة أى القرآن وروى بسند صحيح عن ابن مسعود وأخرج غير واحد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء الى الأرض وأخرج أحمد عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انى تارك فيكم خليفتين كتاب الله عز وجل ممدود ما بين السماء والارض وعترتى أهل بيتى وأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض وورد بمعنى ذلك أخبار كثيرة وقيل المراد بحبل الله الطاعة والجماعة وقيل انه الاخلاص لله تعالى وحده وقوله تعالى ولا تفرقوا أى بعد الاسلام كما تفرقت اليهود والنصارى أو كما كنتم فى الجاهلية متدابرين وقيل لا تحدثوا ما يكون عنه التفرق و يزول معه الاجتماع وقد نهى سبحانه وتعالى عن التفرق فى الدين وعن التدابر والتنازع بين المسلمين فى آيات كثيرة من كتابه المبين فقال عز من قائل ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ وقال تعالى وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقال تعالى ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وأخرج ابن ماجه عن عوف بن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم افترقت اليهود على ثنتين وسبعين فرقة فاحدى وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فاحدى وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة والذى نفسى بيده لتفترقن أمتى على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة فى الجنة وثنتان وسبعون فى النار قيل يا رسول الله من هم الجماعة وفى رواية قيل له ما الواحدة قال ما أنا عليه اليوم وأصحابى ثم ان هذا الاختلاف المذموم محمول كما قيل على الاختلاف فى الأصول دون الفروع واستدل على ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام اختلاف أمتى رحمة (١) و بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم مهما أوتيتم من كتاب الله تعالى فالعمل به لا عذر لأحد فى تركه فان لم يكن فى كتاب الله تعالى فسنة منى ماضية فان لم يكن سنة منى فما قال أصحابى إن أصحابى بمنزلة النجوم فى السماء فأيما أخذتم به اهتديتم واختلاف أصحابى لكم رحمة وأراد بهم صلى الله تعالى عليه وسلم خواصهم البالغين رتبة الاجتهاد وفى حديث العرباض المتقدم فى بعض الدروس الماضية فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ و إياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار وليعلم أنه سبحانه وتعالى قد أمر أيضا فى آيات وفيرة على اتفاق المسلمين وعدم شقاقهم وحض على موالاة بعضهم لبعض وكذا نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم فقال تعالى والمؤمنون

(١) لكن قال الامام السبكى ان اختلاف أمتى رحمة ليس معروفا عند المحدثين اه منه

والمؤمنات بعضهم أولياء بعض وقال تعالى (إنما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم) (١) وقال عليه الصلاة والسلام لاتحاسدوا ولاتباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا وفى الأثر المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ومصداق ذلك قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان قال العلماء فينبغى للمسلمين ويجب على الموحدين أن تتحابب قلوبهم وتتفق كلمتهم وتتحد فرقهم لاعلاء كلمة الله وأن يجتمعوا على طاعة خليفة رسول الله وان يطيعوا سلطان المسلمين وينقادوا لأمير المؤمنين قلت ولاسيما فى هذا الزمن الذى كثرت فيه على المسلمين البلايا والمحن فالواجب على كافة الاسلام اتحادهم فى طاعة ولى الأنام وظل الله على الخاص والعام حضرة مولانا أمير المؤمنين السلطان الأعظم شمس سماء بنى عثمان السلطان عبد الحميد خان ابن السلطان المبرور عبد المجيد خان وفقه الله تعالى للخير الأتم وأيده بنصره الاعم وأدام دولته وأعز رعيته وجعل ملوك الارض كلهم تحت لوائه وأظهره على حساده وأعدائه آمين

﴿الفصل الثانى﴾ قد أمر سبحانه وتعالى فى هذه الآيات بالدعاء الى الخير وهو مافيه صلاح دينى ودنيوى فعطف الامر بالمعروف والنهى عن المنكر عليه فى قوله سبحانه ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر من باب عطف الخاص على العام كما قيل وقد وردت أحاديث كثيرة فى الحث على ذلك فلنذكر بعض مايتعلق بما هنالك قال العلماء رحمهم الله تعالى من الكبائر ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لقوله تعالى لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وقوله تعالى فلما نسوا ماذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون وروى مسلم وغيره عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان وأخرج الامام أحمد وأبو يعلى عن درة بنت أبى لهب قالت سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأوصلهم للرحم وفى روح المعانى روى الحسن من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله وخليفة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وخليفة كتابه وروى لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لايجل كبيركم ولايرحم صغيركم وتدعون خياركم فلايستجاب لهم وتستنصرون فلاتنصرون وروى فى تبيين المحارم عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال مامن قوم عملوا بالمعاصى وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك أن يعمهم بعذاب من عنده وفى رواية ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم بعقاب من عنده رواه أبو داود وغيره وقال عليه الصلاة والسلام ان أول مادخل النقص على بنى اسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول ياهذا اتق الله ودع ماتصنع فانه لايحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلايمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل الآية وروى الاصبهانى أنه عليه الصلاة والسلام قال ياأيها الناس مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلايستجيب لكم وقبل أن تستغفروا فلايغفر لكم ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لايدفع رزقا ولايقرب أجلا وان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم ثم عموا بالبلاء وروى الأصبهانى أيضا عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لاتزال لا إله إلا الله تنفع من قالها

(١) وفى الجامع الصغير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاتمار أخاك أى لاتخاصمه ولاتمازحه أى بما يتأذى به ولاتعده موعدا فتخلفه انتهى وروى أيضا عن أنس لايؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه وفى رواية أخرى لمسلم حتى يحب لجاره اه منه

وترد عنهم العذاب والنقمة مالم يستخفوا بحقها قالوا يارسول الله وما الاستخفاف بحقها قال يظهر العمل بمعاصى الله فلاينكر ولايغير وروى أبو ثعلبة الخشنى أنه سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى لايضركم من ضل اذا اهتديتم فقال ياأبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام قال وأوحى الله تعالى الى يوشع بن نون إنى مهلك من قريتك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم فقال يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار قال إنهم لم يغضبوا لغضبى وآكلوهم وشاربوهم ومصداق ذلك قوله تعالى (واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) وقوله تعالى (ولاتركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار) وليعلم ان العلماء اتفقوا على ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفايات وقيل من فروض الاعيان وله شروط منها يلزم أن يكون ذلك إيمانا واحتسابا لالسمعة ولارياء ولالغرض نفسانى ومنها العدالة فقد اعتبرها قوم ولم يعتبرها آخرون وربما استدل الاولون بقوله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) وبقوله عز وجل (ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون) وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى ينشد فى مجالسه

مواعظ الواعظ لن تقبلا * حتى تعيها نفسه أولا
ياقوم من أظلم من واعظ * خالف ماقد قاله للملا
أظهر بين الناس إحسانه * وبارز الرحمن لما خلا

﴿وأنشد آخر﴾

وغير تقى يأمر الناس بالتقى * طبيب يداوى الناس وهو سقيم

﴿وأنشد آخر﴾

ياأيها الرجل المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهيت اذن فأنت حكيم

وفى هذا الباب أخبار كثيرة ومطالب غزيرة من أرادها فليرجع الى محلها ﴿الفصل الثالث﴾ قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس الآية قال المفسرون رحمهم الله تعالى هذا كلام مستأنف يتضمن بيان حال هذه الأمة فى الفضل على غيرها من الأمم سيق لتثبيت المؤمنين على ماهم عليه من الاتفاق على الحق والدعوة الى الخير وكان قيل تامة أى خلقتم وقيل ناقصة أى كنتم فى علم الله خير أمة وقيل كنتم مذكورين فى الأمم الماضية خير أمة وقيل كنتم بمعنى أنتم ونحو هذه الآية قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) أى عدولا خيارا كما قال تعالى قال أوسطهم أى خيرهم وأعدلهم لتكونوا شهداء على الناس أى لتكونوا شهداء يوم القيامة لأنبيائهم على أممهم قال ناصر السنة ابن الجوزى فى الكلام على هاتين الآيتين فى تبصرته مانصه روى عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعى نوح عليه السلام يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم فيقولون ماأتانا من نذير فيقال لنوح من يشهد لك فيقول محمد وأمته فذلك قوله عز وجل وكذلك جعلناكم أمة وسطا قال الوسط العدول قال فيدعون فيشهدون له بالبلاغ قال ثم أشهد عليكم روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال نحن الآخرون السابقون يوم القيامة الحديث وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لى من صلاة الصبح الى نصف النهار على قيراط ألا فعملت اليهود ثم قال من يعمل لى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط ألا فعملت النصارى ثم قال من يعمل لى من صلاة العصر الى غروب الشمس على قيراطين ألا فأنتم الذين عملتم فغضبت اليهود

والنصارى فقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء قال هل ظلمتكم من حقكم شيأ قالوا لا قال فانما هو فضلى أوتيه من أشاء واعلم أن فضيلة هذه الأمة على الأمم المتقدمة وان كان ذلك باختيار الحق لها وتقديمه اياها الا أنه جعل لذلك سببا كما جعل سبب سجود الملائكة لآدم علمه بما جهلوا فكذلك جعل لتقديم هذه الأمة شيأ هو الفطنة والفهم واليقين وتسليم النفوس واعتبر حالهم بمن قبلهم فان قوم موسى رأوا قدرة الخالق فى شق البحر ثم قالوا اجعل لنا إلها ثم مال كثير منهم الى عبادة العجل وعرضت لهم غزاة فقالوا اذهب أنت وربك فقاتلا ولم يقبلوا التوراة حتى نتق عليهم الجبل وأمروا بقوله حطة فقالوا حنطة وقيل لهم ادخلوا الباب سجدا فدخلوا زحفا وقالوا عن نبيهم هو آدر (١) ومن مذهبهم التشبيه والتجسيم وهذا من أعظم التعطيل لان الجسم مؤلف ولا بد للمؤلف من مؤلف ومن غفلة النصارى اعتقادهم ان الله تعالى جوهر (٢) والجواهر تتماثل ولا مثل للخالق ثم يقولون عيسى ابنه وقد علم ان الابن بعض والخالق لا يتجزأ ثم قد علموا أن عيسى لا يقوم الا بالطعام والاله هو من قامت به الاشياء لا من قام بها وقد عرفنا يقين أمتنا و بذلهم أنفسهم فى الحروب وطاعة الرسول وحفظهم للقرآن وأولئك كانوا لا يحفظون كتابهم فلهذا فضلوا فهم أول أمة يدخلون الجنة وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم أهل الجنة مائة وعشرون صفا أمتى منهم ثمانون صفا وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ألا إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى روى أبو موسى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ان مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل أتى قومه فقال يا قوم انى رأيت الجيش بعينى وأنا النذير العريان فالنجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعنى واتبع ما جئت به ومثل من عصانى وكذب ما جئت به من الحق أخرجاه فى الصحيحين وروى أبو هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ما من أحد يموت إلا ندم قالوا فما ندمه يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم أن لا يكون نزع وروى

---

(١) قوله آدر الآدر هو منتفخ الخصيتين اهـ منه (٢) وليعلم أن النصارى زعموا ان الاله جوهر ثلاثة أقانيم أب وابن وروح القدس كل واحد منها إله تام والكل إله واحد ثم قالوا ان الابن الذى هو أحد الأقانيم وثانيها نزل الى الأرض وتجسد من مريم ومن روح القدس و ولد ونشأ وكبر الى أن بلغ من العمر ثلاثا وثلاثين سنة وشهورا ثم أن اليهود صلبوه ومات وقبروه ثم قام من قبره فى اليوم الثالث وأكل السمك وشرب الماء وظهر للحواريين ثم ارتفع الى السماء وجلس عن يمين الأب وهو فى هذه الأحوال كلها إله تام وانسان تام ولهم فى الاقانيم تسعة أقوال مذكورة فى كتاب مثير الغرام والاقنوم لفظة سريانية معناها الشخص ورد هذا القول أظهر من أن يذكر فان جنة قائله لا تخفى على عاقل وأما اليهود فأقوالهم السخيفة كثيرة منها تحريفهم للتوراة وتبديلها ومنها ان الاله سبحانه وتعالى مساحة جبهته خمسة آلاف ذراع وتاج رأسه ألف قنطار وفص خاتمه تضىء منه الشمس والنجوم وقالوا ان موسى هو الذى قتل أخاه هرون لميل بنى اسرائيل اليه ومنها أن سليمان بنى لنسائه بيوت الاوثان وأباح لهن عبادتها ومنها قولهم ان داود زنى بامرأة أو زنى وابنه سليمان منها سبحانك هذا بهتان عظيم وليعلم أيضا أنه قد ورد فى التوراة والانجيل ما يدل على نبوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم منها قول الله تعالى مخاطبا لموسى عليه الصلاة والسلام سأقيم لهم نبيا مثلك من اخوانك أجعل كلامى على فمه وفى موضع آخر منها جاء الله من طور سيناء وظهر بساعير وعلن بفاران والمراد بالمجىء مجىء الشرائع والسنن والانبياء لان الله تعالى منزه عن المجىء وجبل الطور معلوم وكان مبدأ ظهور موسى منه وساعير جبل القدس ومنه مبدأ ظهور عيسى وفاران جبل مكة أو الحجاز فى التوراة واسمعيل سكن برية فاران ونشأ بها ومن أراد تفصيل أقوالهم الباطلة فعليه بالمطولات الكافلة اهـ منه

عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال مثل أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره فان قيل فهذا يوجب ترددا فى تفضيل الصحابة فالجواب أنه أراد تقريب آخر أمته الى أولها فى الفضل كما تقول لا أدرى أوجه هذا الثوب خير أو مؤخره وقد علم أن وجهه أفضل لكنك تريد تقريب مؤخره من وجهه من الجودة ذكره ابن قتيبة فأما فضل الصحابة رضى الله تعالى عنهم فلا شك فيه إذ لهم صبر على الحق لا يشاركهم فيه أحد كان بلال رضى الله عنه يعذب فى الرمضاء و يقولون له قل اللات والعزى وهو يقول أحد أحد وكان عم الزبير يعلقه و يدخن عليه بالنار و يقول ارجع الى الكفر فيقول لا أرجع ولقد جاء من بعد الصحابة سادات برزوا فى العلم والعمل كان أبو مسلم الخولانى قد علق فى مسجده سوطا يؤدب به نفسه كلما فتر و يقول أيظن الصحابة أن يستأثروا بمحمد دوننا والله لأزاحمنهم عليه زحاما حتى يعلموا أنهم قد خلفوا رجالا وكان عامر بن قيس يصلى كل يوم ألف ركعة وكان كهمس بن الحسن يختم فى الشهر تسعين ختمة وصلى سليمان التيمى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة وكان سفيان الثورى غاية فى العلم والعمل فغلبه الخوف فصار يبول الدم وحمل ماؤه الى الطبيب فقال هذا لا يشبه بول المسلمين هذا ماء الرهبان هذا الرجل قد فتت الخوف كبده وحمل ماء سرى السقطى الى الطبيب فلما نظر اليه قال هذا بول عاشق قال حامله فصعقت وغشى على ثم رجعت الى سرى فأخبرته فقال قاتله الله ما أبصره قال الشبلى جزت براهب فقلت له لمن تعبد فقال عيسى قلت ولم قال بقى أربعين يوما لم يأكل قلت فعدها على فأقمت تحت صومعته أربعين يوما لم آكل فأسلم وكان أبو عبيدة الخواص يقول واشوقاه الى من يرانى ولا أراه وفى الحديث عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال اشتاقت الجنة الى على وعمار وسلمان قال بعض الصالحين لقيت غلاما فى طريق مكة يمشى وحده فقلت ما معك مؤنس قال بلى قلت أين هو قال أمامى وخلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى قلت أما معك زاد قال بلى قلت أين هو قال الاخلاص والتوحيد والايمان والتوكل قلت هل لك فى مرافقتى فقال الرفيق يشغل عن الله ولا أحب أن أرافق من يشغلنى عنه طرفة عين قلت أما تستوحش فى هذه البرية قال ان الأنس بالله قطع عنى كل وحشة فلو كنت بين السباع ما خفتها قلت ألك حاجة قال نعم اذا رأيتنى فلا تكلمنى قلت ادع لى قال حجب الله طرفك عن كل معصية وألهم قلبك الفكر فيما يرضيه قلت حبيبى أين ألقاك قال أما فى الدنيا فلا تحدث نفسك بلقائى وأما فى الآخرة فانها مجمع المتقين فان طلبتنى هنالك فاطلبنى فى زمرة الناظرين الى الله عز وجل قلت وكيف علمت قال بغض طرفى له عن كل محرم واجتنابى فيه كل منكر ومأثم وقد سألته أن يجعل جنتى النظر اليه ثم صاح وأقبل يسعى حتى غاب عن بصرى اخوانى ان من كان من أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فهو من خير الأمم عند الله الملك الأعظم ولما كان هذا الرسول الأكرم صلى الله تعالى عليه وسلم خير الخلق وأفضلهم كانت أمته خير الأمم وأفضلها وأقدمها وأكرمها فما يحسن بمن كان خيرا من الأمم الماضين ومتبعا لسيد المرسلين الا أن يكون متصفا بصفات الخير متجنبا لصفات الشر المعقبة للضير ولا يرضى لنفسه أن يكون من شر الناس مع انتسابه إلى خير الأمم ورسوله خير الرسل الكرام ولما تمسك رسول الله عليه الصلاة والسلام بعروس الاسلام وأبرزها للبصائر من خدرها أخرج أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ماله كله نثارا لهذه العروس ونثره على الرؤس ثم أخرج عمر الفاروق رضى الله تعالى عنه النصف موافقة له فقام عثمان رضى الله تعالى عنه بوليمة ذلك العرس فجهز جيش العسرة وقام على كرم الله تعالى وجهه إلى الدنيا الدنية لما علم أنها ضرة لهذه العروس البهية وأنهما لا يجتمعان وفى قلب واحد لا يسكنان ثلث طلاقها واختار فراقها راضيا بضرتها الباقية المشفقة الوافية طاردا للفانية الغدارة العاتية فالحمد لله الذى خصنا بهذه الرحمة وأسبغ علينا هذه النعمة وأعطانا ببركة نبينا المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم هذه الفضائل الجمة فقال لنا كنتم خير أمة أخرجت للناس

فمن أين للأمم مثل أبى بكر الصديق أو عمر الذى ماسلك طريقا إلا هرب الشيطان من ذلك الطريق أو عثمان الذى صبر على مر المضيق أو على بحر العلم الخضم العميق أو مثل العمين الحمزة والعباس كنتم خير أمة أخرجت للناس أفيهم مثل طلحة والزبير القرينين أو سعد وسعيد هيهات من أين أو السجاد وجعفر ذو الجناحين أو مثل عوف وأبى عبيدة ومن مثل الاثنين إن شبهتم بهم فقد أبعدت فى القياس كنتم خير أمة أخرجت للناس هل شجرة الرضوان فى أشجارهم هل وقعة بدر من أثمارهم إنما عرضت لهم غزاة فى جميع أعمارهم وجهاد نامع الأنفاس كنتم خير أمة أخرجت للناس غمرهم التغفيل وتناهى واعتقدوا للخالق أشباها فقالوا فى اليم إجعل لنا إلها ومافى عقائدنا نحن التباس كنتم خير أمة أخرجت للناس أعندرهبانهم كزهد أويس أو فى عابديهم كعامر بنى قيس أو فى خائفيهم كالفضيل هيهات ليس ضوء الشمس كالمقباس كنتم خير أمة أخرجت للناس أفيهم مثل بشر ومعروف أفى زهادهم كابن أدهم موصوف أو فى طوائفهم طائفة صلت وقد سلت السيوف ورنت الأقواس كنتم خير أمة أخرجت للناس أفيهم مثل أبى حنيفة ومالك أو كالشافعى الهادى إلى المسالك كيف نمدحهم وهم أجل من ذلك ما أحسن بنيانهم والأساس كنتم خير أمة أخرجت للناس أفيهم أعلى من الحسن البصرى وأنبل أو ابن سيرين الذى بالورع تبتل أو سفيان الذى بالعلم والخوف تسربل أو كأحمد الذى بذل نفسه للحق وسبل تالله مافيهم مثل ابن حنبل إرفع صوتك بهذا ولا باس كنتم خير أمة أخرجت للناس اللهم إنا نسألك الثبات على دينك وشكر نعمتك وحسن عبادتك ونسألك لسانا صادقا وقلبا سليما وفؤادا حليما ونسألك من خير ما تعلم ونستغفرك مما تعلم اللهم لك أسلمنا وبك آمنا وبجميع ماجاء به نبيك المصطفى صدقنا وعليك توكلنا واليك أنبنا وبك خاصمنا اللهم إنا نعوذبك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الأمر اللهم أحسن عاقبتنا فى الأمور كلها وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة اللهم وارحم آباءنا وأمهاتنا وأقاربنا وكافة المسلمين والحمد لله رب العالمين

﴿ المجلس الرابع والثلاثون ﴾

(فى التفكر وعجائب المخلوقات)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله القديم السابق العظيم الخالق الكريم الصادق الرحيم الرازق رافع السبع الطوابق بلا عمد ولا علائق ومثبت الأرض بالشم الشواهق مزينة بالاشجار والحدائق المتعرف إلى خلقه بالبراهين والحقائق المتكفل بأرزاق جميع الخلائق خالق الحيوان الناطق من ماء دافق رب السموات السبع ومابينهما ورب المشارق أحمده ماسكت ساكت ونطق ناطق وأقر بوحدانيته إقرار مخلص لامنافق وأصلى على رسوله محمد الذى عمت دعوته الحضيض والشاهق وعلى صاحبه أبى بكر القائم يوم الردة بالحزم اللائق وعلى عمر مدوخ الكفار وفاتح المغالق وعلى عثمان الذى مااستحل حرمته الأمارق وعلى على الذى كان يدخل بالشجاعة المضائق وعلى سائر آله وأصحابه ما أضاء صبح وذر شارق وسلم تسليما ﴿أما بعد﴾ فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه العزيز ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار (فنقول) وبالله تعالى التوفيق قال المفسرون (ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار) المراد ذات السموات والارض وصفاتهما ومافيهما من العجائب والمراد باختلاف الليل والنهار تعاقبهما بالمجىء والذهاب وزيادة أحدهما ونقصان الآخر وتفاوتهما طولا وقصرا وحرا

وبردا وقوله تعالى (لآيات) أى دلالات واضحة وبراهين بينة لأهل العقول الصحيحة على الخالق سبحانه وتعالى

وفى كل شئ له آية * تدل على أنه واحد

وقوله تعالى (الذين يذكرون الله) الآية اختلف فى المراد بالذكر فقيل ذكره سبحانه وتعالى فى هذه الأحوال من غير فرق بين حال الصلاة وغيرها وذهب جماعة من المفسرين إلى أن الذكر هنا عبارة عن الصلاة وبه قال على وابن عباس رضى الله تعالى عنهم أى لايضيعون فى حال من الاحوال فيصلونها (قياما) مع عدم العذر (وقعودا وعلى جنوبهم) مع العذر وقوله تعالى (ويتفكرون فى خلق السموات والارض) أى فى بديع صنعهما واتقانهما مع عظم أجرامهما فان هذا الفكر اذا كان صادقا أوصلهم إلى الايمان به سبحانه وعن عائشة مرفوعا ويل لمن قرأ هذه الآية ولم يتفكر فيها وقد مدح الله تعالى المتفكرين ووردت آثار (١) فى استحباب التفكر كما سنذكر ذلك وقوله (ربنا ماخلقت هذا باطلا) أى عبثا ولهوا بل خلقته دليلا على حكمتك ووحدانيتك وقدرتك واعلم ان التفكر معناه أن يحضر الانسان فى قلبه معرفتين ليستثمر منهما معرفة ثالثة فاذا تفكر فى السموات والارض علم أنها مخلوقة وعلم أنه لابد لها من خالق فأثمرت المعرفتان معرفة ثالثة وهى طاعته ولزوم أمره وكذلك إذا علم ان الباقى أولى من الفانى ثم علم ان الآخرة أبقى حصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهى ان الآخرة أولى بالايثار وثمرة الفكر العلوم والاحوال ومتى حصل العلم فى القلب تغير حال القلب فتغيرت أعمال الجوارح فالفكر هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها فانه اذا تفكرنا فعلمنا ان الآخرة خير من الدنيا تغيرت القلوب عن الرغبة فى الدنيا فرغبت فى الآخرة قال حجة الاسلام أبو حامد الغزالى فى الاحياء قد أمر الله تعالى بالتفكر والتدبر فى كتابه العزيز فى مواضع لاتحصى وأثنى على المتفكرين فقال تعالى (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض) الآية وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما ان قوما تفكروا فى الله عز وجل فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تفكروا فى خلق الله ولاتفكروا فى الله فانكم لن تقدروا قدره وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال مالكم لاتتكلمون فقالوا نتفكر فى خلق الله عز وجل قال فكذلك فافعلوا تفكروا فى خلقه ولاتتفكروا فيه فان بهذا المغرب أرضا بيضاء نورها بياضها وبياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله طرفة عين قالوا يارسول الله فأين الشيطان منهم قال مايدرون خلق الشيطان أم لا قالوا ومن ولد آدم قال لايدرون خلق آدم أم لا وعن الحسن قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة وعن الفضيل قال الفكر مرآة تريك حسناتك وسيآتك وقيل لابراهيم انك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العقل وكان سفيان بن عيينه كثيرا مايتمثل بقول القائل

إذا المرء كانت له فكرة * ففى كل شئ له عبرة

وعن طاوس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم ياروح الله هل على الارض اليوم مثلك فقال نعم من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلى وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكونه تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو وفى قوله تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق قال أمنع قلوبهم عن التفكر فى أمرى وعن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اعطوا أعينكم حظها من العبادة فقالوا يارسول الله وماحظها من العبادة قال النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه وقال وهب بن منبه ماطالت فكرة امرئ قط الا علم وماعلم امرؤ

(١) سئل أعرابى بم عرفت الله سبحانه وتعالى فقال البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير فأرض ذات أفواج وسماء ذات ابراج أفلا يدلان على السميع البصير اهـ منه

قطا الاعمل وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة في نعم الله عز وجل من أفضل العبادة وقال بشر لو تفكر الناس في عظمة الله ماعصوا الله عز وجل وقال الشافعي رحمه الله تعالى الفضائل أربع إحداها الحكمة وقوامها الفكر والثانية العفة وقوامها في الشهوة والثالثة القوة وقوامها في الغضب والرابعة العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس وليعلم ان التفكر يلزم في أنواع عديدة منها ينبغي للعاقل أن يفتش صبيحة كل يوم جميع أعضائه السبعة تفصيلا ثم بدنه على الجملة هل هو في الحال ملابس لمعصية بها فيتركها أو لابسها بالأمس فيتداركها بالترك والندم أو هو متعرض لها في نهاره فيستعد للاحتراز والتباعد عنها فينظر مثلا في اللسان و يقول انه متعرض للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء بالغير والممازحة والخوض فيما لا يعنيه فيقرر أولا في نفسه انها مكروهة عند الله تعالى و يتفكر في شواهد القرآن والسنة على شدة العذاب فيها ثم يتفكر في أحواله انه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر و يتفكر ما الفائدة له في ذلك ثم يتفكر كيف يحترز من هذه المهالك ويعلم انه لا يتم له ذلك إلا بالعزلة أو بأن لا يجالس إلا صالحا ورعا متقيا ينكر عليه مهما تكلم بما يكرهه الله تعالى والا فيضع حجرا في فمه اذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكرا له ونحو هذا يتفكر في بقية أعضائه و يجعل نصب عينيه قوله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا) ولنذكر لكم تفسير هذه الآيات ثم نرجع الى ما نحن بصدده ان شاء الله تعالى قال العلماء رحمهم الله تعالى (ولا تقف) أي لا تتبع ما لا تعلم لا تقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم وقال ابن عباس لا تذم أحدا بما ليس لك به علم وقال محمد بن الحنفية هي في شهادة الزور وقيل هي في القذف وقيل معناها لا تتبع الحدس والظنون وقوله تعالى (ان السمع الآية) أي كل واحد من الحواس الثلاثة يسئل عنه وقيل ان الله سبحانه ينطق هذه الأعضاء عند سؤالها لتخبر عما فعله صاحبها والفؤاد هو القلب وله اطلاقان تارة يطلق على الجسماني الذي في الصدر وتارة على غيره قال في التبصرة اعلم أن القلب اذا أطلق أريد به الجسماني الذي في الصدر وليس المراد به هذا في قوله عز وجل ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد لان الحيوان البهيمي يشارك الآدمي في ذلك وانما اللطيفة التي هي في الآدمي حقيقة تارة تسمى بالقلب وتارة بالروح وتارة بالنفس وتارة بالعقل قال الزجاجي ومعنى الآية ان في ذلك لذكرى لمن صرف قلبه الى التفهم أو ألقى السمع أي استمع ولم يشغل قلبه بغير ما استمع وهو شهيد أي وقلبه حاضر غير غائب ثم اعلم ان القلب أمير البدن والجوارح خدمه وقد ركب في الآدمي ما ركب في الملك من العلم والعمل بمقتضاه وركب فيه ما ركب في البهيمة من الحرص والحسد والشهوة والشهوات فالعلوم تحركه الى الأخلاق الرفيعة والشيطان يدعوه الى الأخلاق البهيمية فان مال الى التقى فر الشيطان من ظله وان مال الى الشهوات البهيمية تمكن الشيطان منه وربما قبض عليه فقتله وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ألا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب أخرجاه في الصحيحين ولما اكتنف القلب صفات الخير وصفات الشر كان كلما تشبثت به صفة أثرت فيه وهذا معنى تقلب القلوب عن أنس رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك واعلم أن القلب يمرض من الخطايا كما يمرض البدن من التخليط فالمتقون يستعملون الحمية بالتقوى قبل الوقوع في المرض ومنهم من تزل قدمه بزلة فيتنبه لها فيرفع الخلل بالاستغفار ومنهم من يتوانى في الاصلاح فيعظم فساد القلب فيقسو و يظلم و يصدأ انتهى وقوله تعالى (ولا تمش في الأرض مرحا) أي مختالا فخورا وقيل هو شدة الفرح وقيل التكبر في المشي

وقرئ مرحا بكسر الراء على أنه اسم فاعل ثم علل سبحانه هذا النهي فقال (إنك لن تخرق الأرض) أي لن تقطعها في المسافة أو تنقبها وفيه تهكم بالمختال المتكبر (ولن تبلغ الجبال طولا) أي ولن تبلغ قدرتك الى أن تطاول الجبال وتساويها بكبرك فما الحامل لك على ما أنت فيه وأنت أصغر وأحقر من كل واحد من الجادين وأنت تفنى وتهلك قبل هذين فكيف يليق بك الكبر ولقد أحسن من قال

ولا تمش فوق الارض إلا تواضعا * فكم تحتها قوم هم منك أرفع
فان كنت في عز وحرز ومنعة * فكم مات من قوم هم منك أمنع

وقوله تعالى (كل ذلك) أي جميع ما تقدم أو ما نهي عنه (كان سيئة) وقرأ أبي كان سيآته وقرأ نافع سيئة على أنها واحدة السيآت (عند ربك مكروها) والمكروه هو الذي يبغضه ولا يرضاه سبحانه وقوله تعالى (ملوما مدحورا) أي تلوم نفسك مبعدا مطرودا من رحمة الله ولنرجع إلى ما نحن بصدده من بحث التفكر فليعلم أنه ينبغي للعاقل أيضا أن ينظر أولا في الفرائض المكتوبة عليه أنه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير وكيف يصونها عن ترك الطمأنينة والرياء وكيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل ثم يرجع إلى عضو عضو من أعضائه فيتفكر في الأفعال التي تتعلق به مما يحب الله تعالى فيقول مثلا إن العين لم تخلق لرؤية المحرمات بل خلقت للنظر في ملكوت الأرض والسموات وغير ذلك من الطاعات وكذلك يقول في سمعه ان سمعي لم يخلق لسماع الغيبة والنميمة فيقول اني قادر على استماع مظلوم وكلام ملهوف أو استماع علم أو قراءة و وعظ وذكر فمالي أعطله وقد أنعم الله تعالى علي به وأودعنيه لأشكره فمالي أكفر نعمة الله تعالى فيه بتضييعه وتعطيله وكذلك يتفكر في فرجه وبطنه وانهما لماذا خلقا وفي بقية أعضائه وهكذا يفتش عن جملة بدنه وأولاده وأمواله وغلمانه ودوابه بأن ينظر ان الله تعالى أعطاه ذلك ليستعين به على طاعاته لا على معاصيه وقوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والأرض الآية قال العلماء ان كل ما في الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله وخلقه وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة موصوف ففيها عجائب وغرائب تظهر بها حكمة الله تعالى و وحدانيته وعظمته واحصاء ذلك غير ممكن ولكنا نشير الى بعض منه ليكون كالمثال لما عداه (فنقول) الموجودات المخلوقة منقسمة الى ما لا يعرف أصله فلا يمكننا التفكر فيه وكم من الموجودات ما لا نعلمه كما قال تعالى و يخلق ما لا تعلمون والى ما يعرف أصله ولا يعرف تفصيله والى ما ندركه بالبصر وما لا ندركه بالبصر أما الذي لا ندركه بالبصر فكالملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسي وغير ذلك ومجال الفكر في هذه الأشياء مما يضيق فلنعدل الى الأقرب الى الافهام وهي المدركات بالبصر وذلك هو السموات السبع والارض وما بينهما فالسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحركاتها والارض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وأنهارها وبحارها وأشجارها وحيوانها وما بين السماء والارض وهو الجو مدرك بغيومه وأمطاره وثلوجه ورعده وبرقه وصواعقه وعواصف رياحه وفي جميع ذلك حكم عظيمة لا يعلم عددها الا الله سبحانه وتعالى ومن جملة تلك الآيات الانسان المخلوق من النطفة وأقرب شيء اليك نفسك وفيك من العجائب الدالة على عظمة الله تعالى ما تنقضي الاعمار في الوقوف على عشر عشيره وأنت غافل عنه فيا من هو غافل عن نفسه وجاهل بها كيف تطمع في معرفة غيرك وقد أمرك سبحانه وتعالى بالتدبر في نفسك حيث قال عز وجل (وفي الارض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون وذكر أنك مخلوق من نطفة قذرة فقال قتل الانسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره وقال تعالى ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون) وقال تعالى (ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى) فتكرر ذكر النطفة في القرآن العظيم ليس ليسمع لفظها

فقط بل ليتفكر فى المعنى فانظر الآن الى النطفة وهى قطرة من ماء الذكر والأنثى قذرة لو تركت ساعة فى الهواء فسدت وأنتنت كيف أخرجها رب الأرباب من الصلب والترائب وكيف جمع بين الذكر والأنثى وجعل بينهما مودة ورحمة وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة الى الاجتماع وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع واستجلب دم الحيض من أعماق العروق وجمعه فى الرحم ثم خلق المولود من النطفة وسقاه بماء الحيض وغذاه حتى نما وكبر وكيف جعل النطفة وهى بيضاء مشرقة علقة حمراء ثم جعلها مضغة (١) ثم كيف قسمها وهى متشابهة الى العظام والاعصاب والعروق والاوتاد واللحم ودور الرأس وشق السمع والبصر والأنف والفم وسائر المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم رؤسها بالاصابع وجعل فيها مفاصل وأظافر ثم كيف ركب الأعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والامعاء كل واحد على شكل مخصوص وانظر كيف ركب العين من سبع طبقات لو فقدت طبقة منها انقطعت عن الرؤية وانظر كيف شق أذنيه وأودعهما ماء مرا ليحفظ سمعها ويدفع الهوام عنها وحوطها بصدفة الأذن لتجمع الصوت فترده الى صماخها وفتح منخريه وأودع فيه حاسة الشم ليستنشق روح الهواء غذاء لقلبه وترويحا لحرارة باطنه وفتح الفم وأودعه اللسان ناطقا وترجمانا عما فى القلب وزين الفم بالأسنان وبيض لونها ورتب صفوفها فأحكم أصولها وحدد رؤسها لتكون آلة الطحن والقطع وخلق الشفتين ليتم بها حروف الكلام وخلق الحناجر مختلفة الاشكال فى الضيق والسعة والطول والقصر حتى تختلف بها الأصوات كما اختلفت الصور ثم انظره انه لما ضاق الرحم عن الجنين لما كبر كيف هداه السبيل حتى تحرك وتنكس وخرج من ذلك المضيق وطلب المنفذ كأنه عاقل بصير ثم لما كان بدنه لا يحتمل الاغذية الكثيفة كيف خلق له اللبن اللطيف واستخرجه من بين الفرث (٢) والدم سائغا خالصا وكيف هداه لالتقام الثدى ولا سيما سائر الحيوانات وكيف أنبت منهما حلمتين على قدر ما ينطبق عليهما فم الصغير ثم فتح فى حلمته فتقا ضيقا حتى لا يخرج منه اللبن الا تدريجا ثم انظر كيف خلق الاسنان عند احتياجه الى الطعام ثم انظر كيف جعل الرحمة فى قلب والديه ثم انظر كيف رزقه العقل والقدرة تدريجا والتميز والهداية حتى بلغ وتكامل وصار شابا ثم كهلا ثم شيخا إما كفورا أو شكورا فتبارك الله أحسن الخالقين فهذه عشر عشير من عجائب بدنك التى لا يمكن استقصاؤها فهو أقرب مجال لفكرك وأجلى شاهد على وجود خالقك وعظمته وقدرته وحكمته وأنت غافل عن ذلك مشغول ببطنك وفرجك لا تعرف من نفسك الا أن تجوع فتأكل وتشبع وتنام وتشتهى فتجامع وتغضب فتقاتل والبهائم تشاركك فى معرفة ذلك وانما خاصية الانسان التى حجبت البهائم عن كمالها معرفة الله تعالى بالنظر فى ملكوت السموات والارض وعجائب الآفاق والانفس اذ بها يدخل العبد فى زمرة الملائكة المقربين ويحشر فى زمرة الصديقين فاذا رضى الانسان بشهوات البهائم فانه شر منها قال الله تعالى ان هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا واذا عرفت طريق فكرك فى نفسك فتفكر فى الارض التى هى مقرك ثم ارتفع منها الى ملكوت السموات أما الارض فانظر اليها وهى ميتة فاذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت عجائب النبات لكل نبت طعم ولون وريح يخالف الشكل الآخر وانظر الى اختلاف منافعه وأذيته فهذا يغذى وهذا يقوى وهذا يحيى وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا يسخن وهذا ينوم وهذا يسهر وبعضه يخرج من نواة وبعضه من حبة ولو أردنا أن نذكر عجائب النباتات لانقضت الايام فى وصف ذلك ولقد أحسن القائل

تأمل فى رياض الارض وانظر * الى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات * على أحداقها ذهب سبيك

---

(١) أى قطعة لحم اهـ منه (٢) وهو ما فى معدة الانسان اهـ منه

على قصب الزبرجد شاهدات * بأن الله ليس له شريك

ومن آياته الجواهر المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة من الارض والعيون النابعة فيها والمعادن الخارجة منها كالنفط والكبريت والقار والملح وغير ذلك ومن آياته أصناف الحيوانات وانقسامها الى ما يطير وما يمشى والى ما يمشى على أربع وعلى عشر وعلى مائة ثم انظر الى انقسامها فى المنافع والصور والاشكال والاخلاق والطباع ترى فيها من العجائب التى لا تستقصى ما لا تشك معه فى عظمة خالقها وقدرة رازقها ولو أردنا أن نذكر عجائب البقة أو النملة أو النحلة أو العنكبوت وهى من صغار الحيوانات لضاقت عن بعضها مجالسنا ومن أراده فليرجع الى كتاب مفتاح دار السعادة للعلامة شمس الدين محمد الشهير بابن قيم الجوزية ومن آياته عز وجل البحار العميقة المكتنفة لاقطار الارض فانظر الى سعتها وعجائب ما فيها من الحيوانات والجواهر ففيها من الحيوانات العظام ما ترى ظهورها فى البحر فتظن أنها جزيرة فينزل عليها الناس فربما تحس بالنيران اذا اشتعلت فتتحرك وما من صنف من أصناف البر الا وفى البحر مثاله وانظر كيف خلق الله اللؤلؤ فى الاصداف وأنبت المرجان من صم الصخور تحت الماء وتأمل العنبر ونحوه كيف يقذفه البحر وانظر الى السفن كيف أمسكها الله على الماء ثم أرسل الرياح لتسوقها ولم تغرق مع ثقل جسمها ولطافة الماء ثم انظر الى عجائب الجو وما يظهر فيه من الغيوم والرعود والبروق والأمطار والثلوج والشهب والصواعق فهى عجائب ما بين السماء والارض المشار اليها فى قوله تعالى (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين) فتأمل السحاب الكثيف المظلم كيف اجتمع فى جو صاف وكيف يخلقه الله تعالى اذا شاء ومتى شاء وهو مع رخاوته حامل للماء الثقيل الى أن يأذن الله سبحانه فى إرساله وتقطيع قطراته الى من يشاء فتعسا للجاهل المغرور حيث يزعم أن ذلك انما هو بطبعه لثقله ولم ينظر الى الماء فى أسافل الشجر كيف ترقى الى أعالى الاشجار شيأ فشيأ وينتشر فى جميع أطراف الاوراق والفواكه فيغذيها وينميها فلو كان الماء يتحرك بطبعه الى أسفل لما وصل الماء من عروق الشجر الى أعلاها وما ذاك الا بقدرة الحكيم القدير ومن آياته عز وجل ملكوت السموات وما فيها من الكواكب وهو الأمر كله ومن أدرك الكل وفاته عجائب السموات فقد فاته الكل تحقيقا لان الارض وما فيها والبحار بالنسبة الى السموات كقطرة فى بحر ولذا عظمها سبحانه فى كتابه وأقسم بها بقوله تعالى والسماء ذات البروج واليوم الموعود * والسماء والطارق * والسماء ذات الحبك * والسماء وما بناها * وكقوله عز وجل والشمس وضحاها * والقمر اذا تلاها * وكقوله تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس * وقوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم وقال تعالى * أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها * فانظر الى الملكوت لترى عجائب العز والجبروت ولا تظن أن معنى النظر رؤية زرقة السماء والكواكب بالبصر فان البهائم تشاركك فى ذلك بل المراد استدلالك بها على قدرة ووحدانية المالك فارفع رأسك أيها الأخ العاقل الى السماء وانظر فيها وفى كواكبها وفى دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف مشارقها ومغاربها وفى دوام حركتها وفى جريها فى منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص الى أن يطويها سبحانه طى السجل للكتاب وتدبر عدد كواكبها وكثرتها واختلاف ألوانها وكيفية أشكالها فبعضها على هيئة العقرب وبعضها على صورة الجمل والثور والانسان وما من صورة فى الارض الا ولها مثال فى السماء ثم انظر الى مسير الشمس فى فلكها وايلاج الليل فى النهار وكيف جعل الله الليل لباسا والنوم سباتا للاستراحة والنهار معاشا وقد اتفق الناظرون على أن الشمس مثل الارض مائة ونيفا وستين مرة ومن الكواكب ما يزيد على مائة مرة من الارض وبهذا تعرف ارتفاعها وبعدها ولقد أحسن القائل

والنجم تستصغر الابصار رؤيته * والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر

وفى الأخبار ان ما بين كل سماء الى الاخرى فى مسيرة خمسمائة عام فاذا كان مقدار كوكب واحد مثل الارض أضعافا فانظر الى كثرة الكواكب المركوزة فيها والى عظمها وسرعة حركتها وأنت لاتحس بحركتها فضلا عن أن تدرك سرعتها وانظر الى عظم شخصها وخفة حركتها ثم انظر الى قدرة الفاطر الحكيم كيف أثبت صورتها العظيمة فى حدقة أعيننا الصغيرة فسبحان من خلقها وخلقنا ثم خاطبنا بقوله (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) فيا عجبا النفس تنكر البعث ما أعماها اما أظهر الادلة لها وجلاها من الذى مد الارض ودحاها وابتعث الغمام فسقاها (وآية لهم الارض الميتة أحييناها) أما فى هذا دليل لها فما أشقاها (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها) اله عظيم لم يزل إلها وملك كبير لايتناهى يسمع صريف الاقلام ومجراها ولاتخفى عليه خافية ممن أخفاها يقسم الارزاق فمايترك ذرة ولاينساها أحكم الامور كلها وقضاها وعلى ما سبق علمه بها أمضاها سواء أسخط النفوس أو أرضاها وكما قدر مبداها قدر منتهاها أحاط الاجسام بما لها وراعاها ولطف بالنفوس فى التكليف وراعاها وفتح باب الكرم ثم استدعاها لايكلف الله نفسها إلا ما آتاها من جاء بالشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها من أهلك ثمود بطغواها إذا انبعث أشقاها من رتب الطلع فى الجف (١) من صف حب الرمان إذ صف من أنشأ ذوات الظلف والخف من الذى تعلقت بفضله الا كف فكفها بالغرض وكفاها من أخرج الأصول لامن أصول من بقدرته يبطش ويصول ويقول للشئ كن فيكون كما يقول لايمتنع عن الارادة ولايأباها يقول للأشياء عودى فتعود وترجع مخضرة بعد يبس العود ويقضى لأقوام بالشقاء ولاقوام بالسعود واهالذلك اليوم واها خلق آدم من طين جامد وحوّاء من ضلع واحد وعيسى من أم بلاوالد ذلك القادر على إعادة البائد فما أجهل النفوس المنكرة وما أجفاها من نقل المنىّ إلى علقة من خلق الأنف وشق الحدقة من أخرج من يابس الغصن الورقة وقد كان عريانا فما كتساها تخلو الأبدان من أرواحها وتفرغ ثم تطلع شمس الحياة عليها وتبزغ فتصعد قلوب الكافرين إلى الحناجر وتبلغ وتبلغ نفوس المؤمنين مناها يوم عظيم كم فيه من عذاب أليم إلا من أتى الله بقلب سليم يجثوا فيه الخليل والكليم ويشفع صاحب طه يا هذا تفكر فى أمرك وانقضاء عمرك واخراجك من قصرك والوزر على ظهرك ومحاسبتك على سرك وجهرك تفكر فى اثبات أعمالك وخيبة آمالك ووقوفك وسؤالك وربما كنت الهالك وفقنا الله تعالى وإياكم لمراضيه وجعلنا ممن يتفكر فى نفسه وظاهره وخافيه اللهم أسلمنا وجوهنا اليك وفوضنا أمورنا إليك وألجأنا ظهورنا إليك رغبة ورهبة اليك لاملجأ ولامنجا منك الااليك اللهم آمنا بكتابك الذى أنزلت وبنبيك الذى أرسلت اللهم اجعل فى قلوبنا نورا نهتدى به اليك ووفقنا للأعمال الصالحة المقربة لديك وعاملنا بفضلك وكرمك ولا تفضحنا ياسيدنا يوم العرض بين يديك واغفر لنا ولوالدينا وأقاربنا ومشايخنا وللجماعة الحاضرين ولجميع أموات المسلمين وارحمنا اذا عدنا إليهم برحمتك يا أرحم الراحمين وصل على محمد وآله وصحبه أجمعين

﴿المجلس الخامس والثلاثون﴾

(فى الغيبة والنميمة وشبههما من الكبائر)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذى سير بقدرته الفلك والفلك ودبر بصنعه الضوء والحلك اختار آدم فحسده إبليس وغبطه الملك وافتخر بالتسبيح والتقديس فأما ابليس فهلك * واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك * أحمده وهو بالحمد جدير وأقر بانه مالك

(١) الجف بضم الجيم وعاء الطلع أوغشاؤه اه منه

التصوير والتصيير تعالى عن نظير وتنزه عن وزير قبل من خلقه اليسير وأعطى من رزقه الكثير أنشأ السحاب يحمل الماء النمير ليعم عباده بالخير ويمير فكلما قصر القطر فى الوقع صاح الرعد بصوت الأمير وكلما أظلمت مسالك الغيث لاح البرق يوضح وينير فقامت الورق على الورق تصدح وتمدح على جنبات الغدير فالجماد ينطق بلسان حاله والنبات يتكلم بحركاته وأشكاله والكل الى التوحيد يشير ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وأصلى وأسلم على رسوله محمد البشير النذير وعلى صاحبه أبى بكر الصديق الكبير وعلى عمر ذى العدل الغزير وعلى عثمان الذى جهز جيش العسرة فى الزمان العسير وعلى علىّ المخصوص بالموالاة يوم الغدير وعلى بقية الآل والأصحاب ماذكر التهليل والتكبير ﴿أما بعد﴾ فقد قال الله تعالى * ياأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولانساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولاتنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون * ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن اثم ولاتجسسوا ولايغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم (فنقول) وبالله تعالى التوفيق اختلف المفسرون فى سبب نزولها على أقوال أولها الذى عليه الجمهور أن ثابت بن قيس بن شماس كان فى أذنيه وقر وكان اذا أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أوسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع ما يقول فجاء يوما وقد أخذ الناس مجالسهم فجعل يتخطى رقاب الناس ويقول تفسحوا تفسحوا فقال له رجل قد أصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت مغضبا ثم قال للرجل يافلان ابن فلانة يريد انه كان يعير بها فى الجاهلية فسكت الرجل استحياء فنزلت ثانيها انها نزلت فى كعب بن مالك قال لعبد الله يا أعرابى فقال له عبد الله يا يهودى ثالثها أنها نزلت فى جماعة استهزؤا بالفقراء وأما قوله تعالى (ولانساء من نساء) قيل فى عائشة رضى الله عنها وقد عابت أم سلمة بالقصر وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان صفية بنت حيى أتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت ان النساء يعيرننى ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هلا قلت ان أبى هرون وعمى موسى وزوجى محمد وقوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم) أى أحد من أحد والسخرية هى الاستهزاء ومعنى الآية النهى عن الاستهزاء فانه من الكبائر على ماقيل وقد يكون كفرا والعياذ بالله تعالى على ما صرح به الفقهاء الحنفية كما اذا استهزأ انسان بواعظ أو خطيب أو قاض أو نحو ذلك وتزيا بزيهم ليضحك الحاضرين كما قدمناه فى بعض الدروس الماضية وقوله تعالى (عسى أن يكونوا خيرا منهم) تعليل للنهى أى عسى ان يكون المسخور منهم خيرا عند الله تعالى من الساخرين فرب أشعث أغبر ذى طمرين لايؤبه له لو أقسم على الله تعالى لأبره وجوز أن يكون المعنى لايحتقر بعض بعضا عسى أن يصير المحتقر ذليلا والمحتقر عزيزا فينتقم منه فهو نظير قول الشاعر

لاتهين الفقير علك أن * تركع يوما والدهر قد رفعه

وقوله تعالى (ولاتلمزوا أنفسكم) أى لايعب بعضكم بعضا بقول واشارة لأن المؤمنين كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه كما فى قوله تعالى ولاتقتلوا أنفسكم وقيل اللمز مخصوص بما كان من السخرية على وجه الخفية كالاشارة وقال ابن جرير اللمز باليد والعين واللسان والاشارة والهمز لا يكون الا باللسان وعلى ذلك قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة وقال الضحاك لايلعن بعضكم بعضا وقد ورد سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر قالوا ولاينبغى كل ذلك للمؤمنين حتى قال ابن مسعود لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلبا وقوله تعالى (ولاتنابزوا بالألقاب) أى لايدعو بعضكم بعضا باللقب القبيح والنبز اللقب وجمعه انباز قال المفسرون وذلك مثل ان يقول لأخيه المسلم يافاسق يامنافق أو يقول لمن أسلم يايهودى أو ياخنزير وعن ابن

عباس التنابز أن يكون الرجل عمل السيآت ثم تاب منها فنهى الله تعالى أن يعير بما سلف قيل والتلقيب المنهى عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة فأما ما يحبه فلا بأس وقوله تعالى (بئس الاسم الفسوق) أى بئس الاسم ان يذكر بالفسق والاسم هنا على ما قال بعض أجلة المفسرين ليس المراد به ما يقابل اللقب والكنية ولا ما يقابل الفعل والحرف بل المراد به الذكر المرتفع لأنه من السمو من قولهم طار اسمه فى الناس بالكرم كأنه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائم أن يذكروا بالفسق (بعد) دخولهم فى (الايمان) استقباح للجمع بين الايمان والفسق وقيل المعنى ان من فعل ما نهى عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق (ومن لم يتب) عما نهى الله عنه (فأولئك هم الظالمون) لأنفسهم ولمن لقبوه ولمزوه وسخروا به انتهى ملخصا فتبين من سبب النزول ان الغضب اذا لم يكن لله فانه غير محمود وان الصفح أمر محبوب والعفو وكظم الغيظ أعز مطلوب فعن ابن عمر رضى الله تعالى عنه أنه سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما يباعدنى من غضب الله عز وجل قال لا تغضب وروى أن رجلا قال يا رسول الله قل لى قولا وأقلل لعلى أعيه قال لا تغضب فأعاد عليه مرارا كل ذلك يقول لا تغضب وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث من كن فيه آواه الله فى كنفه وستر عليه برحمته وأدخله فى محبته من اذا أعطى شكر واذا قدر غفر واذا غضب فتر وعن أبى ذر رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فان ذهب عنه الغضب والا فليضطجع وروى أيضا ان الوضوء وقولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم مذهب له أيضا وقد وردت أيضا فى كظم الغيظ بعض الآيات الجليلة منها قوله تعالى و(الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) وفى الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال والعفو لا يزيد العبد الاعزا فاعفوا يعزكم الله وروى الطبرانى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ينادى مناد يوم القيامة ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة قيل من هم قال العافون عن الناس قال غير واحد من العلماء ان السخرية والتنابز من الكبائر ونحو ذلك التهاجر والتشاحن والتلاعن ونحوه ولنذكر بعض الأحاديث المتعلقة بذلك ليتجنب كل منا عن الوقوع فى المهالك ففى كتاب الترغيب والترهيب ان البخارى روى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث زاد الطبرانى يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا والذى يبدأ بالسلام يسبق الى الجنة وعن جابر بن سليم رضى الله تعالى عنه قال رأيت رجلا يصدر الناس عن رأيه لا يقول شيأ الا صدروا عنه قلت من هذا قالوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قلت عليك السلام يا رسول الله قال لا تقل عليك السلام تحية الميت قل السلام عليك قال قلت أنت رسول الله قال أنا رسول الله الذى اذا أصابك ضر فدعوته كشفه الله تعالى عنك وان أصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك واذا كنت بأرض قفراء وفلاة فضلت راحلتك فدعوته ردها عليك قال قلت اعهد لى قال لا تسبن أحدا فما سببت بعده حرا ولا عبدا ولا بعيرا ولا شاة قال ولا تحقرن شيأ من المعروف وان تكلم أخاك وأنت منبسط اليه وجهك فان ذلك من المعروف وارفع إزارك الى نصف الساق وان أبيت فالى الكعبين وإياك وإسبال الازار فانها من المخيلة (١) وان الله تعالى لا يحب المخيلة وان امرؤ شاتمك أو عيرك بما يعلم فيك فلا تعيره بما تعلم فيه فانما وبال ذلك عليه رواه أبو داود والترمذى وعن ابن عمر قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه قال يسب أبا الرجل فيسب أباه فيسب أمه فيسب أمه وقال ان العبد اذا لعن شيأ صعدت اللعنة الى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط الى الارض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا

(١) المخيلة التكبر والعجب بنفسه اهـ منه

فان لم تجد مساغا رجعت الى الذى لعن ان كان أهلا والا رجعت الى قائلها ولنرجع الى الكلام على بقية الآيات فنقول قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) الآية يقال جنبه الشر اذا أبعده عنه كما قال تعالى (واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام) والظن هنا مجرد التهمة التى لا سبب لها كمن يتهم غيره بشئ من الفواحش ولم يظهر عليه ما يقتضى ذلك وأمر سبحانه باجتناب الكثير وأبهم ليفحص المؤمن عن كل ظن يظنه حتى يعلم وجهه قال الزجاج هو أن يظن بأهل الخير سوأ فأما أهل السوء والفسوق فلنا أن نظن بهم مثل الذى ظهر منهم قيل ولا بأس به ما لم يتكلم به فان تكلم بذلك الظن وأبداه أثم ونقل ابن الجوزى عن بعض العلماء أنه يأثم بنفس الظن وان لم ينطق به قال وأما ما ورد فى الحديث من قوله احترسوا من الناس بسوء الظن فالمراد الاحتراس بحفظ المال مثل أن يقول ان تركت بابى مفتوحا خشيت السارق انتهى قال الغزالى وسبب تحريمه ان أسرار القلوب لا يعلمها الا علام الغيوب فليس لك أن تعتقد فى غيرك سوأ الا اذا انكشف لك بعيان لا يقبل التأويل وهذا الظن يلقيه الشيطان وروى أبو هريرة عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال إياك والظن فان الظن أكذب الحديث وقال العلامة أبو السعود من الظن ما يجب إتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ومنه ما يحرم كالظن فى الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع أى دليل ظاهر وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن فى الأمور المعاشية انتهى ثم لما أمرهم سبحانه باجتناب كثير من الظن نهاهم عن التجسس فقال ولا تجسسوا والتجسس بالجيم كما قرأ الجمهور وهو البحث عن معايب الناس حتى يطلع عليها بعد أن سترها الله تعالى وقرئ بالحاء المهملة وهو طلب الاخبار والبحث عنها وقيل هما بمعنى وروى عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موؤدة (١) وروى مسلم أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يستر عبد عبدا فى الدنيا الا ستره الله يوم القيامة وقوله تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضا) أى لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوؤه ثم ضرب الله تعالى للغيبة مثلا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا وبيانه ان ذكرك من يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك فكرهتموه فلا تفعلوا والمعنى فكما كرهتم هذا الاكل فاجتنبوا ذكره بالسوء وفى ذلك إشارة الى أن عرض الانسان كلحمه وهى من الكبائر وأما ما رواه أبو بكرة رضى الله تعالى عنه قال بينما أنا أماشى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآخذ بيدى ورجل عن يسارى فاذا نحن بقبرين أمامنا فقال انهما ليعذبان وما يعذبان بكبير أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستنزه من البول وفى رواية وما يعذبان الا فى الغيبة والبول فمحمول على أن ذلك ليس بكبير فى زعمهما والغيبة هى ذكرك أخاك بما يكره فقد روى مسلم أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره فقيل أفرأيت ان كان فى أخى ما أقول فقال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته قال الحسن الغيبة ثلاثة أوجه كلها فى كتاب الله تعالى الغيبة والافك والبهتان فأما الغيبة فهى أن تقول فى أخيك ما هو فيه وأما الافك فهو أن تقول فيه ما بلغك عنه وأما البهتان فهو أن تقول ما ليس فيه وسنورد إن شاء الله تعالى الأحاديث الواردة بجميع ذلك وشبهه واعلم أن الغيبة أقسام فمن أعظمها غيبة الأولياء نفعنا الله تعالى بهم وغيبة العلماء حتى قال بعضهم انه لا فرق فى عدم جواز غيبة العالم بين العامل بعلمه وغيره اكراما للعلم ولقد أحسن القائل

لحوم أهل العلم مسمومة * ومن يعاديهم سريع الهلاك
فكن لأهل العلم عونا وان * عاديتهم يوما فخذ ما أتاك

قال الوالد والأشبه أن يكون حكم من استمع الغيبة كحكم من اغتاب اذا كان له قدرة على دفعها ولذا قالوا ان

(١) وهى البنت التى كان العرب يقتلونها وهى حية اهـ منه

الانكار على المغتاب واجب فقد روى جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال مامن امرىء مسلم يخذل امرأ مسلما فى موضع تنهتك فيه حرمته الا خذله الله تعالى فى مواطن يحب فيه نصرته ومامن امرىء مسلم ينصر امرأ مسلما فى مواطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله فى مواطن يحب فيه نصرته وفى حديث آخر ذكره فى التبصرة أيضا ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال من أذل عنده مؤمن وهو يقدر على نصرته فلم ينصره أذله الله على رؤس الخلائق ونقل الوالد عليه الرحمة عن الغزالى انه سئل عن غيبة الكافر فقال هى فى حق المسلم محذورة لثلاثة علل الايذاء وتنقيص خلق الله تعالى وتضييع الوقت بما لا يعنيه والاول يقتضى التحريم والثانى الكراهة والثالث خلاف الاولى وأما الذمى فكالمسلم فيما يرجع الى المنع عن الايذاء لان الشرع عصم عرضه ودمه وماله وقد روى ابن حبان فى صحيحه أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سمع يهوديا أو نصرانيا فله النار ومعنى سمعه أسمعه مايؤذيه ولا كلام بعد هذا فى الحرمة وأما الحربى فغيبته ليست بحرام على الاولى وتكره على الثانية وخلاف الأولى على الثالثة وأما المبتدع فان كفر فكالحربى والا فكالمسلم وأما ذكره ببدعته فليس مكروها وقد تجب الغيبة لغرض شرعى لا يتوصل اليه الا بها وتنحصر فى ستة أسباب التظلم عند من له قدرة على الازالة الثانى الاستعانة على تغيير المنكر الثالث الاستفتاء الرابع تحذير المسلمين من الشر كجرح الشهود والرواة والمصنفين والمتصدين لافتاء أو اقراء مع عدم الأهلية الخامس أن يتجاهر بفسقه السادس التعريف بنحو لقب كالاعمش ويجب على المغتاب أن يبادر الى التوبة بشروطها قيل ومنها أن يستحل من المغتاب وأن يكثر الاستغفار ولا سيما اذا كان المغتاب غائبا أو ميتا وأن يستغفر لهم فان الله هو التواب الغفور * ولنذكر بعض الأحاديث فى الغيبة وشبهها مما وعدنا بذكرها فمن ذلك مارواه البراء رضى الله تعالى عنه قال خطبنا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى أسمع العواتق (١) ثم قال يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فان من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه فى جوف بيته وعن جابر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الغيبة أشد من الزنا قالوا يارسول الله كيف قال إن الرجل يزنى فيتوب فيتوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وذكر رجل رجلا عند معروف الكرخى فجعل معروف يقول له اذكر القطن اذا وضعوه فى عينيك وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كفى بالمرء عيبا ان يستبين له من الناس مايخفى عليه من نفسه ويمقت الناس على مايأتى به وقيل للربيع مانراك تذم أحدا فقال ما أنا على نفسى براض فأتفرغ من عيبها الى غيرها ان الناس خافوا الله تعالى على ذنوب العباد وآمنوه على ذنوبهم ولقد أحسن القائل

لسانك لا تذكر به عورة امرىء * فكلك عورات وللناس ألسن

وكذا القائل

يمنعنى من عيب غيرى الذى * أعرفه فى من العيب *
عيبى لهم بالظن منى لهم * ولست من عيبى فى ريب *
ان كان عيبى غاب عنهم فقد * أخفى عيوبى عالم الغيب *

وأما البهتان فهو أيضا من الكبائر قال تعالى (ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا) وروى أبو داود عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من قال فى مؤمن ماليس فيه أسكنه الله فى ردغة الخبال حتى يخرج مما قاله وردغة الخبال عصارة أهل النار ونحو ذلك شهادة الزور قال الله تعالى (فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور) فقد قرن سبحانه قول الزور بالشرك وروى البخارى عنه صلى الله تعالى

(١) أى النساء اهـ منه

عليه وسلم أنه قال ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قالوا بلى يارسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال ألا وقول الزور وشهادة الزور ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يقولها حتى قالوا لا يسكت وكذا النميمة محرمة بل هى من الكبائر ففى الصحيحين عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال لا يدخل الجنة قتات وفى لفظ نمام وقال عز وجل ولا تطع كل حلاف أى كثير الحلف بالباطل مهين أى كذاب أو مكثار فى الشر هماز أى مغتاب للناس أو عياب لهم مشاء بنميم وهو الذى يمشى بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم مناع للخير أى بخيل وقيل هو الذى يمنع أهله وعشيرته عن الاسلام (معتد) أى متجاوز الحد فى الظلم (أثيم) أى كثير الآثام عتل قال الفراء هو الشديد الخصومة فى الباطل وقيل هو الشديد الخلق الفاحش وقيل هو قاسى القلب (بعد ذلك زنيم) أى بعد ماعد من معايبه الثمانية هو مستلحق بالقوم وليس هو منهم وقيل هو من يمر على القوم فيقولون هو رجل سوء وقوله تعالى فى تتمة هذه الآية أن كان ذامال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين سنسمه على الخرطوم والخرطوم الأنف والمراد به هنا الوجه وذلك أنه يسود وجهه قبل دخوله النار والعياذ بالله تعالى واعلم أن العلماء قالوا إن أعظم أسباب هذه الأخلاق النميمة هو الحسد وقد ورد فى التحذير عنه آيات وأحاديث كثيرة فمنها قوله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ومنها مارواه ابن ماجه الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار والصلاة نور المؤمن والصيام جنة من النار وفى الصحيحين من حديث أنس عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وروى الترمذى فى النهى عن الشماتة أيضا قوله عليه الصلاة والسلام لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله تعالى ويبتليك قال العلماء فى الكلام على قوله عليه الصلاة والسلام دب فيكم داء الأمم قبلكم الحسد والتباغض ان أعظم الحسد بين العلماء فلذا لا يقبل قول بعضهم فى بعض الا ببراهين واضحة وعلى ذلك ماروى من قوله عليه الصلاة والسلام انهم يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل من هم يارسول الله قال الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين (١) بالتكبر والتجار بالخيانة وأهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد ولله تعالى در القائل

ان يحسدونى فانى غير لائمهم * قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لى ولهم مابى وما بهم * ومات أكثرنا غيظا بما يجد

* ولنذكر قصة مذكورة فى الزواجر ليعتبر بالأوائل الأواخر قال كان بعض الصلحاء يجلس الى جانب ملك ينصحه ويقول أحسن الى المحسن باحسانه فان المسىء تكفيه اساءته فحسده على قربه من الملك بعض الجهلة وأعمل الحيلة على قتله فسعى به للملك فقال له ان فلانا يزعم أنك أبخر (٢) وأمارات ذلك انك اذا قربت منه يضع يده على أنفه لئلا يشم رائحة البخر فقال له انصرف حتى انظر فخرج فدعا ذلك الحاسد الرجل الصالح الى داره وأطعمه طعاما فيه ثوم وجاء للملك وقال له مثل الاول فجاء الصالح فقال مثل قوله السابق أحسن الى المحسن الخ فقال له الملك ادن منى فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه ريح الثوم فقال الملك فى نفسه ما أرى فلانا إلا صدق وكان الملك لا يكتب بخطه إلا الجائزة أو صلة فكتب له بخطه لبعض عماله انه اذا أتاك صاحب كتابى هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الى فأخذ الكتاب وخرج فلقيه الذى سعى به فقال ماهذا الكتاب فقال خط الملك لى بصلة فقال هبه منى فقال هو لك فأخذه ومضى الى العامل فقال العامل فى كتابك أن أذبحك وأسلخك قال ان الكتاب ليس هو لى الله الله فى أمرى حتى أراجع الملك قال ليس

(١) فى القاموس الدهقان بالكسر والضم التاجر وزعيم فلاحى العرب ورئيس الاقليم معرب اهـ منه
(٢) البخر تغير ريح الفم اهـ منه

لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشى جلده تبناو بعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فعجب الملك وقال مافعلت بالكتاب فقال اتمينى فلان فاستوهبه منى فدفعته له فقال له الملك انه ذكر لى أنك تزعم أنى أبخر قال ماقلت ذلك قال فلم وضعت يدك على فمك قال أطعمنى ثوما فكرهت أن تشمه قال صدقت فقد قتل وكفى المسىء إساءته فاذا برأسه قدأتى به الى الملك ولذا قيل لله در الحسد ماأعدله بدأ بصاحبه فقتله وقدتبين لكم مماتلوناه عليكم من الآيات البينات والأحاديث النبويات ان اللسان سبب فى أكثر المهالك وسالك بصاحبه ان لم يصنه فى أسوء المسالك

تعاهد لسانك ان اللسان ✽ سريع الى المرء فى قتله
وهذا اللسان بريد الفؤاد ✽ يدل الرجال على عقله

وقدورد فيه جملة أحاديث حديث معاذ وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم وروى أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان العبد ليتكلم بالكلمة يزل بها فى النار أبعد مابين المشرق والمغرب ومن آفات اللسان أيضا الكلام فيما لا يعنيه وفى الحديث الصحيح من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه قالوا ومن جملة ذلك المزاح والمدح بما لا يصلح ولذا قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ماشىء أحوج الى طول سجن من لسانك وقال الفضيل كان بعض أصحابنا يعد كلامه من الجمعة الى الجمعة ولقد أحسن القائل

اغتنم ركعتين زلفى الى اللـــه اذا كنت فارغا مستريحا
واذا ماهممت بالنطق فى البا ✽ طل فاجعل مكانه تسبيحا
فاغتنام السكوت أفضل من خو ✽ ض وان كنت فى الحديث فصيحا

فيامطلقا لسانه فيما يؤذيه ياغافلا عن الكلام وله من يحصيه ان أردت قولا فانظر قبل النطق فيه فالسعيد من وقف على قدم التيقظ حارسا على فيه

ياغافلا يتمادى ✽ غدا عليك ينادى
هذا الذى لم يقدم ✽ قبل الترحل زادا
هذا الذى وعظوه ✽ وخوفوه المعادا
فلم يكن لمناد به طائعا منقادا

فأين علامة الايمان يامن يدعيه أين تأثير الوعظ يامن يسمعه ويعيه أين اعتبارك بمن حوى الدنيا فأصبح اللحد يحويه وأين بكاؤك على ذنوبك وحزنك على كثرة عيوبك وأين عقلك الذى غطى عليه زخرف التمويه وأين أسفك لفوت مطلوبك يامسؤلا عما يسره ويبديه يامن نفسه فى الحقيقة أكبر أعاديه ياسكران الهوى ومنادى الهدى يناديه يامن لا يفيق حتى يحل الموت بناديه قل لنفسك الجهولة الأمارة أما للصلاح عندك أمارة كم يمين ولا حنث ولا كفارة وطريق خوف ولا لك خفارة لا تحقرى ذنبا فقد تحرق شرارة احذر الدنيا فانها مكارة لا تثق بايمانها فانها غدارة لا تغتر بها فانها سحارة بينما هى قد عقدت هدنة شنت غارة تنشف صافى الكاس وتبقى الكدارة ثم تنتقل الى اللحد بلا عمارة ثم تقوم نادما وفى الدموع غزارة ثم تعاين نارا شديدة الحرارة وقودها الناس والحجارة دار قد خص أهلها بالبعاد وحرموا لذة المنى والاسعاد بدلت وضاءة وجوههم بالسواد وضربوا بمقامع أقوى من الاطواد عليها ملائكة غلاظ شداد لو رأيتهم فى الجحيم يسرحون وعلى الزمهرير يطرحون وحزنهم دائم فما يفرحون مقامهم محتوم فما يبرحون أبد الآباد

عليها ملائكة غلاظ شداد تعس كل منهم فلا انتعش وأسفا قد قتلهم الحر والعطش والمصيبة أن القدر بهم قد بطش ومن يضلل الله فماله من هاد وعذابهم طريف بديع قد خرس الناطق وصم السميع ليس لهم طعام إلا من ضريع والشراب الحميم وهذا الزاد عليها ملائكة غلاظ شداد توبيخهم أعظم من العذاب تأسفهم أقوى من المصاب يبكون على تضييع أوقات الشباب وكلما جاء البكاء زاد عليها ملائكة غلاظ شداد أين كسبهم للحطام أين سعيهم فى النميمة بين الأنام كأنه كان أضغاث أحلام عندما احترقت تلك الأجسام وكلما أهلكت تعاد عليها ملائكة غلاظ شداد ويحك انتبه وأصلح قلبك وتيقظ وافهم عتبك ويحك تب من استهزائك بالناس وراقب ربك ان ربك لبالمرصاد قد بقى القليل وتنقل والى دار الجزاء تحمل كم أعلمك وتجهل وكم أقول لك ولا تقبل أنا فى واد وأنت فى واد اللهم فأعتقنا من النار ووفقنا لسلوك سبيل الأخيار واحفظنا من الحسد والغيبة والنميمة وبين أخلاق الأشرار وأدخلنا والدينا دار كرامتك مع الأبرار والزهاد وصل على سيدنا محمد وآله الأمجاد

﴿ المجلس الخامس والثلاثون ﴾

(فى اتباعه واتباع سننه عليه الصلاة والسلام)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله قاهر المتجبر ومذله ورافع المتواضع ومجله القريب من عبده فهو أقرب من ظله هو عند المنكسر لاجله حال ذله لا يعزب عن سمعه وقع القطر فى أضعف طله ولا بغام ظبى البر وكشيش صله ولا يغيب عن بصره فى الدجى دبيب نمله رفع من شاء باعزازه كما حط من شاء بذله اختار محمدا من الخلق فكان الكل خلقوا من أجله هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله أحمده على أجل الانعام وأقله وأشهد بوحدانيته شهادة مصدق قوله بفعله وان محمدا عبده ورسوله أرسله لنقض الكفر وحله فقام معجزه ينادى فأتوا بسورة من مثله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وعلى أبى بكر واصل حبله وعلى عمر كان الذى يفرق الشيطان من ظله وعلى عثمان مجهز جيش العسرة وعاقد شمله وعلى على أخيه وابن عمه ومقدم أهله وعلى بقية آله وأصحابه السامعين لأمره وقوله وسلم تسليما (أما بعد) فقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز قل إن كنتم تحبون الله ورسوله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم (فنقول) وبالله تعالى التوفيق اختلف العلماء فى سبب نزول هذه الآية فقال الحسن البصرى زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انهم يحبون الله فقالوا يامحمد إنا نحب ربنا فأنزل الله تعالى هذه الآية وروى الضحاك عن ابن عباس قال وقف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على قريش فى المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا فى آذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يامعشر قريش لقد

(١) بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله خالق المخلوق ومتقن صنعه المقدر ماشاء فمن الذى يستطيع دفعه علم إخلاص النية من الرياء والسمعة وسمع فلم يمنع إختلاف اللغات سمعه وأبصر حتى جوف الجزف وجريان الدمعة ومنع فمن يعطى ماقدر منعه صفاته كذاته وماتشبه الصانع الصنعة الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان واجب والسؤال عنه بدعة أحمده حمدا يدوم مادامت الأيام السبعة وأشهد أنه فالق الحب من الطلعة وأصلى على رسوله محمد المبعوث بأفضل شرعة صلى الله تعالى عليه وعلى صاحبه أبى بكر أول من جمع هذه الربعة وعلى عمر فتاح الأمصار فكم قلع قلعة وعلى عثمان الصابر على تلك الصرعة وعلى على الذى حاز أشرف رتبة وأكرم رفعة وعلى سائر آله وأصحابه الذين مدائحهم أنفق كل سلعة وسلم تسليما اه منه

خالفتم ملة أبيكم ابراهيم واسمعيل ولقد كانا على الاسلام فقالت قريش يا محمد انما نعبد هذه حبا لله تعالى لتقربنا الى الله زلفى فأنزل الله تعالى قل إن كنتم الآية وفى رواية أبى صالح إن اليهود لما قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه نزلت فعرضها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على اليهود فأبوا أن يقبلوها وروى محمد بن اسحق عن محمد ابن جعفر بن الزبير قال نزلت فى نصارى نجران وذلك أنهم قالوا انما نعظم المسيح ونعبده حبا لله وتعظيما له فأنزلها سبحانه ردا عليهم نقل جميع ذلك فى روح المعانى واختلفوا فى محبة العبد لله سبحانه فقيل المراد إن كنتم تحبون طاعة الله تعالى وثوابه فاتبعونى وقال الأزهرى محبة العبد لله ولرسوله طاعته لهما واتباعه أمرهما ومحبة الله تعالى للعباد إنعامه عليهم بالغفران وقال كثير من عارف أهل السنة والجماعة المحبة تتعلق حقيقة بذات الله تعالى وينبغى للكامل أن يحب الله سبحانه لذاته وأما محبة ثوابه فدرجة نازلة وقد ذكرنا فى بعض مجالس هذا الكتاب الآتية إن الحب فى الله والبغض فى الله أيضا من متعلقات حب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وشعب الايمان وأخرج ابن أبى حاتم والحاكم عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الشرك أخفى من دبيب النمل على الصفا فى الليلة الظلماء وأدناه أن تحب على شئ من الجور وتبغض على شئ من العدل وهل الدين الا الحب والبغض فى الله قال تعالى قل إن كنتم تحبون الله الآية فيها حث عظيم على اتباع أقواله وأفعاله عليه الصلاة والسلام ولذا ورد فى الأحاديث الصحيحة الحث على ذلك كحديث عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى وحديث من رغب عن سنتى فليس منى ولنبين فى هذا الدرس جملة من سننه عليه الصلاة والسلام وبعضا من هديه للانام ليكون تعلمه والعمل به سببا للفوز بدار السلام ومكفرا للذنوب والآثام فمنها صلاة التسبيح روى أبو داود عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال للعباس رضى الله عنه يا عباس يا عماه ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أصلك ألا أجعل لك عشر خصال ان أنت فعلت ذلك غفر الله ذنبك أوله وآخره قديمه وحديثه خطأه وعمده صغيره وكبيره سره وعلانيته أن تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراءة فى أول ركعة وأنت قائم قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشرا ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا ثم تهوى ساجدا فتقولها وأنت ساجد عشرا ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع رأسك فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون مرة فى كل ركعة تفعل ذلك فى أربع ركعات إن استطعت أن تصليها فى كل يوم مرة فافعل فان لم تفعل ففى كل سنة مرة فان لم تفعل ففى عمرك مرة وقال العلامة ابن عابدين يفعلها فى كل وقت لا كراهة فيه أو فى كل يوم أو ليلة مرة والا ففى كل أسبوع أو جمعة أو شهر أو العمر وفضلها عظيم ولا يتركها إلا متهاون فى الدين وهى أربع بتسليمة أو تسليمتين يقول فيها ثلثمائة مرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وفى رواية زيادة ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم يقول ذلك فى كل ركعة خمسة وسبعين مرة بعد الثناء خمسة عشر ثم بعد القراءة وفى ركوعه والرفع منه وكل من السجدتين وفى الجلسة بينهما عشرا عشرا بعد تسبيح الركوع والسجود وهذه الرواية هى التى رواها الترمذى وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن يقال فيها بعد التشهد قبل السلام اللهم إنى أسألك توفيق أهل الهدى وأعمال أهل اليقين ومناصحة أهل التوبة وعزم أهل الصبر وجد أهل الخشية وطلب أهل الرغبة وتعبد أهل الورع وعرفان أهل العلم حتى أخافك اللهم إنى أسألك مخافة تحجزنى عن معاصيك حتى أعمل بطاعتك عملا أستحق به رضاك وحتى أناصحك بالتوبة خوفا منك وحتى أخلص لك النصيحة حبا لك ولنذكر لكم جملة من سنن الصلاة فان كثيرا من الناس لأكثرها جاهلون والغالب منهم فى تركها متهاونون فمنها صلاة الوتر وهى ثلاث ركعات بتسليمة عند إمامنا الأعظم وقد قال بوجوبها والقنوت فيها وقضائها إذا فاتت وقالت

بقية المذاهب بسنيتها واليها ذهب الصاحبان أبو يوسف ومحمد والأحاديث فى فضلها كثيرة ودعاء القنوت فيها أن يقول اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك ونؤمن بك ونتوب إليك ونتوكل عليك ونثنى عليك الخير كله نشكرك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك اللهم إياك نعبد ولك نصلى ونسجد واليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك ان عذابك الجد بالكفار ملحق ونحفد بالدال المهملة وفاء مكسورة بمعنى نسرع والجد بكسر الجيم بمعنى الحق وملحق بكسر الحاء وبفتحها بمعنى لاحق قيل والاولى أن يضم اليه أيضا اللهم اهدنى فيمن هديت الى آخر الدعاء المشهور وروى عن ابن عمر أنه كان يقول بعد عذابك الجد بالكفار ملحق اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات وألف بين قلوبهم وأصلح ذات بينهم وانصرهم على عدوك وعدوهم اللهم العن كفرة الكتاب الذين يكذبون رسلك ويقاتلون أولياءك اللهم خالف بين كلمتهم وزلزل أقدامهم وأنزل عليهم بأسك الذى لا يرد عن القوم المجرمين وأخرج الترمذى وغيره أنه عليه الصلاة والسلام كان يقول فى آخر وتره اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك قال ابن عابدين وله أن يدعو بغير ذلك من الأدعية التى لا تشبه كلام الناس ومن لا يحسن القنوت يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة الآية وقال أبو الليث يقول اللهم اغفر لى يكررها ثلاثا وقيل يقول يارب ثلاث مرات واذا نسى القنوت سجد للسهو ومن سنن الصلوات المؤكدة أربع قبل الظهر وأربع قبل الجمعة وأربع بعدها بتسليمة وركعتان قبل الصبح وقيل بوجوبها لقوله عليه الصلاة والسلام من ترك أربعا قبل الظهر لم تنله شفاعتى أى الشفاعة الخاصة بزيادة الدرجات وروى مسلم ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها وروى أبو داود لا تدعوا ركعتى الفجر ولو طردتكم الخيل ومن السنن ركعتان بعد الظهر والمغرب وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لم يدعهما سفرا ولا حضرا وركعتان بعد العشاء ويستحب أربع قبل العصر وقبل العشاء وبعدها بتسليمة وان شاء ركعتين وكذا بعد الظهر لحديث الترمذى من حافظ على أربع قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله تعالى على النار وست بعد المغرب ليكتب من الأوابين جمع أواب أى كثير الرجوع الى الله تعالى بالتوبة والاستغفار فان شاء صلاها بتسليمة أو ثنتين أو ثلاث وقال فى مراقى الفلاح ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال من صلى بعد المغرب ست ركعات كتب من الأوابين وتلا قوله تعالى انه كان للأوابين غفورا والأواب هو الذى اذا أذنب ذنبا بادر الى التوبة وعن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى بعد المغرب ست ركعات غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر وفى رواية ابن عمر بعد المغرب قبل أن يتكلم غفر له بها ذنوب خمسين سنة وقد اختلف فيها فقيل الست غير الثنتين المؤكدتين وقيل الست بثلاث تسليمات وقيل بتسليمتين وقيل بتسليمة واحدة اهـ ويسن تحية رب المسجد وهى ركعتان واداء الفرض أو غيره ينوب عنها وندب ركعتان بعد الوضوء قبل الجفاف لحديث مسلم ما من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء ويصلى ركعتين يقبل بقلبه ووجهه عليهما الا وجبت له الجنة قالوا ومثل الوضوء الغسل ويقرأ فيهما الكافرون والاخلاص وندب أربع فصاعدا للضحى وفى المنية أقلها ركعتان وأكثرها اثنا عشر لما رواه النسائى بسند فيه ضعف أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من صلى الضحى اثنتى عشرة ركعة بنى الله له قصرا من ذهب فى الجنة وقيل أكثرها ثمانية ونسب الى الامام أحمد ومن المندوبات ركعتا السفر والقدوم منه فقد روى مقطم بن المقدام عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفرا رواه الطبرانى وروى مسلم عن كعب بن مالك كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقدم من السفر الا نهارا فى الضحى فاذا قدم بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم جلس فيه ومفاده اختصاص صلاة ركعتى السفر بالبيت وركعتى القدوم منه بالمسجد وبه صرح الشافعى ومنها صلاة الليل وفى

الجوهرة انها أفضل من صلاة النهار وقد صرحت الآيات والاحاديث بفضلها والحث عليها قال تعالى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون و بالأسحار هم يستغفرون) وقوله تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون) وروى مسلم مرفوعا أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل وروى الطبرانى مرفوعا لا بد من صلاة بليل ولو حلب شاة وروى أبو أمامة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وهو قربة لكم الى ربكم ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الاثم وروى انه عليه الصلاة والسلام قال ثلاثة يضحك الله اليهم الرجل اذا قام بالليل يصلى والقوم اذا صفوا فى الصلاة والقوم اذا صفوا فى قتال العدو وروى أصحاب السنن أيضا عنه عليه الصلاة والسلام انه قال رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت فان أبت نضح فى وجهها الماء رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فان أبى نضحت فى وجهه الماء وروى انه عليه الصلاة والسلام قال ان فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها و باطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال بعض العلماء ما كان بعد صلاة العشاء فهو من الليل ولو قبل النوم وقيل لا بد وأن تكون بعد النوم ولو نوى فى قلبه أن يتهجد ليلا فنام ولم يستيقظ فله أجر ذلك لقد روى أبو ذر وأبو الدرداء رضى الله تعالى عنهما من أتى الى فراشه وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عينه حتى أصبح كتب له ما نوى ومنها احياء ليلتى العيدين لحديث من أحيا ليلة العيد أحيا الله قلبه يوم تموت القلوب والدعاء فيهما مستجاب و يستحب الاكثار من الاستغفار فيهما وفى سائر الاسحار وسيد الاستغفار اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علىّ وأبوء بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت واحياء النصف من شعبان والعشر الاخير من رمضان وليال العشر الاول من ذى الحجة ومنها ركعتا الاستخارة قال شيخ مشايخنا ابن عابدين عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول اذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم انى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم أن هذا الامر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال عاجل أمرى وآجله فاقدره (١) لى و يسره لى ثم بارك لى فيه وان كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال عاجل أمرى وآجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه وأقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به قال و يسمى حاجته رواه أصحاب السنن قال ابن عابدين روى ابن السنى اذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر الى الذى سبق الى قلبك فان الخير فيه ولو تعذرت عليه الصلاة استخار بالدعاء وعن بعضهم ينبغى أن ينام على طهارة مستقبل القبلة بعد قراءة الدعاء المأثور فان رأى فى منامه بياضا أو خضرة فذلك الامر خير وان رأى فيه سوادا أو حمرة فهو شر ينبغى أن يجتنب اه ومنها أربع صلاة الحاجة وقيل ركعتان وقيل انها اثنى عشر بسلام واحد وأخرج الترمذى عن عبد الله بن أبى أوفى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من كانت له الى الله حاجة أو الى أحد من بنى آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء ثم ليصل ركعتين ثم ليثن على الله تعالى وليصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ليقل لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل برّ والسلامة من كل اثم لا تدع لى ذنبا الا غفرته ولا هما الا فرجته ولا حاجة هى لك رضا الا قضيتها يا أرحم الراحمين ومنها أن يصلى المسافر ركعتين فى كل منزل قبل أن يقعد كما كان يفعل صلى الله تعالى

(١) أى اقضه لى وهيئه اه منه

عليه وسلم ومنها صلاة التوبة قال المنذرى فى كتاب الترغيب والترهيب عن أبى بكر رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلى ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم قرأ هذه الآية والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله الخ وعن الحسن رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما أذنب عبد ذنبا ثم توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج الى براز من الارض فصلى ركعتين واستغفر الله تعالى من ذلك الذنب الا غفر الله له ومنها صلاة الوالدين وصلاة ركعتين عند نزول الغيث وركعتين فى السر لدفع النفاق والصلاة حين يدخل بيته و يخرج توقيا عن فتنة المدخل والمخرج ومنها صلاة ركعتين بعد سنن العشاء يصليها وهو جالس أو بعد صلاة الليل على ما قال بعضهم وفيهما خلاف مشهور وليعلم ان الافضل فى النفل غير التراويح المنزل الا لخوف شغل عنها والأصح أفضلية ما كان أخشع وأخلص واستثنى بعضهم تسعة فنظمها بقوله

نوافلنا فى البيت فاقت على التى * نقوم لها فى مسجد غير تسعة
صلاة تراويح كسوف تحية * وسنة إحرام طواف بكعبة
ونفل اعتكاف أو قدوم مسافر * وخائف فوت ثم سنة جمعة

(أقول) وأما صلاة خسوف القمر فهى فى البيت أيضا بخلاف صلاة كسوف الشمس فانها فى المسجد وكذا صلاة الاستسقاء عند من قال بسنيتها فانها بالصحراء ومنها الصلاة على الدابة متنفلا خارج المصر قال العلماء يقعد مصلى النفل ان أراد كما يجلس فى التشهد و يتنفل المقيم راكبا خارج المصر فلا تجوز صلاة الماشى ولا من فى المصر خلافا لهما وعندهما يجوز فى المصر لكن بكراهة عند محمد لانه يمنع من الخشوع وتنفل الراكب بالايماء لا بالسجود على السرج الى أى جهة توجهت دابته ولو ابتداء عند الحنفية وقال الشافعى يشترط أن يتوجه أولا ابتداء الى القبلة ثم الى غير جهتها واذا حرك رجله أو ضرب دابته بعمل يسير فلا بأس به ولو افتتح النفل راكبا ثم نزل بنى وفى عكسه لا يبنى لان الأول أدى أكمل مما وجب عليه والثانى بعكسه ولنذكر شيأ من سننه عليه الصلاة والسلام الخارجة عن الصلاة فمنها انه كان يكتحل عليه الصلاة والسلام عند النوم ثلاثا فى كل عين بالأثمد ومنها أنه كان يحمل العصا وكان له محجن قدر ذراع أو أطول يمشى به و يركب به و يعلقه بين يديه على بعيره ومخصرة وتسمى العرجون وقضيب من الشوحط يسمى الممشوق قيل وهو الذى كان تداوله الخلفاء ومنها أنه عليه الصلاة والسلام كان له قدح من قوارير وقدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه بالليل ومنها أنه عليه الصلاة والسلام كان يدهن و يمتشط قيل وكان المشط من عاج وكانت له مرآة ينظر بها وقد ورد فى الأثر أن الرائى يقول اللهم حسن خلقى كما حسنت خلقتى وحرم وجهى على النار ومنها أنه كان عليه الصلاة والسلام يحمل السيف قال العلامة ابن القيم فى زاد المعاد ومن حديث ابن عباس كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سيف قائمته من فضة وقبيعته من فضة وكان يسمى ذا الفقار وكانت له قوس تسمى السداد وكان له درع موشحا بالنحاس يسمى ذات الفضول وكان له حربة تسمى البيضاء وترس أبيض يسمى الموجز وكان له بغلة شهباء تسمى دلدلا وكانت له ناقة تسمى القصواء وكان له حمار يسمى يعفورا وكان له عنزة تسمى القمر ومنها على ما قال ابن القيم انه عليه الصلاة والسلام سابق بنفسه على الاقدام وصارع وخصف نعله بيده ورقع ثوبه بيده و رقع دلوه وحلب شاته وفلى ثوبه وخدم أهله ونفسه وحمل معهم اللبن فى بناء المسجد و ربط على بطنه الحجر من الجوع تارة وشبع تارة وضاف وأضاف واحتجم فى وسط رأسه وعلى ظهر قدمه وما بين الكتفين وتداوى وكوى ولم يكتو و رقى ولم يسترق وحمى المريض مما يؤذيه وروى ابن عباس عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال الشفاء فى ثلاث شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وأنا أنهى أمتى عن الكى

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك أن رهطا قدموا المدينة فأصابهم مرض فشكوا ذلك الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لو خرجتم الى إبل الصدقة فشربتم من أبوالها وألبانها ففعلوا فصحوا قيل كان مرضهم استسقاء ومنها أنه عليه الصلاة والسلام أمر بغمس الذباب اذا وقع في الاناء ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا وقع الذباب في إناء أحدكم فامقلوه فان في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء وفي رواية أبي سعيد أحد جناحي الذباب سم والآخر شفاء فاذا وقع في الطعام فامقلوه فانه يقدم السم ويؤخر الشفاء ومنها الخضاب بالكتم والحناء وقد اختلف العلماء في خضابه عليه الصلاة والسلام فالامام أحمد بن حنبل أثبت خضاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه جماعة من المحدثين وامام دار الهجرة مالك أنكره روى البخاري في صحيحه عن عثمان بن عبد الله قال دخلنا على أم سلمة رضي الله تعالى عنها فأخرجت الينا شعرا من شعر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا هو مخضوب بالحناء والكتم والكتم غير الوسمة ففي الصحاح الكتم بالتحريك نبت يخلط بالوسمة يختضب به وفي سنن أبي داود عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال مر على النبي صلى الله عليه وسلم رجل قد خضب بالحناء فقال ما أحسن هذا فمر آخر قد خضب بالحناء والكتم فقال هذا أحسن من هذا فمر آخر قد خضب بالصفرة فقال هذا أحسن من هذا كله وفي السنن الاربعة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان أحسن ماغيرتم به الشيب الحناء والكتم وفي الصحيحين ان أبا بكر رضي الله تعالى عنه اختضب بالحناء والكتم وثبت في حديث مسلم النهي عن الخضاب بالسواد لكن صح عن الحسن والحسين أنهما كانا يخضبان بالسواد قال ابن القيم ان الخضاب بالسواد المنهي عنه خضاب التدليس كخضاب شعر الجارية والمرأة الكبيرة تغر الزوج والسيد بذلك وخضاب الشيخ يغر المرأة بذلك فانه من الغش والخداع فأما اذا لم يتضمن تدليسا ولا خداعا فلا بأس به وهذا البحث طويل فليرجع إلى الكتب المطولة من أراد التفصيل ومنها أمره عليه الصلاة والسلام أمته إذا سمعوا نهيق الحمار إن يتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم وإذا سمعوا صياح الديك أن يسألوا الله من فضله وأمرهم بالتكبير عند الحريق فان التكبير يطفؤه ومنها التكبير في البحر وجعله السمهودي مما يغفر الذنوب قال روى أبو الحسن الربعي من عدا في البحر أربعين درجة وهو يكبر غفر الله تعالى له ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر وإن الامواج لتحت الذنوب حتا ومنها أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا رأى ما يحب قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وإذا رأى ما يكره قال الحمد لله على كل حال ومنها ذكر الله تعالى في آخر المجلس فقد قال عليه الصلاة والسلام من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب اليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك وفي سنن أبي داود انه عليه السلام كان يقول ذلك فطوبى لمن تتبع سنن النبي المختار وواظب عليها أثناء الليل وأطراف النهار ونظر إلى الدنيا بعين الاعتبار فباعها واشترى بها دار القرار إذا انهمك أهلها في شهواتها صام النهار وإذا نام الغافلون فله عن النوم نفار فسبحان من وفق المتبعين للسنن إلى أعظم الخيرات وأيقظهم من سنة الغفلات أترجو لحاقهم من غير أعمالهم هيهات عاملوا مولاهم وانفردوا وقاموا في الدياجي فركعوا وسجدوا وساروا وخلفت ففاتك ما وجدوا وبقيت في أعقابهم فان لم تلحق بعدوا

يا أيها الراقد كم ترقد * قم ياحبيبي قد دنا الموعد
وخذ من الليل وساعاته * حظا إذا ماهجع الرقد
من نام حتى ينقضي ليله * لم يبلغ المنزل أو يجهد
قل لذوي الألباب أهل التقى * قنطرة العرض لكم موعد

فيامن يبارز مولاه بما يكره ويخالفه في أمره آمنا مكره وينعم عليه فهو ينسى شكره والرحيل قد دنا وماله فيه فكرة يامن قبائحه ترفع عشاء وبكرة ياقليل الزاد ما أطول السفرة والنقلة قد دنت والمصير الحفرة متى تعمل في قلبك المواعظ متى تراقب العواقب وتلاحظ أما تحذر من أوعد وهدد أما تخاف من أنذر وشدد متى تضرم نار الخوف في قلبك وتتوقد الى متى بين القصور والتواني تتردد متى تحذر يوما فيه الجلود تشهد متى تترك ما يفنى رغبة فيما لا ينفد فالبدار البدار الى صالح الأعمال والحذار الحذار من قبيح الأقوال والأفعال

اغتنم ركعتين زلفى الى اللـــه اذا كنت فارغا مستريحا
واذا ماهممت أن تفعل البا * طل فاجعل مكانه تسبيحا

فاعتبروا بمن مضى من الأقران وتفكروا فيمن بني كيف بان تقلبت والله بهم الأحوال ولعبت بهم أيدي البلبال وعانقوا التراب وفارقوا المال فكم مأخوذ على الزلل ختم له بسوء العمل نزل به الموت فيا هول ما نزل وهذا مصير العاقل لو عقل وفقنا الله تعالى وإياكم لمراضيه وجعل مستقبل حالنا وحالكم خيرا من ماضيه وصلى الله على محمد وآله أجمعين اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى ما نعلم منها وما لم نعلم وبالقرآن المعظم وبحبك لنبيك الشفيع المقدم أن تثبت قلوبنا على الايمان الكامل وأن تعمنا والدينا في الدارين بلطفك الشامل اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك واغننا بفضلك عمن سواك واجعلنا موالين لأوليائك ومعادين لعداك ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وأسكنا الجنة وكافة المؤمنين الأخيار

﴿ المجلس السابع والثلاثون ﴾

(في أول بدء الوحي به عليه الصلاة والسلام)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي أنشأ الخلائق بقدرته وأظهر فيهم عجائب حكمته ودل بارشاده على وحدانيته فقضى على العاصي بمخالفته ثم من عليه بقبول توبته واختص المخلص بصدق معاملته ثم شغله عن الدارين بمحبته فأقبلوا من نصحكم وأقبلوا على خدمته يؤتكم كفلين من رحمته أحمده على سبوغ نعمته وأشكره على توفيقه وهدايته وأشهد أنه لاشريك له في صنعته وأن محمدا عبده ورسوله أرسله الى جميع بريته بشيرا بجنته ونذيرا بنقمته صلى الله تعالى عليه وعلى خليفته في أمته أبي بكر السابق بمرافقته ونفقته وعلى عمر العادل في أقضيته وعلى عثمان المتزوج بابنة الرسول بعد ابنته وعلى علي المخصوص دونهم باخوته وعلى سائر آله وأصحابه وقرابته وسلم تسليما ﴿ أما بعد ﴾ فنروي بسندنا الى الامام الهمام أبي عبد الله محمد بن اسمعيل ابن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي البخاري عليه رحمة الملك الباري قال حدثنا يحيي بن عبد الله بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها أنها قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم

أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم فرجع بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملونى زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسى قالت له خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان قد تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الانجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخى ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذى نزّل الله على موسى ياليتنى فيها جذعا ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو مخرجى هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى قال ابن شهاب وأخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصارى قال وهو يحدث عن فترة الوحى فقال فى حديثه بينا أنا أمشى إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض فرعبت منه فرجعت فقلت زملونى زملونى فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر الى قوله والرجز فاهجر فحمى الوحى وتتابع (فنقول) وبالله تعالى التوفيق راويه هذا الحديث عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وهى لم تدرك زمان وقوع هذه القصة فروتها اما سماعا من النبى عليه الصلاة والسلام وهو الظاهر كما قال الطيبى أو من صحابى آخر وليعلم أن عائشة هى الصديقة بنت الصديق تزوّجها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة قبل الهجرة بسنتين وهى بنت ست سنين فى شوّال وبنى بها فى المدينة بعد منصرفه من بدر فى شوال أيضا سنة اثنتين من الهجرة وهى بنت تسع سنين والأحاديث فى فضلها مشهورة كثيرة منها قوله عليه الصلاة والسلام خذوا ثلثى دينكم عن الحميراء وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام ومن فضائلها وخصائصها على مانقل السفيرى عن الترمذى أن خديجة رضى الله تعالى عنها لما ماتت اغتم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجاءه جبريل بصورة عائشة فى خرقة حرير خضراء وقال هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة وقيل جاء بورقة من الجنة منقوش عليها صورة عائشة وقال يا محمد الجبار يقرؤك السلام ويقول انى زوّجتك البكر التى تشبه هذه الصورة فى السماء فتزوجها أنت فى الأرض فدعا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الدلالة وقال هل تعرفين بمكة بكرا تشبه هذه الصورة قالت نعم بنت أبى بكر تشبه هذه الصورة فدعا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أبا بكر وقال ان لك بنتا تسمى عائشة زوّجنى الله بها فى السماء وأمرك أن تزوجنى بها فى الأرض قال انها صغيرة فقال لو لم تكن صالحة لما زوجنيها الله فعقد النكاح ورجع أبو بكر الى منزله وأرسل مع عائشة طبقا من التمر وقال قولى له هذا الذى سأل عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا أدرى هل يصلح فأتت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبرته بذلك فقال قبلنا ثم قبلنا ومنها انها قالت يارسول الله ادع الله أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر فرفع يديه حتى رؤى بياض ابطيه وقال اللهم اغفر لعائشة بنت أبى بكر مغفرة ظاهرة وباطنة لاتغادر ذنبا ولا تكتب بعدها خطيئة ولا إثم ومنها ان الله تعالى أنزل براءتها من السماء لما تكلم فيها أهل الافك وقال عز وجل ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لاتحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم الآيات العشرة فلذا يكون قاذفها كافرا لانه مكذب للآيات ومنها انها كانت أعلم الناس بالقرآن وبالحديث وبالشعر على ماقال عروة واستقلت بالفتوى فى زمن الخلفاء الراشدين وروى لها ألف حديث وعشرة أحاديث اتفق البخارى ومسلم على مائة

وأربعة وسبعين حديثا وانفرد مسلم بثمانية وستين والبخارى بأربعة وخمسين ماتت رضى الله تعالى عنها سنة ثمان وخمسين وهى بنت ست وستين سنة ودفنت ليلا بالبقيع وصلى عليها أبو هريرة أقامت فى صحبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثمانية أعوام وخمسة أشهر وتوفى عنها وهى بنت ثمان عشرة سنة واختلف العلماء فى أفضليتها على خديجة وفاطمة والذى رجحه جماعة من المتأخرين أن خديجة أفضل من عائشة وكذا فاطمة أفضل من عائشة قال السبكى الذى نختاره وندين الله به أن فاطمة أفضل ثم أمها خديجة ثم عائشة قيل ثم حفصة وكذا اختلف فى أفضلية فاطمة على مريم فان لم تكن مريم نبية ففاطمة أفضل منها وقيل هى أفضل مطلقا واستدل القائل بما رواه النسائى عن حذيفة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال هذا ملك من الملائكة استأذن ربه ليسلم علىّ وبشرنى ان حسنا وحسينا سيدا شباب أهل الجنة وأمهما سيدة نساء أهل الجنة ونقل السفيرى عن الامام مالك انه قال لا أفضل على بضعة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أحدا ولنرجع الى مايتعلق بحديثها قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة الخ بدئ بضم الموحدة وكسر الدال وفى الحديث دلالة أن الرؤيا من أقسام الوحى فمن للتبعيض قال السفيرى وهذا متفق عليه أى لانه لامدخل للشيطان فيها ونقل القسطلانى عن أبى عبد الله القزاز أن الرؤيا ليست من الوحى ومن لبيان الجنس اه وانما بدئ صلى الله تعالى عليه وسلم بالوحى فى المنام قبل جميع أقسام الوحى السبعة ليكون تمهيدا لمجىء الملك اليه فى اليقظة لئلا يفجأه الملك ويأتيه بصريح النبوة بغتة فلا تحملها القوى البشرية ولقد أحسن البوصيرى حيث يقول

لاتنكر الوحى من رؤياه أن له * قلبا اذا نامت العينان لم ينم

قال العلماء الرؤيا على قسمين صالحة وتسمى صادقة وهى بشارة من الله تعالى يبشر بها عباده ليكثر شكره وكاذبة وتسمى بالحلم وبأضغاث أحلام وهى من الشيطان يريها الانسان ليحزنه ويقل حظه من الشكر ولذلك أمر بالتعوّذ من شره وينفث أى ينفخ عن يساره ثلاث مرات ولا يذكرها لأحد فانها لاتضره وقد ورد فى الصحيحين عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وفى رواية رؤيا المؤمن جزؤ من ستة وأربعين جزأ من النبوة وفيه غموض عن كثير من الناس وايضاحه انه صلى الله تعالى عليه وسلم عاش ثلاثا وستين سنة على الصحيح ومدة نبوته منها ثلاث وعشرون سنة لانه نبئ على رأس الأربعين وكان نصف سنة يرى الوحى فى المنام ثم رأى الملك فى اليقظة ونسبة نصف السنة التى رأى الوحى فيها فى المنام الى المدة التى رآه فيها فى اليقظة كانت نصف جزء من سبعين جزأ من النبوة لكن المشكل رواية لمسلم الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزأ من النبوة فانها لايظهر لها وجه ومن أراد استيفاء بحث الرؤيا فعليه بروح المعانى وشرح السفيرى وغيرهما وقولها ثم حبب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء (١) أى حبب الله لحبيبه عليه الصلاة والسلام الخلوة أى بأن ألهمه ذلك والخلوة شأن الصالحين وعباد الله تعالى العارفين لانها تريح القلب من اشغال الدنيا وتفرغه لله تعالى فيتفجر منه ينابيع الحكمة قال القسطلانى والخلوة أن يخلو عن غيره بل وعن نفسه بربه عز وجل وعند ذلك يصير خليقا بأن يكون قالبه ممر الواردات علوم الغيب وقلبه مقرا لها وخلوته عليه أفضل الصلاة والسلام انما كانت لأجل التقرب لا على أن النبوة مكتسبة قال السفيرى عليه الرحمة لابد لمن يقصد الخلوة من اذن شيخه له فى ذلك ولا ينبغى له أن يقصد بدخوله أن يصير مكاشفا أوذا كرامة عيانية فان من دخل على هذا القصد ولم يخلص فى دخوله تصرف فيه الشيطان وأراه الاشياء الباطلة فى صورة الحق فنعوذ بالله تعالى من الخذلان وغار حراء

(١) وفى حراء لغات يمنع ويصرف ويمد ويقصر اه منه

بكسر الحاء وتخفيف الراء نقب فى جبل بينه وبين مكة شرفها الله تعالى نحو ثلاثة أميال عن يسارك اذا سرت الى منى وقولها فيتحنث فيه بالحاء المهملة وآخره مثلثة والضمير المنفصل عائد الى مصدر يتحنث (١) وهو من الافعال التى معناها السلب أى اجتناب فاعلها المصدرها مثل تأثم وتحوب اذا اجتنبت الاثم والحوب أو هى بمعنى يتحنف بالفاء أو يتبع الحنيفية دين ابراهيم والفاء تبدل ثاء وقوله وهو التعبد الليالى ذوات العدد قال القسطلانى هذا التفسير للزهرى أدرجه فى الخبر والليالى نصب على الظرفية متعلق بقوله يتحنث لا بالتعبد لان التعبد لا تشترط فيه الليالى وذوات نصب بالكسر صفة الليالى والمراد انه عليه الصلاة والسلام كان يتعبد بعض الليالى مع أيامهن ووصفها بذوات العدد لارادة التقليل كما فى قوله تعالى دراهم معدودة وأبهم العدد لاختلافه بالنسبة الى المدد التى يتخللها مجيؤه الى أهله وكان أكثرها فى شهر رمضان فى كل سنة وأقل الخلوة ثلاثة أيام فالاول للتكفير والثانى للتطهير والثالث للتنوير ثم سبعة أيام ثم شهر ولم يصح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أكثر منه نعم روى الاربعين سوار بن مصعب وهو متروك الحديث فان قلت لم خص حراء بالتعبد دون غيره قال ابن أبى جمرة لمزيد فضله على غيره لأنه منزو ومجموع لتحنثه وينظر منه الكعبة المعظمة والنظر اليها عبادة فكان له عليه الصلاة والسلام فيه ثلاث عبادات الخلوة والتحنث والنظر الى الكعبة وليعلم انهم اختلفوا فى تعبده فقيل كان يتعبد بالتفكر وقيل بشريعة ابراهيم وقيل بشريعة موسى وقيل بشريعة عيسى وقيل بشريعة نوح وقيل بشريعة آدم عليهم السلام وقولها رضى الله تعالى عنها قبل أن ينزع الى أهله أى كان تعبده فى الغار قبل أن يحن الى أهله ويشتاق اليهم ويرجع اليهم فينزع بفتح أوله وكسر الزاى وقولها ويتزود لذلك مرفوع عطفا على فيتحنث وذلك اما اشارة الى الخلوة واما الى التعبد أى كان صلى الله تعالى عليه وسلم يتعبد فى غار حراء ويتزود لمدة خلوته وتعبده والتزود اتخاذ الزاد والمراد هو الطعام الذى يستصحبه المسافر وقولها ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها أى كان بعد الفراغ من التعبد فى هذه الليالى يرجع الى خديجة فاذا جاء وقت تلك الليالى يتزود لمثلها أى يصحب معه زاد يكفيه لمثل تلك الليالى وقولها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء أى الوحى فجاءه الملك وهو جبريل عليه السلام وهذه الفاء تسمى بالفاء التفسيرية كقوله تعالى فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم اذا القتل نفس التوبة وهنا مجىء الملك هو عبارة عن مجىء الحق قال القسطلانى فجاءه جبريل عليه السلام يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان وهو ابن أربعين سنة وقوله عليه الصلاة والسلام ما أنا بقارئ وفى رواية ما أحسن أن أقرأ فما نافية واسمها أنا وبقارئ خبرها والباء زائدة لتأكيد النفى وقيل استفهامية بدليل رواية أبى الاسود قال كيف أقرأ وفى رواية ماذا أقرأ وقوله عليه الصلاة والسلام فأخذنى أى جبريل فغطنى بالغين المعجمة ثم المهملة أى ضمنى وعصرنى وعند الطبرى فغتنى بالمثناة الفوقية بدل الطاء وهو حبس النفس وقوله عليه الصلاة والسلام حتى بلغ منى الجهد بفتح الجيم ونصب الدال أى بلغ الغط منى الجهد أى غاية وسعى فهو مفعول حذف فاعله ويروى الجهد بالضم والرفع أى بلغ منى الجهد مبلغه فهو فاعل بلغ (وقوله ثم أرسلنى أى أطلقنى من العصر فقال اقرأ قلت وفى رواية فقلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثالثة وهذا الغط ليفرغه عن النظر الى أمور الدنيا ويقبل بكليته الى ما يلقى اليه وكرره للمبالغة واستدل به على أن المؤدب لا يضرب صبيا أكثر من ثلاث ضربات وقيل الغطة الاولى ليتخلى عن الدنيا والثانية ليتفرغ لما يوحى اليه والثالثة للمؤانسة وعد بعضهم هذا من خصائصه عليه الصلاة والسلام اذ لم ينقل عن أحد من الأنبياء أنه جرى له عند ابتداء الوحى اليه مثله وقوله فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق الخ

(١) وأصل التحنث التجنب عن الحنث أى الاثم فكان المتعبد يلقى الاثم عن نفسه بالعبادة اهـ منه

أى اقرأ يا محمد ما يوحى اليك من القرآن مبتدأ أو مفتتحا باسم ربك أى قل باسم الله ثم اقرأ واستدل بذلك على أن البسملة جزء من كل سورة وفيه بحث وقوله خلق الانسان من علق يعنى بنى آدم والعلق الدم الجامد واذا جرى فهو المسفوح وقوله اقرأ وربك الاكرم أى الزائد فى الكرم على كل كريم وقال الكلبى الحليم عن جهل العباد فلم يعجل بعقوبتهم ونقل فى الفتح عن أبى حيان انه قال فى البحر ومن غريب ما رأينا تسمية النصارى بهذه الصفة التى هى صفة الله تعالى يسمون الاكرم والرشيد وفخر السعداء وسعيد السعداء فى ديار مصر ويدعونهم بها المسلمون ويزيدون عليها على سبيل التعظيم الشيخ الاكرم والشيخ الاسعد والشيخ الرشيد فيالها من خزى يوم عرض الاقوال والافعال على الله تعالى اهـ وليعلم ان فى هذا دليلا للجمهور أنه أول ما نزل فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أول شئ نزل من القرآن خمس آيات الى ما لم يعلم يعنى اقرأ باسم ربك الذى خلق وروى عن مجاهد أول ما نزل من القرآن اقرأ باسم ربك ثم ن والقلم وعن جابر بن عبد الله انه يا أيها المدثر وقيل الفاتحة وقال بعضهم أول ما نزل اقرأ ثم ن ثم يا أيها المزمل ثم يا أيها المدثر ثم الفاتحة وقولها فرجع بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يرجف فؤاده أى رجع عليه الصلاة والسلام بالآيات التى علمه جبريل اياها وهى اقرأ الى قوله تعالى ما لم يعلم حالة كونه قاصدا بيت خديجة وحال كونه يرجف بضم الجيم أى يخفق فؤاده أى قلبه لما فجأه من الأمر المخالف للعادة والمألوف فنفر طبعه البشرى وهاله ذلك ولم يتمكن من التأمل فى تلك الحالة لان النبوة لا تزيل الطباع البشرية كلها فدخل عليه الصلاة والسلام على خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها فقال زملونى زملونى بفتح الزاى المعجمة وكسر الميم أى دثرونى كما جاء فى رواية أخرى دثرونى وصبوا على ماء باردا رواها السفيرى وقال عليه الصلاة والسلام ذلك لشدة ما لحقه من الهول والعادة جارية بسكون الرعدة بالتلفف قالت فزملوه حتى ذهب عنه الروع بفتح الراء أى الفزع فقال عليه الصلاة والسلام لخديجة رضى الله تعالى عنها وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسى أى خفت عليها وهو جواب قسم محذوف أى والله لقد خشيت على نفسى الموت من شدة الرعب أو المرض وقيل غير ذلك وليس معناه الشك قالت له خديجة كلا أى لا تقل ذلك أو لا خوف عليك والله ما يخزيك الله أبدا بضم المثناة التحتية وبالخاء المعجمة الساكنة والزاى المكسورة وبالمثناة التحتية الساكنة أى ما يفضحك الله وعن الكشميهنى ما يحزنك الله بالحاء المهملة من الحزن وقولها انك لتصل الرحم أى لتحسن الى أقاربك وتحمل الكل بفتح الكاف وتشديد اللام وهو الذى لا يستقل بأمره أو الثقل بكسر المثلثة واسكان القاف وتكسب المعدوم بفتح المثناة الفوقية أى تعطى الناس ما لا يجدونه عند غيرك وتقرى الضيف بفتح أوله بلا همز وسمع بضمها أى تهيئ له طعامه ونزله وتعين على نوائب الحق أى حوادثه وانما قالت نوائب الحق لانها تكون فى الحق والباطل قال لبيد

نوائب من خير وشر كلاهما * فلا الخير ممدود ولا الشر لازب

قال السفيرى ومعنى كلام خديجة انك لا يصيبك مكروه لما جعله الله فيك من مكارم الاخلاق وجميل الصفات فان خصال الخير سبب للسلامة من مصارع السوء والمكارم سبب لدفع المكاره وفى هذا دليل على جواز مدح الانسان فى وجهه لنظر المصلحة وأما قوله عليه الصلاة والسلام أحثوا على وجوه المداحين التراب فهو محمول على المدح بباطل أو يؤدى الى باطل وفيه دليل على انه ينبغى لمن حضر عند من حصل له مخافة من شئ أن يذكر له أسباب السلامة وأن يذكر ما فيه من الفضائل كما فعلت خديجة مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه أبلغ دليل على كمال خديجة وجزالة رأيها وقوة نفسها وعظيم فهمها اذ جمعت رضى الله تعالى عنها جميع أنواع المكارم وأمهاتها فيه لان الاحسان اما الى الاقارب واما الى الاجانب واما بالبدن واما

بالمال واماعلى من يستقل بأمره واماعلى غيره و يدل على كمال عقلها وقوة معرفتها ماذكره ابن سيد الناس انها قالت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أى ابن عمى أستطيع أن تخبرنى بصاحبك الذى يأتيك اذا جاءك قال نعم قالت فاذا جاءك فأخبرنى به فجاءه جبريل فقال عليه الصلاة والسلام ياخديجة هذا جبريل قدجاءنى قالت قم يا ابن عمى فأجلس على فخذى اليسرى فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجلس عليها قالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاقعد على فخذى اليمنى فتحول رسول صلى الله تعالى عليه وسلم فقعد على فخذها اليمنى فقالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاجلس فى حجرى فجلس فى حجرها ثم قالت هل تراه قال نعم ثم حسرت فألقت خمارها وهو جالس فى حجرها وقالت هل تراه قال لا قالت له فاثبت وأبشر أن هذا ملك وماهو بشيطان اه

وقول عائشة رضى الله تعالى عنها فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وورقة بفتح الراء وانما كان ابن عم خديجة لانها بنت خويلد بن أسد وهو ورقة بن نوفل بن أسد المذكور وكان من علماء قريش وشعرائهم وكان يعرف اللسان العربى والعبرانى وكان امرأ تنصر فى الجاهلية وذلك انه خرج هو وزيد بن عمرو بن نفيل لما كرها طريق الجاهلية الى الشام وغيرها يسألان عن الدين فأعجب ورقة النصرانية للقيه من لم يبدل شريعة عيسى عليه السلام وكان ورقة أيضا يكتب الكتاب العبرانى وفى رواية مسلم يكتب الكتاب العربى قال النووى انه يكتب بالعربية والعبرانية وهى بكسر العين نسبة الى العبرى بكسر العين واسكان الموحدة زيدت الألف والنون فى النسبة على غير قياس قيل سميت بذلك لان الخليل عليه السلام تكلم بها لما عبر الفرات فارا من نمروذ وقال القسطلانى قيل ان التوراة عبرانية والانجيل سريانى وعن سفيان مانزل من السماء وحى الا بالعربية وكانت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تترجمه لقومها اه قالت عائشة وكان شيخا كبيرا قدعمى فقالت له خديجة يا ابن عم وفى رواية مسلم ياعم وهى مجاز للاحترام اسمع من ابن أخيك تعنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لان الأب الثالث لورقة هو الاخ للاب الرابع لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو قالته على سبيل الاحترام فقال له ورقة يا ابن أخى ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خبر مارأى فقال له ورقة هذا الناموس بالنون والسين المهملة وهو لغة صاحب سر الخير والجاسوس صاحب سر الشر والمراد بذلك جبريل عليه السلام وأهل الكتاب يسمونه الناموس الاكبر وقوله الذى نزل الله على موسى وفى رواية على عيسى قال القسطلانى نزل بحذف الهمزة يستعمل فيما نزل نجوما وفى رواية أنزل و يستعمل فيما نزل جملة ثم قال ورقة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ياليتنى فيها أى يا محمد ليتنى أكون فى أيام الدعوة جذعا بفتح الجيم والذال المعجمة هو الصغير من البهائم واستعير للانسان أى ليتنى كنت شابا قويا حتى أبالغ فى نصرتك ثم قال ورقة ليتنى وفى رواية ياليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك أى من مكة واستعمل إذ فى المستقبل كاذا على حد قوله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وذلك لتنزيل المستقبل المقطوع بوقوعه منزلة الماضى الواقع فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو مخرجى هم بفتح الواو وتشديد الياء مفتوحة لان أصله مخرجونى جمع مخرج من الاخراج وتعليل هذه الكلمة فى الكتب النحوية والحديثية والهمزة للاستفهام الانكارى على وجه التفجع والتألم وكأنه عليه الصلاة والسلام استبعد اخراجه عن الوطن لاسيما حرم الله و بلد أبيه اسمعيل من غير سبب يقتضى ذلك فانه عليه الصلاة والسلام كان جامعا لأنواع المحاسن المقتضية لاكرامه وانزاله منهم محل الروح من الجسد ثم قال له ورقة نعم لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به من الوحى الا عودى يعنى أن أهل الحق يعاديهم أهل الباطل وان أهل الفضل محسودون ولاسيما الجاهلية فاخراجهم عن طريقهم المألوف موجب لعداوتهم ولله تعالى در القائل

ان العرانين تلقاها محسدة * ولا ترى للئام الناس حسادا

ثم قال ورقة وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا أى ان أبقيت الى يوم انتشار نبوتك أو يوم يخرجك قومك أنصرك نصرا قويا بليغا فمؤزرا بضم الميم وفتح الزاى المشددة آخره راء مهملة مهموزا قالت عائشة ثم لم ينشب بفتح المثناة التحتية والمعجمة أى لم يلبث ورقة أن توفى بفتح الهمزة وتخفيف النون أى لم تتأخر وفاته عن هذه القصة واختلف فى وقت موته فقال الواقدى انه خرج الى الشام فلما بلغه أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بالقتال بعد الهجرة أقبل يريده حتى إذا كان ببلاد لخم وجذام قتلوه قال القسطلانى وهذا غلط فانه مات بمكة بعد المبعث بقليل جدا وكذا اختلف فى ايمانه فقال الكرمانى لاشك انه كان مؤمنا بعيسى وقال البرماوى علم من هذا الحديث انه آمن بل هو أول المسلمين من الرجال وقدروى الحاكم فى المستدرك عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال لاتسبوا ورقة فانى رأيت له جنة أوجنتين وفى حديث آخر رأيته وعليه حلة خضراء يرفل فى الجنة وروى أنه خاطب خديجة رضى الله تعالى عنها حين أتته بقوله

فان يك حقا ياخديجة فاعلمى * حديثك ايانا فاحمد مرسل

وجبريل يأتيه وميكال معهما * من الله وحى يشرح الصدر منزل

قوله قال ابن شهاب الخ هذا هو الزهرى وهو الامام أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله ابن الحرث بن زهرة بن كلاب بن مرة وهو تابعى كبير سمع عشرة من الصحابة قال الليث مارأيت عالما أجمع من الزهرى ولا أكثر علما منه وقال الشافعى لولا الزهرى ذهبت السنن من المدينة توفى بالشام سنة أربع وعشرين ومائة وهو ابن اثنين وسبعين سنة وأوصى بأن يدفن على الطريق بقرية يقال لها شغب ولله در القائل

بقارعة الطريق جعلت قبرى * لاحظى بالترحم من صديق

فيامولى الموالى أنت أولى * برحمة من يموت على الطريق

وقوله وأخبرنى سلمة بن عبد الرحمن هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرة بالجنة وقوله أن جابر بن عبد الله الانصارى قال أى جابر وهو يحدث عن فترة الوحى أى فى حال التحديث عن احتباس الوحى عن النزول واعلم أن العلماء اختلفوا فى المدة فقيل كانت سنتين ونصفا وقيل ثلاث سنين قال ابن اسحق ليس المراد بفترة الوحى المذكورة عدم مجىء جبريل بل المراد بها عدم نزول القرآن عليه فيها فقط واما جبريل فانه كان يتراءى له فى هذه المدة كما ذكر البخارى فى الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام حين فتر الوحى كان يأتى شواهق الجبال يهم بأن يلقى نفسه فكان جبريل عليه السلام يتراءى له بين السماء والأرض فيقول له يا محمد أنت رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقر عينه قال العلماء وانما فتر الوحى وانقطع نزول القرآن هذه المدة ليذهب ماحصل له صلى الله تعالى عليه وسلم من الخوف والفزع عند نزول جبريل فى غار حراء و يتشوق الى عود الوحى اليه ثم بعد مضى الفترة نزل عليه جبريل بالقرآن كما أشار بذلك البخارى بقوله فقال أى جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال بينا أنا امشى إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض فرعبت بضم الراء وكسر العين المهملة وفى رواية بفتح الراء وضم العين أى فزعت منه فرجعت الى أهلى بسبب الرعب فقلت زملونى زملونى وفى رواية دثرونى فأنزل الله عز وجل يا أيها المدثر قم فأنذر و ربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر فحمى الوحى وتتابع أى كثر نزوله بعد ذلك وحمى بفتح الحاء المهملة وكسر الميم وفى تفسير ابن عادل أن جبريل نزل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أربعة وعشرين ألف مرة وعلى آدم اثنى عشرة مرة وعلى ادريس أربعا وعلى نوح خمسين وعلى ابراهيم اثنتين وأربعين مرة وعلى موسى أربعمائة وعلى عيسى عشرة انتهى ولقد كان عليه الصلاة والسلام يعانى التعب والكرب عند نزوله لانه أمر طارىء على الطباع البشرية قالت عائشة رضى

الله تعالى عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيقلع عنه وان جبينه ليتفصد أى يسيل عرقا
واعلم أن مراتب الوحى عديدة كما قال ابن القيم وغيره احداها الرؤيا الصادقة الثانية ما يلقيه الملك فى روعه وقلبه
من غير أن يراه كما قال عليه الصلاة والسلام أن روح القدس نفث فى روعى لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها
فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب الثالثة كان يتمثل له رجلا فيخاطبه فيعى منه ما يقول الرابعة كان يأتيه فى مثل
صلصلة الجرس الخامسة ان يرى الملك فى صورته التى خلق عليها له ستمائة جناح فيوحى اليه وهذا وقع له مرتين
كما فى سورة النجم السادسة ما أوحاه الله تعالى اليه وهو فوق السموات من فرض الصلوات وغيرها السابعة كلام
الله تعالى له منه اليه كما كلم موسى وزاد بعضهم ثامنة وهو تكليمه سبحانه بغير حجاب وزاد بعضهم نزول اسرافيل
اليه بكلمات من الوحى قبل جبريل عليهما السلام وزاد بعضهم كلامه تعالى له فى المنام وزاد بعضهم العلم الذى
يلقيه فى قلبه وعلى لسانه على الاجتهاد فى الأحكام وبقيت أبحاث أخر من أرادها فليرجع الى محلها فعليكم أيها
المؤمنون بالايمان بما جاء به الأمين المأمون وتزودوا للدار الآخرة قبل الفوات وامحوا السيئات بالحسنات
فالدنيا ظل زائل وحال حائل وركن مائل ورفيق خاذل ومسؤل باخل وغول غائل وسم قاتل كم تعد
الدنيا وتماطل كل وعدها غرور وباطل تالله ما فرح بها عاقل كم ظالم تعدى وجار فما راعى الأهل ولا الجار
بينما هو يعقد عقد الاصرار حل به الموت فحل من حليه الازرار فاعتبروا يا أولى الأبصار يا سكران الهوى
متى تصحوا يا كثير الذنوب متى تمحوا الى كم تهفوا وتعفوا وتتكدر ونعمنا تصفوا بك ما بك واندب فى
شيبك على شبابك وتأهب لسيف المنون فقد علق الشبابك فتأملوا عواقب الدنيا فلقد أبانت للنواظر
عيوبها وكشفت للبصائر غيوبها وعددت على السامع ذنوبها وما مرت حتى أمرت مشروبها فلذتها
مثل لمعان برق ومصيبتها واسعة الخرق سوت عواقبها بين أهل الغرب والشرق وبين عبد وحر ولا فرق
فما نجا منها ذو عدد ولا سلم عليها صاحب عدد مزقت والله الكل بكف البدد ثم ولت وما التوت على أحد

إلام تغر بالأمل الطويل * وليس الى الاقامة من سبيل
فدع عنك التعلل بالأمانى * فما بعد المشيب سوى الرحيل
أترجو أن تدوم لك الليالى * وكم أفنين قبلك من خليل
وما زالت بنات الدهر تفنى * بنى الأيام جيلا بعد جيل

فطوبى لمن غسل درن الذنوب بتوبة ورجع عن الخطايا قبل فوت الأوبة وبادر الممكن قبل أن لا يتمكن
لله در أقوام تركوا الدنيا فأصابوا وسمعوا منادى الحق يدعوا فأجابوا وحضروا مشاهدة التقى فما غابوا
واعتذروا مع التحقيق ثم تابوا وقصدوا باب مولاهم فما ردوا ولا خابوا سبحان من وفق للتوبة أقواما وثبت
لهم على صراطها أقداما كفوا الأكف عن المحارم احتراما وتعبوا فى استدراك الفارط عظاما فكفر
عنهم ذنوبا وآثاما ونشر لهم بالثناء على ما عملوا أعلاما فهم على رياض المدائح بترك القبائح يتقلبون
التائبون العابدون كشف لهم حجف الدنيا فرأوا عيوبها وألاح لهم الاخرى فتمحوا غيوبها وبادروا
شمس الحياة يخافون غروبها واشتغلوا بالطاعات فحصلوا مرغوبها وحثهم الايمان على الخوف فما يأمنون
التائبون العابدون نظروا الى الدنيا بعين الاعتبار فعلموا انها لا تصلح للقرار وتأملوا أساسها فاذا هى
على شفا جرف هار فرفضوا بالصيام لذة الهوى بالنهار وبالأسحارهم يستغفرون هجروا المنازل الأنيقة
وقصموا عرى الهوى الوثيقة وطلبوا الآخرة والله على الحقيقة هكذا يكون التائبون العابدون
أبدانهم تلقى من الجوع الضرر وأجفانهم قد حالفت فى الليل السهر ودموعهم تجرى دائمة كما يجرى المطر
والقوم تأهبوا فهم على أقدام السفر عبروا عليكم ومروا لديكم وما عندكم خبر وترنمت حداتهم لو أنكم

تسمعون التائبون العابدون اللهم انا آمنا برسولك الذى أرسلت وبكتابك الذى أنزلت اللهم انا نعوذ
بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرياء اللهم انا نعوذ بك من الكسل
والجبن والبخل ونعوذ بك من الهرم والقسوة والغفلة والذلة والقلة والمسكنة ونعوذ بك من الجنون والبرص
والجذام وسيئ الاسقام وشماتة الأعداء ونعوذ بك من فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات اللهم
انا نعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع اللهم انا نسألك العفو والعافية
فى الدارين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين

﴿ المجلس الثامن والثلاثون ﴾

(فى يوم عرفة وعيد الأضحى)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله المعروف بدليله الهادى الى سبيله الصادق فى قيله المشكور على كثير الأنعام وقليله الذى تسبحه
الأصوات اذا عجت والسحائب اذا ثجت والمياه اذا سكنت أو ارتجت والقلوب اذا صبرت على البلايا أو
ضجت رافع السماء وبانيها وساطح الأرض وداحيها ومثبتها بالأطواد فى نواحيها العالم بما يحدث فى
أقاصيها وأدانيها يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها أحمده على فضله الشامل
وأشكره على احسانه الكامل وأومن به إيمان مخلص معامل وأعترف له بنعم لا أحصيها وأشهد أن لا اله الا
الله وحده لا شريك له شهادة ظهر نورها ولاح وغدا برهانها وراح وأشرق هداها فى المساء والصباح
واكتسب قائلها شرفا وتيها وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أرسله والحق داثر وقدم الصواب عاثر
والحق مندرس والباطل ظاهر فقمع الباطل بالحق الظاهر ونسخ ظلمات الجهالة بنور العلم الزاهر صلى الله
تعالى عليه وعلى آله صلاة يمتد على ممر الزمان توالبها وعلى صاحبه فى الضيق أبى بكر الصديق الصابر على
الشدة والثابت على البلايا بنفس مستعدة القائم فى مقام الوحدة وحده يوم الردة المخصوص بفضيلة
الغار فمن ذا يدانيها وعلى الفاروق عمر بن الخطاب المنفرد فى شدته من بين الأصحاب الموفق يوم بدر لاصابة
الصواب المتكلم بلسان الغيرة حتى ضرب الحجاب الذى شاد أركان السنن بعدله وعمر مبانيها وعلى عثمان
شهيد الدار القائم فى الاسحار الصائم فى النهار المخلص فى الاذكار جامع سور القرآن وحاويها وعلى
على بن أبى طالب ذى العلم والزهادة الحريص على طلب السعادة جامع العلم والعمل والشهادة المطلع
على دقائق العلوم ومعانيها وعلى التابعين لهم فى إخلاص الأعمال وصفاء القلوب ما ترددت الشمس بين
الطلوع والغروب واستترت النجوم وبدا باديها وشرف وكرم ومجد (أما بعد) فقد قال الله تعالى فى محكم
كتابه ومبين خطابه والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل فى ذلك قسم لذى حجر ألم تر
كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد الآيات (فنقول) وبالله جل وعز
التوفيق وبيده تعالى شأنه أزمة التحقيق قال المفسرون رحمهم الله تعالى أقسم سبحانه بالصبح كما روى عن على
كرم الله تعالى وجهه أو فلقه كقوله تعالى والصبح اذا تنفس أو بصلاته كما روى ذلك عن ابن عباس وقال مجاهد
هو فجر يوم النحر خاصة وقال الضحاك فجر أول يوم من ذى الحجة وقال قتادة أول يوم من المحرم لانه تنفجر
منه السنة وقوله تعالى وليال عشر قرئ بتنوين ليال وباضافتها فلا تنوين فيكون المراد بالعشر الأيام
وهى عشر ذى الحجة كما رواه ابن عطية عن ابن عباس وبه قال مجاهد ومسروق وقتادة والضحاك والسدى
وروى عن ابن عباس أيضا انها العشر الأواخر من شهر رمضان وقال يمان العشر الأول من المحرم وقوله سبحانه

والشفع والوتر قرأ بكسر الواو وفتحها الأكثرون وفيهما عشرون قولا منها ان الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة كما رواه جابر عن النبي عليه أفضل الصلاة والسلام وروى عمران بن حصين عنه عليه الصلاة والسلام انها الصلاة لان منها شفعا ومنها وترا ومنها عن ابن عباس ان الشفع الخلق كله والوتر هو الله عز وجل ومنها ما روى عنه أيضا ان الشفع آدم لانه شفع بزوجته ومنها ما قاله عبدالله بن الزبير ان الشفع يومان بعد يوم النحر والوتر اليوم الثالث ومنها ان الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب وقال الضحاك الشفع عشر ذى الحجة والوتر أيام منى الثلاثة وقوله سبحانه والليل اذا يسر أى اذا يمضى كقوله تعالى والليل اذ أدبر وقال الاخفش ان المعنى اذا يسرى فيه كما يقال ليل نائم أى ينام فيه وقوله تعالى هل فى ذلك قسم لذى حجر أى لصاحب عقل وسمى العقل حجرا لانه يحجر صاحبه عن القبيح وسمى عقلا لانه يعقله عما لا يحسن وسمى النهى أيضا لانه ينهى عما لا يحل ومعنى الكلام أن من كان ذا لب علم ان ما أقسم الله تعالى به من هذه الاشياء دليل على توحيده وقدرته وهو حقيق أن يقسم به وجواب القسم ان ربك لبالمرصاد وهو المكان الذى يترقب فيه الرصد قال البيضاوى هو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب انتهى * واذكر لكم ما يتعلق بهذه الايام العشر ولا سيما يوم عرفة من الآيات والأحاديث الطيبة النشر كما تكلمنا على الحج فى حديث جبريل عليه السلام فنقول بعون الملك العلام روى حافظ بغداد ابن الجوزى بسنده الى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ما من أيام العمل الصالح فيها أحب الى الله عز وجل من هذه الايام يعنى أيام العشر قيل يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله عز وجل قال ولا الجهاد فى سبيل الله الا رجلا خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشئ وأخرج عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب اليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد وأخرج عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان أفضل أيام الدنيا أيام العشر قالوا يا رسول الله ولا مثلهن فى سبيل الله قال إلا من عفر وجهه فى التراب وقد روى فى حديث عن ابن عباس عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال صوم كل يوم من أيام العشر يعدل صيام سنة وليلة جمع تعدل ليلة القدر وروى عن أبى هريرة انه قال فى هذه الأيام يعدل صيام كل يوم منها صيام سنة وقيام ليلة منها كقيام ليلة القدر قال أبو عثمان النهدى كانوا يعظمون ثلاث عشرات العشر الأول من ذى الحجة والعشر الأخر من رمضان والعشر الأول من المحرم واعلموا رحمنا الله تعالى وإياكم أن عشركم هذا ليس كعشر آخر وهو يحتوى على فضائل عشر الأولى ان الله عز وجل أقسم به فقال وليال عشر والثانية سماه الأيام المعلومات قال ابن عباس هى أيام العشر والثالثة أن نبينا عليه الصلاة والسلام شهد له بأنه أفضل أيام الدنيا والرابعة حث على أفعال الخير فيه والخامسة انه أمر بكثرة التسبيح والتحميد والتهليل فيه والسادسة أن فيه يوم التروية وفى حديث ابن عباس عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من صام العشر فله بكل يوم صوم شهر وله بصوم التروية سنة قال الزهرى وانما سمى بيوم التروية لان عرفات لم يكن لها ماء وكانوا يتروون من الماء اليها وهو اليوم الثامن من ذى الحجة والسابعة أن فيه يوم عرفة وصومه كسنتين كما سنذكر فضائله قريبا ان شاء الله تعالى والثامنة أن فيه ليلة جمع وهى ليلة المزدلفة وفضلها عظيم والتاسعة ان فيها الحج الذى هو ركن من أركان الاسلام والعاشرة وقوع الأضحية التى هى علم للملة الابراهيمية والشريعة المحمدية قال تعالى فصل لربك وانحر فقد فسرت الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية وقد ورد فى فضلها أحاديث منها ما روته عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال انها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها وان الدم ليقع من الله تعالى بمكان قبل أن يقع على الأرض فطيبوا بها انفسا وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال

بكل شعرة حسنة وقال لفاطمة رضى الله تعالى عنها قومى الى أضحيتك فاشهديها فان لك بكل قطرة من دمها أن يغفر لك ما قد سلف من ذنوبك فقيل له هذا لآل محمد خاصة قال بل هو لآل محمد والناس عامة وعن أبى جعفر قال أول قطرة من دم الأضحية كفارة لأربعة آلاف خطيئة ومن شرف يوم النحر أن الله سبحانه وتعالى ابتلى فيه الخليل بذبح ولده اسحق أو اسمعيل والقصة لشهرتها لا نذكرها الآن لخوف التطويل فمن أراد أن يضحى ويقتدى بهذا النبى الجليل ورسولنا صاحب الجاه العريض الطويل فلا يقلم اذا دخلت العشر أظفاره ولا يحلق شعره ولا يأخذ من بشرته فقد روت أم سلمة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من كان له ذبح يذبحه فاذا أهل هلال ذى الحجة فلا يأخذ من شعره ولا من أظفاره شيأ حتى يضحى وبه أخذ الامام أحمد فقال بكراهة أخذ شئ من ذلك وعليه الامام الشافعى وقال بعض أصحاب أحمد انه يحرم عليه ذلك وقال امامنا الأعظم لا يكره ذلك ولنبين لكم أحكام الأضحية لتكونوا على بصيرة فيها قال الامام القدورى الحنفى فى كتابه المختصر ما نصه الأضحية واجبة على كل مسلم حر مقيم موسر فى يوم الأضحى عن نفسه وأولاده الصغار ويذبح عن كل واحد منهم شاة أو يذبح بقرة أو بدنة عن سبعة وليس على الفقير والمسافر أضحية ووقت الأضحية يدخل بطلوع الفجر من يوم النحر الا أنه لا يجوز لأهل الأمصار الذبح حتى يصلى الامام صلاة العيد وأما أهل السواد فانهم يذبحون بعد الفجر وهى جائزة فى ثلاثة أيام يوم النحر ويومان بعده ولا يضحى بالعمياء والعوراء والعرجاء التى لا تمشى الى المنسك والعجفاء ولا يجوز مقطوعة الأذن والذنب ولا التى ذهب أكثر أذنها فان بقى الأكثر من الأذن والذنب جاز ويجوز أن يضحى بالجماء والخصى والثولاء والجرباء والأضحية من الابل والبقر والغنم يجزى من ذلك كله الثنى فصاعدا الا الضأن فان الجذع (١) منه يجزى ويأكل من لحم الأضحية ويطعم الأغنياء والفقراء ويدخر ويستحب أن لا ينقص الصدقة من الثلث ويتصدق بجلدها ويعمل منه آلة تستعمل فى البيت والأفضل أن يذبح الاضحية بيده ان كان يحسن الذبح ويكره أن يذبحها الكتابى واذا غلط رجلان فذبح كل واحد منهما أضحية الآخر أجزأ عنهما ولا ضمان عليهما وقال فى الميزان أجمع الأمة أن الاضحية مشروعة بأصل الشرع وانما اختلفوا فى وجوبها واتفقوا على أن المرض اليسير فى الأضحية لا يمنع الاجزاء وعلى أن الكثير يمنع لانه يفسد اللحم وعلى أن الجرب البين يمنع الاجزاء وكذا العور وأجمعوا على أن مقطوعة الاذن لا تجزئ وكذا مقطوعة الذنب لفوات جزء من اللحم واتفقوا على أنه لا يجوز أن يأكل شيأ من لحم الأضحية المنذورة واتفقوا على أنه لا يجوز بيع شئ من لحم الاضحية والهدى نذرا كان أو تطوعا وكذلك بيع الجلد خلافا للنخعى والأوزاعى كما سيأتى واتفقوا على أن البدنة والبقرة تجزئ عن سبعة والشاة عن واحد وقال اسحق بن راهويه تجزئ البقرة عن عشرة ومما اختلفوا فيه أن الامام أبا حنيفة قال أن الأضحية واجبة على المقيمين من أهل الأمصار اذا كانوا مالكين النصاب وقال الثلاثة وصاحباه سنة مؤكدة ومن ذلك قول الشافعى يدخل وقت الذبح بطلوع الشمس يوم النحر ومضى قدر صلاة العيد والخطبتين صلى الامام العيد أو لم يصل مع قول الثلاثة ان شرط الذبح أن يصلى الامام ويخطب الا أن أبا حنيفة قال يجوز لأهل السواد أن يضحوا اذا طلع الفجر الثانى وقال عطاء يدخل وقت الأضحية بطلوع الشمس فقط ومن ذلك قول الشافعى ان آخر وقت التضحية هو آخر أيام التشريق الثلاثة مع قول أبى حنيفة ومالك ان آخر وقتها آخر اليوم الثانى من أيام التشريق ومع قول

---

(١) فى القاموس الجذع محركة قبل الثنى وتقول لولد الشاة فى السنة الثانية وللبقر وذات الحافر فى الثالثة وللابل فى الخامسة أجذع وذكر فى مادة ثنى الناقة الطاعنة فى الثالثة والبعير ثنى بفتح الثاء والفرس الداخلة فى الرابعة والشاة فى الثالثة كالبقرة اه منه

سعيد بن جبير انه يجوز لأهل الامصار التضحية في يوم النحر خاصة ومع قول النخعي انه يجوز تأخيرها الى آخر شهر ذي الحجة ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة ان الأضحية اذا كانت واجبة لم يفت ذبحها بفوات أيام التشريق بل يذبحها وتكون قضاء مع قول أبي حنيفة أن الذبح يسقط وتدفع الى الفقراء حية ومن ذلك قول الثلاثة انه يكره مكسورة القرن مع قول أحمد انها لا تجزئ ومن ذلك قول مالك والشافعي أن العرجاء لا تجزئ مع قول أبي حنيفة انها تجزئ ومن ذلك قول الشافعي انها لا تجزئ مقطوعة شئ من الذنب ولو يسيرا مع اختيار جماعة من متأخري أصحابه الاجزاء ومع قول أبي حنيفة ومالك ان ذهب الاقل أجزأ أو الأكثر فلا ولأحمد فيما زاد على الثلث روايتان ومن ذلك قول الثلاثة انه يجوز للمسلم أن يستنيب في ذبح الاضحية مع الكراهة في ذمي مع قول مالك انه لا يجوز استنابة الذمي ولا تكون أضحية ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة انه لو اشترى شاة بنية الأضحية لا تصير أضحية بمجرد ذلك مع قول أبي حنيفة انها تصير قال الثلاثة ويستحب أن يقول اللهم هذا منك ولك فتقبل مني وقال أبو حنيفة يكره قول ذلك ومن ذلك اتفاق الأربعة على استحباب الأكل من الأضحية المتطوع بها مع قول بعض العلماء بوجوب الأكل ومن ذلك اتفاقهم على أنه لا يجوز بيع جلد الأضحية المنذورة أو المتطوع بها خلافا للنخعي والأوزاعي في بيعها بآلة البيت التي تعار كالفاس والقدر والغربال ونحو ذلك ومن ذلك قول الثلاثة أن الأبل أفضل ثم البقر ثم الغنم مع قول مالك أن الأفضل الغنم ثم الابل ثم البقر انتهى * ولنختم درسنا هذا بما ورد في هذا اليوم الذي سماه الله تعالى وترا كما تقدم فقد روى أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال في قوله تعالى وشاهد ومشهود الشاهد والمشهود يوم عرفة قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى ومن فضائله أن الله تعالى أنزل فيه اليوم أكملت لكم دينكم فقد روى ابن شهاب قال جاء رجل من اليهود الى عمر رضي الله تعالى عنه فقال يا أمير المؤمنين انكم تقرؤن آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال وأي هي قال قوله اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي قال فقال عمر والله اني لاعلم اليوم الذي نزلت فيه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والساعة التي نزلت فيها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عشية عرفة يوم جمعة أخرجاه في الصحيحين ومن فضائله أن الله تعالى يباهي بالحاج فيه ملائكته ويعم بالغفران وقد أخرج مسلم عن ابن المسيب قال قالت عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما من يوم أكثر من أن يعتق الله تعالى فيه عبدا من النار من يوم عرفة وانه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء وروى ابن الجوزي بسنده عن جابر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان يوم عرفة ينزل الله تبارك وتعالى الى السماء الدنيا فيباهي بكم الملائكة فيقول انظروا الى عبادي أتوني شعثا غبرا من كل فج عميق أشهدكم اني قد غفرت لهم فقال رسول الله فما من يوم أكثر عتقاء من يوم عرفة وفي رواية أخرى أن عشية عرفة ينزل الله تعالى فيه الى السماء الدنيا فيقول للملائكة أنظروا الى عبادي هؤلاء أتوني شعثا غبرا جاؤني من كل فج عميق ضاجين يسألوني رحمتي ولا يروني ويتعوذون من عذابي ولم يروني فلم ير يوم أكثر عتقاء منه ولا يغفر الله تعالى فيه لمختال وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لا يبقى أحد يوم عرفة في قلبه مثقال من ايمان الا غفر له فقال رجل لأهل معرّف يا رسول الله أم للناس عامة قال لا بل للناس عامة وأما ثواب صائمه فقد روى عن أبي قتادة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عن صوم يوم عرفة فقال كفارة سنتين وعنه أن رجلا قال يا رسول الله أرأيت صيام يوم عرفة قال احتسب على الله أن يكفر السنة الباقية والماضية وفي لفظ اني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده واعلموا أن صومه مستحب لغير الحاج

فأما للحاج فلا يستحب له صومه ليتقوى على الدعاء ولكونه ضيف الله عز وجل وأما ما يختص بالذكر فيه فمنه التكبير عقب الصلوات المفروضات وابتداؤه في حق المحل صلاة الفجر يوم عرفة وفي حق المحرم صلاة الظهر من يوم النحر ويختمان في صلاة العصر آخر أيام التشريق وهذا عند الحنابلة وأبي يوسف ومحمد وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى أوله عقب صلاة الفجر من يوم عرفة وآخره عقب صلاة العصر من يوم النحر وصفة التكبير الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد كما ذكرناه أيضا وفصلناه في عيد الفطر ومن الأذكار ما روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال خير الدعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وكان ابن عمر يحيي ليلة النحر فقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل الأيام عند الله تعالى يوم النحر ثم يوم الفطر وقد سبق ذكر آداب العيد فنذكر ومما يفعل في عيد النحر أن لا يأكل حتى يفرغ من الصلاة بخلاف عيد الفطر وان يغتسل ويتطيب ويلبس أحسن ثيابه وأن يصلي صلاة العيد ثم يضحي من أمكنه التضحية للاحاديث المتقدمة في ذلك وفقنا الله تعالى واياكم لسلوك أحسن المسالك ورزق كل واحد منا ما يتمناه في أولاه وأخراه (فيا عباد الله) تدبروا القرآن المجيد فقد دلكم على الأمر الرشيد وأحضروا قلوبكم لفهم الوعد والوعيد ولازموا طاعة ربكم ولا سيما أيام العيد فهذا شأن العبيد واحذروا غضبه فكم قصم من جبار عنيد (إن بطش ربك لشديد * إنه هو يبدئ ويعيد * وهو الغفور الودود * ذو العرش المجيد * فعال لما يريد) أين من بنى وشاد وطوّل وتأمر على الناس وساد في الأول وظن جهلا منه أنه لا يتحوّل هيهات عاد الزمان عليهم سالبا ما خوّل فسقوا كأس من الموت على اهلا كهم عوّل (أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد) فيا من أنذره يومه وأمسه وحادثه بالعبر قمره وشمسه واستلب منه ولده وأخوه وعرسه وهو يسعى الى الخطا شمرا وقد دنا حبسه (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) أما علمت انك مسؤل الزمان مشهود عليك يوم تنطق الأركان معلوم ما قدمت في زمن الامكان محاسب على خطوات القدم وكلمات اللسان (إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد) ويا من يرى العبر بعينيه ويسمع المواعظ باذنيه والنذير قد وصل اليه وكلماته تلقى عليه (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) كأنك بالموت قد اختطفك اختطاف البرق ولم تقدر على دفعه عنك بملك الغرب والشرق وندمت على تفريطك بعد اتساع الخرق وتأسفت على ترك الأولى والأخرى أحق (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) ثم ترحلت عن القصور الى القبور على رحائل العيدان والظهور وبقيت وحيدا على مر العصور كالأسير المأسور (ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد) فحينئذ أعاد الاجسام من صنعها وضم شتاتها بقدرته وجمعها ونادى بنفخة الصور فاسمعها (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) فيهرب منك الأخ وتنسى أخاك ويعرض عنك الصديق ويرفض ولاك ويتجافاك الحبيب المعاشر صباحك ومساك وتلقى من الهول كلما أزعجك وساءك فتنسى أولادك وتنسى نساءك (لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) وتجري دموع الأسف وابلا ورذاذا وتتقطع الأكباد من الحسرات أفلاذا ويهب لهيب النار على الكفار فيجعلهم جذاذا ولا يجد العاصي ملجأ وملاذا (وقال قرينه هذا ما لدي عتيد) فيجازي العبد بفعله ولا يظلم ويتحسر العاصي على ما جنى ويتندم وتسيل الدموع على الاجفان كأنها جرت عن دم أو عندم ويأمر المولى بأخذ العصاة ويتقدم (ألقيا في جهنم كل كفار عنيد) فتقدم الزبانية الى الكفار فتبادر وتسوقهم سوقا عنيفا وتثب النار وثوب الليث اذا غضب وشاجر فيذل عند زفيرها كل من عز وفاخر (الذي جعل مع الله إلها آخر فألقياه في العذاب الشديد) وينصب الصراط في أصعب الاماكن وتنزعج لوضع الميزان القلوب

السواكن ويقع الخصام بين البائع والمبتاع فى أعجب المساكن (قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد) فيقول الرب تعالى قد أزلت المطل والليّ وفصل هذا الأمر كله إليّ وانتصاف المظلوم من الظالم عليّ (قال لا تختصموا لدىّ وقد قدّمت إليكم بالوعيد) أما أنذرتكم فيما مضى من الأيام أما حذرتكم عواقب المعاصى والآثام أما أمرتكم بتجنب أجرام الاجرام أما وعدتكم بهذا اليوم فى سالف الايام (ما يبدل القول لدىّ وما أنا بظلام للعبيد) فيا لهذا المهول الذى يحار فيه العاقل والجهول وتشخص الابصار وتذهل العقول (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) فذاك يوم ثبور المنافقين وسرور الموافقين وسلامة الصادقين وفوز السابقين والنار قد انطبقت على الفاسقين (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد) فيا عثرة العاصين لقد صعب تلافيها ويا خيرة المخلصين لقد تكامل صافيها إذا دخلوا جنة أشرق ظاهرها واستنار خافيها (لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد) فانظروا عباد الله فرق ما بين الفريقين بحضور قلب واستلبوا زمان الصحة بفعل الخير أى سلب فاللذات تفنى ويبقى العار والثلب (إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) وفقنا الله تعالى واياكم لمراضيه وجعل مستقبل حالنا وحالكم خيرا من ماضيه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

﴿ المجلس التاسع والثلاثون ﴾

(فى عاشوراء وقتل النفس المحرمة)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى طهر بتأديبه من أهل تقريبه نفوسا وسقى أرباب مصافاته من شراب مناجاته كؤسا ورفع كيد الشيطان عن قلوب أهل الايمان فأصبح عنها محبوسا وصرف عن أهل وداده بلطفه واسعاده أذى وبوسا وأذل بقهره من شاء من خلقه أعناقا ورؤسا وأعاد ذكر الاصنام بعز التوحيد والاسلام مطموسا وجعل عدد السنين بجريان الشمس والقمر للحاسبين محروسا وكرم عشر المحرم وكلم فى عاشوراء به موسى أحمده على نعم لا تحصى عددا وما أقضى بالحمد حقا واشكره ولم يزل للشكر مستحقا وأشهد أنه المالك للرقاب كلها رقا كوّن الاشياء وأحكمها خلقا وفتق السماء والارض وكانتا رتقا وقسم العباد فأسعد وأشقى وهو الذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أشرف الخلائق خلقا صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى صاحبه أبى بكر الصديق الذى حاز كل الفضائل سبقا ويكفيه قول الله فيه وسيجنبها الاتقى وعلى عمر العادل فما يحابى خلقا وعلى عثمان الذى استسلم للشهادة فما يتوقى وعلى علىّ بائع ما يفنى ومشترى ما يبقى وعلى بقية آله وأصحابه وعلماء أمته الذين سارت علومهم غربا وشرقا (أما بعد) فقد قال الله تعالى فى كتابه الكريم (والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر هل فى ذلك قسم لذى حجر) (فنقول) وبالله تعالى التوفيق قد تقدم الكلام على شئ من تفسير بعض هذه الآيات ولنذكر الآن فى هذا الدرس تكملة الكلام على هذه العشر وانها على قول كثير العشر الاول من المحرم الحرام بفصول مفيدة فى هذا المقام

﴿ الفصل الاول ﴾ فى فضائل هذا الشهر وما أعد للصائم فيه من الاجر فاعلموا أن المحرم من الاشهر الحرم وقد قال سبحانه وتعالى فيها إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم والمراد بالشهور الهلالية التى يعتد بها المسلمون فى عباداتهم التى أولها المحرم وآخرها ذو الحجة وقوله تعالى (فى كتاب الله) يعنى اللوح المحفوظ وقوله تعالى (منها أربعة حرم) هى رجب الفرد وذو القعدة وذا الحجة والمحرم واحد فرد وثلاثة سرد وقوله تعالى (ذلك الدين القيم فلا

تظلموا فيهن أنفسكم) بفعل المعاصى وترك الطاعات أو فى الأشهر الحرم إذ الظلم فيهن أعظم من الظلم فيما سواهن قال ابن عباس ان الحسنات فيها تضاعف كتضاعف السيآت وقال أبو عبيد انما قيل فى المحرم شهر الله لتعظيمه والاعتناء بزيادة شرفه وذلك لانه جعله حراما لا يحل فيه قتال ولا سفك دم ولذا ورد فى بعض الاحاديث شهر الله الأصم لانه لا تسمع فيه قعقعة السلاح وانما لم يطلق ذلك على غيره من الأشهر الحرم لان فيه والله أعلم يوم عاشوراء ولذا أقسم بفجره قال قتادة أراد بالفجر فجر أول يوم من المحرم وروى ناصر السنة ابن الجوزى بسنده إلى أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول أفضل الصوم بعد رمضان شهر الله الذى يدعونه المحرم وروى أيضا بسنده عن النعمان بن سعد عن علىّ رضى الله تعالى عنه قال أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله أخبرنى بشهر أصومه بعد رمضان فقال ان كنت صائما شهرا بعد رمضان فصم المحرم فانه شهر الله وفيه يوم تاب فيه على قوم ويتاب فيه على آخرين وروى ابن شاهين من حديث ابن عباس عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال من صام يوما من المحرم فله ثلاثون يوما قال ابن الجوزى ويستحب صيام التاسع والعاشر أما التاسع فذهب ابن عباس انه هو عاشوراء لأن العرب تقول وردت الابل عشرا إذا وردت اليوم التاسع وأما عاشوراء ففى الصحيحين من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدم المدينة فرأى اليهود يصومونه ويقولون هذا يوم عظيم أنجى الله سبحانه وتعالى فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكرا فنحن نصومه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنحن أحق وأولى بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه وفيهما من حديث سلمة ابن الاكوع ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمر رجلا من أسلم أن أذن فى الناس من كان أكل فليصم يعنى بقية يومه ومن لم يأكل فليصم فان اليوم عاشوراء وعن ابن عباس انه قال ما رأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صام يوما يتحرى فضله على الايام الا هذا اليوم يعنى عاشوراء وهذا الشهر يعنى رمضان وعن أبى قتادة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال صوم يوم عاشوراء يكفر العام الذى قبله انفرد باخراجه مسلم وقد روى فى فضائل عاشوراء أحاديث موضوعة فلا فائدة فى ذكرها مثل من اغتسل ومن اكتحل ومن صافح وكله ليس بشئ وقال معاوية بن قرة صام نوح ومن معه فى السفينة يوم عاشوراء وفى الجملة هو يوم عظيم فينبغى أن يفعل فيه ما يمكن من الخير اهـ وروى فى الترغيب والترهيب بسنده الى البيهقى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من وسع على عياله وأهله يوم عاشوراء وسع الله تعالى عليه فى سائر سنته قال بعض العلماء كانوا يعظمون ثلاثة اعشار العشر الاخير من رمضان والعشر الاول من ذى الحجة وانه هو المقسم به فى هذه الآيات والعشر الاول من المحرم وانها هى التى أتم الله تعالى بها ميقات موسى عليه السلام أربعين ليلة وان التكلم كان فى عاشرها قالوا وينبغى استفتاح العام بتوبة نصوح تمحو ما سلف من الذنوب السالفة فى الايام الخالية ولقد نصح القائل

قطعت شهور العام سهوا وغفلة ٭ ولم تحترم فيما أتيت المحرما
فلا رجب وفيت فيه بحقه ٭ ولا صمت شهر الصوم صوما متمما
ولا فى ليالى عشر ذى الحجة الذى ٭ مضى كنت قواما ولا كنت محرما
فهل لك أن تمحو الذنوب بعبرة ٭ وتبكى عليها حسرة وتندما
وتستقبل العام الجديد بتوبة ٭ لعلك أن تمحو بها ما تقدما

﴿ الفصل الثانى ﴾ إن الله عز وجل اختار هذا اليوم الرفيع القدر لاستشهاد الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما وسبب ذلك على ما قال العلامة ابن حجر فى كتابه الصواعق وكثير من المؤرخين ان

معاوية رضى الله تعالى عنه لما استقل بالسلطنة فى دمشق الشام بعد نزول الحسن رضى الله تعالى عنه عن الخلافة له بايع لولده يزيد عليه اللعنة وجعله ولى عهده من بعده ولما توفى معاوية رضى الله تعالى عنه سنة ستين وبايع الناس يزيد أرسل لعامله بالمدينة أن يأخذ له البيعة على الحسين رضى الله تعالى عنه ففر لمكة خوفا على نفسه فسمع به أهل الكوفة فارسلوا اليه أن يأتيهم ليبايعوه ويمحى عنهم ما هم فيه من الجور فنهاه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وبين له غدرهم وقتلهم لابيه وخذلانهم لاخيه ثم قال فان أبيت فلا تذهب باهلك فأبى فبكى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فقال واحبيباه وقال له ابن عمر رضى الله تعالى عنهما نحو ذلك فبكى ابن عمر وقبل ما بين عينيه وقال أستودعك الله من قتيل وكان قد قال له أخوه الحسن رضى الله تعالى عنه اياك وسفهاء الكوفة وان يستخفوك فيخرجوك ويسلموك فتندم ولات حين مناص وقد تذكر ذلك ليلة قتله فترحم على أخيه الحسن ولما بلغ مسيره أخاه محمد بن الحنفية كان بين يديه طشت يتوضأ فيه فبكى حتى ملأه من دموعه ولم يبق بمكة أحد الا حزن لمسيره وقدم أمامه مسلم بن عقيل فبايعه من أهل الكوفة اثنا عشر ألفا وقيل أكثر من ذلك وأمر يزيد بن زياد فجاء اليه فقتله وأرسل برأسه اليه فشكره وحذره من الحسين والى ذلك أشار الفاروقى عليه الرحمة بما أنشدنيه لنفسه

لو كان فى الكوفة غير مسلم * من مسلم ما قطعوه اربا

ولقى الحسين فى مسيره الفرزدق فقال بين لى خبر الناس فقال أجل على الخبير سقطت يا ابن رسول الله قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى أمية والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء وسار الحسين رضى الله تعالى عنه وهو على غير علم بما جرى على ابن عمه مسلم بن عقيل حتى كان على ثلاث مراحل من القادسية تلقاه الحر بن يزيد التميمى وقال له ارجع فما تركت لك خلفى خيرا ارجوه وأخبره الخبر وقدوم ابن زياد واستعداده له فهم بالرجوع فقال أخو مسلم والله لا نرجع حتى نصيب بثارنا أو نقتل فقال لا خير فى الحياة بعدكم ثم سار فلقيه أوائل خيل ابن زياد فعدل الى كربلاء ثامن المحرم سنة احدى وستين وكان لما شارف الكوفة سمع بها أميرها عبيد الله بن زياد فجهز اليه عشرين ألف مقاتل فلما وصلوا اليه التمسوا منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد فأبى فقاتلوه وكان أكثر الخارجين لقتاله الذين كاتبوه وبايعوه ثم لما جاءهم أخلفوه وفروا عنه الى أعدائه ايثارا للسحت العاجل على الخير الآجل فحارب أولئك العدد الكثير وكان معه من اخوته وأهله نيف وثمانون نفسا فثبت فى ذلك الموقف ثباتا باهرا مع كثرة أعدائه وعددهم ووصول سهامهم ورماحهم اليه ولما حمل عليهم وسيفه مصلت فى يده أنشد يقول

أنا ابن على الحبر من آل هاشم * كفانى بهذا مفخرا حين أفخر
وجدى رسول الله أكرم من مشى * ونحن سراج الله فى الناس نزهر
وفاطمة أمى سلالة أحمد * وعمى يدعى ذا الجناحين جعفر
وفينا كتاب الله أنزل صادقا * وفينا الهدى والوحى والخير يذكر

ولولا ما كادوه به من أنهم حالوا بينه وبين الماء لم يقدروا عليه اذ هو الشجاع القرم الذى لا يزول ولا يتحول ولما منعوه وأصحابه الماء ثلاثا قال له بعضهم أنظر اليه كأنه كبد السماء لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشا فقال له الحسين اللهم اقتله عطشا فلم يرو مع كثرة شربه الماء حتى مات عطشا ودعا الحسين بماء يشربه فحال رجل بينه وبينه بسهم ضربه فأصابه فى حنكه فقال اللهم أظمئه فعاد يصيح الحر فى بطنه والبرد فى ظهره وبين يديه الثلج والمراوح وخلفه الكافور وهو يصيح العطش فيؤتى بسويق وماء ولبن لو شربه خمسة لكفاهم فيشربه ثم يصيح فيسقى كذلك الى أن انقد بطنه ولما استحر القتل بأهله فانهم ما زالوا يقتلون منهم واحدا بعد

واحد حتى قتلوا ما يزيد على الخمسين صاح الحسين رضى الله تعالى عنه أما ذاب يذب عن حريم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحينئذ خرج الحر بن يزيد بن الحرث الرياحى من عسكر أعدائه راكبا فرسه وقال يا ابن رسول الله لئن كنت أول من خرج عليك فانى الآن من حزبك لعلى أنال بذلك شفاعة جدك ثم قاتل بين يديه حتى قتل رحمه الله فلما فنى أصحابه وبقى بمفرده حمل عليهم وقتل كثيرا من شجعانهم فحمل جمع كثيرون منهم فحالوا بينه وبين حريمه فصاح كفوا سفهاءكم عن الاطفال والنساء فكفوا ثم لم يزل يقاتلهم الى أن أثخنوه بالجراح وسقط الى الارض فحزوا رأسه رضى الله عنه يوم عاشوراء عام احدى وستين ووضع بين يدى عبيد الله ابن زياد وأنشد قاتله

املأ ركابى فضة وذهبا * فقد قتلت الملك المحجبا
ومن يصلى القبلتين فى الصبا * وخيرهم اذ يذكرون نسبا
* قتلت خير الناس أما وأبا *

فغضب ابن زياد من قوله وقال اذا علمت ذلك فلم قتلته والله لا نلت منى خيرا ولالحقنك به ثم ضرب عنقه وقتل معه من اخوته وبنيه وبنى أخيه الحسن ومن أولاد جعفر بن أبى طالب وأخيه عقيل تسعة عشر رجلا وقيل أحد وعشرون وما أشجى ما أنشدنيه الفاضل السرى عبد الباقى افندى العمرى رحمه الله تعالى لنفسه من قصيدة

قضى نحبه فى كربلاء ابن حاشر * ولم ينقضى نحبى عليه الى الحشر
قضى نحبه فى يوم عاشور من غدت * عليه العقول العشر تلطم بالعشر
قضى نحبه فى نينوى وبهانوى * فعطر منه الكائنات ثرى القبر
قضى نحبه فى الطف من فوقه طفا * بجيع كسى الآفاق بالحلل الحمر
قضى نحبه فى حائر فتحدرت * دموع بكا الدنيا على وجنة الدهر
قضى نحبه من راح للحرب خائضا * ببحر دم فانصب بحر على بحر
قضى نحبه والشمس فوق جبينه * تحرر بالانوار سورة والفجر
قضى نحبه والحور محدقة به * كما أحدقت فى بدرها هالة البدر
قضى نحبه والدين أصبح بعده * الى الله يشكوا ما علاه من الضر
قضى نحبه ريحانة المصطفى التى * تفوح ليوم النشر طيبة النشر
قضى نحبه ابن الانزع البطل الذى * أذاق الردى عمرا وأعرض عن عمرو
قضى نحبه ابن الطهر سيدة النسا * سليلة فخر الكائنات أبى الغر
قضى نحبه الفرد الذى هو خامس * لأهل الكسا منها كتسى الفخر بالفخر
قضى نحبه فى جنة الخلد ثويا * ومتكئا فيها على رفرف خضر

ولما حمل رأسه رضى الله تعالى عنه لابن زياد لعنه الله تعالى جعله فى طشت وجعل يضرب ثناياه بقضيب ويقول ما رأيت مثل هذا حسنا وروى أنه كان حاضرا عنده زيد بن أرقم فقال له ارفع قضيبك فوالله لطالما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبل ما بين هاتين الشفتين ثم جعل زيد يبكى فقال ابن زياد أبكى الله عينيك لولا أنك كبير قد خرفت لضربت عنقك فنهض وهو يقول أيها الناس أنتم العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة رضى الله عنهما وأمرتم ابن مرجانة والله ليقتلن خياركم ويستعبدن أشراركم فبعدا لمن رضى بالذل والعار ثم قال يا ابن زياد لأحدثنك بما هو أغيظ عليك من هذا رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أقعد حسنا على فخذه اليمنى وحسينا على فخذه اليسرى ثم وضع يده صلى الله تعالى عليه وسلم على يافوخيهما فقال اللهم انى

أستودعك اياهما وصالحى المؤمنين فانظر كيف كانت وديعة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عندك يا ابن زياد ثم ان ابن زياد عليه اللعنة جهز رأس الحسين مع السبايا من نسائه و بقية أطفاله وأهل بيته الى يزيد اللعين فجمع أهل الشام عند وصولهم اليه ووضع الرأس بين يديه وجعل ينكته بقضيب خيزران وينشد أبياتا ان صحت عنه فليس فى كفره خلاف منها

لعبت هاشم بالملك فلا * خبر جاء ولا وحى نزل

ومما يشجى أيضا فى هذا المقام تخميس الفار وفى المتقدم ذكره لقصيدة البوصيرى فى مدح النبي عليه الصلاة والسلام

آل صخر والصخر لاشك ألين * من قلوب فيها النفاق تمكن
أظهروا من أضغانهم ماتبطن * وقست منهم قلوب على من
* بكت الأرض فقدهم والسماء *

لهم يا ناظرى سل سبيلا * واسقه من محاجرى سلسبيلا
ان ترم بالدموع سحا طويلا * فأبكهم مااستطعت إنّ قليلا
* فى عظيم من المصاب البكاء *

فتباريح سيهم برحت بى * والأسى مشعر بايجاب سلبى
وبشرق اذا أفقت وغرب * كل يوم وكل أرض لكربى
* منهم كربلا وعاشوراء *

فسرورى محرّم حيث حلا * شهر ذبح الحسين والحزن حلا
لست أسلوا والهم للعزم حلا * غير انى فوضت أمرى الى الله
* وتفويضى الأمور براء *

آل طه بمدحكم أتطاول * ومع الورق بالرثا أتساجل
لذ قلبي لعزكم كلما ذل * آل بيت النبي طبتم فطاب الـ
* مدح لى فيكم وطاب الرثاء *

وقال ناصر السنة ابن الجوزى عليه الرحمة فى كتابه التبصرة عن ابن أبى نعيم قال جاء رجل الى ابن عمر رضى الله تعالى عنهما وأنا جالس فسأله عن دم البعوض فقال له ممن أنت فقال من أهل العراق قال انظروا الى هذا يسأل عن دم البعوض وقد قتلوا ابن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول هما ريحانتاى من الدنيا يعنى الحسن والحسين وفى حديث آخر صححه الترمذى الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وفى حديث آخر هذان ابناى فمن أحبهما فقد أحبنى وروى أيضا بسنده عن شهر بن حوشب عن أم سلمة زوج النبي رضى الله تعالى عنها قالت كان جبريل عند النبي عليه الصلاة والسلام وحسين معى فبكى فتركته فأتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأخذته فلما أخذته بكى فأرسلته فذهب اليه فقال له جبريل أتحبه يا محمد فقال نعم فقال ان أمتك ستقتله فان شئت أريتك تربة أرضه التى يقتل بها فبسط جناحه الى الأرض التى يقتل بها يقال لها كربلاء وأخذه بجناحه فأراه إياه قال حماد أن الحسين رضى الله تعالى عنه لما نزل كربلاء شم الأرض وسألهم عن اسمها فقالوا كربلاء فقال كرب وبلاء فقتل بها وروى عبد الله بن لحى عن أبيه أنه سار مع على كرم الله تعالى وجهه وكان صاحب مطهرته فلما حاذى نينوى وهو منطلق الى صفين نادى علىّ اصبر أبا عبد الله اصبر أبا عبد الله بشاطئ الفرات تقتل

قلت وماذا قال دخلت على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم وعيناه تفيضان قلت يا نبى الله أغضبك أحد ماشأن عينيك تفيضان قال قام من عندى جبريل قبل فحدثنى أن الحسين يقتل بشاطئ الفرات وقال لى هل لك أن أشمك من تربته قلت نعم فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عينى أن فاضتا وروى عمار بن أبى عمار عن ابن عباس قال رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى المنام نصف النهار أشعث أغبر معه قارورة فيها دم يلتقطه ويتتبع فيها شيأ فقلت يا رسول الله ما هذا قال دم الحسين وأصحابه لم أزل أتتبعه منذ اليوم قال عمار فحفظنا ذلك اليوم فوجدناه قتل ذلك اليوم قال ابن الجوزى عليه الرحمة أخبرنا على بن عبيد الله حدثنا على بن أحمد البسرى حدثنا أبو عبد الله بن بطة حدثنا أبو حامد محمد بن هرون الحضرمى حدثنا هلال بن بشر حدثنا عبد الملك بن موسى عن هلال بن ذكوان قال لما قتل الحسين رضى الله عنه مطرنا مطرا بقى أثره فى ثيابنا مثل الدم (قلت) لما كان الغضبان يحمر وجهه فيبين بالحمرة أثر غضبه والحق سبحانه ليس بجسم أظهر أثر غضبه بحمرة الافق حين قتل الحسين رضى الله عنه وبالاسناد قال ابن بطة وحدثنا اسماعيل بن اسحاق القاضى حدثنا سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن هشام عن محمد ابن سيرين قال لم نر هذه الحمرة فى السماء حتى قتل الحسين قال ابن بطة وحدثنا أبو ذر الباغندى حدثنا حماد بن الحسن الوراق قال سمعت على ابن أخى شعيب بن حرب يقول ناحت الجن على الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما فقالت جنية جئن نساء الجن يبكين شجيات ويلطمن خدودا كالدنانير نقيات ويلبس ثياب السواد بعد العصبيات وفى حديث انه حفظ من قول الجن

مسح النبي جبينه * فله بريق فى الخدود
أبواه من عليا قريش جده خير الجدود

وقالت

أبكى قتيلا بكربلاء * مضرج الوجه بالدماء
أبكى قتيل الطغاة ظلما * بغير جرم سوى الوفاء
أبكى قتيلا بكى عليه * حزنا بنو الأرض والسماء
هتك أهلوه فاستحلوا * ماحرّم الله فى الاماء
يابأبى جسمه المعرى * إلا من الدين والحياء
كل الرزايا لها عزاء * وما لذا الرزء من عزاء

وروى أن صخرة وجدت قبل مبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بثلثمائة سنة وعليها مكتوب باليونانية

أيرجو معشر قتلوا حسينا * شفاعة جده يوم الحساب

ويح قاتل الحسين كيف حاله مع أبيه وجده

لابد أن ترد القيامة فاطم * وقميصها بدم الحسين ملطخ
ويل لمن شفعاؤه خصماؤه * والصور فى نشر الخلائق ينفخ

اخوانى بالله عليكم من قبح على يوسف بأى وجه يرى يعقوب لما أسر العباس يوم بدر سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنينه فما نام فكيف لو سمع أنين الحسين لما أسلم وحشى قال له غيب وجهك عنى هذا والله والمسلم لايؤاخذ بما كان فى الكفر فكيف يقدر الرسول أن يبصر من قتل الحسين اه

(الفصل الثالث) فى قتل النفس بغير حق وان ذلك من الكبائر والعياذ بالله تعالى قال الله عز وجل ولا قتلوا النفس التى حرّم الله إلا بالحق وقال سبحانه وتعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وقال تعالى ولاتقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك

على الله يسيرا وقال تعالى فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم وبهذه الآية ونحوها من الأحاديث استدل من جوز لعن يزيد كالقاضى أبى الحسين وابن الجوزى والوالد عليه الرحمة ومن وافقهم ونسبوا ذلك الى الامام أحمد بن حنبل عليهم الرحمة فالقتل العمد فيه القصاص والعذاب والقتل الخطأ فيه الدية والكفارة كما هو مفصل فى الكتب الفقهية وروى البخارى ومسلم فى صحيحيهما من حديث أبى بكرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال يوم النحر بمكة دماؤكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعوا بعدى ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض وروى عبد الله قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أوّل مايقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء وروى ابن عمر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لن يزال المرء فى فسحة من دينه مالم يصب دما حراما وعن ابن بريدة عن أبيه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لقتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا وكذلك من الكبائر أن يقتل الانسان نفسه والعياذ بالله تعالى أخرج الشيخان عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من تردّى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم مخلدا فيها أبدا ومن قتل نفسه بحديدة فى يده يتوجأ بها فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا أى يضرب بها نفسه (قلت) والنساء الحوامل اللواتى يشربن الدواء لاسقاط الجنين يلتحقن بما نحن فيه وكذا ساقيهن يلتحق بالمعين إذ الاعانة أيضا من الكبائر أخرج الأصبهانى وابن ماجه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من أعان على قتل مؤمن ولو بشطر كلمة لقى الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله وروى الطبرانى والبيهقى لايقفن أحدكم موقفا يقتل فيه رجل ظلما فان اللعنة تنزل على من حضره حيث لم يدفع عنه حتى ان ترويعه أيضا من الكبائر فقد أخرج البزار وابن حبان عن عامر بن ربيعة رضى الله عنه ان رجلا أخذ نعل رجل فغيبها وهو يمزح فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام لاتروعوا المسلم فان روعة المسلم ظلم عظيم وأخرج الطبرانى من أخاف مؤمنا كان حقا على الله أن لايؤمنه من أفزاع يوم القيامة وروى الطبرانى من نظر الى مسلم نظرة يخيفه فيها بغير حق أخافه الله تعالى يوم القيامة وروى الشيخان لايشير أحدكم الى أخيه بالسلاح فانه لايدرى لعل الشيطان ينزع فى يده فيقع فى حفرة من النار ومعنى ينزع يرمى ويفسد فاذا كان هذا حال من أخاف المسلم وروّعه أو أعان على قتله فكيف حال من قتل بضعة الرسول وقرّة عين فاطمة البتول وسبى عسكره النساء والأطفال وقتلوا الآل الذين هم خير آل فلقد جمعوا فى ظلم الحسين مالم يجمعه أحد ومنعوه أن يرد الماء فيمن ورد أو أن يرحل عنهم الى غير بلد وسبوا أهله فقتلوا الولد وما هذا إلا عن سوء معتقد نبع الماء من بين أصابع جدّه فما سقوه منه قطرة ومنعوه عن ورده كان الرسول من حب الحسين يقبل شفتيه ويحمله كثيرا على كتفيه ولما مشى طفلا بين يدى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو على المنبر نزل اليه فلو رآه ملقى على أحد جانبيه شديد العطش والماء حاضر لديه وأطفاله يضجون بالبكاء من جانبيه والسيوف تأخذه والأعداء حواليه والخيل قد وطأت صدره ومشت عليه ودماؤه تجرى بعد دموع عينيه لضج الرسول مستغيثا ويعز عليه

يارسول الله لو عاينتهم * وهم مابين قتل وسبا
من رميض يمنع الظل ومن * عاطش يسقى أنابيب القنا
لرأت عيناك منهم منظرا * للحشا شجوا وللعين قذى
ليس هذا لرسول الله يا * أمة الطغيان والغى جزا

غارس لم يأل فى الغرس لهم * فأذاقوا آله مر الجنا
جزروا جزر الأضاحى نسله * ثم ساقوا أهله سوق الاما

فسبحان من رفع للحسين بقتله مكانا ودمغ من عاداه فعاد بعد العز مهانا ماضره حين الشهادة من أوسعه خذلانا ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا هلك أهل الزيغ والعناد وكأنهم ماملكوا البلاد وعاد عليهم ماعاد على عاد أين يزيد وأين ابن زياد كأنهما ماكانا لا كانا ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا تمتعوا أياما يسيرة ثم عادت أجنحة الملك كسيره وبقيت سيرة الحسين أحسن سيره ومن عزت عاقبته والسريرة فكأن لم يلق هوانا مزقوا والله كل ممزق وتفرقوا بالشتات أى متفرق وظنوا ارفوا ماجنوا فتخرق ان ناصر المظلوم لم يتوانى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا تعززوا على مثل الحسين وطالوا وظنوا بقاء الملك لهم بما احتالوا وكيل لهم من الذم أضعاف ما كالوا وعجل قلعهم من السلطنة فزالوا سلطانا سلطانا ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ويلهم لو دبروا أمرهم لرفعوا بطاعة الحسين قدرهم ملكوا أياما ثم بقى الخزى دهرهم اخوانى اشتغلوا اليوم بتسبيحكم ودعوا ذكرهم شوانا اللهم يامن الى سبل الاسلام هدانا وببركة هذا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الضلال حمانا هب لنا أدبا معه ولأوامره اذعانا وارزقنا أمنا شاملا ومن النار أمانا انك على كل شئ قدير وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وأهل بيته الطيبين وذريته الأكرمين وأصحابه أجمعين

المجلس المتم الاربعين

(فى آية المباهلة وفضائل أهل بيته عليه الصلاة والسلام)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أصبحت له الوجوه ذليلة عانية وحذرته النفوس مجدة ومتوانية وعظ من قدم الدنيا الحقيرة الفانية وشوق الى جنة قطوفها دانيه وخوف عطاش الهوى أن يسقوا من عين آنية أحمده على تقويم شانيه وأستعيذه من شرشان وشانية وأصحح بتحقيق التوحيد ايمانيه وأصلى على رسوله محمد صلاة ممهدة لعز بانية صلى الله عليه وعلى صاحبه أبى بكر السابق فى الوفاق والانفاق والدار والغربة فى الغار أربع للفخر بانية وعلى عمر مقيم السياسة على كل نفس جانية وعلى عثمان الذى اختاره الرسول بعد موت ابنته الثانية وعلى على المنزل فيه الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية وعلى سائر آله وأصحابه الذين نفوسهم من كل خير دانية وسلم تسليما (أما بعد) فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه العزيز (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين) فنقول وبالله تعالى التوفيق قال الوالد عليه الرحمة فى تفسيره روح المعانى ذكر غير واحد أن وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مالك تشتم صاحبنا يعنون عيسى عليه السلام قال ماأقول قالوا تقول انه عبد الله قال أجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسانا قط من غير أب فان كنت صادقا فأرنا مثله فأنزل الله تعالى هذه الآية وأخرج البيهقى فى الدلائل أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتب الى أهل نجران قبل أن ينزل عليه طس سليمان (١) باسم إله ابراهيم واسحق ويعقوب من محمد رسول الله الى أسقف نجران وأهل نجران ان أسلمتم فانى أحمد الله

(١) قوله طس سليمان يعنى قبل أن ينزل عليه انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم اه منه

اليكم إله ابراهيم واسحق و يعقوب أما بعد فانى أدعوكم الى عبادة الله تعالى من عبادة العباد وأدعوكم الى ولاية الله تعالى من ولاية العباد فان أبيتم فالجزية فان أبيتم فقد آذنتم الحرب والسلام فلما قرأ الأسقف الكتاب فظع به وذعر ذعرا شديدا فبعث الى رجل من أهل نجران يقال له شرحبيل بن وداعة فدفع اليه كتاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقرأه فقال له الأسقف ما رأيت فقال شرحبيل قد علمت ما وعد الله تعالى ابراهيم فى ذرية اسمعيل من النبوة فما يؤمن أن يكون هذا الرجل نبيا وليس لى فى النبوة رأى لو كان أمر من أمور الدنيا أشرت عليك فيه وجهدت لك فبعث الأسقف الى واحد بعد واحد من أهل نجران فكلهم قال مثل قول شرحبيل فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا شرحبيل وعبد الله بن شرحبيل وحيار بن قنص فيأتونهم بخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانطلق الوفد حتى أتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسألوه وسألهم فلم تزل به وبهم المسئلة حتى قالوا ما تقول فى عيسى ابن مريم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما عندى فيه شئ يومى هذا فأقيموا حتى أخبركم بما يقال لى فى عيسى صبح الغداة فأنزل الله تعالى هذه الآية ان مثل عيسى الى قوله سبحانه فنجعل لعنت الله على الكاذبين فأبوا أن يقروا بذلك فلما أصبح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الغد بعد ما أخبرهم الخبر أقبل مشتملا على الحسن والحسين فى خميلة له وفاطمة تمشى عند ظهره للملاعنة وله يومئذ عدة نسوة فقال شرحبيل لصاحبيه انى أرى أمرا مقبلا ان كان هذا الرجل نبيا مرسلا فتلاعناه لا يبقى على ظهر الأرض منا شعر ولا ظفر إلا هلك فقالا له ما رأيك فقال رأيى أن أحكمه فانى أرى رجلا لا يحكم شططا أبدا فقالا له أنت وذاك فتلقى شرحبيل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انى رأيت خيرا من ملاعنتك قال وما هو قال حكمك اليوم الى الليل وليلتك الى الصباح فما حكمت فينا فهو جائز فرجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يلاعنهم وصالحهم على الجزية وعن ابن عباس أن ثمانية من أساقفة أهل نجران قدموا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منهم العاقب والسيد فأنزل الله تعالى قل تعالوا الآية فقالوا أخرنا ثلاثة أيام فذهبوا الى بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع فاستشاروهم فأشاروا عليهم أن يصالحوه ولا يلاعنوه وقالوا هو النبى الذى نجده فى التوراة فصالحوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على ألف حلة فى صفر وألف فى رجب ودراهم وروى أنهم صالحوه على أن يعطوه فى كل عام ألفى حلة وثلاثا وثلاثين درعا وثلاثة وثلاثين بعيرا وأربعا وثلاثين فرسا وأخرج فى الدلائل أيضا من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ان وفد نجران من النصارى قدموا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم منهم السيد وهو الكبير والعاقب وهو الذى يكون بعده وصاحب رأيهم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أسلما قالا أسلمنا قال ما أسلمتما قالا بلى قد أسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام ثلاث فيكما عبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير وزعمكما أن لله ولدا ونزل ان مثل عيسى الآية فلما قرأها عليهم قالوا ما نعرف ما تقول ونزل فمن حاجك الآية فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله قد أمرنى ان لم تقبلوا هذا ان أباهلكم فقالوا يا أبا القاسم بل نرجع فننظر فى أمرنا ثم نأتيك فخلا بعضهم ببعض وتصادقوا فيما بينهم قال السيد للعاقب قد والله علمتم ان الرجل نبى مرسل ولئن لاعنتموه انه لاستئصالكم وما لاعن قوم نبيا قط فبقى كبيرهم ولا نبت صغيرهم فان أنتم لن تتبعوه وأبيتم إلا ألف دينكم فوادعوه وارجعوا الى بلادكم وقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خرج ومعه علىّ والحسن والحسين وفاطمة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان أنا دعوت فأمنوا أنتم فأبوا أن يلاعنوه وصالحوه على الجزية وعن الشعبى فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقد أتانى البشير بهلكة أهل نجران حتى الطير على الشجر لو تموا على الملاعنة وعن جابر والذى بعثنى بالحق لو فعلا لأمطر الوادى عليهما نارا وروى ان أسقف نجران لما رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقبلا ومعه علىّ وفاطمة

والحسنان رضى الله تعالى عنهم قال يا معشر النصارى انى لأرى وجوها لو سألوا الله تعالى أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تباهلوا وتهلكوا هذا وانما ضم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى النفس الابناء والنساء مع ان القصد من المباهلة تبين الصادق من الكاذب وهو يختص به وبمن يباهله لان ذلك أتم فى الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه وأكمل نكاية بالعدو وأوفر اضرارا به لو تمت المباهلة وفى هذه القصة أوضح دليل على نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم والا لما امتنعوا من مباهلته ودلالتها على فضل آل الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم مما لا يمترى فيها مؤمن انتهى ولنذكر تفسير هذه الآيات ثم نرجع ان شاء الله تعالى الى ذكر مناقب أهل البيت الطاهرين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين قال تعالى (ان مثل عيسى) أى صفته العجيبة وشأنه الغريب (عند الله) أى فى تقديره وحكمه (كمثل آدم) أى فى صفته وحاله العجيبة فى الخلق والانشاء وتشبيه عيسى بآدم عليهما السلام فى كونه مخلوقا بغير أب كآدم (خلقه من تراب) أى ان آدم عليه السلام لم يكن له أب ولا أم بل خلق الله قالبه من هذا الجنس وبقى ملقى على باب الجنة أربعين سنة لم تنفخ فيه الروح (ثم قال له كن) بشرا أى أنشأه خلقا بالكلمة (فيكون) أى فكان بشرا وكذلك عيسى أنشأه خلقا بالكلمة ففى هذه الآية دفع لانكار من أنكر خلق عيسى من غير أب مع اعترافه بان آدم خلق من غير أب وأم وهو أغرب وحكى ان بعض العلماء أسر فى بعض بلاد الروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا أب له قال فآدم أولى لانه لا أب له ولا أم قالوا وكان يحيى الموتى فقال حزقيل أولى لان عيسى أحيى أربعة نفر وأحيى حزقيل أربعة آلاف قالوا وكان يبرئ الأكمه والابرص قال فجرجيس أولى لانه طبخ وأحرق ثم قام سليما وقوله تعالى الحق من ربك أى جاءك الحق أو هو الحق يعنى الذى أخبرتك به من تمثيل عيسى بآدم فلا تكن من الممترين الخطاب اما لكل من يصلح له من الناس أى لا يكن أحد منكم ممتريا أى شاكا أو للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويكون النهى له لزيادة التثبيت وهو نور على نور فمن حاجك أى جادلك من وفد نصارى نجران فيه أى فى عيسى وقيل فى الحق من بعد ما جاءك من العلم أى الآيات البينات الموجبة للعلم بأن عيسى عبد الله ورسوله فقل تعالوا أى أقبلوا بالرأى والعزيمة ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم أى يدع كل منا ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه للمباهلة ثم نبتهل أى نتضرع الى الله تعالى وأصل الابتهال الاجتهاد فى الدعاء باللعن وغيره يقال بهله أى لعنه فنجعل لعنة الله على الكاذبين يعنى منا ومنكم بأن نقول اللهم العن الكاذب فى شأن عيسى عليه السلام أى الذى يقول انه ابن الله أو يقول انه اله ويقول بالاقانيم الثلاثة وفى الآية دليل قاطع وبرهان ساطع على صحة نبوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لم يرو أحد من موافق ومخالف انهم أجابوا الى المباهلة لانهم عرفوا صحة نبوته وما يدل عليها فى التوراة والانجيل وفى هذه الآية أيضا برهان واضح على فضل أصحاب الكساء وبضعة سيد الأنبياء وعترة الزهراء سيدة النساء ولنعطر مجالسنا بما ورد فيهم من الآيات الكريمة والاحاديث العظيمة قال ابن حجر عليه الرحمة فى كتابه الصواعق قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا الرجس الاثم والذنب وقيل الشك وقيل السوء وقيل عمل الشيطان قال أكثر المفسرين انها نزلت فى على وفاطمة والحسن والحسين لتذكير ضمير عنكم وقال غير واحد من المفسرين انها نزلت فى نساء النبى عليه الصلاة والسلام لقوله تعالى بعدها واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا وقوله تعالى قبلها وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ونسب هذا القول لابن عباس وذهب الثعلبى أن المراد فى الآية جميع بنى هاشم وقيل هم من تحرم عليه الصدقة وقد روى فى التفسير الأول أحاديث فقد أخرج الامام أحمد عن أبى سعيد الخدرى انها نزلت فى خمسة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلىّ وفاطمة والحسن والحسين رضى الله تعالى عنهم أجمعين وأخرج

الترمذى وابن المنذر والبيهقى عن أم سلمة قالت فى بيتى نزلت انما يريد الله الآية وفى البيت فاطمة وعلى والحسن والحسين فجللهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بكساء كان عليه ثم قال هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وفى رواية ان أم سلمة قالت له ألست من أهلك قال بلى وفى رواية أنها قالت وأنا معهم قال انك على خير وفى رواية انه قال بعد تطهيرا أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم وفى رواية ألا من آذى قرابتى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى وفى أخرى والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد بى حتى يحبنى ولا يحبنى حتى يحب ذوى قرابتى فأقامهم عليه الصلاة والسلام مقام نفسه ومن ثمة صح انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى ولما نزل قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال كعب بن عجرة قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وروى لا تصلوا على الصلاة البتراء قالوا وما الصلاة البتراء قال تقولون اللهم صل على محمد وتمسكون بل قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وصح انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى اذا صلى علينا أهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبى وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد ولذا روى عن الشافعى أنه قال بوجوب الصلاة على الآل فى التشهد الأخير وروى له قوله

يا أهل بيت رسول الله حبكم * فرض من الله فى القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القدر أنكم * من لا يصلى عليكم لا صلاة له

وقال سبحانه وتعالى سلام على آل يسين فقد نقل عن ابن عباس أن المراد بذلك سلام على آل محمد وقال تعالى وقفوهم انهم مسؤلون فقد روى الواحدى أى عن ولاية على وأهل البيت وقال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا فقد أخرج الثعلبى عن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه انه قال نحن حبل الله الذى قال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ونقل القرطبى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال فى قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى رضى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار وأخرج الطبرانى والدارقطنى أول من أشفع له من أمتى أهل بيتى ثم الأقرب فالأقرب من قريش ثم الأنصار ثم من آمن بى واتبعنى ثم اليمن ثم سائر العرب ثم الأعجام ومن أشفع له أولا أفضل وعند البزار والطبرانى وغيرهما أول من أشفع له من أمتى أهل المدينة ثم أهل مكة ثم أهل الطائف ويجمع بينهما على ما قال ابن حجر بأن ذلك فيه ترتيب من حيث القبائل وهذا فيه ترتيب من حيث البلدان وأخرج الغسانى ان ابنتى فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث (١) وانما سميت فاطمة لأن الله فطمها وذريتها وفى رواية ومحبيها من النار وأخرج الطبرانى عن زين العابدين السجاد رضى الله تعالى عنه انه لما جىء به أسيرا عقب قتل أبيه الحسين رضى الله تعالى عنه الى دمشق الشام قال بعض جفاة أهل الشام الحمد لله الذى قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة فقال له ما قرأت قوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى قال وأنتم هم قال نعم (أقول) وفى هذه الآية ثلاثة أقوال أحدها ان قوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا أى قل يا محمد لقريش أو لجميع العرب لا أطلب منكم على تبليغ الرسالة جعلا ولا نفعا الا مودتكم أى ان تودونى لقرابتى منكم وتحفظونى بها ثانيها ان القربى آل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ثالثها انها منسوخة وهو قول مردود وأخرج الديلمى مرفوعا من أراد التوسل الى وأن يكون له عندى يد أشفع له بها يوم القيامة فليصل أهل بيتى ويدخل السرور عليهم وورد عن عمر رضى الله عنه انه قال للزبير انطلق بنا نزور الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما فتبطأ عليه

(١) قوله ولم تطمث الطمث الحيض والمس والدنس وطمثت حاضت اه منه

فقال أما علمت ان عيادة بنى هاشم فريضة وزيارتهم نافلة وأخرج الخطيب مرفوعا يقوم الرجل للرجل الا بنى هاشم فانهم لا يقومون لأحد وأخرج الديلمى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أدبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم وحب أهل بيته وعلى قراءة القرآن ولذا كان بعض أهل البيت من الكبائر فقد روى الطبرانى والبيهقى بألفاظ متقاربة أن بنت أبى لهب قدمت المدينة مسلمة مهاجرة فقيل لها لا تغن عنك هجرتك أنت بنت حطب النار فذكر ذلك للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاشتد غضبه ثم قال على منبره ما بال أقوام يؤذوننى فى نسبى وذوى رحمى ألا ومن آذى نسبى وذوى رحمى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى وأخرج الامام أحمد مرفوعا من أبغض أهل بيتى فهو منافق وفى رواية والذى نفسى بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد الا أدخله الله تعالى النار اه ولنذكر ما ذكره العلامة ناصر السنة ابن الجوزى فى شأن على كرم الله تعالى وجهه إذ هو مقدمة أهل البيت رضى الله تعالى عنهم أجمعين قال اعلم أن عليا رضى الله تعالى عنه لا يزاحم فى قرب النسب وقد أقر الكل بعلمه وفضله وبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ابن سبع سنين فتبعه ولم يزل معه يكشف الكروب عن وجهه وصعد على منكب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرمى صنما كما روى أبو مريم رضى الله عنه قال انطلقت أنا ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى أتينا الكعبة فقال اجلس وصعد على منكبى فذهبت لأنهض به فرأى منى ضعفا فنزل وجلس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اصعد على منكبى فصعدت على منكبه قال فنهض بى قال وانه يخيل لى أنى لو شئت لنلت أفق السماء حتى صعدت على البيت وعليه تمثال صفر أو نحاس فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه حتى اذا استمكنت منه قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اقذف به فقذفت به فتكسر كما تتكسر القوارير ثم نزلت فانطلقت أنا ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نستبق حتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس وروى الترمذى فى صحيحه بسنده عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه قال لما آخى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين صحابته رضى الله تعالى عنهم جاء على وعيناه تدمعان فقال يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تواخ بينى وبين أحد فسمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول أنت أخى فى الدنيا والآخرة قال الوالد وهذه من غرر فضائل الأمير كرم الله تعالى وجهه لم يشاركه فيها أحد وقد أكدها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما صح من قوله أنت منى بمنزلة هرون من موسى الا أنه لا نبى بعدى وعلى ذلك قول العمرى عليه الرحمة

أخاك من عز قدرا أن يكون له * أخ سواك اذا داعى الاخاء دعا

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوم فتح خيبر لأعطين هذه الراية رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فبات الناس يذكرون أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها فقال أين على بن أبى طالب فقيل هو يشتكى عينيه ودعا له فبرئ (١) كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال على يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا قال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فوالله لئن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم وكان الخلق يحتاجون الى علم على رضى الله تعالى عنه حتى قال عمر رضى الله تعالى عنه آه من معضلة ليس فيها أبو الحسن فلما ولى الخلافة لم يتغير عن الزهد فى الدنيا وكان أحمد ابن حنبل رحمه الله يقول ان عليا ما زانته الخلافة بل هو زانها

(١) ولله در البوصيرى حيث يقول

وعلى لما تفلت بعينيه * وكلتاهما معا رمداء

فغدا ناظرا بعينى عقاب * فى غزاة لها العقاب لواء

اه منه

مازانه الملك اذ حـواه ✲ بل كل شئ به يزان

جرى ففاق الملوك سبقا ✲ فليس قدامه عنان

وروى عطاء عن ابن عبـاس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه الآيات فى سورة هل أتى أنها نزلت فى على بن أبى طالب آجر نفسه يسقى نخلا بشئ من شعير ليلة حتى أصبح فلما قبض الشعير طحنوا ثلثه وأصلحوا منه ما يأكلون فلما استوى رأى مسكينا فاخرجه اليه ثم عملوا الثلث الثانى فلما تم أتى يتيم فاطعموه ثم عملوا الباقى فلما تم أتى أسير من المشركين فاطعموه وطووا أى باتوا جياعا فنزلت هذه الآية ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ولله در القائل

إلام الام وحـتى متى ✲ أعنف فى حب هذا الفتى

فهل زوجت فاطم غيره ✲ وفى غيره هل أتى هل أتى

وكذا القائل

أهوى عليا وايمانى محبتـه ✲ كم مشرك دمه من سيفه وكفا

ان كنت ويحك لم تسمع مناقبه ✲ فاسمع مناقبه من هل أتى وكفى

وروى الـكلبى عن أبى صالح قال قال معاوية رضى الله تعالى عنه لضرار بن ضمرة صف لى عليا فقال أوتعفينى قال بل تصفه قال أوتعفينى قال لا أعفيك قال أما اذ لابد فانه والله كان بعيد المدى شديد القوى يقول فصـلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يتوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته كان والله غزير الدمعه طويل الفكره يقلب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشب (١) كان والله كاحدنا يجيبنا اذا سألناه ويبتدئنا اذا أتيناه ويأتينا اذا دعوناه ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لانكلمه لهيبته ولانبتديه لعظمته يعظم أهل الدين ويحب المساكين لايطمع القوى فى باطـله ولاييأس الضعيف من عدله وأشهـد بالله لرأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وقد مثل فى محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم (٢) ويبكى بكاء الحزين وكأنى أسمعـه وهو يقول يادنيا ألى تعرضت أم الىّ تشوفت هيهات هيهات غرّى غـيرى قد بتتك ثلاثا لارجعة لى فيك فعمرك قصـير وعيشك حقير وخطرك كبير آه من قلة الزاد وبعـد السفر ووحشة الطريق قال فذرفت عيون معاوية فما يملكها وهو ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبـكاء فقال معاوية رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه ياضرار قال حزن من ذبح ولدها فى حجرها فلا ترقأ عبرتها ولاتسكن حسرتها اه بزيادة وذكر الوالد عليـه الرحمة فى شرحه لعينية الفاروقى المبرور عبد الباقى لقوله

أنت العلىّ الذى فوق العلا رفعا ✲ ببطن مكة وسط البيت اذ وضعا

وفى كون الأمير كرم الله تعالى وجهه ولد فى البيت أمر مشهور فعن علىّ بن الحسـين قال كنا عند الحسين فى بعض الأيام واذا بنسوة مجتمعات فأقبلت امرأة منهن علينا فقلت لها من أنت فقالت زيدة بنت العجلان من بنى ساعدة فقلت هل عندك شئ تحدثينا به قالت أى والله حدثتنى بنت أم عمارة بنت عبادة بن نضلة انها كانت ذات يوم فى نساء العرب إذ أقبـل أبو طالب كئيبا حزينا فقلت له ما شأنك قال إن فاطمة بنت أسد فى شدة من الطلق ثم إنه أخذ بيدها وجاء بها الى الـكعبة فدخـل بها فأجلسها فطلقت طلقة واحـدة فولدت عليا كرم الله وجهه غلاما نظيفا لم أر أحسن منه وجها وسماه عليا وأنشده

(١) قوله جشب أى غلظ أو بلا أدم اه منه (٢) السليم اللديغ اه منه

سميته بعلى كى يدوم له ✲ من العلو وفخر العز أدومه

وجاء النبى صـلى الله تعالى عليه وسـلم وحمله الى منزل أمه ذكر ذلك فى الفصول المهمة وقد توفى رضى الله تعالى عنه سنة أربعين من الهجرة قال محمد بن عبدون فى قصيدته

وأجزت سيف أشقاها أباحسن ✲ ومكنت من حسين راحتى شمر

وليتها إذ فدت عمـرا بخارجـة ✲ فدت عليا بمن شاءت من البشر

قال الشارح أشقاها هو عبد الرحمن بن ملجم وسماه بذلك لقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ياعلى أشقاها الذى يخضب هذه من هذه وأشار الى لحية على ورأسه وكان سبب قتله لعلى كرم الله تعالى وجهه على ماذكر أن الخوارج قالت ان عليا ومعاوية قد أفسدا أمر هذه الامة فلو قتلناهما لعاد الأمر الى خفة فقال رجل والله ما عمرو بدونهما وانه لاصل هـذا الفساد فقال ابن ملجم أنا أقتل عليا وقال الحجاج بن عبد الله أنا أقتل معاوية وقال رادويه أنا أقتل عمرو بن العاص فأجمعوا رأيهم على أن يكون قتلهم لهم ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان وخرج كل واحد منهم الى ناحية صاحبه وخرج ابن ملجم تلك الليلة ووقف على باب المسجد فى الـكوفة وكان علىّ يدخل مغلسا فيوقظ الناس للصـلاة فلما أراد الدخول ضربه ابن ملجم على وسط رأسـه وأخذ ابن ملجم عليه اللعنة ثم مات رضى الله تعالى عنـه فى اليوم الثالث ثم قتل الحسن رضى الله تعالى عنه ابن ملجم قيل بعـد أن قطعت يداه ورجـلاه ولسانه وكان عمر على رضى الله تعالى عنه ثلاثا وستين سنة وقد اختلف فى محل دفنه فمنهم من قال انه دفن بمسجد الـكوفة ومنهم من قال انه حمل الى المدينة وقبره عند قبر فاطمة رضى الله تعالى عنها وقيل غير ذلك والمشهور أنه فى النجف وحكى أبو بكر بن الاصبغ قال قدم علينا شيخ كبير شديد البياض يشبه بياضه بياض البرص يقال له ابن الماء وكان غريبا فذكر انه كان نصرانيا سنين وانه كان يتعبد فى صومعتـه فبيناهو ذات يوم فى صومعتـه اذ جاء طائر كالنسر أو كالـكركى فوقف عند الصومعـة فتقيأ بضع لحم ثم نقرها فالتأمت رجـلا ثم نقره فعاد بضعا ثم ابتلعها فطار فجاء فى اليوم الثانى ففعل مثـل ذلك ثم فى اليوم الثالث فلما التأمت رجـلا قلت سألتـك بالله من أنت قال أنا عبد الرحمن بن ملجم قاتل على رضى الله تعالى عنـه قد وكل الله بى هذا الطائر يفعل فىّ ماتراه الى يوم القيامة فسبحان من كسا أهـل البيت نورا وجعل علهيـم خندقا يقى الرجس وستورا فاذا تلقوا يوم القيامة تلقوا حبورا (إن هذا كان لـكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) ادخرنا لـكم نعيما مقيما ومنحنا كم فضلا جزيلا عميما وجزينا من كان للفقراء رحيما أوليس أطعمتم مسكينا ويتيما ورحمتم مأسورا وكان سعيكم مشـكورا من مثل علىّ من مثل فاطمة كم صـبرا على أمواج بلايا متلاطمة وآثروا الفقراء ونار الجوع حاطمه فلهم نضارة الوجوه والأهوال للوجوه خاطمة ياسرعة ما انقلب حزنهم سرورا وكان سعيهم مشكورا كانت فاطمة بنت النبى صلى الله تعـالى عليه وسـلم أحب الناس اليه وكان على رضى الله عنه أعز الخلق عليه وجعل الله ريحانتيه من الدنيا ولديه فاذا أحضرهم الحق غدا عنـده ولديه أكرمهم اكراما عظيما موفورا وكان سعيهم مشـكورا والعجب اذ كر فى هذه الآيات نعيم الجنات من الملبوس والمشروب والمطعومات والارائك والقصور والعيون الجاريات ولم يذكر النساء وهن غاية اللذات احتراما لفاطـمة أشرف البنات ومن يصف الزهراء لايذكر حورا إن هذا كان لـكم جزاء وكان سـعيكم مشكورا اللهم خلقتنا مسلمين فسلمنا من عذابك وجعلتنا مؤمنين فآمنا من عقابك اللهم اجعلنا فى حزب آل نبيـك وتوفنا على كمال حب حبيبك وخليلك اللهم إن نظرنا الى فضلك فالعجب ممن هلك كيف هلك وإن نظرنا الى عدلك فالعجب ممن نجا كيف نجا اللهـم ان حاسبتنا بفضـلك نلنا رضوانك وإن حاسبتنا بعـدلك لم ننـل غفرانك اللهم ان كنا قد عصيناك بجهل فقـد دعوناك بعقل حيث علمنا ان لنا ربا يغفر الذنوب ولايبالى

اللهم أنت العالم بالحال من قبل الشكوى وأنت قادر على تحقيق الآمال وكشف البلوى اللهم أنت ملاذنا اذا ضاقت الحيل وملجؤنا اذا انقطع الأمل بذكرك نفتخر والى جودك نفتقر

بذكرك يامولى الورى نتنعم * وقد خاب قوم عن سبيلك قد عموا
شهدنا يقينا أن علمك واسع * فأنت ترى ما فى القلوب وتعلم
الهى تحملنا ذنوبا عظيمة * أسأنا وقصرنا وجودك أعظم
سترنا معاصينا عن الخلق غفلة * وأنت ترانا ثم تعفو وترحم
وحقك ما فينا مسىء يسره * صدودك عنه بل يخاف ويندم
إلهى فجد واصفح وأصلح قلوبنا * فأنت الذى تولى الجميل وتكرم
ألست الذى قربت قوما فوافقوا * ووفقتهم حتى أنابوا وأسلموا
لهم فى الدجا أنس بذكرك دائما * فهم فى الليالى ساجدون وقوّم
لك الحمد عاملنا بما أنت أهله * وسامح وسامنا فأنت المسلم

﴿ المجلس الحادى والأربعون ﴾

(فى حديث لاعدوى ولاصفر وفى الأيام)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى لقدرته يخضع من يعبد ولهيبته ولعظمته يخشع من يركع ويسجد ولطيب مناجاته يسهر العابد ولا يرقد ولطلب ثوابه يقوم المصلى ويقعد يجل كلامه عن أن يقال مخلوق ويبعد فذو التسليم لصفاته مستقيم فمن شبه أو عطل لم يرشد ما جاء فى القرآن قبلنا أو فى السنة لم نردد أليس هذا اعتقادكم يا أهل الخير وكيف لا أتفقد العقائد خوفا من الضير فان سليمان تفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أحمده حمد من يرشد بالوقوف ولا يشرد وأصلى على رسوله محمد الذى قيل لحاسده فليمدد صلى الله تعالى عليه وعلى الصديق الذى فى قلوب محبه فرحات وفى صدور مبغضه ترحات لاتنفد وعلى عمر الذى لم يزل يقوّى الاسلام ويعضد وعلى عثمان الذى جاءته الشهادة فلم يردد وعلى علىّ الذى ينسف زرع الكفر بسيفه ويحصد وعلى سائر آله وأصحابه صلاة دائمة مستمرة لقائلها تعضد وسلم تسليما ﴿ أما بعد ﴾ فقد روى البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى فى صحيحيهما عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال لاعدوى ولاهامة ولاصفر فقال أعرابى يارسول الله فما بال الابل تكون فى الرمل كأنها الظباء فيخالطها البعير الأجرب فيجربها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فمن أعدى الأول (فأقول) وبالله تعالى التوفيق قد ورد هذا الحديث بروايات متعددة ففى المشارق للصغانى رامزا للبخارى عن أبى هريرة لاطيرة وخيرها الفأل ورامزا للبخارى ومسلم عن جابر لاعدوى ولاطيرة ولاغول وفى الجامع الصغير للسيوطى رامزا لمسند الامام أحمد ولمسلم عن جابر ابن عبد الله لاعدوى ولاطيرة ولاهامة ولاصفر ولاغول اهـ وفى كتاب الآثار للطحاوى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال العيافة والطيرة والطرق من الجبت أى الشرك قال العلماء رحمهم الله تعالى أما العدوى بفتح العين اسم من الاعداء وهو مجاوزة العلة من صاحبها الى غيره فمعناها أن المرض يتعدى من صاحبه الى من يقاربه من الاصحاء فيمرض بذلك وكانت العرب تعتقد العدوى فى أمراض كثيرة منها الجرب ولذلك سأل الاعرابى عن الابل الصحيحة يخالطها البعير الأجرب فتجرب فقال النبى عليه الصلاة والسلام فمن أعدى الأول أى ان الأول لم يجرب بالعدوى بل بقضاء الله تعالى وقدره فكذلك الثانى وما بعده قال الشيخ أحمد الحنبلى الحموى فى كتابه

عقد الدرر وقد وردت أحاديث أشكل على كثير من الناس بعضها حتى ظن بعضهم انها ناسخة لقوله عليه الصلاة والسلام لاعدوى ففى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لايورد ممرض على مصح والممرض صاحب الابل المريضة والمصح صاحب الابل الصحيحة والمراد النهى عن ايراد الابل المريضة على الصحيحة ومثله قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فرّ من المجذوم فرارك من الاسد وقوله عليه الصلاة والسلام فى الطاعون اذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوها ودخول النسخ فى هذا لامعنى له فان قوله عليه الصلاة والسلام لاعدوى خبر وهو لا يمكن أن يكون ناسخا للنهى فى هذه الأحاديث الثلاثة وما فى معناها فالصحيح الذى عليه الجمهور من العلماء انه لانسخ فى ذلك واختلفوا فى معنى قوله عليه الصلاة والسلام لاعدوى على أقوال وأظهرها انها نفى لما يعتقده أهل الجاهلية من ان هذه الامراض تعدى بطبعها من غير اعتقاد بقدر الله عز وجل لذلك ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام فمن أعدى الأول قلت من الأمراض المعدية كما قيل الجرب والحصبة والبرص والوباء وغيرها مما هو مذكور فى علم الطب وأما نهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن ايراد الممرض على المصح وأمره بالفرار من المجذوم ونهيه عن الدخول الى موضع الطاعون فانه من باب اجتناب الأسباب التى هى سبب البلاء إذا كان فى عافية منها فكما أنه مأمور أن لايلقى نفسه فى الماء أو فى النار أو يدخل تحت الهدم ونحوه مما جرت به العادة انه مهلك فكذلك اجتناب مقاربة المجذوم والقدوم على بلد فيه الطاعون فان هذه كلها أسباب المرض والتلف والله تعالى هو خالق الأسباب ومسبباتها لاخالق ولا مقدر غيره وقد روى أبو داود انه عليه الصلاة والسلام مر بحائط مائل فأسرع وقال أخاف موت الفوات فان قلت روى جابر أن النبى عليه الصلاة والسلام أكل مع مجذوم فواجهه قلنا حال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أقوى من حال الأمم فجاز أن لايخاف عليه مما يخاف على غيره من العلل المعدية وقد روى أبو داود والترمذى انه لما أكل قال بسم الله ثقة وتوكلا على الله مع ان الانبياء معصومون من مثل هذه الأمراض المنفرة قالوا ونظير ذلك ماروى عن خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه من شرب السم فهذا لايصلح الا للخواص الكامل توكلهم ومن هذا قول ابراهيم عليه السلام لما ألقى فى النار فعرض له جبريل عليه السلام فقال ألك حاجة قال أما اليك فلا وأما الطيرة بكسر الطاء وفتح الياء اسم مايتشاءم كذا فى الصحاح وفى النهاية انه مصدر تطير كما يقال تخير خيرة وقال المناوى هى التفاؤل بالطير وكانوا يتفاءلون بأسمائها وأصواتها قال ابن ملك فى شرح المشارق كان أهل الجاهلية اذا قصدوا الى حاجة وأتى من الجانب الأيسر طير أو غيره يتشاءم به فيرجع القاصد فابطلها النبى عليه الصلاة والسلام بهذا الحديث المتقدم وقال وخيرها أى خير الطيرة الفأل بسكون الهمزة وربما يخففها فسرها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالكلمة الصالحة المسموعة على قصد التفاؤل كسماع مريض ياسالم ولهذا جاء فى الخبر انه عليه الصلاة والسلام كان يتفاءل ولا يتطير وكان يحب اذا خرج لحاجة أن يسمع ياراشد قال أبو جعفر الطحاوى فان قيل قد روى ابن عمر أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال انما الشؤم فى ثلاثة فى المرأة والفرس والدار فالجواب أن جماعة رووا أنه قال ان كانت الطيرة فى شئ ففى المرأة والدار والفرس أى لو كانت تكون فى شئ لكانت فى هؤلاء فاذا لم تكن فى هؤلاء فليست فى شئ وقالت عائشة أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان أهل الجاهلية كانوا يتطيرون من ذلك اهـ (فائدة) فى مراسيل أبى داود أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ليس عبد لايدخل قلبه الطيرة فاذا أحس بذلك فليقل أنا عبد الله ما شاء الله لاقوة الا بالله لايأتى بالحسنات الا الله ولا يذهب السيآت إلا الله أشهد ان الله على كل شئ قدير ثم يمضى لوجهه وقال النخعى هذا أن من تطير تطيرا منهيا عنه أو يراه مما يتطير به حتى يمنعه مما يريده من حاجته فانه قد يصيبه ما يكرهه فأما من توكل على الله عز وجل ووثق به بحيث علق قلبه بالله خوفا ورجاء وقطعه عن الالتفات الى

هذه الأسباب المخوفة وقال ما أمر به من هذه الكلمات ومضى فانه لا يضره وأما قوله عليه الصلاة والسلام ولا هامة بتخفيف الميم على الصحيح وحكى أبو زيد تشديدها وهى على زعم العرب الجاهلية دابة تخرج من رأس القتيل أو تتولد من دمه فلا تزال تصيح حتى يؤخذ بثاره وقال المناوى والهامة طائر كبير يضعف بصره بالنهار ويطير بالليل ويصوت فيه ويقال له بوم والناس يتشاءمون بصوته ومن زعمات العرب ان روح القتيل الذى لا يدرك ثاره تصير هامة وتقول اسقونى فاذا أدرك ثاره طارت فاكذبهم الشارع عليه الصلاة والسلام وأما قوله عليه الصلاة والسلام ولا غول قال المناوى هو بالفتح مصدر معناه البعد والهلاك وبالضم الاسم وهو من السعال وجمعه أغوال وغيلان يحتمل أن يراد به نفيه رأسا أو ان المراد نفيه على الوجه الذى يزعمونه فانهم يقولون هو ضرب من الجن تتغول أى تتلون لمن يمشى وحده فى فلاة أو فى الليلة الليلاء وتمشى قدامه فيظن الماشى خلفه انه انسان فيتبعه فيقع فى الهلاك اه قال فى شرح المشارق فان قيل ما معنى النفى وقد قال عليه الصلاة والسلام اذا تغولت الغيلان فعليكم بالأذان أجيب بانه كان فى ذلك الابتداء ثم رفعه الله تعالى عن عباده أو يقال ان المنفى ليس وجود الغول بل المنفى تصرفه فى نفسه بزعم الجاهلية وقوله عليه الصلاة والسلام ولا صفر بفتح الصاد والفاء فقد اختلف فى تفسيره فقال كثير من المتقدمين انه دابة فى البطن يقال انها دود كبار كالحيات وكانوا يعتقدون انه يعدى فنفى النبى عليه الصلاة والسلام ذلك ونسبه فى عقد الدرر الى الامام أحمد وابن عيينة وغيرهما وقالت طائفة المراد به شهر صفر ثم اختلفوا على قولين أحدهما وهو المروى عن مالك ان المراد نفى ما كان أهل الجاهلية يفعلونه فى النسيء كما حكى ذلك عنهم سبحانه وتعالى بقوله انما النسيء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله الآية والنسء لغة التأخير والمراد هنا تأخير شهر الى شهر آخر فقد كانت العرب تعتقد تعظيم الأشهر الحرم وهى رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم وكان ذلك مما تمسكت به من ملة ابراهيم عليه السلام وكانت عامة معايشهم من الصيد والغارة وكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر عن التوالى وكانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر ويستحلون المحرم والقول الثانى وهو الذى حكاه داود عن محمد بن راشد المكحولى ان أهل الجاهلية كانوا يتشاءمون بصفر ويقولون انه مشؤم فابطل النبى عليه الصلاة والسلام ذلك (تتمة) فلنذكر أشياء مما يتشاءم منها الناس أو يلحقهم منها مكروه فمن ذلك تشاؤم أهل الجاهلية بشوال فى النكاح فيه خاصة وقد قيل ان طاعونا وقع فى شوال فى سنة من السنين فمات فيه كثير من الخلق العرائس فتشاءم بذلك أهل الجاهلية وقد ورد الشرع بابطاله قالت عائشة رضى الله تعالى عنها تزوجنى رسول صلى الله تعالى عليه وسلم فى شوال وبنى فى شوال فأى نسائه كانت أحظى عنده منى وكانت عائشة رضى الله تعالى عنها تحب أن تدخل نساءها فى شوال وتزوج النبى عليه الصلاة والسلام أم سلمة رضى الله تعالى عنها أيضا فى شوال ومن ذلك تشاؤم الناس فى أيام العجائز ويقال لها العجوز فى آخر الشتاء وترك الاسفار ونحوها فيها وكذلك عند نزول القمر العقرب وقد أخرج الخطيب فى التاريخ ان عليا كرم الله تعالى وجهه كره أن يتزوج الرجل أو يسافر فى المحاق أو اذا نزل القمر العقرب قال والمحاق اذا بقى من الشهر يوم أو يومان وكذلك السفر يوم الاحد وفى الاثر نعوذ بالله من يوم الاحد فان له حدا أحد من السيف قاله المناوى وفيه ما سيأتى ومن ذلك التشاؤم بيوم الاربعاء قال الوالد عليه الرحمة عند تفسير قوله تعالى انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر ما ملخصه الصرصر الريح الباردة وقيل شديدة الصوت وفى يوم نحس أى مشؤم عليهم مستمر ذلك الشؤم لانهم بعد ان أهلكوا لم يزالوا معذبين فى البرزخ حتى يدخلوا جهنم والمشهور انه يوم الاربعاء وقرأ الحسن يوم نحس بتنوين يوم وكسر حاء نحس وجعله صفة ليوم فيتعين كون مستمر صفة ثانية له وأيد بعضهم بالآية ما أخرجه وكيع وابن مردويه والخطيب البغدادى

عن ابن عباس مرفوعا آخر أربعاء فى الشهر يوم نحس مستمر قال السخاوى طرقه واهية وضعفوا أيضا خبر الطبرانى يوم الاربعاء يوم نحس مستمر وفى الفردوس عن عائشة رضى الله تعالى عنها مرفوعا لولا أن تكره أمتى لامرتها ان لا يسافروا يوم الاربعاء وأحب الايام الى الشخوص فيها يوم الخميس قال الوالد وهو غير معلوم الصحة عندى وأخرج أبو يعلى عن ابن عباس يوم السبت يوم مكر وخديعة ويوم الاحد يوم غرس وبناء ويوم الاثنين يوم سفر وطلب رزق ويوم الثلاثاء يوم حديد وبأس ويوم الأربعاء لا أخذ ولا عطاء ويوم الخميس يوم طلب الحوائج والدخول على السلطان والجمعة يوم خطبة ونكاح وتعقبه السخاوى بان سنده ضعيف وروى ابن ماجه عن ابن عمر مرفوعا وخرجه الحاكم من طريقين آخرين لا يبدو جذام ولا برص الا يوم الاربعاء وفى بعض الآثار النهى عن قص الاظفار فى يوم الاربعاء وانه يورث البرص وكثير من الناس تطير من آخر أربعاء وتركوا السعى لمصالحهم فيه ويقولون له أربعاء لا تدور وعليه قول الشاعر

لقاؤك للمبكر فال سوء * ووجهك أربعاء لا تدور

وكره بعضهم عيادة المرضى فيه وعليه قيل

لم يؤت فى الاربعاء مريض * الا دفناه فى الخميس

وقال العلامة ابن عابدين فائدة يتشاءم الناس فى زماننا من العيادة فى يوم الاربعاء فينبغى تركها اذا كان يحصل للمريض بذلك ضرر وعلى نحوسته حمل بعضهم بيت البوصيرى

لو اريدوا فى حال سبت بخير * كان سبتا لديهم الاربعاء

وكانت الجاهلية تقول انه يوم عطارد وهو نحس مع النحوس وسعد مع السعود وهو قول باطل للمنجمين وجاء فى بعض الاخبار ما يشعر بمدحه ففى شعب البيهقى ان الدعاء يستجاب يوم الاربعاء بعد الزوال وعن صاحب الهداية انه ما بدئ شئ يوم الاربعاء الا وتم وهو يوم خلق الله تعالى فيه النور وروى الديلمى عن جابر مرفوعا من غرس الاشجار يوم الاربعاء وقال سبحان الباعث الوارث آتته أكلها وحكى عن بعض العلماء ان التطير مكروه كراهية شرعية الا ان الشرع أباح لمن أصابه فى آخر أربعاء شئ فى مصالحه أن يدع التصرف فيه لا على جهة التطير واعتقاد انه يضر أو ينفع بغير اذن الله تعالى بل على جهة اعتقاد اباحة الامساك فيه لما كرهته النفس لا اقتفاء للتطير ولكن اثباتا للرخصة فى التوقى فيه لمن يشاء مع وجوب اعتقاد أن شيأ لا يضر شيأ ونقل عن الحليمى انه قال علمنا ببيان الشريعة ان من الايام نحسا ويقابل النحس السعد واذا ثبت الاول ثبت الثانى أيضا فالايام منها نحس ومنها سعد كالاشخاص منهم شقى ومنهم سعيد لكن زعم ان الايام والكواكب تنحس أو تسعد باختيارها أوقاتا واشخاصا باطل والقول ان الكواكب قد تكون أسبابا للحسن والقبح والخير والشر والكل فعل الله تعالى وحده مما لا بأس به ثم قال المناوى والحاصل ان توقى الاربعاء على جهة الطيرة وظن اعتقاد المنجمين حرام شديد التحريم اذ الايام كلها لله تعالى لا تنفع ولا تضر بذاتها وبدون ذلك لا ضير ولا محذور فيه ومن تطير حاقت به نحوسته ومن أيقن انه لا يضر ولا ينفع الا الله عز وجل لم يؤثر فيه شئ من ذلك كما قيل

تعلم انه لا طير الا * على متطير وهو الثبور

وأقول كل الايام سواء ولا اختصاص لذلك بيوم الاربعاء وما من ساعة من الساعات الا وهو سعد على شخص نحس على آخر باعتبار ما يحدث الله تعالى فيهما من الملائم والمنافر والخير والشر فكل يوم من الايام يتصف بالامرين لاختلاف الاعتبار وان استنحس يوم الاربعاء لوقوع حادث فيه فليستنحس كل يوم فما أولج الليل والنهار فى الليل الا ليلاد الحوادث وقد قيل

الا انما الايام ابناء واحد ✻ وهذى الليالى كلها اخوات

وتفصيل هذا البحث فى روح المعانى والشرح الكبير للجامع الصغير للمناوى من أراده فليرجع اليهما (خاتمة) فى فوائد مهمة تتعلق بما نحن فيه منها اصابة العين قال الطوفى البغدادى وغيره عند تفسير قوله تعالى يابنى لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة قد خشى يعقوب عليه السلام على أولاده من العين لانهم كانوا ذوى حسن نخاف عليهم وهى الحاجة التى كانت فى نفسه فقضاها وقد أثنى الله عز وجل عليه بذلك فقال وانه لذو علم الآية ووافق ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم العين حق فاتفق على ذلك شرعنا وشرع من قبلنا فتأكد حكمها وفى كيفية الاصابة بالعين خلاف فقيل هو سم ينفصل عن العين لخبث فى النفس يتصل بالشئ مع الشعاع البصرى فيغيره وقيل وهم قوة نفس ينفعل له الاجسام العنصرية كانفعال الحديد بالمغناطيس والعاشق للمعشوق والنجوم لما تؤثر فيه على رأى أهلها وقيل هو تغير يحدثه الله عز وجل مقارنا لرؤية الرائى تنبيها له على ان الدار دار تغير وزوال ولا يغتر بما هى عليه من حسن الحال تزهيدا له فيها وترغيبا عنها وقيل غير ذلك وقال الوالد عليه الرحمة فى روح المعانى فى تفسير قوله تعالى وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين المعنى انهم من شدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلقون قدمك فيرمونك من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى أو يكاد يأكلنى أى لو أمكنه بنظره الصرع أو الاكل لفعله وقرأ ابن عباس والاعمش ليزهقونك بالهاء أى ليهلكونك أو انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روى انه كان فى بنى أسد عيانون فأراد بعضهم أن يعين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت وقال الكلبى كان رجل من العرب يمكث يومين أو ثلاثة لا يأكل ثم يرفع جانب خبائه فيقول لم أر كاليوم ابلا ولا غنما أحسن من هذه فتسقط طائفة منها وتهلك فاقترح الكفار منه أن يصيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأجابهم وأنشد

قد كان قومك يحسبونك سيدا ✻ وأخال أنك سيد معيون

فعصم الله تعالى نبيه صلى الله عليه تعالى وسلم وأنزل عليه هذه الآية وقد قيل ان قراءتها تدفع ضرر العين وروى ذلك عن الحسن وفى كتاب الاحكام انها أصل فى ان العين حق والاولى الاستدلال على ذلك بما ورد وصح عن عدة طرق ان العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر وبما أخرجه الامام أحمد بسند رجاله كما قال الهيثمى ثقات عن أبى ذر مرفوعا ان العين لتولع بالرجل باذن الله تعالى حتى يصعد حالقا ثم يتردى منه الى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة وذلك من خصائص بعض النفوس ولله تعالى أن يخص ما شاء منها بما شاء وأضافته الى العين باعتبار ان النفس تؤثر بواسطتها غالبا وقد يكون التأثير بلا واسطتها بان يوصف للعائن شئ فتتوجه اليه نفسه فتفسده ومن قال إن الله تعالى أجرى العادة بخلق ما يشاء عند مقابلة عين العائن من غير تأثير أصلا فقد سد على نفسه باب العلل والتأثيرات والأسباب والمسببات وخالف جميع العقلاء قاله العلامة ابن القيم وقال بعض أصحاب الطبائع انه ينبعث من العين قوة سمية تؤثر فيما نظره كما فصل فى شرح مسلم وهذا الايتم عندى فيما لم يره ولا فى نحو ما تضمنه حديث أبى ذر المتقدم آنفا ولا فى اصابة الانسان عين نفسه كما حكاه المناوى فانه لا يقتل الصل سمه ومن ذلك ما حكاه الغسانى قال نظر سليمان بن عبد الملك فى المرآة فأعجبته نفسه فقال كان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم نبيا وكان أبو بكر صديقا وكان عمر فاروقا وعثمان حييا ومعاوية حليما ويزيد صبورا وعبد الملك سائسا والوليد جبارا وأنا الملك الشاب فما دار عليه الشهر حتى مات ومثل ذلك ما قيل انه من باب التاثير فى القوة المعروفة اليوم بالقوة الكهربائية عند الطبائعيين المحدثين فقد صح ان بعض الناس يكرر النظر الى بعض الأشخاص من فرقه الى قدمه فيصرعه كالمغشى عليه وربما يقف وراءه جاعلا أصابعه حذاء

نقرة رأسه ويوجه نفسه اليه حتى يضعف قواه فيغشاه نحو النوم ويتكلم اذ ذاك بما لم يتكلم به فى وقت آخر وأنا لا أزيد على القول بأنه من تأثيرات النفوس ولا أكيف ذلك فالنفس الانسانية من أعجب مخلوقات الله تعالى وكم طوى فيها أسرار وعجائب تتحير فيها العقول ولا ينكرها الا مجنون أو مجهول ولا يسعنى أن أنكر العين لكثرة الأحاديث الواردة فيها ومشاهدة آثارها على اختلاف الأعصار ولا أخص ذلك بالنفوس الخبيثة كما قيل فقد يكون من النفوس الزكية والمشهور أن الاصابة لا تكون مع كراهة الشئ وبغضه وانما تكون مع استحسانه والى ذلك ذهب القشيرى وكأنه يشير بذلك الى الطعن فى صحة الرواية ههنا لان الكفار كانوا يبغضونه عليه الصلاة والسلام فلا يتأتى لهم اصابته بالعين وفيه نظر وحكم العائن على ما قال القاضى عياض انه يجتنب وينبغى للامام حبسه ومنعه عن مخالطة الناس كفا لضرره ما أمكن ويرزقه حينئذ من بيت المال اه باقتصار وفى زاد المعاد للعلامة محمد بن القيم فى هديه صلى الله تعالى عليه وسلم فى علاج المصاب بالعين فى صحيح مسلم عن أنس أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رخص فى الرقية من الحمة والعين والنملة وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان نسترقى من العين وأمر عليه الصلاة والسلام العائن بالاغتسال قال الزهرى يؤمر الرجل العائن بقدح فيدخل كفه فيه فيتمضمض ثم يمجه فى القدح ويغسل وجهه فى القدح ثم يدخل يده اليسرى فيصب على ركبته اليمنى فى القدح ثم يدخل يده اليمنى فيصب على ركبته اليسرى ثم يغسل داخلة إزاره ولا يوضع القدح فى الأرض ثم يصب على رأس الرجل الذى تصيبه العين من خلفه صبة واحدة والعين عينان عين انسية وعين جنية فقد صح عن أم سلمة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رأى فى بيتها جارية فى وجهها سفعة أى نظرة من الجن فقال استرقوا لها فان بها النظرة ومن التعوذات والرقى الاكثار من قراءة المعوذتين وفاتحة الكتاب وقوله عليه الصلاة والسلام أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ونحو أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ونحو أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ فى الأرض ومن شر ما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر طوارق الليل الا طارقا يطرق بخير يا رحمن ومنها قول ما شاء الله لا قوة الا بالله ومنها اذا كان العائن يخشى ضرر عينه فليدفع شرها بقوله اللهم بارك عليه ومنها رقية جبريل للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسم الله أرقيك من كل شئ يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك وقال جماعة من السلف لا بأس بكتابة الآيات من القرآن ثم يشربها ومنها ما ذكره البغوى ان عثمان رضى الله تعالى عنه رأى صبيا مليحا فقال دسموا نونته لئلا تصيبه العين أى سودوا النقرة التى تكون فى ذقن الصبى ومنها ما ذكر عن أبى عبد الله النباحى انه كان فى بعض اسفاره للحج أو الغزو على ناقة فارهة وكان فى الرفقة رجل عائن قلما نظر الى شئ الا أتلفه فقيل لأبى عبد الله احفظ ناقتك من العائن قال ليس له الى ناقتى سبيل فاخبر العائن بقوله فتحين غيبة أبى عبد الله فجاء الى رحله فنظر الى ناقته فاضطربت وسقطت فجاء أبو عبد الله فاخبر أن العائن قد عانها وهى كما ترى فقال دلونى عليه فدل فوقف عليه وقال بسم الله حبس حابس وحجر يابس وشهاب قابس رددت عين العائن عليه وعلى أحب الناس اليه فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير فخرجت حدقة العائن وقامت الناقة لا بأس بها ومن هديه عليه الصلاة والسلام فى رقية اللديغ بالفاتحة أخرجا فى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى قال انطلق نفر من أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفرة سافروها حتى نزلوا على حى من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحى فسعوا له بكل شئ فلم ينفعه شئ فقال بعضهم لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شئ فأتوهم فقالوا

يا أيها الرهط ان سيدنا لدغ وسعينا له بكل شئ لا ينفعه شئ فهل عند بعضكم من شئ فقال بعضهم نعم والله انى لأرقى ولكن استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براق حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع من الغنم فانطلق يتفل عليه ويقرأ الحمد لله رب العالمين فكأنما انشط من عقال فانطلق يمشى وما به قلبة قال فأوفوهم جعلهم الذى صالحوهم عليه فقال بعضهم اقتسموا فقال الذى رقى لا تفعلوا حتى نأتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنذكر له الذى كان فننظر ما يأمرنا فقدموا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فذكروا له ذلك فقال وما يدريك انها رقية ثم قال أصبتم اقتسموا واضربوا الى معكم سهما ومن هديه عليه الصلاة والسلام فى علاج لدغة العقرب بالرقية روى ابن أبى شيبة من حديث عبد الله بن مسعود قال بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصلى اذ سجد فلدغته عقرب فى أصبعه فانصرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال لعن الله العقرب ما تدع نبيا ولا غيره قال ثم دعا بإناء فيه ماء وملح فجعل يضع موضع اللدغة فى الماء والملح ويقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين حتى سكنت ففى هذا الحديث العلاج بالدواء المركب من الأمرين الطبيعى والألهى ومن هديه عليه الصلاة والسلام فى رقية النملة ففى سنن أبى داود عن الشفاء بنت عبد الله قالت دخل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا عند حفصة فقال ألا تعلمين هذه رقية النملة كما تعلميها الكتابة النملة قروح تخرج فى الجنبين وهو داء معروف وسمى نملة لان صاحبه يحس مكانه كان نملة تدب عليه وتعضه وروى الخلال انها عرضت رقيتها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت بسم الله صليت حتى تعود من أفواهها ولا تضر أحدا اللهم اكشف الباس رب الناس قال ترقى بها على عود سبع مرات و يقصد مكانا نظيفا و يدلكه على حجر بخل خمر حاذق وتطليه على النملة ومن هديه صلى الله تعالى عليه وسلم فى رقية القرحة والجرح قد أخرجا فى الصحيحين عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذا اشتكى الانسان أو كانت به قرحة أو جرح وضع سبابته بالأرض ثم رفعها وقال بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا ليشفى سقيمنا باذن ربنا ومعنى الحديث انه يمسح به على الجرح ومن هديه صلى الله تعالى عليه وسلم فى علاج الوجع بالرقية روى مسلم عن عثمان بن أبى العاص انه شكى إلى رسول الله صل الله تعالى عليه وسلم وجعا يجده فى جسده منذ أسلم فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ضع يدك على الذى تألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذره وفى الصحيحين أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعوذ بعض أهله يمسح عليه بيده اليمنى و يقول اللهم رب الناس إذهب الباس واشف أنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما وقد ختم ابن القيم مباحثه الطبية فى وصايا نافعة نذكر بعضها تكميلا للفائدة قال ناقلا عن ابن ماسويه من أكل البصل أربعين يوما فلا يلومن إلا نفسه ومن افتصد فأكل مالحا فأصابه البهق والجرب فلا يلومن إلا نفسه ومن احتلم فلم يغتسل حتى وطئ أهله فولدت مجنونا فلا يلومن إلا نفسه ومن جامع فلم يصبر حتى يفرغ فأصابه حصاة فلا يلومن إلا نفسه ومن نظر فى المرآة ليلا فأصابه لقوة أو داء فلا يلومن إلا نفسه وقال بعض الاطباء احذر ان تجمع بين البيض والسمك و بين اللبن والسمك واحذر من دخول الحمام عقب الامتلاء واياك من إدخال الطعام على الطعام وقد أطنب فيما يشبه هذه الابحاث فعليك به ان أردته وفى رد المحتار لشيخ مشايخنا ابن عابدين قال ست تورث النسيان سؤر الفارة والقاء القملة وهى حية والبول فى الماء الراكد وقطع القطار (١) ومضغ العلك وأكل التفاح ومنهم من ذكره حديثا لكن قال أبو الفرج ابن الجوزى انه حديث موضوع واطلاق التفاح هنا موافق لما فى كتب الطب من انه كله مورث للنسيان وذكر بعضهم الحديث مقيدا التفاح بالحامض ﴿تتمة﴾ زاد بعضهم مما يورث النسيان أشياء منها العصيان والهموم

(١) قوله القطار أى الدواب اه

والاحزان بسبب الدنيا وكثرة الاشتغال بها وأكل الكزبرة الرطبة والنظر الى المصلوب والحجم فى نقرة القفا واللحم المالح والخبز الحامى والأكل من القدر وكثرة المزح والضحك بين المقابر والوضوء فى محل الاستنجاء وتوسد السراويل أو العمامة ونظر الجنب الى السماء وكنس البيت بالخرق ومسح وجهه أو يديه بذيله ونفض الثوب فى المسجد ودخوله باليسرى وخروجه باليمنى واللعب بالمذاكير أو الذكر حتى ينزل والنظر اليه والبول فى الطريق أو تحت شجرة مثمرة أو فى الماء الراكد أو فى الرماد والنظر الى الفرج أو فى مرآة الحجام والامتشاط بالمشط المكسور وغير ذلك انتهى وقد ألف بعضهم رسالة فى أشياء تجلب الفقر وأشياء تورث النسيان وأشياء تضر بالابدان فمنها ما تقدم ذكره ومنها مما يورث الفقر التهاون فى صلاة الجماعة والمشى بين المعز والغنم وطول الاظفار وتقليمها بالفم واحتكار الطعام وحرق قشر البصل والثوم والنوم عريان وكثرة النوم والكتابة بالقلم المعقود وأكل الجنب ونومه ومشيه قدام شيخه وأبيه ونداؤهما باسمهما وتطيير الحمام على السطوح وترك القمامة وهى الزبل فى البيت فقد ورد نظفوا أفنيتكم فان اليهود لا ينظفون أفنيتهم ومنه بيت العنكبوت والاسراف والتقتير وشراء كسر الخبز من الفقراء والدعاء على الاهل بالشر وتخييط الثوب وهو على البدن ومما يورث النسيان النظر فى الماء الراكد والمشى بين المرأتين وقراءة ما كتب على القبور وطرح القمل وكثرة السهر وأكل لحم المعز ولبس النعل الاسود وبوله فى المستحم وقيل يورث الوسواس أيضا وكثرة شرب (١) الخل وأكل السمك ومما يورث الفقر والنسيان الجلوس فى عتبة الدار ونوم الضحى وتجفيف وجهه بذيله وتسرول القائم وتعمم القاعد ومنها أشياء مضرة بالبدن الجمع بين البطيخ والعسل والرمان والهريسة والغسل ليلا بلا ستر عورة والنوم منفردا فى البيت وتخليل الاسنان بالقصب واستعمال الماء المشمس وطرح السواك بالارض وحك جسمه بمقطوع ظفره قبل أن يغسله والحجامة على الشبع أو يوم الخميس أو يوم الجمعة أو يوم السبت أو يوم الأحد ففى زاد المعاد لابن القيم روى الترمذى أن خير ما تحتجمون فيه يوم سابع عشرة أو تاسع عشرة و يوم احدى وعشرين قال ابن القيم و إذا استعملت عند الحاجة اليها نفعت أى وقت كان وفى أثر الحجامة على الريق دواء وعلى الشبع داء وقيل تكره يوم السبت و يوم الأربعاء و يقولون يوم الجمعة وعن أبى هريرة مرفوعا من احتجم يوم الأربعاء أو يوم السبت فأصابه بياض أو برص فلا يلومن إلا نفسه وروى ان الامام أحمد سئل عن النورة والحجامة يوم السبت والأربعاء فكرهها وعن عبد الله بن عمر لا تحتجموا الخميس ولا الجمعة ولا السبت ولا الأحد واحتجموا الاثنين وما كان من جذام ولا برص الا نزل يوم الأربعاء وعن نافع احتجموا الاثنين والثلاثاء وقيل تكره فى الثلاثاء أيضا انتهى ومنها عدم كظم الفم عند التثاؤب والالتفات (٢) عند العطاس والأكل من غير احضار الماء عنده ومدافعة الأخبثين أى الغائط والبول والنوم فى الشمس أو على سطح غير محفوظ وذهابه فى البرية مسافرا وحده فاسأله تعالى أن يحفظنا من كافة الآلام و يجعلنا وايا كم من المتبعين لهدى خير الأنام عليه وآله الصلاة والسلام فيا أيها المتشائم بالطيور والأيام تشاءم من خطاياك والآثام واترك أفعالك التى هى أفعى لك وتجنب الأعمال المذمومة فانها فى الآخرة مشؤومة فالايام لك كالمطايا فأين العدة قبل المنايا وقد علمت ان سرية الموت لا تشبه السرايا وملك الموت لا يقبل الهدايا فعجبا للمؤثر الفانية على الباقية ولبائع البحر الخضم بساقية ولمختار دار الكدر على الصافية أيها المتوطن بيت غروره تأهب لانزعاجك أيها المسرور بقصوره تهيأ لاخراجك خذ عدتك وانهض الى قضاء حاجك قبل فراق أولادك وأزواجك ما الدنيا دار مقامك بل حلبة إدلاجك

(١) عن جابر بن عبد الله وعن عائشة رضى الله تعالى عنهما عنه عليه الصلاة والسلام نعم الادام الخل رواه فى الجامع الصغير اه منه (٢) فان ذلك مضر طبا كما هو مجرب اه منه

أتأمن بطش ذى البطش وتبارزه عالما برؤيته ولم تخش أنسيت الركوب على ظهر النعش أنسيت النزول فى بيداء الديب والوحش أنسيت الحلول فى لحد خشن الفرش يامن لايصبر للقضاء ولا على خدش يامغتر بزخرف الهوى قد ألهاه النقش يامن إذا وزن طفف وإذا باع غش إذا جنيت على نفسك فعلى من الأرش كن متيقظا فانك بعين ذى العرش ياهذا عليك بالجد والاجتهاد وخل هذا الكسل والرقاد فطريقك لابد له من زاد

انهض الى المعالى * واجسر ولا تبالى

وخذ من الزمان * حظا فأنت فان
المجد بالمخاطرة * والنصر بالمصابرة
ماللورى فى غفلة * قد خدعوا بالمهلة
ألا لبيب يعقل * ألا جهول يسأل
أأنتم فى ريبة * ماأعظم المصيبة
دنيا كم حبيبة * فى حسنها رطيبة
لكنها غدارة * خداعة غراره
ليس لها حبيب * زوالها قريب
كالمومس البغى * تلبس كل زى
ملولة خوانة * ليس لها أمانة
عزيزها ذليل * كثيرها قليل
تفرق الأحبابا * تشتت الأترابا
حرب لمن سالمها * غل لمن لازمها
لقاؤها فراق * وعرسها طلاق
ووصلها صدود * ووعدها وعيد
وصالها عناء * صدودها بلاء
شرابها سراب * نعيمها عذاب
ان أقبلت ففتنة * أوأدبرت فمحنة
أخلاقها مذمومة * لذاتها مسمومة
يحظى بها الجهال * وينعم الانذال
يشقى بها اللبيب * ويتعب الأديب
نخل عنها يافتى * إلى متى إلى متى

اللهم إنا نعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والاهواء والادواء ونسألك الفوز فى القضاء وعيش السعداء والنصر على الحساد والأعداء اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولامضلين اللهم إنا نسألك إيمانا يباشر قلوبنا حتى نعلم أنه لايصيبنا إلاما كتب لنا ورضنا بما قسمت لنا ونسألك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة وارحمنا والمسلمين وصل على محمد وآله أجمعين والحمد لله رب العالمين

﴿ المجلس الثانى والاربعون ﴾

(فى شعب الايمان)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(١) الحمد لله مبلغ الراجى فوق مأموله ومعطى اللاجئ زيادة على مسؤله المنان على التائب بصفحه وقبوله خلق الآدمى وأنشأ له دار الحلوله وجعل الدنيا مرحلة لنزوله فتوطنها من لم يعرف شرف الدار الأخرى

---

(١) بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى لاواضع لما رفع ولارافع لما وضع ولاواصل لما قطع ولا مفرق لما جمع سبحانه من مقدر ضر ونفع وحكم فالكل حكمه كيف وقع أمرض حتى ألقى على شفا ثم شفى الوجع وواصل من شاء ومن شاء قطع أحمده على ماأعطى ومنع وأشكره أن كشف للبصائر سر الخدع وأشهد بانه واحد أحكم ماصنع وأن محمدا عبده ورسوله أرسله والكفر علا وارتفع ففرق بمجاهدته من شرة ما اجتمع وأبان به شعب الايمان لمن اقتفى سبيله واتبع صلى الله تعالى عليه وعلى صاحبه أبى بكر الذى نجم نجم شجاعته يوم الردة وطلع وعلى عمر الذى عز الاسلام به وامتنع وعلى عثمان المقتول ظلما ومابتدع وعلى علىّ الذى دحض الكفر بجهاده وقمع وعلى جميع آله وأصحابه ماسجد مصل وركع وسلم تسليما أمابعد اه منه

لحوله أوماترى غربان البين تنوح على طلوله إرحلوا عنها بايمان كامل فرب قفر يخاف من غوله سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله أحمده على نيل الهدى وحصوله وأقر بوحدانيته إقرار عارف بالدليل وأصوله وأصلى وأسلم على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى صاحبه أبى بكر الصديق الذى يبغضه المبتدع بفضوله وعلى عمر حامى الاسلام بسيف عزم لايخاف من فلوله وعلى عثمان الصابر على البلاء حين نزوله وعلى ابن عمه على ابن أبى طالب الصائل بشجاعته قبل أن يصول بنصوله وعلى سائر آله وأصحابه الفائزين من الايمان بشعبه وأصوله صلاة وسلاما دائمين ماتردد النسيم بين شماله وجنوبه وقبوله ﴿ أمابعد ﴾ فأروى بسندى إلى المولى الهمام محدث الاسلام أبى عبد الله بن ابراهيم بن اسمعيل بن بردزبه الجعفى البخارى لازال صيب الغفران على ضريحه غاديا وسارى فانه قال فى كتابه الصحيح الحرى بالترجيح باب أمور الايمان حدثنا عبدالله بن محمد قال حدثنا أبو عامر العقدى قال حدثنا سليمان بن بلال عن عبدالله بن دينار عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال الايمان بضعة وستون شعبة والحياء شعبة من الايمان (فنقول) وبالله تعالى التوفيق قد روى هذا الحديث أيضا الامام مسلم فى صحيحه وفى رواية بضع وسبعون شعبة أعلاها وفى رواية أرفعها وقوله بضعة وفى بعض النسخ بضع بكسر الباء ويجوز الفتح هو مابين الثلاثة والتسعة ولايستعمل إلا مع العشرة او العشرين إلى التسعين والشعبة بضم الشين غصن الشجرة وفرع كل أصل والمراد هنا الخصلة قال العلماء شبه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الايمان بشجرة ذات أغصان وشعب والمعنى ان الايمان يتشعب من شعب كثيرة كما يتشعب من الشجرة أغصان فيقال لا إله إلا الله شعبة والصلاة شعبة والحياء شعبة وهلم جرا ولما كان أكثر المؤمنين غافلين عن تعداد هذه الشعب ومعرفتها الزم على أن أبينها ان شاء الله تعالى وأعدها وأجملها مع مايلزم بيانه كرؤس المسائل وأقنع فى كل شعبة بالاستدلال فى آية كريمة أوحديث صحيح مختصرا ذلك من كلام الشيخ أبى حفص عمر القزوينى الذى اختصره من كتاب شعب الايمان للامام أحمد بن الحسين البيهقى لان بيان هذه الشعب واجب على العلماء وتعلمها فرض على الجهلاء فاسمع مانعده عليك وهى أمانة سلمتها إليك الأولى الايمان بالله عز وجل قال تعالى ياأيها الذين آمنوا آمنوا بالله وقال عليه الصلاة والسلام أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله وقوله عليه الصلاة والسلام من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة الثانية الايمان برسله الثالثة الايمان بملائكته الرابعة الايمان بالقرآن وجميع كتبه المنزلة وهذه كلها لحديث جبريل وقوله تعالى والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله الخامسة الايمان بالقدر خيره وشره من الله عز وجل لقوله تعالى قل كل من عند الله وقوله تعالى وماتشاؤن الا أن يشاء الله ولحديث جبريل أيضا المتقدم فى الدروس الماضية السادسة الايمان باليوم الآخر لقوله تعالى قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر قال الحليمى ومعناه التصديق بان لايام الدنيا آخر وانها منقضية ففى الاعتراف بانقضاء العالم اعتراف بابتدائه اذ القديم لايفنى ولا يتغير السابعة الايمان بالبعث لقوله تعالى زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير الثامنة الايمان بالحشر بعد البعث من القبور إلى الموقف لقوله تعالى ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وفى الحديث يغيب أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه التاسعة الايمان بأن دار المؤمنين الجنة ودار الكافرين النار للآيات العديدة ولقوله عليه الصلاة والسلام إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار ويقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة العاشرة الايمان بوجوب محبة الله عز وجل لقوله

تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولقوله عليه السلام ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن توقد له نار فيقذف فيها وكانت رابعة اذا غلب عليها حال الحب تقول

تعصى الاله وأنت تظهر حبه * هذا محال فى الفعال بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

الحادية عشرة الايمان بوجوب الخوف من الله عز وجل لقوله تعالى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين الثانية عشرة الايمان بوجوب الرجاء من الله تعالى لقوله سبحانه وتعالى يرجون رحمته ويخافون عذابه وقوله تعالى قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لو يعلم المؤمن ماعند الله من العقوبة ماطمع بجنته أحد ولو يعلم الكافر ماعند الله من الرحمة ماقنط من رحمته أحد الثالثة عشرة الايمان بوجوب التوكل على الله عز وجل لقوله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون وفى الصحيحين فى سؤال أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم له عن السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب فقال عليه الصلاة والسلام هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون فقام عكاشة فقال إدع الله أن يجعلنى منهم فقال أنت منهم ثم قام رجل آخر فقال ادع الله أن يجعلنى منهم يارسول الله فقال سبقك بها عكاشة ومن جملة التوكل تفويض الأمر اليه عز وجل والثقة به مع ماقدر له من التسبب فلا منافاة بين التوكل وتعاطى أسباب المعيشة فقد روى عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه انه قال دينك لمعادك ودرهمك لمعاشك ولا خير فى امرئ بلا درهم الرابعة عشرة الايمان بوجوب حب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لحديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين وقال له رجل انى أحب الله ورسوله فقال أنت مع من أحببت الخامسة عشرة الايمان بوجوب تعظيم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتبجيله وتوقيره لقوله تعالى وتعزروه وتوقروه وقوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى (قلت) وينبغى أن يلحق هنا حب آل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وذريته وزوجاته وصحابته رضى الله تعالى عنهم أجمعين ويلحق بذلك حب العرب قال فى الصواعق أخرج البيهقى والديلمى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يؤمن عبد حتى أكون أحب اليه من نفسه وتكون عترتى أحب اليه من عترته ويكون أهل بيتى أحب اليه من أهله ويكون ذاتى أحب اليه من ذاته وأخرج الديلمى وأبو الشيخ من لم يعرف حق عترتى والأنصار والعرب فهو لاحدى ثلاث اما منافق واما ولد زنية واما امرؤ حملت به أمه فى غير طهر وأخرج الديلمى من أحب الله تعالى أحب القرآن ومن أحب القرآن أحبنى ومن أحبنى أحب أصحابى وقرابتى انتهى وروى السيوطى فى الجامع الصغير عن أنس حب العرب ايمان وبغضهم نفاق وفى رواية أخرى وبغضهم كفر فمن أحب العرب فقد أحبنى ومن أبغض العرب فقد أبغضنى قال الحليمى فمن فضل العجم عليهم فقد آذى الرسول عليه الصلاة والسلام ومن آذاه فقد آذى الله سبحانه وتعالى السادسة عشرة شح المرء بدينه لحديث أنس ثلاث من كن فيه الحديث المتقدم فى العاشرة السابعة عشرة طلب العلم وهو علم الدين كالعقائد والفقه والحديث لقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وقوله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون الثامنة عشر نشر العلم لقوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وقوله تعالى ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم التاسعة عشرة تعظيم القرآن المجيد بتعلمه وتعليمه وتجويده وحفظ أحكامه وتبجيل أهله وحفاظه قال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وروى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه خيركم من تعلم القرآن

وعلمه وروى عبد الله بن عمر لا حسد الا فى اثنين رجل آتاه الله هذا الكتاب فقام به آناء الليل والنهار ورجل أعطاه الله مالا فهو يتصدق به آناء الليل والنهار العشرون الطهارة لقوله تعالى ياأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق الآية ولحديث أبى مالك الأشعرى الطهور (١) شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والله أكبر تملأ مابين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك وليعلم أن الوضوء الصحيح هو أن لا يبقى لمعة فى أعضاء الوضوء لم يصلها الماء فينبغى للمتوضئ أن لا يبقى وسخا فى أظفاره وأن يدلك يديه ورجليه وأن يتجاوز غسل المرفقين والكعبين لقوله عليه الصلاة والسلام ويل للأعقاب من النار ولقد أحسن القائل

ستأتى الناس فى العرصات سكرى * بلا أثر يكون لهم مزينا

وتأتى أمة المختار غرا * بآثار الوضوء محجلينا

الحادية والعشرون الصلوات الخمس لقوله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ولحديث ابن مسعود قال سألت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أى الأعمال أحب الى الله عز وجل قال الصلاة لوقتها قلت ثم أى قال بر الوالدين قلت ثم أى قال الجهاد فى سبيل الله ولحديث جابر ان بين الرجل وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة الثانية والعشرون الزكاة لقوله تعالى أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة الثالثة والعشرون الصيام لقوله تعالى كتب عليكم الصيام ولقوله عليه الصلاة والسلام بنى الاسلام على خمس الحديث الرابعة والعشرون الاعتكاف لقوله تعالى وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود ولحديث من اعتكف فواق ناقة فكأنما أعتق رقبة الخامسة والعشرون الحج لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت وقوله تعالى وأتموا الحج والعمرة لله ولحديث من لم يحبسه مرض أو حاجة ظاهرة أو سلطان جائر ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا السادسة والعشرون الجهاد لقوله تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ولقوله عليه الصلاة والسلام لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله تعالى العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف السابعة والعشرون المرابطة فى سبيل الله وهى الاقامة فى وجه العدو مستعدا له لقوله تعالى ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ولحديث رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها الثامنة والعشرون الثبات للعدو وترك الفرار من الزحف لقوله سبحانه اذا لقيتم فئة فاثبتوا وقوله تعالى اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار الآية وللحديث المار آنفا التاسعة والعشرون أداء الخمس من المغنم لقوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه الآية الثلاثون العتق لقوله تعالى وما أدراك ما العقبة فك رقبة ولحديث أبى هريرة من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرج بفرجه الحادية والثلاثون الكفارات الواجبات بالجنايات وهى بالكتاب والسنة أربع كفارات القتل وكفارة الظهار وكفارة اليمين وكفارة المسيس فى صوم رمضان ومما يقرب منها مايجب باسم الفدية لانها اما عن ذنب سبق أو يرادبها التقرب الى الله تعالى بشئ يعفى اثر أمر قد وقع ذنبا كان أو غير ذنب الثانية والثلاثون الايفاء بالعقود لقوله تعالى أوفوا بالعقود قال ابن عباس يعنى ما أحل الله وما حرم وما فرض وما حد فى القرآن وقوله تعالى يوفون بالنذر وقوله تعالى وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان ولحديث ابن عمر فى الصحيحين أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا وعد أخلف واذا خاصم فجر وفى رواية أخرى واذا ائتمن خان الثالثة والثلاثون تعديد نعم الله عز وجل ومايجب من شكرها لقوله

(١) ولذا قال كثير من العلماء ان من صلى بغير طهارة متعمدا يكفر اهـ منه

تعالى وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها وقوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقوله تعالى فاذكرونى أذكركم واشكروالى ولا تكفرون الرابعة والثلاثون حفظ اللسان عما لا يحتاج اليه من غيبة ونميمة وكذب ونحو ذلك لقوله تعالى ولا تقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا ولقوله عليه الصلاة والسلام من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه الخامسة والثلاثون أداء الأمانة الى أهلها لقوله تعالى فليؤد الذى ائتمن أمانته ولقوله عليه الصلاة والسلام أد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك ومنها تولية المناصب والأعمال لاصحابها السادسة والثلاثون تحريم قتل النفس والجنايات عليها لقوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه الآية السابعة والثلاثون تحريم الفروج ومايجب فيها من التعفف لقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم أى أطهر ولحديث الصحيحين لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن الثامنة والثلاثون قبض اليد عن الأموال المحرمة ويدخل فيه تحريم السرقة وقطع الطريق وأكل الربا وأخذ الرشا وهدية القضاة ونحوهم من الحكام والتطفيف وكل مالا يستحقه شرعا لقوله تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وقوله تعالى وزنوا بالقسطاس المستقيم وقوله عليه الصلاة والسلام لعن الله الراشى والمرتشى والرائش بينهما التاسعة والثلاثون وجوب التورع عن المطاعم والمشارب والاجتناب عما لا يحل منهما كالميتة والخمر والنبيذ والحيوانات التى لا تؤكل لقوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية الآية ولقوله تعالى يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ولحديث عائشة كل شراب أسكر فهو حرام ولحديث من شرب الخمر فى الدنيا ثم لم يتب منها حرمها فى الآخرة وعن عبد الله بن ادريس قوله

كل شراب مسكر كثيره * من تمر أو من عنب عصيره

فانه محرم يسيره * إنى لكم من شره نذيره

الاربعون تحريم الملابس والزى (١) والأوانى وما يكره منها لحديث أنس من لبس الحرير يعنى فى الدنيا فليس يلبسه فى الآخرة ولحديث حذيفة الحرير والديباج وآنية الذهب والفضة لهم (٢) فى الدنيا ولكم فى الآخرة الحادية والأربعون تحريم الملاعب والملاهى المخالفة للشريعة ومنه التغنى المحظور ومنه ما يفعله المؤذنون فى المساجد ونحوها من التغنى بالأبيات المشتملة على ذكر الولدان والنساء ومنه دق الناى والعود وشبههما لقوله تعالى قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ولحديث مسلم من لعب بالنردشير فكأنما غمس يده فى لحم خنزير ودمه الثانية والاربعون الاقتصاد فى النفقة وتحريم الاسراف لقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولحديث مسلم نهى عن ثلاث قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال الثالثة والاربعون ترك الغل والحسد لقوله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد قال الحسن هو أول ذنب كان فى السماء وأول شئ كان فى الارض من ابنى آدم على ماقيل وعن الأحنف بن قيس خمس هن كما أقول لا راحة لحسود ولا مروءة لكذوب ولا وفاء لملول ولا حيلة لبخيل ولا سؤدد لسيئ الخلق وعن المبرد انه أنشد

عين الحسود عليك الدهر حارسة * تبدى المساوى والاحسان تخفيه

يلقاك بالبشر يلقيه مكاشرة * والقلب منكتم فيه الذى فيه

الرابعة والاربعون تحريم أعراض الناس ومايجب من ترك الوقيعة فيها لقوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا

(١) قوله والزى يعنى على الرجال كما تقدم اهـ منه (٢) لهم أى للكفار اهـ منه

وقوله تعالى إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة وقوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولحديث الصحيحين لا يرمى رجل رجلا بالفسق ولا يرميه بالكفر الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك الخامسة والاربعون اخلاص العمل لله عز وجل وترك الرياء لقوله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وعن عيسى عليه السلام اذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن لحيته (١) وليمسح شفتيه وليخرج الى الناس حتى كأنه ليس بصائم واذا أعطى بيمينه فليخفه عن شماله واذا صلى أحدكم فليسدل ستر بابه فانه تعالى يقسم الثناء كما يقسم الرزق (قلت) ولذا ذكر الفقهاء ان صلاة النوافل فى البيوت أفضل وعن ابن الاعرابى أخسر الخاسرين من أبدى للناس صالح أعماله وبارز بالقبيح من هو أقرب اليه من حبل الوريد السادسة والاربعون السرور بالحسنة والاغتمام بالسيئة لحديث جابر من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن السابعة والاربعون معالجة كل ذنب بالتوبة لقوله تعالى توبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون الثامنة والاربعون القرابين وهى الهدى والاضحية والعقيقة لقوله تعالى فصل لربك وانحر ولقوله تعالى والبدن جعلناها لكم من شعائر الله ولحديث الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من ضحى أضحية طيبة بها نفسه محتسبا الاضحية كانت له حجابا من النار ولحديث الولد مرهون بعقيقته فعليكم إخوانى بالتمسك بهذه الشعب فانها العروة الوثقى عند حسن المنقلب فسبحانه من اختار أقواما للافادة فصارت نهمتهم فى تحصيل الاستفادة ومازالت بهم الرياضة حتى تركوا العادة شغلتهم مخاوفهم عن كل غادة وأنالهم المقام الاسنى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة كل منهم قد هجر مراده وعلت هممهم فطلبوا السيادة وعاملوا محبوبهم يرجون وداده رفعوا مكتوب الحزن وجعلوا الدمع سداده للذين أحسنوا الحسنى وزيادة رفضوا الدنيا شغلا بالدين وسلكوا منهاج المهتدين وسابقوا سابق العابدين فصاروا أئمة للمريدين وقادة لو رأيتهم والليل قد سجى وقد أقبلوا الى باب المرتجى فلم يجدوا ذلك الباب (٢) مرتجا حلقوا فى ظلام الدجى على سهر الوسادة سبحان من أنعم عليهم وأفادهم وأعطاهم مناهم وزادهم ماذاك بارادتهم بل هو أرادهم سبقت ارادتهم تلك الارادة أجرى لهم أجر الابوازى ووهب لهم فى مفازة الخطر مفازا وأنجز موعدهم يوم اللقا انجازا وجازى عباده على سابق العبادة للذين أحسنوا الحسنى وزيادة اللهم يامن سبقت له بالخير والشر الارادة اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ووفقنا للطاعة والعلم والعبادة وثبتنا عند الموت على الشهادة واجعلنا من الفرقة الناجية التى هى للسنة منقادة واحفظنا من بدع أهل الاهواء فانها بئست العادة واحشرنا يوم الفزع الاكبر مع الصالحين والعلماء العاملين من أهل الشهادة

﴿المجلس الثالث والأربعون﴾

(فى شعب الايمان أيضا)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله المنفرد بالعز والجلال المتفضل بالعطاء والافضال مسخر السحاب الثقال مربى الزرع تربية الأطفال جل عن مثل ومثال وتعالى عن الكفر والخيال قديم لم يزل ولا يزال يتفضل بالانعام فان شكر زاد وان

(١) وهذا فى غير الفرض والا فلا رياء فى الفرائض وانما الاعمال بالنيات اهـ منه

(٢) قوله مرتجا أى مغلوقا اهـ منه

لم يشكر زال أحمده على كل حال وأشهد انه الواحد الأحد الكبير المتعال وان سيدنا محمدا عبده ورسوله أشرف من وعظ و بشر وأنذر وقال صلى الله تعالى عليه وسلم على ممر الأيام والليال وعلى صاحبه أبى بكر باذل النفس والمال وعلى عمر العادل فاجار ولامال وعلى عثمان الثابت للشهادة ثبوت الجبال وعلى أخيه وابن عمه على الذى نزل فيه و يطعمون الطعام فياله فخرلا ينال وعلى بقية القرابة والصحابة والتابعين ومن حاز شعب الايمان من النساء والرجال ﴿ أما بعد ﴾ فقد روى فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان (فنقول) و بالله تعالى التوفيق قد تقدم الكلام فى الدرس الماضى على كثير من هذه الشعب و بقى منها شعب يلزم بيانها فى هذا الدرس فسنذكرها لكم ان شاء الله تعالى فأما الشعبة التاسعة والاربعون فهى طاعة أولى الأمر لقوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم قيل هم أمراء السرايا وقيل هم العلماء ولحديث من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ومن يعص الأمير فقد عصانى ولحديث أبى ذر يا أباذر اسمع وأطع ولو عبدا حبشيا مجدع الاطراف الخمسون التمسك بما عليه الجماعة لقوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ولحديث مسلم من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية الحادية والخمسون الحكم بالعدل لقوله تعالى واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل الثانية والخمسون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لقوله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر وقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر الآية ولحديث أبى سعيد من رأى منكم منكرا فلينكره أو فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان الثالثة والخمسون التعاون على البر والتقوى لقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ولحديث المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا الرابعة والخمسون الحياء لحديث ان الحياء من الايمان والايمان فى الجنة وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم لأصحابه استحيوا من الله قالوا انا نستحيى الله تعالى يارسول الله والحمد لله قال ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله تعالى حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا وآثر الآخرة على الأولى فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله تعالى حق الحياء قال ومعنى أن تحفظ الرأس الخ أى ما حفظه من السمع والبصر واللسان فلا يستعملها الا فيما يحل وقوله والبطن وما حوى يريد لا يجمع فيه الا الحلال ولا يأكل الا الطيب أو يراد بحفظ الفرج والقلب والرجل وفى صحيح البخارى ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت الخامسة والخمسون بر الوالدين لقوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه احسانا وقوله تعالى اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما وقوله تعالى اشكر لى ولوالديك الى المصير وقوله عليه الصلاة والسلام أفضل الاعمال الصلاة لوقتها وبر الوالدين السادسة والخمسون صلة الارحام لقوله تعالى فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم ولحديث أنس من أحب أن يبسط له الرزق و ينسأ له فى أجله فليصل رحمه ولحديث جبير لا يدخل الجنة قاطع أى للرحم قال أبو حفص القزوينى ولا فرق بين أن يكون برا أو فاجرا السابعة والخمسون حسن الخلق و يدخل فيه كظم الغيظ ولين الجانب والتواضع لقوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقوله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ولحديث خياركم أحسنكم أخلاقا وفى رواية ان من أحبكم الى أحاسنكم أخلاقا الثامنة والخمسون الاحسان الى المماليك لحديث ان اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم

ما يغلبهم فأعينوهم عليه التاسعة والخمسون حق السادة على المماليك لحديث ابن عمران رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان العبد اذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله عز وجل فله أجره مرتين وفى سنن أبى داود العبد الآبق لا تقبل له صلاة حتى يرجع الى مولاه الستون حقوق الأولاد والاهلين وهو قيام الرجل على ولده وأهله وتعليمه إياهم من أمور دينهم ما يحتاجون اليه لقوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا الآية قال الحسن أى مروهم بطاعة الله وعلموهم الخير وقال على رضى الله تعالى عنه علموهم أدبوهم ولحديث أنس فى مسلم من عال جاريتين حتى يبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا وضم أصبعيه وليعلم انه ينبغى له أن يعلم ولده حرفة وصنعة يكتسب بها معيشته فان الرجل ينبغى له أن يعمل للدنيا وللآخرة الحادية والستون مقاربة أهل الدين ومودتهم وافشاء السلام (١) بينهم والمصافحة لهم ونحو ذلك من أسباب تأكيد المودة لقوله تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ولحديث أبى هريرة والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شئ اذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم وحديث أبى قتادة قال قلت لأنس رضى الله تعالى عنه أكانت المصافحة فى أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال نعم وحديث أبى هريرة ان الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى الثانية والستون رد السلام لقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ولحديث أبى سعيد الخدرى إياكم والجلوس فى الطرقات قالوا يارسول الله مالنا من مجالسنا بد نتحدث فيها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا أبيتم الا المجالس فأعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الثالثة والستون عيادة المريض لحديث البراء أمرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع أمرنا بعيادة المريض واتباع الجنائز ورد السلام وتشميت العاطس وابرار القسم ونصر المظلوم واجابة الداعى ونهانا عن حلقة الذهب أو قال خاتم الذهب وآنية الذهب والفضة الحديث ولحديث ثوبان عائد المريض فى غرفة الجنة قال القزوينى ولا فرق بين أن يكون برا أو فاجرا لكن ينبسط الى البر و ينقبض عن الفاجر الرابعة والستون الصلاة على من مات من أهل القبلة لحديث ثوبان من صلى على جنازة فله قيراط ومن شهد دفنها فله قيراطان القيراط مثل أحد الخامسة والستون تشميت العاطس لحديث مسلم عن أبى موسى رضى الله تعالى عنه اذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه واذا لم يحمد فلا تشمتوه السادسة والستون مباعدة الكفار والمفسدين والغلظة على الفاسقين لقوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ الآية وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق الآية ولحديث أبى هريرة إذا لقيتم المشركين فى طريق فلا تبدؤهم بالسلام واضطروهم إلى أضيقها وحديث أبى سعيد لا يأكل طعامك إلا تقى ولا تصحب إلا مؤمنا وليعلم أن مجاوزة الحد الذى حده الشارع عليه الصلاة والسلام ممنوعة فعدم موالاتهم وتعظيمهم ومحبتهم لا يستلزم الجور عليهم فقد وردت أخبار صحيحة فى عدم أذية أهل الذمة فلا تغفل السابعة والستون إكرام الجار لقوله تعالى والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب قيل فى التفسير ذى القربى الجار الملاصق والجار الجنب البعيد غير الملاصق والصاحب بالجنب الرفيق فى السفر وعن ابن عباس ومجاهد الجار ذى القربى الذى بينك و بينه قرابة والجار الجنب الأجنبى

(١) قوله وافشاء السلام والسلام هو باللسان فقد روى فى الجامع الصغير عن جابر لا تسلموا تسليم اليهود والنصارى فان تسليمهم اشارة بالكفوف والحواجب قال النووى وتحية المجوس الانحناء فلا يسلم الا باللسان الا اذا منع مانع كخرس وصلاة وصمم وتمام البحث فى شرح المناوى اه منه

عنك والصاحب بالجنب الرفيق فى السفر قيل والحضر وعن على وابن مسعود رضى الله تعالى عنهما الصاحب بالجنب المرأة وحديث عائشة رضى الله تعالى عنها مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت إنه سيورثه الثامنة والستون إكرام الضيف لحديث الصحيحين من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا وما جائزته قال يومه وليلته والضيافة ثلاث فما كان وراء ذلك فهو صدقة التاسعة والستون الستر على أصحاب الذنوب لقوله تعالى إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم وحديث ابن عمر فى الصحيحين المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة السبعون الصبر على المصائب وعما تنزع النفس إليه من لذة وشهوة لقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة إلا على الخاشعين قال مجاهد أراد بالصبر الصوم وقوله تعالى وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون وقوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وحديث ابن مسعود مامن مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه الاحت الله (١) عنه من سيآته كما تحت الشجرة ورقها الحادية والسبعون الزهد وقصر الأمل لقوله تعالى وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور وقوله تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون ولقد أحسن القائل

خبز وماء وظل * هذا النعيم الأجل

جحدت نعمة ربى * ان قلت انى مقل

الثانية والسبعون الغيرة وترك المذاء (٢) لقوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة وقوله تعالى وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن وحديث البخارى ان الله عز وجل يغار وان المؤمن يغار وغيرة الله أن يأتى المؤمن ما حرم الله عز وجل وحديث أبى سعيد الغيرة من الايمان وان المذاء من النفاق قال الحليمى هو أن يجمع بين الرجال والنساء ثم يخليهم يماذى بعضهم بعضا وأخذ من المذى وقيل هو ارسال الرجال مع النساء من قولهم مذيت الفرس اذا أرسلته ترعى الثالثة والسبعون الاعراض عن اللغو لقوله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون وقوله تعالى والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما واللغو هو الباطل الذى لا يعنيه ولا يكون لقائله فيه فائدة وربما كان وبالا عليه الرابعة والسبعون الجود والسخاء لقوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء ولما فى الصحيحين مامن يوم يصبح العباد الا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم ائت ممسكا تلفا الخامسة والسبعون رحم الصغير وتوقير الكبير لحديث مسلم من لا يرحم الناس لا يرحمه الله وحديث أبى داود من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا وحديث الصحيحين جعل الله تعالى الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل فى الأرض جزأ واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه السادسة والسبعون اصلاح ذات البين لقوله تعالى لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما وقوله تعالى انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم وحديث الصحيحين عن أم كلثوم بنت عقبة ليس الكذاب

(١) فى القاموس حته فركه وقشره فانحت وتحات والورق سقطت كانحتت وتحاتت اه منه

(٢) وفى القاموس والمذاء كسماء جمع الرجال والنساء وتركهم يلاعب بعضهم بعضا أوهو الديانة وأمذى قاد على أهله اه منه

الذى يصلح بين اثنين فيقول خيرا أو ينمى خيرا قالت ولم أسمعه عليه الصلاة والسلام يرخص فى شئ مما يقوله الناس كذبا الافى ثلاث الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها السابعة والسبعون ان يحب الرجل لأخيه المسلم ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه لحديث جرير بن عبد الله رضى الله تعالى عنه بايعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم قال أبو حفص القزوينى ويدخل فيها اماطة الأذى عن الطريق المشار اليه فى حديث أبى هريرة المتقدم أفضلها لا اله الا الله وأدناها اماطة الأذى عن الطريق اه ولنذكر ما يتعلق بهاتين الشعبتين فاما الشعبة الاولى فهى الاصل الراسخ والغصن الأعظم الشامخ لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وحديث الصحيحين عن أنس قال كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومعاذ رديفه على الرحل فقال يا معاذ قال لبيك يارسول الله وسعديك قال مامن عبد يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله الا حرمه الله على النار قال يارسول الله ألا أخبر بها الناس فيستبشرون قال اذا يتكلموا فأخبر بها معاذ عند موته تأثما (١) وفى الصحيحين عن عتبان بن مالك عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال إن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله وفى الصحيحين عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال مامن عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق قالها ثلاثا ثم قال فى الرابعة على رغم أنف أبى ذر فخرج أبوذر وهو يقول وان رغم أنف أبى ذر وعن أبى ذر قال أيضا قال قلت يارسول الله علمنى عملا يقربنى من الجنة ويباعدنى من النار قال إذا عملت سيئة فاعمل حسنة فانها عشر أمثالها قلت يارسول الله لا إله الا هو من الحسنات قال هى أحسن الحسنات وهى تمحو الذنوب والخطايا وعن أم هانئ عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا اله الا الله لا تترك ذنبا ولا يسبقها عمل وفى المسند ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاصحابه جددوا ايمانكم قالوا كيف نجدد ايماننا قال قولوا لا اله الا الله وفى المسند أيضا ان موسى عليه السلام قال يارب علمنى شيأ أذكرك وأدعوك به قال ياموسى قل لا اله الا الله قال يارب كل عبادك يقولون هذا قال قل لا اله الا الله قال لا اله الا أنت انما أريد شيأ تخصنى به قال ياموسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى والارضين السبع فى كفة ولا اله الا الله فى كفة مالت بهن لا اله الا الله وكذلك ترجح بصحائف الذنوب كما فى حديث السجلات والبطاقة وقد أخرجه الامام أحمد والنسائى والترمذى ومجمله انه يؤتى بسجلات شخص يوم القيامة عند وزن الأعمال وليس فيها حسنة ثم يؤتى ببطاقة فيها كلمة التوحيد فتوضع فى كفة الميزان فترجح تلك البطاقة على تلك السجلات ولها فضائل كثيرة ولقائلها حسنات وفيرة فنسأل الله تعالى ان يميتنا على شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأن يحشرنا عليهما ويجعلهما فى موازين حسناتنا انه أرحم الراحمين وأما الشعبة الأخيرة وهى اماطة الأذى عن الطريق فالمراد ازالة كل ما يؤذى المارين كالحجر والشوك والعظم والنجاسة والجيف والقشور وزيادة الرش وبيع المأكولات بوضعها فى الطرق والجلوس فيها ونحو ذلك مما يؤذى العابرين عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عرضت على أعمال أمتى حسنها وسيئها فوجدت فى محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق ووجدت فى مساوى أعمالها النخامة تكون فى المسجد لا تدفن وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال نزع رجل لم يعمل خيرا قط غصن شوك عن الطريق فشكر الله تعالى ذلك له فادخله الجنة وعن أبى ذر رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ليس من نفس ابن آدم الا عليها صدقة فى كل يوم طلعت فيه الشمس قيل يارسول الله من أين لنا صدقة فنتصدق بها فقال ان أبواب الخير لكثيرة التسبيح والتحميد

(١) تأثما أى خروجا من الاثم لانه علم مسئلة فلا يكتمها اه منه

والتكبير والتهليل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتميط الأذى عن الطريق وتسمع الاصم وتهدى الأعمى وتدل المستدل على حاجته وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف فهذا كله صدقة منك على نفسك وفى رواية وتبسمك فى وجه أخيك صدقة وليعلم ان من جملة اماطة الأذى عن الطريق قتل المؤذيات التى فيها كالكلب العقور والهوام المؤذية كالعقارب والحيات والوزغ وكرفع الجرصونات الخارجة من البيوت بغير وجه شرعى والساباطات ولاسيما المنخفضة المؤذية المارين ولنذكر بعض الأحاديث الواردة بذلك فقد روى عن سائبة رضى الله تعالى عنها انها دخلت على عائشة رضى الله تعالى عنها فرأت فى بيتها رمحا موضوعا فقالت ياأم المؤمنين ماتصنعين بهذا قالت أقتل به الأوزاغ فان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخبرنا ان ابراهيم عليه السلام لما ألقى فى النار لم تكن دابة فى الارض إلا أطفأت النار عنه غير الوزغ فانه كان ينفخ عليه فأمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقتله وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قتل حية فله سبع حسنات ومن قتل وزغا فله حسنة ومن ترك حية مخافة عاقبتها فليس منا وعن ابن عباس عنه عليه الصلاة والسلام من ترك الحيات مخافة طلبهن فليس منا ماسالمناهن منذ حاربناهن واختلف فى قتل الحيات قبل الانذار قال المنذرى ذهب طائفة إلى قتلها فى الصحارى والبيوت بالمدينة وغيرها وقالت طائفة تقتل الحيات أجمع إلا سواكن البيوت وقالت طائفة بنذر سواكن البيوت فان بدين بعد الانذار قتلن وماوجد منهن فى غير البيوت قتل بلا انذار وقال مالك يقتل ما وجد منها فى المساجد واستدل القائل بالانذار بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لهذه البيوت عوامر فاذا رأيتم منها شيأ فحرجوا عليها ثلاثا فان ذهب والا فاقتلوه أى فانه شيطان وروى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عن حيات البيوت فقال اذا رأيتم منهن شيأ فى مساكنكم فقولوا أنشدكم العهد الذى أخذ عليكم نوح أنشدكم العهد الذى أخذ عليكم سليمان أن لاتؤذونا فان عدن فاقتلوهن وقال مالك يكفيه أن يقول أحرج عليك بالله واليوم الآخر ان لاتبدو لنا ولاتؤذينا انتهى باقتصار فعليكم عباد الله بالتمسك بشعب الايمان لتنجوا من النيران وتفوزوا بالجنان فيامن يؤمر بما يصلحه فلايقبل أما الشيب نذير بالموت قد أقبل أما أنت الذى عن أفعالك تسئل أما أنت تخلو فى اللحد بما تعمل ستعلم يوم الحساب عند العتاب من يخجل يامبادرا بالخطا توقف ولاتعجل ياغافلا فى بطالته يامن لايفيق من سكرته أين ندمك على ذنوبك أين حزنك على عيوبك الى متى تؤذى بالذنب لنفسك وتضيع يومك تضييع أمسك لامع الصادقين لك قدم ولامع التائبين لك ندم هلا بسطت فى الدعاء يدا سائلة وأجريت فى السحر دموعا سائلة

خدعتنا زخارف الآمال * فلهينا بها عن الآجال

نحن سفن وانما أمهلتنا * ريثما تستعد للترحال

أسفا لمن اذاربح العاملون خسر واذا أطلق المتقون أسر من له اذا خوصم ينتصر ونسى يوم الرحمة فاذكر فالجد الجد أيها الغافل فايام العمر كلها قلائل لو رأيت العصاة والكرب يغشاهم والندم قد أحاط بهم وكفاهم والأسف على مافاتهم قد أضناهم يتمنون العافية وهيهات مناهم فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم نزل بهم المرض فألقاهم كالحرض (١) فانكف أملهم وانقبض وانعكس عليهم الغرض ورجمهم فى صرعتهم من عاداهم فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم لتمنون عند الموت راحة ويشتهون عند الكرب استراحة ويناقشون على الخطا ولاسماحة وهم كطائر قص جناحه فى حبس الفزع والكرب يغشاهم فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم ألم أسفهم أشدما فى العلة وتحسرهم على كل مامضى من زلة وجبل ندمهم قد نطق كانه ظلة فلو رأيتهم بعد التكبر

(١) المريض والهالك اه منه

عادوا أذلة وتملك أموالهم بعدهم سواهم فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم مانفعهم ماتعبوا لتحصيله وجالوا ولا ردعنهم ماجمعوا واحتالوا جاء المرض فأذلهم بعد أن صالوا فاذا قال العائد لأهليهم كيف باتوا قالوا إن السقم قدوهاهم فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم فالبدار البدار قبل الفوات والحذار الحذار من يوم الغفلات قبل أن يقول المذنب رب إرجعون ويقال فات ويح الغافلين عنا ماأعماهم فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم نبهنا الله تعالى واياكم من هذه الرقدة وذكرنا الموت ومابعده وصلى الله تعالى على سيدنا محمد والنبيين وآله وصحبه أجمعين

﴿ المجلس الرابع والاربعين ﴾

(فى ولادته عليه الصلاة والسلام)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى ألبس المتقين لباس التقوى وتولى حفظ ملبسهم وآنس العارفين أنسا حلوا فاشتغلوا بمؤنسهم وكان مع الصابرين لطيفا فياطيب مجلسهم وابتعث محمدا بالفصاحة فعاد قسهم كاخرسهم فعارضه مسيلمة فكان فى المعارضة من أنجسهم فكادوه وبالغوا فأصبح أبوجهل من أبخسهم فرماه كل المعادين على الدين فعادت عليهم أسهم أقوسهم فقلب رؤساءهم فى القليب على وجوههم ورؤسهم ولقد كانوا يعرفون أصله ونسبته وانه منذ نشأ فيهم من أنفسهم ويكفيهم لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم فصلى الله عليه وعلى صاحبه أبى بكر الذى كان فى الانقياد من أسلسهم وعلى عمر قاهر الأكاسرة على شدة شوسهم وشرسهم (١) وعلى عثمان الذى هو من أرفقهم وأكيسهم وعلى على محبوب أهل السنة ومقدسهم وعلى سائر آله وأصحابه المجاهدين للكفار والماحين لرجسهم وسلم تسليما ﴿أمابعد﴾ فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه العزيز لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين (فنقول) وبالله تعالى التوفيق قال المفسرون لقد من الله على المؤمنين أى أنعم وتفضل عليهم وخصهم بالذكر لكونهم المنتفعين ببعثته والا فهو رحمة لكافة العالمين وقوله تعالى من أنفسهم أى من نسبهم أو من جنسهم عربيا مثلهم أو من بنى آدم لاملكا ولاجنيا وقرئ من أنفسهم بفتح الفاء أى من أشرفهم لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم من أشرف القبائل وبطونها وهو أمر معلوم ينبغى اعتقاده لكل مؤمن قال الوالد عليه الرحمة وقد سئل الشيخ ولى الدين العراقى هل العلم بكونه صلى الله تعالى عليه وسلم بشرا ومن العرب شرط فى صحة الايمان أومن فرض الكفاية فأجاب بانه شرط فى صحة الايمان ثم قال فلو قال شخص أومن برسالة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الى جميع الخلق لكن لاأدرى هل هو من البشر أومن الملائكة أومن الجن أولاأدرى هل هو من العرب أومن العجم فلاشك فى كفره لتكذيبه القرآن وجحده ماتلقته قرون الاسلام خلفا عن سلف وصار معلوما بالضرورة ولاأعلم فى ذلك خلافا فلو كان ذلك غبيا لايعرف ذلك وجب تعليمه اياه فان جحده بعد ذلك حكمنا بكفره انتهى وهل يقاس اعتقاد أنه عليه الصلاة والسلام من أشرف القبائل على ذلك فيجب ذلك فى صحة الاسلام أولا يقاس فيه تأمل انتهى اذا علمت ذلك فهو

(١) قوله شوسهم الشوس بالشين المعجمة وبعدها واو وسين مهملة النظر بمؤخر العين تكبرا أوتغيظا والشرس بالشين المعجمة وبعدها راء وسين مهملتين سوء الخلق وشدة الخلاف والأشرس الجرىء فى القتال ويقال جمل لم يشرس لم يرض وأرض شرساء شديدة اه منه

عليه الصلاة والسلام النبي العربي الأبطحي الهاشمي القرشي سيد العالمين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسمه شيبة الحمد أو اسمه عامر ابن هاشم واسمه عمرو وانما سمي هاشما لانه كان يهشم الثريد لقومه ابن عبد مناف واسمه المغيرة ابن قصي تصغير قصا أي بعدا بن كلاب واسمه حكيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر واسمه قريش واليه تنسب قريش فما كان فوقه فكناني لا قرشي ابن مالك بن النضر واسمه قيس ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بكسر الهمزة أو بفتحها ويذكر انه كان يسمع في صلبه تلبية النبي عليه الصلاة والسلام بالحج بن مضر بن نزار بكسر النون ابن معد بن عدنان ولله تعالى در القائل

وكم أب قد علا بابن ذرا شرف * كما علت برسول الله عدنان

وأما أمه عليه الصلاة والسلام فهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ابن فهر قال في المواهب اللدنية انه لما تعلقت ارادة الحق تعالى بايجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية وأعلمه سبحانه بنبوته وآدم عليه السلام لم يكن الا بين الروح والجسد أخرج مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان الله تعالى كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء ومن جملة ما كتب في الذكر وهو أم الكتاب ان محمدا خاتم النبيين وروى الامام أحمد والبيهقي عن العرباض بن سارية عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اني عند الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته أي طريح ملق في الأرض قبل نفخ الروح فيه وعن ميسرة الضبي قال قلت يارسول الله متى كنت نبيا قال وآدم بين الروح والجسد أخرجه الامام أحمد وقال الحنبلي الحموي زاد الحافظ البيهقي في رواية ان آدم عليه السلام قال أسألك بحق محمد الا ما غفرت لي فقال انه لأحب الخلق الي واذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك وهو آخر الأنبياء من ذريتك وفي ذلك قال ابن جابر

به قد أجاب الله آدم اذ دعا * ونجى في بطن السفينة نوح
وما ضرت النار الخليل لنوره * ومن أجله نال الفداء ذبيح

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنه مرفوعا ان الله خلق السموات سبعا فاختار العليا منها فأسكنها من شاء من خلقه ثم خلق الخلق فاختار منهم بني آدم واختار من بني آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بني هاشم واختارني من بني هاشم فأنا خيار من خيار وروى الطبراني عن ابن عمر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بني آدم ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختارني من العرب فلم أزل خيارا من خيار ألا من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم وما أحسن ما أنشديه لنفسي الفاضل المرحوم عبد الباقي أفندي الفاروقي الموصلي قوله

تخيرك الله من آدم * ولولاك آدم لم يخلق
بجبهته كنت نورا مضيئا * كما ضاء تاج على مفرق
لذلك ابليس لما أبى * سجودا له بعد طرد شقي
ومع نوح اذ كنت في فلكه * مجاوبن فيه لم يغرق
وخلل نورك صلب الخليل * فبات وبالنار لم يحرق
ومنك التقلب في الساجدين * به الذكر أفصح بالمنطق
بمثلك ارحامها الطاهرات * من النطف الغر لم تعلق
سواك مع الرسل في ايليا(١) * مع الروح والجسد لم يلتق

(١) قوله في ايليا أي بيت المقدس اه منه

بجئت من الله في أخذه * لك العهد منهم على موثق
وفي الحشر للحمد ذاك اللواء * على غير رأسك لم يخفق
لقد رمقت بك عين العمى * وفي غير نورك لم ترمق
فيا لاحقا قط لم يسبق * ويا سابقا قط لم يلحق
تصوبت من صاعد هابطا * الى صلب كل تقي نقي
فكان هبوطك عين الصعود * فلا زلت منحدرا ترتقي

وروى عن علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه انه قال لم يبعث الله تعالى نبيا من آدم فمن بعده الا أخذ عليه العهد في محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه وقيل ان الله تعالى لما أن خلق نور نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أمره ان ينظر الى أنوار الأنبياء عليهم السلام فغشيهم من نوره ما أنطقهم الله تعالى به وقالوا يا ربنا من غشينا نوره فقال الله تعالى هذا نور محمد بن عبد الله ان آمنتم به جعلتكم أنبياء قالوا آمنا به وبنبوته فقال الله عز وجل أشهد عليكم قالوا نعم فذلك قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين قال الشيخ تقي الدين السبكي في هذه الآية الشريفة من التنويه بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيم قدره العلي ما لا يخفى وفيه مع ذلك انه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلا إليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم الى يوم القيامة وتكون الأنبياء عليهم السلام وأممهم كلهم من أمته عليه أفضل الصلاة والسلام ويكون قوله وبعثت الى الناس كافة لا يختص به الناس من زمانه الى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم أيضا ويتبين بذلك معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كنت نبيا وادم بين الروح والجسد ثم قال فاذا عرفت هذا فالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم نبي الأنبياء ولهذا اظهر ذلك في الآخرة لجميع الأنبياء عليهم السلام تحت لوائه عليه الصلاة والسلام وفي الدنيا كذلك في ليلة الاسراء صلى بهم ولو اتفق مجيئه في زمنهم لوجب عليهم وعلى أممهم الايمان به انتهى وروى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله الانصاري قال قلت يارسول الله بابي أنت وأمي أخبرني عن أول شئ خلقه الله تعالى قبل الأشياء قال يا جابر ان الله خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا انسي فلما أراد الله تعالى أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول حملة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملائكة ثم قسم الجزء الرابع أربعة أشياء فخلق من الأول السموات ومن الثاني الارضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الاول نور أبصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله الحديث وذكر الحافظ ابن عبد البر ان عبد المطلب جد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بينما هو نائم في الحجر انتبه مذعورا قال العباس فتبعته وأنا يومئذ غلام أعقل ما يقال فاتى كهنة قريش فقال رأيت كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهري ولها أربعة أطراف طرف قد بلغ مشارق الارض وطرف قد بلغ مغاربها وطرف قد جاوز عنان السماء وطرف قد جاوز الثرى فبينما أنا أنظر اليها عادت شجرة خضراء لها نور فبينما أنا كذلك قام علي شيخان فقلت لاحدهما من أنت قال أنا نوح نبي رب العالمين وقلت للآخر من أنت قال ابراهيم خليل رب العالمين ثم انتبهت قالوا ان صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك نبي يؤمن به أهل السموات وأهل

الارض ودلت السلسلة على كثرة اتباعه وأنصاره وقوتهم لتداخل حلق السلسلة ورجوعها شجرة يدل على ثبات أمره وعلو ذكره وسيهلك من لم يؤمن به كما هلك قوم نوح وستظهر به ملة ابراهيم وعلى هذا وقعت اشارة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوم خيبر حيث قال

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

كانه يقول أنا ابن صاحب تلك الرؤية مفتخرا بها لما فيها من علم نبوته وعلو كلمته قال ابن هشام في سيرته وزوج عبد المطلب ابنه عبد الله وكان أعز أولاده بآمنة بنت وهب فحملت بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت تحدث انها أتيت حين حملت بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل لها انك قد حملت بسيد هذه الأمة فاذا وقع الى الارض فقولي أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمدا ورأت حين حملت به انه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن توفي وأم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حامل به واختلف العلماء رضي الله تعالى عنهم كم أقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حملا في بطن أمه فقيل تسعة أشهر وقيل عشرة وقيل ستة وقيل سبعة وقيل ثمانية وتوفي أبوه عبد الله وهو حمل وقال الواقدي وكاتبه محمد بن سعد لا يثبت انه توفي وهو حمل بل توفي بعد ولادته بسبعة أشهر والله تعالى أعلم وقال العلامة ابن رجب في اللطائف واختلفوا في أي شهر فقيل في شهر رمضان وقيل في رجب ولا يصح وقيل في ربيع الاول وهو المشهور وهو قول الجمهور والصحيح الذي عليه الجمهور انه ولد يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول وهو قول ابن اسحق وغيره انتهى وكان ذلك لعشر مضت من نيسان وقيل في الحادي (١) والعشرين منه وذلك بالعفر من المنازل ولذا قيل

خير المنازل في الابد * بين الزبانا والاسد

وهو مولد النبيين وروى عن سهل بن عبد الله قال لما أراد الله عز وجل خلق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم في بطن أمه آمنة في شهر رجب أمر في تلك الليلة رضوان خازن الجنان ان يفتح باب الفردوس الأعلى وينادي مناد في السموات والارض ألا ان النور المخزون الذي يكون منه النبي الهادي العربي القرشي التهامي محمد في هذه الليلة يستقر في بطن أمه آمنة فعلى هذا تكون مدة حمله تسعة أشهر والله تعالى أعلم وفي كتاب السنن للقاضي عياض رحمه الله تعالى ان الشفاء قابلة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما سقط على يديها سمعت باذنيها قائلا يقول يرحمك ربك ورأت بعينيها انه آضاء لها ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور الشام وولد عليه الصلاة والسلام مسرورا أي مقطوع السرة مختونا وقيل بل ختنه جده عبد المطلب يوم سابعه وقيل ختن يوم شق الملائكة قلبه عند حليمة رضي الله تعالى عنها وقال في عقد الدرر أيضا قالت آمنة ولدته جاثيا على ركبتيه ينظر الى السماء ويشير اليها ثم قبض قبضة من الارض وأهوى ساجدا فغطيته ببرمة لئلا يراه أحد قبل جده أو قالت باناء فانفلق عنه واذا به يمص ابهامه وهو يشخب لبنا وسمعت قائلا يقول أبشري يا آمنة فقد ولدت سيد هذه الأمة وذكر القاضي جمال الدين بن أبي الدم رحمه الله تعالى ان آمنة قالت حين ولدت محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم خرج ساجدا رافعا رأسه وأصبعه نحو السماء وخرج معه نور ملأ البيت ودنت النجوم منه حتى ظننت انها تسقط على الأرض وقد ولد عليه الصلاة والسلام عام الفيل في مكة زادها الله تعالى شرفا في أيام كسرى أنوشروان فارتعد ايوانه وانشقت منه حيطانه وسقطت منه أربعة عشر شرافة بعدد من سيملك منهم من سلطان وخمدت نار فارس وغاض وادي سماوة وغاضت بحيرة ساوة ولله تعالى در الفاروقي عليه الرحمة حيث يقول في تخميسه

---

(١) تأمل هل هو الحادي أو الخامس أو السادس وحرر اه

في كتاب الزبور نعتك يتلى * وبلوح التوراة وصفك يملى
وبنص الانجيل قد صح نقلا * ما مضت فترة من الرسل الا
* بشرت قومها بك الانبياء *

ان خير القرون قرنك ينمو * منه فضل كل الدهور يعم
بك يزهو عام وشهر ويوم * تتباهى بك العصور وتسمو
* بك علياء بعدها علياء *

جئت للخلق رحمة يا رحيم * فحبا الناس منك فضل عميم
كيف يخشى بوجدان فقد عديم * وبدا للوجود منك كريم
* من كريم آباؤه كرماء *

كل صدر منهم بنحر علاه * عقد مجد في الجيد ما أحلاه
حسب فاخر علينا تلاه * نسب تحسب العلا بحلاه
* قلدتها نجومها الجوزاء *

ان آبائك السراة سوار * أنت قطب وهم عليك سوار
عقدتهم سمطا بنان اقتدار * حبذا عقد سودد ونخار
* أنت فيه اليتيمة العصماء *

لك فرق حكى الصباح وضيء * منك إذ شرف الوجود مجيء
أنت بدر من الخسوف بريء * ومحيا كالشمس منك مضيء
* أسفرت عنه ليلة غراء *

نجم مجد بدا بطالع سعد * فاستوى الليل والنهار بوقد
هل علمتم ما ليلة القدر عندي * ليلة المولد الذي كان للدي
* ن سرور بيومه وازدهاء *

حيث جبريل بالسموات مجد * يعلن البشر في ولادة أحمد
سمعت أمه ابشري بمحمد * وتوالت بشرى الهواتف أن قد
* ولد المصطفى وحق الهناء *

روي ان أمه آمنة أرضعته ثلاثة أيام وقيل سبعة أيام وقيل أرضعته ثويبة جارية عمه أبي لهب أياما قبل قدوم حليمة وفي اسلام ثويبة قولان وأرضعته أم أيمن واسمها بركة جارية أبيه عبد الله ومن مراضعه خولة بنت المنذر فهذه ثلاث مراضع والرابعة المشهورة بالرضاعة التي حصلت لها السعادة بكثرة الضراعة حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية رضي الله تعالى عنها فانها أسلمت وآمنت به بعد نبوته ومن قصتها المشهورة التي ذكرها العلماء من أصحاب المغازي والسير ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم استرضع من حليمة السعدية بعد مولده بسبعة أيام قالت حليمة خرجت من بلدي مع زوجي وابن لي رضيع في نسوة من بني سعد ذوات حال فطيع نلتمس الرضعاء من ذوات البيوت في سنة شهباء لم تبق لنا شيأ من القوت على أتان لي قمرة أركبها ومعنا شارف لنا من النوق نجد بها قد هزلت من الجوع بعد السمن وهي والله ما تبض بقطرة لبن حتى قدمنا مكة أشرف البلاد ومأوى العباد من العباد فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها ذو الوجه الوسيم فتأباه إذا قيل لها انه يتيم فلما أجمعنا على الانطلاق وحصل منا على العزم الاتفاق قلت لصاحبي لأذهبن الى أخذ ذلك اليتيم فلهو سيد حسيب كريم فذهبت اليه

راجية خيره لانى لم أجد طفلا غيره فلما أخذته ووضعته فى حجرى أقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن فشرب هو وأخوه وهدأ وسكن وشارفنا اذا بها حافل وقد أخصب ثديها الماحل فحلب زوجى منها وشرب حتى كدنا من الشبع والرى نضطرب وسارت أتانى مسرعة فى العودة بخلاف الصفة المعودة فقلن لها يا ابنة أبى ذؤيب أما هذه أتانك التى كانت معنا فأقول نعم فيقلن ان لها الشأنا وكانت غنمنا تروح شباعا البنا وأغنام الحى تغدو بهزال وعنا قالت حليمة فلم يزل الله تعالى البركة حتى بلغ سنتيه وكان يشب شبابا لاتشبه الغلمان فلما بلغ السنتين كان غلاما جفرا والجفر الجذع من الغنم ماله أربع سنين وقيل فيه ذلك لانه كان كمن بلغ تلك السنين وروى البيهقى رحمه الله تعالى فى دلائل النبوة عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كانت حليمة تحدث انها لما فطمت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تكلم قال فسمعته يقول كلاما عجيبا سمعته يقول الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ويروى عن الشيماء أخته من الرضاعة انها كانت تحمل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وترقصه وتقول محمد خير البشر ممن مضى ومن غبر أحسن من وجه القمر من كل أنثى وذكر وكل منسوب أغر ويروى أن حليمة ردته صلى الله تعالى عليه وسلم بعد انقضاء سنتيه قالت فقدمنا على أمه ومكة وبئة فقلنا دعى ابنى عندى حتى يشتد عود شجرته فانى أخشى عليه من وباء مكة وكثرته فلم تزل حتى سمحت برده معنا رحمة من الله تراد بنا فرجعنا به فرحين وعدنا مسرورين منشرحين قالت فمكث عندنا بعد عوده شهرين أو ثلاثة وقال ابن قتيبة أقام عندهم خمس سنين فبينما هو يلعب مع الغلمان خلف البيوت اذ جاء أخوه يشتد فقال لى ولأبيه أدركا أخى القرشى فقد جاء رجلان فأضجعاه وشقا بطنه فخرجنا نشتد نحوه فانتهينا اليه وهو قائم منتقع لونه فاعتنقته واعتنقه أبوه وقال مالك يابنى قال أتانى رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعانى وشقا بطنى ووالله ما أدرى ماصنعا وفى رواية انه عليه الصلاة والسلام قال جاءنى ثلاثة رهط معهم طشت من ذهب قد ملئ ثلجا فعمد أحدهم فأضجعنى اضجاعا رفيقا ثم شق مابين مفرق صدرى الى منتهى عانتى ولم أجد لذلك ألما ثم أخرج أحشاء بطنى فغسلها بماء وثلج فأنعم غسلها ثم ردها الى مكانها ثم جاء آخر فأخرج من قلبى مضغة سوداء فرمى بها واذا بيده خاتم النبوة من نور فختم به قلبى فامتلأ نورا ثم رده الى مكانه فوجدت برد الخاتم فى قلبى دهرا ثم أمر الثالث يده على صدرى فالتأم ذلك الشق باذن الله تعالى ثم أخذ بيدى فانهضنى ثم قال لصاحبه زنه واجعله فى كفة واجعل ألفا من أمته فى كفة ففعل وأنا أنظر الى الألف فرجحت عليهم فانطلقا وهما يقولان أو قال فانطلقوا وهم يقولون لولا ان أمته وزنت به لرجحهم ثم أقعدونى وقبلوا رأسى وقالوا يا حبيب الله لاترع انك لاتدرى ماذا يراد بك أو منك لو علمت لقرت عيناك قال فبينما نحن كذلك واذا بالحى قد أقبلوا بحذافيرهم واذا بأمى وظئرى يعنى حليمة تهتف فى أوائلهم وتقول بأعلا صوتها يا ضعيفاه فقال أحدهم حبذا أنت من ضعيف فقالت يا يتيماه فقال آخر حبذا أنت من يتيم وأخذتنى وضمتنى الى صدرها وجعلت تقول استضعفت من بين أترابك وتبكى فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والذى نفسى بيده انى لفى حجرها وان يدى فى بعض يد القوم وأنا التفت اليهم أظن أن القوم يبصرونهم فقال بعض أهل الحى هذا الغلام قد أصابه لمم فانطلقوا به الى الكاهن لينظر اليه فذهبوا بى الى الكاهن فسألنى عن قصتى فأخبرته فضمنى الى صدره وصاح بأعلا صوته يامعاشر العرب اقتلوه واقتلونى معه فواللات والعزى لئن تركتموه ليبدلن دينكم فصاحت أمى انظر لنفسك قاتلا غيرنا فان ولدنا ما به مما قلت شئ ولقد شبه عليك قالت حليمة فاحتملناه ورجعنا به وقال زوجى يا حليمة والله ما أرى الغلام الا قد أصيب فانطلق لنرده الى أمه قبل أن يظهر به ماتخوف عليه فرجعنا الى أمه فقالت ماردكما به وقد كنتما حريصين عليه فقلنا لها قد كفلناه وأدينا ماعلينا من الحق ثم خفنا عليه الاحداث فقالت والله ماذاك بكما فأخبرانى خبره فأخبرناها فقالت أتخوفتما عليه والله ان لابنى هذا شأنا وأخرج ابن سعد

عن ابن عباس وعن الزهرى وعن عاصم بن عمر قالوا لما بلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ست سنين خرجت به أمه الى أخواله بنى عدى بن النجار بالمدينة تزورهم ومعه أم أيمن فنزلت به دار النابغة فأقامت عندهم شهرا وتعلم العوم (١) فى بئر بنى عدى بن النجار فلما كانت أمه بالابواء توفيت وقد اختلف فى نجاتها والبحث مشهور ولقد أحسن الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقى حيث قال

حبى الله النبى مزيد فضل * على فضل وكان به رؤفا
فأحيا أمه وكذا أباه * لايمان به فضلا لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير * وان كان الحديث به ضعيفا

وقد كانت أم أيمن بركة دايته وحاضنته بعد موت أمه وكان يقول عليه الصلاة والسلام لها أنت أمى بعد أمى ثم توفى جده عبد المطلب وله ثمان سنين وعمره مائة وعشرون سنة وقيل أكثر وكفله أبو طالب عمه واسمه عبد مناف وكان عبد المطلب قد أوصاه بذلك لكونه شقيق عبد الله ولما بلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثنتى عشرة سنة خرج معه عمه أبو طالب الى الشأم حتى بلغ بصرى فرآه بحيرة الراهب فعرفه بصفته فقال وهو آخذ بيده هذا سيد العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقيل له وما علمت بذلك فقال انكم حين أشرفتم به من العقبة لم يبق شجر ولا حجر الاخر ساجدا ولا تسجد الا لنبى وانى أعرفه بخاتم النبوة فى أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة وانا نجده فى كتبنا وسأل أبا طالب أن يرده خوفا عليه من اليهود الحديث وفيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم أقبل وعليه غمامة تظله قال ابن الجوزى وكانت آيات النبوة تظهر عليه قبل النبوة فكان يرى النور والضوء ولا يمر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يارسول الله وقال انى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث انى لأعرفه الآن ثم رميت الشياطين بالشهب لبعثه ولما بلغ صلى الله تعالى عليه وسلم من العمر خمسا وعشرين خرج مع ميسرة فى تجارة خديجة بنت خويلد رضى الله تعالى عنها ونزل تحت شجرة ورأى نسطور الراهب وقال مانزل تحت هذه الشجرة قط الا نبى وقال لميسرة لاتفارقه فهو خاتم النبيين وكان ميسرة اذا اشتد الحر فى الهاجرة يرى ملكين يظلانه ولما رجع من سفره عليه الصلاة والسلام طلبت خديجة رضى الله تعالى عنها ان يتزوجها لما علمت من أمانته وحسن خلقه وصدق حديثه ولما أخبرها ورقة بن نوفل بأنه عليه الصلاة والسلام نبى هذه الامة للامارات التى فيه فتزوجها عليه الصلاة والسلام وولدت له القاسم ومات ابن سنتين وعبد الله ويسمى الطيب والطاهر وقيل هما غيره وزينب وفاطمة الزهراء ورقية وأم كلثوم وأما ابراهيم فانه من مارية وكلهم ماتوا قبله الا فاطمة على أبيها وعليها الصلاة والسلام فانها عاشت بعده ستة أشهر ومن مناقب خديجة كما فى الصحيح ان جبريل جاء الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هذه خديجة اقرئها من ربها السلام ومنى وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لاصخب فيه ولا نصب ولم يتزوج عليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى ماتت ولما أتت عليه أربعون سنة بعثه الله تعالى نبيا وجاءه جبريل نجيا وأنزل عليه القرآن وتوالت معجزاته الظاهرة للعيان منها ان الماء نبع من بين أصابعه وكثرة الطعام ببركته وتكليم الحجر له وحن الجذع وشكاية البعير اليه وتكليم الذراع المسموم من الشاة والاخبار عن كثير من المغيبات وانشقاق القمر والمعراج ثم من بعد نحو عشر سنوات هاجر الى المدينة المنورة وبها كانت الوفاة كما هو مفصل فى الكتب المطولات وكان صلى الله تعالى عليه وسلم أجود الناس وأصدقهم لهجة وأكرمهم عشيرة وأشجعهم قلبا وأعلاهم لبا وأحسنهم خلقا وأبهاهم خلقا كان وجهه القمر ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير أدعج العينين واضح الجبين دقيق العرنين أقنى الانف أسيل الخدين يرى فى الظلماء كما يرى فى الضوء

---

(١) قوله العوم أى السباحة اه منه

فصيح اللسان سريع البيان ولقد أحسن البوصيرى حيث يقول

فهو الذى تم معناه وصورته * ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم
منزه عن شريك فى محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم
فمبلغ العلم فيه أنه بشر * وأنه خير خلق الله كلهم

فالحمد لله الذى جعلنا من أتباع هذا النبى الكريم الأمين والرسول الرؤف الرحيم المرسول رحمة للعالمين فطوبى لمن آمن به وصدقه وويل لمن كذبه وشاققه وسبحان من أيقظ المتقين وخلع عليهم خلع اليقين وألحقهم بتوفيقه فى السائقين فباتوا فى حلبات الجد مسابقين كلما أذهب الاعمار طلوعهم وغروبهم سالت من الاجفان جزعا غروبهم وكلما لاحت لهم فى مرآت الفكر ذنوبهم تجافت عن المضاجع جنوبهم وكلما نظروا فساءلهم مكتوبهم وجلت قلوبهم دموعهم على الدوام تجرى وعزتى لاربحن فى معاملتى تجرى عظمت قدرنى فى صدورهم وقدرى فاستعاذوا بوصالى من هجرى عاملوا معاملة من يفهم ويدرى فنومهم على فراش القلق وهبوبهم اذا ذكر الله وجلت قلوبهم أموات عن الدنيا مادفنوا غمضوا عنها عيونهم وحزنوا ولو فتحوا أجفان الشره لفتنوا باعوها بمايبقى فلا والله ماغبنوا تالله لقد حصل مطلوبهم اذا ذكر الله وجلت قلوبهم حبسوا النفوس فى سجن المحاسبة وبسطوا عليها ألسن المعاتبة ومدوا نحوها أكف المعاقبة ويحق ذلك لمن بين يديه المناقشة والمطالبة فارتفعت بالمعاينة غيوبهم اذا ذكر الله وجلت قلوبهم شاهدوا الأخرى باليقين كرأى عين فباعوا العقار وأخرجوا العين وعلموا بمقتضى الدين ان التقى دين فدنياهم خراب وآخرتهم على الزين قنعوا بكسرتين وجرعتين هذا مأكولهم وهذا مشروبهم اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فنسألك اللهم أن تصلى على سيدنا محمد صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات وتقضى لنا بها جميع الحاجات وتطهرنا بها من جميع السيآت وترفعنا بها عندك أعلا الدرجات وتبلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات فى الحياة وبعد الممات اللهم أحينا على ملته وتوفنا على سنته وعلى كمال حبك وحبه وحب آله وصحابته واجعلنا عند السؤال ثابتين وممن يأخذ الكتاب باليمين واجعلنا يوم الفزع الأكبر آمنين ونجنا بعفوك وحلمك من العذاب الأليم وأوصلنا وآباءنا وأمهاتنا برحمتك وكرمك الى جنات النعيم وارحم اللهم أقاربنا ومشايخنا ومن له حق علينا وكافة المسلمين الاحياء والميتين اللهم إنا نسألك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة اللهم استرنا بسترك الجميل فى الدارين وبارك لنا فى جميع ما أعطيتنا وقر برؤيتك فى الجنة منا العين وصل وسلم على كافة الانبياء والمرسلين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

﴿ المجلس الخامس والأربعون ﴾

(فى وفاته عليه الصلاة والسلام)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله مذكر المنهمكين فى شهواتهم بالمقابر ومنبه الراقدين فى غفلاتهم بالزواجر كاشف العواقب للعقلاء فاللبيب يرى الآخر الذى اختار محمدا من الخلق فكان الكل خلقوا من أجله هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله أحمده على أجل الانعام وأقله وأشهد بوحدانيته شهادة مصدق قوله بفعله وأن محمدا عبده ورسوله أرسله لنقض الكفر وحله فسبحانه من إله خلق آدم بيد قدرته وأسجد له جميع ملائكته وأسكنه فى جنته وحكم بالموت عليه وعلى ذريته وقال لنبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يخبره بقضيته كل نفس ذائقة الموت فأبلغ فى تسليته ونجى نوحا من الطوفان وأغرق مخالفيه صيانة لاهل

الايمان وقضى بالموت على الانس والجان فقال لنبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كل من عليها فان واتخذ الله ابراهيم خليلا ووفقه وسدده وأراه ملكوت السموات والارض وأشهده وفوق اليه سهام الموت المرصدة وقال لحبيبه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اذا علمه بحاله وأبده أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة واختار موسى نجيا وأسمعه كلامه وبلغه من لذيذ خطابه قصده ومرامه وأنفذ فيه من الموت سهامه وقال لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة وخلق عيسى من غير أب بلاشك ولاغى فابرأ الأكمه والأبرص باذنه وأعاد الميت من قبره حى وقال لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبارا عن عيسى عليه السلام ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى واصطفى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم النبى العربى الامين المأمون صاحب الجاه العريض والعرض المصون ومع هذا القرب والمنزلة التى لايصل اليها الواصلون نعى اليه نفسه الكريمة وأنذره ريب المنون وسلاه بمن مات من قبله من المرسلين فقال فى كتابه المكنون انك ميت وانهم ميتون صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين قضوا بالحق وبه يعدلون لاسيما على أبى بكر الصديق الذى هو فى الغار خير رفيق وعلى عمر بن الخطاب الذى نزل على لسانه الكتاب وعلى عثمان مصابر البلاء ومن نال الشهادة العظمى من يد الاعداء وعلى ابن عمه على بن أبى طالب من نص عليه انه أقضى المشارق والمغارب الشهيد أبى الشهداء والائمة الامناء وعلى جميع الصحابة والقرابة والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين آمين ﴿أما بعد﴾ فقد قال الله تبارك وتعالى بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا (فنقول) وبالله تعالى التوفيق قال المفسرون نزلت هذه السورة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أواسط أيام التشريق بمنى وهو فى حجة الوداع كما قاله ابن عمر وقال ابن عباس أنزلت بالمدينة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نعيت الى نفسى وفى رواية وقرب الى أجلى وتسمى سورة التوديع وسورة النصر وعن أنس رضى الله عنه اذا جاء نصر الله ربع القرآن وهو آخر سورة نزلت جميعا وقوله تعالى اذا جاء نصر الله قيل اذا بمعنى قد وقيل بمعنى اذ وقال جملة من المفسرين أى اذا جاءك يا محمد وحصل لك نصر الله واظهاره لك على أعدائك وهم قريش أو مطلق من قاتلك من الكفار والفتح أى فتح مكة وقيل هو فتح سائر البلاد وقيل هو مافتح الله عليه من العلوم ورأيت الناس من العرب وغيرهم يدخلون فى دين الله الذى بعثك به وهو دين الاسلام أفواجا أى جماعات فوجا بعد فوج قال الحسن لما فتح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مكة قال العرب اما اذ ظفر محمد عليه الصلاة والسلام باهل الحرم وقد أجارهم الله تعالى من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون فى دين الله جماعات كثيرة بعد أن كانوا يدخلون واحدا واحدا أو اثنين اثنين فصارت القبيلة تدخل بأسرها فى الاسلام وقال عكرمة ومقاتل أراد بالناس أهل اليمن وذلك انه ورد منها سبعمائة انسان وأسلموا وعن ابن عباس بينما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى المدينة اذ قال الله أكبر الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن قيل يارسول الله وما أهل اليمن قال قوم رقيقة قلوبهم لينة طباعهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وقال عليه الصلاة والسلام فى الثناء عليهم أيضا انى أجد نفس ربكم من قبل اليمن أى تنفيسه سبحانه وتعالى وأخرج ابن مردويه عن جابر ابن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان الناس دخلوا فى دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا وقوله تعالى فسبح بحمد ربك أى فنزهه تعالى بكل ذكر يدل على التنزيه حامدا له جل وعلا زيادة فى عبادته والثناء عليه سبحانه لزيادة انعامه عليك فالتسبيح التنزيه لا التلفظ بكلمة سبحان الله والباء للملابسة وقيل أى فقل سبحان الله واستغفره أى اطلب منه أن يغفر لك فعن أم سلمة كان

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى آخره أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجىء الا قال سبحان الله و بحمده وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر من قول سبحان الله و بحمده وأستغفره وأتوب اليه فقلت يارسول الله أراك تكثر من قول سبحان الله و بحمده وأستغفر الله وأتوب اليه فقال أخبرنى ربى انى سارى علامة من أمتى فاذا رأيتها أكثرت من قول سبحان الله و بحمده وأستغفر الله وأتوب اليه فقد رأيتها اذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة ورأيت الناس يدخلون الخ وأخرج الشيخان وغيرهما عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا و بحمدك اللهم اغفر لى يتأول القرآن (١) قال الوالد شرع الاستغفار بعد كثير من الطاعات منها انه يشرع لمصلى المكتوبة أن يستغفر عقبها ثلاثا وللمتهجد فى الاسحار أن يستغفر ماشاء الله تعالى وللحاج أن يستغفر بعد الحج وختم الوضوء وختم كل مجلس وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا قام من المجلس سبحانك اللهم و بحمد أستغفرك وأتوب اليك واستغفاره صلى الله تعالى عليه وسلم قيل لانه كان دائما فى الترقى فاذا ترقى الى مرتبة استغفر لما قبلها وقيل مما هو فى نظره الشريف خلاف الاولى بمنصبه المنيف وقيل عما كان فى سهو ولو قبل النبوة وقيل هو استغفاره لامته عليه الصلاة والسلام لانه مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقيل غير ذلك واعلم انه قيل ان المراد بالتسبيح الصلاة لاشتمالها عليه ونقله ابن الجوزى عن ابن عباس وقد روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما دخل مكة صلى فى بيت أم هانىء ثمان ركعات والقول بأنه صلاها داخل الكعبة ليس بصحيح وأياما كان فهى صلاة الفتح وهى سنة وقد صلاها سعد بن أبى وقاص يوم فتح المدائن وقيل صلاة الضحى وقيل أربع منها للفتح وأربع للضحى وقد أخرج ابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حافظ على شفعة الضحى غفرت له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر وأما قوله تعالى انه كان توابا تعليل لأمره سبحانه نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالاستغفار وتواب من صيغ المبالغة ففيه دلالة على انه سبحانه مبالغ فى قبول توبة التائبين المذنبين المستغفرين وليعلم ان كثيرا من المفسرين حكى اتفاق الصحابة رضى الله تعالى عنهم على ان هذه السورة دلت على نعى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن ابن عمر انها نزلت بمنى فى حجة الوداع ثم نزل اليوم أكملت لكم دينكم فعاش عليه الصلاة والسلام بعدها ثمانين يوما وقيل عاش بعد هذه السورة أقل من ذلك ومازال صلى الله تعالى عليه وسلم يعرض باقتراب أجله فى آخر عمره فانه لما خطب فى حجة الوداع قال للناس خذوا عنى مناسككم فلعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا وطفق يودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع فلما رجع من حجته الى المدينة جمع الناس بماء يدعى خما فى طريقه بين مكة والمدينة فخطبهم وقال يا أيها الناس انما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتينى برسول ربى فأجيب ثم حض على التمسك بكتاب الله ووصى بأهل بيته قال ابن رجب وكان ابتداء مرضه صلى الله تعالى عليه وسلم فى أواخر صفر وكان فى بيت ميمونة كما فى رواية معمر عن الزهرى وهو المعتمد وقيل فى بيت زينب بنت جحش وقيل فى بيت ريحانة وذكر الخطابى انه ابتدئ يوم الاثنين وقيل يوم السبت وقيل يوم الأربعاء واختلف فى مدة مرضه فقيل عشرة أيام وقيل اثنا عشر يوما وقيل أربعة عشر والأكثرون على انها ثلاثة عشر يوما وان ابتداءه فى أواخر صفر وروى ابن هشام فى سيرته عن أبى مويهبة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعثنى رسول الله عليه الصلاة والسلام من جوف الليل فقال انى قد أمرت

---

(١) قوله يتأول القرآن قال القسطلانى فى باب التسبيح والدعاء فى السجود أى يفعل ما أمر به فيه أى فى قوله تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره أى سبح بنفس الحمد لما تضمنه الحمد من معنى التسبيح الذى هو التنزيه وتمام البحث فيه اه منه

أن أستغفر لأهل هذا البقيع فانطلق معى فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم قال السلام عليكم أهل المقابر ليهنأ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها الآخرة شر من الاولى ثم أقبل على فقال يا أبا مويهبة إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة قال فقلت بأبى أنت وأمى فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة قال لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربى والجنة ثم استغفر لأهل البقيع ثم انصرف فبدىء برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجعه الذى قبضه الله تعالى فيه وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها رجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من البقيع فوجدنى وأنا أجد صداعا فى رأسى وأنا أقول وارأساه فقال بل أنا والله يا عائشة وارأساه قالت ثم قال وما ضرك لو مت قبلى فقمت عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك قالت قلت والله لكأنى بك لو قد فعلت ذلك لقد رجعت الى بيتى فأعرست فيه ببعض نسائك قالت فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اه وروى الدارمى انه خرج صلى الله تعالى عليه وسلم وهو معصوب الرأس بخرقة حتى أهوى الى المنبر فاستوى عليه فقال والذى نفسى بيده لانى لانظر الحوض من مقامى هذا ثم قال ان عبدا خيره الله تعالى بين أن يؤتيه زهرة الدنيا ماشاء وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى أبو بكر رضى الله عنه وقال يارسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال فعجبنا وقال الناس انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا ماشاء وبين ما عنده وهو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال فكان رسول الله هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان أمن الناس على فى صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لا يبقى فى المسجد خوخة الا سدت الا خوخة (١) أبى بكر رواه الشيخان وفى هذا إشارة الى انه هو الامام بعده لاحتياجه إلى سكنى المسجد والاستطراق فيه بخلاف غيره وفى البخارى قالت عائشة رضى الله تعالى عنها لما ثقل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واشتد وجعه استأذن أزواجه رضى الله تعالى عنهن أن يمرض فى بيتى فاذن له فخرج وهو بين رجلين تخط رجلاه فى الأرض بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر قال ابن عباس هو على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وفى رواية لمسلم بين الفضل ابن عباس ورجل آخر وفى أخرى رجلين أحدهما أسامة ويجمع بينها بالحمل على تعدد الخروج وفى رواية ان المرض تمادى بعد ذلك به صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مع ذلك يدور على نسائه رضى تعالى عنهن حتى كان يوم ميمونة وهو فى بيتها فاجتمع رأى من فى البيت على أن يلدوه وتخوفوا أن يكون به ذات الجنب فلدوه ثم فرج عنه عليه الصلاة والسلام قال من صنع هذا فهبنه نساؤه واعتللن بالعباس مع انه لم يكن له فى ذلك رأى وقالوا تخوفنا أن يكون بك ذات الجنب فقال انها أى ذات الجنب من الشيطان ولم يكن الله عز وجل يسلطه على ولا ليرهبنى بها ولكن هذا عمل النساء لا يبقى فى البيت أحد الا لد الا عمى العباس فانه لم يشهدكم فلدوا كلهم ولدت ميمونة وكانت صائمة ثم خرج عليه الصلاة والسلام الى بيت عائشة وكان يومها قال فى المواهب اللدود ما يجعل فى جانب الفم من الدواء وهو القسط المذاب بزيت قال ابن العربى انما أمر بلدهم لئلا يأتوا يوم القيامة وعليهم شىء فيقعوا فى خطيئة عظيمة وعنها رضى الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنسائه انى لا أستطيع أن أدور فى بيوتكن فان شئتن أذنتن لى أى فى البقاء عند عائشة وفى رواية انهن قلن يارسول الله قد وهبنا أيامنا لأختنا عائشة وقيل ان فاطمة رضى الله تعالى عنها هى التى خاطبت أمهات المؤمنين بذلك فدخل فى بيتها يوم الاثنين وتوفى عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين وكان أول مرضه صلى الله تعالى عليه وسلم الصداع والظاهر أنه كان معه حمى فانها اشتدت حتى روى عنها رضى الله تعالى عنها انها قالت

---

(١) الخوخة الباب الصغير اه منه

مارأيت أحدا كان أشد عليه الوجع من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بل قد روى أنه عليه الصلاة والسلام كانت عليه قطيفة فكانت الحمى تصيب من يضع يده عليه من فوقها فقيل له فى ذلك فقال أنا كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف لنا الأجر وعن عبد الله قال دخلت على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يوعك فقلت يارسول الله انك توعك وعكا شديدا قال أجل انى أوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك أجرين قال أجل ذلك كذلك مامن مسلم أوذى بشوكة فما فوقها إلا كفر الله به سيآته كما تحت الشجرة ورقها ولهذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم لشدة وجعه يقول أهريقوا علىّ من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلى أعهد إلى الناس قالت عائشة فأجلسناه فى مخضب لحفصة ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى طفق يشير الينا بيده أن قد فعلتن ولعل الحكمة إن هذا العدد له خاصية فى دفع ضرر السم والسحر فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول ماأزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر فهذا أوان انقطاع أبهرى (١) من ذلك السم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال لما نزلت على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جاء نصر الله والفتح الى آخرها قال صلى الله تعالى عليه وسلم نعيت الىّ نفسى فأقبل الى منزل عائشة والحمى عليه قال بلال رضى الله تعالى عنه فاما أصبحت أتيت الى حجرة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فناديت السلام عليكم ياأهل بيت النبوة ومعدن الرسالة الصلاة جامعة فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لفاطمة مرى بلالا يقرأ أبا بكر السلام ويقول له يصلى بالناس قال بلال فرجعت باكيا وأنادى واسيداه وانبياه واسوء منقلباه ليت بلالا لم تلده أمه ثم أتيت المسجد فوجدته محتبكا بالناس فبلغت أبا بكر السلام والرسالة ثم ناديت الصلاة يرحمكم الله فأقمت الصلاة فاما قلت الله أكبر قال المسلمون كبرناه تكبيرا وعظمناه تعظيما فاما قلت أشهد أن لا اله الا الله قال المسلمون شهدنا بها مع كل شاهد فاما قلت أشهد أن محمدا رسول الله غلبنى البكاء فبكيت وبكى الناس فتقدم أبو بكر رضى الله تعالى عنه فأم الناس فلما قرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين نظر الى موضع أقدام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نخنقته العبرة فبكى وبكت الناس فلما سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضجة الناس بالبكاء قال لفاطمة ماهذه الضجة التى فى المسجد قالت ان المسلمين فقدوك وقت الصلاة فرفع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يديه وقال اللهم أمر ملك الحمى أن يخفف عن نبيك حتى أخرج وأصلى بالناس وأودع أصحابى قبل فراق الدنيا فوجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خفة فى بدنه فتوضأ وخرج متوكئا على الفضل بن عباس وأسامة بن زيد وعلىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم فامارأى المسلمون أنوار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تخترق فى المسجد وأحسوا بمجيئه صلى الله تعالى عليه وسلم جعلوا ينفرجون صفا صفا والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يخترق الصفوف حتى وصل الى المحراب فوقف بازاء أبى بكر فصلى بالناس فلما فرغ رقى المنبر يخطب الناس فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم أقبل على الناس بوجهه الكريم كالمودع لهم فقال ياأيها الناس ألم أبلغكم الرسالة وأؤدى لكم الأمانة والنصيحة قالوا بلى يارسول الله قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وعبدت الله حتى أتاك اليقين فجزاك الله أفضل ماجزى نبيا عن أمته ثم نزل فودع أصحابه وصافحهم وهم يبكون ثم أقبل الى منزل عائشة رضى الله تعالى عنها وعن عبد الله بن مسعود كما نقله القسطلانى فى المواهب اللدنية قال نعى لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه قبل موته بشهر فلما دنا الفراق دخلنا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بيت أمنا عائشة فنظر الينا ودمعت عيناه ثم قال مرحبا بكم حياكم الله آواكم الله نصركم الله أوصيكم بتقوى الله وأستخلف الله عليكم وأحذركم الله وأوصى الله بكم انى لكم منه نذير مبين ألا تعلوا على الله فى عباده وبلاده فانه قال لى ولكم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة

(١) وهو عرق فى القلب اه منه

للمتقين وقال أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين قلنا يارسول الله متى أجلك قال قد دنا الأجل والمنقلب الى الله والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى والكاس الأوفى فاقرؤا على أنفسكم السلام وعلى من دخل فى دينكم بعدى السلام وأعتق صلى الله تعالى عليه وسلم فى مرضه هذا أربعين نفسا ويروى انه كانت عنده صلى الله تعالى عليه وسلم سبعة دنانير أو ستة فأمر عائشة رضى الله تعالى عنها بالتصدق بها بعد أن وضعها فى كفه وقال ماظن محمد بربه ان لو لقى الله وهذه عنده ثم تصدق بها كلها وعن فاطمة رضى الله تعالى عنها لما صار يتغشاه الكرب قالت واكرب أبتاه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ليس على أبيك كرب بعد هذا اليوم وجاء انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال واكرباه وقال لا إله الا الله ان للموت لسكرات اللهم أعنى على سكرات الموت وفى رواية اللهم أعنى على كرب الموت ولم يزل صلى الله تعالى عليه وسلم متمرضا حتى اذا كان يوم الاثنين قيل أوحى الله تعالى الى ملك الموت أن أهبط الى حبيبى بأحسن زىّ وأرفق به فى قبض روحه فان أمرك أن تدخل فادخل وان نهاك فارجع فهبط ملك الموت فى صورة رجل أعرابى فوقف بباب حجرة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم نادى السلام عليكم ياأهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أتأذنون لى بالدخول الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وروى فى المواهب عن الطبرانى من حديث ابن عباس قال جاء ملك الموت الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى مرضه ورأسه فى حجر علىّ فاستأذن فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال له على ارجع فانا مشاغيل عنك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هذا ملك الموت ادخل راشدا فاما دخل قال ان ربك يقرئك السلام فبلغنى ان ملك الموت لم يسلم على أهل بيت قبله ولا يسلم بعده اه وفى رواية فخرجت فاطمة رضى الله تعالى عنها فقالت ياعبد الله ان رسول الله مشغول بنفسه ثم نادى الثانية السلام عليكم الخ أأدخل ولا بد من الدخول فسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يافاطمة من على الباب فقالت رجل اعرابى فقلت ان رسول الله مشغول بنفسه ثم نادى الثانية فقلت مثله ثم نادى الثالثة بصوت اقشعر بدنى وارتعدت فرائصى وتغير لونى فقال عليه الصلاة والسلام أتدرين من هو فقالت ياأبت لهو رجل اعرابى فقال هذا ملك الموت هذا هاذم (١) اللذات وقاطع الشهوات ومفرق الجماعات ومخرب الدور ومعمر القبور ائذنى له فأذنت له فدخل وسلم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم وعليك السلام ياملك الموت أجئت زائرا أم قابضا قال جئت زائرا وقابضا ان أذنت لى والا رجعت ان الله عز وجل أرسلنى اليك وأمرنى أن لا أقبضك حتى تأمرنى فما أمرك قال وتفعل قال بذلك أمرت فقال ياملك الموت أين خلفت حبيبى قال خلفته فى سماء الدنيا فلم يلبث أن هبط جبريل عليه السلام وجلس عند رأسه وفى رواية مذكور مفصلها فى عقد الدرر واللآلى ان الله يقرئك السلام ويقول كيف تجدك وهو أعلم بالذى تجد منك ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفا وأن يتم كرامتك وشرفك على الخلق وأن تكون سنة فى أمتك فقال أجدنى وجعا قال ابشر فان الله أراد أن يبلغك ماأعدلك وفى رواية أجدنى ياجبريل مغموما أجدنى ياجبريل مكروبا ثم أتاه جبريل عليه السلام فى اليوم الثانى فقال له مثل ذلك فقال ياجبريل ان ملك الموت قد استأذن وأخبرنى بالخبر فقال يامحمد ان ربك اليك مشتاق ألم أعلمك بالذى أراد منك وان ملك الموت ما استأذن على أحد قبلك ولا يستأذن على أحد بعدك الا أن الله متم شرفك وهو مشتاق اليك ثم قال ياجبريل ألست تعلم ان الامر قد قرب قال نعم ياحبيب الله قال بشرنى مالى عند الله قال ان أبواب السماء قد تفتحت والملائكة صفوا صفوفا لروحك قال لوجه ربى الحمد بشرنى ياجبريل مالى عند الله قال ان أبواب الجنان قد فتحت وحورها قد زينت قال لوجه ربى الحمد بشرنى ياجبريل قال أنت أول شافع وأول مشفع يوم القيامة قال الحمد لله بشرنى قال عم تسألنى

(١) هاذم بالذال المعجمة اه منه

قال عن همى وغمى مالقراء القرآن وما لصوام شهر رمضان وما لزوار بيت الله وما لامتى المصطفين الاخيار قال ان الله تعالى يقول قد حرمت الجنة على سائر الانبياء والامم حتى تدخلها أنت وأمتك قال صلى الله تعالى عليه وسلم الآن طاب قلبى وفى ذلك الوقت أذن عليه الصلاة والسلام للنساء فقال ادن منى يا فاطمة فانكبت عليه فناجاها طويلا فرفعت رأسها وعيناها تذرفان وما تطيق الكلام ثم قال ادن منى رأسك فانكبت عليه فناجاها فرفعت وهى تضحك وما تطيق الكلام فكان الذى رأينا عجبا فسألناها عن ذلك فقالت قال لى انى ميت اليوم فبكيت ثم قال دعوت الله أن يلحقك بى أول أهلى وأن يجعلك معى فضحكت ثم أدنت ابنيها فشمهما ثم دنا ملك الموت فقال ما تأمر يا محمد قال ألحقنى بربى الآن قال بلى ان ربك اليك مشتاق ولكن ساعتك امامك فقال جبريل حينئذ عليك السلام يا رسول الله هذا آخر ما أنزل فيه الى الارض فقد طوى الوحى وطويت الدنيا وما كان لى فى الدنيا حاجة الا حضورك انما كنت صاحبى فى الدنيا وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت أغمى على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حجرى فجعلت أمسحه وأدعو له بالشفاء فلما أفاق قال أسأل الله الرفيق الاعلى مع جبريل وميكائيل واسرافيل وذكر الواقدى ان بعض الصحابة قال يا نبى الله من يلى غسلك قال رجال من أهل بيتى الأقرب فالأقرب قال ففيم نكفنك قال فى ثيابى هذه وفى حلة يمانية وفى بياض مصر قال كيف الصلاة عليك منا وبكينا فبكى ثم قال غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى فى بيتى هذا على شفير قبرى ثم اخرجوا عنى ساعة فان أول من يصلى على حبيبى جبريل ثم ميكائيل ثم ملك الموت ومعه جنود من الملائكة بأجمعهم ثم ادخلوا على فوجا فوجا فصلوا على وسلموا تسليما ولا تؤذونى بتزكيتى وفى رواية ولا صيحة ولا رنة وليبدأ بالصلاة على رجال أهل بيتى ثم نساؤهم ثم أنتم واقرأوا السلام على من غاب من أصحابى واقرؤا السلام على من تبعنى على دينى من يومى هذا الى يوم القيامة قلنا يا رسول الله من يدخلك القبر قال أهلى مع ملائكة كثيرة يرونكم من حيث لا ترونهم ولما اشتد به الأمر قالت عائشة جعل يغمى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يغلب وجبهته ترشح رشحا ما رأيته من انسان قط فجعلت أرسل ذلك العرق وما وجدت رائحة أطيب منه فكنت أقول بابى أنت وأمى ما تلقاه جبهتك من الرشح فقال يا عائشة إن نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقه كنفس الحمار وكان عليه الصلاة والسلام بين يديه ركوة من ماء فجعل يدخل يده فيها و يقول لا إله إلا الله إن للموت سكرات وفى بعض الكتب لما أراد ملك الموت أن يقبض روحه روحى فداه قال صلى الله تعالى عليه وسلم خفف قال خففت يا رسول الله ولكن النزع شديد قال صلى الله تعالى عليه وسلم أو يكون لكل واحد من أمتى مثل هذه الشدائد قال أضعاف من هذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم ضع على روحى الشدائد كلها حتى يكون عليهم أهون وروى انه لما بلغت الروح السرة قال يا جبريل ما أشد مرارة الموت فولى جبريل وجهه عنه فقال يا جبريل أكرهت النظر الى وجهى فقال جبريل ومن يطيب قلبه أن ينظر الى وجهك وأنت تعالج سكرات الموت ثم نصب صلى الله تعالى عليه وسلم يده وهو يقول اللهم الرفيق الأعلى حتى قضى نحبه قال على كرم الله تعالى وجهه لما قبض صلى الله تعالى عليه وسلم صعد ملك الموت باكيا إلى السماء فو الذى بعثه بالحق لقد سمعت صوتا من السماء ينادى وامحمداه وكان آخر كلامه الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم وروى ثابت عن أنس رضى الله تعالى عنه قال لما ثقل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جعل يتغشاه الكرب فقالت فاطمة رضى الله تعالى عنها واكرب أبتاه فقال لها عليه الصلاة والسلام ليس على أبيك كرب بعد اليوم فلما مات عليه الصلاة والسلام قالت يا أبتاه إلى جبريل ننعاه فلما دفن قالت كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على نبيكم التراب قيل وأخذت من تراب القبر الشريف وقالت

ماذا على من شم تربة أحمد * أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت على مصائب لو انها * صبت على الأيام صرن لياليا

وقد تولى غسله صلى الله تعالى عليه وسلم أهل بيته ومنهم عمه العباس وعلى والفضل بن العباس وأسامة بن زيد وصالح مولاه رضى الله تعالى عنهم وتولى على كرم الله تعالى وجهه غسله بنفسه وأسنده إلى صدره وعليه قميصه وهو يقول بأبى أنت وأمى ما أطيبك حيا وميتا وأنزله فى قبره عمه العباس وعلى وقثم ابن العباس رضى الله تعالى عنهم وكانت وفاته عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين ودفن يوم الأربعاء ولما توفى صلى الله تعالى عليه وسلم اقتحم الناس حين ارتفعت الرنة قالت عائشة رضى الله تعالى عنها وسجى الملائكة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بثوبى واضطرب المسلمون اضطرابا شديدا فمنهم من دهش فخلط فى كلامه ومنهم من كذب بموته كعمر رضى الله تعالى عنه فانه قال ان رسول الله لم يمت وانما واعده ربه كما واعد موسى عليه السلام وهو آتيكم وقيل قال أيها الناس كفوا ألسنتكم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه لم يمت والله لا أسمع أحدا يذكر أن رسول الله قد مات إلا علوته بسيفى ومنهم من أخرس فلم يطق الكلام كعثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فانه لم يكلم أحدا وجعل يأخذ بيده فيجاء به و يذهب ومنهم من أقعد فلم يطق القيام كعلى بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه فانه لم يبرح فى بيته إلا أبا بكر رضى الله تعالى عنه فانه أقبل مسرعا وكان فى بنى الحرث بن الخزرج فدخل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مسجى فكشف عن وجهه الشريف وأكب عليه وقبل وجهه مرارا وهو يبكى و يقول وانبياه واخليلاه واصفياه وقال إنا لله وانا اليه راجعون مات والله رسول الله ثم قال بابى وأمى ما كان الله ليذيقك الموت مرتين (١) أما الموتة التى كتبت عليك فقد متها ثم دخل المسجد وعمر يتكلم وهم مجتمعون عليه فتكلم أبو بكر وتشهد وحمد الله فأقبل الناس اليه وتركوا عمر فقال من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حى لا يموت ثم تلا وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فاستيقن الناس كلهم بموته وكأنهم لم يسمعوا هذه الآية إلا ذلك اليوم فتلقاها الناس منه فما يسمع أحد الا يتلوها فيا عباد الله كانت الجمادات تتصدع من ألم مفارقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكيف بقلوب المؤمنين فتذكروا حنين الجذع الذى كان يخطب عليه قبل اتخاذ المنبر لما فقده وفارقه صاح وحن اليه فنزل من منبره واعتنقه فجعل يهدأ كالصبى الذى يسكن عنه بكاؤه فقال عليه الصلاة والسلام والذى نفسى بيده لو لم ألتزمه لحن الى يوم القيامة فكيف نحن نلتذ باللذات وقد قال صاحب المعجزات ان للموت سكرات أما تمرر حلو عيشكم والحياة حين قال عند الموت واكرباه أما يبكيكم توجع فاطمة البتول حين قالت لأبيها الرسول واكربى لكربك يا أبتاه فأين أرباب العقول أين من تمايعنيه مشغول أين من اغتر بالبقاء فى هذه الدار الفانية وقد فقد الرسول فاذا مات صاحب المقام المحمود والحوض المورود واللواء المعقود والشفاعة العظمى فى اليوم الموعود فكيف بك يا من صحائف أعماله سود ولا يدرى هل هو مقبول أو مردود ولقد أحسن حسان بقوله فى رثاء سيد الانس والجان

كنت السواد لناظرى * فعمى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

(١) واختلف فى قوله رضى الله تعالى عنه لا يجمع الله عليك الموت مرتين فقيل هو على حقيقته وأشار بذلك الى الرد على من زعم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم سيحيى فيقطع أيدى رجال وقيل أراد لا يموت موتة أخرى فى القبر كغيره اذ يحيى ليسئل ثم يموت وقيل لا يجمع الله موت نفسك وموت شريعتك وقيل كنى بالموت الثانى عن الكرب أى لا تلقى بعد كرب هذا اليوم كربا آخر مواهب ملخصا اه منه

وكذا عمته صفية بقولها

ألا يارسول الله كنت رجاءنا * وكنت بنا برا ولم تك جافيا
وكنت رحيما هاديا ومعلما * ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكى النبي لفقده * ولكن لما أخشى من الهجر آتيا
كأن على قلبي لذكر محمد * وما خفت بعد النبي المكاويا
أفاطم صلى الله رب محمد * على جدث أمسى بيثرب ثاويا
فدى لرسول الله أمي وخالتي * وعمي وخالي ثم نفسي وماليا
فلوان رب الناس أبقى محمدا * سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية * وأدخلت جنات من العدن راضيا
أرى حسنا أيتمته وتركته * يبكي ويدعو جده اليوم نائيا

ورثاه الصديق رضي الله تعالى عنه بقوله

لما رأيت نبينا متجندلا * ضاقت عليّ بعرضهن الدور
وارتاع قلبي عند ذاك بهلكه * والعظم مني ما حييت كسير
أعتيق ويحك ان حبك قد ثوى * فالصبر عنك لما بقيت يسير
ياليتني من قبل مهلك صاحبي * غيبت في جدث عليّ صخور
فلتحدثن بدائع من بعده * يعيى بهن جوانح وصدور

(ورثاه آخر بقوله)

أسفي على فقد الرسول طويل * أسفي مدى الأيام ليس يزول
رزء تكاد الأرض منه والسما * هذي تميد به وتلك تميل
غمر القلوب بحزنه وبوجده * وبكل قلب لوعة وعويل
والأرض بدل صفوها بتكدر * وجرت بحار بالبكا وسيول
والجو أظلم بعد فقد المصطفى * والسحب أدمعها عليه هطول
أسفا على من جاءنا بهداية * وعليه حقا أنزل التنزيل
من بعد موت المصطفى هل لامرئ * في الدهر يوما للبقاء سبيل

فيا أيها الاخوان ان لنا في رسول الله أسوة حسنة حيا وميتا وفعلا وقولا وجميع أحواله عليه الصلاة والسلام عبرة للناظرين وتبصرة للمتبصرين اذ لم يكن أحد أكرم على الله تعالى منه اذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه وصفيه ورسوله ونبيه فانظر هل أمهله ساعة عند انقضاء مدته وهل أخره لحظة بعد حضور منيته لا بل أرسل اليه الملائكة الكرام الموكلين بقبض أرواح الانام لجذوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها الى رحمة ورضوان وخيرات حسان بل الى مقعد صدق في جوار الرحمن فاشتد مع ذلك في النزع كربه وظهر أنينه وارتفع حنينه وتغير لونه وعرق جبينه حتى بكى لمصرعه الزكي من حضره وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره وقد امتثل الملائك ما كان به مأمورا واتبع ما وجد في اللوح مسطورا فهذا كان حاله وهو عند الله تعالى صاحب المقام المحمود والحوض المورود وهو أول من تنشق عنه الارض وصاحب الشفاعة العظمى يوم الزحام والعرض فالعجب انا لا نعتبر بحضرته الكريمة ولسنا على ثقة النجاة فيما نلقاه من الأحوال الجسيمة غير انا أسراء الشهوات وقرناء المعاصي والسيآت فما بالنا لا نتعظ بمصرع سيد المرسلين

وكرب امام المتقين ونزع حبيب رب العالمين فلعلنا نظن أننا مخلدون أو نتوهم انا مع سوء أفعالنا وقبح أحوالنا عند الله مكرمون هيهات هيهات بل ستخرج منا الأرواح وتذهب الأفراح ونلقى كربات الوفاة ولا نسترجع ما فات والكل على النار واردون ثم لا ينجو منها الا المتقون فنحن للورود مستيقنون وللرجوع عنها متوهمون فانا لله وانا اليه راجعون اخواني تفكروا في الراحلين واعتبروا بالسالفين وتأملوا بالبصائر حال الدفين وتأهبوا فأنتم في أثر الماضين أين الاخلاء وأين الاخوان أين الرفقاء وأين الأقران رحلوا عنا الى أعجب الأوطان وبنوا في القلوب بيوت الأحزان فمن الذي طلبه الموت فأعجزه من الذي تحصن في قبره وما أبرزه من الذي سعى في مناه فما أعوزه من الذي أمل طول الأجل فما حجزه أي عيش صفي وما كدره أي قدم سعى وما عثره أي غصن علا على ساقه وما كسره أما أخذ الآباء والأجداد أما ملأ القبور والألحاد أما حال بين المريد والمراد أما سلب الحبيب وقطع الوداد أما أرمل النسوان وأيتم الأولاد أما تتبع قوم تبع وعاد على عاد ما هذا الانزعاج عند موت الأحباب أوما على هذا الشرط رقم الكتاب هل للبقاء سبيل للناس هل يصح البناء مع تضعضع الاساس ياحزينا الفراق أترابه كئيبا لرحيل أحبابه يبكي ذهابهم غافلا عن ذهابه ان حزنه عليه لا عليهم أولى به

عزاء فما يصنع الجازع * ودمع الأسى أبدا ضائع
بكى الناس من قبل أحبابهم * فهل منهم أحد راجع
عرفنا المصائب قبل الوقوع * فما زادنا الحادث الواقع
فدلى ابن عشرين في قبره * وتسعون صاحبها رافع
وللمرء لو كان ينجي الفرا * ر في الأرض مضطرب واسع
ومن حتفه بين أضلاعه * أينفعه انه دارع
وكل أبى لداعي الحما * م ان يدعه سامع طائع
يسلم مهجته سامحا * كما مد راحته البائع
ولو أن من حدث سالما * لما خسف القمر الطالع
وكيف يوقى الفتى ما يخاف * اذا كان حاصده الزارع

هذا المصير يا معاشر الغافلين واللحود المنازل بعد الترف واللين والاعمال الاقران فاعملوا ما يزين والقيامة تجمعكم وتنصب الموازين والاهوال العظام فاين المتفكر الحزين انما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين اللهم اجعلنا ممن أفاق لنفسه وفاق بالتحفظ أبناء جنسه وأعد عدة تصلح لرمسه واستدرك في يومه ما ضيع في أمسه واجعلنا اللهم بطاعتك عاملين وعلى ما يرضيك مقبلين وآمنا من الفزع الاكبر يوم الدين وثبتنا على القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وأنلنا شفاعة سيد المرسلين واغفر لنا ولوالدينا ولاقاربنا وارحمنا وكافة المسلمات والمسلمين الاحياء منهم والميتين وصل على محمد وعلى آله أجمعين

﴿ المجلس السادس والاربعون ﴾

(في الزهد وطول الامل)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي ظهر لابصار البصائر عيانا فامتلأت قلوب عارفيه به ايمانا وولهت أفئدة محبيه هيمانا فعادت تطلب وصله من هجره أمانا الحي الباقي فلا يزول ولا يتفانى السميع البصير فهو يسمعنا ويرانا نحمده على

مامنحناوأولانا ونشكره وكيف لانشكر مولانا ونشهد له بالوحدانية سرا واعلانا وأن محمدا عبده ورسوله أرسله وشجرة الكفر قد فرعت أغصانا فقطعها بمنجل مجاهدته وزرع من الحقائق بستانا صلى الله عليه وعلى أصحابه الذين كانوا أنصاراله على الحق وأعوانا ونزعنا مافى صدورهم من غل اخوانا أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا رزقنا الله تعالى محبتهم على الوصف الذى وصانا فنهم أبو بكر الذى يوقد فى قلوب مبغضيه نيرانا وعمر الذى جعل لعطاء المسلمين ديوانا وعثمان الذى يقطع الليل صلاة وقرآ نا وعلى الذى نهواه معاشر السنة ونهوانا ماعلت الورق منابر الورق ورجعت ألحانا

﴿أما بعد﴾ فقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون (فنقول) وبالله تعالى التوفيق قال المفسرون هذه تهديد للكفار أى خل هؤلاء الكفرة ودعهم عما أنت بصدده من الامر لهم والنهى فهم لايرعوون أبدا الا انهم كالانعام التى لاتهتم الا بالاكل والشرب وقوله تعالى ويلههم الامل أى يشغلهم طول الامل والعمر وبلوغ الوطر واستقامة الحال عن الايمان والاخذ بطاعة الله تعالى وهم لايزالون فى الآمال الفارغة حتى يسفر الصبح لذى عينين وينكشف الامر ويروا العذاب يوم القيامة فسوف يعلمون عاقبة أمرهم وسوء صنيعهم قال فى الفتح وفى هذا تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم ومايؤدى اليه طول الامل ليس من أخلاق المؤمنين قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه انما أخشى عليكم اثنتين طول الامل واتباع الهوى فان الاولى ينسى الآخرة والثانى يصد عن الحق وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نجى أول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الامة بالبخل والامل ولنذكر لكم فى هذا الدرس ان شاء الله تعالى ماورد فى اليقين والزهد والبخل وطول الامل ومايتعلق بجميع ذلك ومايناسبه من الأحاديث الشريفة والآثار المنيفة والمواعظ اللطيفة قال ابن الجوزى عليه الرحمة عن الحسن رحمه الله تعالى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الناس لم يؤتوا فى الدنيا خيرا من اليقين والعافية فاسألوهما الله عز وجل وقال أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من أمثال الجبال من عبادة المغترين وقال رحمه الله تعالى ياابن آدم ان من ضعف يقينك أن تكون بما فى يدك أوثق منك بما فى يد الله عز وجل وقال أيضا انا نوقن بالموت والحساب والجزاء ولانعمل عمل موقن وكأننا فى شك وكان شميط بن عجلان اذا وصف الموقنين يقول أناهم من الله تعالى أمر وزادهم عن الباطل فأسهروا العيون وأجاعوا البطون وأظمؤا الأكباد ونصبوا الابدان واهتدموا الطارف والتالد (١) وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقال لى ياعبد الواحد ان أحببت أن تعلم علم اليقين فاجعل بينك وبين الشهوات حائطا من حديد واذ قد بان فضل اليقين فاليقين فى باب العلوم مالايحتمل الشك وقد يقال فلان ضعيف اليقين بالموت مع علمنا انه لايشك فيه ولكن يراد بذلك العمل بمقتضى ماأيقن به والصالحون أيقنوا بالآخرة من حيث الدليل فلايتداخلهم ريب واستعملوا الجوارح بمقتضى ماأيقنوا به على أن علوم المؤمنين تزيد وتنقص على قدر قوة الدليل عندهم وضعفه وليس وضوح ماثبت بدليل كوضوح ماثبت بادلة واعلم ان جميع المؤمنين يوقنون بان الله تعالى يراهم فى جميع أحوالهم غير ان قوة اليقين والعمل بمقتضاه أظهرت على الأولياء المراقبة والتأدب فى القول والفعل كما يتأدب محاضر الملك فاليقين شجرة وخصال الخير فروعها فالعجب لموقن لايعمل بمقتضى يقينه وما أحسن ماقاله عمر بن عبد العزيز فى خطبته ان كنتم توقنون فأنتم حمقا وان كنتم لاتوقنون فأنتم هلكى وهذا الان من أيقن بقصد السبع اياه وعلم انه لانجاة له الا بان يفر فلم يبرح من مكانه فهذا فى غاية الحمق فكذلك من أيقن بندمه على تفريطه ثم دام عليه

(١) أى السابق واللاحق اه منه

ميلا الى التسويف الذى هو فيه على خطر فانه مغتر فان استدرك أمره بالعلاج والا نازله الندم فى حال الفوت ولات حين مناص وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان من ضعف اليقين ان ترضى الناس بسخط الله وأن تحمدهم على رزق الله وأن تذمهم على مالم يؤتك الله ان رزق الله لايجره حرص حريص ولايرده كره كاره ان الله بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح فى الرضا واليقين وجعل الغم والحزن فى الشك والسخط ولقد أحسن القائل

قصر بدنياك الأمل * من قبل ادراك الأجل

فلترحلن كمثل من * قد كان قبلك وارتحل

واحذر وقوفك فى غد * عند الحساب من الخجل

* وقد اعترفت بما اقترفـ * ـت من الخطايا والزلل

فالى متى هذا الفتو * ر وذا التوانى والكسل

وعن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال أخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمنكبى فقال كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما يقول اذا أمسيت فلاتنتظر الصباح واذا أصبحت فلاتنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك وعن سهل بن سعد قال جاء رجل الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يارسول الله مرنى بعمل اذا أنا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس وعن عبد الله ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال أنتم أطول صلاة وأكثر اجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهم كانوا أفضل منكم فقيل له بأى شئ قال انهم كانوا أزهد فى الدنيا وأرغب فى الآخرة منكم وقال أبو واقد الليثى تابعنا الأعمال فلم نجد عملا أبلغ فى طلب الآخرة من الزهادة فى الدنيا واعلم ان معنى الزهد انصراف الرغبة عن الشئ وأحوال الزهاد تختلف فنهم من ترك الدنيا لذم الشرع لها ومنهم من خاف طول الحساب عليها ومنهم من رآها قاطعة له عن الآخرة ومنهم من رأى الالتفات اليها يوجب الاشتغال عن الحبيب فلم يعرها الطرف واعلم أن الزهد الممدوح هو ترك الفضول التى لاتدعو اليها الحاجة والمهمات الضرورية سبعة أحدها المطعم فهمة الزاهد مايدفع به الجوع مما يوافق بدنه ويقوى به على الطاعة فان قصد الالتذاذ بشئ من المتناولات ليعطى النفس حظا يتقوى به لم يخرج من الزهد وقد كان سفيان الثورى حسن المطعم وربما سافر وفى سفرته اللحم المشوى والفالوذج وقد يدخل الزاهد شيأ(١) يتقوته فلايخرجه من الزاهد فقد كان لسفيان بضاعة وورث داود الطائى عشرين دينارا فأنفقها فى عشرين سنة والثانى الملبس والزاهد يقتصر على مايدفع الحر والبرد ويستر العورة ولابأس أن يكون فيه نوع تجمل لئلا يخرجه التقشف الى الشهرة وقد كان أكثر لباس السلف خشنا فصار الخشن اليوم شهرة وخطب عمر رضى الله تعالى عنه بالناس وهو خليفة وعليه ازار فيه ثنتا عشرة رقعة وكان أبو معاوية الاسود يلتقط الخرق من المزابل ويلفقها ويقول ماضرهم ماأصابهم فى الدنيا جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة والثالث المسكن وقد كان بعضهم يقنع بزوايا المساجد كاهل الصفة وبعضهم يبنى كوخا ومتى قصد مايخرجه عن حد الضرورة خرج عن الزهد وقد توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة والرابع أثاث المنزل وينبغى للزاهد أن يقتصر فيه على الخزف وفى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان ضجاع

(١) وروى فى الجامع الصغير نعم العون على الدين قوت سنة قال المناوى بكسر الدال أى ادخار قوت سنة وذلك لاينافى الزاهد وفى هذا الحديث ضعف اه منه

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذى ينام عليه بالليل من أدم (١) محشو ليفا وقال على رضى الله تعالى عنه تزوجت فاطمة ومالى ولها فراش غير جلد كبش كنا ننام بالليل عليه ونعلف عليه الناضح بالنهار ومالى خادم غيرها والخامس المنكح وليس من الزهد تركه فان التشاغل به للعفاف لازم ولطلب النسل فضيلة ومن لا يجمع همه الا بطلب المستحسن فذلك فى حقه فضيلة فاما اذا خاف عدم النفقة وشتات القلب وأمكن الاقتصار على الدون فحسن والنكاح من سنن المرسلين وشعار الصالحين والسادس المال والزاهد يقتصر منه على ما يدفع الوقت ويقطع عنه منن الخلق والسابع الجاه ومعناه ميل القلوب ليتوصل به الى الاستعانة على ما يريده من الاغراض ودفع ما يؤذيه والزاهد يمهد له الجاه فليحذر من شر ذلك وقد يتزهد الانسان فى المطعم والمشرب ويلبس الخشن ويقصد المدح بالزهد فذاك الخاسر فلابد من عدم هذا القصد الردىء ودفعه بستر الحال وان لا يلتفت بالقلب اليه والعمل كله على النيات والبواطن فنسأل الله عز وجل سلامة تعم بواطننا وظواهرنا بمنه وكرمه قال حجة الاسلام الغزالى فى الاحياء اعلم انه قد يظن أن تارك المال أو لابس الصوف زاهد وليس كذلك فكم من الرهبان من لازم دير الاباب له وقلل أكله ليعرف الناس حاله ومدحهم له فلابد للزاهد من أن يزهد فى المال والجاه جميعا ومن يرائى فى ملبسه ومأكله فهو من أكلة الدنيا بالدين وينبغى للزاهد أن لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم بل ينبغى أن يحزن بوجود المال ويفرح بفقده ومن علامات الزاهد أن يستوى عنده ذامه ومادحه وأن يكون أنسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد السخاء بالموجود وقال الامام أحمد بن حنبل علامة الزهد قصر الامل انتهى ملخصا قال فى التبصرة وليعلم ان الزهد لا يتم الا بالتوكل وهو اعتماد القلب على الله وحده ومن اعتمد على السبب فليس بمتوكل ثم ان التوكل فعل القلب ولا ينافيه الكسب بالبدن والادخار وجلب المنافع ودفع المضار والتداوى ففى الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحبس لاهله قوت سنتهم ولا يلتفت الى قول من قال ان المتوكل لا يدخر ولا يتعرض بالسبب فان أولئك قوم جهلوا معنى التوكل وآثروا الراحة والبطالة وقد قال الله عز وجل وخذوا حذركم وقال وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة فان قال قائل اذا أخذ المتوكل سلاحه وأغلق بابه فبأى معنى يكون متوكلا بالعلم والحال أما العلم فهو أن يعلم بالعدوان اندفع فبدفع الله تعالى لا بأخذ السلاح وان سلم من اللص فبمنع الله تعالى لا بغلق الباب فيتوكل على المسبب لا على السبب وأما الحال فيكون راضيا بما يقضى الله تعالى عليه ومتى عرض له أنه لو احترز لم يسرق متاعه فهو بعيد عن التوكل واذا علم ان الخيرة فيما يقضى الله تعالى لم يحزن فيما جرى وليعلم ان القدر كالطبيب للمريض فان قدم اليه الطعام فرح وقال لولا انه علم ان الغذاء ينفعنى ما قدمه وان منعه فرح وقال لولا انه علم أن الغذاء يؤذينى ما منعنى روى عن الفيض بن اسحق انه قال قلت للفضيل حد لى التوكل فقال كيف تتوكل عليه وأنت مختار لك فتسخط قضاءه أرأيت لو دخلت بيتك فوجدت امرأتك وقد عميت وابنتك قد أقعدت وأنت قد أصابك الفالج كيف كان رضاك بقضائه قلت أخاف أن لا أصبر فقال لا حتى يكون عندك واحدا أرضى بكل ما صنع فى العافية والبلاء فبأن ان التوكل عمل القلب واعتماده على الخالق ورؤيته أن لا نفع ولا ضرر الا منه ورضاه بما يدبره لانه حكيم وقال فى الاحياء اعلم ان التوكل من أبواب الايمان وقد وردت فى فضله الآيات والأحاديث والاخبار أما الأيات فقد قال تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال عز وجل وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى

(١) الادم الجلد اهـ منه

ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم أى عزيز لا يزل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجأ الى ذمامه وحماه حكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم بين ان كل ما سوى الله تعالى عبد مسخر حاجته مثل حاجتكم فكيف يتوكل عليه وقال تعالى يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه وكل ما ذكر فى القرآن من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الاغيار والتوكل على الواحد القهار وأما الاخبار فقد روى ابن مسعود كما ذكرناه فى بعض الدروس الماضية قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأيت الامم فى الموسم فرأيت أمتى قد ملؤا السهل والجبل فاعجبتنى كثرتهم وهيئتهم فقيل لى أرضيت قلت نعم قيل ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يا رسول الله قال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اجعله منهم فقام آخر فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم سبقك بها عكاشة وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لو انكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال سيدى وجدى الشيخ عبد القادر الكيلانى من أراد السلامة فى الدنيا والآخرة فعليه بالصبر والرضا وترك الشكوى الى خلقه وانزال حوائجه بربه عز وجل ولزوم طاعته وانتظار الفرج منه سبحانه والانقطاع اليه فحرمانه عطاء وعقوبته نعماء وبلاؤه دواء ووعده حال وقوله فعل وكل أفعاله حسنة وحكمة ومصلحة غير انه طوى عز وجل علم المصالح عن عباده وتفرد به فليس الا الاشتغال بالعبودية واداء الاوامر واجتناب النواهى والتسليم فى القدر وترك الاشتغال بالربوبية والسكون عن لم وكيف ومتى وتستند هذه الجملة الى حديث ابن عباس قال بينما أنا رديف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قال يا غلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله جف القلم بما هو كان ولو جهد العباد أن ينفعوك بشئ لم يقضه الله تعالى لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا أن يضروك بشئ لم يقضه الله تعالى عليك لم يقدروا عليه فان استطعت ان تعمل لله تعالى بالصدق فى اليقين فاعمل فان لم تستطع فان فى الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا فينبغى لكل مؤمن أن يجعل هذا الحديث مرآة قلبه وشعاره ودثاره وحديثه فيعمل به من جهة حركاته وسكناته حتى يسلم فى الدنيا والآخرة ويجد العزة برحمة الله تعالى عز وجل انتهى وليعلم انه كما كان التوكل من صفات المؤمنين فالرضا أيضا من خصال الزاهدين والاولياء المقربين فقد قال عز وجل رضى الله عنهم ورضوا عنه قال العلماء رضا الله تعالى على العبد هو انعامه عليه باصلاح أحواله وتقريبه الى حضرته وأما رضا العبد عن الله سبحانه فان أدون المقامات فى ذلك ان يقع رضا العبد لجهله بالمصالح ورب صلاح فى ضمن بلاء وما قضى الله تعالى لمؤمن قضاء الا كان خيرا له وأعلى المقامات ان يكون العبد محبا لله تعالى فيرضى بما يقضى ومن حب محبوبا رضى بأفعاله وروى أبو العلاء عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اذا أراد الله بعبد خيرا أرضاه بما قسم له وبارك له فيه واذا لم يرد به خيرا لم يرضه بما قسم له ولم يبارك له فيه وقالت أم الدرداء رضى الله تعالى عنها ان الراضين بقضاء الله تعالى لهم فى الجنة منازل يغبطهم بها الشهداء يوم القيامة وروى فى التبصرة عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى قال قال لقمان لابنه يا بنى لا ينزلن بك أمر رضيته أو كرهته الا جعلت فى الضمير منك ان ذلك خير لك قال أما هذه فلا أقدر أعطيكها دون ان أعلم ما قلت انه كما قلت قال يا بنى فان الله تعالى قد بعث نبيا هلم حتى نأتيه فعنده بيان ما قلت لك قال اذهب بنا فانه فخرج هو على حمار وابنه على حمار فتزودا ما يصلحهما ثم سارا أياما وليالى حتى تلقتهما مغارة فدخلاها فسارا ما شاء الله فاشتد الحر ونفد الماء والزاد واستبطا

حمار يهما فنزلا فجعلا يشتدان على سوقهما فبيناهما كذلك اذ نظر لقمان فاذا هو بسواد ودخان فقال فى نفسه السواد شجر والدخان عمران وناس فبيناهما يشتدان اذ وطئ ابن لقمان على عظم ناتئ على الطريق فدخل فى باطن القدم حتى ظهر من أعلاها فخر ابن لقمان مغشيا عليه فالتفت لقمان التفاتة فاذا هو بابنه صريع فوثب اليه فضمه الى صدره واستخرج العظم باسنانه وشق عمامة كانت عليه فلاث بها رجله ثم نظر الى وجه ابنه فذرفت عيناه فقطرت قطرة من دموعه على خد الغلام فانتبه فنظر الى أبيه يبكى فقال ياأبت أنت تبكى وأنت تقول هذا خير لى كيف يكون هذا خيرا لى وقد نفد الطعام والماء وبقيت أنا وأنت فى هذا المكان فان ذهبت وتركتنى على حال ذهبت بهم وغم مابقيت وان أقمت معى متنا جميعا فكيف يكون هذا خيرا لى فقال أما بكائى يابنى فوددت انى أفديتك بجميع مالى وحظى من الدنيا ولكنى والد ومنى رقة الوالد وأما ماقلت كيف هذا خيرا لى فلعل ماصرف عنك يابنى أعظم مما ابتليت به ولعل ما ابتليت به أيسر مما صرف عنك فبيناهو يحاوره اذ نظر لقمان أمامه فلم ير ذلك الدخان والسواد فقال فى نفسه قد رأيت ولعله أن يكون ربى عز وجل قد أحدث بما رأيت شيأ فبيناهو يفكر فى هذا اذ نظر أمامه فاذا هو بشخص قد أقبل على فرس أبلق عليه ثياب بيض وعمامة بيضاء يمسح الهواء مسحا فلم يزل يؤمه حتى كان منه قريبا فتوارى عنه ثم صاح به فقال أنت لقمان قال نعم قال أنت الحكيم قال كذلك يقال وكذلك نعتنى ربى قال ماقال لك ابنك هذا السفيه قال من أنت ياعبد الله أسمع كلامك ولا أرى وجهك قال أنا جبريل لايرانى الا ملك مقرب أونبى مرسل لولا ذلك لرأيتنى فما قال لك ابنك هذا السفيه فقال لقمان ان كنت جبريل فأنت أعلم بما قال ابنى فقال جبريل مالى بشئ من أمركما علم الا أن حفظتكما وقد أمرنى ربى بخسف هذه المدينة ومايليها فأخبرونى انكما تريدان هذه المدينة فدعوت ربى أن يحبسكما عنى بماشاء فحبسكما عنى بما ابتلى به ابنك ولولا ما ابتلى به ابنك لخسف بكما مع من خسف به قال ثم مسح جبريل يده على قدم الغلام فاستوى قائما ومسح يده على الذى كان فيه الطعام فامتلأ طعاما ومسح يده على الذى كان فيه الماء فامتلأ ماء ثم حملهما وحماريهما فاذا هما فى الدار التى خرجا منها وليعلم انه من أعظم أدلة الزهد واليقين الكرم والتصدق على الفقراء والمساكين وقد وردت فى ذلك آيات كريمة وأحاديث عديدة فقد قال سبحانه فامامن أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأمامن بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى قال المفسرون أى أعطى حق الله من ماله وصدق بالحسنى وهو الخلف أى بان الله يخلف عليه وقيل هى الجنة وقيل كلمة التوحيد وقوله تعالى فسنيسره لليسرى أى للطريقة اليسرى وهى العمل بالطاعة وقيل اليسرى الجنة وقوله تعالى بخل واستغنى أى بخل بالانفاق فى الطاعات واستغنى فى دنياه باللذات وكذب بالحسنى أى بكلمة التوحيد فسنيسره للعسرى أى النار وسميت عسرى لافضائها الى العسر وروى أبو موسى الأشعرى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال على كل مسلم صدقة قالوا فان لم يجد قال فليعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق قالوا فان لم يستطع أولم يفعل قال فيعين ذا الحاجة الملهوف قالوا فان لم يفعل قال فليأمر بالخير قالوا فان لم يفعل قال فيمسك عن الشر فانه له صدقة وفى الصحيح عن أبى هريرة أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال مامن يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا وعن أبى الدرداء أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ماطلعت الشمس الا بعث بجنبيها ملكان يناديان يسمعان أهل الارض الا الثقلين ياأيها الناس هلموا الى ربكم فان ماقل وكفى خير مما كثر وألهى وملكان يناديان اللهم عجل لمنفق ماله خلفا ولممسك ماله تلفا وعن سعد بن أبى وقاص ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال انك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله الا أجرى بها حتى ماتجعل فى فم امرأتك وقال السفيرى روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال للزبير يازبير انى

رسول الله الى الناس عامة واليك خاصة أتدرى ماذا قال ربكم حين استوى على عرشه ونظر الى خلقه قال عبادى أنتم خلقى وأنا ربكم أرزاقكم بيدى فلا تتعبوا فيما تكفلت لكم فاطلبوا منى أرزاقكم والى فارفعوا حوائجكم انصبوا الى أنفسكم أصب عليكم أرزاقكم أتدرون ماذا قال ربكم قال عبدى أنفق أنفق عليك وأوسع أوسع عليك ولا تضيق فاضيق عليك ان باب الرزق مفتوح من فوق سبع سموات متواصل الى العرش فلا يغلق فى ليل ولا نهار وينزل الله منه الرزق على كل امرئ بقدر نيته وعطيته وصدقته ونفقته من أكثر أكثر الله له ومن أقل أقل الله له يازبير ان الله يحب الانفاق ويبغض الاقتار وان السخاء من اليقين والبخل من الشك ولا يدخل النار من أيقن ولا يدخل الجنة من شك يازبير ان الله يحب السخاء ولو بفلق تمرة ويحب الشجاعة ولو بقتل عقرب أوحية

﴿خاتمة﴾ ان الدعاء لاينافى التوكل كما ان التطبب ومعاطاة الاسباب لاتنافى التوكل وقد ورد الأمر به فى آيات وأحاديث كثيرة قال تعالى ادعونى أستجب لكم وقال تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا الى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون وعن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مامن مسلم دعا دعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا اثم الا أعطاه الله بها احدى ثلاث خصال اما أن يعجل له دعوته واما أن يدخر له فى الآخرة واما أن يدفع عنه من السوء مثلها وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال مامن مؤمن ينصب وجهه الى الله تعالى يسأله مسئلة الا أعطاه اياها اما أن يعجلها واما أن يدخرها له فى الآخرة مالم يعجل قالوا وما عجلته قال يقول دعوت الله عز وجل فلا أراه يستجاب لى قال العلماء وللدعاء آداب منها ان يرصد به الأوقات والأحوال الشريفة كما أخر يعقوب عليه السلام الاستغفار لبنيه الى السحر وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا نودى للصلاة فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء وروى مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعاء وفى حديث أنس عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال يستجاب الدعاء فى أربعة مواطن عند الأذان والاقامة اذا اصفوا للصلاة وعند قراءة القرآن وعند نزول الغيث وعند القتال فى سبيل الله وعند كل ختمة دعوة مستجابة ومنها الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فروى الترمذى ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال ان الدعاء موقوف بين السماء والارض لايصعد منه شئ حتى تصلى على نبيك محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ومنها حضور القلب ففى حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان الله لايستجيب دعاء من قلب غافل لاه ومنها أكل الحلال قبل الدعاء ففى أفراد مسلم من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فانى يستجاب لذلك ومنها أن لايستعجل الاجابة فربما كانت المصلحة فى التأخير فعنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل يدعو عبده المؤمن يوم القيامة فيقول أى عبدى انى أمرتك أن تدعونى ووعدتك أن أستجيب لك فهل كنت تدعونى فيقول نعم يارب فيقول وهل كنت ترى لبعض دعائك اجابة وبعضه لاترى له اجابة فيقول نعم يارب فيقول أما انك مادعوتنى بدعوة الا استجبت لك فاما ان عجلتها لك فى الدنيا واما أدخرتها لك فى الآخرة أليس دعوتنى يوم كذا وكذا بغم نزل بك ان أفرج عنك ففرجت عنك فيقول بلى يارب فيقول انى عجلتها لك فى الدنيا ودعوتنى يوم كذا وكذا لحاجة فلم أقضها فيقول نعم يارب فيقول انى أدخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا قال فيتمنى العبد فى ذلك الوقت فيقول ياليتنى لم يعجل لى من دعائى بشئ فيامن زاده قليل وطريقه بعيد يامقبلا ومجلا على مايضره نار كما يفيد أنسيت هجوم الموت العظيم الشديد أغفلت عن نزول اللحد المهلك المبيد أماتخاف الحساب اذا نشر الكتاب

رقيب عتيد من لك اذا تلهف القادم وتأسف النادم وأقلقت المظالم وتعلق المظلوم بالظالم كم متجبرهان بالامتهان و ودعند شهادة الاركان انه ما كان ياله من يوم يخرس فيه لسان الانسان و يقلق عند بر و ز النيران الحيران فابك على ذنو بك وتأسف للعصيان فما يوضع فى الميزان مثل الاحزان ياقليل الاخلاص والتقى ستندم على التفريط يوم اللقا يامطمئنا الى دار قليلة البقا ايثار مايفنى على مايبقى من الشقا كم معصية فعلتها وما اتقيت كم خطيئة بارزت بها وما استحييت كم موعظة سمعتها وما أرعو يت كم دعيت الى ماينفعك فأبيت كم أقبل عليك مولاك بعظته فوليت يامن زمانه ينقضى بعسى وسوف وأرجو وليت يامن جسده حى وقلبه ميت متى تتقى من براك متى تراقب من يراك متى تعرف شكر من أولاك متى تخجل من ذل زلل قد علاك يابعيد الامل أجلك قريب أيها الغافل ستدعى فتجيب يامغترا بالسلامة سهم التلف مصيب ياراحلا عن قليل ساكن القبر غريب ياناسيا مابين يديه من امر العجيب

كم تناديك الخطايا * رائد الموت المشيب
سوف تدعوك المنايا * وعلى رغم تجيب

أيها المشغول طول الليل بالمنام وطول النهار بالحطام أترضى بمشاركة الانعام هذب النفس فهى المقصود لا الاجسام

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته * أتطلب الربح فيما فيه خسران
أقبل على النفس واستكمل فضائلها * فانت بالنفس لا بالجسم انسان

كيف يسوغ لك المطعم وقد فعلت ماتعلم يامعوجا بالشقاق لايتقوم يأمر تضعا لدى الامل عن قليل تفطم امايؤثر فيك عذل اللوم ان كان لك عذر فقل وتكلم سيظهر قبيحك غدا فالى كم يكتم أين غضك عن كل محرم أين امسا كك لسانك فالتقى ملجم تأخذ اعراض الناس وتلدغها لدغ أرقم لسانك معسول بالخداع وقلبك علقم اللذة تفنى والعذاب يبقى هل تفهم يامصرا على الذنوب مثلك لايسلم ان كنت قد انتبهت فاعزم على هجر النوم ان كنت رجلا فزاحم أو يساوا بن أدهم القلب غائب والسر ذاهل فمن ذا يكلم وفقنا الله تعالى واياكم لمراضيه وجعل مستقبل حالنا خيرا من ماضيه اللهم يامن فتح بابه للطالبين وأطلق بالسؤال ألسنة القاصدين نسألك أن تجعلنا من أوليائك المقربين المتوكلين وحزبك المفلحين وان تجعلنا من الآمنين من الفزع الاكبر يوم الدين اللهم اجعل الايمان لنا سراجا ولا تجعله لنا استدراجا وعلمنا مالم نعلم وثبت قلو بنا على دين نبيك المعظم صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله الطيبين وأصحابه المكرمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

﴿ المجلس السابع والاربعون ﴾

(فى فضل الصحابة يقرؤ فى جمادى)

(١) ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(١) بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى أحكم بحكمته مافطرو بنى وقرب من خلقه برحمته ودنا ورضى بالشكر من بريته لنعمه ثمنا وأمر بخدمته لا لحاجته بل لنا يغفر الخطايا لمن أساء وجنى ويجزل العطايا لمن كان محسنا بين لقاصديه سبيلا وسننا ووهب لعابديه جزيلا يقتنى وأثاب حامديه ألذ ما يجتنى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا أحمده مسرا الحمد ومعلنا وأشهد أن محمدا عبده و رسوله أشرف من تردد بين جمع ومنى صلى الله تعالى عليه وعلى صاحبه أبى بكر المتخلل بالعباءة راضيا بالعنا وهو الذى أراد بقوله تعالى وعنى

الحمد لله القديم الأحدى العظيم الصمدى الدائم الأبدى القائم السرمدى رفع بقدرته السماء وأجرى بحكمته الماء وعلم آدم الأسماء وأمكنه من العيش الهنى فخالف بالأكل الصواب فكشف الخلاف عنه الجلباب فخرج ومايعرف الباب لشوم ارتكاب النهى فما زال يبكى الهفوات و يستدرك سالف الفوت حتى عطفت على تلك العبرات رحمة الراحم الحفى فاحذر من الافعال الخباث فانها سبب الالتياث وتعلق بالمستغاث ينقذك من جهل العمى تفرد بالانعام والجود وأذل الاعناق له بالسجود وتنزه عن مشابهة كل موجود بالوجود الازلى موصوف بالرضا و يحذر منه السخط ومعروف بالكرم فاياك والقنط شرط عليك التقوى فقم بالذى شرط فانه لاينسى أجر التقى قضى القضاء قبل خلق الخلق وفرغ وأنزل القرآن والزمن من النذر قد فرغ لينذركم به ومن بلغ باللسان العربى وهو المكتوب المسموع المعروف المحفوظ المتلو المألوف والمتكلم به بالكلام موصوف نزله روح القدس على قلب النبى لايخلق على كثرة التكرار ولايبلى ولا يقدر الخلق على مثله حاشا وكلا تعرف الملائكة كل بيت فيه يتلى معرفتهم بالكوكب المضى أحمده على العزم القويم القوى وأستعيذه من الشيطان الرجيم الغوى وأشهد له بالتوحيد شهادة خالصة من الشك الردى وأشهد أن محمدا عبده و رسوله استخرجه من العنصر الزكى ونصره بالرعب قبل المشرفى أرسله بالدليل الواضح الجلى و زهده فى مجالسة الغنى الغبى و رغبه فى صحبة الفقير الضعيف القصى وعاتبه فى صهيب الرومى و بلال الحبشى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى فصلى الله على سيدنا محمد الهاشمى القرشى المكى التهامى الزمزمى الابطحى وعلى صاحبه المخصوص بفضيلة ثانى اثنين وهو فى القبر مضاجعه كهاتين كيف لا وقد كانا رفيقين فى الزمان الجاهلى وعلى الذى كانت الشياطين تفر من ظله وتتفرق هيبة من أجله اذا سمعوا خفق نعله هربوا من الاحوذى وعلى مصابر البلاء من أيدى الاعداء الذى تستحى منه ملائكة السماء سلام الله على ذلك الحيى وعلى الذى ملىء علما وخوفا وعاهد على ترك الدنيا فأوفى ونحن والله بحبه أوفى من حب الرافضى وعلى جميع أصحابه وأزواجه وأتباعه على منهاجه ماقام مكلف بالفرض الرسمى وسلم تسليما ﴿ أما بعد ﴾ فقد قال الله تعالى هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله و رضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما (فنقول) و بالله تعالى التوفيق الكلام على هذه الآيات فى أربعة فصول ﴿ الفصل الأول ﴾ فى تفسيرها قال المفسرون رحمهم الله تعالى (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) أى متلبسا به أولاجل الهدى والمراد به الدليل الواضح أو القرآن (ودين الحق) هو الاسلام (ليظهره على الدين كله) أى ليعليه على كل الاديان بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا وقيل ليظهر رسوله عليه الصلاة والسلام وقد كان ذلك بحمد الله تعالى فان دين الاسلام قد ظهر على جميع الاديان وانقهر له كل أهل الملل وقيل ان تمام هذا الاعلاء عند نزول عيسى عليه السلام وخروج المهدى رضى الله تعالى عنه حيث لايبقى حينئذ دين سوى دين الاسلام (وكفى بالله شهيدا) على ان ماوعده عز وجل من اظهار دينه على جميع الاديان أو الفتح كائنا لامحالة أو كفى بالله شهيدا على رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم لانه عليه الصلاة والسلام ادعاها وأظهر الله تعالى

ثانى اثنين اذهما فى الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا وعلى عمر المجد فى عمارة الاسلام فما ونى وعلى عثمان الراضى بالقدر وقد حل بالفناء الفنا وعلى على الذى بالغنا فى مدحه والفخر لنا وعلى سائر آله وأصحابه الأمنا وسلم تسليما اه منه

المعجزة على يده وذلك شهادة منه تعالى عليها (محمد رسول الله) أى هو أو ذلك الرسول المرسل بالهدى محمد وقرئ بنصب محمد على المدح (والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) والمراد بمن معه عند ابن عباس من شهد الحديبية وهم أهل بيعة الرضوان الذين بايعوه تحت الشجرة وهى سمرة أو سدرة وكانت البيعة على ان يقاتلوا قريشا ولا يفرون وقيل بايعوه على الموت وكان عددهم خمس عشرة مائة وقيل أربع عشرة مائة وقال الجمهور المراد بهم جميع أصحابه عليه الصلاة والسلام وأشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى ان فيهم غلظة وشدة على أعداء الدين ورحمة ورقة على اخوانهم المؤمنين ونحوه قوله تعالى أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وقد روى عن الحسن ان من تشددهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه قال الوالد عليه الرحمة فى روح المعانى والمصافحة لم يختلف فيها الفقهاء فقد أخرج أبو داود عن البراء قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله واستغفراه غفر لهما وفى رواية الترمذى ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما ما قبل أن يتفرقا وفى الأذكار النووية انها مستحبة عند كل لقاء وأما المعانقة فقال الزمخشرى كرهها أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه وكذلك التقبيل قال لا أحب أن يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيأ من جسده ورخص أبو يوسف عليه الرحمة المعانقة ويؤيده ما روى عن الامام أبى حنيفة ما أخرجه الترمذى عن أنس قال سمعت رجلا يقول لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا رسول الله الرجل منا يلقى أخاه أينحنى له قال لا قال أفيلتزمه ويقبله قال لا وفى رواية إلا أن يأتى من سفر قال أفيأخذ بيده ويصافحه قال نعم وفى فتاوى ابن حجر الحديثية لا بأس بالبر والاحسان على عدو الدين إذا تضمن مصلحة شرعية وقوله تعالى (تراهم ركعا سجدا) أى مصلين وهو اخبار عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها (يبتغون فضلا من الله) وهو الجنة (ورضوانا) يعنى رضا الله تعالى عنهم (سيماهم) أى علامتهم وقرئ سيماؤهم بزيادة ياء بعد الميم والمد (فى وجوههم) أى فى جباههم أو هى على ظاهرها (من أثر السجود) وهل هذه العلامة فى الدنيا أو الآخرة فى ذلك قولان أحدهما انه فى الدنيا وهى السمت الحسن والخشوع والوقار والتواضع وقيل ندى الطهور وأثر التراب على الجباه وقيل اصفرار الوجه من أثر السهر وقيل ظهور الأنوار عليه وشاع تفسير ذلك بما يحدث فى جبهة السجاد مما يشبه أثر الكى وثفنة البعير وكان على بن الحسين زين العابدين وعلى بن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهم يقال لكل منهما ذو الثفنات لان كثرة سجودهما أحدث فى مواقعه منهما اشباه ثفنات البعير وهى ما يقع على الارض من أعضائه إذا غلظ قال البقاعى ان من السيما ما يصنعه بعض المرائين من أثر هيئة السجود فى جبهته فان ذلك من سيما الخوارج وعن ابن عباس عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم إنى لأبغض الرجل وأكرهه إذا رأيت بين عينيه أثر السجود ذكره الخطيب وأخرج البيهقى عن حميد بن عبد الرحمن قال كنت عند السائب إذ جاء رجل وفى وجهه أثر السجود فقال لقد أفسد هذا وجهه أما والله ما هى السيما التى سمى الله تعالى ولقد صليت على وجهى منذ ثمانين سنة ما أثر السجود بين عينى ونظيره ما حكى عن بعض المتقدمين قال كنا نصلى فلا يرى بين أعيننا شئ ونرى أحدنا الآن يصلى فترى بين عينيه ركبة البعير فما ندرى أثقلت الارؤس أم خشنت الأرض والقول الثانى إن هذه السيما فى الآخرة أخرج البخارى فى تاريخه عن ابن عباس إنه قال فى الآية بياض يغشى وجوههم يوم القيامة وفى رواية هو النور يوم القيامة وقيل انهم يبعثون غرا محجلين من أثر الطهور (ذلك مثلهم) أى صفتهم والمعنى إن صفة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه (فى التوراة) هذا (ومثلهم فى الانجيل) أى هذا المثل المذكور فى التوراة هو مثلهم فى الانجيل وقيل إن المتقدم مثلهم فى التوراة وأما مثلهم فى الانجيل (كزرع) وقيل ان مثلهم فى التوراة والانجيل كزرع (أخرج شطأه) أى فراخه وهو ما خرج منه وتفرع فى

شاطئيه أى فى جانبيه وقال قطرب شوك السنبل يخرج من الحبة عشر سنبلات (فآزره) أى ساواه وصار مثله فقواه لأن الأصل يتقوى بفروعه (فاستغلظ) أى صار ذلك الزرع غليظا بعد إن كان رقيقا (فاستوى على سوقه) وهو جمع ساق أى فاستقام على قصبه وأصوله (يعجب الزراع) أى زراعه لقوته وحسن منظره (ليغيظ بهم الكفار) وهنا تم المثل وهو مثل ضربه الله تعالى للصحابة رضى الله تعالى عنهم قلوا فى بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا وافترق أمرهم يوما فيوما بحيث أعجب الناس وهذا ما اختاره بعضهم وقد أخرجه ابن جرير وابن المنذر عن الضحاك وابن جرير وعبد بن حميد عن قتادة وذكر عنه أنه قال أيضا مكتوب فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يخرج منهم قوم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وفى الكشاف هو مثل ضربه الله تعالى لبدء ملة الاسلام وترقيه فى الزيادة إلى أن قوى واستحكم لأن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله تعالى بمن معه كما يقوى الطاقة الأولى ما يحتف بها مما يتولد منها وظاهره إن الزرع هو النبى عليه الصلاة والسلام والشطء أصحابه رضى الله تعالى عنهم فيكون مثلا له عليه الصلاة والسلام وأصحابه لا لاصحابه فقط كما فى الاول ولكل وجهة قال الامام مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه من أصبح وفى قلبه غيظ على أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية

﴿الفصل الثانى﴾ فيما ورد فى حق الصحابة رضى الله تعالى عنهم من الآيات والأحاديث وأقوال السلف واعلم أولا ان تعريف الصحابى على ما هو المشهور من رأى النبى عليه الصلاة والسلام أو رآه النبى ومات على الايمان وان تخللت بينهما ردة قال ابن حجر اعلم ان الذى أجمع عليه أهل السنة انه يجب على كل أحد تزكية جميع الصحابة باثبات العدالة لهم والكف عن الطعن فيهم والثناء عليهم فقد أثنى الله تعالى عليهم فى آيات من كتابه العزيز فمنها قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس فاثبت سبحانه لهم الخيرية على سائر الأمم ولا شئ يعادل شهادة الله تعالى لهم بذلك ومنها قوله عز وجل وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس والصحابة رضوان الله تعالى عليهم فى هاتين الآيتين هم المشافهون بهذا الخطاب ولا يكون الأخير والشاهد إلا عدلا ومنها قوله تعالى يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبايمانهم ومنها قوله عز شأنه لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ومنها قوله عز من قائل والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وقد رضى سبحانه وتعالى فى هذه الآيات ولا يقع الرضا منه سبحانه إلا على من علم موته على الاسلام وأما من علم موته على الكفر فلا يمكن أن يخبر الله تعالى بانه راض عنه وعلم ان هذه الآيات صريحة فى رد من يزعم ان الصحابة غير عدول أو انهم ارتدوا بعد وفاة نبيهم الا نحو ستة أنفس منهم سبحانك هذا بهتان عظيم فينبغى للمسلم أن يتصف بقوله تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم وأما الأحاديث النبوية فكثيرة منها ما فى الصحيحين انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تسبوا أصحابى فلو أن أحدا وفى رواية أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وروى الدارمى وابن عدى وغيرهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم قال فى التبصرة روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان الله إختارنى واختار لى أصحابا فجعل لى منهم وزراء وأنصارا وأصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا (١) ولا عدلا وروى الترمذى والحاكم خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وفى رواية أخرى خير الناس قرنى الذى أنا فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والآخرون أرذال وأخرج الخطيب البغدادى انه عليه الصلاة والسلام قال

---

(١) قوله صرفا أى فرضا ونفلا اه منه

إذا ظهرت الفتن أو قال البدع وسب أصحابي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله له صرفا ولا عدلا وروى الديلمي عن أنس رضي الله تعالى عنه اذا أراد الله برجل من أمتي خيرا ألقى حب أصحابي في قلبه وروى الترمذي عن عبد الله بن مغفل الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وروى الطبراني وغيره عن علي كرم الله تعالى وجهه الله الله في أصحاب نبيكم فانه أوصى بهم وأما أقوال السلف فمنها ما قاله ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ان الله عز وجل نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خير هذه الأمة أبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا قوم اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ونقل دينه وقال العلماء ولو لم يرد شيء من الآيات والأحاديث التي ذكرناها لاوجبت الحالة التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الاسلام وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين والصبر والورع واليقين القطع بتعديلهم والاعتقاد بنزاهتهم وانهم أفضل من جميع الجائين بعدهم وليعلم ان الصحابة أصناف مهاجرون وأنصار وخلفاء والمشهور أن أفضلهم أبو بكر فعمر فعثمان فعلي وقال كثير من العلماء بتفضيل علي على عثمان ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة ثم أهل بدر ثم باقي أهل أحد ثم باقي أهل بيعة الرضوان بالحديبية ثم باقي الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين

﴿الفصل الثالث﴾ في فضائل أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه واسمه عبد الله بن عثمان بن عامر يلتقي مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مرة ولقبه عليه الصلاة والسلام عتيق الجمال وجهه قال ابن الجوزي وكان علي ابن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه يحلف بالله ان الله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة أسري به جبريل ان قومي لا يصدقوني فقال له جبريل يصدقك أبو بكر وهو الصديق ويكفيه فخرا قوله تعالى ألا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا قال الشعبي عاتب الله أهل الارض جميعا في هذه الآية غير أبي بكر وذكر المفسرون ان المشركين كانوا يؤذون المسلمين في مكة فتجهز أبو بكر ليلحق بالمدينة فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على رسلك أي اصبر فاني أرجو أن يؤذن لي ثم خرجا الى الغار وهو غار بجبل ثور قريب من مكة وبينهما مسيرة ساعة فجعل أبو بكر يشق ثوبه ويسد الانقاب فبقي نقب فسده بعقبه فمكث ثلاث ليال في الغار فخرجت قريش تطلب الآثار فلما مروا بالغار رأوا نسج العنكبوت فقالوا لو دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على الباب ولقد أحسن البوصيري بقوله

أخرجوه منها وآواه غار * وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت * ما كفته الحمامة الحصداء
فاختفى منهم على قرب مرآ * ه ومن شدة الظهور الخفاء
ونحا المصطفى المدينة فاشتا * قت اليه من مكة الانحاء

وقوله

فالصدق في الغار والصديق لم يرما * وهم يقولون ما بالغار من أرم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على * خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الأطم

وأخرجا في الصحيحين عن أنس رضي الله تعالى عنه ان أبا بكر حدثه قال قلت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن في الغار لو ان أحدهم نظر الى قدميه لابصرنا تحت قدميه فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وليعلم ان أبا بكر رضي الله تعالى عنه معروف الفضل في الجاهلية والاسلام ولما جاء الاسلام كان أول من أسلم وهو أول من خاصم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم روي عن أسماء ذات النطاقين بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما قالت أتى الصريخ أبا بكر فقيل له أدرك صاحبك فخرج من عندنا وان له غدائر فدخل المسجد وهو يقول ويلكم أتقتلون رجلا يقول ربي الله فلهوا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأقبلوا على أبي بكر فرجع الينا فجعل لا يمس شيأ من غدائره الا جاء معه وهو يقول تباركت يا ذا الجلال والاكرام وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ان أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربي عز وجل لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الاسلام ومودته لا يبقى في المسجد باب الا سد الا باب أبي بكر (١) وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ما لأحد عندنا يد الا وقد كافأناه ما خلا أبا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر فبكى أبو بكر وقال وهل أنا ومالي الا لك يا رسول الله وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال رآني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمشي أمام أبي بكر فقال يا أبا الدرداء تمشي أمام من هو خير منك في الدنيا والآخرة ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر قال في التبصرة وقد انفرد أبو بكر رضي الله تعالى عنه بأن أفتى في حضرة رسول الله صل الله تعالى عليه وسلم وقدمه في الصلاة ونص عليه نصا خفيا باقامته مكانه في الصلاة وبما روي عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قالت أتت امرأة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأمرها أن ترجع اليه فقالت أرأيت ان جئت ولم أرك كأنها تقول الموت قال ان لم تجديني فأتي أبا بكر أخرجاه في الصحيحين وفيهما أيضا انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعائشة ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب لابي بكر كتابا فاني أخاف أن يقول قائل ويتمنى متمن ويأبى الله والمؤمنون الا أبا بكر وأخرج الواقدي والحاكم عن عائشة قالت كان أول بدء مرض أبي أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يوما باردا فحم خمسة عشر يوما لا يخرج الى الصلاة وتوفي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وسنه ثلاث وستون سنة وافق عمره عمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان أسن أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام وأخرج الطبراني عن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما قال لما احتضر أبو بكر قال يا عائشة انظري اللقحة كنا نشرب من لبنها والجفنة التي كنا نطبخ فيها والقطيفة التي كنا نلبسها فانا كنا ننتفع بذلك حين كنا نلي أمر المسلمين فاذا مت فارديه الى عمر فلما مات أرسلت به الى عمر فقال رحمك الله يا أبا بكر لقد أتعبت من جاء بعدك ولما احتضر كتب كتابا بعد أن شاور أعيان الصحابة في خلافة عمر بن الخطاب ثم ختمه وسلمه لعثمان وخرج به الى الناس فبايعوا وقالت عائشة لما احضر أبو بكر قال انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فان الحي أحوج الى الجديد من الميت ودفن في حجرة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت مدة خلافته نحوا من سنتين ونصف رضي الله تعالى عنه وأرضاه

﴿الفصل الرابع﴾ في فضل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه هو عمر بن الخطاب بن نفيل وعند كعب بن لؤي يلتقي مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في النسب وقد كان مقدما في الجاهلية والاسلام وهو أول من تلقب بأمير المؤمنين وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه يلقب بخليفة رسول الله ثم كان عمر يكتب في أيام خلافته من خليفة خليفة رسول الله ثم لقب بهذا اللقب قال الحافظ الذهبي أسلم في السنة

(١) وقد تقدم هذا الحديث في بعض الدروس برواية خوخة فلا تغفل اهـ منه

السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة وكان اسلامه بعد أربعين رجلا واحدى عشرة امرأة ففرح به المسلمون وظهر الاسلام بمكة عقب اسلامه روى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال خرج عمر متقلدا بالسيف فلقيه رجل من بنى زهرة قال أين تعمد يا عمر قال أريد أن أقتل محمدا قال وكيف تأمن فى بنى هاشم و بنى زهرة وقد قتلت محمدا فقال له عمر ما أراك الا قد صبوت وتركت دينك الذى أنت عليه قال أولا أدلك على العجب يا عمران ختنك وأختك قد صبوا وتركا دينك الذى أنت عليه فمشى عمر فأتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خباب فلما سمع خباب حس عمر توارى فى البيت فدخل عليهما فقال ما هذه الهينمة التى سمعتها عندكم قال فكان يقرؤن طه فقالا ما عدا حديثا تحدثناه بيننا قال فلعلكما قد صبوتما فقال له ختنه أرأيت يا عمران كان الحق فى غير دينك فوثب عمر على ختنه فوطئه وطأ شديدا فجاءت اخته لتدفعه عن زوجها فنفحها نفحة بيده فدمى وجهها فقالت وهى غضبى يا عمر ان كان الحق فى غير دينك فأنا أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فلما يئس عمر قال اعطونى هذا الكتاب الذى عندكم فاقرؤه فقالت أخته انك رجس ولا يمسه الا المطهرون فقم فاغتسل أو توضأ فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ طه حتى انتهى الى قوله اننى أنا الله لا إله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى فقال عمر دلونى على محمد فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال ابشر يا عمر فانى أرجو أن تكون دعوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الخميس اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب أو بعمر بن هشام قال وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدار التى فى أصل الصفا فانطلق عمر حتى أتى الدار قال وعلى باب الدار حمزة وطلحة وأناس من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما رأى حمزة وجل القوم من عمر قال حمزة نعم فهذا عمر فان يرد الله بعمر خيرا يسلم و يتبع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وان يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينا قال والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم داخل يوحى اليه فخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف وقال ما أنت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزى والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة ثم قال اللهم اهد عمر بن الخطاب اللهم أعز الدين بعمر ابن الخطاب فقال عمر أشهد أن لا إله الا الله وأنك رسول الله فأسلم وقال اخرج يا رسول الله قال ابن عباس رضى الله عنهما لما أسلم عمر كبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد وقال يا رسول الله ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى والذى نفسى بيده قال ففيم الاختفاء والذى بعثك بالحق لنخرجن قال عمر فخرجنا فى صفين حمزة فى أحدهما وأنا فى الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الى حمزة والىّ فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها قال فسمانى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يومئذ الفاروق وأخرج ابن ماجه عن ابن عباس قال لما أسلم عمر نزل جبريل فقال يا محمد لقد استبشر أهل السماء باسلام عمر وروى البزار والحاكم عن ابن عباس قال لما أسلم عمر قال المشركون قد انتصف القوم منا اليوم وأنزل يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وروى البخارى وغيره عن ابن مسعود قال ما زلنا فى عزة منذ أسلم عمر وابن سعد عنه أيضا قال كان اسلام عمر فتحا وكانت هجرته نصرا وامامته رحمة ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصل الى البيت حتى أسلم عمر فلما أسلم قاتلهم حتى تركونا وسبيلنا وأخرج أحمد بن حنبل والترمذى والطبرانى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لو كان نبىّ بعدى لكان عمر بن الخطاب وأخرج الترمذى انى لأنظر الى شياطين الجن والانس قد فروا من عمر وفى الصحيحين من حديث سعد بن أبى وقاص عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لعمر والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وفى حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وأخرج النسائى وأحمد عن عائشة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لقد كان فيمن قبلكم من الأمم ناس محدثون فان يكن فى أمتى أحد فانه عمر وفى حديث

علىّ ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اتقوا غضب عمر فان الله يغضب اذا غضب ﴿ومن كراماته﴾ ما أخرجه البيهقى والخطيب البغدادى وأبو نعيم ان عمر وجه جيشا فى أيام خلافته الى نهاوند من بلاد العجم ورأس عليهم رجلا يدعى سارية فبينا عمر يوم الجمعة يخطب فى مسجد المدينة جعل ينادى يا سارية الجبل من استرعى الذئب ظلم فالتفت الناس بعضهم لبعض فقال لهم على ليخرجن مما قال فلما فرغ سألوه فقال وقع فى خلدى ان المشركين هزموا اخواننا وانهم يمرون بجبل فان عدلوا اليه قاتلوا وان جاوزوا هلكوا فخرج منى ما تزعمون انكم سمعتموه قال ابن مردويه فجاء البشير بعد شهر فذكر انهم سمعوا صوت عمر فى ذلك اليوم فعدلوا الى الجبل ففتح الله تعالى عليهم انتهى وله طرق أخر ورآه طلحة ليلة يدخل بيتا فلما أصبح دخل طلحة ذلك البيت فاذا عجوز عمياء مقعدة فقال ما صنع عندك ذلك الرجل فقالت انه يتعاهدنى منذ كذا ويأتينى بما يصلحنى ويخرج عنى الاذى فقال طلحة ثكلتك أمك يا طلحة أعثرات عمر تتبع وكان يقول لو مات جدى بطف الفرات لخشيت أن يحاسب الله عمر وكان فى وجهه خطان أسودان من البكاء وقد توفى رضى الله تعالى عنه فى آخر ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة وسنه ستون سنة ومدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وكان سبب وفاته انه كان للمغيرة عبد مجوسى اسمه أبو لؤلؤة وكان ضرب عليه المغيرة مائة درهم فى الشهر فجاء الى عمر يشتكى شدة الخراج فقال ما صنعتك قال حداد ونقاش ونجار قال ما خراجك بكثير فانصرف ساخطا ثم عاد بعد ليال فقال يا أمير المؤمنين ان المغيرة زاد علىّ فكلمه كى يخفف عنى فقال أحسن الى مولاك ومن نية عمر أن يكلم المغيرة فيه فغضب وقال يسع الناس كلهم عدله غيرى وأضمر قتله واتخذ خنجرا ذا رأسين نصابه فى وسطه وسنه فكمن فى زاوية من زوايا المسجد فى الغلس فلم يزل هنالك حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة فلما دنا منه طعنه ثلاث طعنات وكان ذلك يوم الاربعاء لاربع بقين من ذى الحجة ودفن يوم الاحد مستهل المحرم بجنب أبى بكر فى حجرة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال سعد بن أبى طلحة خطب عمر رضى الله تعالى عنه فقال رأيت كأن ديكا نقرنى نقرة أو نقرتين وانى لا أراه الا حضور أجلى وان قوما يأمروننى أن استخلف وان الله لم يكن أن يضيع دينه ولا خلافته فان عجل بى فأمر الخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عنهم راض وقد جعلتها شورى فى عثمان وعلىّ وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص ثم ان أهل الشورى بايعوا عثمان رضى الله تعالى عنهم أجمعين

﴿الفصل الخامس﴾ فى فضائل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ابن أبى العاص بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف و به يجتمع مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان حسن الوجه كث اللحية أجمل الناس اذا اعتم وهو من السابقين الاولين وأول المهاجرين وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة الذين توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عنهم راض وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن قال فى الصواعق ولا يعرف أحد تزوج بنتى نبى غيره فقد تزوج رقية بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل النبوة وماتت عنده فى ليالى غزوة بدر فتأخر عنها لتمريض رقية فضرب له بسهمه ولذا عدوه من البدريين ثم زوجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أختها أم كلثوم وتوفيت عنده سنة تسع من الهجرة ولما أسلم بعد أبى بكر وعلى وزيد ابن حارثة أخذه عمه الحكم بن أبى العاص بن أمية فأوثقه رباطا وقال ترغب عن ملة آبائك الى دين محدث والله لا أفكك أبدا حتى تدع ما أنت عليه فقال عثمان والله لا أدعه أبدا ولا أفارقه فلما رأى الحكم صلابته فى دينه تركه وعن أنس انه أول من هاجر الى الحبشة بأهله وقال عليه الصلاة والسلام ان عثمان لاول من هاجر بأهله الى الله تعالى بعد لوط عليه السلام وأخرج أحمد ومسلم ان رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم قال ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة وأخرج أبو نعيم عثمان أحيي أمتي وأكرمها وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أول الليل الى أن طلع الفجر رافعا يديه يدعو لعثمان بن عفان يقول اللهم عثمان رضيت عنه وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال أشرف عثمان من القصر وهو محصور فقال أنشد بالله من شهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم أحد اذ اهتز الجبل فركله بقدمه ثم قال اسكن أحد ليس عليك الا نبى أو صديق أو شهيد وأنا معه قال فانتشد له رجال قال أنشد بالله من شهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم بيعة الرضوان اذ بعثنى الى المشركين أهل مكة فقال هذه يدى وهذه يد عثمان فبايع له فأنتشد له رجال قال أنشد بالله من شهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من يسع لنا بهذا البيت فى المسجد ببيت له فى الجنة فابتعته من مالى فوسعت به المسجد فانتشد له رجال قال وأنشد بالله من شهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم جيش العسرة قال من ينفق اليوم نفقة متقبلة فجهزت نصف الجيش من مالى قال فانتشد له رجال قال وأنشد بالله (١) من شهد بئر رومة (٢) يباع ماؤها ابن السبيل فابتعتها من مالى وأبحتها ابن السبيل فانتشد له رجال وقال عبد الرحمن بن خباب شهدت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حث على جيش العسرة فقام عثمان فقال يارسول الله على مائة بعير بأحلاسها (٣) وأقتابها فى سبيل الله ثم حث على الجيش فقام عثمان فقال يارسول الله على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله ثم حض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الجيش فقام عثمان فقال يارسول الله على مائة بعير باحلاسها وأقتابها فى سبيل الله قال عبد الله فانا رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على المنبر وهو يقول ما على عثمان ما عمل بعد اليوم وفى الشفاء أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يقتل عثمان وهو يقرؤ المصحف وان الله تعالى عسى أن يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وفى حديث آخر ياعثمان ان الله تعالى مقمصك قميصا فان أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى وقد قتل رضى الله تعالى عنه يوم الجمعة صبيحة عيد الاضحى سنة خمس وثلاثين من الهجرة وقصة قتله أشهر من أن تذكر وكان قد أحصر فى داره فى المدينة أياما ولم يدخل عليه أحد من باب الدار لان الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما وجماعة من أبناء الصحابة كانوا على باب داره يمنعون الناس من الدخول عليه فدخل الاعداء عليه من دار محمد بن حزم الانصارى وأول من ضربه كنانة بن بشير لعنه الله وكان رجل أزرق قصيرا وقد كان عثمان رضى الله تعالى عنه رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى منامه ليلة قتله وهو يقول أفطر عندنا الليلة فاصبح صائما وأول ماضرب على يده بالسيف فقطعت يده فقال أما والله انها أول كف خطت القرآن ومما يشجى قول الشاعر

وكف يديه ثم أوثق بابه * وأيقن أن الله ليس بغافل
وقال لاهل الدار لاتقتلوهم * عفا الله عن ذنب امرئ لم يقاتل
فكيف رأيت الله صب عليهم الـ * ـعداوة والبغضاء بعد التواصل
وكيف رأيت الخير أدبر بعده * عن الناس ادبار النعام الجوافل

وفى ذلك يقول أيضا أيمن بن خزيم

ضحوا بعثمان فى الشهر الحرام ولم * يخشوا على مطمح الكف الذى طمحوا
تعاقد الذابحو عثمان ضاحية * فأى ذبح حرام ويحهم ذبحوا

---

(١) قوله من شهد بئر رومة الخ كذا باصل اه مصححه
(٢) الرومة بالراء المهملة المضمومة بئر بالمدينة اه منه
(٣) جمع حلس كساء على ظهر البعير تحت البرذعة اه منه

وأى سنة كفر سن أولهم * وباب كفر على سلطانهم فتحوا
ماذا أرادوا أضل الله سعيهم * بسفك ذاك الدم الذاكى الذى سفحوا

ودفن قرب البقيع وكان عمره اثنين وثمانين سنة وكان مدة خلافته اثنتى عشرة سنة وصلى عليه الزبير بن العوام وعن زيد بن أبى حبيب بلغنى ان عامة من أشار بقتل عثمان جنوا وعن حذيفة قال أول الفتن قتل عثمان وآخر الفتن خروج الدجال والذى نفسى بيده لايموت رجل وفى قلبه مثقال حبة من حب قتل عثمان الا تبع الدجال ان أدركه وان لم يدركه آمن به فى قبره وعن أنس ان لله سيفا مغمودا فى غمده مادام عثمان حيا فاذا قتل عثمان جرد ذلك السيف فلم يغمد الى يوم القيامة فعليكم اخوانى بموالاة الاصحاب الكرام ومحبة المهاجرين والأنصار للنبى عليه الصلاة والسلام فقد كانت أقدامهم فى الدجى قائمة وأعينهم ساهرة لانائمة وقلوبهم على الطاعة عازمة وهذه أفعال النفوس الحازمة فوجبت لهم نجاة قطيعة جازمة وجوه يومئذ ناعمة وجوه طالما غسلتها الدموع وجوه طالما أذلها الخشوع وجوه ظهر عليها الاصفرار من الجوع خاطرت فى المهالك فأصبحت سالمة وجوه يومئذ ناعمة وجوه اذا عنت أذعنت وذلت وجوه ألفت السجود فاملت وجوه توجهت الينا وعن غيرنا تولت زالت عنها فترة الهجر وتجلت فجلت غائمة وجوه يومئذ ناعمة سهرهم الى الصباح قد أثر فى الوجوه الصباح واقتناعهم بالخبز القفار والماء القراح قد عمل فى الأجسام والأشباح وخوفهم من اجتراح الجناح قد صيرهم كمقصوص الجناح وعلى الحقيقة فكل الأرواح من الخوف هائمة وجوه يومئذ ناعمة تجرى دموعهم فى الخدود كالمياه فى الأخدود وتمل نار الحذر فى الكبود فيتمنون عدم الوجود فهم بين الركوع والسجود ونصب الأقدام القائمة وجوه يومئذ ناعمة يتفكرون فى السابقة ويحذرون من اللاحقة وكأنهم يتقون الصاعقة أو كان السيوف على أعناقهم بارقة ياشدة قلقهم من الخاتمة وجوه يومئذ ناعمة وفقنا الله تعالى واياكم لمراضيه وجعل مستقبل حالنا خيرا من ماضيه اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ماينفعنا وزدنا علما وامنحنا فهما وحلما اللهم اقسم لنا من خشيتك مايحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ماتبلغنا به جنتك ومن اليقين مايهون علينا مصائب الدنيا ومتعنا باسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثارنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لايرحمنا اللهم انا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى اللهم طهر قلوبنا من النفاق وأعمالنا من الرياء وألسنتنا من الكذب وأعيننا من الخيانة فانك تعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور اللهم ارحم أباءنا وأمهاتنا وأقاربنا وكافة أموات المسلمين ياخير الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

﴿المجلس الخامس والأربعون﴾

(فى المعراج يقرؤ فى رجب)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله فالق الحب والنوى وخالق العبد وما نوى المطلع على باطن الضمير وما حوى بمشيئته رشد من رشد وغوى من غوى وبارادته فسد من فسد واستوى بما استوى وصرف من شاء الى الهدى وعطف من شاء الى الهوى قرب موسى نجيا وقد كان مطويا من شدة الطوى فنحه فلاحا وكلمه كفاحا وهو بالواد المقدس طوى وعرج بمحمد اليه فرآه بعينيه ثم عاد وفراشه ماانطوى فأخبر بقربه من ربه وحدث بما رأى وروى فأقسم على تصديقه من حرسه بتوفيقه عن التوى والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى

أحمده على صرف الجوى حمد من أناب وارعوى وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له فيما نشر وطوى وأن سيدنا محمدا عبده ورسوله وعود الهدى قد ذوى فسقاه بماء المجاهدة حتى ارتوى صلى الله تعالى عليه وعلى أبى بكر الصديق صاحبه ان رحل أو ثوى وعلى الفاروق الذى وسم بحده جبين كل جبار وكوى وعلى ذو النورين الصابر على الشهادة وما التوى وعلى على الذى زهد فى الدنيا فباعها واجتوى وعلى جميع آله وأصحابه الذين هم كزرع على سوقه استوى ﴿أما بعد﴾ فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه العزيز وكلامه البليغ الوجيز بعد أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وماغوى وماينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى ذومرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على مايرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة مايغشى مازاغ البصر وماطغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى (فنقول) وبالله تعالى التوفيق قال الوالد عليه الرحمة فى تفسيره أقسم سبحانه بجنس النجم المعروف ومعنى هوى غرب وقيل طلع وقال الحسن وأبو حمزة أقسم سبحانه بالنجوم اذا انتثرت فى القيامة وفى رواية عن ابن عباس اذا انقضت فى أثر الشياطين وقيل المراد بالنجم الثريا قاله مجاهد وسفيان فان النجم صار علما بالغلبة لها ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا طلع النجم صباحا ارتفعت العاهة وقول العرب

طلع النجم عشاء * فابتغى الراعى كساء طلع النجم غديه * فابتغى الراعى كسيه

وقيل هو الشعرى المرادة بقوله تعالى وأنه هو رب الشعرى والكهان يتكلمون على المغيبات عند طلوعها وقيل الزهرة وكانت تعبد وقال ابن عباس ومجاهد والفراء النجم المقدار النازل من القرآن على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واذا هوى بمعنى اذا نزل عليه مع جبريل عليه السلام وقال جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه هو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهويه نزوله من السماء ليلة المعراج وقيل هو الصحابة وقيل العلماء والمراد بهويهم غوصهم فى بحار الأفكار لاستخراج درر الاسرار وقيل غير ذلك (ماضل صاحبكم) وهو نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أى ماعدل عن طريق الحق وهذا جواب القسم (وماغوى) أى ما اعتقد باطلا ولا تكلم به قط (وماينطق عن الهوى) أى عن هوى نفسه ورأيه قال العلامة ابن الجوزى فى التبصرة وذلك أنهم قالوا انه يقول القرآن من تلقاء نفسه (ان هو الا وحى يوحى) أى ما القرآن الا وحى من الله يوحى (علمه شديد القوى) أى علم جبريل عليه السلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ذومرة) أى قوة وكان من قوته انه قلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه فقلبها عليهم وصاح بثمود فأصبحوا خامدين (فاستوى وهو بالأفق الأعلى) فيه قولان أحدهما فاستوى جبريل وهو يعنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم المعنى انهما استويا بالافق الأعلى لما أسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والثانى فاستوى أى فاستقام جبريل وهو يعنى جبريل بالأفق الأعلى على صورته الحقيقية لانه كان يتمثل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا هبط عليه بالوحى فى صورة رجل فاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه يراه على حقيقته فاستوى فى أفق المشرق فملأ الأفق فيكون المعنى فاستوى جبريل بالافق الأعلى فى صورته والأفق الاعلى مطلع الشمس وانما قيل له الاعلى لانه فوق جانب الغرب فى صعيد الارض لا فى الهوى (ثم دنا فتدلى) قال الزجاج دنا بمعنى قرب وتدلى زاد فى القرب وفى المشار اليه بذلك ثلاثة أقوال أحدها انه الله جل جلاله والمراد به القرب المذكور فى قوله تعالى من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا والثانى ثم دنا محمد من ربه والثالث أن جبريل دنا من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (فكان قاب قوسين) القاب القدر قال الكسائى المراد بالقوسين قوس واحد (أو

أدنى) بل أدنى (فأوحى) أى جبريل عليه السلام (الى عبده) أى عبد الله وهو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الى عبده ولم يقل رسوله تشريفا له عليه الصلاة والسلام كما قال الشاعر

أصم اذا نوديت باسمى واننى * اذا قيل لى ياعبدها السميع

وقوله تعالى (ما أوحى) أى الذى أوحاه جبريل عليه السلام وابهام الموحى به للتفخيم مثل قوله تعالى فغشيهم من اليم ماغشيهم وروى فى المواهب اللدنية عن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه انه قال لما قرب الحبيب من الحبيب غاية القرب نالته غاية الهيبة فلاطفه الحق تعالى بغاية اللطف وذلك قوله جل جلاله فأوحى الى عبده ما أوحى أى كان ما كان وجرى ماجرى وقال الحبيب للحبيب مايقول الحبيب للحبيب والطف به الطاف الحبيب بالحبيب نخفى السر ولم يطلع عليه أحد ولم يعلم أحد ما أوحى الا الذى أوحى وعن سعيد بن جبير أوحى اليه صلى الله تعالى عليه وسلم ألم أجدك يتيما فآويتك أم أجدك ضالا فهديتك ألم أجدك عائلا فأغنيتك ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك وقيل أوحى اليه سبحانه أن الجنة حرام على الانبياء حتى تدخلها يا محمد وعلى الامم حتى تدخلها أمتك ذكره الثعلبى والقشيرى وقيل غير ذلك (ما كذب الفؤاد مارأى) قال ابن عباس رأى ربه عز وجل والمعنى ما أوهمه فؤاده انه رأى ولم ير واختلفوا فى الرؤية فأنكرتها عائشة ومن وافقها وقال كثير بوقوعها لكنهم اختلفوا فقال بعضهم رأى ربه بعينه ومنهم من قال بقلبه ومنهم من قال بالتعدد فمرة بعين رأسه والأخرى رآه بفؤاده ومنهم من توقف (أفتمارونه على مايرى) أى أفتكذبونه فتجادلونه على مايراه معاينة فتمارونه عطف على محذوف وقرأ على كرم الله تعالى وجهه أفتمرونه بفتح التاء وسكون الميم يقال مريته حقه اذا جحدته أو المراد بما يرى مارآه من صورة جبريل عليه السلام على ماقال كثير من العلماء (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) هى شجرة النبق فوق السماء السابعة (عندها جنة المأوى) قال ابن عباس هى يمين العرش وهى منزل الشهداء وقيل لها سدرة المنتهى لانها كما روى عن ابن عباس اليها ينتهى علم كل عالم وما وراءها لا يعلمه الا الله تعالى أو لانها تنتهى اليها أعمال الخلائق بان تعرض على الله تعالى عندها أو لانها ينتهى اليها ماينزل من فوقها ومايصعد من تحتها أو لانها تنتهى اليها أرواح الشهداء أو المؤمنين وفى الكشاف لانها منتهى الجنة وآخرها (اذ يغشى السدرة مايغشى) متعلق برآه أو بالجملة المنفية الآتية والغشيان التغطية وفى ابهام مايغشى من التفخيم مالا يخفى وعن الحسن غشيها نور رب العزة جل شأنه وعن سلمة قال استأذنت الملائكة الرب تبارك وتعالى أن ينظروا الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأذن لهم فغشيتها وقيل غير ذلك وهذه السدرة نبقها كقلال هجر وأوراقها مثل آذان الفيلة يسير الراكب فى الفنن منها مائة سنة كما فى الاحاديث الصحيحة (مازاغ البصر) أى ماعدل بصر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمينا ولا شمالا (وماطغى) أى ماجاوز مارآى بل أثبته اثباتا صحيحا مستيقنا أو ماعدل عن رؤية العجائب التى أمر برؤيتها وماجاوزها الى مالم يؤمر برؤيته (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) أى والله لقد رآى الآيات الكبرى من آياته تعالى وعجائبه الملكية والملكوتية وجاء فى بعض الاخبار انه رآى رفرفا أخضر من الجنة قد سد الافق وعن ابن زيد رآى جبريل فى الصورة التى هو بها وروى ان له ستمائة جناح كل جناح منها يسد الافق هذا كان فى ليلة المعراج قبل الهجرة انتهى بزيادة من المواهب وروح المعانى وليعلم انه قد ثبت فى هذه الآيات الكريمات عروج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى السماء قال الامالى

وحق أمر معراج وصدق * ففيه نص اخبار عوالى

قال الشارح الفاضل الملا على القارى أما الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فيكفر منكره لثبوته بقوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله

لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير وأما الى السماء فقد قالوا ان منكره مبتدع انتهى وقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى هل كان الاسراء بجسده صلى الله تعالى عليه وسلم مع روحه أو بروحه فقط فذهب معظم السلف والخلف الى الاول وذهب الى الثانى طائفة من العلماء منهم عائشة ومعاوية رضى الله تعالى عنهما وذهبت طائفة الى التفصيل فقالوا كان الاسراء بجسده يقظة الى بيت المقدس والى السماء بالروح والصحيح هو قول الجمهور للاحاديث المتعددة فى ذلك وكذا اختلفوا فى تاريخ الاسراء فروى ان ذلك كان قبل الهجرة الى المدينة بسنة وقيل فى ربيع الاول ليلة سبع وعشرون وقيل لسبعة عشر من رمضان وقيل فى رجب وقيل غير ذلك وكذا اختلفوا فى الموضع الذى أسرى منه فقال الحسن وقتادة أسرى به من نفس المسجد ويؤيده حديث الصحيحين وقال كثير من المفسرين انه أسرى به عليه الصلاة والسلام من بيت أم هانئ بنت أبى طالب واسمها هند ففى سيرة ابن هشام انها كانت تقول ما أسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو فى بيتى نائم عندى تلك الليلة وذكر حديثها بطوله قال فى التبصرة روى ان نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم حدث عن ليلة أسرى به قال بينما أنا فى الحطيم مضطجع اذ أتانى آت فقد أى شق ما بين هذه الى هذه يعنى من نغرة نحره الى شعرته قال فاستخرج قلبى قال فأتيت بطشت من ذهب مملوءة ايمانا وحكمة فغسل قلبى ثم حشى ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار بيضاء يقع خطوها عند أقصى طرفها قال فحملت عليه فانطلق بى جبريل حتى أتيت السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم فقيل مرحبا به ونعم المجئ جاء قال ففتح فلما خلصت اذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجئ جاء قال ففتح فلما خلصت اذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا السلام ثم قالا مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الثالثة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم قال مرحبا به ونعم المجئ جاء قال ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد على السلام ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجئ جاء قال ففتح فلما خلصت اذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم قال مرحبا به ونعم المجئ جاء قال ففتح فلما خلصت اذا أنا بهرون قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد حتى أتى السماء السادسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجئ جاء قال ففتح فلما خلصت اذا أنا بموسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح قال فلما جاوزته بكى فقيل ما يبكيك قال أبكى لان غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتى ثم صعد حتى أتى السماء السابعة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجئ جاء ففتح فلما خلصت اذا ابراهيم قال هذا ابراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد على السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح قال ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة فقال هذه سدرة المنتهى قال واذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل قال أما الباطنان فنهران فى الجنة وأما الظاهران

فالنيل والفرات قال ثم رفعت الى البيت المعمور قال ثم فرضت على الصلاة خمسين صلاة كل يوم قال فرجعت فمررت على موسى فقال بم أمرت قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم فقال ان أمتك لا تستطيع خمسين صلاة وانى قد خبرت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قال فرجعت فوضع عنى عشرا فرجعت الى موسى فقال بما أمرت قلت باربعين صلاة كل يوم قال فانى قد خبرت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فرجعت فوضع عنى عشرا أخر فرجعت الى موسى فقال بم أمرت قال أمرت بثلاثين صلاة كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع ثلاثين صلاة كل يوم وانى قد خبرت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فرجعت فوضع عنى عشرا أخر فرجعت الى موسى فقال بم أمرت فقلت بعشرين صلاة كل يوم وليلة فقال ان أمتك لا تستطيع لعشرين صلاة كل يوم فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بم أمرت قلت بعشر صلوات كل يوم قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بم أمرت قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قال قلت قد سألت ربى حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم فلما نفذت نادى مناد قد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى أخرجاه فى الصحيحين وفى افراد مسلم من حديث أنس عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال أتيت بالبراق فركبته فسار بى حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التى يربط فيها الانبياء ثم دخلت فصليت ركعتين وانما كان الاسراء الى بيت المقدس والمعراج من هناك الى السماء لاربع فوائد الاولى انه لو أخبر بصعوده الى السماء فى بدء الحديث لاشتد انكارهم ولو وصفها لهم لم يكن عندهم علم بذلك فلما أخبرهم ببيت المقدس ووصفه لهم دل صدقه فى ذلك على صدقه فى حديث المعراج الثانية انه سير فى الارض ليستأنس ثم درج الى الصعود الى السماء الثالثة ان الانبياء عليهم السلام جمعوا له هناك فصلى بهم فبان فضله بالتقدم عليهم فى دار التكليف الرابعة أن مر بالنواحى التى كلم عندها موسى عليه السلام ثم صعد فكلم فى السماء ليظهر التفاوت بينهما وفى المواهب اللدنية للقسطلانى عليه الرحمة انه عليه الصلاة والسلام لما رجع من سفر الاسراء مر فى بعض طريقه بعير لقريش تحمل طعاما فيها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذى بالعير نفرت منه واستدارت وتصرع ذلك البعير وفى رواية أضلوا بعيرا قد جمعه فلان قال صلى الله تعالى عليه وسلم فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم أتى مكة قبل الصبح وأخبر قومه بما رأى وقال لهم ان من آيتى ما أقول لكم انى مررت بعير لكم فى مكان كذا وكذا وقد أضلوا بعيرا لهم فجمعه فلان وان مسيرهم ينزلون بمكان كذا وكذا ويأتونكم يوم كذا يقدمهم جمل آدم عليه مسح أسود وغرارتان فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حتى اذا كان قريب من نصف النهار أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذى وصفه عليه الصلاة والسلام وفى رواية الى المسجد الاقصى سألوه آية فأخبرهم بقدوم العير يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا حتى كادت الشمس أن تغرب فدعا الله تعالى فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف وعن عائشة رضى الله تعالى عنها لما أسرى بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس كانوا آمنوا وسعى رجال من المشركين الى أبى بكر فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم انه أسرى به الليلة الى بيت المقدس قال أوقد قال ذلك قالوا نعم قال لئن قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح فقال نعم انى لاصدقه فيما هو أبعد من ذلك فى خبر السماء فى غدوة وروحة فلذلك سمى الصديق رواه الحاكم فى المستدرك وابن اسحق وزاد ثم أقبل حتى انتهى الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله حدث هؤلاء

انك جئت بيت المقدس هذه الليلة قال نعم قال يانبى الله صفه لى فانى قد جئته قال الحسن قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرفع لى حتى نظرت اليه فجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصفه لابى بكر فيقول أبو بكر صدقت أشهد انك رسول الله كلما وصف له منه شيأ وقول أبى بكر صفه لى لم يكن عن شئ فانه صدقه من أول وهلة ولكنه أراد اظهار عليه الصلاة والسلام لقومه فانهم كانوا يثقون بأبى بكر فاذا طابق خبره عليه الصلاة والسلام ما كان يعلم أبو بكر وصدقه كان حجة ظاهرة عليهم وفى رواية البخارى جلا الله لى بيت المقدس أى كشف الحجب بينى و بينه حتى رأيتـه وفى رواية مسلم فسألونى عن أشياء لم أثبتها فكربت كربا شديدا لم أكرب مثله قط فرفعه الله لى أنظر اليـه مايسألونى عن شئ الا أنبأتهم به فيحتمل أن يكون حمل الى أن وضع بحيث يراه ثم أعيد ففى حديث ابن عباس عند أحمد والبزار فجئ بالمسجد وأنا أنظر اليه وهذا أبلغ فى المعجزة ولا استحالة فيه فقد أحضر عرش بلقيس فى طرفة عين وأما ماوقع فى حديث أم هانىء عند أبى سعد فخيل الى بيت المقدس وطفقت أخبرهم فان ثبت احتمل أن يكون المراد مثل قريبا منـه كما قيل فى حديث أريت الجنة والنار ويؤول قوله جىء بالمسجد جىء بمثاله وفى حديث أم هانىء المذكور انهم قالوا له كم للمسجد من باب قال ولم أك عددتها قال فجعلت انظر اليه وأعدها بابا بابا ولله تعالى در القائل

سر النبي غريب وهو معجزة * عظيمـة وذو الاخبار ترويه
به عـلا لذرى السبع العلى ودنا * الى مقام شريف جـل مدنيه
فقاب قوسين أو أدنى مسافتـه * ورؤية الله أعـلى نعمة فيـه

فسبحان من أسرى بعبده فعاد الحساد أسرى قصرت دولته قيصر وكسرت هيبته كسرى اقامـه بالليل من وطائه ودثاره ورفعـه فوق السموات بقوته واقتـداره وأراه مافى جنته ومافى ناره وأوحى اليـه ماأوحى من أسراره ثم أعاده فى الليل الى مسكنه وقراره جاوز أفق الشمس والقمر وعـلا على الملائكة والبشر وفاز بالتقريب والنظر وماحضر أحد قط حيث حضر ارتقى الى مقام القرب بقدميه والاملاك تحف به من جانبيه وجبريل يمشى خادما بين يديه والرب قد أنعم بتقريبه اليـه وكشف له الحجاب حتى رآه بعينيه حماه بالطافه من الزيغ فى طريقه وأيده باسعافه واسعاده وتوفيقه وعضده فى صـدقه بتصديق صديقه سبحان من رفعه فوق الافلاك وقدمه على الانبياء والاملاك وانه والله أهل لذاك لانه أطول القوم فى جهاد أهل الاشر الذيلا سبحان الذى أسرى بعبده ليلا أوقد لهداية الخلق سراجه وشاد قواعد دينه وأبراجـه وقوى دليله وأظهر احتجاجه فالخزى كل الخزى لمن جحد معراجـه ويلا له ويلا سبحان الذى أسرى بعبده ليلا كله كفاحا ومنحه فـلاحا وسقاه من شراب المحبة راحا يميل باعطافه ميلا سبحان الذى أسرى بعبده ليلا أصلح بتدبيره طباع المرضى وجعل طاعته على الخلق فرضا وضمن أن يعطيه حتى يرضى كيلا يحصر مايعطى وزنا وكيلا سبحان الذى أسرى بعبده ليلا سـبحان من شرفنا بهـذا الرسول ورزقنا موافقة المنقول فنحن أهل السنة لا أهـل الفضول لانزال على الصراط ولانزول مانعرف ميلا سبحان الذى أسرى بعبده ليلا فخر نبينا أجل وأعلى ومناقبه من الشمس أجـلى وذكره فى قلوبنا والله أحلى عند قيس من ليلى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا اللهم وفقنا لمتابعـة نبيك الـكريم وارزقنا الاستمساك بسنته ودينه القويم واحشرنا فى زمرته وآمنا من الهول العظيم اللهم وأيقظ قلوبنا من رقدات الآمل وذكرنا قرب الرحيل ودنو الآجال وصبرنا على أقوم الامور وأشرف الخصال فى غـدواتنا وفى الآصال اللهم اشف بلطفك مرضانا وارحم بفضلك موتانا واستر علينا عيوبنا واغفر لنا ذنوبنا ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمـة انك أنت الوهاب ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا

وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الـكافرين وصلى الله تعالى على سـيد الانبياء والمرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين * تتمة * ولنذكر مجلسا مسجعا ملحقا بهذا المجلس لمن يريد قراءة المعراج على وجه الاختصار منقولا من كتاب تحفة الاخوان لشهاب الدين أحمد بن حجازى عليه رحمة الرحمن وهو الحمد لله الذى أشرقت بنوره الحجب والاستار ومن عنده جرت الاقدار وكل شئ عنده بمقدار وأشهد أن لا إله الا الله وحده لاشريك له إله تقدس وتعالى عما يقول الـكفار وأشهد أن محمدا عبده ورسوله السيد الفائق والامين الصادق والحبيب الموافق والمنقذ بشفاعته أمته من النار صلى الله وسلم عليه أفضل الصلوات وأزكى السلام وساق اليه أطيب التحيات وانماه وجزاه الله عنا أفضـل الجزاء وأرضاه وآتاه الوسيلة فى دار القرار ورضى عن آله السادة النجباء وأصحابه القادة الـكرماء وتابعيهم وسائر العلماء ماانفجر صبح ونار وطلع قمر واستنار (وبعد) فقد قال الله تعالى فى كتابه المنير سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير أخبر الله تعالى بما أكرم نبينا محمـدا صلى الله تعالى عليه وسـلم من الاسراء به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى المقدس الاسنى ثم عرج به الى السموات ليريه من الآيات وقـد صرح الله تعالى بذلك وأثنى بقوله والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وماغوى الى قوله ثم دنا فتدلى فـكان قاب قوسين أو أدنى وكان المسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من حجر مكة المعظم ليلا فى اليقظة لا فى المنام بجسده الشريف على الصحيح بين العلماء الاعـلام (١) ولله تعالى در الفاروقى حيث يقول

من الغرائب مولاه براه لنا * شمسا وأسرى به فى حندس الظلم

وعمره اذ ذاك احدى وخمسون سنة وثمانية اشهر وثلاثة عشر يوما حسنة قبل الهجرة بسنة ليلة سبع عشرة من ربيع الاول وقيل ليلة سبع وعشرين من رجب وعلى الاول المعول وقد روى هذه القصة طائفة كثيرة من الصحابة الاكرمين من رواية جماعة كثيرة من التابعين من طرق جيدة حسنة ووجوه يشق حصرها على الالسنة جمعت غالبها وسقته فى هذا المجلس وجعلته كاللباب لان فيه من أمر الله تعالى وقدرته وسلطانه وعجائب مخلوقاته عبرة لاولى الالباب فـكان فيما بلغنا عن مسرى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الخبر انه بينما هو نائم فى الحجر اذ جاءه ثلاثة نفر من الملائكة الـكرام وفيهم جبريل عليـه السلام فلم يكلموه حتى احتملوه وعند بئر زمزم وضعوه فتولاه منهم جبريل فشق صدره الجليل وغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقاه وأتى بطشت من ذهب محشو ايمانا وحكمة فطيب به صدره وحشاه وشرح صدره هذه المرة للقاء الرحمن وتلك المرة التى عند حليمة لازالة حظ الشيطان ثم قدم جبريل البراق مسرجا ملجما بين يديه وهو دابة أبيض بين البغل والحمار فى فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه يضع حافره عنـد أقصى طرفه ومنتهاه وهو مركب الانبياء قبل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ومسراه فذهب صـلى الله تعالى عليه وسـلم ليركبه فاستصعب عليه وتشدد فامسك جبريل بأذنيه وقال ألا تستحى يابراق فوالله ماركبك أحد فيما تقدم أكرم على الله من محمد صـلى الله تعالى عليه وسلم فتصبب البراق عرقا ثم قر له حتى صار راكبه فسار ومعه جبريل لايفارق أحـدهما صاحبه حتى بلغا أرضا ذات نخل فقال جـبريل أنزل فصل أيها الخليل ففعل فقال اعـلم ان هذه لطيبة التى وقفت عليها وتـكون هجرتك اليها ثم سار قليلا مع الأمان فقال له جبريل انزل فصل بهذا المـكان ففعل ماأمره من ذلك فقال انك صليت بطور سيناء حيث كلم الله تعالى موسى هنالك ثم سارا يعلوهما نور حتى بلغا أرضا ذات قصور فقال له جبريل انزل فصل بهذه البقعة الشريفه ففعل فأخبره انها بيت لحم حيث ولد عيسى بن مريم

(١) قوله ولله الى آخر البيت هذا ملحق بالاصل وليس فيه اهـ منه

العفيفة ثم سار الى أن دخلا بيت المقدس من الباب اليمانى وحصل بذلك الشرف والعز والتهانى ونزل عن البراق سيد الانام وربطه بالحلقة التى يربط بها الانبياء عليهم السلام ثم دخلا المسجد من باب يميل نور القمرين فصلى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم حيث شاء الله فى المسجد ركعتين ثم وجد ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان فى نفر من الانبياء قد جمعوا له فى ذلك المكان فصلى بهم اماما لديهم ليكمل له الشرف عليهم ثم ان كلا منهم أثنى على ربه الجليل بما خصه من الثناء الجميل فلما سمع نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ما أثنى كل من صحبه أثنى بثناء عظيم على ربه فقال الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين وكافة للناس أجمعين بشيرا ونذيرا وأنزل على الفرقان فيه تبيان كل شئ وجعل أمتى هم الاولون وهم الآخرون وشرح لى صدرى ووضع عنى وزرى ورفع لى ذكرى فاتحا خاتما فلما فرغ من الثناء المحمود قال ابراهيم للانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذا فضلكم محمد عليه الصلاة والسلام ثم أتى بثلاثة أوان قريبة لبن وماء وخمر عجيبة وقد ثبت من طرق واتصل انه عرض عليه أناء من عسل فأخذ اللبن وشربه وترك الماء والمدام فقال له جبريل أصبت الفطرة أنت وأمتك الكرام ثم توجها نحو صخرة بيت المقدس وعماها فصعدا من جهة المشرق أعلاها فاضطربت تحت قدم نبينا ولانت فأمسكتها الملائكة لما تحركت ومالت ثم أتى بالمعراج الفائق فنصب بين يديه وهو الذى يمد المختصر اليه عينيه فأصعده جبريل عليه وعرجا فيه الى السماء الدنيا فضرب جبريل بابا من أبوابها العليا عليه الملائكة صافين يحفظونه بأمر الملك المعين فقال له الموكلون من ذا فقال جبريل قالوا ومن معك من الأنام قال محمد عليه أفضل الصلاة والسلام قال أوقد بعث اليه العلى الأعلى قال نعم قالوا مرحبا به وأهلا فاستبشر أهل السماء بقدومه المبارك الميمون وتلقته الملائكة حين دخل ضاحكين مستبشرين يقولون له خيرا ويدعون ولقيه ملك عابس فقال خيرا ودعا فقال جبريل يا محمد هذا مالك خازن النار أتى اليك وسعى ولم يرضاحكا من حين خلقه الجبار فقال مره فليرينى النار فقال يا مالك أر محمدا النار فكشف عنها غطاءها ففارت وخرجت وكادت ان تأخذ ما رأت حين ارتفعت فأمره جبريل بردها فقال لها مالك اخسئ فرجعت ثم رأى رجلا جالسا يرى أسودة (١) عن يمينه فيضحك ويستبشر ثم يلتفت عن شماله فيبكى ويعتبر فقال جبريل هذا أبوك آدم فسلم عليه فالتفت آدم اليه وخاطبه بخطاب الوالد الناصح وقال مرحبا وأهلا بالولد الصالح والنبى الناصح فسأل جبريل عن الاسودة التى رآها المختار فقال هى نسم بنيه المؤمنين والكفار فأهل اليمين أهل الجنة ذات القرار وأهل الشمال أهل النار ثم رأى رجالا لهم مشافر عظيمة فى أيديهم قطع من نار جسيمة يقذفونها فى أفواههم فتخرج من أدبارهم فسأل جبريل عنهم ليزداد علما فقال هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما ثم أبصر ناسا يعرضون على النار لكل واحد منهم بطن كبير عظيم يمر عليهم كالابل الهيم كلما مرواهنالك لا يتحولون عن مكانهم ذلك فقال جبريل هؤلاء أكلة الربا الهوالك ثم نظر الى رجال بين أيديهم لحم طيب سمين وبجانبهم لحم منتن مهين من الغث المنتن يأكلون وللسمين الطيب تاركون فقال جبريل يا محمد هؤلاء تاركو ما أحل الله لهم من النساء الطيبات ومرتكبوا الحرام من النساء الخبيثات ثم رأى نساء معلقات بابزازهن (٢) فسأل جبريل عن أحوالهن فقال هن اللاتى أدخلن على أزواجهن بالفساد ما ليس لهم بأولاد ثم مضى جبريل بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فرأى نهرا عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده الى ترابه فشمه فاذا هو مسك أذفر فقال له جبريل هذا ما خبألك ربك هذا الكوثر ثم صعد به الى السماء الثانية ولم يزل يعرج به من سماء الى سماء حتى انتهى الى السماء السابعة ذات العجائب الرائعه والملكوت الباهر والآيات البديعة فرأى الانبياء فى السموات على قدر منازلهم

(١) العدد الكثير من الناس وعامتهم اه منه (٢) الظاهر بفروجهن اه منه

الرفيعة فآدم فى الاولى كما تقدم وفى الثانية يحيى وعيسى بن مريم وفى الثالثة يوسف الصديق وفى الرابعة ادريس الرفيق وفى الخامسة هرون الكريم وفى السادسة موسى الكليم وفى السابعة ابراهيم الخليل ذو الشيبة والنور جالس على كرسى من نور متوجها للبيت المعمور فرحب به واستبشر بقدومه العظيم وسلم علينا على لسان نبينا الكريم فعليهما أنمى الصلاة وأزكى التسليم ثم دخل به جبريل جنة المأوى وسقفها عرش الرحمن فرأى فيها قباب اللؤلؤ والياقوت والمرجان ترابها المسك الأذفر ونقارها الدر والجوهر ثم عرج به جبريل من ذلك المقام الى مستوسمع فيه صريف الاقلام ثم أتى به سدرة المنتهى فى الحال واذا ورقها كآذان الفيلة ونبقها كالقلال فى أصلها نهران ظاهران ونهران باطنان فقال جبريل أما الباطنان ففى الجنة دار المسرات وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم غشاها من الله تعالى ما غشاها فتغيرت فما أحد من الخلق يستطيع بنعتها من حسن ما تزينت ثم تأخر عنه جبريل وتقدم الحبيب الخليل فناداه الرب الجليل فقال لبيك وسعديك والخير فى يديك فأمره بسؤاله ليفيض عليه من جزيل نواله فقال يارب انك اتخذت ابراهيم خليلا وموسى كليما وألنت لداود الحديد وسخرت له الجبال وأعطيته فضلا عظيما وأعطيت سليمان ملكا عظيما لا ينبغى لاحد من العالمين وسخرت له الريح والجن والانس والشياطين وعلمت عيسى التوراة والانجيل الكريم وجعلته يبرئ الاكمه والابرص والسقيم وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم وجعل يذكر له معجزات الانبياء الاخيار فخاطبه الملك الجبار طمأنينة لقلبه وتطييبا يا محمد قد اتخذتك حبيبا وأرسلتك كافة الى الناس أجمعين وجعلتك أنت وأمتك الآخرين السابقين فلا تجوز لهم خطبة فى مقام حتى يشهدوا أنك عبدى ورسولى الى الانام وجعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا لتذهب عن القلوب المريضة ظلمة ووعثا واخترتك هاديا مهديا وآتيتك سبعا من المثانى لم أعطها قبلك نبيا وأعطيتك خواتيم سورة البقرة الجليلة المفتخره من كنز تحت عرشى عطاء دائما وجعلتك فاتحا خاتما وأباحه الجبار عز وجل النظر اليه وأجزل نعمه وفضله لديه وفرض فى كل يوم وليلة خمسين صلاة عليه فرجع وعليه خلع القرب والرضوان مغمورا بمواهب الرحمن الى أن هبط به جبريل الكريم حتى بلغ موسى الكليم فقال موسى يا محمد ماذا فرض ربك على أمتك من العبادات فقال فى كل يوم وليلة خمسين من الصلوات فقال يا محمد انى خبرت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة على أقل من هذا وان أمتك لا تستطيع هذا العمل الكثير فارجع فليخفف عنك اللطيف الخبير فالتفت الى جبريل كانه مستشير هنالك فقال له جبريل نعم ان شئت ذلك فعلا به الى الجبار جل وعز ودنا فقال يارب خفف عنا مما به أمرتنا فوضع عنه عشر صلوات من الخمسين فرجع به جبريل الامين حتى بلغ به موسى فسأله بما أمر فقال باربعين فرده موسى الى كاشف الضر والازمة فسأله التخفيف لهذه الامة شفقة منه علينا ورحمة وتلذذا بكلام من سمع خطاب الرحمن وفاز بالرؤية العظيمة الشان ولم يزل يردده حتى صار الصلوات خمسا فرجع الى موسى وقد وجد به أنسا فأخبره بما فرض عليه وأوحى فى هذه الأسرار اليه فقال يا محمد قد والله عالجت بنى اسرائل وراودتهم على أدنى من هذا العمل القليل فلم يقبلوه وضعفوا عنه وتركوه وان أمتك أضعف أجسادا وأسماعا وأبصارا وأقل الامم أعمارا فارجع الى ربك الجليل ليأمرك بعمل قليل وهو فى كل ذلك يلتفت الى جبريل ليستشيره ولا يكره ذلك جبريل ليتم سروره فرفعه عند ذلك الى الجبار فقال يارب خفف عن أمتى فانهم ضعفاء الأبدان قصار الاعمار فقال يا محمد قال لبيك وسعديك تلذذا بالخطاب قال انه لا يبدل القول لدى كما فرضته عليك فى أم الكتاب فالحسنة بعشر أمثالها مضاعفة مأثوره وهى خمسون فى أم الكتاب وخمس عليك مسطورة ومن هم بحسنة فلم يمض لها أمرا كتبت حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها

لم تكتب عليه فان عملت صارت واحدة لديه فرجع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حتى أتى موسى عليه السلام فأخبره بما أمره الملك العلام فقال موسى قد والله راودت قومى على أدنى من ذلك فلم يبلغوا تلك المسالك فارجع الى ربك واسأله التخفيف للامة وزيادة النعمة فقال ياموسى قد استحييت مما اختلف الى الله تعالى قال اهبط باسم الله فهبط به جبريل عليهما الصلاة والسلام فأصبح وهو فى المسجد الحرام فلما صلى عليه الصلاة والسلام الفجر قال لام هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة ثم جئت بيت المقدس فصليت فى بقعته الفاخرة ثم صليت معكم الصبح اليوم ولأحدثن به القوم ولا أخشى من عتب ولا لوم فقالت يانبى الله لاتحدثهم بذلك فيكذبوك ولاتذكره لهم فيؤذوك فذكره لقريش فأنكرته وكذبته وجحدته وارتدت طائفة ممن أسلم ونسبوه صلى الله تعالى عليه وسلم الى الكذب واللمم وافتتن ناس من الالتباس فانزل الله تعالى فيهم وماجعلنا الرؤيا التى أريناك الافتنة للناس وذهب الناس لابى بكر وأخبروه الخبر فقال ان كان قاله فقد صدق فياذكر ومايعجبكم مما سمعتم من صلاته هنالك فوالله انه ليخبرنى الخبر يأتيه من السماء الى الارض فى ساعة وأصدقه فى ذلك ثم أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واستخبره عما تفوّه به وتكلم وقال صف لى بيت المقدس فانى مشتاق لرؤية ذلك الحرم وقد زرته ورأيته فكشف الله تعالى له عن بيت المقدس وجلاه لديه فطفق يخبرهم عن آياته وهو ينظر اليه كلما وصف شيأ مما رآه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول له أبو بكر رضى الله تعالى عنه صدقت أنا أشهد أنك رسول الله لقد صدق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيماذكره وأبداه فلما انتهى فى الوصف على التحقيق قال له لقد أجبت وأصبت فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم وأنت موفق ياأبا بكر الصديق ثم أخبر قريشا بامارات جلية تدلهم على تحقيق هذه القضية انه مر بعير قوم بيناهم فى الخبر بوادوصفه لهم فيماذكر فانفرهم حس الدابة فندلهم بعير لديه فطلبوه فدلهم عليه وهو ذاهب الى الشام فلما رجع عليه أفضل الصلاة والسلام مر بعير بنى فلان وهو سائر بضجنان (١) فوجد القوم نياما بذلك المكان ولهم اناء فيه ماء فشرب به ثم غطاه كما كان وزاد قريشا من الدلالات والتفهيم ان تلك العير تصوّب عليهم من البيضاء ثنية التنعيم يقدمها جمل أورق عليه مسح أسود كانه رداء وعليه غرارتان برقاء وسوداء فلما سمع القوم كلام سيد الاصفياء سألوه عن العير متى تجىء فقال يوم الأربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرف القوم يعنى قريشا ينظرون العير هل تجىء كما قال البشير النذير فلم تجىء حتى كاد اليوم يدخل فى أمس فدعا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فزيد له فى النهار ساعة وحبست له الشمس فأقبلت العير من الثنية يقدمها ذلك الجمل المعلم كما وصفه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسألوهم عن الاناء فاخبروهم انهم ملؤه ماء وخمروه (٢) فلم يجدوا فيه ماء حين كشفوه وسألوا الآخرين عن خبر البعير الذى ندلهم ووجدوه بعد ان نفر فقالوا صدق والله فى الخبر لقد أنفرنا فى الوادى الذى ذكر وفقدنا بعيرا وطلبناه فسمعنا صوت محمد يدعونا اليه حتى أخذناه فصدق بهذه القصة أهل الطاعة والايمان وجحدها أهل النفاق والعصيان بعد أن قامت الدلالات القاطعة للجدال ولقد أحسن من قال

وليس يصح فى الاذهان شئ * اذا احتاج النهار الى دليل

فكيف تنكر هذه القصة الباهرة ودلالاتها بينة ظاهرة وقد ذكرها الرحمن فى محكم القرآن ولقد أحسن القائل

ساد الانام محمد خير الورى * بفضائل جلت عن الاحصاء
وجوامع الكلم التى مانالها * أحد من الفصحاء والبلغاء
والى الخلائق كلهم ارساله * فشفى القلوب الجة الاهواء

(١) ضجنان كسكران جبل قرب مكة وجبل آخر اه منه (٢) أى غطوه اه منه

وله الوسيلة والشفاعة فى غد * ومقامه السامى على الشفعاء
ويجىء يومئذ كما قد قاله * أنا راكب والرسل تحت لوائى
ولقد دنا من ربه لما دنا * فى ليلة المعراج والاسراء
سمع الخطاب بحضرة قدسية * ماحلها أحد من العظماء
وبرؤية الجبار فازو يالها * من نعمة جلت على النعماء
مانال موسى والخليل وماأجتبى * مانلته ياسيد النجباء
ونروم فضلا من جنابك سيدى * وشفاعة يا أعظم العظماء
فاليك ساق الله سحب صلاته * وجزاك رب العرش خير جزاء
وعلى صحابتك الرضا متعددا * والآل والأتباع والعلماء

اللهم صل على سيدنا محمد صلاة تنجينا بها من جميع الاهوال والآفات وتقضى لنا بها جميع الحاجات وتطهرنا بها من جميع السيآت وترفعنا بها أعلى الدرجات وتبلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات فى الحياة وبعد الممات وعلى آله وصحبه وزوجاته أمهات المؤمنين وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين

﴿ المجلس التاسع والاربعون ﴾

(فى فضائل شعبان المعظم)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله القديم فى الذات والصفات الاول المنزه عن الحدوث فلا يتغير ولا يتحول المنعم على العباد فكم أعطى وأجزل ومن فزاد وأكثر ونول وأسدى وأغنى وأقنى ومول ثم عاد وعاد وجاد وتطول وأطمع ورجا وخوف وهول وأعان على العدو كلما زخرف وسول فهو المرجو للشدائد وعلى فضله المعول يحكم مايشاء ولا يسئل عما يفعل أحمده على لطفه فانه حليم لايعجل وأقر بوحدانيته اقرار موقن لايجهل وأصلى على رسوله المقدم على الانبياء المفضل وعلى صاحبه أبى بكر الذى عليه فى صحبة الغار عول وعلى عمر المتورع فما ترخص ولا تأول وعلى عثمان المعطى جزيلا فما قلل وعلى على بن أبى طالب الاقرب الاعلم الافضل وعلى بقية آله وأصحابه المرضيين الكمل وسلم تسليما ﴿أما بعد﴾ فقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز وكلامه البليغ الوجيز حم والكتاب المبين انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم رب السموات والارض ومابينهما ان كنتم موقنين لا إله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين (فنقول) وبالله تعالى التوفيق قال المفسرون حم فيه قولان أحدهما انه من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه وهو مذهب السلف الصالح قالوا هى سر الله فى القرآن ولله فى كل كتاب من كتبه سر فهى وأمثالها كالم وطسم وكهيعص من المتشابه الذى انفرد الله بعلمه ولا نحب أن نتكلم فيها ولكن نؤمن بها ونمرها كما جاءت وروى هذا القول عن أبى بكر الصديق وعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما وغيرهما من أكابر الصحابة ثانيهما ان هذه الحروف معرفة المعنى واليه ذهب جمع من العلماء واختلفوا فى ذلك على أقوال فعن ابن عباس ان الحروف المقطعة من القرآن اسم الله الاعظم الا انا لانعرف تأليفه منها وقال الفراء والمبرد وغيرهما هى اشارة الى حروف الهجاء أعلم الله تعالى بها العرب حين تحداهم بالقرآن انه مؤتلف من الحروف التى بنى كلامهم عليها ليكون عجزهم عنه أبلغ فى الحجة عليهم اذ لم يخرج عن كلامهم فقد كانوا ينفرون عند استماع القرآن فلما نزل الم المص استنكروا هذا اللفظ فلما أنصتوا له صلى

الله تعالى عليه وسلم أقبل عليهم بالقرآن المؤتلف ليثبته فى أسماعهم وآذانهم ويقيم الحجة عليهم وقال بعضهم هى حروف دالة على أسماء أخذت منها وحذفت بعينها فالألف من الله واللام من جبريل والميم من محمد وحم الحاء من حميد والميم من مجيد وقيل غير ذلك كما هو مفصل بماله وعليه فى التفاسير المطولة قلت ومن المتشابه أيضا قوله تعالى يد الله فوق أيديهم وقوله تعالى ويبقى وجه ربك وقوله تعالى الرحمن على العرش استوى وقوله عليه الصلاة والسلام ينزل ربنا الى السماء الدنيا فى الثلث الأخير من الليل فيقول هل من مستغفر فأغفر له وغير ذلك من الآيات والأحاديث فالخلف يؤولونها كتأويل الاستواء بالاستيلاء وتأويل النزول بنزول الرحمة والسلف يؤمنون بها ويكلون الكيفية الى الله تعالى كما قال الامام مالك لما سأله السائل كيف استوى فقال له مالك الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة وهذا المذهب هو الأسلم كما ذكرناه لكم فى بعض الدروس قال تعالى هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب فقد ذهب جمع من القراء والمفسرين الى الوقف على قوله تعالى إلا الله والابتداء بالراسخون فى العلم الآية والاعتراضات والأجوبة فى هذه المسئلة كثيرة من الطرفين ومن أراد الاطلاع عليها فليرجع الى كتاب العبد الفقير جلاء العينين وقوله تعالى (إنا أنزلناه) أى القرآن (فى ليلة مباركة) هى ليلة القدر كما روى عن ابن عباس وقتادة وابن جبير ومجاهد وعليه أكثر المفسرين كما ذكرناه أيضا فى مجالس ليلة القدر وقال عكرمة وجماعة هى ليلة النصف من شعبان وتسمى ليلة الرحمة والليلة المباركة وليلة الصك وليلة البراءة قال الوالد عليه الرحمة فى تفسيره روح المعانى ووجه تسميتها بالأخيرين ان البندار اذا استوفى الخراج من أهله كتب لهم البراءة والصك كذلك ان الله عز وجل يكتب لعباده المؤمنين البراءة والصك فى هذه الليلة ولفظة البراءة بهذا المعنى عامية ولم تسمع من العرب وقيل أصله ان الجانى كان اذا جنى وعفا عنه والملك كتب له كتاب أمان مما خافه فكان يقال كتب السلطان لفلان براءة ثم عمم ذلك فيما كتب من أولى الأمر أمثالهم انتهى وقوله تعالى (فيها يفرق كل أمر حكيم) أى يفصل ويلخص ويبين والحكيم بمعنى المحكم لانه لا يبدل ولا يغير بعد ابرازه للملائكة عليهم السلام بخلافه قبله وهو فى اللوح المحفوظ فان الله تعالى يمحو منه ما يشاء ويثبت أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس أنه قال فى ذلك يكتب من أم الكتاب فى ليلة القدر ما يكون فى السنة من رزق أو موت أو حياة أو مطر حتى يكتب الحجاج يحج فلان ويحج فلان وأخرج عبد بن حميد عن ربيعة بن كلثوم قال كنت عند الحسن فقال له رجل يا أبا سعيد ليلة القدر فى كل رمضان هى قال أى والله انها لفى كل رمضان وانها الليلة يفرق فيها كل أمر حكيم فيها يقضى الله تعالى كل أجل وعمل ورزق الى مثلها وروى هذا التعميم عن غير واحد من السلف وقيل يبدأ فى استنساخ كل أمر حكيم من اللوح المحفوظ فى ليلة البراءة ويقع الفراغ فى ليلة القدر فتدفع نسخة الأرزاق الى ميكائيل عليه السلام ونسخة الحروب الى جبريل عليه السلام وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الأعمال الى اسمعيل عليه السلام صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت وقد ذكروا فى ليلة النصف من شعبان أخبارا كثيرة منها ما أخرجه ابن ماجه عن على كرم الله تعالى وجهه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فان الله تعالى ينزل فيها لغروب الشمس الى السماء الدنيا فيقول ألا مستغفر فأغفر له ألا مسترزق فأرزقه ألا مبتلى فأعافيه ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر وأخرج الامام أحمد أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يطلع الله الى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا اثنين مشاحن وقاتل نفس وروى ابن الجوزى فى التبصرة عن عائشة رضى الله

تعالى عنها قالت كانت ليلة النصف من شعبان ليلتى فبات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عندى فلما كان فى جوف الليل فقدته فأخذنى عليه ما يأخذ النساء من الغيرة فتلفعت بمرطى أما والله ما كان مرطى خزا ولا قزا ولا حريرا ولا ديباجا ولا قطنا ولا كتانا فقيل مم كان قالت سداه كان شعرا ولحمته أوبار الابل فطلبته فى حجر نسائه فلم أجده فانصرفت الى حجرتى فاذا به كالثوب الساقط على وجه الأرض ساجدا وهو يقول فى سجوده سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى هذه يدى وما جنيت بها على نفسى يا عظيما يرجى لكل عظيم اغفر الذنب العظيم أقول كما قال داود عليه السلام أعفر وجهى بالتراب لسيدى وحق له أن يسجد سجد وجهى للذى خلقه وشق سمعه وبصره ثم رفع رأسه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اللهم ارزقنى قلبا نقيا تقيا من الشرك بريا لا كافرا ولا شقيا ثم سجد وقال أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بعفوك من معاقبتك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك قالت ثم انصرف ودخل معى فى الخميلة ولى نفس عال فقال ما هذا النفس يا حميراء قالت فأخبرته فطفق يمسح بيده على ركبتى ويقول ويس هاتين الركبتين ماذا لقيتا فى هذه الليلة ليلة النصف من شعبان ان الله تعالى ينزل الى السماء الدنيا فيغفر لعباده إلا المشرك أو مشاحن وفى رواية أخرى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لها يا حميراء أما تدرين ما هذه الليلة هذه ليلة النصف من شعبان ان لله عز وجل فى هذه الليلة عتقاء من النار بعدد شعر غنم بنى كلب قالت يا نبى الله وما بال غنم بنى كلب قال ليس فى العرب قوم أكثر غنما منهم لا أقول فيهم (١) ستة مدمن خمر ولا عاق والديه ولا مصر على ربا أو زنا ولا مصارم ولا مصور ولا قتات وقد ذكرت لكم هذا فى غير هذا المجلس والله تعالى أعلم وفى الدر المختار وحاشيته ومن المندوب احياء ليالى العيدين والنصف من شعبان والعشر الأخير من رمضان وليالى العشر الأول من ذى الحجة فرادى لانهم صرحوا بكراهة الاجتماع على احياء ليلة من هذه الليالى فى المساجد قال فى البحر ومن هنا يعلم كراهة الاجتماع على صلاة الرغائب التى تفعل فى رجب فى أول جمعة منه وانها بدعة وما يحتاله بعضهم من نذرها لتخرج عن النفل والكراهة فباطل قال الوالد عليه الرحمة وذكر بعضهم فيها صلاة مخصوصة وانها تعدل عشرين حجة مبرورة وصيام عشرين سنة مقبولة وروى فى ذلك حديثا طويلا عن على كرم الله تعالى وجهه وقد أخرجه البيهقى ثم قال يشبه أن يكون هذا الحديث موضوعا وهو منكر ولهذا أعرضنا عنه وليعلم انه يحصل قيام هذه الليالى بالصلاة نفلا فرادى من غير عدد مخصوص وبقراءة القرآن والأحاديث وسماعها وبالتسبيح والثناء والصلاة والسلام على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الحاصل ذلك فى معظم الليل وقيل بساعة منه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بصلاة العشاء جماعة والعزم على صلاة الصبح جماعة كما قالوه فى احياء ليلتى العيدين وفى صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح فى جماعة فكأنما قام الليل كله * ولنذكر لكم مما يتعلق بشهر شعبان فانه شهر نبى الانس والجان قال فى عقد الدرر واللآلئ فى فضل الشهور والأيام والليالى قال بعضهم انما سمى شعبان لانه يتشعب فيه خير كثير لرمضان وقيل لتشعب القبائل المتفرقة فيه لان العرب كانت تفترق فى رجب ولا تجتمع على الغارات فيه ولذا سمى برجب الأصم فاذا انسلخ رجب اجتمعت وتشعبت كما كانت فى غيره وقيل مشتق من شعب الخيرات والايمان أعظمها وأعظم شعب الايمان الصلاة والصوم فينبغى للمؤمن أن يجتهد فيه بالطاعات ويكثر الصيام والصلوات ولقد أحسن القائل

من ذا يشعب فى شعبان همته * ويستقيم على الطاعات أذعانا
فانه شهر من ترجى شفاعته * يوم القيامة فمن كان خوانا

---

(١) قوله لا أقول فيهم الخ هكذا بأصله وليحرر الحديث اه مصححه

سمى لمافيه من خير ومن نعم * تشعبت بعد صدع كان شعبانا

وقد روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه كان يقول اذا رأى هلال شعبان اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان و بلغنا رمضان وفى الغنية لسيدى الكيلانى قدس سره عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجب شهر الله وشعبان شهرى و رمضان شهر أمتى وقد ورد أنه عليه الصلاة والسلام كان يأمر مناديا يقول شعبان شهرى فرحم الله من أعاننى على شهرى يعنى بالصوم والصلاة والصدقة فينبغى للمسلم اكثار الخير فيه لانه عليه الصلاة والسلام قد أضافه اليه ولزم أيضا أن يكثر فيه الصلاة عليه وروى العلامة الحافظ أبو الفرج بن الجوزى فى التبصرة بسنده الى عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصوم شعبان كله فقلت يارسول الله ان شهر شعبان لمن أحب الشهور اليك أن تصومه فقال نعم ياعائشة انه ليس من نفس تموت فى السنة إلا كتب أجلها فى شعبان فأحب أن يكتب أجلى وأنا فى عبادة ربى والعمل الصالح وعن عثمان بن المغيرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال تقطع الآجال من شعبان حتى ان الرجل ينكح و يولد له ولقد خرج اسمه فى الموتى قال فهذان الحديثان لم يعين فيهما متى يكون ذلك من شعبان وعن الحسن بن سهل قال قال شعبان يارب جعلتنى بين شهرين عظيمين فمالى قال جعلت فيك قراءة القرآن وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت ما كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصوم من شهر أكثر من صيامه من شعبان كان يصومه كله لانه عليه الصلاة والسلام ما كان يصوم جميع أيام السنة بل كان يفطر أياما و يصوم أياما فقد قالت عائشة وابن عباس وأنس كان عليه الصلاة والسلام يصوم حتى نقول لا يفطر و يفطر حتى نقول لا يصوم قال العلماء وما ذاك الا لتقوية البدن لئلا يضعف عن سائر العبادات وقد قال عليه الصلاة والسلام ان لنفسك عليك حقا ولزوجك عليك حقا فأعط كل ذى حق حقه ولذا كان صوم الدهر مكروها عند كثير من العلماء وكان صوم داود أفضل الصيام فانه كان يصوم يوما و يفطر يوما كما ورد فى الحديث وكان عليه الصلاة والسلام يصوم يوم الاثنين و يوم الخميس كما قال أبو هريرة كان صلى الله تعالى عليه وسلم يصوم الاثنين والخميس و يغفر الله تعالى فيهما لكل مسلم الا المتهاجرين يقول دعوهما حتى يصطلحا نقله فى عقد الدرر ثم قال وروى كراهة صيامهما عن أنس بن مالك وكرهت طائفة صيام يوم معين دائما لئلا يتأسى به جاهل فيظن ان ذلك واجب وان فعل على غير اعتقاد الوجوب فحسن أقول ولذلك اختلف العلماء فى صوم يوم الشك وهو اليوم الذى يلى التاسع والعشرين من شعبان يعنى يوم الثلاثين منه * ولنذكر لكم ماقالوا فيه على سبيل الاجمال ذاكرين بعض المذاهب والاقوال فقد قال أئمتنا الحنفية فى كتبهم مانصه ولا يصام يوم الشك الا نفلا ويكره غيره من فرض أو واجب ولو صامه لواجب آخر كره تنزيها ولو جزم ان يكون من رمضان كره تحريما للتشبه بأهل الكتاب لانهم زادوا فى صومهم وعليه حمل حديث أبى هريرة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا تقدموا رمضان بصوم يوم أو يومين الا رجل كان يصوم صوما فليصمه والتنفل فيه أفضل ان وافق صوما يعتاده أو صام من آخر شعبان ثلاثة أو أكثر لا أقل للحديث المتقدم وان لم يوافق صوما يعتاده ولا صام من آخر شعبان ثلاثة فأكثر استحب صومه للخواص ولا يعلم العوام بذلك كيلا يعتادوا صومه فيظنه الجهال زيادة على رمضان وأما العوام فيفطرون بعد الزوال وكل من علم كيفية صوم يوم الشك فهو من الخواص والا فمن العوام وكيفية النية المعتبرة هنا أن ينوى التطوع على سبيل الجزم ولا يخطر بباله انه ان كان من رمضان فعنه ولو ردد فى أصل النية فهو ليس بصائم بان نوى أن يصوم غدا ان كان من رمضان والا فلا أصوم لعدم الجزم بالنية ولو نوى ان كان من رمضان فعنه والا فعن نفل فهو مكروه انتهى وقال الامام أبو سليمان الخطابى فى شرحه لسنن أبى

داود مانصه عن أبى اسحق عن صلة قال كنا عند عمار فى اليوم الذى يشك فيه فأتى بشاة فتنحى بعض القوم فقال عمار من صام هذا اليوم فقد عصى أبا القاسم صلى الله تعالى عليه وسلم قلت اختلف الناس فى معنى النهى عن صيام يوم الشك فقال قوم انما نهى عن صيامه اذا نوى به أن يكون عن رمضان فاما من نوى به عن صوم يوم شعبان فهو جائز هذا قول مالك بن أنس والاوزاعى وأصحاب أبى حنيفة و رخص فيه على هذا الوجه أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وقالت طائفة لا يصام ذلك اليوم عن فرض ولا تطوع للنهى فيه وليقع الفصل بذلك بين شعبان و رمضان هكذا قال عكرمة و روى معناه عن أبى هريرة وابن عباس وكانت عائشة وأسماء ابنتا أبى بكر رضى الله تعالى عنهم تصومان ذلك اليوم وكانت عائشة تقول لان أصوم يوما من شعبان أحب الى من أن أفطر يوما من رمضان وكان هذا مذهب عبد الله بن عمر صوم يوم الشك اذا كان من ليله فى السماء سحاب أو قترة فان كان صحوا ولم ير الناس الهلال أفطر مع الناس واليه ذهب أحمد بن حنبل وقال الشافعى ان وافق يوم الشك يوما كان يصومه صامه والا لم يصمه وهو أن يكون من عادته أن يصوم صوم داود فان وافق يوم صومه صامه وان وافق يوم فطره لم يصمه انتهى وفى عقد الدرر لشهاب الدين الحنبلى فى الكلام على حديث أبى هريرة اذا انتصف شعبان فلا تصوموا مانصه أن النهى عن الصيام بعد النصف انما هو لمن ليس له عادة والا فلا يمنع من هذه الطاعة كيف وقد ثبت فى الصحيحين عن سيد الثقلين صلى الله تعالى عليه وسلم من حديث عمران بن حصين أنه قال لرجل هل صمت من سرر هذا الشهر وفى رواية من سرر شعبان شيأ قال لا قال فاذا أفطرت فصم يومين والسرر بفتح السين المهملة آخر الشهر على ماهو المشهور لاستسرار القمر فيه وقد اختلفت الرواية عن الامام أحمد اذا حال دون المطلع غيم فروى عنه وجوب صيامه من رمضان وهو قول عمر وعلى وروى عنه أيضا انه اذا لم يحل دون مطلعه شئ أصبح الناس مفطرين فان جاءهم خبر كان عليهم يوم مكانه ولا كفارة وروى عنه أيضا أنهم يفعلون مايفعله امامهم وكان عمر بن الخطاب اذا كانت تلك الليلة معتمة يصوم و يقول ليس هذا بالتقدم ولكنه بالاحتياط فمن أفطر أخذ بالجواز ومن صام أخذ بالاحتياط وأصح من روى عنه صومه عبد الله بن عمر قال ابن عبد البر والى قوله ذهب طاوس اليمانى وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى انتهى باختصار ومن أراد التفصيل فعليه بالكتب المطولة والله تعالى أعلم بالصواب فيا اخوانى اجتهدوا فى هذا الشهر بمحو ذنوبكم واستغيثوا الى مولاكم من عيوبكم وهذه ليلة الانابة فيها تفتح أبواب الاجابة أين اللائذ بالجناب أين المتعرض للباب أين الباكى على ماجنى أين المستعد لامر قد دنا ألا رب فرح بما يؤتى فقد خرج اسمه فى الموتى ألا رب غافل عن تدبر أمره قد انفصمت عرى عمره ألا رب معرض عن سبيل رشده قد آن أوان شق لحده ألا رب رافل فى ثوب شبابه قد أزف فراقه لاحبابه ألا رب مقيم على جهله قد قرب رحيله عن أهله ألا رب مشغول بجمع ماله قد حانت خيبة آماله ألا رب ساع فى جمع حطامه قد دنا تشتت عظامه ألا رب مجد فى تحصيل لذاته قد آن خراب ذاته أين من كان فى مثل هذه الايام فى منازله مشغولا بشهواته مغرورا بعاجله أما أصاب مقاتله سهم مقاتله أما ظهرت خسارته عند حساب معاملته أين المعتذر مما جناه فقد أطلع عليه مولاه أين الباكى على تقصيره قبل تحسره فى مصيره

اذا لم تكن دنياك دار اقامة * فمالك تبنيها بناء مقيم
وماصح ود الخل فيها وانما * يغر بود فى الحياة سقيم
وجدت بنى الايام فى كل موطن * يعدون فيها شقوة كنعيم
تزيدك فقرا كلما ازددت ثروة * فتلقى غنيا فى ثياب عديم

هذه ليلة أمرها عظيم والخير فيها جزيل عميم وكفى وصفها فى الكلام القديم فيها يفرق كل أمر حكيم فيها تقسم الآجال والاعمار فيها يكتب الحجاج والعمار كم جامع دينارا الى دينار وأكفانه عند القصار وهو يعمر الدار عمارة مقيم فيها يفرق كل أمر حكيم كم مؤمل أملا خاب كم منقول على ذم وعاب ياغذا مضى زمان الشباب يامن كبر على الزلل وشاب قد استشن الاديم فيها يفرق كل أمر حكيم يا سيء السر والعلن ياجاريا على أقبح سنن ياناسيا ما حاق من ظعن ياسليما فى الجسم والبدن لكنه سليم فيها يفرق كل أمر حكيم اخوانى الى كم مع البلايا الام تأمنون الرزايا أين الاستعداد للمنايا اعتذروا الليلة من الخطايا فالمولى كريم فيها يفرق كل أمر حكيم أقبلوا بالقلوب الليلة اليه وقفوا بالخضوع والخشوع لديه وتعلقوا بجوده تعولا عليه وانكسروا بالذل بين يديه فانه رحيم فيها يفرق كل أمر حكيم مدوا أنامل الرجاء الى بابه واتبعوا فى البكاء طريق أحبابه وتعرضوا الليلة لجزيل ثوابه واحذروا من سطوته وعقابه فعقابه أليم فيها يفرق كل أمر حكيم بين أيديكم يوم لا كالايام ينتبه فيه كل من غفل ونام وتزفر جهنم على أهل الآثام فيجثوا الخليل والكليم فيها يفرق كل أمر حكيم قوموا بنا الى مطلوبنا قفوا بنا على باب محبوبنا هلموا نستغيث من ذنوبنا لعله يهب عن قلوبنا من العفو نسيم فيها يفرق كل أمر حكيم اللهم ياخالق الانسان وبناه واللسان وأجراه يامن لا يخيب من دعاه هب لكل منا فى هذه الليلة ما رجاه وبلغه من خير الدارين مناه ياأكرم من كل كريم اللهم واذا أطلعت فى ليلتنا هذه على خلقك فعد علينا بمنك وعتقك وقدر لنا من الحلال واسع رزقك واجعلنا ممن عرفك وقام بحقك وارحمنا برحمتك يارحيم اللهم من قضيت بوفاته فاقض مع ذلك رحمتك ومن قدرت طول حياته فاجعل فى ذلك نعمتك واسبل على الجميع سترك ومغفرتك وعاملنا بعفوك ياحليم اللهم اشف فى هذه الليلة مرضانا وارحم بفضلك موتانا واستر علينا عيوبنا واغفر لنا ذنوبنا ياذا الفضل العميم اللهم انا نسألك من خير ما تعلم ونعوذ بك من شر ما تعلم فانك تعلم ولا نعلم فعمنا بلطفك القديم وارحم آباءنا وتجاوز عن أمهاتنا واغفر لمشايخنا وأقاربنا واحفظ ذرياتنا وأدخلنا جميعا جنة النعيم وصلى على سيدنا محمد وآله أجمعين

﴿ المجلس المتمم الخمسين ﴾

(فى الميزان والصراط والحساب والكتاب)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الواحد المجيد الخالق الرازق ومن عنده المزيد الفعال فى عبيده لما يريد يسبحه الحب النضيد والأب الحصيد والدما فى البيد والدماء فى الوريد والقريب والبعيد والرقيب والعتيد اقتضت نعمة الخالق شكرا فوجدت النفوس بالجهل سكرى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أوجد ماشاء كما شاء وأعدم وأمات وأحيي وعافا وأسقم وأغنى وأفقر وأهان وأكرم واطلع على أسرار الخلق وفاوت بينهم وقسم فمنهم شقى وسعيد أحمده على ما ينعم ويفيد وأقر بوحدانيته على برهان لا عن تقليد وأصلى وأسلم على رسوله وعبده معدن الرسالة وأفضل العبيد صلى الله تعالى عليه وعلى صاحبه أبى بكر الثابت على وقعة يوم الردة ثبات الحديد وعلى عمر القوى فى دين الله الشديد وعلى عثمان التقى النقى الرشيد وعلى على مقدم الاهل وبيت القصيد وعلى سائر آله وأصحابه ذوى الرأى السديد وسلم تسليما ﴿ أما بعد ﴾ فقد قال تعالى فى محكم كتابه العزيز ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين (فنقول) وبالله تعالى التوفيق القسط العادلة وانما أفرد لانه فى الاصل

مصدر أو على حذف مضاف أى ذوات القسط والمقسط العادل قال الله تعالى ان الله يحب المقسطين وأما القاسط فهو الجائر قال تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا فقسط الثلاثى بمعنى جار وأقسط الرباعى بمعنى عدل كذا قيل ومن الغريب ماحكى ان الحجاج عامله الله تعالى بعدله لما أحضر سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه قال ماتقول فى قال قاسط عادل فأعجب الحاضرين فقال لهم الحجاج ويلكم لم تفهموا جعلنى جائرا كافرا ألم تسمعوا قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقوله تعالى ليوم القيامة أى لاهلها وقيل اللام بمعنى فى وقوله تعالى (فلا تظلم نفس شيأ) أى لا ينقص من احسان محسن ولا يزاد فى اساءة مسىء وقوله سبحانه وان كان مثقال حبة من خردل قرئ بنصب مثقال وبرفعه ومثقال الشئ ميزانه أى وان كان العمل فى غاية الخفة والقلة والحقارة فان حبة الخردل مثل فى الصغر (أتينا بها) أى أحضرناها وجئنا بها أى بموزونها للمجازاة عليها (وكفى بنا حاسبين) أى محصين لكل شئ والحسب فى الاصل معناه العد وقيل عالمين وليعلم ان الامور التى تقع فى الدار الآخرة ويجب على المكلف الايمان بها واعتقادها كثيرة فمنها الميزان والصراط والشفاعة والحوض ورؤية البارى جل جلاله وغير ذلك فلنذكر أشياء مما هنالك قال السفارينى عليه الرحمة فى منظومته

واجزم بامر البعث والنشور * والحشر جزما بعد نفخ الصور
كذا وقوف الخلق للحساب * والصحف والميزان للثواب
كذا الصراط ثم حوض المصطفى * فياهنا لمن به نال الشفا
عنه يذاد المفترى كما ورد * ومن نحا سبل السلام لم يرد
فكن مطيعا واقف أهل الطاعة * فى الحوض والكوثر والشفاعة
فانها ثابتة للمصطفى * كغيره من كل أرباب الوفا
من عالم كالرسل والابرار * سوى التى خصت بذى الأنوار

قال العلماء ان مراتب المعاد البعث والنشور ثم المحشر ثم القيام لرب العالمين ثم العرض ثم تطاير الصحف وأخذها باليمين والشمال ثم السؤال والحساب ثم الميزان أما الحشر والنشر فقد ذكرناه فى بعض الدروس فلا حاجة الى التكرار وأما الحساب فقد ثبت فى الكتاب والسنة واجماع أهل الحق قال تعالى فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى فى حق أعدائه أولئك لهم سوء الحساب وقال تعالى وقالوا ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا وقال تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والحساب لغة العد واصطلاحا توقيف الله عباده قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم خيرا كانت أو شرا تفصيلا لا بالوزن الا من استثنى منهم وقد اختلف فى معنى محاسبة الله تعالى عباده على ثلاثة أقوال أحدها انه يعلمهم ما لهم وما عليهم قيل بان يخلق الله فى قلوبهم علوما ضرورية بمقادير أعمالهم الثانى ونقل عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن يوقف الله تعالى عباده بين يديه ويأتيهم كتب أعمالهم فيها سيآتهم وحسناتهم فيقول هذه سيآتكم وقد تجاوزت عنها وهذه حسناتكم وقد ضاعفتها لكم الثالث أن يكلم الله تعالى عباده فى شأن أعمالهم وكيفية ما لها من الثواب وما عليها من العقاب أخرج الطبرانى والبزار باسناد صحيح من حديث معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع خصال عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه ماذا عمل فيه وعن ابن الزبير قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من نوقش الحساب هلك وروى الامام أحمد يقتص للخلق بعضهم من بعض حتى للجماء من القرناء وحتى للذرة من الذرة وروى الامام

أحمد أيضا من حديث عبد الله بن انيس رضى الله تعالى عنه انه سمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يحشر الله العباد يوم القيامة عراة غرلا بهما أى غير مختونين وليس معهم شئ ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الديان أنا الملك لا ينبغى لاحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقضيه منه ولا ينبغى لاحد من أهل الجنة ان يدخل الجنة ولاحد من أهل النار عنده حق حتى أقضيه حتى اللطمة قال قلنا كيف وانما نأتى عراة غرلا بهما قال الحسنات والسيآت وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار وأما وقوف الخلق لاخذ الصحف وهى الكتب التى كتبتها الملائكة وأحصوا ما فعله كل انسان من سائر أعماله فى الدنيا القولية والفعلية فقد ثبت بالكتاب والسنة قال الله تعالى واذا الصحف نشرت أى للحساب وانما يؤتى بها الزاما للعباد ورفعا للجدال والعناد وقال تعالى وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قال العلماء معنى طائره عمله وقال تعالى وأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وفى رواية أخرى فاولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلا والفتيل هو القشر الذى فى شق النواة وهذا يضرب مثلا للشئ الحقير وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه الوسخ الذى يظهر بفتل الانسان ابهامه بسبابته وأما السنة فقد أخرج العقيلى عن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال الكتب كلها تحت العرش فاذا كان يوم القيامة يبعث الله تعالى ريحا فتطيرها بالايمان والشمائل أول خط فيها اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قال قتادة يقرأ يومئذ من لم يكن قارئا فى الدنيا وعن أبى هريرة مرفوعا عنوان كتاب المؤمن يوم القيامة حسن ثناء الناس عليه وأخرج الامام أحمد عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت يا رسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة قال اما عند ثلاث فلا عند الميزان حتى يعلم أيثقل أم يخف وعند تطائر الكتب فأما من يعطى كتابه بيمينه أو بشماله وحين يخرج عنق من النار الحديث قال بعض العلماء يعطى المؤمن الطائع كتابه بيمينه من امامه ويعطى المؤمن العاصى كتابه بشماله من أمامه وقيل بيمينه أيضا ويعطى الكافر كتابه بشماله من وراء ظهره بان تخلع أو يدخلها من صدره وأما الميزان فالايمان به ثابت بالكتاب والسنة والاجماع ولا عبرة بمن أنكره من المعتزلة قال العلماء اذا انقضى الحساب كان بعده وزن الاعمال لان الوزن للجزاء فينبغى أن يكون بعد المحاسبة فان المحاسبة لتقرير الاعمال والوزن لاظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها قال تعالى ونضع الموازين القسط الآية وقال تعالى فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ماهيه نار حامية وأخرج البزار والبيهقى عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال يؤتى بابن آدم يوم القيامة فيوقف بين كفتى الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان ابن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وان خف ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق ألا شقى فلان ابن فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا قال كثير من العلماء الذى جاء فى أكثر الأخبار أن الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يسار العرش ثم يؤتى بالميزان فينصب بين يدى الله تعالى فتوضع كفة الحسنات مقابل الجنة وكفة السيئات مقابل النار قالوا والميزان كميزان الدنيا له لسان وكفتان احداهما من نور والأخرى من ظلمة فالأولى للحسنات والثانية للسيئات ويرجح فيه الثقيل ويعلو فيه الخفيف وعن بعض العلماء انه عكس ميزان الدنيا فالراجح يصعد والخفيف يهبط لان الآخرة عكس الدنيا ولهذا نحن يوم القيامة نرى الجن ولا يروننا والصحيح انه كميزان الدنيا ويدل عليه حديث البطاقة الذى ذكرناه فى بعض

المجالس ويروى أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فلما رآه فاذا كفته كما بين المشرق والمغرب فغشى عليه فلما أفاق قال إلهى من يقدر يملأ كفته حسنات فقال يا داود اذا رضيت عن عبدى ملأتها بنصف تمرة أو بلقمة ذكرها السفارينى الحنبلى والسفيرى الشافعى وليعلم أيضا أن العلماء اختلفوا أيضا فى مسائل أخر تتعلق بالميزان فنها ان الذى يوزن هل هو الصحيفة أم غيرها فقيل نفس الصحيفة وهو الصحيح وقيل أعمال العبد بدون الصحيفة فتجعل الحسنات أجساما نورانية والسيئات أجساما ظلمانية وتوضع فى الميزان وقيل نفس العبد يوزن مع عمله وهل توزن الأعمال كلها أم خواتيمها فالجمهور على الأول وقال وهب بن منبه توزن الخواتيم لقوله عليه الصلاة والسلام الأعمال بخواتيمها واختلفوا فى ميزان الآخرة هل هو واحد أو متعدد والصحيح انه واحد وقال بعضهم انه متعدد واستدل بقوله تعالى ونضع الموازين والجواب انه جمع باعتبار تنوع الأعمال وليعلم أيضا ان الموكل بالميزان هو جبريل عليه السلام وان سبعون ألفا من أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يدخلون الجنة بغير حساب لا يرفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفا والجن توزن أعمالهم كما توزن أعمال الانس * وأما الصراط فانه حق ثابت أيضا بالاشطاط وهو فى اللغة الطريق الواضح وفى الشرع جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون فهو قنطرة جهنم بين الجنة والنار خلق من حين خلقت جهنم قال القرطبى فى تذكرته ان فى الآخرة صراطين أحدهما مجاز لأهل المحشر كلهم ثقيلهم وخفيفهم إلا من دخل الجنة بغير حساب والا من يلتقطه عنق من النار فاذا خلص من خلص من هذا الصراط الأكبر الذى ذكرناه ولا يخلص عنه الا المؤمنون الذين علم الله منهم ان القصاص لا يستنفد حسناتهم حبسوا على صراط آخر خاص لهم ولا يرجع الى النار من هؤلاء أحد ان شاء الله تعالى لانهم قد عبروا الصراط الاول المضروب على متن جهنم التى يسقط فيها من أوبقته ذنوبه وزاد على الحسنات جرمه وعيوبه فقد أخرج البخارى والاسماعيلى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذه الآية ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين قال يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله فى الدنيا قال الحافظ ابن حجر قوله يخلص المؤمنون من النار أى ينجون من السقوط فيها بمجاوزة الصراط واختلف فى القنطرة المذكورة فقيل انها من تتمة الصراط وهو طرفه الذى يلى الجنة وقيل انها صراط آخر قال العلماء الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف وأحمى من الجمرة فقد أخرج الطبرانى باسناد حسن عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حد السيف المرهف مدحضة أى مزلقة أى لا تثبت عليه قدم بل تزل عنه إلا من يثبته الله تعالى عليه كلاليب من نار تخطف أهلها فتمسك بهواديها ويستبقون عليه بأعمالهم فمنهم من شده كالبرق فذلك الذى لا ينشب أن ينجو ومنهم من شده كالريح ومنهم من شده كالفرس الجواد ومنهم من شده كهرولة الرجل ثم كرمل الرجل ثم كمشى الرجل وآخر من يدخل الجنة رجل قد لوحته النار فيقول الله له سل وتمن فاذا فرغ قال لك ما سألت ومثله وأخرج ابن عساكر عن الفضيل بن عياض قال بلغنا أن الصراط مسيرة خمسة عشر ألف سنة خمسة آلاف صعود وخمسة آلاف هبوط وخمسة آلاف استواء أدق من الشعرة وأحد من السيف على متن جهنم لا يجوز عليه إلا ضامر مهزول من خشية الله تعالى وعن ابن مسعود أنه قال الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة الأولى كالبرق والثانية كالريح والثالثة كأجود الخيل والرابعة كأجود البهائم يمرون والملائكة يقولون اللهم سلم اللهم سلم وفى رواية أن النبى عليه الصلاة والسلام يقول يا رب سلم سلم وأنكر العلامة القرافى وشيخه العز بن عبد السلام كون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف وانه ليس

ذلك فى الروايات الصحيحة وان وردت فهى مؤولة قال القرافى والصحيح انه عريض وقيل طريقان يمنى ويسرى فأهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين وأهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشمال وفيه طاقات كل طاقة تنفض الى طبقة من طبقات جهنم وجهنم بين الخلق وبين الجنة والجسر على ظهرها منصوب فلا يدخل أحد الجنة حتى يمر على جهنم وهو معنى قوله تعالى وان منكم إلا واردها على أحد التفاسير وأنكر القاضى عبد الجبار المعتزلى وأتباعه ظاهر الآيات والاحاديث الواردة فى الصراط وقالوا إنه لا تعذيب على المؤمنين يوم القيامة وانما المراد بالصراط طريق النار والجنة ومفصل الأدلة والأجوبة فى محلها وقد ذكر القرطبى فى تذكرته عن بعض أهل العلم انه قال لن يجوز أحد الصراط حتى يسئل (١) على سبع قناطر فعند القنطرة الاولى يسئل عن الايمان بالله وهى شهادة أن لا إله إلا الله فان جاء بها مخلصا والاخلاص قول وعمل جاز ثم يسئل عند القنطرة الثانية عن الصلاة فان جاء بها تامة جاز ثم يسئل عند القنطرة الثالثة عن صوم رمضان فان جاء به تاما جاز ثم يسئل فى الرابعة عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز ثم يسئل فى الخامسة عن الحج والعمرة فان جاء بهما تامين جاز الى القنطرة السادسة فيسئل عن الغسل والوضوء فان جاء بهما تامين جاز الى السابعة وليس فى القناطر أصعب منها فيسئل فيها عن ظلامات الناس وتبعات الخلق نقله السفارينى فى شرحه * وأما حوض نبينا المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم فهو حق ثابت باجماع أهل الحق بعد البعث والنشور وأخذ الصحف والمرور قال الله تعالى إنا أعطيناك الكوثر قال الحافظ جلال الدين السيوطى فى كتابه البدور السافرة وردذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابيا منهم الخلفاء الراشدون وحفاظ الصحابة المكثرون واختلف هل هو بعد الصراط أو قبله على قولين للعلماء وقال القرطبى فى التذكرة ان للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم حوضين أحدهما فى الموقف قبل الصراط والثانى فى الجنة وكلاهما يسمى كوثرا والكوثر فى كلام العرب الخير الكثير ولا يخطر ببالك ان الحوض يكون على هذه الارض وانما يكون على الارض المبدلة وهى أرض بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم ولم يظلم على ظهرها أحد وأخرج الشيخان انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال حوضى مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبدا وأخرج الامام أحمد عن أبى امامة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله وعدنى أن يدخل من أمتى الجنة سبعين ألفا بغير حساب فقال يزيد بن الاخنس والله ما أولئك فى أمتك الا كالذباب الاصهب فى الذباب فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد وعدنى سبعين ألفا مع كل ألف سبعون ألفا وزادنى ثلاث حثيات قال فما سعة حوضك يا رسول الله قال كما بين عدن الى عمان وأوسع وأوسع قال فما حوضك يا نبى الله قال أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب رائحة من المسك من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا ولم يسود وجهه أبدا وأخرج مسلم عن أنس رضى الله عنه قال أغفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقال انه أنزلت على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر حتى ختمها قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله أعلم قال هو نهر أعطانيه ربى فى الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد الكواكب فيختلج العبد منهم وفى رواية فيجلون أى يطردون فأقول يارب انه من أمتى وفى رواية أصحابى فيقال انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك وأخرج ابن أبى العاصم عن الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما ان عليا كرم الله تعالى وجهه يذود المنافقين عن الحوض قال العلماء كل من ارتد والعياذ بالله تعالى عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه أو خالف الجماعة أو السنة أو ابتدع فى الدين أو ظلم وجار أو أعلن بالكبائر أو أنكر الحوض فهو يذاد ويطرد عن الحوض أخرج الحكيم فى نوادر الاصول عن عثمان بن مظعون عن

(١) نسخة عند سبع اه منه

النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال يا عثمان لا ترغب عن سنتى فمن رغب عن سنتى ثم مات قبل أن يتوب ضربت الملائكة وجهه عن حوضى يوم القيامة وأخرج الترمذى والحاكم عن كعب بن عجرة رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خرج عليهم وقال انه سيكون بعدى أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه وليس بوارد على الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو منى وأنا منه وهو وارد على الحوض وليعلم ان المعتزلة لم تثبت الحوض وقد ثبت عندنا بالسنة الصريحة وأما ثبوته بالقرآن فمحتمل وليس بصريح وأما قوله تعالى إنا أعطيناك الكوثر ففيه اختلاف قيل هو الحوض وقيل الخير الكثير وقيل النهر الذى فى الجنة وليعلم أيضا ان لكل نبى حوضا فقد أخرج الترمذى من حديث سمرة بن جندب رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لكل نبى حوضا ترده أمته وانهم يتباهون أيهم أكثر واردة وانى أرجو أن أكون أكثرهم واردة وورد فى بعض الأخبار ان لكل نبى حوضا إلا صالحا عليه السلام فان حوضه ضرع ناقته والله تعالى أعلم * وأما الشفاعة فيجب اعتقادها أيضا لتعدد الاحاديث فيها لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الرسل والانبياء عليهم السلام والملائكة والصحابة والشهداء والصديقين والاولياء على اختلاف مراتبهم ومقاماتهم وبقدر جاههم ووجاهتهم روى أبو هريرة وجابر ابن عبد الله رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أنا أول شافع وأول مشفع أخرجه مسلم وأخرج البيهقى عن ابن مسعود يشفع نبيكم رابع أربعة جبريل ثم ابراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نبيكم لا يشفع أحد فى أكثر مما يشفع فيه نبيكم ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء وأخرج البيهقى عن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال يشفع يوم القيامة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء وفى رواية ثم المؤذنون (١) وأخرج الطبرانى عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليدخلن الجنة قوم من المسلمين قد عذبوا فى النار برحمة الله تعالى وشفاعة الشافعين وأخرج ابن أبى عاصم عن أبى امامة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يجاء بالعالم والعابد فيقال للعابد ادخل الجنة ويقال للعالم قف حتى تشفع للناس وفى رواية بما أحسنت أدبهم وأخرج الديلمى من حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما مرفوعا يقال للعالم اشفع فى تلامذتك ولو بلغ عددهم نجوم السماء وعن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول الشهيد يشفع فى سبعين من أهل بيته وأخرج البزار عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الرجل ليشفع فى الرجل والرجلين والثلاثة يوم القيامة وأخرج الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال لا تزال الشفاعة بالناس وهم يخرجون من النار حتى ان ابليس الاباليس ليتطاول لها رجاء ان تصيبه وأخرج البزار عن أبى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال الحاج يشفع فى أربعمائة من أهل بيته والحاصل ان للناس شفاعات بقدر أعمالهم وقربهم من الله تعالى والقرآن يشفع لاهله والاسلام يشفع لاهله والحجر الاسود يشفع لمستلمه ولكن لا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه وليعلم ان لنبينا عليه الصلاة والسلام شفاعات مختصة بجنابه الرفيع وقدره المجيد وهى عدة أولها وهى أعظمها وأعمها شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم لفصل القضاء بين الورى بعد التردد الى الانبياء وتدافعها بين أخيار الملأ الى أن تصل إلى صاحب الحوض المورود والمقام المحمود وقد عم الخلق زيادة القلق وتصاعد العرق وقاسوا من ذلك ما يذيب

(١) وقد ذكرنا فى بعض المجالس ان المؤذن يلزمه أن يؤذن بالالفاظ الصحيحة حسبة لله تعالى واذا بلغ وراء الامام ينبغى أن يبلغ على قدر ما يلزم من غير تمطيط وغناء فاحش ومن غير ادخال واو على أكبر فلا تغفل اه منه

الا كباد ويسى الاولاد وهذه مجمع عليها الاينكرها أحد فقد روى البخارى بسنده عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا عند ربنا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله فيأتونه فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته ائتوا ابراهيم الذى اتخذه الله خليلا فيأتونه فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته ائتوا موسى الذى كلمه الله فيأتونه فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته ائتوا عيسى فيأتونه فيقول لست هناكم ائتوا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فقد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر فيأتونى فأستأذن على ربى فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعنى ماشاء ثم يقال لى ارفع رأسك سل تعط وقل يسمع واشفع تشفع فأرفع رأسى فأحمد ربى بتحميد يعلمنى ثم اشفع فيحد لى حدا ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فأقع ساجدا مثله فى الثالثة أو الرابعة حتى مابقى فى النار إلا من حبسه القرآن فكان قتادة يقول عند هذا أى وجب عليه الخلود وذكر كثير من المفسرين لقوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا انه المقام الذى يقومه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للشفاعة يوم القيامة للناس ليريحهم ربهم سبحانه مما هم فيه من الغم والكرب كما هو مفصل فى المواهب اللدنية وغيرها ثانيها أنه يشفع عليه الصلاة والسلام عند ربه فى ادخال قوم من أمته الجنة بغير حساب فان هذه خاصة به صلى الله تعالى عليه وسلم كما قال القاضى عياض ثالثها شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوم استوجبوا النار بأعمالهم فيشفع فيهم فلا يدخلونها وقيل هذه غير مختصة رابعها فى رفع درجات ناس فى الجنة قال السفارينى وهذه لاتنكرها المعتزلة كالاولى خامسها الشفاعة فى عموم أمته عليه الصلاة والسلام من النار حتى لايبقى منهم أحد ذكره العلامة السبكى ومنها شفاعته عليه الصلاة والسلام لجماعة من صلحاء المسلمين ليتجاوز عنهم فى تقصيرهم فى الطاعات * واعلم ان المعتزلة أنكرت الشفاعة فيمن استحق النار من المؤمنين أن لايدخلها وفيمن دخلها منهم أن يخرج منها والاحاديث دامغة لرؤسهم فمنها ما أخرجه البيهقى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال من كذب بالشفاعة فلا نصيب له فيها ومن كذب بالحوض فليس له فيه نصيب وليعلم ان الاعمال الموجبة لشفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرة فمنها قول لا اله الا الله فقد قال عليه الصلاة والسلام أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قبل نفسه ومنها اجابة المؤذن روى جابر عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة ومنها ما أخرجه مسلم لايثبت أحد على لأواء المدينة وجدها إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة ومنها ما أخرجه ابن ماجه عن ابن عمر من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فانى أشفع لمن يموت بها وعن سلمان من مات فى أحد الحرمين استوجب شفاعتى وكان يوم القيامة من الآمنين ومنها مارواه أبو الدرداء من صلى على حين يصبح عشرا وحين يمسى عشرا أدركته شفاعتى يوم القيامة ومنها زيارة قبره أخرج البزار عن ابن عمر مرفوعا من زار قبرى وجبت له شفاعتى وأما المحرومون من شفاعته والعياذ بالله تعالى من الحرمان فأصناف منهم كما أخرجه البيهقى عن معقل رجلان لاتنالهما شفاعتى يوم القيامة امام ظلوم غشوم عسوف وآخر غال فى دين الله مارق منه وأخرج البيهقى عن عثمان بن عفان من غش العرب لم يدخل فى شفاعتى نقل ذلك كله السفارينى ومن الامور التى يجب الايمان بها أيضا رؤية الله تعالى بالابصار فى الجنة لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقد تعامت المعتزلة أيضا عن هذه الآية وعن الاحاديث الآتية وأنكرت الرؤيا قال السفارينى فى منظومته

فانه ينظر بالابصار * كما أتى فى النص والاخبار

وأخرج مسلم والترمذى عن صهيب رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون شيأ أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب أى الموانع عن ادراك أبصارهم حتى يروه فما أعطوا شيأ أحب اليهم من النظر الى ربهم ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فالحسنى هى الجنة والزيادة هى النظر الى وجه الرحمن وروى اللالكائى وغيره مثله عن على كرم الله تعالى وجهه وروى الطبرانى عن على كرم الله تعالى وجهه انه قال فى قوله تعالى لهم مايشاؤن فيها ولدينا مزيد هو النظر الى وجه الله عز وجل وفى الصحيحين عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لما نظر الى القمر ليلة أربعة عشر انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا لاتضارون فى رؤيته أى لاترتابون وفى لفظ لاتضامون بضم أوله وتخفيف الميم أى لايلحقكم ضيم ولا مشقة فى رؤيته وأخرج اللالكائى عن الحسن فى قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال اذا كان يوم القيامة برز ربنا تبارك وتعالى فيراه الخلق ويحجب الكفار وفى حادى الافراح لابن القيم ان الرب سبحانه وتعالى يرى ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط به وبقيت فى هذه المسائل أبحاث كثيرة من أرادها فعليه بالمطولات فيا كثير الخلاف ياعظيم الشقاق يا قليل الصواب ياعديم الوفاق يامن سيبكى كثيرا اذا انتبه وأفاق والتفت الساق بالساق أين من أنس بالدنيا ونسى الزوال أين من عمر القصور وجمع المال تقلبت بالقوم أحوال الاهوال كم أراك مولاك عبرة وقد قال سنريهم آياتنا فى الآفاق أين صديقك المؤانس أين رفيقك المجالس أين الماشى فقيرا وأين الفارس امتدت الى الكل كف المخالس فنزلوا تحت الاطباق والتفت الساق بالساق وكأن قد رحلت كما رحلوا ونزلت قريبا حيث نزلوا وحملت الى القبر كما حملوا الى ربك يومئذ المساق من لك اذا ألم الالم وسكن الصوت وتمكن الندم ووقع الفوت وأقبل لأخذ الروح ملك الموت وجاءت جنوده وقيل من راق والتفت الساق بالساق ونزلت منزلا ليس بمسكون وتعوضت بعد الحركات سكون فيا أسفى لك كيف تكون وأهوال القبر لاتطاق والتفت الساق بالساق وفرق مالك وسكنت الدار ودار البلى فادار اذ دار وشغلك الوزر عمن هجر أو زار ولم ينفعك نوح ندب الرفاق والتفت الساق بالساق أما أكثر عمرك قد مضى أما معظم زمانك قد انقضى أفى أفعالك مايصلح للرضا اذا التقينا يوم التلاق والتفت الساق بالساق ياساعيا فى هواه تذكر أمسك يامن سعى الى خطايا خطاه تذكر حسبك يامأسورا فى سجن الشهوات خلص نفسك قبل أن تعز السلامة ويساق الاعناق والتفت الساق بالساق وينصب الصراط ويوضع الميزان وينشر الكتاب بجزاء ماقد كان ويشهد الجلد والملك والمكان والنار الحبس والحاكم الخلاق والتفت الساق بالساق فحينئذ يشيب المولود وتخرس الألسنة وتنطق الجلود وتظهر الوجوه بين بيض وسود يوم يكشف عن ساق فانتهب عمرا يفنى بالمساء والصباح وعامل مولى يجزل العطايا والارباح ولا تبخل فقد حث على السماح ماعندكم ينفد وماعند الله باق اللهم ياحبيب كل غريب ويا أنيس كل كئيب أى منقطع اليك فلم تصله أم أى داع دعاك فلم تجبه ويروى عنك سبحانك انك قلت وماغضبت على أحد كغضبى على مذنب أذنب ذنبا فاستعظمه فى جنب عفوى فيامن يغضب على من لايسأله لاتمنع من قد سألك أنت الذى دللت بجودك عليك وأطلقت الألسنة بالسؤال لديك اللهم أعط كل سائل لك من الخير مراده ونلنا الحسنى والزيادة واجعلنا على الصراط من العابرين وعلى حوض نبيك عليه الصلاة والسلام من الواردين الشاربين وأعطنا صحائفنا باليمين وامح سيآتنا وثقل ميزان حسناتنا واجعلنا من أهل شفاعة نبيك الامين وارحم اللهم ماخلقت وأغفر ما قدرت وطيب مارزقت ولاتهتك فى الدارين ماسترت وارحمنا ووالدينا والمسلمين وكافة المؤمنات والمؤمنين وصل على محمد وآله أجمعين والحمد لله رب العالمين

﴿ المجلس الحادى والخمسون ﴾

﴿ فى النار أعاذنا الله تعالى منها والجنة ونسأله دخولها ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله مبلغ الراجى فوق مأموله ومعطى اللاجى زيادة على مسؤله المنان على التائب بصفحه وقبوله خالق الآدمى وأنشاله دار الحلوله وجعل الدنيا مرحلة لنزوله فتوطنها من لم يعرف شرف الدار الاخرى لجهوله أوما ترى غربان البين تنوح على طلوله ارحلوا عنها بايمان كامل فرب قفر يخاف من غوله سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله أحمده على نيل الهدى وحصوله وأقر بوحدانيته اقرار عارف بالدليل وأصوله وأصلى وأسلم على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى صاحبه أبى بكر الصديق الذى يبغضه المبتدع (١) بفضوله وعلى عمر حامى الاسلام بسيف عزم لا يخاف من فلوله وعلى عثمان الصابر على البلاء حين نزوله وعلى على بن أبى طالب الصائل بشجاعته قبل أن يصول بنصوله وعلى سائر آله وأصحابه الفائزين من الايمان بشعبه وأصوله صلاة وسلاما دائمين ما تردد النسيم بين شماله وجنوبه وقبوله ﴿أما بعد﴾ فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين (فنقول) وبالله تعالى التوفيق قال المفسرون قوله تعالى (وسيق الذين كفروا) الآية أى ساقت الملائكة الكافرين بعد انقضاء الحساب سوقا عنيفا (الى جهنم) أى الى النار حال كونهم (زمرا) أى جماعات متفرقة بعضها يتلو بعضا (حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها) أى أبواب النار ليدخلوها وهى سبعة أبواب وكانت قبل ذلك مغلقة (وقال لهم خزنتها) جمع خازن وهم الملائكة المأمورون عليها (ألم يأتكم رسل منكم) أى من أنفسكم وجنسكم (يتلون عليكم آيات ربكم) التى أنزلها عليكم كالتوراة المبشر فيها ببعثة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والقرآن المبين (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أى يخوفونكم لقاء هذا الوقت الشديد وانما قالوا لهم ذلك توبيخا لهم فأجابوا معترفين ولم يقدروا على الجدل الذى كانوا يتعللون به فى الدنيا لظهور الامر وانكشافه ولهذا (قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) وهى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (ثم قيل لهم) أى قال لهم الملائكة الموكلون بعذابهم (ادخلوا أبواب جهنم) التى قد فتحت لدخولكم (خالدين) أى مقدرين الخلود (فبئس مثوى المتكبرين) جهنم وليعلم انه قد وردت أحاديث وآيات كريمة فى عدد أبواب جهنم وصفاتها أجارنا الله تعالى وايا كم منها قال الله تعالى وان جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم قال ابن جريج أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية قال على كرم الله تعالى وجهه ان أبواب جهنم هكذا بعضها فوق بعض وأومأ الراوى بأصابعه وقال الضحاك هى سبعة ادراك بعضها فوق بعض فأعلاها فيه أهل التوحيد يعذبون على قدر ذنوبهم ثم يخرجون والثانى فيه النصارى والثالث فيه اليهود والرابع فيه الصابئون والخامس فيه المجوس والسادس فيه مشركوا

(١) نسخة الرافضى اه منه

العرب والسابع فيه المنافقون وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة وفى الصحيحين عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ناركم هذه الذى يوقد بنو ادم جزء من سبعين جزأ من حر جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزأ كلهن مثل حرها وروى مسلم عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها وروى ابن عباس رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى الارض لأمرت على أهل الدنيا معيشتهم فكيف بمن هو طعامه وليس له طعام غيره وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال يوما لكعب يا كعب خوفنا فقال يا أمير المؤمنين اعمل عمل رجل ولو وافيت القيامة بعمل سبعين نبيا لازدريت عملك مما ترى فأطرق عمر مليا ثم أفاق فقال زدنا يا كعب فقلت يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها فأطرق عمر مليا ثم أفاق فقال زدنا يا كعب فقال يا أمير المؤمنين ان جهنم لتزفر يوم القيامة زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الا خر جاثيا على ركبتيه يقول نفسى نفسى لا أسألك اليوم الا نفسى وقال أبو عمران اذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى بكل جبار عنيد وكل شيطان مريد وكل من يخاف الناس فى الدنيا شره فأوثقوا بالحديد ثم أمر بهم الى جهنم ثم أوصدوها عليهم أى أطبقوها وأغلقوها فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبدا ولا تلتقى جفون أعينهم على غمض نوم أبدا ولا يذوقون فيها بارد شراب أبدا وأنشد بعضهم فى ذلك

لو أبصرت عيناك أهل الشقا * سيقوا الى النار وقد أحرقوا
يصلونها حين عصوا ربهم * وخالفوا الرسل وما صدقوا
تقول أخراهم لأولاهم * فى لجج المهل وقد أغرقوا
قد كنتم حذرتموا حرها * لكن من النيران لم تفرقوا
وجىء بالنيران مذمومة * شرارها من حولها محدق
وقيل للنيران أن أحرقى * وقيل للخزان ان أطبقوا
وأولياء الله فى جنة * قد توجوا فيها وقد طوقوا

وقوله تعالى (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة) أى ساقتهم الملائكة سوق اعزاز وتشريف وتكريم والمراد بذلك السوق اسراعهم الى دار الكرامة والرضوان بخلاف السوق الاول فانه للتعذيب والهوان وقيل الكلام على حذف مضاف أى سيقت مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين (زمرا) أى جماعات فجماعة أهل الصلاة على حدة وأهل الصوم كذلك الى غير ذلك (حتى اذا جاؤها) جواب اذا محذوف تقديره سعدوا (وفتحت أبوابها) وقيل الجواب فتحت والواو زائدة وقيل ان هذه الواو تسمى واو الثمانية وذلك ان من عادة العرب أنهم كانوا يقولون فى العدد خمسة ستة سبعة وثمانية وفى الآية وجوه آخر فلتطلب فى التفاسير المطولات ثم أخبر سبحانه ان خزنة الجنة يسلمون على المؤمنين فقال (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) أى سلامة لكم من كل آفة لا يعتريكم بعدها مكروه وقد حيتهم الملائكة بما حيت به آدم عليه السلام فقد أخرج الامام أحمد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خلق الله عز وجل آدم على صورته أى لم ينم كالاطفال طوله ستون ذراعا فاما خلقه قال له اذهب فسلم على أولئك النفر وهم نفر من الملائكة جلوس فاسمع ما يحيونك فانها تحيتك وتحية ذريتك فذهب فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله قال

فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعا فلم يزل ينقص الخلق بعد حتى الآن متفق عليه وقوله تعالى (طبتم) أى طهرتم فى الدنيا فلم تتدنسوا بالشرك والمعاصى وقيل طاب لكم المقام وقال مقاتل اذا قطعوا جسر جهنم حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم حتى اذا هذبوا وطيبوا قال لهم رضوان خازن الجنان وأصحابه سلام عليكم طبتم (فادخلوها خالدين) أى ادخلوا الجنة مقدرين الخلود (و) عند ذلك (قالوا) أى أهل الجنة (الحمد لله الذى صدقنا وعده) بالبعث والثواب بالجنة فى قوله سبحانه تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا وقوله تعالى (وأورثنا الارض) أى أرض الجنة كأنها صارت من غيرهم اليهم فملكوها وتصرفوا فيها تصرف الوارث فيما يرثه وقال أكثر المفسرين ان المؤمنين ورثوا الارض التى كانت لاهل النار لو كانوا مؤمنين وقوله تعالى (نتبوأ من الجنة حيث نشاء) أى نتخذ من المنازل فيها ما نشاء حيث نشاء فلا يختار أحد مكان غيره وقيل يتخير كل واحد من أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أين ينزل تكرمة له وان كان لا يختار الا ما قسم له وأما بقية الأمم فيدخلون بعد أمة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فينزلون فيما فضل عنهم وقوله تعالى (فنعم أجر العاملين) أى فى الدنيا وأجرهم فى الجنة وهذا من تمام قول أهل الجنة وقيل هو من قول الله سبحانه * ولنذكر لكم بعضا من صفات أهل الجنة ومنازلهم وأماكنهم وما يتعلق بذلك أخرج الامام أحمد عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا بيضاء مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعا فى عرض سبعة أذرع ومن رواية أنس ثم يذهب بهم الى شجرة فى الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم ومن روايته الاخرى على حسن يوسف وعلى لسان محمد وفى رواية وقلب أيوب ذوى أفانين أى شعور وجمم وقد ورد فى روايات مختلفة ان لا بول لهم ولا غائط ولا يولد لهم أولاد ولا ينامون وليس لاحد منهم لحية وما ذكر أن لبعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام لحى فهو قول مردود وخبر مصنوع وكذا من زعم ان ليس لأهل الجنة اسنان وكذا مسئلة التوالد فيها خلاف وقال بعضهم ان المؤمن اذا اشتهى الولد فى الجنة كان حمله ووضعه وسنه فى ساعة واحدة كما يشتهى كما نص على ذلك الشيخ محمد السفارينى فى كتابه البحور الزاخرة وأعلى أهل الجنة منزلة نبينا وشفيعنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اذ هى الوسيلة التى وعد بها عليه الصلاة والسلام وأخرج الترمذى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى خيامه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة قال السفارينى وأما تحفة أهل الجنة اذا دخلوها فزيادة كبد النون أى الحوت كما أخرجه مسلم فى صحيحه عن ثوبان رضى الله تعالى عنه قال كنت قائما عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجاء حبر من أحبار اليهود فقال السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال لم تدفعنى فقلت ألا تقول يا رسول الله فقال اليهودى انما ندعوه باسمه الذى سماه به أهله فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان اسمى محمد الذى سمانى به أهلى فقال اليهودى جئت أسألك فقال له عليه الصلاة والسلام أينفعك شئ ان حدثتك قال أسمع بأذنى فنكت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعود معه فقال سل فقال اليهودى أين تكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هم فى ظلمة دون الجسر قال فمن أول الناس اجازة يوم القيامة قال فقراء المهاجرين قال اليهودى فما تحفتهم حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد النون قال فما غذاؤهم على أثرها قال ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين فيها تسمى سلسبيلا قال صدقت قال وجئت أسألك عن شئ لا يعلمه أحد من أهل الارض الا نبى أو رجل أو رجلان قال ينفعك ان حدثتك قال أسمع بأذنى قال جئت أسألك عن الولد قال ماء

الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فاذا اجتمعا فعلا منى الرجل منى المرأة أذكرا باذن الله أى أتى المولود ذكرا واذا علا منى المرأة منى الرجل أنثا باذن الله أى جاء المولود أنثى فقال اليهودى لقد صدقت وانك لنبى ثم انصرف فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لقد سألنى هذا عن الذى سألنى عنه وما لى علم بشئ منه حتى أتانى الله عز وجل به وعن وهب بن منبه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال خلق الله تعالى الجنان يوم خلقها وفضل بعضها على بعض فهى سبع جنان دار الجلال ودار السلام وجنة عدن وهى قصبة الجنة وهى مشرفة على الجنان كلها وباب جنة عدن مصراعان من زمرد وزبرجد كما بين المشرق والمغرب وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة الفردوس وجنة النعيم وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان فى الجنة مائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض وان جنة الفردوس أوسطها وأعلاها سماء وعليها يوضع العرش يوم القيامة ومنها تفجر أنهار الجنة قال رجل بأبى أنت وأمى يا رسول الله فيها خيل قال نعم والذى نفسى بيده ان فيها الخيلا من ياقوتة حمراء تزن بهم خلال ورق الجنة يتزاورون عليها فجاء رجل فقال بأبى وأمى يا رسول الله هل فيها ابل قال نعم والذى نفسى بيده ان فيها الابلا من ياقوتة حمراء أرحالها الذهب والفضة محفين نمارق الديباج تزن بهم بين خلال ورق الجنة يتزاورون عليها فجاء رجل فقال بأبى أنت وأمى هل فيها صوت قال نعم والذى نفسى بيده ان الله عز وجل ليوحى الى شجرة فى الجنة أن أسمعى عبادى هؤلاء الذين شغلهم ذكرى فى الدنيا عن عزف المزاهر والمزامير بالتسبيح والتقديس وفى التبصرة عن على كرم الله تعالى وجهه قال يساق الذين اتقوا ربهم زمرا حتى اذا انتهوا الى أول باب من أبوابها وجدوا عندها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا الى احداهما كأنما أمروا بها فشربوا منها فأذهب ما فى بطونهم من قذى وأذى ثم عمدوا الى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلن تتغير أبشارهم بعدها أبدا ولن تشعث أشعارهم كأنما دهنوا ثم انتهوا الى خزنة الجنة فقالوا سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان الدنيا بالحميم يقدم من غيبته فيقولون له أبشر بما أعد الله لك من الكرامة قال ثم ينطلق غلام من أولئك الغلمان الى بعض أزواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذى كان يدعى به فى الدنيا فتقول أنت رأيته فيقول أنا رأيته وهذا بأثرى فيستخف احداهن الفرح حتى تقوم على أسكفة بابها فاذا انتهى الى منزله نظر أى شئ أساس بنيانه فاذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أخضر وأصفر وأحمر ومن كل لون ثم رفع رأسه فنظر الى سقفه فاذا مثل البرق فلولا ان الله تعالى قدره له لألم ان يذهب بصره ثم طأطأ رأسه فنظر الى أزواجه وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة فقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ثم ينادى مناد تحيون فلا تموتون وتقيمون فلا تظعنون وقال أبو هريرة ان أدنى أهل الجنة منزلة من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم ليس منهم خادم الا معه طرفة ليست مع صاحبه وأما ريح الجنة فقد أخرج الطبرانى عن عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من قتل قتيلا من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام وأخرجه البخارى بلفظ ليوجد من مسيرة أربعين عاما وأخرج أبو داود الطيالسى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنه من ادعى الى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسين عاما وفى روايات أخر لا يجد ريحها منان بعمله ولا عاق ولا مدمن خمر ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء وعن أبى هريرة مرفوعا من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه الا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة وأما النداء فى الجنة فقد أخرج مسلم عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ينادى مناد ان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وان لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وان لكم أن

تنعموا فلا تبأسوا أبدا وذلك قول الله عز وجل ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون وأما أشجارها قال تعالى وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود أى لاشوك فيه وطلح منضود أى موز متراكم قد نضد بالحمل من أوله الى آخره قاله فى البحور الزاخرة وأخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها فاقرؤا ان شئتم وظل ممدود وأما ثمارها فقد قال الربيع بن أنس ويحيى بن كثير عشب الجنة الزعفران وكثبانها المسك فيطوف عليهم الولدان بالفاكهة فيأكلونها ثم يأتونهم بمثلها فيقولون هذا الذى جئتمونا به آنفا فيقول لهم الخدم كلوا فاللون واحد والطعم مختلف فهو قوله عز وجل كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها وقال تعالى وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة أى لا تكون فى وقت دون وقت كثمار الدنيا ولا تمنع ممن أرادها وقال تعالى فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية قطوفها دانية أى ثمارها قريبة يتناولونها كيف شاؤا قياما وقعودا ومضطجعين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ثمر الجنة أمثال القلال والدلاء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس فيه عجم القلال جمع قلة وهى الحب العظيم أو الجرة والدلاء جمع دلو والعجم النوى وأما أنهارها وعيونها وطعام أهلها وشرابهم وآنيتهم وثيابهم قال تعالى جنات تجرى من تحتها الانهار وقال تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن أى لا يتغير ولا ينتن من طول المكث وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم وأخرج ابن أبى الدنيا عن أنس رضى الله تعالى عنه قال أظنكم تظنون أنهار الجنة أخدودا فى الارض لا والله انها لسائحة على وجه الارض احدى حافتيها اللؤلؤ والاخرى الياقوت وطينه المسك الاذفر أى الخالص الشديد الرائحة وقال تعالى يطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا قوارير من فضة قدروها تقديرا أخرج الشيخان عن حذيفة بن اليمان أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا فى صحافهما فانها لهم فى الدنيا ولكم فى الآخرة وأما لباسهم وفرشهم قال تعالى ان المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين وقال تعالى يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك قال فى حادى الارواح السندس مارق من الديباج والاستبرق ماغلظ منه وأخرج الشيخان من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة وعن الحسن الحلى (١) فى الجنة على الرجال أحسن منه على النساء وعن سعد بن أبى وقاص مرفوعا لو أن رجلا من أهل الجنة أطلع فبدا بسواره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم وفى هذا الحديث ابن لهيعة وثقه الامام أحمد وعن الامام أحمد سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها ولنصيف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها رواه أبو هريرة والنصيف الخمار وأخرج ابن أبى الدنيا ما من أحد يدخل الجنة الا انطلق به الى شجرة طوبى فتفتح له أكمامها فيأخذ ماشاء من الثياب ان شاء بيضا وان شاء حمرا وان شاء خضرا وان شاء صفرا وان شاء سودا مثل

---

(١) قال القسطلانى فى شرحه للبخارى قال عليه الصلاة والسلام أحل الذهب والحرير لاناث أمتى وحرم على ذكورها قال الترمذى حسن صحيح نعم الاصح عند الرافعى تحريم افتراشها اياه لانه ليس فى الفرش مافى اللبس من التزين للزوج المطلوب وصحح النووى حله قال وبه قطع العراقيون وغيرهم لاطلاق الحديث السابق وبه قال أبو حنيفة وكرهه صاحباه فلو صلى فيه الرجل أجزأته صلاته لكنه ارتكب حراما وقال الحنفية تكره وتصح وقال المالكية يعيد فى الوقت ان وجد ثوبا غيره وقد ذكرنا بعضا من هذا فى بعض الدروس فلا تغفل اه منه

شقائق النعمان وفى حادى الارواح عن أبى سعيد مرفوعا ان الرجل فى الجنة ليتكئ سبعين سنة قبل أن يتحول ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبه فينظر وجهه فى خدها أصفى من المرآة وان أدنى لؤلؤة عليها لتضئ ما بين المشرق والمغرب فتسلم عليه فيرد السلام ويسألها من أنت فتقول أنا المزيد وانه ليكون عليها سبعون ثوبا فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وأخرج الطبرانى فى قوله تعالى وفرش مرفوعة قال مسيرة أربعين سنة وأما خدمهم ونساؤهم وغلمانهم فقد قال تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا قال الفراء مخلدون لا يهرمون ولا يتغيرون وقال بعض العلماء مخلدون مقرطون أى فى آذانهم القرط وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ان أدنى أهل الجنة منزلا من يسعى عليه ألف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه وعن أنس مرفوعا ان أسفل أهل الجنة درجة من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم وقال تعالى وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الانهار الى قوله تعالى ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون قال فى البحور الزاخرة فى أحوال الآخرة والمطهرة التى طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قذر وطهر لسانها من الفحش ونظرها من طمح عينها الى غير زوجها وأخرج الترمذى عن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال يتزوج العبد فى الجنة سبعين زوجة قيل يارسول الله أيطيقها قال يؤتى قوة مائة رجل وأخرج البيهقى عن عبد الرحمن بن سابط موقوفا ان الرجل من أهل الجنة يتزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره من الدنيا وأخرج الطبرانى عن أم سلمة قالت يارسول الله ان المرأة منا تتزوج الزوجين والثلاثة والاربعة ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها قال يا أم سلمة تخير فتختار أحسنهم خلقا فتقول أى رب ان هذا كان أحسنهم معى خلقا فى دار الدنيا فزوجنيه يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخيرى الدنيا والآخرة قال فى البحور الزاخرة فيه ضعف وقد ورد خلافه فعن حذيفة ان المرأة لآخر أزواجها وخطب معاوية أم الدرداء فأبت وقالت سمعت أبا الدرداء يحدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان المرأة لآخر أزواجها فى الآخرة وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن قيس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان للعبد المؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة طولها ستون ميلا للعبد المؤمن فيها أهلون يطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضا وأخرج ابن أبى الدنيا عن سعيد بن جبير ان شهوته لتجرى فى جسده سبعين عاما يجد اللذة ولا يلحقهم بذلك جنابة فيحتاجون الى التطهير ولا ضعف ولا انحلال قوة بل وطؤهم وطء التذاذ ونعيم لا آفة فيه بوجه من الوجوه وأخرج أبو نعيم قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يسطع نور فى الجنة فيرفعون رؤسهم فاذا هو من ثغر حوراء ضحكت فى وجه زوجها والى هذا أشار

فلو أن حورا فى الدياجى تبسمت * تجلى دجى الظلماء فى الارض نورها
ولو مزج الماء الاجاج بريقها * لاصبح عذبا سلسبيلا بحورها

فيا اخوانى سبحان من قدر الأمور وأمضاها أسخط النفوس تقديره وأرضاها أحضر زمر المتقين ثم نجاها زرعوا جنات التقوى فالتقطوا جناها فأما زمر الكفر فالنار مأواها تستغيث عطشا ولو رحمها سقاها الغسلين شرابها والزقوم مرعاها حرموا لذة المنى والاسعاد وبدلت وضاءة وجوههم بالسواد وضربوا بمقامع أقوى من الأطواد عليها ملائكة غلاظ شداد لو رأيتهم فى الجحيم يسحبون وعلى الزمهرير يطرحون حزنهم دائم فما يفرحون مقامهم محتوم لا يبرحون أبد الآباد ليس لهم طعام إلا من ضريع والشراب الحميم وهذا الزاد وأما زمر المتقين فقد سيقوا الى الجنات وفتحت لهم الأبواب وتلقاهم الحور يقلن آن الاياب وغنتهم الأمانى أطيب من غناء الرباب فكلما غنت رنت من القصور القباب وأعطاهم

مولاهم مالم يكن بالحساب فهم فى النعيم يتقلبون وعلى الأرائك ينظرون والملائكة يدخلون عليهم من كل باب فسبحان من أصلح بالهم طوبى لهم وحسن مآب نزلوا والله المقام الأمين وكتبوا فى أصحاب اليمين ونالوا كل مثمن ثمين وأسكنوا القصور وأعطوا الحور العين كأنهن أبكار ليس فيهن عون قد عوضوا عن حريق القلق الرحيق وأبدلوا عن بريق السيوف الأباريق وقوبلت رياضاتهم بالروض الأنيق فهم يرتعون فيما يرتعون نقوا بالآداب الشرعية وهذبوا فاذا أبعدتم يوم الحضور وقربوا فماذا تصنعون فنسألك اللهم أن تجعلنا والجماعة الحاضرين من القوم الذين اغتنموا الأيام واجتنبوا الخطايا والآثام وصمتوا عن ردىء الكلام وصموا عن استماع الحرام فكأنهم ما يسمعون واحشرنا فى زمرة العلماء العاملين واجعلنا يوم الفزع الأكبر من الآمنين وتحت لواء سيد المرسلين عليه وعلى آله وأصحابه أفضل صلاة المصلين اللهم وأعتقنا من النار وسلمنا من دار البوار ووفقنا لسلوك سبيل عبادك الأخيار واغفر لنا جميع الذنوب والأوزار وعاملنا بمحض فضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين وعمنا بعفوك ومغفرتك ووالدينا وجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين اللهم إنا نسألك الجنة وما يقربنا اليها من قول أو عمل ونسألك الصبر والشكر والعفو والعافية وبلوغ الأمل واسلك اللهم بنا مسالك الصادقين الأبرار وألحقنا بأوليائك الأخيار وارحم اللهم آباءنا وأمهاتنا وأقاربنا ومشايخنا وكافة المسلمين وانصر اللهم من نصر الدين واخذل من خذل الموحدين واحفظ المجاهدين والعساكر المرابطين وأيد شريعة نبيك المصطفى وكثر أتباع دينه المرتضى وألف بين قلوب أمته واجعلنا والحاضرين من المتمسكين بسنته الفائزين بكمال حبه وآله وأصحابه وزوجاته وذريته وثبت قلوبنا على دينه المبين والطف بنا لطفا خفيا يارب العالمين وصل وسلم على جميع أنبيائك والمرسلين وأهل طاعتك أجمعين

هذا آخر ما سهل الله تعالى تحريره وغاية طيب ما دبجت بالتوفيق تحبيره من الكتاب الموسوم بالغالية فى المجالس العالية وانى أحمد الله سبحانه على اتمامه وترصيفه فى سلك نظامه وأبتهل اليه عز سلطانه أن يكون ذلك سببا لغفرانه وموجبا فى الدارين لاحسانه وأن يعفو عما طغى به القلم أو زلت فى بعض كلماته القدم أو صدر تكاسل فى التنقيح أو توان فى بيان التصحيح فان لى عذرين قويين وهما تشويش البال وتشتت الحال فى هذا الزمن الذى قد استولت فيه على أرباب العقول المحن والعذر الذى هو أوسع من هذين عند ذوى العرفان ان الانسان محل السهو والنسيان فالمرجو ممن سلم من داء الجهل والحسد أن يصلح ما فسد ويدرأ السيئة بالحسنات ويذكر أن العصمة من خواص ذوى المعجزات ومع هذا فأظننى قد أتيت والحمد لله تعالى بما هو فى هذا الوقت درياق لأهل العراق بل الآفاق (وقد جمعته) من عدة أسفار غدت كالشمس فى رابعة النهار وهى تبصرة العلامة ابن الجوزى وروح المعانى تفسير الفهامة والدنا المبرور وعقد الدرر واللآلئ للحموى الحنبلى والترغيب والترهيب للحافظ المنذرى ومختصره والزواجر والصواعق للعلامة ابن حجر وميزان العارف الشعرانى الشافعى وكتاب اختلاف المذاهب للوزير وكشف الغمة للشعرانى ورد المحتار حاشية الدر المختار للعلامة ابن عابدين الحنفى والمواهب اللدنية للقسطلانى الشافعى وزاد المعاد للحافظ ابن القيم الحنبلى وصحيحا الامامين وشرح سنن أبى داود للامام الخطابى وشرح السفيرى الشافعى لبعض أحاديث البخارى والبدور السافرة والحبائك للحافظ السيوطى والبحور الزاخرة للشيخ محمد السفارينى الحنبلى وشرح عقيدته وشرح الجامع الصغير للمناوى الشافعى وكتاب نصاب الاحتساب واحياء العلوم لحجة الاسلام الغزالى وقد كان أغلبه أوراقا مسودة وطروسا مبددة انتهبتها من أيدى الضياع واختطفتها من زوايا البقاع فاستخرجته للتبييض مع زيادة وتنقيح وتهذيب كالروض

الأريض فى شهر ربيع الآخر من شهور السنة المتممة لثلثمائة بعد الألف من هجرة ذى العز والشرف سيد بنى عدنان ورسول الانس والجان الشفيع الاعظم صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم ما لفظ لافظ ونصح واعظ وعلى كافة العلماء العاملين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وقد نسخت هذه النسخة من التسويد الذى كان المؤلف يمليه على الكاتب المجيد فلما أن تم جمعها وكمل حسنها وحررها بادر وقال فى آخرها يقول الفقير الى رحمة ربه الغنى محمد على الشهير بآل قفطان النجفى انى بعد أن يبس من القلم ريقه وختم من هذا الكتاب رحيقه أنشد صادح اللسان أبيات هى عند الادباء رياض يانعات مؤرخا عام الاتمام بهذا النظام فاسمعه لازلت بسلام

أنجوم أم درارى باديه * أم مصابيح ظلام ساريه
أم من الآفاق شهب أرسلت * راجمات للنفوس الطاغيه
أم هو البدر بدا فى غلس * فمحا ظلمة ليل داجيه
بل هو الاسفار من كتب السما * حملتها نفس قدس زاكيه
جمعت ما جاءت الرسل به * من كتاب وحديث حاويه
لفنون الوعظ صارت مجمعا * حاويا جل الصحاح العاليه
داعيا لله فيها بيننا * رحم الله ملبى داعيه
أرجت بغداد مسكا مذ مشى * حاملوها بالهام غاليه
فهى للوعظ دروس كافيه * وهى للطالب رشدا شافيه
جاد خير الدين فيها فاستمع * بعض ما خص بأذن واعيه
عالم ما زال يبدى علم ما * قد جهلناه ويجلو خافيه
وله حلم وصفح راسخ * وأياد بنداها هاميه
وبه روح المعانى قد بدت * فامعناه وجوه عانيه
وبه عز الهدى فى هديه * وعروش الغى أضحت خاويه
ذو تقى قد حالف الحق فما * ساورته الهفوات الشانيه
ذا قليل من كثير قلت فى * مدح من أكثر فى اكراميه
فاعفنى عن عد افضال له * ليس يحصى فضله تعداديه
دام فى أوج علاه ساميا * وبيوت المجد فيه زاهيه
ولواء العز معقود له * وحلى الفخر عليه ضافيه
مذ شممنا طيبها أرختها * زال وجدى بنسيم الغاليه

سنة ١٣٠٠   ٣٨ ٢٣ ١٦٢ ١٠٧٧

﴿ يقول مصححه ﴾

سبحان من نور بواطن العارفين بشموس المعارف اليقينية وعطر ظواهر المتقين بغالية المواعظ الايمانية وأجلس وعاظ العاملين في بحبوحة الجنة على منابر من نور يشرفون على أهلها فيشرقون على منازلهم كما تشرق على الدنيا البدور وجمل العلماء بحلل الجلال وتوجهم بتاج الكرامة وجعلهم شفعاء لمن أحبهم يوم القيامة فقد ورد في الخبر يقال للولى عند الصراط جز فادخل الجنة وللعالم قف فاشفع فيمن تحب وجعلهم ساسة الناس وأساة أمراض القلوب يعالجون سمومها بدرياق العظات وجراحها بضماد الهداية فيطبونها أنجع طب (نحمده) أن هدانا بهدايتهم ونشكره جعلنا من حزبهم وأهل رعايتهم ونصلي ونسلم على النبي الأكرم والرسول السيد السند الأعظم سيدنا محمد ذى القلب الرحيم والخلق العظيم والخلق القويم وعلى آله وأصحابه هداة الأمة الى الصراط المستقيم ﴿ أما بعد ﴾ فقد تم من هذا الكتاب طبعه وأزهر نبراسه وفاق تشييده بعد أن توطد ركنه وأساسه فبدا زاهيا على أقرانه تدين الثريا لنظمه ويستنزل بقدمه السها عن مكانه إقتعد بهمته صهوة التحقيق واجتاب فيافى الابداع حتى سوح جياده في رياض التدقيق والترقيق ولبس حلى الابتهاج وخطر معجبا بهذا الجمال تائها على عشاقه رافلا في حلل الدلال فلله مؤلف رجم شياطين النفوس الأبية بشهب وعظه واستل العقول المهذبة برقائق لفظه حوى من صائب المواعظ كل شهاب ناقب فأرغم أنوف المعاندين وصار على كمدهم ضربة لازب ولعمرى انه لحقيق ان يسمى (غالية المواعظ ومصباح المتعظ وقبس الواعظ) كيف لا وهو عمل بنان الصنع الأريب ونتيجة فكر الطبن اللبيب علم الفضل المفرد وركن المجد الاوحد علامة بغداد نابغة كل من صنف فأجاد أنبه من روى فاعلى في الرواية إسناده حضرة الاستاذ الاجل خير الدين أبى البركات السيد نعمان الوسى زاده أعلى الله قدره وأزهر في رياض القبول بدره بمطبعة السعادة المصرية الكائن مركزها بجوار محافظة القاهرة المعزية ادارة صاحبها راجى عفو ربه الجليل حضرة محمد افندى اسماعيل على نفقة الكتبى الشهير ذى الاخلاق المرضية والاحوال السنية الزكية حضرة الشيخ مصطفى تاج الكتبى بطنطا بجوار الرياض الاحمدية وفاح مسك ختامه أواخر شهر ربيع النبوى الانور عام ١٣٢٩ هجرية على صاحبها أفضل صلاة وأزكى تحية آمين

﴿ فهرست الجزء الثانى من غالية المواعظ ﴾

﴿ تمت ﴾

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى

الحمد لله المنفرد باسمه الأسمى المختص بالملك الأعز الأحمى

والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وسند الأصفياء

محمد الذي بعث بالملة الحنيفة السهلة البيضاء

وعلى آله وأصحابه ذوي الرشد المجهود

اللهم يا مالك الممالك نجنا من المهالك انت الأبد الباقي

وكل شيئ هالك ثلاث مرات

اللهم شتت شملهم فرق تدبيرهم بدل احوالهم خرب بنيانهم

زلزل أقدامهم اللهم الق الرعب في قلوبهم اهلكهم دمرهم

يا جبار يا قهار يا ذي البطش الشديد ~~انت~~ الذي

اللهم سلط القاذفه على القاذفه واحفظ محمد [illegible]

يا ارحم الراحمين